صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

١٧٤ حبر

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

٢٤١ استيلاء

صحيفة

صحيفة

٢٧٢ صلح

صحيفة

صحيفة

الكرك

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

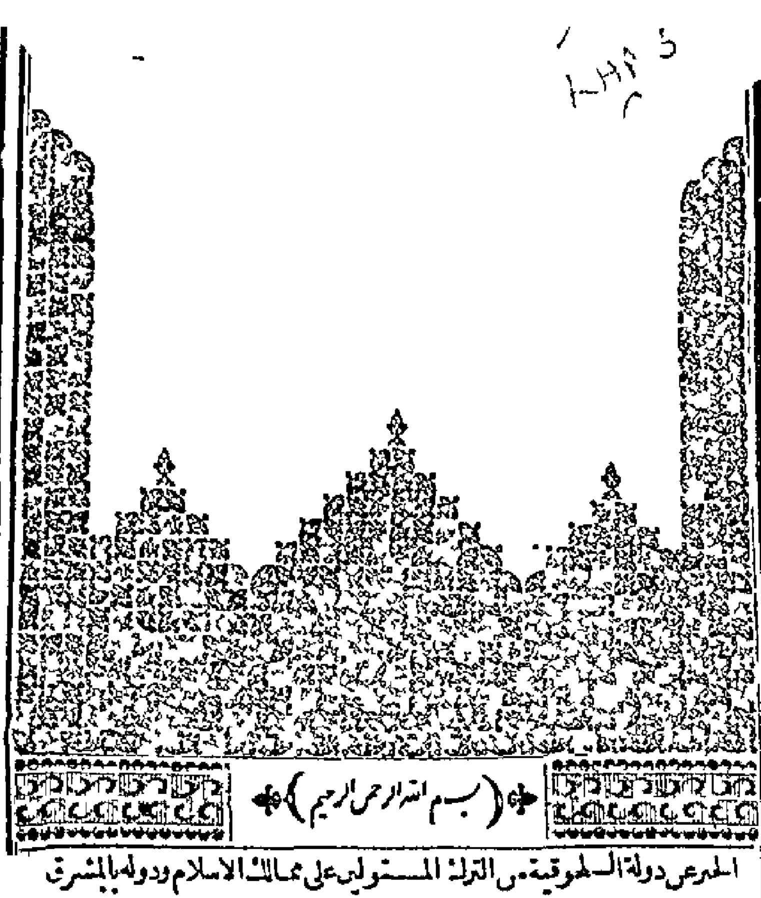
صحيفه

Accession No.

الجزء الخامس

من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر

وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغربي



بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر عن دولة السلجوقية من الترك المستولين على ممالك الاسلام ودولته بالمشرق كلها الى حدود مصر مستبدين على الخليفة ببغداد من خلافة القائم الى هذا الزمان وما كان لهم من الملك والسلطان في أقطار العالم وكيف فعلوا بالخلفاء وحجروهم وما تفرع عن دولتهم من الدول

قد تقدم لنا ذكر أنساب الامم والكلام في أنساب الترك وأنهم من ولد كومر بن يافث أحد السبعة المذكورين من بني يافث في التوراة وهم ماواق ومادای وماغوغ وقطوبال وماشخ وطيراش وعد ابن اسحق منهم ستة ولم يذكر ماداى وفي التوراة أيضا ان ولد كومر ثلاثة توغرما واشكان وريفات ووقع في الاسرائيليات أن الافرنج من ريفات والصقالبة من اشكان والخزر من توغرما والصحيح عند نسابة الاسرائيليين ان الخزر هم التركمان وشعوب الترك كلهم من ولد كومر ولم يذكر من أي ولده الثلاثة والظاهر أنهم من توغرما وزعم بعض النسابة أنهم من طيراش بن يافث ونسبهم ابن سعيد الى ترك بن عامور بن سويل والظاهر أنه غلط وأن عامور تصحيف كامر

وانما

واماسوبل فلم يذكر احد أنه من بنى يافث وقد مر ذكر ذلك كله (والترك أجناس) كثيرة وشعوب فنهم الروس والاعلان ويقال ابلان والخفشاخ وهم القفجق والهياطلة والخلج والغز الذين منهم السلجوقية والخطا وكانوا بأرض طمعاج ويغك والقوروتركس واركس والططر ويقال الطغرغروانكر وهم مجاورون للروم واعلم أن هؤلاء الترك أعظم أمم العالم وليس فى أجناس البشر أكثر منهم ومن العرب فى جنوب المعمور وهؤلاء فى شماله قد ملكوا عامة الاقاليم الثلاثة من الخامس والسادس والسابع فى نصف طوله مما يلى المشرق فأول مواطنهم من الشرق على البحر بلاد الصين ومافوقها جنوبا الى الهند وماتحتها شمالا الى سد يأجوج ومأجوج وقد قيل انهم من شعوب الترك وآخر مواطنهم من جهة الغرب بلاد الصقالبة المجاورين للافرنج مما يلى رومة الى خليج القسطنطينية وأول مواطنهم من جهة الجنوب بلاد القور المجاورة للنهر ثم خراسان واذربيجان وخليج القسطنطينية وآخرها من الشمال بلاد مرغانة والشاش وماوراءها من البلاد الشمالية المجهولة لبعدها ومابين هذه الحدود من بلاد غزنة ونهر جيحون ومايحفافيه من البلاد وخوارزم ومفاوز الصين وبلاد القفجق والروس حفافى خليج القسطنطينية من جهة الشمال الغربى قد اعتمر لهذه البسائط منهم أمم لايحصيهم الاخالقهم رحالة ينتقلون فيها منتجعين مساقط الغيث فى نواحيه يسكنون الخيام المتخذة من اللبود لشدة البرد فى بلادهم فقروا عليها * ومر بديار بكر وخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وحمل مائة الف دينار لنفقته فلما سمع أنه قبضها من الرعايا ردها عليه ثم مر بناهرو وأمنها واطاف على السور وجعل يمسحه بيده ويمرها على خدوده تبركا بثغر المسلمين ثم مر بالرها وحاصرها فامتنعت عليه ثم سار الى حلب فبعث اليه صاحبها محمود بن يعول القائد الذى عنده يخبر بطاعته وخطبته ويستعفيه من الخروج اليه منكرا امتنه الاذى ويحى على خير العمل فقال لابد من خروجه واشتد الحصار فخرج محمود ليلا مع أمه بنت وثاب الهنى متطارحا على السلطان فأكرم مقدمها وخلع عليه واعاده الى بلده

(غزاة السلطان ألب ارسلان الى خلاط واسر ملك الروم)

كان ملك الروم بالقسطنطينية لهذا العهد اسمه ارمانوس وكان كثيرا مايخيف ثغور المسلمين وتوجه فى سنة ثنتين وستين فى عساكر كثيرة الى الشأم ونزل على مدينة منبج واستباحها وجمع له محمود بن صالح بن مرداس الكلابى وابن حسان الطائى قوهما ومن اليهم من العرب فهزمتهم الروم ثم رجع ارمانوس الى القسطنطينية واحتشد الروم والفرنج والروس والكرخ ومن يليهم من العرب والطوائف وخرج الى بلاد كردمن

أعمال خلاط وكان السلطان ألب أرسلان عند مسيره من أذربيجان مقدماً من حلب بعث أهله وأثقاله الى همذان مع وزيره نظام الملك وسار هو في خمسة عشر ألف مقاتل وتوجه نحوهم متهيأ ولقيت مقدمته الروس فهزموهم وجاؤا بملكهم أسيرا الى السلطان فجدعه وبعث أسلابهم الى نظام الملك ثم توجه الى سمرقند ففارقها التكين وأرسل في الصلح وبعد رعي توقف صالحه ملكشاه وأقطع بلخ وطخارستان لأخيه شهاب الدين مكين الى خراسان ثم الى الري

(فتنة قاروت بك صاحب كرمان ومقتله)

كان بكرمان قاروت بك أخو السلطان ألب أرسلان أميرا عليها فلما بلغه وفاة أخيه سار الى الري لطلب الملك فسبقه اليها السلطان ملكشاه ونظام الملك ومعهما مسلم بن قريش ومنصور بن دبيس وأمراء الأكراد والتقوا على همذان فانهزم قاروت بك وجيء به الى أمام سعد الدولة كوهراس فقتله خنقا وأمر كرمان لبنيه وبعث اليهم بالخلع وأقطع العرب والأكراد مجازاة لما بلوا في الحرب وقد كان السلطان ألب أرسلان شاهدهم على الخدمة فقيم خبر وفاة ألب أرسلان في طريقهم فنزوا الى ملكشاه ووثق اليه مسلم بطاعته وأما بهاء الدولة منصور بن دبيس فان أباه أرسله بالمال الى ملكشاه فلقيه سائر العرب فشهدها معه ثم توفي أياز أخو السلطان ملكشاه ببلخ سنة خمس وستين فكفله ابنه ملكشاه الى سنة سبع وستين وتوفي القائم منتصف شعبان منها لخمس وأربعين سنة من خلافته ولم يكن له يومئذ ولد وانما كان له حافد وهو المقتدي عبد الله ابن محمد وكان أبوه محمد بن القائم ولي عهده وكان يلقب ذخيرة الدين ويكنى أبا العباس وتوفي سنة وعهد القائم لحافده فلما توفي اجتمع أهل الدولة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ أبو اسحق الشيرازي ونقيب النقباء طراد وقاضي القضاة الدامغاني وغيرهم وبايعوه بالخلافة لعهد جده اليه بذلك وأقر فخر الدولة بن جهير على الوزارة وبعث ابنه عميد الدولة الى السلطان ملكشاه لأخذ بيعته والله الموفق للصواب

استيلاء السلجوقية على دمشق وحصارهم مصر ثم استيلاء تتش ابن السلطان ألب أرسلان على دمشق

قد تقدم لنا ملك أتسز الرملة وبيت المقدس وحصاره دمشق سنة احدى وستين ثم عاد عنها وجعل يتعاهدها ويحيها بالعيث والافساد كل سنة ثم سار اليها في رمضان سنة سبع وستين وحاصرها ثم عاد عنها وهرب منها أميرها من قبل المستنصر العلوي صاحب

مصر المعلى بن حيدرة لانه كثر عسفه بالجند والرعية وظلمه فثاروا به فهرب الى بانياس
ثم الى صور ثم الى مصر فحبس ومات بها محبوسا واجتمعت المصامدة بدمشق وولى عليهم
انتصار بن يحيى المصمودى ويلقب نصير الدولة وغلت الاقوات عندهم واضطربوا فعاد
اليها انسز فى شعبان سنة ثمان وستين فاستأمنوا اليه وعوض انتصارا منها بقلعة بانياس
ومدينة يافا من الساحل ودخلها فى ذى القعدة وخطب بها للمقتدى ومنع من النداء
بحى على خير العمل وتغلب على كثير من مدن الشأم ثم سار سنة تسع وستين الى
مصر وحاصرها وضيق عليها واستنجد المنتصر بالبوادى من نواحيها فوعدوه بالنصر
وخرج بدر الجمالى فى العساكر التى كانت بالقاهرة وجاء أهل البلاد لميعادهم فانهزم
انسز وعساكره ونجا الى بيت المقدس فوجدهم قد بغلقه
فتحصنوا منه بالمعاقل فافتتحها عليهم عنوة واستباحها حتى قتلهم فى المسجد وقد تقدم
ضبط هذا الاسم وأنه عند أهل الشأم انسيس والصحيح انسز وهو اسم تركى ثم ان
السلطان ملك شاه اقطع اخاه تتش بن ألب ارسلان بلاد الشأم وما يفتحه من تلك النواحى
سنة سبعين وأربعمائة فقصد حلب أولا وحاصرها ومعه جموع من التركمان وكان بدر
الجمالى المستولى على مصر قد بعث العساكر لحصار دمشق وبها انسز فبعث الى تتش
وهو على حلب يستنجده فسار اليه وأخرت عساكر مصر عنه منهزمين ولما وصل الى
دمشق قعد انسز على لقائه وانتظر قدومه فلقيه عند السور وعاتبه على ذلك فتساهل
فى العذر فقتله لوقته وملك البلد واستولى على الشأم أجمع كما يأتى وكان يلقب تاج
الدولة ثم سار فى سنة ثنتين وسبعين الى حلب فحاصرها أياما وأفرج عنها وملك مراغة
والبيرة وعاد الى دمشق وخالفه مسلم بن قريش الى حلب فملكها كما تقدم فى أخباره
وضمنها السلطان ملك شاه فولاه اياها وسار مسلم بن قريش فحاصرها آخر سنة أربع
وسبعين ثم أفرج عنها فخرج تتش وقصد طرسوس من الساحل فافتتحها ورجع ثم
حاصرها مسلم ثانية سنة تسع وسبعين وبلغه أن تاج الدولة تتش سار الى بلاد الروم غازيا
فخالفه الى دمشق وحاصرها معه العرب والاكراد وبعث اليه العلوى صاحب مصر
بعده بالمدد وبلغ الخبر الى تتش فكر راجعا وسبقه الى دمشق فحاصرها أياما ثم خرج
اليه تتش فى جموعه فهزمه واضطرب أمره ووصله الخبر بانتقاض أهل حران فرحل
من مرج الصفر راجعا الى بلاده ثم سار أمير الجيوش من مصر فى العساكر الى
دمشق سنة ثمان وسبعين وحاصرها فامتنعت عليه ورجع فلحقوا بأخيه تكش فى
فقوى به وأظهر العصيان واستولى على مرو الروذ ومرو
الساهجان وغيرهما وسار الى نيسابور طامعا فى ملك خراسان وبلغ الخبر الى السلطان

سيفه الى نيسابور ورجع تتش وتحصن بترمذ وحاصره السلطان حتى سأل الصلح وأطلق من كان فى أسره من عسكر السلطان ونزل عن ترمذ وخرج اليه فأكرمه ثم عاود العصيان سنة سبع وسبعين وملك مرو الروذ ووصل قريبا من سرخس وحاصر قلعة هناك لمسعود ابن الامير فانثر وتحيل أبو الفتوح الطوسى صاحب نظام وهو بنيسابور وعلى ملطفة وصورها على شبه خط نظام الملك يخاطب فيها صاحب القلعة بأنه واصل فى ركاب السلطان ملك شاه وأنه مصالح للقلعة وتعرض حاملها لاهل العسكر حتى أخذوا كتابه بعد الضرب والعرض على القتل وحدثهم بمثل ما فى الصحيفة وان السلطان وعساكره فى الرى فأجفلوا وتركهم الى قلعة رشح وخرج أهل الحصن وأخذوا ما فى العسكر وجاء السلطان بعد ثلاثة أشهر فحاصره فى قلعته حتى افتتحها وحده ودفعه الى ابنه أحمد فقتله بدنيه فرجا من بينه معه

(سفارة الشيخ أبى اسحق الشيرازى عن الخليفة)

كان الخليفة المقتدى وكان عميد العراق أبو الفتح بن أبى الليث يسيء معاملة الخليفة فبعث المقتدى الشيخ أبا اسحق الشيرازى الى السلطان ملك شاه ووزيره نظام الملك باصفهان شاكيا من العميد فسار الشيخ لذلك ومعه الامام أبو بكر الشاشى وغيره من الاعيان ورأى الناس عناق البلاد التى بمر بها من اقبال الخلق عامة وازدحامهم على خدمته يتمسحون به ويأتون بأذيالها وينثرون موجودهم عليه من الدراهم والدنانير لاهلها والمصنوعات لاهل الصنائع والبضائع للتجار والشيخ فى ذلك يبكى ويتعجب ولما حضر عند السلطان أظهر الحرمة وأجابه الى جميع ما طلبه ورفعت يد العميد عن كل ما يتعلق بالخليفة وحضر الشيخ مجلس نظام الملك فجرت بينه وبين امام الحرمين مناظرة حضرها معروفة

(اتصال بنى جهير بالسلطان ملك شاه ومسير فخر الدولة لفتح ديار بكر)

كان فخر الدولة أبو نصر بن جهير وزير المقتدى قد عزل سنة احدى وسبعين على يد نظام الملك ولحق به ابنه عميد الدولة واستوزره فردى نظام الملك وشفع الى الخليفة فأعاد عميد الدولة دون أبيه كما تقدم فى أخبار الخلفاء ثم أرسل المقتدى سنة أربع وسبعين فخر الدولة الى ملك شاه يخطب له ابنته فسار الى اصبهان وعقد له نكاحها على حسب القصد منا ومعيله وعاد الى بغداد ثم عزل المقتدى ابنه عميد الدولة عن الوزارة سنة ست وسبعين وكانوا قد علقوا بخطة من نظام الملك بعث عن نفسه وعن ملك شاه يطلب حضور بنى جهير عندهم فساروا بأهليهم فعظمت حظوظهم عند السلطان وعقد لفخر الدولة

على ديار بكر وبعث معه العساكر لفتحها من يد بني مروان وأذن له في اتخاذ الآلة وان يخطب لنفسه ويكتب اسمه على السكة فسار في العساكر السلطانية

(استيلاء ابن جهير على الموصل)

ولما سار فخر الدولة ابن جهير لفتح ديار بكر استنجد ابن مروان مسلم بن قريش وشرط له أمرا وتحالفا على ذلك واجتمعا لحرب ابن جهير وبعث السلطان الامير ارتق بن أكسك في العساكر مددا لابن جهير فجنح ابن جهير الى الصلح وبادر ارتق الى القتال فهزم العرب والاكراد وغنم معسكرهم ونجا مسلم بن قريش الى آمد وأحاطت به العساكر فلما اشتد مخنقه راسل الامير ارتق في الخروج على مال بذله له فقبله وكانت له حراسة الطريق فخرج الى الرقة وسار ابن جهير الى ميافارقين وفارقه منصور بن مزيد وابنه صدقة فعادوا منها الى خلاط ولما بلغ السلطان انحصار مسلم في آمد بعث عميد الدولة في جيش كثيف الى الموصل ومعه آقسنقر قسيم الدولة الذى أقطعه بعد ذلك حلب وساروا الى الموصل فلقيهم أرتق ورجع معهم ولما نزلوا على الموصل بعث عميد الدولة الى أهلها بالترغيب والترهيب فأذعنوا واستولى عليها وجاء السلطان في عساكره الى بلاد مسلم بن قريش وقد خلص من الحصار وهو مقيم قبالة الرحبة فبعث اليه مؤيد الكتاب ولاطف السلطان واسترضاه ووفد اليه بالقوارح ورده السلطان الى اعماله وعاد لحرب أخيه تتش الذى ذكرناه آنفا

فتح سليمان بن قطلمش انطاكية والخبر عن مقتله ومقتل مسلم ابن قريش واستيلاء تتش على حلب

كان سليمان بن قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق قد ملك قونية واقصرا وأعمالها من بلاد الروم الى الشأم وكانت انطاكية بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وكان ملكها العهد الفردروس فأساء السيرة الى جنده ورعاياه وتنكر لابنه وحبسه فداخل الشحنة في تمكين سليمان من البلد فاستدعوه سنة سبع وسبعين فركب اليها البحر وخرج الى البر في أقرب السواحل اليها في ثلثمائة ألف فارس ورجل كثير وسار في جبال وأوعار فلما انتهى الى السور وأمكنه الشحنة من تسنم السور دخل البلد وقاتل أهلها فهزمهم وقتل كثيرا منهم ثم عفا عنهم وملك القلعة وغنم من أموالهم مالا يحصى وأحسن الى أهلها وأمر لهم بعمارة ما خرب وأرسل الى السلطان ملك شاه بالفتح ثم بعث اليه مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمل اليه الفردروس ملك انطاكية من المال ويخوفه معصية السلطان فأجابه بتقرير الطاعة للسلطان

وبات المحاربة لا يعطيها اسلم فسار مسلم ونهب نواحى انطاكية ونهب سليمان نواحى حلب ثم جمع سليمان العرب والتركمان وسار لنواحى انطاكية ومعه جماهير التركمان وجمع سليمان كذلك والتقيا آخر صفر سنة ثمان وسبعين واعتزوا حتى الى سليمان فانهزمت العرب وقتل مسلم وسار سليمان بن قطلمش الى حلب وحاصرها فامتنعت عليه وارسل اليه ابن الحثيثي العباسي كبير حلب بالاموال وطالبه أن يمهل حتى يكاتب السلطان ملكشاه ودس الى تاج الدولة تتش صاحب دمشق يستدعيه لملكها فجاء لذلك ومعه ارسوس اكسك وكان خائفا على نفسه من السلطان ملكشاه لفعلته في امر فاستجار بتتش واقطعه المورس وسار معه لهذه الحرب وبادر سليمان بن قطلمش الى اعتراضهم وهم على تعبئة وابلى أرتق في هذه الحروب وانهزم سليمان وطعن نفسه بخنجر فمات وغنم تتش معسكره وبعث الى ابن الحثيثي العباسي فيما استدعاه اليه فاستمهله الى مشورة السلطان ملكشاه واغلظ في القول فغضب تتش رد احله بعض اهل البلد فتسوّرها وملكها واستجار ابن الحثيثي بالامير ارتق فأجاره ومنع له

(استيلاء ابن جهير على ديار بكر)

ثم بعث ابن جهير سنة ثمان وسبعين انه زعيم الرؤساء ابا القاسم الى حصار آمد ومعه جناح الدولة اسلار فحاصرها واقتلع شجرها وضيق عليها حتى جهدهم الجوع وغدر بعض العامة في ناحية من سورها ونادى بشعار السلطان واجتمع اليه العامة لما كانوا يلقون من عسف العمال النصارى فبادر زعيم الرؤساء الى البلد وملكها وذلك في المحرم وكان ابوه فخر الدولة يحاصر ميافارقين ووصل اليه سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد بعدد العساكر فشتد الحصار وسقطت من السور ثلمة في سادس جمادى فنادوا بشعار السلطان وسمعوا ابن جهير من البلد واستولى على أموال بنى مروان وبعثها مع ابنه زعيم الرؤساء الى السلطان فسار مع كوهراس الى بغداد ثم فارقه الى السلطان باصبهان ولما انقضى أمر ميافارقين بعث فخر الدولة جيشا الى جزيرة ابن عمر فحاصرها وقام بعض أهلها بدعوة السلطان وقصدوا عمالهم بابا قريب فادخل منه العسكر فملكوا البلد وانقرضت دولة بنى مروان من ديار بكر والبقاء لله ثم أخذ السلطان ديار بكر من فخر الدولة بن جهير وسار الى الموصل فأقام بها الى أن توفي سنة ثلاث وثمانين

(استيلاء السلطان ملكشاه على حلب وولاية اقسنقر عليها)

لما ملك تاج الدولة تتش مدينة حلب وكان بها سالم بن ملك بن مران ابن عم مسلم بن قريش وامتنع بالقلعة وحاصره تتش سبعة عشر يوما حتى وصل الخبر بقدوم أخيه

السلطان

السلطان ملك شاه وقد كان ابن الحتيتى كتب اليه يستدعيه لما خاف من تتش فسار من اصبهان منتصف تسع وسبعين وفى مقدمته برشق وبدران وغيرهما من الامراء ومر بالموصل فى رجب ثم سار الى هراة وبها ابن الشاطى فملكها وأقطعها لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وأقطعه معها مدينة الرحبة وأعمالها وحران وسروج والرقة وخابور وزوجه أخته زليخا خاتون ثم سار الى الرها وافتتحها من الروم وكانوا اشتروها من ابن عطية كما مر وسار الى قلعة جعفر فملكها وقتل من كان بها من بنى قشير وكان صاحبها جعفر أعمى وكان يخيف السابلة هو وولده فأزال ضررهم ثم سلك منبج وعبر الفرات الى حلب فأجفل تتش عن المدينة ودخل ومعه الامير ارتق ورجع الى دمشق فلما وصل السلطان الى حلب ملكها ثم الى القلعة فملكها من سالم بن ملك على أن يعطيه قلعة جعفر فلم تزل بيد عقبه الى أن ملكها منهم نور الدين الشهيد ثم بعث اليه نصر بن على بن منقذ الكنانى بالطاعة فأقره على شيزر وتسلم منه اللاذقية وبعرطاف وجامية ورجع ثم رجع السلطان بعد أن ولى على حلب قسيم الدولة اقسنقر ورغب اليه أهل حلب أن يعفيهم من ابن الحتيتى فأخرجه عنهم الى ديار بكر وتوفى بها ثم رجع السلطان الى بغداد فدخلها فى ذى الحجة من سنته ونزل بدار المملكة وأهدى للخليفة هدايا كثيرة واجتمع بالخليفة ليلا ثم دخل اليه فى مجلسه نهارا وأفيضت عليه الخلع وسلم أمراء السلجوقية على الخليفة ونظام الملك قائم يقربهم واحدا واحدا ويعرف بهم ثم صرح المقتدى للسلطان ملك شاه بالتفويض وأوصاه بالعدل فقبل يده ووضعها على عينيه وخلع الخليفة على نظام الملك وجاء الى مدرسته التى فيها الحديث وأملى

(خبر الزفاف)

قد قدمنا أن السلطان ملك شاه زوج ابنته من الخليفة المقتدى سنة أربع وسبعين بخطبة الوزير ابن جهير فلما كان سنة ثمانين فى المحرم نقل جهازها للزفاف الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومى أكثرها ذهب وفضة ومعه ثلاث عماريات ومعها أربع وسبعون بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكى وقلائدها الذهب وعلى ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة مملوأة بالحلى والجواهر ومهد عظيم من ذهب وسار بين يدى الجهاز سعد الدولة كوهراس والامير ارتق وغيرهما من الامراء والناس ينثرون عليهم الدنانير والثياب وبعث الخليفة وزيره أبا شجاع الى زوجة السلطان تركان خاتون ومعه خادمه ظفر بمحفة لم ير مثلها ومعهم ثلثمائة من الشمع الموكب ومثلها مشاعل واوقدت الشموع فى دكاكين الحريم الخلافى وقال الوزير لخاتون سيدنا أمير المؤمنين يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقد أذن فى نقل

الوليمة الى داره فقالت سمعا وطاعة ومشى بين يديها أعيان الدولة مع كل واحد الشمع والمشاعل يحملها الفرسان ثم جاءت المأمون من بعدهم في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر مالا يعد ويحيط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك على مراكب رائعة وأولم الوليمة ولم يسمع مثلها ثم أطلع للناس من العد سماط مائة عليها أربعون ألف الناس العسكر وخلع على أعيان العسكر وعلى جميع الحواشي

(استيلاء السلطان ملكشاه على ماوراء النهر)

كان صاحب سمرقند لهذا العهد من الخانية أحمد خان بن خضر خان أخي شمس الملك الذي كان أميرا عليها وعمته تاركن زوجة ملكشاه وكان ردىء السيرة فبعثوا الى السلطان يسألونه الرجوع الى ابالته وساعد ذلك مفتي سمرقند أبو طاهر الشافعي قدم حاجا وأعمر ذلك الى السلطان فسار من اصبهان سنة ثنتين وثمانين ومعه رسول الروم بالخراج المقدر عليهم فاستصحبه وأحضره للفتح ولما انتهى الى خراسان جمع العساكر وعبر النهر بجيوش لا تحصى وأخذ ما في طريقه من البلاد ثم انتهى الى بخارى فملكها وما جاورها ثم سار الى سمرقند فحاصرها وأخذ بجهاتها ثم رماها بالمجانيق وثلم سورها ودخل من الثلمة وملك البلد واختفى أحمد خان ثم جيء به أسيرا فأطلقه وبعث به الى اصبهان وولى على سمرقند أبا طاهر عميد خوارزم وسار الى كاشغر فبلغ الى نوروكبي وبعث الى كاشغر بالخطبة وضرب السكة فأطاع وحضر عند السلطان فأكرمه وخلع عليه وأعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان وكان بسمرقند عساكر يعرفون بالجكلية فأرادوا الوثوب بالعميد نائب السلطان فلاطفهم ولحق ببلده خوارزم

(عصيان سمرقند وفتحها ثانيا) * كان مقدم الجكلية بسمرقند اسمه عين الدولة وخاف السلطان لهذه الحادثة فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشغر وكانت مملكته تعرف باربامى فاستحضره وملكه ثم شكر له يعقوب وحمل أعداءه من الرعية على طلب الثأر منه وقتله بفتاوى الفقهاء واستبد بسمرقند وسار السلطان ملكشاه اليها سنة ثنتين وثمانين فلما انتهى الى بخارى هرب يعقوب الى فرغانة ولحق بولايته وجاء بعسكره مستأمنين الى السلطان فلقوه بالطواويس من قرى بخارى ووصل السلطان الى سمرقند وولى عليها الامير ابز وأرسل العساكر في طلب يعقوب وأرسل الى ملك كاشغر بالجد في طلبه وشغب على يعقوب عساكره ونهبوا خزائنه ودخل على أخيه كاشغر مستجيرا به وبعث السلطان في طلبه منه فتردد بين الخيانة والانفة ثم غلب عليه الخوف فقبض على أخيه يعقوب وبعثه مع ابنه وأصحابه الى السلطان وأمرهم أن يسملوه في طريقه فان قنع السلطان بذلك والا أسلموه اليه فلما قربوا على السلطان وعزموا على سمله

بلغهم الخبر بأن طغرل بن ينال أسرى من ثمانين فرسخا بعساكر لا تحصى فكبس ملك كاشغر وأسره فأطلقوا يعقوب ثم خشي السلطان شأن طغرل بن ينال وكثرة عساكره فرجع على البلدودس تاج الملك فى استصلاح يعقوب فشفع له ورده الى كاشغر وورد الطغرل ورجع هو الى خراسان ثم قدم الى بغداد سنة أربع وثمانين العزمة الثانية ووجد عليه أخوه تاج الدولة تتش صاحب الشأم وقسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب وبوران صاحب الرها وعمال الاطراف وأقام صنيع الميلاد ببغداد وتأنق عالم يعهد مثله وأمر وزيره نظام الملك وأمراءه ببناء الدور ببغداد لنزلهم ورجع الى اصبهان

(استيلاء تتش على حمص وغيرها من سواحل الشأم)

لما قدم السلطان سنة أربع وثمانين وفد عليه أمراء الشأم كما قدمنا فلما انصرفوا من عنده أمر أخاه تاج الدولة تتش أن يذهب بدولة العلويين من ساحل الشأم ويفتح بلادهم وأمر اقسنقر وبوران أن يسيرا لانجاده فلما رجعوا الى دمشق سار الى حمص وبها صاحبها ابن ملاعب وقد عظم ضرره وضرر ولده على الناس فحاصرها وملكها ثم سار الى قلعة عرقة فملكها عنوة ثم الى قلعة أماسية فاستأمن اليه خادم كان بها فارسل الى أمراء تتش فى اصلاح حاله فسدوا عليه المذاهب فأرسل الى وزير اقسنقر يسعى له عند صاحبه وعمل له على ثلاثين ألف دينار ومثلها عروضا فجنح الى مصالحته واختلف مع تتش على ذلك وأغلظ كل منهما لصاحبه فى القول فرحل اقسنقر مغاضبا واضطر الباقون الى الرحيل وانتقض أمرهم

(ملك اليمن)

كان فيمن حضر عند السلطان ببغداد كما قدمناه عثمان جق أمير التركمان صاحب قرميسين وغيرها فأمره السلطان أن يسير فى جموع التركمان للحجاز واليمن فيظهر أمرهم هنالك وفوض الى سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد فولى عليهم أميرا اسمه ترشك وسار الى الحجاز فاستولى عليه وأساء السيرة فيه حتى جاء أمير الحجاز محمد بن هاشم مستغيثا منهم ثم ساروا سنة خمس وثمانين الى اليمن وعاثوا فى نواحيه وملكوا عدن وأساؤا السيرة فى أهلها وأهلك وابرشك سابع دخولها وأعاده أصحابه الى بغداد فدفنوه بها

(مقتل الوزير نظام الملك)

ثم ارتحل السلطان ملك شاه الى بغداد سنة خمس وثمانين فانتهى الى اصبهان فى رمضان وخرج نظام الملك من بيته بعد الافطار عامدا الى خيمته فاعترضه بعض الباطنية

فى صورة متظلم فلما استدناه لسماع شكواه طعنه بخنجر فأشواه وعثر الباطنى فى أطناب الخيام وحمل نظام الملك الخيمة فمات لثلاثين سنة من وزارته واهتاج عسكره فركب اليه السلطان وسكن الناس ويقال ان السلطان ملكشاه وضع الباطنى على قتله لما وقع منه ومن بنيه من الدالة والتحكم فى الدولة وقد كان السلطان دس على ابنه جمال الدين من قتله سنة خمس وسبعين كان بعض حواشى السلطان سعى به فعاقبه جمال الدين وقتله فأحقد السلطان بذلك وأخذ عميد خراسان وقتله خنقا فدس لخادم من خدم جمال الدين بذلك وأمرهم اذا تولوا قتله بأنفسهم كان أحفظ لعمتهم فسقاه الخادم سما ومات وجاء السلطان الى نظام الملك وأعزاه به وما زال بطانة السلطان يغصون منه ويحاولون السعاية فيه الى أن ولى حافده عثمان بن جمال الملك على مرو وبعث السلطان اليها كردن من أكابر المماليك والامراء شحنة ووقعت بينه وبين عثمان منازعة فى بعض الايام فأهانه وحبسه ثم أطلقه وجاء الى السلطان شاكيا فاستشاط غضبا وبعث الى الملك البارسلان الى نظام الملك وأغراه به وما زال يقول ان كنت تابعا فقف عند حدك وان كنت شريكى فى سلطانى فافعل ما بدا لك وقرع عليه فعل حافده وسائر بنيه فى ولاياتهم وأرسل معه بكبرد من خواصه ثقة على ما يؤديه من القول ويجيبه الآخر فانبسط لسان نظام الملك بعدد الوسائل منه والمدافعة عن السلطان وجمع الكلمة وفتح الامصار فى كلام طويل حلته عليه الدالة وقال فى آخره ان شاء الله مؤيد من رآنى ومتى أطبقت هذه الدواة فليأخذ حذره ثم زاد فى انبساطه وقال تولوا عنى ما أردتم فانه قد بحكم تنافى عضدى ومضى بكبرد فصدق السلطان الخبر وجاء الآخرون وحاولوا الكتمان فلم يسعهم لما وشى بكبرد بجلية القول فصدقوه كما صدقه ومات نظام الملك بعدها بقليل ومات السلطان بعده بنحو شهر وكان أصل نظام الملك من طوس من أبناء الدهاقين اسمه أبو على الحسن بن على بن اسحق ذهبت نعمة آبائه وماتوا فنشأ يتيما ثم تعلم وحذق فى العلوم والصنائع وعلق بالخدم السلطانية فى بلاد خراسان وغزنة وبلخ ثم لازم خدمة أبى على بن شاذان وزير البارسلان ومات ابن شاذان فأوصى به السلطان البارسلان وعرفه كفايته فاستخدمه فقام بالامور أحسن قيام فاستوزره ثم هلك السلطان البارسلان وهو فى وزارته ثم استوزره ملكشاه بعد أبيه وكان عالما جوادا صفوحا مكرما للعلماء وأهل الدين ملازما لهم فى مجلسه شيد المدارس وأجرى فيها الجرايات الكثيرة وكان يملى الحديث وكان ملازما للصلوات محافظا على أوقاتها وأسقط فى أيامه كثيرا من المكوس والضرائب وأزال لعن الاشعرية من المنابر بعد أن فعله الكندرى من قبله وحمل عليه السلطان طغرلبك وأبراهيم يجرى الراحمة

وفارق امام الحرمين وأبو القاسم القشيرى البلاد من أجل ذلك فلما ولى البارسلان حمله نظام الملك على ازالة ذلك ورجع العلماء الى أوطانهم ومناقبه كثيرة وحسبك من عكوف العلماء على مجلسه وتدوينهم الدواوين باسمه فعل ذلك امام الحرمين وأشباهه وأما مدارسه فقد بنى النظامية ببغداد وناهيك بها ورتب الشيخ أبا اسحق الشيرازى للتدريس بها وتوفى سنة ست وسبعين فرتب ابنه مؤيد الملك مكانه أبا سعيد المتولى فلم يرضه نظام الملك وولى فيها الامام أبا نصر الصباغ صاحب الشامل ومات أبو نصر فى شعبان من تلك السنة فولى أبو سعيد من سنة ثمان وسبعين ومات فدرس بعده الشريف العلوى أبو القاسم الدبوسى وتوفى سنة ثنتين وثمانين وولى تدريسه بعدها أبو عبد الله الطبرى والقاضى عبد الوهاب الشيرازى بالنوبة يوما بيوم ثم ولى تدريسها الامام أبو حامد الغزالى سنة أربع وثمانين واتصل حكمها على ذلك وفى أيامه عكف الناس على العلم واعتنوا به لما كان من حسن أثره فى ذلك والله أعلم

(وفاة السلطان ملكشاه وولاية ابنه محمود)

ثم لما سار السلطان بعد مقتل نظام الملك الى بغداد ودخلها آخر رمضان وكان معه فى الدولة أبو الفضل الهروستانى وزير زوجته الخاتون الجلالية من الملوك الخانية فيما وراء النهر وكان من أشد الناس سعاية فى نظام الملك وعزم السلطان أن يستوزره لاول دخوله بغداد فعاقت المنية عن ذلك وطرقه المرض ثالث الفطر وهلك منتصف شوال سنة خمس وثمانين وكانت زوجته تركمان خاتون الجلالية عنده فى بغداد وابنها محمود غائبا فى اصبهان فكتمت موته وسارت بشلوه الى اصبهان وتاج الملك فى خدمتها وقدمت بين يديها قوام الدين كربوقا الذى ولى الموصل من بعد وارسلته بخاتم السلطان الى مستحفظ القلعة فملكها وجاءت على اثره وقد أفاضت الاموال فى الامراء والعساكر ودعتهم الى بيعة ولدها محمود وهو ابن أربع سنين فاجابوا الى ذلك وبايعوه وارسلت الى المقتدر فى الخطبة له فأجابها على أن يكون الامير أنزقا قائما بتدبير الملك ومجد الملك مشيرا وله النظر فى الاعمال والجباية فنكرت ذلك أمه خاتون وكان السفير أبا حامد الغزالى فقال لها ان الشرع لا يجيز ولاية ابنك فقبلت الشرط وخطب له آخر شوال سنة خمس وثلاثين وأرسلت تركمان خاتون الى اصبهان فى القبض على بركيارق فحبس باصبهان وكان السلطان ملكشاه من أعظم ملوك السلجوقية ملك من الصين الى الشأم ومن أقصى الشأم الى اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ومناقبه عظيمة مشهورة

(منازعة بركيارق لاخيه محمود وانتظام سلطانه)

كان بركيارق أكبر أولاد السلطان ملك شاه وكانت أمه زبيدة بنت ياقوتي بن داود وياقوتي عم ملك شاه ولما حبس بركيارق وخافت عليه أمه زبيدة دست لمماليك نظام الملك تتعصب له وكانت خاتون غاضبة ببغداد مع ابنها محمود لعقد سلطانه فوثب المماليك النظامية على سلاح لنظام الملك باصبهان وأخرجوا بركيارق من محبسه وخطبوا له وبلغ الخبر الى خاتون فسارت من بغداد وطلب العسكر تاج الملك في عطائهم فهرب الى قلعة بوحين ليحمل منها الاموال وامتنع فيها ونهب العسكر خزائنه وساروا الى اصبهان وقد سار بركيارق والنظامية الى الري فأطاعه أرغش النظامي في عساكره وفتحوا قلعة طبرك عنوة وبعثت خاتون العساكر لقتال بركيارق فنزع اليه سكردوكمشتكين الجاندار وغيرهما من أمراء عساكره ولقيهم بركيارق فهزمهم وسار في اثرهم الى أصفهان فحاصرهم بها وكان عز الملك بن نظام الملك باصبهان وكان واليا على خوارزم فحضر عند السلطان قبل مقتل أبيه وبقي هنالك بعد وفاة السلطان فخرج الى بركيارق ومعه جماعة من اخوانه فاستوزره بركيارق وفوض اليه الامور كما كان أبوه

(مقتل تاج الملك) وهو أبو الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز كان وزيرا لخاتون واسمها والما هرب الى قلعة بوحين خوفا من العسكر كما قدمناه وملكت خاتون اصبهان عاد اليها واعتذر بأن صاحب القلعة حبسه فقبلت عذره وبعثته مع العساكر لقتال بركيارق فلما انهزموا جاء أسيرا عنده وكان يعرف كفاءته فأراد أن يستوزره وكان النظامية ينافرونه ويتهمونه بقتل نظام الملك وبذل فيهم أموالا جمة ووثبوا به فقتلوه في المحرم سنة ست وثمانين وكان كثير الفضائل جم المناقب واعتماده على صحابته عمالا ته على قتل نظام الملك وهو الذي بنى تربة الشيخ أبي اسحق الشيرازي والمدرسة بازائها ورتب بها أبا بكر الشاشي مدرسا

(مهلك محمود) ثم هلك السلطان محمود وهو محاصر باصبهان لسنة من ولايته واستقل بركيارق بالملك

(منازعة تتش بن البارسلان وأخباره الى حين انهزامه)

كان تاج الدولة تتش أخو السلطان ملك شاه صاحب الشأم وسار الى لقاء أخيه ملك شاه ببغداد قبيل موته فلقيه خبر موته بهيت فاستولى عليها وعاد الى دمشق فجمع العساكر وبذل الاموال وأخذ في طلب الملك وقصد أيحلب ورأى صاحبها قسيم الدولة اقسنقر اختلاف ولد ملك شاه وصغرهم فأطاع تاج الدولة تتش وتبعه في طاعته وبعث الى باغي بسار صاحب انطاكية والى مزار صاحب الرها وحران يشير عليهم بمثل ذلك فأجابوا وخطبوا لتاج الدولة تتش في بلادهم وساروا معه الى الرحبة فملكها ثم الى نصيبين

فملكها واستباحها وسلمها لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وساروا الى الموصل وقدم عليه الكافى بن فخر الدولة بن جهير من جزيرة ابن عمر فاستوزره وكانت الموصل قد ملكها على بن شرف الدولة مسلم بن قريش وأمه صفية عمة ملك شاه وأطلقت تركمان خاتون عمه ابراهيم نجاء وملك الموصل من يده كما تقدم فى أخبار بنى المقلد فبعث اليه تتش فى الخطبة وأن يهيئ له الطريق الى بغداد فامتنع وزحف لحربه فانهزم العرب وسيق ابراهيم أسيرا الى تتش فى جماعة من أمراء العرب فقتلوا صبرا ونهبت أموالهم واستولى تتش على الموصل وغيرها واستناب عليها على بن مسلم وهو ابن صفية عمة أبيه وبعث الى بغداد فى الخطبة ووافقه كوهراس الشحنة وحرر الجواب بانتظار الرسل من العسكر فسار تتش الى ديار بكر فملكها ثم سار الى اذربيجان وزحف بركيارق يعتذر من سعيه مع تتش فعزله بركيارق بسعاية كمستكين الجاندار بقسيم الدولة وأقام عوضه شحنة بغداد الامير مكردو أعطاه أقطاعه وسار الى بغداد ثم رده من دقوقا لكلام بلغه عنه وقتله وولى على شحنة بغداد فتكين حب

(مقتل اسمعيل بن ياقوتى)

كان اسمعيل بن ياقوتى بن داود بن عم ملك شاه وخال بركيارق أميرا على أذربيجان فبعثت تركمان خاتون اليه فأطمعته فى الملك وأنها تتزوج به فجمع جموعا من التركمان وغيرهم وسار لحرب بركيارق فلقيه عند كرخ ونزع عنه مكرد الى بركيارق فانهزم اسمعيل الى اصبهان فخطبت له خاتون وضربت اسمه على الدنانير بعد ابنها محمود وأرادت العقد معه فمنعها الامير أنز مدبر الدولة وصاحب العسكر وخوفهم وفارقهم ثم أرسل أخته زبيدة أم بركيارق فأصلحت حاله مع ابنها وقدم عليه فأكرمه واجتمع به رجال الدولة كمستكين الجاندار واقسنقر وبوران وكشفوا سره فى طلب الملك ثم قتلوه وأعلموا بركيارق بأنه أهدر دمه

(مهلك توران شاه بن قاروت بك) كان توران شاه بن قاروت بك صاحب فارس وأرسلت خاتون الجلالية الامير انز لفتح فارس سنة سبع وثمانين فهزمه أولا ثم أساء السيرة مع الجند فلحقوا بتوران شاه وزحف الى انز فهزمه واسترد البلد من يده وأصاب توران شاه فى المعركة بسهم هلك منه بعد شهرين

(وفاة المقتدى وخلافة المستظهر وخطبته لبركيارق) ثم توفى المقتدى منتصف محرم سنة سبع وثمانين وكان بركيارق قد قدم بغداد بعد هزيمة عمه تتش فخطب له وحملت اليه الخلع فلبسها وعرض التقليد على المقتدى [بياض فى الاصل] فيه وتوفى فجأة وبويع لابنه المستظهر بالخلافة فأرسل الخلع والتقليد الى بركيارق وأخذت عليه البيعة

(استيلاء تتش على البلاد بعد مقتل أقسنقر ثم هزيمة بركيارق)

لما عاد تتش منهزما من أذربيجان جمع العساكر واحتشد الامم وسار من دمشق الى حلب سنة سبع وثمانين واجتمع قسيم الدولة أقسنقر وبوزان وبعث كربوقا مددا من عند بركيارق وسار والحرب تتش ولقوه على ستة فراسخ من حلب فهزمهم وأخذ أقسنقر أسيرا فقتله ولحق كربوقا وبوزان بحلب واتبعهما تتش فحاصرهما وملك حلب وأخذهما أسيرين وبعث الى والرها في الطاعة فامتنعوا فبعث اليهم برأس بوزان وملك البلدين وبعث بكربوقا الى حمص فحبسه بها وسار الى الجزيرة فملكها ثم الى ديار بكر وخلاط فملكها ثم الى أذربيجان ثم سار الى همدان ووجد بها فخر الدولة ابن نظام الملك جاء من خراسان الى بركيارق فلقيه الامير قماج من عسكر محمود باصبهان فنهب ماله وجاء الى همذان فصادف بها تتش فأراد قتله وشفع فيه باغي يسار وأشار بوزارته لميل الناس الى بيته واستوزره وكان بركيارق قد سار الى نصيبين لمخالفة تتش الى أذربيجان وهمدان فسار بركيارق من نصيبين وعبر دجلة من فوق الموصل الى اربل فلما تقارب العسكران أشرف الامير يعقوب بن أبق من عسكر تتش فكبس بركيارق وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه الا برسق وكمشتكين الجاندار والبارق من أكابر الامراء فلحقوا الى أصبهان وكانت خاتون أم محمود قد ماتت فمنعه محمود وأصحابه من الدخول ثم خرج اليه محمود وأدخله الى اصبهان واحتاطوا عليه وأرادوا أن يسملوه فمرض محمود فأبقوه

(مقتل تتش واستقلال بركيارق بالسلطان)

ثم مات محمود مسلخ شوال سنة سبع وثمانين واستولى بركيارق على اصبهان وجاء مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره عوضا عن أخيه عز الملك وكان قد توفي بنصيبين فكاتب مؤيد الملك الامراء واستمالهم فرجعوا الى بركيارق وكشف جمعه وبعث تاج الملك تتش بعد هزيمة بركيارق يوسف بن ابق التركماني شحنة الى بغداد فجمع من التركمان ومنع من دخول بغداد وزحف اليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة فقاتله يعقوب وانهزم صدقة الى الحلة ودخل يوسف بن ابق بغداد وأقام بها وكان تتش لما هزم بركيارق سار الى همذان وقد تحصن بها بعض الامراء فاستأمن اليه واستولى على همذان وسار في نواحي اصبهان والى مرو وراسل الامراء باصبهان يستميلهم فأجابوه بالمقاربة والوعد وبركيارق مريض فلما أفاق من مرضه خرج الى جرباذقان واجتمع اليه من

بياض بالاصل

العسكر ثلاثون ألفا ولقيه تتش فهزمه بركيارق وقتله بعض أصحاب اقسنقر بثأر صاحبه وكان فخر الملك بن نظام الملك أسيرا عنده فأطلق عند هزيمته واستقامت أمور بركيارق وبلغ الخبر الى يوسف

(استيلاء كربوقا على الموصل)

قد كنا قدمنا أن تاج الدولة تتش أسر قوام الدولة أبا سعيد كربوقا وحبسه بعد ما قتل اقسنقر بوران فأقام محبوسا بحلب الى أن قتل تتش واستولى رضوان ابنه على حلب فأمره السلطان بركيارق باطلاقه لانه كان من جهة الاميرانز فأطلقه رضوان وأطلق أخاه التوسطاش فاجتمعت عليهما العساكر وكان بالموصل على بن شرف الدولة مسلم منذ ولاه عليها تتش بعد وقعة المضيع وكان بنصيبين أخوه محمد بن مسلم ومعه مروان ابن وهب وأبو الهيجاء الكردى وهو يريد الزحف الى الموصل فكاتب كربوقا واستدعاه للنصرة ولقيه على مرحلتين من نصيبين فقبض عليه كربوقا وسار الى نصيبين وحاصرها أربعين يوما وملكها ثم سار الى الموصل فامتنعت عليه فتحول عنها الى

وقتل بها محمد بن شرف الدولة تغريقا وعاد الى حصار الموصل ونزل منها على فرسخ واستنجد على بن مسلم بالامير حكرمس صاحب جزيرة ابن عمر فجاء لانجاده واعترضه التوسطاش فهزمه ثم سار الى طاعة كربوقا وأعانه على حصار الموصل ولما اشتد بصاحبه على بن مسلم الحصار بعد تسعة أشهر هرب عنها ولحق بصدقة بن مزيد. ودخل كربوقا الى الموصل وعاث التوسطاش فى أهل البلد وصادرهم واستطال على كربوقا فأمر بقتله ثالثة دخوله سنة تسع وثمانين وسار كربوقا الى الرحبة فملكها وعاد فأحسن السيرة فى أهل الموصل ورضوا عنه واستقامت اموره

(استيلاء أرسلان أرغون أخى السلطان ملك شاه على خراسان ومقتله)

كان ارسلان أرغون مقيما عند أخيه السلطان ملك شاه ببغداد فلما مات وبويع ابنه محمود سار الى خراسان فى سبعة من مواليه واجتمعت عليه جماعة وقصد نيسابور فامتنعت عليه فعاد الى مرو وكان بها شحنة الامير قودن من موالى السلطان ملك شاه وكان أحد الساعين فى قتل نظام الملك فمال الى طاعة أرغون وملكه البلد وسار الى بلخ وكان بها فخر الدين بن نظام الملك ففر عنها ووصل الى همدان ووزر لتاج الدولة تتش كما مر ومالك ارسلان أرغون بلخ وترمذ ونيسابور وسائر خراسان وأرسل الى السلطان بركيارق ووزيره مؤيد الملك فى تقرير خراسان عليه بالضمان كما كانت لجده داود ما عونيسابور فاعرض عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود وعمه تتش ثم عزل بركيارق

بلغ مقابلة على الاصل

مؤيد الملك عن الوزارة بأخيه فخر الملك واستولى فخر الملك البارسلان على الامور فقطع ارسلان مراسلة بركيارق فبعث حينئذ عمه بورسوس في العساكر لقتاله فانهزم ارسلان الى بلخ وأقام بورسوس بهراة وسار ارسلان الى مرو وفتحها عنوة وخربها واستباحها وسار اليه بورسوس من هراة سنة ثمان وثمانين وكان معه مسعود بن تاخر الذى كان أبوه مقدم عساكر داود ومعه ملك شاه من أعاظم الامراء فبعث اليه ارسلان واستماله فمال اليه ووثب لمسعود بن تاخر وابنه فقتلهما في خيمته فضعف أمر بورسوس وانفض الناس عنه وجئ به أسيرا الى أخيه ارسلان أرغون فحبسه بترمذ ثم قتله في محبسه بعد سنة وقتل أكابر خراسان وخرب أسوار مدائن سودان ومرو الشاهجان وقلعة سرخس ونهاوند ونيسابور وصادر وزيره عماد الملك بن نظام الملك على ثلثمائة ألف دينار ثم قتله واستبد بخراسان وكان مرهف الحد كثير العقوبة لمواليه وأنكر على بعضهم يوما بعض فعلاته وهو في خلوة وضربه بقطعة من العلام بخنجر معه فقتله وذلك في المحرم من سنة تسعين

(ولاية سنجر على خراسان)

ولما قتل ارسلان أرغون ملك أصحابه من بعده صبيا صغيرا من ولده وكان السلطان بركيارق قد جهز العساكر لخراسان للقتال ومعه الاتابك قماج ووزيره على بن الحسن الطغرائى وانتهى اليه مقتل ارسلان بالدامغان فأقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا الى نيسابور فملكها في جمادى سنة تسعين وأربعمائة وملك سائر خراسان وسار الى بلخ وكان أصحاب ارسلان قد هربوا بابنه الذى نصبوه للملك الى جبل طخارستان وبعثوا يستأمنون له ولهم فأمنهم السلطان وجاؤا بالصبى فى آلاف من العساكر فأكرمه السلطان وأقطعه ما كان لابيه أيام ملك شاه وانفض عنه العسكر الذين كانوا معه وافترقوا على أمراء السلطان وأفرده فضمته أم السلطان اليها وأقامت من تولى رتبته وسار السلطان الى ترمذ فملكها وخطب له بسمرقند ودانت له البلاد وأقام على بلخ سبعة أشهر ثم رجع وترك أخاه سنجر نائبا بخراسان

(ظهور المخالفين بخراسان)

لما كان السلطان بخراسان خالف عليه محمود بن سليمان من قرابته ويعرف بأمير أميران وسار الى بلخ واستمد صاحب غزنة من بنى سبكتكين فأمده بالعساكر والفيول على أن يخطب له فيما يفتحه من خراسان فقويت شوكته فسار اليه الملك سنجر وكبسه فانهزم وجئ به أسيرا فسمله ولما انصرف السلطان عن خراسان سار نائب خوارزم

واستبد اكنجي في اتباعه وسبق الى مرو فتشاغل بلذاته وكان بها الامير تردد قد تشاغل عن السلطان واعتذر بالمرض فداخل بارقطاش من الامراء في قتل اكنجي صاحب خوارزم فكبسه في طائفة من أصحابه وقتلوه وساروا الى خوارزم فملكوها مظهرين ان السلطان ولاهما عليها وبلغ الخبر الى السلطان وكان قد بلغه في طريقه خروج الامير انز بفارس عن طاعته فمضى الى العراق وأعاد داود الحبشي بن التونطاق في العساكر لقتالهما فسار الى العراق من هراة وأقام في انتظار العسكر فعاجلاه فهرب أمامهما وهرب جيحون وتقدم بارقطاش قبل تودن وقاتله فهزمه داود وأسره وبلغ الخبر الى تودن فثار به عسكره ونهبوا أثقاله ولحق بسمرقند فقبض عليه صاحبها ثم أطلقه فلحق بالملك سنجر ببلخ فقتله سنجر وأفرغ هو طاعته في نظمه وجمع العساكر على طاعته ثم مات قريبا وبقي بارقطاش أسيرا عند داود الى أن قتل

(بداية دولة بني خوارزم شاه)

كان أنوشتكين مملوكا لبعض أمراء السلجوقية واشتراه من بعض أهل غرشستان فدعى أبا شتكين غرشه ونشأ على حال مرضية وكان مقدما وولد له ابنه محمد فأحسن تأديبه وتقدم هو بنفسه ولما سار الامير داود الحبشي الى خراسان كما مر سار محمد في جملته فلما مهد خراسان وأزال الخوارج نظر فيمن يوليه خوارزم وكان نائبها اكنجي قد قتله كما مر فوقع اختياره على محمد بن أبي شتكين فولاه ولقبه خوارزم شاه فحسنت سيرته وارتفع محله وأقره السلطان سنجر وزاده عناية بقدر كفايته واضطلاعه وغاب في بعض الايام عن خوارزم فقصدها بعض ملوك الاتراك وكان طغرلتكين محمد الذي كان أبوه اكنجي نائبا بخوارزم وبادر محمد بن أبي شتكين الى خوارزم بعد أن استمد السلطان سنجر وسار بالعساكر مددا له وتقدم محمد بن أبي شتكين فتأخر الاتراك الى منقشلاغ ورحل طغرلتكين الى جرجان وازداد محمد بذلك عناية عند سنجر ولما توفي ولي ابنه بعده أقسز وأحسن السيرة وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما توفي اختصه السلطان سنجر وكان يصاحبه في أسفاره وحروبه واتصل الملك في بني محمد بن أبي شتكين خوارزم وكانت لهم الدولة وتمت دولة بني ملك شاه وعليها كان ظهور الططر بعد المائة السادسة ومنهم أخذوا الملك كما يأتي في أخبارهم

(استيلاء الافرنج على انطاكية وغيرها من سواحل الشأم)

كان الافرنج قد ظهر أمرهم في هذه السنين وتغلبوا على صقلية واعتزموا على قصد الشأم وملك بيت المقدس وأرادوا المسير اليها في البر فراسلوا ملك الروم بالقسطنطينية

أن يسهل لهم الطريق الى الشام فأجابهم على أن يعطوه انطاكية فعبروا خليج
القسطنطينية سنة تسعين وأربعمائة وسار ارسلان بن سليمان بن قطلمش صاحب قونية
وبلاد الروم لمدافعتهم فهزموه ثم مروا ببلاد ابن لبون الارمني ووصلوا الى انطاكية
فحاصروها تسعة أشهر وصاحبها يومئذ باغي سيان فأحسن الدفاع عنها ثم نبذوا المال
عند أحد له بعض الحامية أصعدهم السور بعد أن رغبوه بالاموال والاقطاع وجاؤا الى
السور فدلهم على بعض المخادع ودخلوا منه وهموا لبوق فخرج باغي سيان هاربا حتى
اذا كان على أربعة فراسخ راجع نفسه وندم فسقط مغشيا عليه ومر به أرمني فحمل
رأسه الى انطاكية وذلك سنة احدى وتسعين وأربعمائة واجتمعت عساكر المسلمين
وزحفوا الى انطاكية من كل ناحية ليرتجعوها من الافرنج وجاء قوام الدين كربوقا الى
الشام واجتمعت عليه العساكر عرج دابق فكان معه دقاق بن تتش وطغرتكين أتابك
وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسقمان بن أرتق وغيرهم
وساروا الى انطاكية فنازلوها واستوحش الامراء من كربوقا وأنفوا من ترفعه عليهم
وضاق الحصار بالافرنج لعدم الاقوات لان المسلمين عاجلوهم عن الاستعداد
فاستأمنوا كربوقا فمنعهم الامان وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفري
والقمط صاحب الرها وبيمند صاحب انطاكية وهو مقدم العساكر فخرجوا
مستأمنين وضربوا مصاف وتخاذل الناس لما كان في قلوبهم من الاضغان لكربوقا فتمت
الهزيمة عليهم وآخر من انهزم سقمان بن أرتق واستشهد منهم العرب وغنم العدو
سوادهم بما فيه وساروا الى معرة النعمان فملكوها وأفحشوا في استباحتها ثم ساروا الى
عرقة فحاصروها أربعة أشهر وامتنعت عليهم وصالحهم ابن منقذ على بلده شيزر
وحاصروا حمص فصالحهم صاحبها جناح الدولة ثم ساروا الى عكا فامتنعت عليهم وكان
هذا بداية الافرنج بسواحل الشام ويقال ان   من خلفاء العبيديين بمصر
لما خشوا من السلجوقية عند استيلائهم على الشام الى غزة ورجعت الاقسيس من
أمرائهم الى مصر وحاصرها راسلوا الى الافرنج واستدعوهم لملك الشام ليشغلوهم
عن أنفسهم ويحولوا بينهم وبين مصر والله سبحانه وتعالى أعلم

بياض بالأصل

(انتقاض الامير انر وقتله)

لما سار السلطان بركيارق الى خراسان ولى على بلاد فارس الامير انر وكانت قد تغلبت
الشوانكار واستظهروا بايران شاه بن قاورت بك صاحب كرمان فلما سار اليهم انر
قاتلوه فهزموه ورجع الى اصبهان فاستأذن السلطان فأمره بالمقام مكانه وولاه امارة
العراق وكانت العساكر في جواره بطاعته وجاءه مؤيد الملك بن نظام الملك من بغداد على

الحلة فأغراه بالخلاف وخوّفه غائلة بركيارق وأشار عليه بمكاتبة محمد بن ملك شاه وهو في كنجه وشاع عنه ذلك فازداد خوفه وجمع العساكر وسار من أصبهان الى الرى وجاهر السلطان بالخلاف وطلب منه أن يسلم اليه فخر الملك البارسلان وبينما هو في ذلك اذ هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم من جنده فطعنوه وقتلوه واجتاح عسكره فنهبوا خزائنه وحمل شلوه الى اصبهان فدفن بها وأشهر خبر قتله الى السلطان في أحواز الرى وهو دار لقتاله فسر بذلك هو وفخر الملك البارسلان وذلك في سنة ثنتين وتسعين وكان محمود المذاهب كبير المناقب ولما قتل هرب اصبهبذ صبار الى دمشق فأقام بها مدة ثم قدم على السلطان محمد سنة احدى وخمسمائة فأكرمه وأقطعه رحبة مالك بن طوق

(استيلاء الافرنج على بيت المقدس)

كان بيت المقدس لتاج الدولة تتش وأقطعه الامير سقمان بن أرتق التركماني وكان تتش ملكه من يد العلويين أهل مصر فلما وهن الاتراك بواقعة انطاكية طمع المصريون في ارتجاعه وسار صاحب دولتهم الافضل بن بدر الجمالي وحاصر الامير سقمان وأخاه ايلغازي وابن أخيهما ياقوتي وابن عمهما سونج ونصب المجانيق فثلموا سوره ثم ملكوه بالامان لاربعين يوما من حصاره في شعبان سنة تسع وثمانين وأحسن الافضل الى سقمان وايلغازي ومن معهما وأطلقهم فأقام سقمان ببلد الرها وسار ايلغازي الى العراق وولى الافضل على بيت المقدس افتخار الدولة من أمرائهم ورجع الى مصر فلما رجع الافرنج من عكا جاؤا الى بيت المقدس فحاصروه أربعين يوما واقتحموه من جهة الشمال آخر شعبان من سنة ثنتين وتسعين وعاثوا في أهله واعتصم فلهم بمحراب داود عليه السلام ثلاثا حتى استأمنوا وخرجوا بالليل الى عسقلان وقتل بالمسجد سبعون ألفا أو يزيدون من المجاورين فيهم العلماء والزهاد والعباد وأخذوا نيفا وأربعين قنديلا من الفضة زنة كل واحد ثلاثة آلاف وستمائة درهم ومائة وخمسين قنديلا من الصغار وتنورا من الفضة زنته أربعون رطلا بالشامي وغير ذلك مما لا يحصى ووصل الصريخ الى بغداد مستغيثين فأمر المقتدي أن يسير الى السلطان بركيارق أبو محمد الدامغاني وأبو بكر الشاشي وأبو القاسم الزنجاني وأبو الوفاء بن عقيل وأبو سعيد الحلواني وأبو الحسين بن السماك فساروا الى بركيارق يستصرخونه للمسلمين فانتهوا الى حلوان وبلغهم مقتل مجد الملك البارسلان وفتنة بركيارق مع أخيه محمد فرجعوا وتمكن الافرنج من البلاد ونحن عازمون على افراد أخبارهم بالشام وما كان لهم فيه مع الدولة على حكم أخبار الدول في كتابنا

(ظهور السلطان محمد بن ملكشاه والخطبة له ببغداد وحروبه مع أخيه بركيارق)

كان محمد وسنجر شقيقين وكان بركيارق استعمل سنجر على خراسان ثم لحق به محمد باصبهان وهو يحاصرها سنة ثمان وثمانين فأقطعه كنجة وأعمالها وأنزل معه الامير قطلغ تكين أتابك وكانت كنجة من أعمال اران وكانت لقطون فانتزعها ملكشاه وأقطعه استراباد وولى على اران سرهاما وتكين الخادم ثم مضى قطون بلاده وأعيد اليها فلما قوى رجع الى العصيان فسرح اليه ملكشاه الامير بوزان فحمله على البلاد وأسره ومات ببغداد سنة أربع وثمانين وأقطع ملكشاه بلاد اران لاصحاب باغى سيان صاحب انطاكية ولما مات باغى سيان رجع ابنه الى ولاية أبيه ثم أقطع السلطان بركيارق أخاه وأعمالها محمدا كما قلناه سنة ست وثمانين ولما اشتد واستعمل قتل اتابك قطلغ تكين واستولى على بلاد اران كلها ولحق مؤيد الملك عبد الله بن نظام الملك بعد مقتل صاحبه انر فاستخلصه ووزره وأشار عليه مؤيد الملك بطلب الامر لنفسه فخطب له بأعماله واستوزر مؤيد الملك وقارن ذلك مقتل مجد الملك الباسلاني المتغلب في دولة بركيارق فاستوحش أصحابه لذلك ورجعوا الى محمد وساروا جميعا وكان بركيارق قد سبقهم اليها واجتمع اليه الامير ينال بن أبي شكين الحسامي من أكابر الامراء وعز الملك بن نظام الملك ولما بلغه مسير أخيه محمد اليه رجع الى اصبهان فمنعوه من الدخول فسار الى خوزستان وملك محمد الري في ذي القعدة سنة ثنتين وتسعين ووجد بها زبيدة أم بركيارق قد تخلفت عن ابنها فحبسها مؤيد الملك وصادرها ثم قتلها خنقا بعد ان نصح له أصحابه في شأنها فلم يقبل وكان سعد الدولة كوهرائين شحنة ببغداد قد استوحش من بركيارق فاتفق هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر وسرخاب بن بدر صاحب كنكور وساروا الى السلطان محمد بقم فخلع عليهم ورد كوهرائين الى بغداد في شأن الخطبة فخطب له بالخليفة ولقبه غياث الدين والدنيا وسار كربوقا وجكرمش مع السلطان محمد الى اصبهان والله سبحانه وتعالى أعلم

(مقتل الباسلاني)

كان أبو الفضل سعد الباسلاني ويلقب مجد الملك متحكما عند السلطان بركيارق ومتحكما في دولته ولما فشا القتل في أمرائه من الباطنية استوحشوا ونسبوا ذلك للباسلاني وكان من أعظم من قتل منهم الامير برسق فاتهم ابنه زنكي وأقوربرتي الباسلاني في قتله ونزعوا عن بركيارق الى السلطان محمد فاجتمع الامراء ومقدمهم أمير آخرية لكابك وطغايرك بن اليزن وبعثوا الى بني برسق يستدعونهم للطلب بثأر أبيهم فجاؤا

واجتمعوا

واجتمعوا قريبا من همذان ووافقهم العسكر جميعا على ذلك وبعثوا الى بركيارق يطلبون البلاسانى فامتنع وأشار عليه البلاسانى باجابتهم لئلا يفعلوا ذلك بغير رأى السلطان فيكون وهنا على الدولة فاستحلفهم السلطان فدفعه اليهم فقتله الغلمان قبل أن يتصل بهم وسكنت الفتنة وحمل رأسه الى مؤيد الملك واستوحش الامراء لذلك من بركيارق وأشاروا عليه بالعود الى الرى ويكفونه قتال أخيه محمد فعاد متشاغلا ونهبوا سرادقه وساروا الى أخيه محمد ولحق بركيارق باصبهان ثم لحق رستاق كما تقدم

(اعادة الخطبة ببغداد لبركيارق)

ولما سار بركيارق الى خوزستان ومعه ينال بن أبى شكين الحسامى مع عسكره سار من هنالك الى واسط ولقيه صدقة بن مزيد صاحب الحلة ثم سار الى بغداد وكان سعد الدولة كوهراس الشحنة على طاعة محمد فخرج عن بغداد ومعه أبو الغازى بن ارتق وغيره وخطب لبركيارق ببغداد منتصف صفر سنة ثلاث وتسعين بعد ان فارقها كوهراس وأصحابه وبعثوا الى السلطان محمد ومؤيد الملك يستحثونهما فأرسلا اليهم كربوقا صاحب الموصل وجكرمس صاحب جزيرة ابن عمر يستكثرون بهم فى المدافعة وطلب جكرمس من كوهراس السير لبلده خشية عليها فأذن له ثم يئس كوهراس وأصحابه من محمد فبعثوا الى بركيارق بطاعتهم فخرج اليهم واسترضاهم ورجع الى بغداد وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بما أخذ هو وأبوه من الموصل وديار بكر أيام ولايتهم عليها فصادرهم على مائة وستين ألف دينار واستوزر الاعز أبا المحاسن عبد الجليل بن على بن محمد الدهستانى وخلع الخليفة على بركيارق

(المصاف الاول بين بركيارق ومحمد ومقتل كوهراس وهزيمة بركيارق والخطبة لمحمد)

ثم سار بركيارق من بغداد لحرب أخيه محمد ومر بشهرزور فاجتمع اليه عسكر كثير من التركمان وكاتب رئيس همذان يستحثه فركب وسار للقاء أخيه على فراسخ من همذان فى أول رجب من سنة ثلاث وتسعين وفى ميمنته كوهراس وعز الدولة بن صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وفى ميسرته كربوقا وفى ميمنة محمد بن اضر وابنه أياز وفى ميسرته مؤيد الملك والنظامية ومعه فى القلب أمير سرخو شحنة اصبهان فحمل كوهراس من الميمنة على مؤيد الملك والنظامية فهزمهم وانتهى الى خيامهم فنهبها وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزموا وحمل محمد على بركيارق فهزمه ووقف محمد مكانه وعاد كوهراس من طلب المنهزمين فكبا به فرسه فقتل وجىء بالاعز أبى المحاسن يوسف وزير بركيارق أسيرا فأكرمه مؤيد الملك ونصب له خيمة وبعثه الى بغداد فى الخطبة لمحمد

لثلث بقيت من رجب من السنة وكانت أولية سعد الدولة كوهراس انه كان خادما للملك أبى كاليجار بن بويه وحمله فى خدمة ابنه أبى نصر ولما حبسه طغرلبك مضى معه الى قلعة طبرك فلما مات انتقل الى خدمة السلطان البارسلان وترقى عنده وأقطعه واسط وجعله شحنة بغداد وحضر يوم قتله ووقاه بنفسه ثم أرسله ملكشاه الى بغداد فى السلطنة وجاءه الخلع والتقليد وحصل له من نفوذ الامر وأتباع الناس ما لم يحصل لغيره الى أن قتل فى هذه المعركة وولى شحنة بغداد بعده ايلغازى بن ارتق

مسير بركيارق الى خراسان وانهزامه من أخيه سنجر ومقتل الامير داود حبشى أمير خراسان

لما انهزم بركيارق من أخيه محمد خلص فى القليل الى الرى واجتمع له جموع من شيعته فسار الى خراسان وانتهى الى اسفراين وكتب الى الامير داود حبشى الى الدونطاق يستدعيه من الدامغان وكان أميرا على معظم خراسان وعلى طبرستان وجرجان فأشار عليه بالمقام بنيسابور فقصدها وقبض على عميدها أبى محمد وأبى القاسم بن امام الحرمين ومات أبو القاسم فى محبسه مسموما ثم زحف سنجر الى الامير داود فبعث الى بركيارق يستدعيه لنجدته فسار اليه والتقى الفريقان بظاهر بوشنج وفى ميمنة سنجر الامير برغش وفى ميسرته الامير كوكر ومعه فى القلب الامير رستم فحمل بركيارق على رستم فقتله وانفض الناس على سنجر وكاد ينهزم وأخذ بركيارق أم سنجر أسيرة وشغل أصحاب بركيارق بالنهب فحمل عليهم برغش وكوكر فانهزموا واستمرت الهزيمة على بركيارق وهرب الامير داود فجىء به الى برغش أسيرا فقتله وسار بركيارق الى جرجان ثم الى الدامغان ودخل البرية ثم استدعاه أهل اصبهان وجاءه جماعة من الامراء منهم جاول سقاؤ وسبقه محمد الى اصبهان فعدل عنها الى عسكر مكرم

المصاف الثانى بين بركيارق ومحمد وهزيمة محمد وقتل وزيره مؤيد الملك والخطبة لبركيارق

لما انهزم بركيارق أمام سنجر سنة ثلاث وتسعين وسار الى اصبهان ووجد أخاه محمدا قد سبقه اليها فعدل عنها الى خوزستان ونزل الى عسكر مكرم وقدم عليه هنالك الاميران زنكى والبكى ابنا برسق سنة أربع وتسعين وساروا معه الى همدان وهرب اليه الامير أياز فى خمسة آلاف من عسكر محمد لان صاحبه امير اخر مات فى تلك الايام وظنوا أن مؤيد الملك دس عليه وزيره فسمه وكان اياز فى جملة أمير اخر فقتل الوزير المتهم ولحق بركيارق ثم وصل اليه سرخاب بن كيخسرو صاحب آبه فاجتمع له نحو من خمسين ألف فارس ولقيه محمد فى خمسة عشر ألفا واستأمن أكثرهم الى بركيارق يوم المصاف أول

جمادي الاخيرة سنة أربع وتسعين واستولت الهزيمة على محمد وجيء بمؤيد الملك أسيرا فوبخه ثم قتله بيده لانه كان سيئ السيرة مع الامراء كثير الحيل فى تدبير الملك ثم بعث الاغر أبو المحاسن وزير بركيارق أبا ابراهيم الاسترابادى لاستقصاء أموال مؤيد الملك وذخائره ببغداد فحمل منها مالا يسعه الوصف يقال انه وجد فى ذخائره ببلاد العجم قطعة بلخش زنتها أربعون مثقالا واستوزر محمد بعده خطيب الملك أبا منصور محمد بن الحسين ثم سار السلطان بركيارق الى الرى ووفد عليه هنالك كربوقا صاحب الموصل ودبيس ابن صدقة وأبوه يومئذ صاحب الحلة وسار السلطان قافلا الى جرجان وبعث الى أخيه سنجر يستجديه فبعث اليه ما أقامه ثم طلبه فى المدد فسار اليه سنجر من خراسان ثم سارا جميعا الى الدامغان فخرباها وسار الى الرى واجتمعت عليه النظامية وغيرهم فكثرت جموعهم وكان بركيارق بعد الظفر قد فرق عساكره لضيق الميرة ورجع دبيس بن صدقة الى أبيه وخرج باذربيجان داود بن اسمعيل بن ياقوتى فبعث لقتاله قوام الدولة كربوقا فى عشرة آلاف واستأذنه اياز فى المسير الى ولايته بهمدان ويعود بعد الفطر نبقى فى قلة من العساكر فلما بلغه قرب أخيه محمد وسنجر اضطرب حاله وسار الى همدان ليجتمع مع اياز فبلغه انه قد راسل أخاه محمدا وأطاعه فعاد الى خورستان ولما انتهى الى تستر استدعى ابن برسق وكان من جملة اياز فلم يحضر وتأخر فأمنه فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان لحق به اياز وكان راسل محمدا فلم يقبله وبعث عساكره الى همدان فلحق بهمدان اياز وأخذ محمد محله اياز بهمدان وكانت كثيرا من كل صنف وصودر أصحابه ور بهمدان بمائة ألف دينار وسار بركيارق واياز الى بغداد فدخلها

منتصف ذى القعدة من سنة أربع وتسعين وطلب من الخليفة المال النفقة فبعث اليه بعد المراجعة بخمسين ألف دينار وعاث أصحاب بركيارق فى أموال الناس وضجروا منه ووفد عليه أبو محمد عبد الله بن منصور المعروف بابن الصليحة قاضى جبلة من سواحل الشأم منهزما من الافرنج باموال جليلة المقدار فأخذها بركيارق منه وقد تقدم خبر ابن الصليحة فى دولة العباسيين ثم بعث وزير بركيارق الاغر بالمحاسن الى صدقة بن مزيد صاحب الحلة فى ألف ألف دينار يزعم أنها تخلفت عنده من ضمان البلاد وتهدده عليها فخرج عن طاعة بركيارق وخطب لمحمد أخيه وبعث اليه بركيارق فى الحضور والتجاوز عن ذلك وضمن له اياز جميع مطالبه فأبى الا ان يدفع الوزير واستمر على عصيانه وطرد عامل بركيارق عن الكوفة واستضافها اليه

(مسير بركيارق عن بغداد ودخول محمد وسنجر اليها)

ولما استولى السلطان محمد وأخوه سنجر على همدان سار فى اتباع بركيارق الى حلوان

بياض بالاصل

فتقدم عليه هناك ابو الغازى ابن ارتق فى عساكره وحدمه وكثرة جموعه فسار الى بغداد وبركيارق عليل بهاء فاضطرب أصحابه وعبروا به الى الجانب الغربى ووصل محمد الى بغداد آخر سنة أربع وتسعين وتراءى الجمعان بشاطئ دجلة وجرت بينهم المراماة والسباب وكان عسكر محمد ينادون عسكر بركيارق ياباطنية ثم سار بركيارق الى واسط ونهب عسكره جميع مامروا عليه ودخل محمد الى دار المملكة ببغداد وجاءه توقيع المستظهر بالاستبشار بقدومه وخطب له ونزل الملك سنجر بدار كوهرائين ووفد على السلطان محمد ببغداد صدقة صاحب الحلة فى محرم سنة خمس وتسعين

(مقتل بركيارق الباطنية)

كان هؤلاء الباطنية قد ظهروا بالعراق وفارس وخراسان وهم القرامطة والدعوة بعينها دعوتهم الا أنهم سموا فى هذه الاجيال بالباطنية والاسماعيلية والملاحدة والفداوية وكل اسم منها باعتبار فالباطنية لانهم يبطنون دعوتهم والاسماعيلية لانتساب دعوتهم فى أصلها لاسمعيل الامام بن جعفر الصادق والملاحدة لان بدعتهم كلها الحاد والفداوية لانهم يفادون أنفسهم بالمال على قتل من يسلطون والقرامطة نسبة الى قرمط منشئ دعوتهم وكان أصلهم من البحرين فى المائة الثالثة ومابعدها ثم نشأ هؤلاء بالمشرق أيام ملكشاه فأول ماظهروا باصبهان واشتد فى حصار بركيارق وأخيه محمود وأمه خاتون بها ثم ثارت عامة اصبهان بهم باشارة القضاة وأهل الفتيا فقتلوهم فى كل جهة وحرقوهم بالنار ثم انتشروا واستولوا على القلاع ببلاد العجم كما تقدم فى أخبارهم ثم أحدث عندهم تيرانشاه بن توران شاه بن قاورت بك صاحب كرمان جاء اليه كاتب من أهل خوزستان يسمى أبا زرعة وكان بكرمان فقيه من الحنفية يسمى أحمد بن الحسين البلخى مطاع فى الناس فخشى من نكيره فقتله فهرب عنه صاحب جيشه وكان شحنة البلد ولحق بالسلطان محمد ومؤيد الملك باصبهان وثار الجند بعده بتيرانشاه الى مدينة كرمان فمنعه أهلها ونهبوه فقصد قلعة سمهدم واستجار بصاحبها محمد بستون وبعث أرسلان شاه عساكر لحصارها فطردهم بستون وبعث مقدم العساكر فى طلبه فجيء به أسيرا وبأبى زرعة الكاتب معه فقتلهما أرسلان شاه واستولى على بلاد كرمان وكان بركيارق كثيرا مايسلطهم على من يريد قتله من الامراء مثل ابن شحنة اصبهان وأرغش وغيرهم فاستراحا منه وانتشروا فى عسكره واغروا الناس بدعتهم وتجاوزوا الى التهديد عليها حتى خافهم أعيان العسكر وصار بركيارق يسربهم على أعدائه والناس يتهمونه بالميل اليهم فاجتمع أهل الدولة وعذلوا بركيارق فى ذلك فتبيل نصيحتهم وأمر بقتل الباطنية حيث كانوا فقتلوا وشردوا كل مشرد

وبعث الى بغداد بقتل ابى ابراهيم الاسترابادى الذى بعثه ابو الاغر لاستقصاء اموال مؤيد الملك وكان يتهم بمذهبهم فقتل وقتل بالعسكر الامير محمد بن ولد علاء الدين بن كاكويه وهو صاحب مدينة تبرز وكان يتهم بمذهبهم وسعى بالكيا الهراسى مدرس النظامية انه باطنى فأمر السلطان محمد بالقبض عليه حتى شهد المستظهر ببراءته وعلو درجته فى العلم فاطلقه وحسمت علة الباطنية بين الجمهور وبقى امرهم فى القلاع التى ملكوها الى ان انقرضوا كما تقدم فى اخبارهم مستوفى

(المصاف الثالث بين بركيارق ومحمد والصلح بينهما) ولما رحل بركيارق عن بغداد الى واسط ودخل اليها السلطان محمد اقام بها الى منتصف المحرم من سنة خمس وتسعين ثم رحل الى همدان وصحبه السلطان سنجر لقصد خراسان موضع امارته وجاءت الاخبار الى المستظهر باعتزام بركيارق على المسير الى بغداد ونقل له عنه قبائح من أقواله وأفعاله فاستدعى السلطان محمدا من همدان وقال أنا أسير معك لقتاله فقال محمد أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين ورجع ورتب ببغداد أبا المعالى شحنة وكان بركيارق لما سار من بغداد الى واسط هرب أهلها منه الى الزبيدية ونزل هو بواسط عليلا فلما أفاق أراد العبور الى الجانب الشرقى فلم يجد سفنا ولا نواتية وجاءه القاضى أبو على الفارسى الى العسكر واجتمع بالامير اياز والوزير فاستعطفهما لاهل واسط وطلب اقامة الشحنة بينهم فبعثاه وطلبا من القاضى من يعبر فأحضر لهم رجالا عبروا بهم فلما صاروا فى الجانب الشرقى نهب العسكر البلد فجاء القاضى واستعطفهم فمنعوا النهب واستأمن اليهم عسكر واسط فأمنوهم وسار بركيارق الى بلاد بنى برسق فى الاهواز وساروا معه ثم بلغه مسير أخيه محمد عن بغداد فسار فى اتباعه على نهاوند الى أن أدركه وتصافوا ولم يقتتلوا لشدة البرد ثم عاودوا فى اليوم الثانى كذلك وكان الرجل يخرج لقريبه من الصف الآخر فيتصافحان ويتساءلان و يفترقان ثم جاء الامير بكراج وعبر من عسكر محمد الى الامير اياز والوزير الاغر فاجتمعوا وعقدوا الصلح بين الفريقين على ان السلطان بركيارق والملك محمد و يضرب له ثلاث نوب و يكون له من البلاد حرة وأعمالها وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل ويمده بركيارق بالعساكر على من يمتنع عليه منها وتحالفا على ذلك وافترقا وكان العقد فى ربيع الاول سنة خمس وتسعين وسار بركيارق الى ساوة ومحمد الى استراباذ وكل أمير على اقطاعه والله سبحانه وتعالى أعلم

(انتقاض الصلح والمصاف الرابع بين السلطانين وحصار محمد باصبهان)

لما انصرف السلطان محمد الى استراباذ وكان اتهم الامراء الذين سعوا فى الصلح بالخديعة فسار الى قزوين ودس الى رئيسها لان يصنع صنيعا ويدعوه اليه مع الامراء ففعل وجاء

السلطان الى الدعوة وقد تقدم الى أصحابه بحمل السلاح ومعه ينمك واقتكز من
أمرائه فقبض عليهما وقتل ينمك وسمل اقتكين وورد عليه الامير ينال بن أنوشتكين
الحسامي نازعا عن أخيه بركيارق

ولما التقى الفريقان حمل سرخاب بن كشمر الديلمي صاحب ساوة على ينال الحسامي
فهزمه واتبعه عامة العسكر واستولت الهزيمة على عسكر محمد ومضى بعضهم الى
طبرستان وبعضهم الى قزوين وذلك في جمادى من سنة خمس وتسعين لاربعة أشهر من
المصاف قبله ولحق محمد في الفل باصبهان ومعه ينال الحسامي واصبهان في حكمه فحصنها
وسد ما ثلم من سورها وأعمق الخندق وفرق الامراء في الاسوار وعلى الابواب ونصب
المجانيق وجاء بركيارق في خمسة عشر ألف مقاتل وأقام محاصرا للبلد حتى اشتد الحصار
وعدمت الاقوات واستقرض محمد المال للجند من أعيان البلد مرة بعد أخرى
فلما جهده الحصار خرج من البلد ومعه الامير ينال وترك باقي الامراء وبعث بركيارق
الامير اياز في عسكر للطلبه فلم يدركه وقيل بل أدركه وكره العهد فرجع عنه بعد ان أخذ
رايته وجتره وثلاثة أحمال من المال ولما خرج محمد عن اصبهان طمع المفسدون
والسوادية في نهبها فاجتمع منهم ما يزيد على مائة ألف وزحفوا بالسلالم والدبابات
وطموا الخندق وصعدوا في السلالم باشارة أهل البلد وحذروا في دفاعهم وعادوا
خاسين ورحل بركيارق آخر ذي القعدة من سنة خمس وتسعين واستخلف على البلاد
القديم الذي يقال له شهرستان مرشد الهراس في ألف فارس مع ابنه ملكشاه وسار الى
همذان وفي هذا الحصار قتل وزير بركيارق الاعز أبو المحاسن عبد الجليل الدهستاني
عرض له يوما بعض الباطنية عند ماركب من خيمته لباب السلطان فطعنه طعنات وتركه
بآخر رمق وقيل غلام من غلمان بعض المكوس للوزير ثار به لمولاه وكان كريما واسع
الصدر وولي الوزارة على حين فساد القوانين وقلة الجباية فكان يضطر لاخذ أموال
الناس بالاخافة فنفرت الصفوة منه ولما مات استوزر بركيارق بعده الخطير أبا منصور
الميبذي كان وزير المحمد وقد وكله في المصاف ببعض الابواب فبعث اليه محمد ينال بن أبي
شكين يطالبه بالاموال لاقامة العسكر فخرج من الباب ليلا ولحق ببلده وامتنع بقلعتها
فأرسل السلطان بركيارق اليها عسكرا فحاصروها حتى استأمن وجاء عند قتل وزيره
الاعز فاستوزره بركيارق مكانه والله تعالى أعلم بغيبه

(مسير صاحب البصرة الى واسط)

كان صاحب البصرة لهذا العهد اسمعيل بن ارسلان حين كان السلطان ملكشاه شحنة
بالري وولاه عليها عندما اضطرب أهلها وعجز الولاة عنهم فحسنت كفايته وأثخن فيهم

وأصلح أمورها ثم عزل عنها وأقطع السلطان بركيارق البصرة للأمير قماج وكان ممن لا يفارقه فاختار اسمعيل لولاية البصرة ثم نزع قماج عن بركيارق وانتقل الى خراسان فحدثت اسمعيل نفسه بالاستبداد بالبصرة وانتقض وزحف اليه مهذب الدولة بن أبي الخير من البطيحة ومعقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الاسدى من الجزيرة في العساكر والسفن فقاتلوه في مطارى وقتل معقل بسهم أصابه فعاد ابن أبي الخير الى البطيحة فأخذ اسمعيل السفن وذلك سنة احدى وتسعين وأسرهما واستفحل أمره بالبصرة وبنى قلعة بالابلة وقلعة بالشاطئ قبالة مطارى وأسقط كثيرا من المكوس واتسعت امارته لشغل السلاطين بالفتنة وملك المسبار وأضافها الى ما بيده ولما كان سنة خمس وتسعين طمع في واسط وداخل بعض أهلها وركب اليها السفن الى نعماجار وخيم عليها بالجانب الشرقي أياما ودافعوه فارتحل راجعا حتى ظن خلاء البلد من الحامية فدس اليها من يضرم النار به ليرجعوا فرجع عنهم فلما دخل أصحابه البلد قتل اهل البلد فيهم وعاد الى البصرة منهزما فوجد الامير أبا سعيد محمد بن نصر بن محمود صاحب الاعمال لعمان وجنابا وشيراز وجزيرة بنى نفيس محاصر البصرة وكان أبو سعيد قد استبد بهذه الاعمال منذ سنين وطمع اسمعيل في الاستيلاء على أعماله وبعث اليها السفن في البحر فرجعوا خائبين فبعث أبو سعيد خمسين من سفنه في البحر فظفروا بأصحاب اسمعيل معهم الى الصلح ولم يقع منه وفاءبه فسار أبو سعيد بنفسه في مائة سفينة وأرسى بفوهة نهر الابلة ووافق دخول اسمعيل من واسط فتزاحفوا برا وبحرا فلما رأى اسمعيل عجزه عن المقاومة كتب الى ديوان الخليفة بضمان البلد ثم تصالحا ووقعت بينهما المهاداة وأقام اسمعيل مستبدا بالبصرة الى أن ملكها من يده صدقة بن مزيد في المائة الخامسة كما مر في اخباره وهلك برامهرز.

وفاة كربوقا صاحب الموصل واستيلاء جكرمش عليها واستيلاء سقمان بن ارتق على حصن كيفا

كان السلطان بركيارق أرسل كربوقا الى اذربيجان لقتال مودود بن اسمعيل بن ياقوتى الخارج بها سنة أربع وتسعين فاستولى على أكثر اذربيجان من يده ثم توفي منتصف ذى القعدة سنة خمس وتسعين وكان معه أصبهبذ صباوة بن خمارتكين وسنقرجه من بعده وأوصى الترك بطاعته فسار سنقرجه الى الموصل واستولى عليها وكان أهل الموصل لما بلغهم وفاة كربوقا قد استدعوا موسى التركماني من موضع نيابته عن كربوقا بحصن كيفا للولاية عليهم فبادر اليهم وخرج سنقرجه للقائه فظن انه جاء اليه وجرت بينهما محاورات ورد سنقرجه الامر الى السلطان فآل الامر بينهما الى المطاعنة

وكان مع موسى منصور بن مروان بقية أمراء ديار بكر وضرب سنقرجه فأبان رأسه وملك موسى البلد ثم زحف جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الى نصيبين فملكها وخالفه موسى الى الجزيرة فبادر اليه جكرمش وهزمه واتبعه الى الموصل فحاصرها فبعث موسى الى سقمان بن ارتق بديار بكر يستنجده على أن يعطيه حصن كيفا فسار سقمان اليه وأفرج عنه جكرمش وخرج موسى للقاء سقمان فقتله مواليه ورجع سقمان الى كيفا وجاء جكرمش الى الموصل فحاصرها وملكها صلحا واستلم قتلة موسى ثم استولى بعد ذلك على الخابور وأطاعه العرب والاكراد وأما سقمان بن ارتق فسار بعد مقتل موسى الى حصن كيفا واستزيده قال ابن الاثير وصاحبها الآن في سنة خمس وعشرين وستمائة محمود بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق والله تعالى أعلم

(أخبار ينال بالعراق) كان ينال بن أبي شتكين الحسامي مع السلطان محمد باصبهان لما حاصرها بركيارق بعد المصاف الرابع سنة خمس وتسعين ولما خرج محمد من الحصار الى ومعه ينال استأذنه في قصد الري ليقيم بها دعوتهم وسار هو وأخوه علي وعسف بأهل الري وصادرهم وبعث السلطان بركيارق الامير برسق بن برسق في ربيع من سنة ست وتسعين فقاتله وهزمه واستولى برسق على الري وأعاده على ولاية قزوين وسلك ينال على الجبال وهلك كثير من أصحابه وخلص الى بغداد فأكرمه المستظهر وأظهر طاعة السلطان محمد وتحالف هو وأبو الغازي وسقمان بن ارتق على مناصحة السلطان محمد وساروا الى صدقة بن مزيد بالحلة فاستجلدوه على ذلك ثم ان ينال بن أبي شتكين عسف بأهل بغداد وتسلط عليهم وصادر العمال فاجتمع الناس الى أبي الغازي بن ارتق وكان ينال صهره على أخته التي كانت زوجا لتتش وطلبوا منه أن يشفع لهم عنده وبعث المستظهر اليه قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني بالنهي عما يرتكبه فأجاب وحلف ثم نكث فأرسل المستظهر الى صدقة بن مزيد يستدعيه فوصل في شوال من السنة واتفق مع ينال على الرحيل من بغداد ورجع الى حلته وترك ولده دبيس يستحث ينال للخروج فسار ينال الى وعاث في السابلة وأقطع القرى لاصحابه وبعث الى صدقة فأرسل اليه العساكر وخرج بها أبو الغازي بن ارتق وأصحاب المستظهر فسار ينال الى اذربيجان ورجعوا عنه

(ولاية كمشتكين القيصري شحنة بغداد وفتنته مع أبي الغازي وحربه)

كان أبو الغازي بن ارتق شحنة بغداد ولاه عليها السلطان محمد عند مقتل كوهراس ولما ظهر الآن بركيارق على محمد وحاصره باصبهان ونزل بركيارق همذان وأرسل الى بغداد كمشتكين القيصري في ربيع سنة ست وتسعين وسمع ابو الغازي بقدومه فاستدعى

أخاه سقمان بن ارتق من حصن كيفا بست نجده وسار الى صدقة بن مزيد مخالفه على النصرة والمدافعة ورجع الى بغداد ووصل اليه أخوه سقمان بعد أن نهب فى طريقه ووصل كمستكين الى قرقيسيا واقيه شيعة بركيارق وخرج ابو الغازى وسقمان عن بغداد ونهب قرى دجيل واتبعهما العساكر ثم رفعت عنهما وأرسل كمستكين الى صدقة صاحب الحلة فامتنع من طاعة بركيارق وسار من الحلة الى صرصر وقطع خطبة بركيارق وعبر بغداد واقتصر على الدعاء للخليفة وبعث صدقة الى أبى الغازى وسقمان يعرفهما بوصوله وهما بالحرنى وجاء الى دجيل ونهب القرى واشتد فسادهم وأضر ذلك بحال بغداد فى غلاء الاسعار وجاء أبو الغازى وسقمان ومعهما دبيس بن صدقة فخيموا بالرملة وقاتلهم العامة ففتكوا فيهم وبعث المستظهر قاضى القضاة أبا الحسن الدامغانى وتاج الرؤساء بن الرحلات الى صدقة بن مزيد بمراجعة الطاعة فشرط خروج كمستكين عن بغداد فأخرجه المستظهر الى النهروان وعاد صدقة الى الحلة وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد ثم سار كمستكين النصيرى الى واسط وخطب فيها لبركيارق ونهب عسكره سوادها فسار صدقة وأبو الغازى اليه وأخرجاه من واسط وتحصن بدجلة فقصده صدقة فانفض عنه أصحابه ورجع الى صدقة بالامان فأكرمه وعاد الى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وبعده لصدقة وأبى الغازى وولى كل واحد فيها ولده وعاد أبو الغازى الى بغداد وعاد صدقة الى الحلة وبعث ابنه منصورا مع أبى الغازى يطلب الرضا من المستظهر لانه كان سخطه من أجل هذه الحادثة

(المصاف الخامس بين بركيارق ومحمد)

كان السلطان محمد لما سار عن كنجة وبلاد اران استخلف بها الامير غرغلى وأقام بها فى طائفة من عسكره مقيما خطبة السلطان محمد فى جميع أعماله الى زنجان من آخر اذربيجان فلما انحصر محمد باصبهان سار غرغلى لانجاده ومعه منصور بن نظام الملك ومحمد بن أخيه مؤيد الملك فانتهوا الى الرى وملكوها آخر خمس وتسعين ولقوا السلطان محمدا بهمدان عند ما خرج من أصبهان ومعه ينال بن أبى شتكين وأخوه على وأقاموا معه بهمدان ثم جاء الخبر بمسير بركيارق اليهم فتوجه السلطان محمد قاصدا اشروان وانتهى الى اذربيجان فبعث اليه مودود بن اسمعيل بن ياقوتى الذى كان بركيارق قتل أباه اسمعيل وكانت أخت مودود هذا تحت محمد وكان له طائفة من أعمال اذربيجان فاستدعى محمدا ليظاهره على بركيارق فسار اليه وانتهى الى سقمان وتوفى مودود فى ربيع سنة ست وتسعين واجتمع عساكره على السلطان محمد وفيهم سقمان القطبى ومحمد بن باغى سيان الذى كان أبوه صاحب انطاكية ونزل ارسلان بن السبع الاحمر فسار اليهم

بركيارق وقاتلهم على خراسان وسار اياز من عسكر بركيارق وجاء من خلف السلطان محمد فانهزم محمد وأصحابه ولحق بارقيش من أعمال خلاط ولقيه الامير على صاحب ارزن الروم فمضى الى اصبهان وصالحها منوجهر أخو فضلون الروادى ثم سار الى هرمز وأما محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك فمضى من الوقعة الى ديار بكر ثم الى جزيرة ابن عمر ثم الى بغداد وكان أيام أبيه مقيما ببغداد فى جوار المدرسة النظامية فشكى الى أبيه وخاطب كوهراس بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة ولحق سنة ثنتين وتسعين بمجد الملك البارسلانى وأبوه يومئذ عند السلطان محمد فلما دخل السلطان محمد لنفسه واستوزر أباه مؤيد الملك لحق بمحمد هذا ابنه ثم قتل أبوه وبقى فى جملة السلطان محمد

(استيلاء ملك بن بهرام على مدينة عانة)

كان ملك بن بهرام بن ارتق بن أخى ابى الغازى بن ارتق مالكا مدينة سروج فملكها الفرنج من يده فسار منها الى عانة وغلب عليها بنى العيش بن عيسى بن خلاط وكانت لهم فقصدوا صدقة بن مزيد مستنجدين به فأنجدهم وجاء معهم فرحل ملك بن بهرام والتركمان عنها ودخلها بنو العيش وأخذ صدقة رهائنهم وعاد الى الحلة فرجع ملك اليها فى ألفى رجل من التركمان وحاصرها ثلاثا ثم غلب الخاصة وملكها واستباح أهلها ومضى الى حيث رجع عنها

(الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد) ثم استقر الامر آخرا بالسلطان بركيارق فى الرى وكان له الجبال وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين ولمحمد اذربيجان وبلاد اران وارمينية واصبهان والعراق جميعا غير تكريت والبطائح بعضها وبعضها والبصرة لهما جميعا وخراسان لسنجر من جرجان الى ما وراء النهر يخطب فيها لاخيه محمد وله من بعده والعساكر كلهم يتحكمون عليهم بسبب الفتنة بينهما وقد تطاول الفساد وعم الضرر واختلت قواعد الملك فأرسل بركيارق الى أخيه محمد فى الصلح مع فقيهين من أماثل الناس ورغبا فى ذلك وأعاد معهما رسلا آخرين وتقرر الامر بينهما أن يستقر محمد على ما بيده سلطانا ولا يعارضه بركيارق فى الطول ولا يذكر اسمه فى أعمال محمد وأن المكاتبة تكون بين الوزيرين والعساكر بالخيار فى خدمة من شاؤا منهما ويكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسترد الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشأم والعراق بلاد صدقة بن مزيد وبقية الممالك الاسلامية لبركيارق وتحالفا على ذلك واستقام الامر وأرسل السلطان محمد الى أصحابه باصبهان بالخروج منها لاخيه بركيارق واستدعاهم اليه فأبوا وجنحوا الى خدمة بركيارق وساروا اليه بحريم السلطان محمد الذى كانوا معهم فأكرمهم بركيارق وبذلهم

الى صاحبهم وحضر أبو الغازى بالديوان ببغداد وسار المستظهر فى الخطبة لبركيارق فخطب له سنة سبع وتسعين وكذلك بواسط وكان أبو الغازى قبل ذلك فى طاعة محمد فأرسل صدقة الى المستظهر يعذله فى شأنه ويخبره بالمسير لاخراجه من بغداد ثم سار صدقة ونزل عند الفجاج وخرج أبو الغازى الى عقربا وبعث لصدقة بأنه انما عدل عن طاعة محمد للصلح الواقع بينه وبين أخيه وأنهما تراضيا على أن بغداد لبركيارق وأنا شحنته بها واقطاعى حلوان فلا يمكننى التحول عن طاعة بركيارق فقبل منه ورجع الى الحلة وبعث المستظهر فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين بالخلع للسلطان بركيارق والامير اياز والوزير الخطير واستحلفهم جميعا وعاد الى بغداد والله سبحانه ولى التوفيق

(حرب سقمان وجكرمس الافرنج)

قد تقدم لنا استيلاء الافرنج على معظم بلاد الشأم وشغل الناس عنهم بالفتنة وكانت حران لقراجا من مماليك ملك شاه وكان غشوما فخرج منها لبعض مذاهبه وولى عليها الاصبهانى من أصحابه فعصى فيها وطرد أصحاب قراجا منها ماعدا غلاما تركيا اسمه جاولى جعله مقدم العسكر وأنس به فقتله وتركه وملك حران وسار الافرنج اليها وحاصروها وكان بين جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وسقمان صاحب كيفا حروب وسقمان يطالبه بقتل ابن أخيه فانتدبا للنصر المسلمين واجتمعا على الخابور وتحالفا وسار سقمان فى سبعة آلاف من التركمان وجكرمس فى ثلاثة آلاف من الترك والعرب والاكراد والتقوا بالافرنج على نهر بلخ فاستطرد لهم المسلمون نحو فرسخين ثم كروا عليهم فغنموا فيهم وقتلوا سوادهم وأخذ القمص بردويل صاحب الرها أسره تركمانى من أصحاب سقمان فى نهر بلخ وكان سمند صاحب انطاكية من الافرنج وينكرى صاحب الساحل منهم قد كمنا وراء الجبل ليأتيا المسلمين من ورائهم عند المعركة فلما عاينوا الهزيمة كمنوا بقية يومهم ثم هربوا فاتبعهم المسلمون واستلحموهم وأسروا منهم كثيرا وفلت سمند وينكرى بدماء أنفسهم ولما حصل الظفر للمسلمين عصى أصحاب جكرمس باختصاص سقمان بالقمص وحملوه على أخذه لنفسه فأخذه جكرمس من خيام سقمان وشق ذلك عليه وأراد أصحابه فأبى حذرا من افتراق المسلمين ورحل وفتح فى طريقه عدة حصون وسار جكرمس الى حران ففتحها ثم سار الى الرها فحاصرها خمس عشرة ليلة وعاد الى الموصل وفادى القمص بخمسة وثلاثين ألف دينارا ومائة وستين أسيرا من المسلمين

(وفاة بركيارق وولاية ابنه ملك شاه) ثم توفى السلطان بركيارق بن ملك شاه بنبردجرد فى أوائل ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين لاثنتى عشرة سنة ونصف من ملكه جاء اليها

عليلا من أصبهان واشتد مرضه بيزدجرد فولى عهده لابنه ملكشاه وعمره أربع سنين وثمانية أشهر وخلع عليه وجعل الامير اياز كافله وأوصى أهل الدولة بالطاعة والمساعدة وسيرهم الى بغداد فأدركهم خبر وفاته بالطريق ورجع اياز حتى دفنه باصبهان وجمع السرادقات والخيام والجتر والشمسة لابنه ملكشاه وكان بركيارق قد لقى فى ملكه من الرخاء والشدة والسلم ما لم يلقه أحد فلما استقر واستقامت سعادته أدركته المنية ولما توفى خطب لابنه ملكشاه ببغداد وكان أبو الغازى قد سار من بغداد اليه وهو باصبهان يستحثه الى بغداد وجاء معه فلما مات سار مع ابنه ملكشاه والامير اياز الى بغداد وركب الوزير أبو القاسم على بن جهير فلقيهم به مالى وحضر أبو الغازى والامير طغايرك بالديوان وطلبا الخطبة لملكشاه فأجيب له ولقب بألقاب جده ملكشاه

(حصار السلطان محمد الموصل)

لما انعقد الصلح بين بركيارق ومحمد واختص كل منهما بأعماله وكانت أذربيجان فى قسمة محمد رجع محمد الى أذربيجان ولحق به سعد الملك أبو المحاسن الذى كان نائبا باصبهان بعد أن أبلى فى المدافعة عنها ثم سلمها بعد الصلح الى نواب بركيارق واستوزره فأقام محمد الى صفر من سنة ثمان وتسعين ثم سار يريد الموصل على طريق مراغة ورحل وبلغ الخبر الى جكرمش فاستعد للحصار وأدخل أهل الضاحية الى البلد وحاصره محمد ثم بعث له يذكره ما استقر عليه بينه وبين أخيه وأن الموصل والجزيرة له وعرض عليه خط بركيارق بذلك وبأيمانه عليه ووعده أن يقرها فى عمالته فقال له جكرمش ان السلطان كتب الى بعد الصلح بخلاف ذلك فاشتد فى حصاره واشتد أهل البلد فى المدافعة ونصر الله عنهم برخص الاسعار وكان عسكر جكرمش مجتمعين قريبا من الموصل وكانوا يغيرون على أطراف العسكر ويمنعون عنهم الميرة ثم وصل الخبر عاشر جمادى الاولى بوفاة السلطان بركيارق فاستشار جكرمش أهل البلد فردوا النظر اليه واستشار الجند فأشاروا بطاعة السلطان محمد فأرسل اليه بذلك واستدعى وزيره سعد الملك فدخل عليه وأشار عليه بلقاء السلطان فخرج اليه على كره من أهل البلد فتلقاه السلطان بالكرامة وأعاده سريعا الى البلد ليطمئن الناس

(استيلاء السلطان محمد على بغداد وخلع ملكشاه بن أخيه وقتل اياز)

قد ذكرنا صلح بركيارق وأخيه محمد من أنه يستقل بركيارق بالسلطنة وينفرد محمد بالاعمال التى ذكرناها وموت بركيارق اثر ذلك وتقديم ابنه ملكشاه ببغداد فوصل الخبر

بذلك

بذلك الى محمد وهو يحاصر الموصل فأطاعه جكرمس وسار محمد الى بغداد ومعه
جكرمس وسقمان القطبي مولى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتي بن داود وياقوتي عم
ملك شاه ومحمد وغيرهما من الامراء وجمع صدقة صاحب الحلة العساكر وبعث ابنه
بدران ودبيسا الى محمد يستحثانه وجاء السلطان محمد الى بغداد فاعتزم الامير اياز أتابك
ملك شاه على دفاعه وخيم خارج بغداد وأشار عليه بذلك أصحابه وخالفهم وزيره
أبو المحاسن الضبعي وأبلغ في النصيحة له بطاعة السلطان فأقام مترددا ونزل محمد بالجانب
الغربي وخطب له هنالك منفردا ولهما معا في بعض الجوامع واقتصر على سلطان الغالم
في بعضها ورجع اياز الى استحلاف الامراء ثانيا فوقف بعضهم وقال لا فائدة في اعادة
اليمين وارتاب اياز عندها وبعث وزيره الضبعي أبا المحاسن لعقد الصلح مع السلطان
واستحلافه فقرأ على وزيره سعد الملك أبي المحاسن سعد بن محمد فدخل معه الى السلطان
وأجابه الى ما طلب وجاء معه من الغد قاضي القضاة والمفتيان واستحلفاه لاياز وللامراء
فحلف الا أن ينال الحسامي و وقال أما ملك شاه فهو ابني وأنا أبوه
وجاء اياز من الغد وقارن وصول صدقة بن مزيد فانزلهما واحتفى بهما وذلك آخر
جمادى الاولى من سنة ثمان وتسعين ثم احتفل اياز بعدها في عمل صنيع للسلطان
في بيته وهي دار كوهراس وأهدى اليه تحفا من جملتها جبل البلخش الذي أخذه من
تركة نظام الملك بن مؤيد الملك واتفق ان اياز تقدم لمواليه بلبس السلاح ليعرضهم على
السلطان وكان عندهم مصفعان فألبسوه درعا تحت ثيابه وتناولوه بالنخس فهرب عنهم
ودخل في حاشية السلطان مذعورا فلمسوه فاذا الدرع تحت ثيابه فارتابوا ونهض
السلطان الى داره ثم دعا الامراء بعد ذلك بأيام فاستشارهم في بعث بعضهم الى
ديار بكر ان ارسلان بن سليمان بن قطلمش قصدها فاتفقوا على الاشارة بمسير
اياز وطلب هو أن يكون معه صدقة بن مزيد فأسعفه السلطان بذلك واستدعاهما
لانفاذ ذلك وقد أرصد في بعض المخادع بطريقهم جماعة لقتل اياز فلما مر بهم تعاورته
سيوفهم وقطع رأسه وهرب صدقة وأغمي على الوزير وهرب عسكر اياز فنهبوا داره
وأرسل السلطان من دفعهم عنها وسار السلطان من بغداد الى اصبهان وهذا اياز من
موالي السلطان ملك شاه ثم سار في جملة ملك آخر فسماه وأما الضبعي وزير اياز فاختفى
أشهرا ثم حمل الى الوزير سعد الملك في رمضان فلما وصل كان ذلك سبب رياسته بهمذان

(استيلاء سقمان بن ارتق على ماردين وموته)

كان هذا الحصن في ديار بكر أقطعه السلطان بركيارق لمغن كان عنده وكان حواليها
خلق كثير من الاكراد يغيرون عليها ويخيفون سابلتها واتفق ان كربوقا خرج من

بياض في الاصل

بياض في الاصل

الموصل لحصار آمد وكانت لبعض التركمان فاستنجد بسقمان فسار لانجاده ولقيه كربوقا ومعه زنكى بن اقسنقر وأصحابه وأبلوا ذلك اليوم بلاء شديدا فانهزم وأسر ابن أخيه ياقوتى بن ارتق فحبسه بقلعة ماردين عند الهمى دقى مدة محبوسا وكثر خروج الاكراد بنواحى ماردين فبعث ياقوتى الى المغنى يسأله أن يطلقه ويقيم عنده بالربض لدفاع الاكراد ففعل وصار يغير عليهم فى سائر النواحى الى خلاط وصار بعض أجناد القلعة يخرجون للاغارة فلا يهيجهم ثم حدثته نفسه بالتوثب على القلعة فقبض عليهم بعض الايام بعد مرجعه من الاغارة ودنا من القلعة وعرضهم للقتل ان لم يفتحها أهلوهم ففتحها وملكها وجمع الجموع وسار الى نصيبين والى جزيرة ابن عمر وهى لجكرمش فكبسه جكرمش وأصحابه وأصابه فى الحرب سهم فقتله وبكاه جكرمش وكانت تحت ياقوتى بنت عمه سقمان بعثت الى أبيها وجمعت التركمان وجاء بهم الى نصيبين لطلب الثار فبعث اليه جكرمش ما أرضاه من المال فى ديته فرجع وأقام بماردين بعد ياقوتى أخوه على طاعة جكرمش وخرج منها لبعض المذاهب وكتب نائبه بها الى عمه سقمان انه غلب ماردين على جكرمش فبادر اليها سقمان واستولى عليها وعوض عنها ابن أخيه جبل جور وأقامت ماردين فى حكمه مع حصن كيفا واستضاف اليها نصيبين ثم بعث اليها فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس يستنجده على الافرنج وكان استنجدهم على الخلفاء العبيديين أهل مصر ونازله الافرنج عندما ملكوا سواحل الشام فبعث بالصريخ الى سقمان بن ارتق سنة ثمان وتسعين فأجابه وبينما هو يتجهز للمسير وافاه كتاب طغتكين صاحب دمشق المستبد بها من والى بنى تتش يستدعيه لحضور وفاته خوفا على دمشق من الفرنج فأسرع السير عازما على قصد طرابلس وبعدها دمشق فانتهى الى القريتين وندم طغتكين على استدعائه وجعل يدبر الرأى مع أصحابه فى صرفه ومات هو بالقريتين فكفاهم الله تعالى أمره وقد كان أصحابه عندما أيقن بالموت أشاروا عليه بالعود الى كيفا فامتنع وقال هذا جهاد وان مت كان لى ثواب شهيد

(خروج منكبرس على السلطان محمد ونكبته)

كان منكبرس بن بورس بن البارسلان مقيما باصبهان وانقطعت عنه المواد من السلطان فخرج الى نهاوند ودعا لنفسه وكاتب الامراء بنى برسق بخورستان يدعوهم الى طاعته وكان أخوهم زنكى عند السلطان محمد فقبض عليه وكاتب اخوته فى التدبير على منكبرس فأرسلوا اليه بالطاعة حتى جاءهم فقبضوا عليه بخورستان وبعثوا به الى اصبهان فاعتقل مع ابن عمه تتش وأطلق زنكى بن برسق وأعيد الى مرتبته وكانت اقطاع بنى برسق الاسير وسابور وخورستان وغيرها ما بين الاهواز وهمذان فعوضهم عنها بالدينور وأخرجهم من تلك الناحية والله تعالى أعلم

(مقتل فخر الملك بن نظام الملك) قد ذكرنا قبل ان فخر الملك بن نظام الملك كان وزيرا لتتش ثم حبسه ولما هزمه بركيارق وجده في محبسه اطلقه وكان أخوه مؤيد الملك وزير المغال اليه فخر الدولة بعنايته مجد الملك البارسلاني واستوزره سنة ثمان وثمانين ثم فارق وزارته ولحق بسنجر بن ملك شاه بخراسان فاستوزره فلما كان في آخر المائة الخامسة جاء باطني يتظلم الى باب داره فأدخله يسمع شكواه فطعنه بخنجر فقتله وأمر السلطان سنجر بضربه فأقر على جماعة من الناس وقتل

(ولاية جاولي سكاور على الموصل وموت جكرمس)

كان جاولي سكاور قد استولى على ما بين خورستان وفارس فعمر قلاعها وحصنها وأساء السيرة في أهلها فلما استقل السلطان محمد بالملك خافه جاولي وأرسل السلطان اليه الامير مودود بن أنوتكين فتحصن منه جاولي وحاصره مودود ثمانية أشهر ودس جاولي الى السلطان بطلب غيره فأرسل اليه خاتمه مع أمير آخر فسار اليه باصبهان وجهزه في العساكر لجهاد الافرنج بالشأم واسترجاع البلاد منهم وكان جكرمس صاحب الموصل قد قطع الحمل فأقطع السلطان الموصل وديار بكر والجزيرة لجاولي فسار الى الموصل وجعل طريقه على بغداد على البوازيج فاستباحها أياما ثم سار الى اربل وكان صاحبها أبو الهيجاء بن برشك الكردي الهرباني الى جكرمس يستحثه فسار في عسكر الموصل والتقوا قريبا من اربل فانهزم أصحاب جكرمس وكان يحمل في المحفة فقاتل عنده غلمانه وأحمد بن قاروتبك فخرج وانهزم الى الموصل ومات وجيء بجكرمس فحبسه ووصل من الغد الى الموصل فولوا ازنكين بن جكرمس وأقام بالجزيرة وقام بأمره غرغلي مولى أبيه وفرق الاموال والخيول وكتب الى قليج ارسلان صاحب بلاد الروم مينا وكان قد شيد الموصل وبنى أسوارها وحصنها بالخندق وبينما هو كذلك سار اليه قليج ارسلان من بلاد الروم باستدعاء غرغلي كما تقدم وانتهى الى نصيبين فرحل جاولي عن الموصل ثم جاء البرسقي شحنة بغداد ونزل عن الموصل وخاطبهم فلم يجيبوه فرجع من يومه وسار قليج ارسلان من نصيبين الى الموصل وتأخر عنها جاولي الى سنجار واجتمع ابن الغازي بن ارتق وجماعة من عسكر جكرمس وجاء جريح رضوان بن تتش من الشأم على الافرنج فسار الى الرحبة وبعث أهل الموصل وعسكر جكرمس الى قليج ارسلان بنصيبين واستحلفوه فحلف وجاء الى الموصل فملكها في منتصف ختام المائة الخامسة وخلع على ابن جكرمس وخطب لنفسه بعد الخليفة وقطع خطبة السلطان محمد الى العسكر وأخذ القلعة من غرغلي فولى جكرمس وأقر القاضي أبا محمد عبد الله بن القاسم الشهرزوري على القضاء وجعل

بياض بالاصل

بياض بالاصل

الرياسة لابي البركات محمد بن محمد بن خميس وكان في جملة قاسم ارسلان ابراهيم بن ينال التركماني صاحب آمد ومحمد بن جوا صاحب خرتبرت كان ابراهيم بن ينال ولاه تتش على آمد فبقيت بيده وكان ابن جوا ملك خرتبرت من يد الفلادروس ترجمان الروم كانت له الرها وانطاكية الى سليمان قطلمش انطاكية وبقيت له الرها وخرتبرت وأسلم الفلادروس على القسيم بأعماله فملك محمد بن جوا خرتبرت وأسلم الفلادروس المأمولي فخر الدولة بن جهير ديار بكر وضعف الفلادروس عن الرها الى يد ملك شاه وأمره عليها ولما سار جاولي الى الرحبة قاصدا صرخ رضوان بن تتش نزل عليها آخر رمضان من السنة وحاصرها وبها محمد بن السباق من بني شيبان ولاه عليها دقاق فاستنقذها وخطب لقليج ارسلان فحاصره جاولي وكتب الى رضوان يستدعيه ويعده بالمسير معه لدفاع مقارضوان وحاصر معه الرحبة ثم دس الى جاولي جماعة من حامية الاسوار وشواها وأدخلوا وملك البلد وأتى على محمد الشيباني وسار معه ثم ان قليج ارسلان لما فرغ من أمر الموصل ولى عليها ابنه ملك شاه في عسكر ومعه أمير يدبره وسار الى قتال جاولي ورجع عنه ابراهيم بن ينال الى بلده آمد من الخابور وبعث الى بلده في الحشد فعاجله جاولي بالحرب والتقوا في آخر ذي القعدة من السنة وانهزم أصحاب قليج ارسلان على دفاعه وأعاد الخطبة للسلطان واستصفى أصحاب جكرمش ثم سار الى الجزيرة وبها حبيش بن جكرمش ومعه عز على من موالي أبيه فحاصره مدة ثم صالحه على ستة آلاف دينار ورجع الى الموصل وأرسل ملك شاه بن قليج ارسلان الى السلطان محمد والله سبحانه وتعالى أعلم

(مقتل صدقة بن مزيد)

ولما استوحش صدقة بن مزيد صاحب الحلة من السلطان محمد سار اليه السلطان وملك أعماله ولقيه صدقة فهزمه السلطان وقتل في المعركة كما ذكرناه في أخبار صدقة في دولة ملوك الحلة والله سبحانه وتعالى أعلم

(قدوم ابن عمار صاحب طرابلس على السلطان محمد) كان فخر الدولة أبو علي بن عمار صاحب طرابلس استبد بها على العبيديين فلما ملك الافرنج سواحل الشام رددوا عليها الحصار فضاقت أحوالها فلما انتظم الامر للسلطان محمد واستقام ملكه قصده فخر الملك بن عمار صريخا بالمسلمين بعد أن استخلف على طرابلس ابن عمه ذا المناقب وفرق في الجند عطاءهم لستة أشهر ورتب الحامية في مقاعدهم للقتال وسار الى دمشق فلقيه طغتكين أتابك وخيم بظاهرها أياما ورحل الى بغداد فأركب السلطان الامراء لتلقيه ولم يدخر عنه برا ولا كرامة وكذلك الخليفة وأتحف السلطان بهدايا وذخائر

نفيسة وطلب التجدد ونوه من النفقة على العسكر فوعده بالنصر وأقام ثم أتى الأمير حسين بن أتابك طغتكين ليسير بالعساكر الى الموصل مع الأمير مودود لقتال صدقة جاولى ثم يسير حسين معه الى الشام ثم رحل السلطان عن بغداد سنة احدى وخمسمائة لقتال صدقة واستدعى ابن عمار وهو بالنهروان فودعه وسار معه الأمير حسين الى دمشق وكان ابن عمار لما سار عن طرابلس استخلف عليها ابن عمه ذا المناقب فانتقض واجتمع مع أهل طرابلس على اعادة الدولة العلوية وبعثوا الى الأفضل بن أمير الجيوش المستبد على الدولة بمصر بطاعتهم ويسألون الميرة فبعث اليهم شرف الدولة بن أبي الطيب واليا ومعه الزاد من الأقوات والسلاح فدخل البلد وقبض على أهل ابن عمار وأصحابه واستصفى ذخائرهم وحمل الجميع الى مصر في البحر

(استيلاء مودود بن أبي شتكين على الموصل من يد جاولى)

قد تقدم لنا استيلاء جاولى على الموصل من يد قليج بن ارسلان وابن جكرمش وهلاكهما على يده واستفحل ملكه بالموصل وجعل السلطان محمد بن اليه ولاية ما يفتحه من البلاد له فقطع الحمل عن السلطان واستنفره لحرب صدقة فلم ينفر معه وداخل صدقة بأنه معه فلما فرغ السلطان من أمر صدقة بعث مودود بن أبي شتكين في العساكر وولاه الموصل وبعث معه الامراء ابن برسق وسقمان القطبي واقسنقر البرسقي ونصر بن مهلهل بن أبي الشوك الكردي وأبو الهيجاء صاحب أربل مددا فوصلوا الموصل وخيموا عليها فوجدوا جاولى قد استعد للحصار وحبس الأعيان وخرج عن البلد وترك بها زوجته هي وابنة برسق في ألف وخمسمائة مقاتل فأخشن في مصادرة الناس واشتد عليهم الحصار فلما كان المحرم سنة ثنتين خرج بعض الحامية من فرجة من السور وأدخلوا منها مودود والعساكر وأقامت زوجة جاولى بالقلعة ثمانية أيام ثم استأمنت وخرجت الى أخيها يوسف بن برسق بأموالها واستولى مودود على الموصل وأعمالها وأما جاولى فلما سار عن الموصل حمل معه القمص الذي كان أسره بنعمان وأخذه منه جكرمس وسار به الى نصيبين وسأل من صاحبها ابو الغازي بن ارتق المظاهرة على السلطان فلم يجبه الى ذلك ورحل عن نصيبين الى ماردين بعد ان ترك ابنه مقيما مع الحامية فتبعه جاولى ودخل عليه وحده بالقلعة متطارحا عليه فأجابه وسار معه الى نصيبين ثم الى سنجار وحاصراها فامتنعت عليهما ثم هرب ابو الغازي ليلا الى نصيبين وتركه فسار جاولى الى الرحبة وأطلق القمص بردويل لخمس سنين من الصبرة على مال قرره عليه وأسرى من المسلمين يطلقهم وعلى النصرة متى طلبه وأرسله الى سالم بن مالك بقلعة جعفر حتى جاء ابن خالته جوسكر صاحب تل باشر من زعماء الفرنج وكان أسر

مع القمص فافتدى بعشرين ألف دينار وأقام جوسكر رهينة وسار القمص الى
انطاكية ثم أطلق جاولى جوسكر وأخذ رهنا عنه صهره وصهر القمص وبعثه فى اتمام
ما بقى ولما وصل الى انطاكية أعطاه شكرى صاحبها ثلاثين ألف دينار وخيلا وسلاحا
وغير ذلك وكانت الرها وسروج بيد القمص ولما أسر ملك جكرمش الرها من أصحابه
طلبها منه الآن فلم يجبه فخرج القمص مغاضبا له ولحق تل باشر وقدم عليه جوسكر
بعد ما أطلقه جاولى ثم سار اليهما شكرى يحاربهما قبل اجتماع أمرهما فحاصرهما أياما
ورجع القمص وجوسكر على حصون شكرى صاحب انطاكية واستمد أبو سيل الارمنى
صاحب رعبان وكيسوم والقلاع شمالى حلب فأمدهم بألف فارس وسار اليهم شكرى
وحضر البترك وشهد جماعة من القسيسين والبطارقة أن أسمند خال شكرى قال له عند
ما ركب البحر الى بلاده أعد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر فحكم البترك
باعادتها فأعادها تاسع صفر من السنة وعبر القمص الفرات ليدفع الى جاولى المال
والاسرى كما شرط له وكان جاولى لما أطلق القمص سار الى الرحبة ولقيه أبو النجم بدران
وأبو كامل منصور وكانا مقيمين بعد قتل أبيهما عند سالم بن مالك فاستنجداه ووعداه
أن يسير معهما الى الحلة وأن يقررا على تقديمه الى الغازى تكين ثم قدم عليهم اصبهبذ صباوو
وقد أقطعه السلطان الرحبة وأشار على جاولى بقصد الشام لخلوها عن العساكر والفرنج
عن العراق وطريق السلطان فقبل اشارته وأصعد على الرحبة ثم وفد اليه صريخ سالم
ابن مالك صاحب جعبر يستغيث به من بنى نمير وكان جيوش النميرى قد نزل على بن سالم
بالرقة وملكها وسار اليه رضوان من حلب فصالحه بنو نمير بالمال ورجع عليهم فاستنجد
سالم الآن جاولى فجاء وحاصر بنى نمير بالرقة سبعين يوما فأعطوه مالا وخيلا ورحل عنهم
واعتذر لسالم ثم وصل جاولى الى الامير حسين بن أتابك قطلغ تكين كان أبوه أتابك
السلطان محمد بكنجة فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان وبعثه مع ابن عمار ليصلح أمر
جاولى ويسير العساكر الى الجهاد مع ابن عمار فأجاب جاولى لذلك وقال لحسين سر الى
الموصل ورحل العساكر عنها وأنا أعطيك ولدى رهينة وتكون الجباية لوال من قبل
السلطان فجاء حسين الى العساكر قبل أن يفتحوها فكلهم أجاب الا الامير مودود
فانه امتنع من الرحيل الا باذن من السلطان وأقام محاصرا لها حتى افتتحها وعاد ابن
قطلغ الى السلطان فأحسن الاعتذار عن جاولى وسار جاولى الى بالس فملكها من
أصحاب رضوان بن تتش وقتل جماعة من أهلها فيهم القاضى محمد بن عبد العزيز بن
الياس وكان فقيها صالحا ثم سار رضوان بن دقاق لحرب جاولى واستمد شكرى صاحب
انطاكية فأمده بنفسه وبعث جاولى الى القمص بالرها يستمده وترك له مال المفاداة فسار

اليه بنفسه ولحقه بنصيبين وجاء الخبر الى جاولى باستيلاء مودود وعساكر السلطان على الموصل وعلى خزائنه فاضطرب أمره وانفض عنه كثير من أصحابه منهم زنكى بن اقسنقر وبكتاش وبقى معه اصبهبذ صباوو وبدر وان بن صدقة وابن جكرمس وانضم اليه كثير من المتطوعة ونزل تل ناشر وأتى عسكر رضوان وسكرى وكادان يهزمهم لولا أن أصحابه سار واعنه وسار فى اتباعهم فأبوا عليه فمضى منهزما وقصد اصبهبذ الشأم وبدر وان بن صدقة قلعة جعفر وابن جكرمس جزيرة ابن عمر وقتل من المسلمين خلق ونهب صاحب انطاكية سوادهم وهرب القمص وجوسكر الى تل ناشر وكان المنهزمون من المسلمين يمرون بهم فيكرمونهم ويجيزونهم الى بلادهم ولحق جاولى بالرحبة فلقى بها سرايا مودود صاحب الموصل وخفى عنهم فارتاب فى أمره ولم ير الخبر له من قصد السلطان محمد ثقة بما ألقى اليه حسين بن قطلغ تكين فى شأنه فأوغر فى السير ولحق بالسلطان قريبا من اصبهان ونزل حسين بن قطلغ فدخل به الى السلطان فأكرمه وطلب منه بكتاش بن عمه تتش واعتقله باصبهان

(مقتل مودود بن توتكين صاحب الموصل فى حرب الافرنج وولاية البرسقى مكانه)

كان السلطان محمد قد أمر مودودا صاحب الموصل سنة خمس وخمسمائة بالمسير لقتال الافرنج وأمده بسقمان القطبى صاحب ديار بكر وأرمينية وايلكى وزنكى ابنى برسق أمراء همدان وماجاورها والامير أحمديك أمير مراغة وأبو الهيجاء صاحب اربل والامير أبو الغازى صاحب ماردين وبعث اليه اياز مكانه فسار الى سنجار وفتحوا حصونا للافرنج وحاصروا مدينة الرها فامتنعت عليهم وأقام الافرنج على الفرات بعد أن طرقوا أعمال حلب فعاثوا فيها ثم حاصر العساكر الاسلامية قلعة ناشر فامتنعت ودخلوا الى حلب فامتنع رضوان من لقائهم فعادوا ومات سقمان القطبى فى دلاس فحمله أصحابه فى تابوت الى بلاده واعترضهم أبو الغازى بن ارتق ليأخذهم فهزموه ثم افترقت العساكر بمرض ابن برسق ومسير أحمد بن صاحب مراغة الى السلطان لطلب بلاد سقمان القطبى واجتمع قطلغتكين صاحب دمشق بمودود ونزل معه على نهر القاضى وسمع الافرنج بافتراق العساكر فساروا الى فاميا وجاء السلطان ابن منقذ صاحب شيزر الى مودود وقطلغتكين وحضهما على الجهاد ونزلوا جميعا على شيزر ونزل الفرنج قبالتهم ثم رأوا قوة المسلمين فعادوا الى فامية ثم سار مودود سنة ست الى الرها وسروج فعاث فى نواحيها فكبسه جوسكر صاحب تل ناشر فى الافرنج ونال منه ثم اجتمع المسلمون سنة سبع للجهاد باستنجاد قطلغتكين صاحب دمشق لمودود فاجتمع معه تميرك صاحب سنجار واياز بن أبى الغازى وعبروا الفرات الى قطلغتكين وقصدوا

القدس فسار اليهم صاحبها بقدوين ومعه جوسكر ومعه تل باشر على جيشه ونزلوا
الاردن واقتتلوا قريبا من طبرية فانهزم الافرنج وقتل كثير منهم وغرق كثير في
بحيرة طبرية ونهر الاردن وغنم المسلمون سوادهم ثم لقيهم عسكر طرابلس وانطاكية
من الفرنج فاستماتوا بهم وعاودوا الحرب ونزلوا في جبل طبرية فحاصرهم فيه المسلمون
ثم ساروا واعاثوا في بلاد الافرنج ما بين عكا الى القدس ثم نزلوا دمشق وفرق مودود
عساكره ووعدهم العود من قابل للجهاد ودخل دمشق ليستريح عند طغتكين
فصلى الجمعة في الجامع فطعنه باطني فأثبتوه وهلك لآخر يومه واتهم طغتكين به
وقتل الباطني من يومه ولما بلغ الخبر السلطان بقتل مودود ولى على الموصل وأعمالها
اقسنقر البرسقي سنة ثمان وخمسمائة وبعث معه ابنه الملك مسعود في جيش كثيف
وأمره بجهاد الافرنج وكتب الى الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واجتمعت
اليه عساكر النواحي فيهم عماد الدين زنكي بن اقسنقر وتميرك صاحب سنجار وسار
البرسقي الى جزيرة ابن عمر فاطاعه نائب مودود بها ثم سار الى ماردين فاطاعه
أبو الغازي صاحبها وبعث معه ابنه اياز فسار الى الرها فحاصرها شهرين ثم ضاقت
الميرة على عسكره ثم رحل الى شميشاط بعد ان خرب نواحي الرها وسروج وشميشاط
وكانت مرعش للافرنج هي وكيسوم ورعبان وكان صاحبها كواسل وانفقت وفاته
وملكت زوجته بعده فراسلت البرسقي بالطاعة وبعث اليها رسوله فاكرمته ورجعته
الى البرسقي بالهدايا والطاعة وهرب كثير من الافرنج الى انطاكية ثم قبض البرسقي
على اياز بن أبي الغازي لاتهامه اباه في الطاعة فسار اليه أبو الغازي في العساكر وهزمه
واستنقذ ابنه اياز من أسره كما نرى في أخبار دولة أبي الغازي وبنيه وبعث السلطان
يهدده فوصل يده بطغتكين صاحب دمشق والفرنج وتمالؤوا على التظاهر ورجع أبو
الغازي الى ديار بكر فسار اليه قرجان بن قراجا صاحب حمص وقد تفرق عنه أصحابه
فظفر به وأسره وجاء طغتكين في عساكره وبعث الى قرجان في اطلاقه فامتنع وهم
بقتله فعاد عنه طغتكين الى دمشق وكان قرجان قد بعث الى السلطان بخبره وانتظر
من يصل في قتله فابطأ عليه فأطلق أبا الغازي بعد ان توثق منه بالحلف وأعطاه ابنه
اياز رهينة ولما خرج سار الى حلب وجمع التركمان وحاصر قرجان في طلب ابنه الى أن
جاءت عساكر السلطان

(مسير العساكر لقتال أبي الغازي وطغتكين والجهاد بعدهما)

ولما كان ما ذكرناه من عصيان أبي الغازي وطغتكين على السلطان محمد وقوة الفرنج
على المسلمين جهز السلطان جيشا كثيرا مقدمهم الامير برسق صاحب همذان ومعه

الامير حيوس بك والامير كشغرة وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بقتال أبي الغازي وقطلغتكين فاذا فرغوا منهما ساروا الى الفرنج فارتجعوا البلاد من أيديهم فساروا لذلك في رمضان من سنة ثمان وعبروا الفرات عند الرقة وجاؤا الى حلب وطلبوا من صاحبها لؤلؤ الخادم ومن مقدم العسكر المعروف بشمس الخواص تسليم حلب بكتاب السلطان في ذلك فتعلل عليهم وبعث الى أبي الغازي وقطلغتكين بالخبر واستنجدهما فسارا اليه في ألفين وامتنعت حلب على عساكر السلطان فسار برسق بالعساكر الى حماة وهي لقطلغتكين فملكها عنوة وسلمها الى قرجان صاحب حمص بعهد السلطان له بذلك في كل ما يفتحونه من البلاد فثقل ذلك على الامراء وتخاذلوا وتسلم قرجان حماة بن برسق وأعطاه ابن أبي الغازي ابنه رهينة عنده ثم سار أبو الغازي وقطلغتكين وشمس الخواص الى انطاكية مستنجدين بصاحبها بردويل وجاءهم بعد ذلك بغدوس صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من الافرنج واتفقوا على تأخير الحرب الى انصرام الشتاء واجتمعوا بقلعة أفامية وأقاموا شهرين وانصرم الشتاء والمسلمون مقيمون فوهنت عزائم الافرنج وعادوا الى بلادهم وعاد أبو الغازي الى ماردين وقطلغتكين الى دمشق وسار المسلمون الى كفرطاب من بلاد الافرنج فحاصروه وملكوه عنوة وأسروا اصاحبه واستلحموا من فيه ثم ساروا الى قلعة افامية فامتنعت عليهم فعادوا الى المعرة وفارقهم حيوس بك الى مراغة فملكه وسارت العساكر من المعرة الى حلب وقدموا أثقالهم وخيامهم فصادفهم بردويل صاحب انطاكية في خمسمائة فارس وألفي راجل صريخا لاهل كفرطاب وصادف مخيم العسكر فقتل فيهم وفعل الافاعيل وهم متلاحقون وجاء الامير برسق وعاين مصارعهم وأشار عليه اخوته بالنجاء بنفسه فنجا بنفسه واتبعهم الافرنج ورجعوا عنهم على فرسخ وعاثوا في المسلمين في كل ناحية وقتل ايازبن أبي الغازي قتله الموكلون به وجاء أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين مالم يحتسبوه ويئسوا من النصرة ورجعت العساكر منهزمة الى بلادها وتوفي برسق زنكي سنة عشر بعدها

(ولاية حيوس بك ومسعود بن السلطان محمد على الموصل)

ثم أقطع السلطان الموصل وما كان بيد اقسنقر البرسقي للامير حيوس بك وبعث معه ابنه مسعودا وأقام البرسقي بالرحبة وهي اقطاعه الى أن توفي السلطان محمد

(ولاية جاولي سكاو على فارس وأخباره فيها ووفاته)

كان جاولي سكاو لما رجع الى السلطان محمد ورضي عنه ولاه فارسا وأعمالها وبعث معه ابنه جعفري بك طفلا كما فصل من الرضاع وعهد اليه باصلاحها فسار اليها ومر

بالامير بلداجي في بلاده كيلويه وسرماه وقلعة اصطخر وكان من مماليك السلطان
ملكشاه فاستدعاه لأتابكه جغري بك وتقدم اليه أن يأمر بالقبض عليه فقبض
عليه ونهبت أمواله وكان أهله وذخائره في قلعة اصطخر وقد استناب فيها وزيره الجهرمي
ولم يمكنه الامر بعض أهله فلما وصل جاولي الى فارس ملكها منه وجعل فيها ذخائره
ثم أرسل الى خسرو وهو الحسن بن مبارز صاحب فسا وأمير الشوانكاره من
الاكراد فاستدعاه للقاء جغري بك من السلطان خشية مما وقع لبلداجي
فاعرض عنه وأظهر الرجوع الى السلطان ومضى رسول خبره وبشره بانصرافه عن
فارس فما أدى اليه الخبر الا وجاولي قد خالطهم فرجع من طريقه وأوغل في السير
اليهم ثم هرب خسرو الى عمدالح وقتل جاولي في أصحابه وماله ثم سار جاولي الى مدينة فسا
فملكها ونهب جهرم وغيرها وسار الى خسرو فامتنع عليه بحصنه فرجع الى شيراز وأقام
بها ثم سار الى كازرون فملكها وحاصر أبا سعيد بن محمد في قلعته مدة عامين
وراسله في الصلح فقتل الرسل مرتين ثم اشتد عليه الحصار واستأمن فأمنه وملك الحصن
ثم استوحش من جاولي فهرب وقبض على ولده وجيء به أسيرا فقتل ثم سار جاولي
الى دارابكرد فهرب صاحبها ابراهيم الى كرمان وصاحبها ارسلان شاه بن كرمان شاه
ابن ارسلان بك بن قاروت بك فسار جاولي الى حصار درابكرد فامتنعت عليه فخرج
الى البرية ثم جاءهم من طريق كرمان كأنه مدد لهم من صاحب كرمان فأدخلوه فملك
البلد واستلم أهله ثم سار الى كرمان وبعث الى خسرو ومقدم الشوانكارة يستدعيه
للمسير معه فلم يجد بدا من موافقته وجاء وصاحبه الى كرمان وبعث الى ملك كرمان
باعادة الشواد كان الدين عنده يبعث بالشفاعة فيهم فاستحلف السلطان الرسول
بالاحسان وحثه على صاحبه ووعده بأن يرد العساكر عن وجهه ويخذلهم عنه
ما استطاع وانقلب عنه الى صاحبها في عساكر كرمان مع وزيره بالسيرجان وتراءى لهم
أن جاولي عازم على مواصلتهم وانه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وأشار
عليه بالرجوع فرجعوا وسار جاولي في أثر الرسول وحاصر حصنا بطرف كرمان فارتاب
ملك كرمان بخبر الرسول ثم اطلع عليه من غير جامعة فقتله ونهب أمواله وبعث
العساكر لقتاله واجتمع معهم صاحب الحصن المحاصر وسلك بهم غير الجادة وسمع جاولي
بخبرهم فأرسل بعض الامراء ليأتيه بالخبر فلم يجد بالجادة أحدا فرجع وأخبره أن عسكر
كرمان قد رجع فاطمأن ولم يكن الا قليل حتى بيتته عساكر كرمان في شوال سنة ثمان
وخمسمائة فانهزم وفتكوا فيه قتلا وأسرا وأدركه خسرو بن أبي سعد الذي كان قتل أباه
فلما رآهما خاف منهما فآنساه وأبلغاه الى مأمنه بمدينة فسا ولحقته عساكره وأطلق

ملك كرمان الاسرى وجهزهم اليه وبينما هو يجهز العساكر لكرمان لاخذ ثاره توفى جعفرى بك ابن السلطان فى ذى الحجة من سنة تسع وخمسين من عمره فقطعه ذلك عن معاداة كرمان ثم بعث ملك كرمان الى السلطان ببغداد فى منع جاولى عنه فقال له لا بد أن تسلم الحصن الى حاصره جاولى فى حد كرمان وانهزم عليه وهو حصن فرج ثم توفى جاولى فى ربيع سنة عشر فامنوا اعادته والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود)

ثم توفى السلطان محمد بن ملك شاه آخر ذى الحجة سنة اثنتى عشرة من ملكه بعد أن أجلس ولده محمودا على الكرسى قبل وفاته بعشر ليال وفوض اليه أمور الملك فلما توفى نفذت وصيته لابنه محمود فأمره فيها بالعدل والاحسان وخطب له ببغداد وكان مناهز الحلم وكان السلطان محمد شجاعا عادلا حسن السيرة وله آثار جميلة فى قتال الباطنية قد مر ذكرها فى أخبارهم ولما ولى قام بتدبير دولته الوزير أبو منصور وأرسل الى المستظهر فى طلب الخطبة ببغداد له فى منتصف المحرم من سنة ثنتى عشرة وأقر طهرون شحنة على بغداد وقد كان السلطان محمد ولاه عليها سنة ثنتين وخمسمائة ثم عاد البرسقى وقاتله وانهزم الى عسكر السلطان محمود على الحلة دبيس بن صدقة وقد كان عند السلطان محمد منذ قتل أبوه صدقة وأحسن اليه وأقطعه وولى على الحلة سعيد ابن حميد العمرى صاحب جيش صدقة فلما توفى رغب من ابنه السلطان محمود العود الى الحلة فأعاده واجتمع عليه العرب والاكراد

(وفاة المستظهر وخلافة ابنه المسترشد)

ثم توفى المستظهر بن المقتدى سنة ثنتى عشرة وخمسمائة منتصف ربيع الآخر ونصب للخلافة ابنه المسترشد واسمه الفضل وقد تقدم ذلك فى أخبار الخلفاء

(خروج مسعود بن السلطان محمد على أخيه محمود)

تقدم لنا أن السلطان ولى على الموصل ابنه مسعودا ومعه حيوس بك وان السلطان محمودا ودبيس بن صدقة سارا الى الحلة فلما توفى السلطان محمد وولى ابنه محمود سار مسعود من الموصل مع اتابك حيوس بك ووزيره فخر الملك على بن عمار وقسيم الدولة وزنكى بن اقسنقر صاحب سنجار وأبي الهيجاء صاحب اربل وكرباوى بن خراسان صاحب المواريح وقصدوا الحلة فدافعهم دبيس فرجعوا الى بغداد وسار البرسقى الى قتالهم فبعث اليه حيوس بك بأنهم انما جاؤا الطلب الصريخ على دبيس صاحب

الحلة فتفرقوا وتعاهدوا ونزل مسعود بدار الملك ببغداد وجاء الخبر بوصول عماد الدين منكبرس الشحنة وقد كان البرسقي هزم ابنه حسينا كما مر وسار بالعساكر الى البرسقي فلما علم بدخول مسعود الى بغداد عبر دجلة من النعمانية الى دبيس بن صدقة فاستنجده وخرج مسعود وجيوش بك والبرسقي ومن معهم للقائهم وانتهوا الى المدائن فأتتهم الاخبار بكثرة جموع منكبرس ودبيس فرجعوا وعبروا نهر صرصر وخربوا السواد من كل ناحية وبعث المسترشد الى مسعود والبرسقي والحث على الموادعة والصلح وجاءهم الخبر بأن منكبرس ودبيس بعثا منصورا أخا دبيس وحسين بن ارز ربيب منكبرس عسكرا الجانب ببغداد فرجع البرسقي الى بغداد ليلا ومعه زنكي بن أقسنقر وترك ابنه عز الدين مسعودا على العسكر بصرصر فالتقى ومنع عسكر منكبرس من العبور وأقام يومين ثم وافاه كتاب ابنه بأن الصلح تم بين الفريقين بعده فقفل وعبر الى الجانب الغربي ومنصور وحسين في أثره ونزلا عند جامع السلطان وخيم البرسقي عند القنطرة القبلية وخيم مسعود وجيوش بك عند المارستان ودبيس ومنكبرس تحت الرقة وعز الدين مسعود بن البرسقي عند منكبرس منفردا عن أبيه وكان سبب انعقاد الصلح ان جيوش بك أرسل الى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فأقطعهما اذربيجان ثم وصل الخبر بمسيرهما الى بغداد فاستشعر منهما العصيان وجهز العساكر الى الموصل فكتب اليه رسوله بذلك ووقع الكتاب بيد منكبرس الشحنة فبعث اليه وضمن له اصلاح الحال له وللسلطان مسعود وكان منكبرس متزوجا بأم السلطان مسعود واسمها سرجهان فكان يؤثر مصلحته فاستقر الصلح واتفقوا على اخراج البرسقي من بغداد الى الملك وأقام عنده واستقر منكبرس شحنة ببغداد وساء أثره في الرعية وتعرض لاموال الناس وحرمهم وبلغ الخبر الى السلطان محمود فاستدعاه اليه فبقي يدافع ثم سار عنها فأمن عامة بغداد والله سبحانه وتعالى أعلم

(خروج الملك طغرلك على أخيه السلطان محمود)

كان الملك طغرلك بن السلطان محمد عند وفاة أبيه مقيما بقلعة سرجهان وكان أبوه أقطعه سنة أربع ساوة وآوة وزنجان وجعل اتابك الامير شيركير الذي حاصر قلاع الاسماعيلية كما مر في أخبارهم وكان عمره يومئذ عشرا فأرسل السلطان محمد الامير كسغدي أتابكا له وأعجله اليه وكان كسغدي سافدا فأبه حمل طغرلك على العصيان ومنعه من المجيء الى أخيه وانتهى ذلك الى محمود فأرسل الى أخيه تحفا وخلعا وثلاثين ألف دينار ومواعد جميلة فلم يجيبوا اليها وأجابه كسغدي انا في الطاعة ومعترضون لمراسم الملك فسار اليهم السلطان بعد ليكبسهم وجعل طريقه على قلعة شهران التي فيها ذخائر طغرلك

وأمواله وغاالخبر الى طغرلك وكسعدى نفرجا من العسكر فى خفية قاصدين شهران وأخلى الطريق عنهما ماسبق من اللطف فوقعا على قلعة سرجهان وجاء السلطان الى العسكر فأخذ خزائن أخيه طغرلك وفيها ثلثمائة ألف دينار ثم أقام بزنجان أياما ولحق منها بالرى ولحق طغرلك وكسعدى بكنجة واجتمع اليه أصحابه وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه

(فتنة السلطان محمود مع عمه سنجر)

ولما توفى السلطان محمود وبلغ الخبر الى أخيه سنجر بخراسان أظهر من الجزع والحزن مالم يسمع بمثله حتى جلس للعزاء على الرماد وأغلق بابه سبعا ثم سمع بولاية ابنه محمود فنكر ذلك وعزم على قصد بلاد الجبل والعراق وطلب السلطنة لنفسه مكان أخيه وكان قد سار الى غزنة سنة ثمان وخمسين وفتحها وتنكر لوزيره أبى جعفر محمد بن فخر الملك أبى المظفر ابن نظام الملك لما بلغه أنه أخذ عليه الرشوة من صاحب غزنة ليثنيه عن قصده اليه وفعل مثل ذلك بما وراء النهر وامتحن أهل غزنة بعد فتحها وأخذ منها أموالا عظيمة وشكا اليه الامراء اهانته اياهم فلما عاد الى بلخ قبض عليه وقتله واستصفى أمواله وكانت لا يعبر عنها كان فيها من العين وحده ألف ألف دينار مرتين واستوزر بعده شهاب الاسلام عبد الرزاق بن أخي نظام الملك وكان يعرف بابن الفقير فلما مات أخوه السلطان محمد عزم على طلب الامر لنفسه وعاوده الندم على قتل وزيره أبى جعفر لما يعلم من اضطلاعه بمثلها ثم ان السلطان محمود ابعث اليه يستعطفه بالهدايا والتحف وضمن له ما يزيد عن مائتى ألف دينار كل سنة وبعث فى ذلك شرف الدين أنوشروان بن خالد وفخر الدين طغرلك فقال لهما سنجر ان ابن أخى صغير وقد تحكم عليه وزيره وعلى ابن عمر الحاجب فلا بد من المسير وبعث فى مقدمته الامير انز وسار السلطان محمود وبعث فى مقدمته الحاجب على بن محمد وكان حاجب أبيه قبله فلما تقاربت المقدمتان بعث الحاجب على بن عمر الى الامير انز وهو بجرجان بالعتاب ونوع من الوعيد فتأخر عن جرجان فلحقته بعض العساكر ونالوا منه ورجع الحاجب الى السلطان محمود بالرى فشكر له فعله وأقاموا بالرى ثم ساروا الى كرمان وجاءته الامداد من العراق مع منكبرس ومنصور بن صدقة أخى دبيس وأمراء فسار الى همدان وتوفى وزيره الربيب فاستوزر اباطالب الشهيرى ثم سار السلطان فى عشرين ألفا وثمانية عشر فيلا ومعه ابن الامير أبى الفضل صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد والامير انز والامير قماج وكرشاسف بن صرام بن كاكويه صاحب برد وهو صهره على أخته وكان خصيصا بالسلطان محمد فاستدعاه بعد موته سنجر وتأخر عنه وأقطع بلده لقراجا

الشام فبادروا اليه وتراجعوا لقرب ساوة في جمادى ثالث عشر وسبقت عساكر السلطان محمود الى الماء من أجل المسافة التي بين ساوة وخراسان وكانت عساكر السلطان ثلاثين ألفا ومعه الحاجب على بن عمر ومنكرس وأتابك غز غلى وبنو برسق واقسنقر البخاري وقراجا الساقي ومعه سبعمائة جمل من السلاح فعندما اصطفوا الى الحرب انهزم عساكر السلطان سنجر ميمنة وميسرة وثبت هو في القلب والسلطان محمود قبالته وحمل السلطان سنجر في الفيلة فانهزمت عساكر السلطان محمود واسر أتابك غز على وكان يكاتب السلطان سنجر بأنه يحمل اليه ابن أخيه فعاتبه على ذلك ثم قتله ونزل سنجر في خيام محمود واجتمع اليه أصحابه وبلغ محمود من الواقعة وأرسل دبيس ابن صدقة للمسترشد في الخطبة لسنجر فخطب له أواخر جمادى الاولى من السنة وقطعت خطبة محمود ثم ان السلطان سنجر رأى قلة أصحابه وكثرة أصحاب محمود فراسله في الصلح وكانت تعصمه على ذلك فامتنع ولحق البرسقي بسنجر وكان عند الملك مسعود باذربيجان من يوم خروجه من بغداد فسار سنجر من همذان الى الكرخ وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح ووعده بولاية عهده فأجاب وتحالفا على ذلك وسار محمود الى عمه سنجر في شعبان مهدية حافلة ونزل على جدته فتقبل منه سنجر وقدم له خمسة افراس عربية وكتب لعماله بالخطبة لمحمود بعده في جميع ولايته والى بغداد بمثل ذلك وأعاد عليه جميع ما أخذه من بلاده سوى الري وصار محمود في طاعة عمه سنجر ثم سار منكرس عن السلطان محمود الى بغداد وبعث دبيس بن صدقة من منعه من دخولها فعاد ووجه الصلح بين الملكين قد أسره فقصد السلطان سنجر مستجيرا به من الاستبداد عليه وسيره لشحنة بغداد من غير اذنه ثم ان الحاجب على بن عمر ارتفعت منزلته في دولته وكثرت سعاية الامراء فيه فأمر السلطان بنكبته فاستوحش وهرب الى قلعة له كان ينزل بها أهله وأمواله وسار منها الى خوزستان وكانت بنو برسق اسوري وابن أخويه ارغوي ابن ملتكي وهندو بن زنكي بعثوا عسكرا يصدونه عن بلادهم ولقوه قريبا من تستر فهزموه وجاؤا به أسيرا وكاتبوا السلطان محمودا بأمره فأمرهم بقتله وحمل رأسه اليه ثم أمر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين نهروز الى شحنة بغداد انفاذا اليها وعزل نائب دبيس بن صدقة

(استبداد على بن سكمان بالبصرة)

كان السلطان محمد قد أقطع البصرة للامير اقسنقر البخاري واستخلف عليها سنقر الشامي فأحسن السيرة الى ان توفي السلطان محمد وثب عليه غز على مقدم الاتراك الاسماعيلية وكان يحجب بالناس منذ سنين وتسنقر ألبا وتملكا البصرة من يده ونهباه

وذلك سنة احدى عشرة وهم سنقر البرسقى بقتله فعارضه غرغلى فلم يرجع وقتله فقتله غرغلى به وسكن الناس وكان بالبلاد أمير اسمه على بن سكمان حج بالناس وغاب عن هذه الواقعة فغص به غرغلى اتمام الحج على يده وخشى أن يثأر منهم بسنقر البرسقى لتقدمه عليهم فأوغر الى عرب البرية فنهب الحاج (١) وانثنى على بن سكمان فى الدفاع عنهم الى أن قارب البصرة والعرب يقاتلونه فبعث اليه غرغلى بالمنع من البصرة فقصد القرى أسفل دجلة وصدق الحملة على العرب فهزمهم ثم سار اليه غرغلى وقاتله فأصابه سهم فمات وسار على بن سكمان الى البصرة وملكها وكاتبه اقسنقر البخارى صاحب عمان بالطاعة وأقر نوابه على أعماله وكان عند السلطان وطلبه أن يوليه البصرة فأبى وبقى ابن سكمان مستبدا بالبصرة الى أن بعث السلطان اقسنقر البخارى الى البصرة سنة أربع عشرة فملكها من على بن سكمان

(استيلاء الكرج على تفليس)

كان الكرج قديما يغيرون على اذربيجان وبلاد اران قال ابن الاثير والكرج هم الخزر وقد بينا الصحيح من ذلك عند ذكر الانساب وان الخزر هم التركمان (٢) الا أن يكون الكرج من بعض شعوبهم فيمكن ولما استفحل ملك السلجوقية امسكوا عن الاغارة على البلاد المجاورة لهم فلما توفى السلطان محمد رجعوا الى الغارة فكانت سراياهم وسرايا القفجاق تغير على البلاد ثم اجتمعوا وكانت بلد الملك طغرل وهى اران ونقجوان الى أوس مجاورة لهم فكانوا يغيرون عليها الى العراق الملك ببغداد ونزل على دبيس ابن صدقة فسار هو وأتابك كبعرى ودبيس بن صدقة وأبى الغازى ابن ارتق وسار فى ثلاثين ألفا الى الكرج والقفجاق فاضطرب المسلمون وانهزموا وقتل منهم خلق وتبعهم الكفار عشرة فراسخ وعادوا عنهم وحاصروا مدينة تفليس وأقاموا عليها سنة وملكوها عنوة سنة خمس عشرة (٣) ووصل صريخهم سنة ست عشرة الى السلطان محمود بهمدان فسار لصريخهم وأقام بمدينة تبريز وانفذ عسكرا الى الكرج فكان من أمرها ما نذكر ان شاء الله تعالى

(الحرب بين السلطان محمود وأخيه مسعود)

قد تقدم لنا مسير مسعود الى العراق وموت أبيه السلطان محمد وما تقرر بينهما من الصلح ورجوعه الى الموصل بلده وان السلطان محمودا زاده اذربيجان ولحق به قسيم الدولة البرسقى عندما طرده عن شحنة بغداد فأقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وكان دبيس جيوس بك أتابك مسعود يحرضه على نكبة البرسقى وانه يسلطن السلطان محمودا ووعده على ذلك بالاموال وحرضهم على طلب الامر لمسعود ليقع الاختلاف فيحصل له

علوا الكلمة كما حصل لابيه فى فتنة بركيارق ومحمد وبعثوا البرسقى بسعاية دبيس يخشى على
نفسه ولحق بالسلطان محمود فقتله واعلى محله ثم اتصل بالملك مسعود الاستاذ أبو اسمعيل
الحسين بن على الاصبهانى الطغرائى (١) وكان ابنه أبو الوليد محمد بن أبى اسمعيل
يكتب الطغرى للملك مسعود فلما وصل أبوه استوزره مسعود وعزل أبا على بن عمار
صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة فأغرى مسعودا بالخلاف على أخيه السلطان محمود
وكتب اليهم السلطان بالترغيب والترهيب فاظهروا أمرهم وخاطبوا الملك مسعودا
بالسلطان وضربوا له النوب الخمس وأغروا اليه السير وهو فى خف من العساكر فسار
اليهم فى خمسة عشر ألفا وفى مقدمته البرسقى ولقيهم بعقبة استراباد منتصف ربيع
الاول سنة أربع عشرة فانهزم الملك مسعود وأصحابه وأسر جماعة من أعيانهم منهم
الاستاذ أبو اسمعيل الطغرائى وزير الملك مسعود فأمر السلطان محمود بقتله وقال
ثبت عندى فساد عقيدته وكان قتله لسنة من وزارته وكان كاتبا شاعرا يميل الى صناعة
الكيمياء وله فيها تصانيف معروفة ولما انهزم الملك مسعود لحق ببعض الجبال على اثنى
عشر فرسخا من المعركة فاختفى فيه مع غلمان صغار وبعث يستأمن الى أخيه فأرسل
اليه اقسنقر البرسقى يؤمنه ويجيء به اليه وخالفه اليه بعض الامراء وحرضه على اللحاق
بالموصل واذربيجان ومكاتبة دبيس ومعاودة الحرب فسار معه لذلك وجاء البرسقى الى
مكانه الاول فلم يجده فاتبعه الى أن أدركه على ثلاثين فرسخا وأعلمه بحال أخيه من
الرضا عنه وأعاده فرجع وتلقته العساكر بأمر السلطان محمود وأمر بعمد أمه ثم
أحضره وعانقه وبكى وخلطه بنفسه وذلك لثمانية وعشرين يوما من الخطبة باذربيجان
وأما جيوش بك الاتابك فافترق من السلطان من المعركة وسار الى الموصل وجمع الغلال
من سوادها واجتمعت اليه العساكر وبلغه فعل السلطان مع أخيه فسار الى الزاب
موريا بالصيد ثم أجد السير الى السلطان بهمدان فأمنه وأحسن اليه ولما بلغ الخبر بالهزيمة
الى دبيس وهو بالعراق نهب البلاد وأخربها وبعث اليه السلطان فلم يصغ الى كتابه

(ولاية اقسنقر البرسقى على الموصل ثم على واسط وشحنة العراق)

ولما وصل جيوش بك الى السلطان محمود بعثه الى أخيه طغرل وأتابك كبغرى فسار
الى كنجة وبقى أهل الموصل فوضى من غير وال وكان اقسنقر البرسقى قد أبلى فى خدمة
السلطان محمود وردّ اليه أخاه مسعودا يوم الهزيمة فعرف له حق نعمته وحسن أثره
وأقطعه الموصل وأعمالها وما يضاف اليها كسنجار والجزيرة فسار اليها سنة خمس
عشرة وتقدم الى سائر الامراء بطاعته وأمره بمجاهدة الافرنج واسترجاع البلاد منهم
فوصل الى الموصل وقام بتدبيرها واصلاح أحوالها ثم أقطعه سنة ست عشرة بعدها

مدينة واسط وأعمالها مضافة الى الموصل وجعله شحنة بالعراق فاستخلف عماد الدين زنكى بن اقسنقر وبعثه اليها فسار اليها فى شعبان من السنة

(مقتل حيوس بك والوزير الشهيرمى)

ثم ان السلطان بعد وصول حيوس بك بعثه لحرب أخيه طغرل كما قلناه وأقطعه اذربيجان فتنكرله الامراء وأغروا به السلطان فقتله على باب هرمز فى رمضان سنة عشر وأصله تركى من موالى السلطان محمد وكان عادلا حسن السيرة ولما ولى الموصل والجزيرة وكان الاكراد بتلك الاعمال انتشروا وكثرت قلاعهم وعظم فسادهم فقصدهم وفتح كثيرا من قلاعهم كبلد البكارية وبلد الزوزن وبلد النكوسة وبلد الحشبية وهربوا منه فى الجبال والشعاب والمضايق وصلحت السابلة وأمن الناس وأما الوزير الكمال أبو طالب الشهيرمى فانه برز مع السلطان دبيس الى همدان وخرج فى موكبه وضاق الطريق فتقدم الموكب بين يديه فوثب عليه باطنى وطعنه بسكين فأنفذه واتبعه الغلمان فوثب عليه آخر فجذبه عن سرجه وطعنه طعنات وشردهم الناس عنه فوثب آخر فجذبه وذلك لاربع سنين من وزارته وكان سيئ السيرة فغلوا غشوما كثير المصادر ولما قتل رفع السلطان ما كان أحدث من المكوس

(رجوع طغرل الى طاعة أخيه السلطان محمود)

قد ذكرنا عصيان طغرل على أخيه السلطان محمود بالرى سنة ثلاث عشرة وأن السلطان محمود سار اليه وكبسه فلحق بزجهان ثم لحق منها بكنجة وبلاد أران ومعه أتابك كبغرى فاشتدت شوكته وقصد التغلب على بلاد اذربيجان وهلك كبغرى فى شوال سنة خمس عشرة ولحق باقسنقر الارمنى صاحب مراغة ليقيم له الاتابكية وحرضه على قتال السلطان محمود فسار معه الى مراغة ومروا باردبيل فامتنعت عليهم فساروا الى هرمز وجاءهم الخبر هنالك بأن السلطان محمود بعث الامير حيوس بك الى أذربيجان وأقطعه البلاد وأنه وصل الى مراغة فى عسكر كثيف فساروا عن هرمز الى
وانتقض عليهم وراسلوا الامير شيركين الذى كان أتابك طغرل أيام أبيه يستنجدبه وكان كبغرى الاتابك قبض عليه بعد السلطان محمد ثم أطلقه السلطان سنجر وعاد الى أبهر وزنجان وكانت أقطاعه فأجاب داعيهم وسار أمامهم الى أبهر ولم يتم أمرهم فراسلوا السلطان فى الطاعة وعاد طغرل الى أخيه وانتظم أمرهم

(مقتل وزير السلطان محمود)

كان وزير السلطان محمود شمس الملك بن نظام الملك وكان حظيا عنده فكثرت سعاية

أصحابه به وكان ابن عمه الشهاب أبو المحاسن وزير السلطان سنجر فتوفى واستوزر
سنجر بعده أبا طاهر القمى عدو بنى نظام الملك فأغرى السلطان سنجر حتى أمر
السلطان محمود بنكبته فقبض عليه ودفعه الى طغرل فحبسه بقلعة جلال ثم قتله بعد
ذلك وكان أخوه نظام الدين أحمد قد استوزره المسترشد وعزل به جلال الدين أبا على
ابن [بياض بالأصل] فلما بلغه نكبة شمس الملك ومقتله عزل أخاه نظام الدين وأعاد ن
الى وزارته والله سبحانه وتعالى أعلم

(ظفر السلطان بالكرج)

ثم وفد سنة سبع عشرة على السلطان محمود جماعة من أهل [بياض بالأصل] وشروان
يستصرخونه على الكرج ويشكون ما يلقون منهم فسار اليهم فلما تقارب
العسكران هم السلطان بالرجوع وأشار به وزيره شمس وتطارح عليه أهل شروان
فأقام وباتوا على وجل ثم وقع الاختلاف بين الكرج وقفجاق واقتتلوا وانهزموا ورحلوا
منهزمين وعاد السلطان الى همدان والله تعالى أعلم

(عزل البرسقى عن شحنة العراق وولاية برنقش الزكوى)

كان الخليفة المسترشد قد وقعت بينه وبين دبيس بن صدقة حروب شديدة بنواحى
المباركة من أطراف غانة وكان البرسقى معه وانهزم دبيس فيها هزيمة شنيعة كما مر
فى أخباره وقصد غزية فلم يجيبوه بصرخوه فقصد المنتفق وسار بهم الى البصرة
فدخلوها واستباحوها وقتلوا مكان نائبها فأرسل الخليفة الى البرسقى بالنكير على
اهمال أمر دبيس حتى فتك فى البصرة فسار البرسقى اليه وهرب دبيس فلحق بالافرنج
وجاء معهم لحصار حلب فامتنعت ولحق بطغرل بن السلطان محمد يستحثه لقصد العراق
كما مر ذلك فى أخبار دبيس وبقيت فى نفس المسترشد عليه ولحقتها أمثالها فتنكر
له وبعث الى السلطان محمود فى عزله فعزله وأمره بالعود الى الموصل لجهاد الافرنج
ووصل نائب برنقش الى بغداد وأقام بها الشحنة وبعث السلطان ابنه الصغير ليكون
معه على الموصل وسار البرسقى به ووصل الموصل وقام بولايتها

(بداية أمر بنى اقسنقر وولاية عماد الدين زنكى على البصرة)

كان عماد الدين زنكى فى جملة البرسقى ولما أقطعه السلطان واسط بعث عليها زنكى
فأقام فيها أياما ثم كان مسير البرسقى الى البصرة فى اتباع دبيس فلما هرب دبيس عنها
بعث البرسقى اليها عماد الدين زنكى فأقام بحمايتها ودفع العرب عنها ثم استدعاه
البرسقى عندما سار الى الموصل فتضجر من تنقل الاحوال عليه واختار اللحاق بأصبهان

فقدم عليه باصبهان فأكرمه السلطان وأقطعه البصرة وعاد اليها سنة ثمان عشرة والله تعالى أعلم

(استيلاء البرسقى على حلب)

لما سار دبيس الى الافرنج حرضهم على حلب وان يثوب فيها اغنهم ووجدهم قد ملكوا مدينة صور وطمعوا فى بلاد المسلمين وساروا مع دبيس الى حلب فحاصروها حتى جهد أهلها الحصار وبها يومئذ تاس بن ابن ارتق فاستنجدوا بالبرسقى صاحب الموصل وشرط عليهم ان يمكنوه من القلعة ويسلموها الى نوابه وسار الى انجادهم فاجفل عنهم الافرنج ودخل الى حلب فأصلح أمورها ثم سار الى كفرطاب فملكها من الافرنج ثم سار الى قلعة عزاز من أعمال حلب وصاحبها جوسكين فحاصرها وسارت اليه عساكر الافرنج فانهزم وعاد الى حلب فخلف فيها ابنه مسعودا وعبر الفرات الى الموصل

بياض بالاصل

(مسير طغرل ودبيس الى العراق)

ولما ارتحل الافرنج عن حلب فارقهم دبيس ولحق بالملك طغرل فتلقاه بالكرامة والمبرة وأغراه بالعراق وضمن له ملكه فساروا لذلك سنة تسع عشرة وانتهوا الى دقوقا فكتب مجاهد الدين بهرام بن تكريت الى المسترشد بخبرهم فتجهز للقائهم وأمر برنقش الزكوى ان يتجهز معه خامس صفر وانتهى الى الخالص وعدل طغرل ودبيس الى طريق خراسان ثم نزلوا رباط جلولاء ونزل الخليفة بالدسكرة وفى مقدمته الوزير جلال الدين بن صدقة وسار دبيس الى جسر النهروان لحفظ المقابر وقد كان رأيه مع طغرل أن يسير طغرل الى بغداد فيملكها وتقدم دبيس فى انتظاره فقعد به المرض عن لحاقه وغشيتهم أمطار أثقلتهم عن الحركات وجاء دبيس الى النهروان طريحا من التعب والبرد والجوع واعترضوا ثلاثين حملا للخليفة جاءت من بغداد بالملبوس والمأكول فطعموا وأكلوا وناموا فى دفء الشمس واذا بالمسترشد قد طلع عليهم فى عساكره بلغه الخبر بأن دبيسا وطغرل خالفوه الى بغداد فاضطرب عسكره واجفلوا راجعين الى بغداد فلقوا فى طريقهم دبيسا كما ذكرنا على دبال غرب النهروان ووقف الخليفة عليه فقبل دبيس الارض واستعطف حتى هم الخليفة بالعفو عنه ثم وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه ووقف دبيس مع برنقش الزكوى يحادثه ثم شغل الوزير بعقد الجسر للعبور فتسلل دبيس ولحق بطغرل وعاد المسترشد الى بغداد ولحق طغرل ودبيس بهمذان فعاثوا فى أعمالها وصادروا أهلها وخرج اليهم السلطان محمود فانهزموا بين يديه ولحقوا بالسلطان سنجر بخراسان شاكين من المسترشد وبرنقش

بياض بالاصل

النصحة والله أعلم بغيبه وأحكم

(مقتل البرسقي وولاية ابنه عز الدين على الموصل)

ثم ان المسترشد تنكر للشحنة برنقش وتهدده فلحق بالسلطان محمود في رجب سنة عشرين
وأغراه بالمسترشد وخوفه غائلته وانه تعود الحروب وركب الجيش ويوشك أن يمتنع عليك
ويستصعب عليك فاعتزم السلطان على قصد العراق وبعث اليه الخليفة يلاطفه في الرد
لغلاء البلاد وخرابها ويؤخره الى حين صلاحها فصدق عنده حديث الزكوي وسار
مجدا وعبر المسترشد بأهله وولده وأولاد الخلفاء الى الجانب الغربي في ذي القعدة راحلا
عن بغداد والناس باكون لفراقه وبلغ ذلك الى السلطان فشق عليه وأرسل يستعطفه في
العود الى داره فشرط عليه الرجوع عن العراق في الوقت فكان شرطا أولا فغضب
السلطان وسار نحو بغداد والخليفة بالجانب الغربي ثم أرسل خادمه عفيفا الى واسط
يمنع عنها نواب السلطان فسار اليه عماد الدين زنكي من البصرة وهزمه وفتك في عسكره
قتلا وأسرا وجمع المسترشد السفن اليه وسد أبواب قصره ووكل حاجب الباب ابن
الصاحب بدار الخلافة ووصل السلطان الى بغداد في عشري ذي الحجة ونزل بباب
الشماسية وأرسل المسترشد في العود والصلح وهو يمتنع وجرت بين العسكرين مناوشة
ودخل جماعة من عسكر السلطان الى دار الخليفة ونهبوا التاج أول المحرم سنة
احدى وعشرين وخمسمائة فضج العامة لذلك ونادوا بالجهاد وخرج المسترشد من
سرادقه ينادي بأعلى صوته وضربت الطبول ونفخت البوقات ونصب الجسر وعبر
الناس دفعة وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب في دور الخلافة والامراء وكان في دار
الخلافة ألف رجل كامنون في السرداب فخرجوا عند ذلك ونالوا من عسكر السلطان
وأسروا جماعة من أمرائه ونهب العامة دور وزير السلطان وأمرائه وحاشيته وقتل
منهم خلق وعبر المسترشد الى الجانب الشرقي في ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداد
والسواد ودفع السلطان وعسكره عن بغداد وحفر عليها الخنادق واعتزموا على كبس
السلطان فأتاهم أبو الهيجاء الكردي صاحب اربل ركب للقتال فلحق بالسلطان
ووصل عماد الدين زنكي من البصرة في جيش عظيم في البر والبحر أدهل الناس برؤيته
فجام المسترشد عن اللقاء وترددت الرسل بينهما فأجاب الى الصلح وعفا السلطان عن أهل
بغداد وأقام بها الى عاشر ربيع الآخر وأهدى اليه المسترشد سلاحا وخيلا وأموالا
ورحل الى همدان وولى زنكي بن آقسنقر شحنة بغداد ثقة بكفايته واستقامت
أحواله مع الخليفة وأشار به أصحابه ورأوا أنه يرقع الخرق ويصلح الامر فولاه على ذلك
مضافا الى ما بيده من البصرة وواسط وسار الى همدان وقبض في طريقه على وزيره أبي

القاسم علي بن الناصر الشاذي اتهمه بإمالة المسترشد لكثرة سعيه في الصلح فقبض عليه واستدعى شرف الدولة أنوشروان بن خالد من بغداد فلحقه بأصبهان في شعبان واستوزره عشرة أشهر ثم عزله ورجع الى بغداد وبقي أبو القاسم محبوسا الى أن جاء السلطان سنجر الى الري فأطلقه وأعاده الى وزارة السلطان محمود آخر ثنتين وعشرين

وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها ثم استيلاؤه على حلب

ولما استولى عز الدين على الموصل وأعمالها واستفحل أمره طمعت همته الى الشام فاستأذن السلطان في المسير اليه وسار الى دمشق ومر بالرحبة فحاصرها وتملكها ثم مات اثر ذلك وهو عليها وافترقت عساكره وشغلوا عن دفنه ثم دفن بعد ذلك ورجعت العساكر الى الموصل وقام بالامر مملوكه جاولي ونصب أخاه الاصغر وأرسل الى السلطان يطلب تقرير الولاية له وكان الرسول في ذلك القاضي بهاء الدين أبو الحسين علي الشهرزوري وصلاح الدين محمد الباغسياني أمير حاجب البرسقي واجتمعا بنصير الدين جعفر مولى عماد الدين زنكي وكان بينه وبين صلاح الدين سر فخوفهما جعفر ابن جاولي وحملهما على طلب عماد الدين زنكي وضمن لهما عنه الولايات والاقطاع فأجابوه وجاء بهما الى الوزير شرف الدين أنوشروان ابن خالد فقالا له ان الجزيرة والشأم قد تمكن منهما الافرنج من حدود ماردين الى عريش مصر وكان البرسقي يكفهم وقد قتل وولده صغير ولابد للبلد ممن يضطلع بأمرها ويدفع عنها وقد خرجنا عن النصيحة اليكم فبلغ الوزير مقالتهما الى السلطان فأحضرهما واستشارهما فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه مقربا الى خزانة السلطان مالا جزيلا فولاه السلطان لما يعلم من كفايته وولى مكانه شحنة العراق مجاهد الدين بهروز صاحب تكريت وسار عماد الدين زنكي فبدأ بالبوازيج وملكها ثم سار الى الموصل وتلقاه جاولي مطيعا وعاد الى الموصل في خدمته فدخلها في رمضان وأقطع جاولي الرحبة وبعثه اليها وولى نصير الدين جعفر اقلعة الموصل وسائر القلاع وجعل صلاح الدين محمد الباغسياني أمير حاجب وولى بهاء الدين الشهرزوري قضاء بلاده جميعا وزاده أملاكا وأقطاعا وشركه في رأيه ثم سار الى جزيرة ابن عمر وقد امتنع بها مماليك البرسقي فجد في قتالهم وكانت دجلة تحول بينه وبين البلد فعبر بعسكره الماء سبحا واستولى على المسافة التي بين دجلة والبلد وهزم من كان فيها الى الخاصة حتى أحجرهم بالبلد وضيق حصارهم فاستأمنوا وأمنهم ثم سار الى نصيبين وهي لحسام الدين تمرتاش ابن أبي الغازي صاحب ماردين فحاصرها واستنجد حسام الدين بن عمه ركن الدولة

داود بن سكمان بن ارتق صاحب كيفا فأنجده بنفسه وأخذ فى جمع العساكر ونمت تمرتاش ماردين الى نصيبين يعرف العساكر بالخبر وأن العساكر واصلة اليهم عن خمسة أيام وكتبه فى رقعة وعلقها فى جناح طائر فاعترضه عسكر زنكي وصادوه وقرأ زنكي الرقعة وعوض الخمسة أيام بعشرين يوما وأطلق الطائر بها الى البلد فقرؤا الكتاب وسقط فى أيديهم واستطالوا العشرين واستأمنوا العماد الدين زنكي فأمنهم وملك نصيبين وسار عنها الى مضايا وملكها صلحا وبعث العساكر الى الخابور وملكها ثم سار الى حران وخرج اليه أهل البلد بطاعتهم وكانت الرها وسروج والبيرة ونواحيها للافرنج وعليها جوسكين صاحب الرها فكاتب زنكي وهادنه ليتفرغ للجهاد بعد ثم عبر الفرات الى حلب فى المحرم سنة ثنتين وعشرين وقد كان عز الدين مسعود بن اقسنقر البرسقي لما سار عنها الى الموصل بعد قتل أبيه استخلف عليها قرمان من امرائه ثم عزله بآخر اسمه قطلغ ابه وكتب له الى قرمان فعرضه الا أن يرى العلامة التى بينه وبين عز الدين ابن البرسقي وعاد قطلغ الى مسعود ليجئ بالعلامة ووجده قد مات بالرحبة فعاد الى حلب وأطاعه رئيسها فضائل بن بديع والمقدمون بها واستنزلوا قرمان من القلعة على ألف دينار أعطوها اياها وملك قطلغ القلعة منتصف احدى وعشرين ثم ساءت سيرته وظهر ظلمه وجوره وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق وكان ملكها قبل وخلع عنها فدعا الناس الى البيعة وثار بقطلغ فامتنع بالقلعة فحاصروه وجاءهم صاحب منبج وحسن صاحب مراعة لاصلاح أمرهم فلم يتفق وطمع الافرنج فى ملكها وتقدم جوسكين بعسكره اليها فدافعوه بالمال ثم وصل صاحب انطاكية فحاصرهم الى آخر السنة وهم محاصرون القلعة فلما ملك عماد الدين زنكي الموصل والجزيرة والشام وأطاعوا وسار عبد الجبار وقطلغ الى عماد الدين بالموصل وأقام أحد الامير بن بحلب حتى بعث عماد الدين زنكي صاحبه صلاح الدين محمد الباغيسانى فى عسكر فملك القلعة ورتب الامور وولى عليها وجاء عماد الدين بعساكره فى أثره وملك فى طريقه منبج ومراعة ثم دخل حلب وأقطع أعمالها الاجناد والامراء وقبض على قطلغ ابه وسلمه لابن بديع فكحله فمات واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعفر وأقام عماد الدين مكانه فى رياسة حلب أبا الحسن على بن عبد الرزاق

(قدوم السلطان سنجر الى الرى ثم قدوم السلطان محمود الى بغداد)

لما وصل طغرل ودبيس الى السلطان سنجر بخراسان حرضه دبيس على العراق والسلطان محمود وقد اتفقا على الامتناع منه فسار سنجر وأخبر السلطان محمود باستدعائه فوافاه لاقرب وقت وأمر العساكر بتلقيه وأجلسه معه على التخت وأقام السلطان محمود

عنده الى آخر ثنتين وعشرين ثم رجع سنجر الى خراسان بعد أن أوصى محمود بدبيس وأعاده الى بلده ورجع محمود الى همذان ثم سار الى العراق وخرج الوزير للقائه ودخل بغداد فى تاسوعاء سنة ثلاث وعشرين ثم لحقه دبيس بمائة ألف دينار فى ولاية الموصل وسمع بذلك زنكى وجاء الى السلطان وحمل المائة ألف مع هدايا جليلة فخلع عليه وأعاده وسار منتصف السنة عن بغداد الى همذان بعد أن ولى الحلة مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد

(وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود) ثم توفى السلطان محمود بهمذان فى شوّال سنة خمس وعشرين لثلاث عشرة سنة من ملكه بعد أن كان قبض على جماعة من امرائه وأعيان دولته منهم عزيز الدولة أبو نصر أحمد بن حامد المستوفى وأنوشتكين المعروف بشيركين بن حاجب وابنه عمر نخافهم الوزير أبو القاسم الشابادى فاغرى بهم السلطان فنكبهم وقتلهم ولما توفى اجتمع الوزير أبو القاسم والاتابك اقسنقر الاحمديلى وبايعوا الابنه داود وخطبوا له فى جميع بلاد الجبل وأذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت وهرب الوزير الى الرى مستجيرا بالسلطان فأمنه بها

(منازعة السلطان مسعود لداود ابن أخيه واستيلاؤه على السلطان بهمذان)

لما هلك السلطان محمود سار أخوه مسعود من جرجان الى تبريز فملكها فسار داود من همذان فى ذى القعدة سنة خمس وعشرين وحاصره بتبريز فى محرم سنة ست وعشرين ثم اصطلحوا وتأخر داود عن الامر لعمه مسعود فسار مسعود من تبريز الى همذان وكاتب عماد الدين زنكى صاحب الموصل يستنجده فوعده بالنصر وأرسل الى المسترشد فى طلب الخطبة ببغداد وكان داود وقد أرسل فى ذلك قبله . ورد المسترشد الامر فى الخطبة الى السلطان سنجر ودس اليه أن لا يأذن لواحد منهما وان تكون الخطبة له فقط وحسن موقع ذلك عنده وسار السلطان مسعود الى بغداد وسبقه اليها أخوه سلجوق شاه مع اتابك قراجا الساقى صاحب فارس وخوزستان ونزل فى دار السلطان واستخلفه الخليفة لنفسه ولما سار السلطان مسعود أوعز الى عماد الدين زنكى أن يسير الى بغداد فسار من الموصل اليها وانتهى السلطان مسعود الى عباسة الخالص وبرزت اليه عساكر المسترشد وسلجوق شاه وسار قراجا الساقى الى مدافعة زنكى فدافعه على المعشوق فهزمه وأسر كثيرا من أصحابه ومر منهزما الى تكريت وبها يومئذ نجم الدين أيوب أبو الاملاك الايوبية فهيأ له المعابر وعبر دجلة الى بلاده وسار السلطان مسعود من العباسة وقاتلت طلائعه طلائع أخيه سلجوق وبعث سلجوق يستحث قراجا

ومدافع رام زنكي فعاد سنجر بعد وتأخر السلطان مسعود بعد هزيمة زنكي وأرسل الى المسترشد بأن عمه سنجر وصل الى الرى عازما على بغداد ويشير عدا فعته عن العراق وتكون العراق لوكيل الخليفة ثم تراسل القوم واتفقوا على ذلك وتقرر الامر عليه وان يكون مسعود السلطان ولى العهد ودخلوا الى بغداد فنزل مسعود بدار السلطان وسلجوق دار الشحنة والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

* (هزيمة السلطان مسعود وملك طغرل أخيه) *

لما توفى السلطان محمود سار السلطان سنجر من خراسان الى بلاد الجبال ومعه طغرل ابن أخيه محمد وانتهى الى الرى ثم سار الى همذان فسار مسعود لقتاله ومعه قراجا الساقى وسلجوق شاه وقد كان الخليفة عزم أن لا يتجهز معهم فأبطأ فبعثوا اليه قراجا فسار الى خانقين وأقام وقطعت خطبة سنجر من العراق وحالفهم الى بغداد دبيس وزنكي وقد سمى اقطاعه لنصر الخادم وزنكي ولاه شحنة بغداد فرجع المسترشد الى بغداد لموافقتهما وسار السلطان وأخوه سلجوق شاه للقاء سنجر ثم جمعا بكثرة عساكره فتأخروا سار فى طلبهم يوما وليلة ثم تراجعوا عند الدينور وكان مسعود يماطل باللقاء انتظارا للمسترشد فلم يحصل نداء فى اللقاء فالتقوا على القبة وحمل قراجا عليهم وتورط فى المعركة وأصيب بجراحات ثم انتقوا عليه وأسروه وانهزم من أصحاب مسعود قزل وقد كان واطأهم على الهزيمة فانهزم السلطان مسعود عند ذلك منتصف سنة ست وعشرين وقتل كثير من أكابر الامراء ونزل سنجر فى خيامهم وأحضر قراجا فقتله وجيء اليه بالسلطان مسعود فأكرمه وأعاده الى كنجة وخطب للملك طغرل ابن أخيه فى السلطنة وخطب له فى جميع البلاد واستوزر له أبا القاسم السابادى وزير السلطان محمود وعاد الى نيسابور آخر رمضان سنة ست وعشرين وخمسمائة

* (هزيمة السلطان داود واستيلاء طغرل بن محمد على الملك) *

لما ولى طغرل همدان وولى عمه السلطان سنجر الى خراسان وبلغه أن صاحب ما وراء النهر المرخان قد انتقض عليه فسار لاصلاحه وشغل بذلك فقام الملك داود بأذربيجان وبلاد كنجة وطلب الامر لنفسه وجمع العساكر وسار الى همدان ومعه برتقش الزكوى واتابك اقسنقر الاحمديلي ومعه طغرل بن برسق ونزل وقد استقر ثم اضطرب عسكر داود وأحسوا من برتقش الزكوى بالفشل فنهب التركمان خيامه وهرب اقسنقر اتابك وانهزم فى رمضان سنة ست وعشرين ثم قدم بغداد فى ذى القعدة ومعه اتابك اقسنقر فأكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان

(عود السلطان مسعود الى الملك وهزيمة طغرل) قد تقدم انا هزيمة السلطان مسعود من عمه سنجر وعوده الى كنجة وولاية طغرل السلطان ثم محاربة داود ابن أخيه له وانهزام داود ثم رجوع داود الى بغداد فلما بلغ الخبر الى مسعود جاء الى بغداد ولقيه داود قريبا منها وترجل له عن فرسه ودخلا بغداد فى صفر سنة سبع وعشرين ونزل مسعود بدار السلطان وخطب له ولداود بعده وطلبا من السلطان عسكرا ليسيره معهما الى اذربيجان فبعث معهما العساكر الى اذربيجان ولقيهم اقسنقر الاحمر يلى فى مراغة بالاقامة والاموال وملك مسعود بلاد اذربيجان وهرب بين يديه من كان بها من الامراء وامتنعوا بمدينة اذربيجان فحاصرهم بها وملكها عليهم وقتل منهم جماعة وهرب الباقون ثم سار الى همذان لمحاربة أخيه طغرل فهزمه وملك همذان فى شعبان من السنة ولحق طغرل بالرى وعاد الى اصبهان ثم قتل اقسنقر الاحمر يلى بهمذان غيلة ويقال ان السلطان مسعود ادس عليه من قتله ثم سار الى حصار طغرل باصبهان ففارقها طغرل الى فارس وملكها مسعود وسار فى أثر طغرل الى البيضاء فاستأمن اليه بعض أمراء طغرل فأمنه وخشى طغرل أن يستأمنوا اليه فقصد الرى وقتل فى طريقه وزيره أبا القاسم السابادى فى شوال من السنة ومثل به غلمان الامير شيركير الذى سعى فى قتله كامرّ ثم سار الامير مسعود يتبعه الى أن تراجعا ودارت بينهما حرب شديدة وانهزم طغرل وأسر من أمرائه الحاجب تنكى وأتى بقرا وأطلقهما السلطان مسعود وعاد الى همذان والله تعالى أعلم

(عود الملك طغرل الى الجبل وهزيمة السلطان مسعود)

ولما عاد مسعود من حرب أخيه طغرل بلغه انتقاض داود ابن أخيه محمود باذربيجان فسار اليه وحاصره بقلعة [بياض بالاصل] فرجع طغرل العساكر وتغلب على بلاده وسار اليه واستعمل بعض قواده فسار مسعود للقائه ولقيه عند قزوين وفارق مسعود الامراء الذين استمالهم طغرل ولحقوا به فانهزم مسعود فى رمضان سنة ثمان وعشرين وبعث الى المسترشد يستأذنه فى دخول بغداد فأذن له وكان أخوه سلجوق باصبهان مع نائبه فيها البقش السلاحى فلما سمع بانهزامه سبقه الى بغداد وأنزله المسترشد بدار السلطان وأحسن اليه بالاموال ووصل مسعود وأكثر أصحابه رجلا فوسع عليه الخليفة بالانفاق والمراكب والظهر واللباس والآلة ودخل دار السلطان منتصف شوال وأقام طغرل بهمذان

(وفاة طغرل واستيلاء مسعود على الملك) ولما وصل مسعود الى بغداد حمل اليه المسترشد ما يحتاج اليه وأمره بالمسير الى همذان لدافعة طغرل ووعده بالمسير معه

بنفسه قتباطأ مسعود عن المسير واتصل جماعة من أمرائه بخدمة الخليفة ثم اطلع على مداخلة بعضهم لطغرل فقبض عليه ونهب ماله وارتاب الآخرون فهربوا عن السلطان مسعود وبعث المسترشد فى اعادتهم اليه فدافعه ووقعت لذلك بينهما وحشة وقعد المسترشد عن نصرة بنفسه وبينما هم فى ذلك وصل الخبر بوفاة أخيه طغرل فى المحرم سنة تسع وعشرين وسار مسعود الى همدان واستوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد جله من بغداد وأقبلت اليه العساكر فاستولى على همدان وبلاد الجبل اه

(فتنة المسترشد مع السلطان مسعود ومقتله وخلافة ابنه الراشد)

قد تقدم لنا ان الوحشة وقعت عندما كان ببغداد بسبب أمرائه الذين اتصلوا بخدمة المسترشد ثم هربوا عنه الى السلطان مسعود فلما سار السلطان مسعود الى همدان بعد أخيه طغرل وملكها استوحش منه جماعة من أعيان أمرائه منهم يرتقش وقزل وقرا سنقر الخمارتكين والى همدان وعبد الرحمن بن طغرليك ودبيس بن صدقة وساروا الى خوزستان ووافقهم صاحبها برسق بن برسق واستأمنوا الى الخليفة فارتاب من دبيس وبعث الى الآخرين بالامان مع سديد الدولة بن الانبارى وارتاب دبيس منهم أن يقعوا عليه فرجع الى السلطان مسعود وسار الآخرون الى بغداد فاستحثوا المسترشد للمسير الى قتال مسعود فأجابهم وبالغ فى تكرمتهم وبرز آخر رجب من سنة تسع وعشرين وهرب صاحب البصرة اليها وبعث اليه بالامان فأبى فتكاسل عن المسير فاستحثوه وسهلوا له الامر فسار فى شعبان ولحق به برسق بن برسق وبلغ عدة عسكره سبعة آلاف وتخلف بالعراق مع خادمه اقبال ثلاثة آلاف وكاتبه أصحاب الاطراف بالطاعة وأبطأ فى مسيره فاستحلهم مسعود ورجعوا اليه فكان عسكره خمسة عشر ألفا وتسلل عن المسترشد جماعة من عسكره وأرسل اليه داود بن محمود من أذربيجان يشير بقصد الدينور والمقام بها حتى يصل الى عسكره فأبى واستمر فى مسيره وبعث زنكى من الموصل عسكرا فلم يصل حتى تواقعوا وسار السلطان محمود اليهم مجدا فوافاهم عاشر رمضان ومالت ميسرة المسترشد اليه وانهزمت ميمنته وهو ثابت لم يتحرك حتى أخذ أسيرا ومعه الوزير والقاضى وصاحب المخزن وابن الانبارى والخطباء والفقهاء والشهود فأنزل فى خيمة ونهب مخيمه وحمل الجماعة أصحابه الى قلعة ترجمعان ورجع بقية الناس الى بغداد ورجع السلطان الى همدان وبعث الامير بك ابه الى بغداد شحنة فوصلها سلخ رمضان ومعه عميد وقبضوا أملاك المسترشد وغلاتها وكانت بينهم وبين العامة فتنة قتل فيها خلق من العامة وسار السلطان فى شوال الى مراغة وقد ترددت الرسل بينهما فى الصلح على مال يؤديه المسترشد وأن لا يجمع العساكر ولا يخرج

من داره لحرب ماعاش وأجابه السلطان وأذن له فى الركوب وحمل الغاشية وفارق المسترشد بعض الموكلين به فهجم عليه جماعة من الباطنية فألحوه جراحا وقتلوه ومثلوا به جدعا وصلبا وتركوه سليبا فى نفر من أصحابه قتلوهم معه وتبع الباطنية فقتلوا وكان ذلك منتصف ذى القعدة سنة تسع وعشرين لثمان عشرة سنة من خلافته وكان كاتبا بليغا شجاعا قرما ولما قتل براغة كتب السلطان مسعود الى بك ابه شحنة بغداد بأن يبايع لابنه فبويع ابنه الراشد أبو جعفر منصور بعهده اليه لثمانية أيام من مقتله وحضر بيعته جماعة من أولاد الخلفاء وأبو النجيب الواعظ وأما اقبال خادم المسترشد فلما بلغه خبر الواقعة وكان مقيما ببغداد كما قدمناه عبر الى الجانب الغربى ولحق بتكريت ونزل على مجاهد الدين بهروز

(فتنة الراشد مع السلطان مسعود)

لما بويع الراشد بعث اليه السلطان مسعود برتقش الزكوى يطالبه بما استقر عليه الصلح مع أبيه المسترشد وهو أربعمائة ألف دينار فأنكر الراشد أن يكون له مال وانما مال الخلافة كان مع المسترشد فنهب ثم جمع الراشد العساكر وقدم عليهم كراياه وشرع فى عمارة السور واتفق برتقش مع بك ابه على هجوم دار الخلافة وركبوا لذلك فى العساكر فقاتلهم عساكر الراشد والعامة وأخرجوهم عن البلد الى طريق خراسان وسار بك ابه الى واسط وبرتقش الى سرخس ولما علم داود بن محمود فتنة عمه مسعود مع الراشد سار من اذربيجان الى بغداد فى صفر سنة ثلاثين ونزل بدار السلطان ووصل بعده عماد الدين زنكى من الموصل وصدقة بن دبيس من الحلة ومعه عنتر بن أبى العسكر يدبر أمره ويديره وكان أبوه دبيس قد قتل بعد مقتل المسترشد باذربيجان وملك هو الحلة ثم وصل جماعة من أمراء مسعود منهم برتقش بازدار صاحب قزوين والبقش الكبير صاحب اصبهان وابن برسق وابن الاحمر يلى وخرج للقائهم كراياه والطرنطاى وكان اقبال خادم المسترشد قد قدم من تكريت فقبض عليه الراشد وعلى ناصر الدولة أبى عبد الله الحسين بن جهير فاستوحش أهل الدولة وركب الوزير جلال الدين بن صدقة الى لقاء عماد الدين زنكى فأقام عنده مستجيرا حتى أصلح حاله مع الراشد واستجار به قاضى القضاة الزينبى ولم يزل معه الى الموصل وشفع فى اقبال فأطلق وسار اليه ثم جد الراشد فى عمارة السور وسار الملك داود لقتال مسعود واستحلفه الراشد واستحلفه عماد الدين زنكى وقطعت خطبة مسعود من بغداد وولى داود شحنة بغداد برتقش بازدار ثم وصل الخبر بأن سلجوق شاه أخا الامير مسعود ملك واسط وقبض على الامير بك ابه فسار الامير زنكى لدفاعه فصالحه ورجع وعبر الى طريق خراسان

اللحاق داود واشتد العساكر ثم سار السلطان مسعود لقتالهم وفارق زنكي داود ليسير الى مراغة وبعالف السلطان مسعود الى همدان وبر الراشد من بغداد أول رمضان وسار الى طريق خراسان وعاد بعد ثلاث وعزم على الحصار بغداد واستدعى داود الامراء ليكونوا معه فصده تجاوز ذلك ووصلت رسل السلطان مسعود بطاعة الراشد والتعريض بالوعيد للامراء المجتمعين عنده فلم يقبل طاعة من أحدهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(حصار بغداد وسير الراشد الى الموصل وخلعه وخلافة المقتفي)

ثم ان السلطان مسعودا أجمع المسير الى بغداد وانتهى الى الملكية فسار زين الدين على من أصحاب زنكي حتى شارف معسكره وقاتلهم ورجع ونزل السلطان على بغداد والعيارون قد أفسدوا سائر المحال ببغداد وانطلقت أيديهم وأيدي العساكر في النهب ودام الحصار نيفا وخمسين يوما وتأخر السلطان مسعود الى النهروان عازما على العود الى اصبهان فوصله طرنطاي صاحب واسط في سفن كثيرة فركب الى غربي بغداد واضطرب الامراء وافترقوا وعادوا الى اذربيجان وكان زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الراشد وسار معه الى الموصل ودخل السلطان مسعود بغداد منتصف ذي القعدة وسكن الناس وجمع القضاة والفقهاء وأوقفهم على يمين الراشد التي كتبها بخطه انى متى جمعت أو خرجت أو لقيت أحدا من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر فأفتوا بخلعه واتفق أرباب الدولة ممن كان ببغداد ومن أسر مع المسترشد وبقي عند السلطان مسعود كلهم على ذمه وعدم أهليته على ما مر في أخباره بين أخبار الخلفاء وبويع محمد بن المستظهر ولقب المقتفي وقد تقدمت هذه الاخبار أوسع من ذلك ثم بعث السلطان العساكر مع قراسنقر لطلب داود فأدركه عند مراغة وقاتله فهزمه وولى الى اذربيجان ومضى داود الى خوزستان واجتمع عليه عساكر من التركمان وغيرهم فحاصر تستر وكان عمه سلجوق بواسط فسار اليه بعدان أمره أخوه مسعود بالعساكر ولقي داود على تستر فهزمه داود ثم عزل السلطان وزيره شرف الدين أنوشروان بن خالد واستوزر كمال الدين أبا البركات بن سلامة من أهل خراسان ثم بلغه ان الراشد قد فارق الموصل فأذن للعساكر التي عنده ببغداد في العود الى بلادهم وصرف معهم صدقة بن دبيس صاحب الحلة بعد ان أصهر اليه في ابنته وقدم عليه جماعة من الامراء الذين كانوا مع داود منهم البقش السلامي وبرسق بن برسق وصاحب تستر وسنقر الخمارتكين شحنة همدان فرضي عنهم وأمنهم وعاد الى همدان سنة احدى وثلاثين

(الفتنة بين السلطان مسعود وبين داود والراشد وهزيمة مسعود ومقتل الراشد)

كان الامير بوزابة صاحب خوزستان والامير عبد الرحمن طغرليك صاحب خلخال والملك داود ابن السلطان محمود خائفين من السلطان فاجتمعوا عند الامير منكبرس صاحب فارس وبلغهم مسير الراشد من الموصل الى مراغة فراسلوه في أن يجتمعوا عليه ويردوه الى خلافته فأجابهم وبلغ الخبر الى السلطان مسعود فسار اليهم في شعبان سنة ثنتين وثلاثين وأوقع بهم وأخذ منكبرس أسيرا فقتله وافترقت عساكره للنهب فانفرد بوزابة وطغرلبك وصدقا الحملة عليه فانهزم وقبض على جماعة من الامراء مثل صدقة بن دبيس صاحب الحلة وكافلة عنتر بن أبي العساكر وابن أتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وحبسهم بوزابة حتى تحقق قتل منكبرس ولحق السلطان مسعود باذربيجان منهزما وسار داود الى همذان فملكها ووصل اليه الراشد هنالك وأشار بوزابة وكان كبير القوم بالمسير الى فارس فساروا معه واستولى عليها وملكها ولما علم سلجوق شاه وهو بواسط أن أخاه السلطان مسعود امضى الى اذربيجان سار هو الى بغداد ليملكها ودافعه البقش الشحنة ونظر الخادم أمير الحاج وثار العيارون بالبلدان وأفحشوا في النهب فلما رجع الشحنة استأصل شأفتهم وأخذ المستورين بجناياتهم فجلا الناس عن بغداد الى الموصل وغيرها ولما قتل صدقة بن دبيس أقر السلطان مسعود أخاه محمدا على الحلة ومعه مهلهل بن أبي العساكر أخو عنتر المقتول كما مر في أخباره ثم لما ملك بوزابة فارس رجع مع الراشد والملك داود ومعهما خوارزم شاه الى خوزستان وخربوا الجزيرة فسار اليهم مسعود ليمنعهم عن العراق فعاد الملك داود الى فارس وخوارزم شاه الى بلده وسار الراشد الى اصبهان فثار به نفر من الخراسانية كانوا في خدمته فقتلوه عند القائلة في خامس عشر رمضان من السنة ودفن بظاهر اصبهان ثم قبض السلطان آخر السنة على وزيره أبي البركات بن سلامة الدركزيني واستوزر بعده كمال الدين محمد بن الخازن وكان نبيها حسن السيرة فرفع المظالم وأزال المكوس وأقام وظائف السلطان وجمع له الاموال وضرب على أيدي العمال وكشف خياناتهم فثقل عليهم وأوقعوا بينه وبين الامراء فبالغوا في السعاية فيه عند السلطان وتولى كبرها قراسنقر صاحب اذربيجان فانه بعث الى السلطان يتهدده بالخروج عن طاعته فأشار على السلطان خواصه بقتله خشية الفتنة فقتله على كره وبعث برأسه الى قراسنقر فرضي وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة لسبعة أشهر من وزارته واستوزر بعده أبا العز طاهر بن محمد اليزدجردي وزير قراسنقر ولقب عز الملك وضاقت الامور على السلطان وأقطع البلاد للامراء ثم قتل السلطان البقش السلاحي الشحنة بما ظهر منه من الظلم والعسف فقبض عليه وحبسه بتكريت عند مجاهد الدين بهروز ثم أمر

فقتله فلما قرب منه ألقى نفسه في دجلة فمات وبعث برأسه الى السلطان فتقدم مجاهد الدين بهروز بعمارة بغداد فبنى أثره ثم عزله السلطان سنة ست وثلاثين وولى فيها قزل أميراً آخر من موالي السلطان محمود وكانت له بروجرد والبصرة فأضيف له اليهما والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه

(فتنة السلطان سنجر مع خوارزم شاه)

وهو أول دولة بني خوارزم قد تقدم لنا ذكر أولية محمد خوارزم شاه وهو محمد بن أبي شتكين وان خوارزم شاه لقب له وان الامير داود حبشي لما ولاه بركيارق بخراسان وقتلها كفى ولى محمد بن أبي شتكين وولى بعده ابنه أتسز فظهرت كفايته وقربه السلطان سنجر واستخلصه واستظهر به في حروبه فزاده ذلك تقدما ورفعة واستفحل ملكه في خوارزم ونمي للسلطان سنجر انه يريد الاستبداد فسار اليه سنة ثلاث وثلاثين وبرز أتسز ولقيه في التعبية فلم يثبت وانهزم وقتل من عسكره خلق وقتل له ابن فحزن عليه حزناً شديداً وملك سنجر خوارزم وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ابن أخيه محمد ورتب له وزيراً وأتابك وحاجباً وعاد الى مرو منتصف السنة فخالفه أتسز الى خوارزم وهرب سليمان شاه ومن معه الى سنجر واستولى أتسز على خوارزم وكان من أمره ما نذكر بعد ان شاء الله تعالى

(استيلاء قراسنقر صاحب اذربيجان على بلاد فارس) ثم جمع أتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وبرز طالباً بثأر أبيه الذي قتله بوزابة في المصاف كما مر وأرسل السلطان مسعود في قتل وزيره الكمال فقتله كما مر فانصرف عنه الى بلاد فارس وتحصن منه بوزابة في القلعة البيضاء ووطئ قراسنقر البلاد وملكها ولم يمكنه مقام فسلمها لسلجوق شاه ابن السلطان محمود وهو أخو السلطان مسعود وعاد الى اذربيجان فنزل بوزابة من القلعة سنة أربع وثلاثين وهزم سلجوق شاه وأسره وحبسه ببعض قلاعه واستولى على البلاد ثم هلك قراسنقر صاحب اذربيجان واران بمدينة اردبيل وكان من مماليك طغرل وولى مكانه جاولي الطغرلي والله سبحانه ولي التوفيق

(مسير جهان دانكى الى فارس) ثم أمر السلطان سنة خمس وثلاثين الامير عبد الملك جهان دانكى فسار اليها ومعها مجاهد الدين بهروز من الوصول واستمد لذلك بيوسف المعار وتفريقها بقصد الحلة معها أيضا وقصد واسط فقاتله طرنطاي وانهزم ودخل واسط ونهبها ونهب العمارية وما اليها واتبعهم طرنطاي الى البطيحة ثم سار بعسكره الى طرنطاي فلحق بتستر وكتب اسمعيل الى السلطان دفاعه عنه

(هزيمة السلطان سنجر امام الخطا واستيلاؤهم على ما وراء النهر)

وتلخيص هذا الخبر من كتاب ابن الاثير ان أتسز بن محمد ملك خوارزم واستقر بها فبعث الى الخطا وهم أعظم الترك فيما وراء النهر وأغراهم بمملكة السلطان سنجر واستنهضهم لها فساروا فى ثلثمائة ألف فارس وسار سنجر فى جميع عساكره وعبر اليهم النهر واقيهم سنة ست وثلاثين واقتتلوا أشد قتال ثم انهزم سنجر وعساكره وقتل منهم مائة ألف فيهم أربعة آلاف امرأة وأسرت زوجة السلطان سنجر ولحق سنجر بترمذ وسار منها الى بلخ وقصد أتسز مدينة مرو فدخلها مراغما للسلطان ونهب فيها وقبض على جماعة من الفقهاء والاعيان وبعث السلطان سنجر الى السلطان مسعود يأذن له فى التصرف فى الرى ليدعوه ان احتاج اليه فجاء عباس صاحب الرى بذلك الى بغداد وسار السلطان مسعود الى الرى امتثالا لامر عمه سنجر قال ابن الاثير وقيل ان بلاد تركستان وهى كاشغر وبلاد ساغون وختن (١) وطراز وغيرها مما وراء النهر كانت بيد الخانية وهم مسلمون من نسل مراسيان ملك الترك المعروف خبره مع ملوك الكينية وأسلم جدهم الاول سبق قراخان لانه رأى فى منامه ان رجلا نزل من السماء وقال له بالتركية ما معناه أسلم تسلم فى الدنيا والآخرة وأسلم فى منامه ثم أسلم فى يقظته ولما مات ملك مكانه موسى بن سبق ولم يزل الملك فى عقبه الى ارسلان خان بن سليمان بن داود بن قرخان بن ابراهيم طغماج خان بن ايلك نصر بن ارسلان بن على بن موسى بن سبق فخرج عليه قردخان وانتزع الملك منه ثم نصره سنجر وقتل قردخان وخرج بعد ذلك خوارزم ونصره السلطان سنجر ثم وأعاده الى ملكه وكان فى جنده نوع من الاتراك يقال لهم القارغلية والاتراك الغزية الذين نهبوا خراسان على ما نذكره بعد وهم صنفان صنف يقال لهم جق وأميرهم طوطى بن داديك وصنف يقال لهم برق وأميرهم برغوث ابن عبد الحميد وكان لارسلان نصرخان شريف يصحبه من أهل سمرقند وهو الاشرف ابن محمد بن أبى شجاع العلوى فحمل ابن ارسلان نصرخان وطلبوا انتزاع الملك منه فاستصرخ السلطان سنجر فعبر اليه فى عساكره سنة أربع وعشرين وخمسمائة وانتهى الى سمرقند فهرب القارغلية أمامه وعاد الى سمرقند فقبض على ارسلان خان وحبسه ببلخ فمات بها وولى على سمرقند مكانه قلج طمغاج أبا المعالى الحسن بن على بن عبد المؤمن ويعرف بحسن تكين من أعيان بيت الخانية الا أن ارسلان خان اطرحه فولاه سنجر ولم تطل أيامه فولى بعده محمود بن ارسلان خان وأبوه هو الذى ملك سمرقند من يده وهو ابن أخت سنجر وكان فى سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة قد خرج كوخان من الصين الى حدود كاشغر فى جموع عظيمة وكوخر الاعظم بلسانهم وخان السلطان فمعناه أعظم ملك ولقيه صاحب كاشغر أحمد بن الحسين الخان فهزمه وقد كان خرج قبله من الصين

الترك الخطا وكانوا في خدمة الخانية أصحاب تركستان وكان ارسلان خان محمد ابن سليمان يرتبهم على الدروب بينه وبين الصين مسالح ولهم على ذلك جرايات واقطاعات وسخط عليهم بعض السنين وعاقبهم فعظم عليهم وطلبوا مسكنا من البلاد يأمنون فيه من ارسلان خان لكثرة ما كان يغزوهم ووصفت لهم بلاد ساغون فساروا اليها ولما خرج كوخان من الصين ساروا اليه واجتمعوا عليه ثم ساروا جميعا الى بلاد ما وراء النهر ولقيهم الخان محمود بن ارسلان خان محمد في حدود بلاده في رمضان سنة احدى وثلاثين فهزموه وعاد الى سمرقند وعظم الخطب على أهلها وأهل بخارى واستمد محمود السلطان سنجر وذكر مالقي السلطان من العنت واجتمع عنده ملوك خراسان وملك سجستان من بني خلف وملك غزنة من الغوريين وملك مازندران وعبر النهر للقاء الترك في أكثر من مائة ألف وذلك لآخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وشكا اليه محمود من القارغلية فقصدهم واستجاروا بكوخان ملك الصين فكتب الى سنجر بالشفاعة فيهم فلم يشفعه وكتب اليه يدعوه للاسلام ويتهدده بكثرة العساكر فأهان الرسول وزحف للقاء سنجر والتقى الجمعان بموضع يسمى قطوان خامس صفر سنة ست وثلاثين وأبلى القارغلية من الترك وصاحب سجستان من المسلمين ثم انهزم المسلمون فقتل كثير منهم وأسر صاحب سجستان والامير قماج وزوجة السلطان سنجر فأطلقهم كوخان ومضى السلطان سنجر منهزما وملك الترك الكفار والخطا بلاد ما وراء النهر الى أن مات كوخان ملكهم سنة سبع وثلاثين ووليت بعده ابنته ثم ماتت قريبا وملكت أمها من بعدها وهي زوجة كوخان وابنه محمد وصار ما وراء النهر بيد الخطا الى أن غلبهم عليه عماد الدين محمد خوارزم شاه سنة ثنتي عشرة وستمائة

(أخبار خوارزم شاه بخراسان وصلحه مع سنجر)

ولما عاد السلطان منهزما سار خوارزم شاه الى سرخس في ربيع سنة ست وثلاثين فأطاعته ثم الى مرو الشاهجان فشفع فيهم الامام أحمد الباخرزي ونزل بظاهرها وبها وقد استدعى أبا الفضل الكرماني وأعيان أهلها للشورى فثار عامة البلد وقتلوا من كان عندهم من جنده وامتنعوا فقاتلها ودخلها عنوة وقتل كثيرا من علمائها ثم رجع في شوال من السنة الى نيسابور وخرج اليه علماؤها وزهادها يسألون معافاتهم مما نزل بأهل مرو فأعفاهم واستصفى أصحاب السلطان وقطع خطبة سنجر وبعث عسكرا الى أعمال صغد فقاتلوهم أياما ولم يطق سنجر مقاومته لمكان الخطا وجوارهم له ثم سار السلطان سنجر سنة ثمان وثلاثين لقتال خوارزم وحاصره أياما وكاد يملكها واقتحمها بعض أمرائه يوما فدافعه أتسز بعد حروب شديدة ثم أرسل

أتسز الى سنجر بالطاعة والعود الى ما كان عليه فقبله وعاد سنة ثمان وثلاثين

* (صلح زنكي مع السلطان مسعود) *

ثم وصل السلطان مسعود سنة ثمان وثلاثين الى بغداد عادته فتجهز لقصد الموصل وكان يحمل لزنكي بجميع ماوقع من الفتن فبعث اليه زنكي يستعطفه مع أبي عبد الله بن الانبارى وحمل معه عشرين ألف دينار وضمن مائة ألف على أن يرجع عنه فرجع وانعقد الصلح بينهما وكان مما رغب السلطان فى صلحه أن ابنه غازى بن زنكي هرب من عند السلطان خوفا من أبيه فرده الى السلطان ولم يجتمع به فوقع ذلك من السلطان أحسن موقع والله تعالى أعلم

* (انتقاض صاحب فارس وصاحب الرى) * كان بوزابة صاحب فارس وخوزستان كما قدمناه استوحش من السلطان مسعود فانتقض سنة أربعين وخمسمائة وبايع لمحمد ابن محمود وهو ابن أخى السلطان مسعود وسار الى ماشون واجتمع بالامير عباس صاحب الرى ووافقه على شأنه واتصل به سليمان شاه أخو السلطان مسعود وتغلبوا على كثير من بلاده فسار اليهم من بغداد فى رمضان من السنة ومعه الامير طغايرك حاجبه وكان له التحكم فى الدولة والميل الى القوم واستخلفه على بغداد الامير مهلهل ونصيرا أمير الحاج وجماعة من غلمان بهروز وسار فلما تقاربوا للحرب نزع السلطان شاه عنهم الى أخيه مسعود وسعى عبد الرحمن فى الصلح فانعقد بينهما على ما أحبه القوم وأضيف الى عبد الرحمن ولاية اذربيجان واران الى خلخال عوضا من جاولى الطغرلى واستوزر أبا الفتح بن دراست وزير بوزابة وقد كان السلطان سنة تسع وثلاثين قبض على وزيره البزدجردى واستوزر مكانه المرزبان بن عبد الله بن نصر الاصبهانى وسلم اليه البزدجردى واستصفى أمواله فلما كان هذه السنة وفعل بوزابة فى صلح القوم ما فعل اعتضد بهم على مقامه عند السلطان وتحكم عليه وعزل وزيره واستوزر له أبا الفتح هذا

* (مقتل طغايرك وعباس) *

قد قدمنا ان طغايرك وعبد الرحمن تحكما على السلطان واستبدا عليه ثم آل أمره الى أن منع بك ارسلان المعروف بابن خاص بك بن التنكرى من مباشرة السلطان وكان تربيته وخاصا به ونجى خلوته وتجهز طغايرك لبعض الوجوه فخلا به فى مجلسه فأسر السلطان الى ارسلان في القتل بطغايرك وداخل رجال العسكر في ذلك فأجاب منهم زنكي جاندار ان يباشر قتله بيده ووافق بك ارسلان جماعة من الامراء واعترضوا له فى موكبه فضربه الجاندار فصرعه عن فرسه وأجهز عليه ابن خاص بك ووقف الامراء

الذين والموا على ذلك دون الباقين معه وكان ذلك بظاهر همذان وبلغ الخبر الى السلطان مسعود ببغداد ومعه عباس صاحب الري في جيش كثيف فامتعض لذلك ونكره فداراه السلطان حتى سكن وداخل بعض الامراء في قتله فاجابوه وتولى كبر ذلك البقش كون خر صاحب اللحف وأحضر السلطان عباسا فدخل في داره وحده دون الامراء عنده وقد أكمن له في بعض المخادع رجالا وعدلوا به الى مكامنهم فقتلوه ونهبت خيامه وأصاحت البلد لذلك ثم سكنت وكان عباس من موالى السلطان محمود وكان عادلا حسن السيرة وله مقامات حسان في جهاد الباطنية وقتل في ذي القعدة سنة احدى وأربعين ثم حبس السلطان أخاه سليمان شاه في قلعة تكريت وسار عن بغداد الى اصبهان والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

(مقتل بوزابة صاحب فارس)

قد تقدم لنا ان طغايرك كان مستظهرا على السلطان بعباس صاحب الري وبوزابة صاحب فارس وخوزستان فلما قتل طغايرك وامتعض له عباس قتل اثره فانتهى الامر الى بوزابة فجمع العساكر وسار الى اصبهان سنة ثنتين وأربعين فحاصرها وبعث عسكرا آخر لحصار همذان وآخر الى قلعة الماهكي من بلاد اللحف وكان بلاد اللحف من قلاع البقش كون خر فسار اليها ومعهم عبهاشم سار بوزابة عن اصبهان لطلب السلطان مسعود فامتنع وتراءا فانهزمت ميمنة السلطان وميسرته ثم حمل السلطان ومن معه واشتد القتال بينهم وكبا الفرس ببوزابة وسيق الى السلطان فقتل بين يديه وقيل أصابه سهم فسقط ميتا وانهزمت عساكره وكان هذا الحرب من أعظم الحروب بين السلجوقية

(انتقاض الامراء على السلطان) ولما قتل طغايرك وعباس وبوزابة اختص بالسلطان ابن خاص بك ابله اليه واطرح بقية الامراء فاستوحشوا وارتابوا بأنفسهم أن يقع بهم ما وقع بالآخرين ففارقوه وساروا نحو العراق أبو ركن المسعودي صاحب كنجة واران والبقش كون خر صاحب الجبل والحاجب طرنطاى المحمودي شحنة واسط وابن طغايرك والركن وقرقوب ومعهم ابن أخي السلطان وهو محمد بن محمود وانتهوا الى حلوان فاضطرب الناس ببغداد وغلت الاسعار وبعث اليهم المقتفي بالرجوع فلم يرجعوا ووصلوا الى بغداد في ربيع الآخر من سنة ثلاث وأربعين ونزلوا بالجانب الشرقي وهرب أجناد مسعود شحنة بغداد الى تكريت ووصل اليهم علي ابن دبيس صاحب الحلة ونزل بالجانب الغربي وجمع الخليفة العساكر ثم قاتل العامة عساكر الامراء فاستطردوا لهم ثم كروا عليهم فملؤا الارض بالقتلى ثم دلت خيولهم خلال الديار فنهبوا وسوا ثم جاؤا مقابل التاج يعتذرون وترددوا الرسل الى

الخليفة سائر يومهم ثم ارتحلوا من الغد الى النهروان فعاثوا فيها وعاد مسعود من بلاد تكريت الى بغداد ثم افترق الامراء وفارقوا العراق ثم عاد البقش كوزخر والطرنطاى وابن دبيس سنة أربع وأربعين ومعهم ملك شاه بن محمود وهو ابن أخي السلطان وطلبوا من الخليفة الخطبة لملك شاه فأبى وجمع العساكر وشغل بما كان فيه من أمر عم السلطان وذلك أن السلطان سنجر بعث اليه يلومه فى تقديم ابن خاص بك و يأمره بابعاده وتهدده فغالطه ولم يفعل فسار الى الرى فبادر اليه مسعود وترضاه فرضى عنه ولما علم البقش كوزخر من اسلة المقتفى لمسعود نهب النهروان وقبض على على بن دبيس وسار السلطان بعد اقامته الى بغداد فوصلها منتصف شوال سنة أربع وأربعين فهرب الطرنطاى الى النعمانية ورحل البقش الى النهروان بعد أن أطلق على بن دبيس فجاء الى السلطان واعتذر فرضى عنه

(وفاة السلطان مسعود وولاية ملك شاه بن أخيه محمود ثم أخيه محمد من بعده)

ثم توفى السلطان مسعود بهمذان فى رجب منتصف سبع وأربعين لثنتين وعشرين سنة من طلبه الملك وبه كمل استفحال ملك السلجوقية وركب الحول دولتهم بعده وكان عهد الى ملك شاه بن أخيه محمود فلما توفى بايع له الامير بن خاص بك وأطاعه العسكر وانتهى خبر موته الى بغداد فهرب الشحنة بلالك الى تكريت وأمر المقتفى بالحوطة على داره ودور اصحاب السلطان مسعود ثم بعث السلطان ملك شاه عسكرا الى الحلة مع سلاد كرد من أمرائه فملكها وسار اليه بلالك الشحنة فخادعه حتى استمكن منه فقبض عليه وغرّقه واستبد بلالك الشحنة بالحلة وجهز المقتفى العساكر مع الوزير عون الدين ابن هبيرة الى الحلة وبعث عساكرا الى الكوفة وواسط فملكهما ووصلت عساكر السلطان ملك شاه فملكوها وسار اليها الخليفة بنفسه فارتجعها منهم وسار منها الى الحلة ثم الى بغداد آخر ذى القعدة من السنة ثم ان ابن خاص بك طمع فى الانفراد بالامر فاستدعى محمد بن محمود من خوزستان فأطمعه فى الملك ليقبض عليه وعلى أخيه ملك شاه فقبض على ملك شاه أولا لستة أشهر من ولايته ووصل محمد فى صفر من سنة ثمان وأربعين فأجلسه على التخت وخطب له بالسلطنة وحمل اليه الهدايا وقد سعى للسلطان محمد بما انطوى عليه ابن خاص بك فلما كان صبيحة وصوله فتك به وقتله وقتل معه زنكى الجاندار قاتل طغايرك وأخذ من أموال ابن خاص بك كثيرا وكان صبيا كما بينا اتصل بالسلطان مسعود وتنصح له فقدمه على سائر العساكر والامراء وكان أتوغرى التركى المعروف بشمله فى جملة ابن خاص بك ومن أصحابه ونهاه عن الدخول الى السلطان محمد فلما قتل ابن خاص بك نجا شملة الى خوزستان وكان له بها بعد ذلك ملك والله أعلم

بعيبه وأحكم

﴿تغلب الغز على خراسان وهزيمة السلطان سنجر وأسره﴾

كان هؤلاء الغز بما وراء النهر وهم شعب من شعوب الترك ومنهم كان السلجوقية أصحاب هذه الدولة وبقوا هنالك بعد عبورهم وكانوا مسلمين فلما استولى الخطا على ملك الصين وعلى ما وراء النهر عبر هؤلاء الغز الى خراسان وأقاموا بنواحي بلخ وكان لهم من الأمراء محمود ودينار وبختيار وطوطي وأرسلان ومعر وكان صاحب بلخ الأمير قماج فتقدم اليهم أن يبعدوا عن بلخ فصانعوه فتركهم وكانوا يعطون الزكاة ويؤمنون السابلة ثم عاد اليهم في الانتقال فامتنعوا واجتمعوا فخرج اليهم في العساكر وبذلوا له مالا فلم يقبل وقاتلوه فهزموه وقتلوا العسكر والرعايا والفقهاء وسبوا العيال ونجا قماج الى مرو وبها السلطان سنجر فبعث اليهم يتهددهم ويأمرهم بمفارقة بلاده فلاطفوه وسألوه فلم يقبل وسار اليهم في مائة ألف فهزموه وأثخنوا في عسكره وقتل علاء الدين قماج وأسروا السلطان سنجر ومعه جماعة من الأمراء فقتلوا الأمراء واستقروا السلطان سنجر وبايعوه ودخلوا معه الى مرو وطلب منه بختيار اقطاعها فقال هي كرسي خراسان فضرطوا به ثم دخل سنجر خانقاه فقسطوا على الناس وطالبوهم وعسفوهم وعلقوا في الأسواق ثلاث غرائر وطالبوهم بملئها ذهبا فقتلته العامة ودخل الغز نيسابور ودمروها تدميرا وقتلوا الكبار والصغار وأحرقوها وقتلوا القضاة والعلماء في كل بلد ولم يسلم من خراسان غير هراة وسجستان لحصانتهما وقال ابن الأثير عن بعض مؤرخي العجم ان هؤلاء الغز انتقلوا من نواحي التغزغز من أقاصي الترك الى ما وراء النهر أيام المقتفي وأسلموا واستظهر بهم المقنع الكندي على مخارقه وشعوذته حتى تم أمره فلما سارت اليه العساكر خذلوه وأسلموه وفعلوا مثل ذلك مع الملوك الخانية ثم طردهم الأتراك القارلغية عن اقطاعهم فاستدعاهم الأمير زنكي بن خليفة الشيباني المستولي على حدود طخارستان وأنزلهم بلاده واستظهر بهم على قماج صاحب بلخ وسار بهم لمحاربته فخذلوه لأن قماج كان استمالهم فانهزم زنكي وأسر هو وابنه وقتلهما قماج وأقطع الغز بلاده فلما سار الحسين بن الحسين الغوري الى بلخ برز اليه قماج ومعه هؤلاء الغز فخذلوه وصاروا مع الغوري حتى ملك بلخ فسار السلطان سنجر الى بلخ وهزم الغوري واستردها وبقي الغز بنواحي طخارستان وفي نفس قماج حقد عليهم فأمرهم بالانتقال عن بلاده فتألفوا وتجمعوا الى طوائف من الترك وقدموا عليهم أرسلان بوقا التركي ولقيهم قماج فهزموه وأسروه وابنه أبا بكر وقتلوهما واستولوا على نواحي بلخ وعاثوا فيها ورجع السلطان سنجر وفي مقدمته محمد بن أبي بكر بن قماج المقتول

والمؤيد ابنه في محرم سنة ثمان وأربعين وجاء السلطان سنجر على أثرهم وبعثوا اليه بالطاعة والاموال فلم يقبل منهم وقاتلهم فهزموه الى بلخ ثم عاود قتالهم فهزموه الى مرو واتبعوه فهرب هو وعسكره من مرو وعبا منهم ودخلوا البلد وأفحشوا فيه قتلا ونهبا وقتلوا القضاة والائمة والعلماء ولما خرج سنجر من مرو وأسروه أجلسوه على التخت على عادته وآتوه طاعتهم ثم عاودوا الغارة على مرو فمنعهم أهلها وقاتلوهم ثم عجزوا واستلموا فاستباحوها أعظم من الاولى ولما أسر سنجر فارقه جميع أمراء خراسان ووزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك ووصلوا الى نيسابور واستدعوا سليمان شاه بن السلطان محمود وخطبوا له بالسلطان في منتصف السنة واجتمعت عليه عساكر خراسان وسار والطلب الغز فبارزوهم على مرو وانهزمت العساكر وعبا منهم وقصدوا نيسابور والغز في اتباعهم ومروا بطوس فاستباحوها وقتلوا حتى العلماء والزهاد وخربوا حتى المساجد ثم ساروا الى نيسابور في شوال سنة تسع وأربعين فنهبوها أفحش من طوس حتى ملؤا البلاد من القتلى وتحصن طائفة بالجامع الاعظم من العلماء والصالحين فقتلوهم عن آخرهم وأحرقوا خزائن الكتب وفعلوا مثل ذلك في جوين واسفراين فحاصروهما واقتحموهما مثل ما فعلوا في البلاد الاخرى وكانت أفعال الغز في هذه البلاد أعظم وأقبح من أفعال الغز في غيرها ثم ان السلطان سليمان شاه توفي وزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك في شوال سنة ثمان وأربعين فاستوزر ابنه نظام الملك وانحل أمره وعجز عن القيام بالملك فعاد الى جرجان في صفر سنة تسع وأربعين فاجتمع الامراء وخطبوا للخان محمود بن محمد بن بقراخان وهو ابن أخت سنجر واستدعوه فملكوه في شوال من السنة وساروا معه لقتال الغز وهم محاصرون هراة فكانت حروبه معهم سجالا وأكثر الظفر للغز ثم رحلوا عن هراة الى مرو ومنتصف خمسين وأعادوا مصادرة أهلها وسار الخان محمد الى نيسابور وقد غلب عليها المؤيد كما نذكر فراسل الغز في الصلح فصالحوه في رجب

(استيلاء المؤيد على نيسابور وغيرها)

هذا المؤيد من موالي سنجر واسمه وكان من أكابر أوليائه ومطاعيهم ولما كانت هذه الفتنة وافترق أمر الناس بخراسان تقدم فاستولى على نيسابور وطوس ونسا وابيورد وشهرستان والدامغان وحصنها ودافع الغز عنها ودانت له الرعية لحسن سيرته فعظم شأنه وكثرت جموعه واستبد بهذه الناحية وطالبه الخان محمود عند ما ملكوه بالحضور عنده وتسليم البلاد فامتنع وترددت الرسل بينهما على مال يحمله للخان محمود فضمنه المؤيد وكف عنه محمود واستقر الحال على ذلك

هكذا الاوف بياضات في الاصل

والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء اينانج على الري) كان اينانج من موالي السلطان سنجر وكانت الري أيضا من أعمال سنجر فلما كانت فتنة الغز لحق بالري واستولى عليها وصانع السلطان محمد شاه ابن محمود صاحب همدان واصبهان وغيرهما وبذل له الطاعة فأقره فلما مات السلطان محمد مقتبه الى أعمال تجاورنه وملكها فعظم أمره وباعت عساكره عشرة آلاف فلما ملك سليمان شاه همذان على ما نذكره وقد كان أنس به عند ولاية سليمان على خراسان سار اليه وقام بخدمته وبقي مستبدا بتلك البلاد والله سبحانه وتعالى أعلم

(الخبر عن سليمان شاه وحبسه بالموصل)

كان سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملكشاه عند عمه السلطان سنجر وجعله ولي عهده وخطب له على منابر خراسان فلما وقعت فتنة الغز وأسر سنجر قدمه أمراء خراسان على أنفسهم ثم عجز ومضى الى خوارزم شاه فزوجه ابنة أخيه ثم سعى به عنده فأخرجه من بلده وجاء الى اصبهان فمنعه الشحنة من الدخول فمضى الى قاشان فبعث السلطان محمد شاه بن أخيه محمود عسكرا اليه فدفعه عنها فسار الى خوزستان فمنعه ملكشاه منها فقصد اللحف ونزل وأرسل المقتفي في أثره وطلبه في زوجته وهي ببغداد فبعث بها مع جواريها وأتباعها وأكرمهم المقتفي وأذن له في القدوم وخرج الوزير ابن هبيرة وقاضي القضاة والنقباء لتلقيه وخلع عليه المقتفي وأقام ببغداد حتى اذا دخلت سنة احدى وخمسين أحضر بدار الخلافة وحضر قاضي القضاة والاعيان واستحلف على الطاعة والتجافي للخليفة عن العراق وخطب له ببغداد ولقب ألقاب أبيه وأمده بثلاثة آلاف من العسكر وجعل معه الامير دوران أمير حاجب صاحب الحلة وسار الى بلاد الجبل في ربيع الاول من السنة وسار المقتفي الى حلوان وبعث الى ملكشاه بن السلطان محمود يدعوه الى موافقة عمه سليمان شاه وان يكون ولي عهده فقدم في ألفي فارس وتحالفا وأمدهما المقتفي بالمال والاسلحة واجتمع معهم ايلدكز صاحب كنجة وارانية وساروا القتال السلطان محمد فلما بلغه خبرهم أرسل الى قطب الدين مودود بن زنكي ونائبه زين الدين علي كوجك في المساعدة والانجاد فأجاباه وسار اللقاء عمه سليمان شاه ومن معه واقتتلوا في جمادى الاولى فهزمهما السلطان محمد وافترقوا وتوجه سليمان شاه الى بغداد على شهرزور وكانت لصاحب الموصل وبها الامير بوران من جهة علي كوجك نائب الموصل فاعترضه هو وكوجك وبوران فاحتمله كوجك الى الموصل فحبسه بها وبعث الى السلطان محمد بالخبر وانه على الطاعة والمساعدة فقبل منه وشكر له

(فرار سنجر من أسر الغز)

قد تقدم لنا ما كان من أسر السلطان سنجر بيد الغز وافتراق خراسان واجتماع الامراء بنيسابور وما اليها على الخان محمود بن محمد وامتنعوا من الغز وامتنع أتسز ابن محمد أنوشكين بخوارزم وانقسمت خراسان بينهم وكانت الحرب بين الغز وبينهما سجالا ثم هرب سنجر من أسر الغز وجماعة من الامراء كانوا معه في رمضان سنة احدى وخمسين ولحق بترمذ ثم عبر جيحون الى دار ملكه بمرو فكانت مدة أسره من جمادى سنة ثمان وأربعين ثلاث سنين وأربعة أشهر ولم يتفق فراره من الاسر الا بعد موت على بك مقدم القارغلية لانه كان أشد شئ عليه فلما توفي انقطعت القارغلية اليه وغيرهم ووجد فسحة في أمره والله سبحانه وتعالى أعلم

(حصار السلطان محمد بغداد) كان السلطان محمد بن محمود لاول ولايته الملك بعد عمه مسعود بعث الى المقتفي في الخطبة له ببغداد والعراق على عادتهم فمنعه لما رجا من ذهاب دولتهم استفحالهم واستبدادهم فسار السلطان من همذان في العساكر نحو العراق ووعده صاحب الموصل ونائبه بمدد العساكر فقدم آخر احدى وخمسين وبعث المقتفي في الحشد فجاء خطاوفرس في عسكر واسط وخالفهم مهلهل الى الحلة فملكها واهتم المقتفي وابن هبيرة بالحصار وقطع الجسر وجمع السفن تحت التاج ونودي في الجانب الغربي بالعبور فعبروا في محرم سنة ثنتين وخمسين وخرب المقتفي ماوراء الحربة صلاحا في استبداده وكذلك السلطان محمد من الجهة الاخرى ونصبت المنجنيقات والرعادات وفرق المقتفي السلاح على الجند والعامة وجاء زين الدين كجك في عسكر الموصل ولقي السلطان على أوانا واتصلت الحرب واشتد الحصار وفقدت الاقوات وانقطعت المواد عن أهل بغداد وفتر كجك وعسكره في القتال أدبا مع المقتفي وقيل أوصاه بذلك نور الدين محمود بن زنكي أخو قطب الدين الاكبر ثم جاء الخبر بأن ملك شاه أخا السلطان محمد وايلدكز صاحب اران وربيبه ارسلان بن طغرل قصدوا همذان فسار عن بغداد مسرعا الى همذان آخر ربيع الاول وعاد زين الدين الى الموصل ولما وصل ملك شاه وايلدكز وربيبه ارسلان الى همذان أقاموا بها قليلا وسمعوا بمجيء السلطان فاجفلوا وساروا الى الري فقاتلهم الشحنة اينانج فهزموه وحاصروه وأمده السلطان محمد بعسكر بن سقمس بن قماز فوجدهم قد أفرجوا عنه وقصدوا بغداد فقاتلهم فهزموه ونهبوا عسكره فسار السلطان محمد ليسابقهم الى بغداد فلما انتهى الى حلوان بلغه أن ايلدكز بالدينور ثم وافاه رسول اينانج بأنه ملك همذان وخطب له فيها وان شملة صاحب خراسان هرب عن ايلدكز وملك شاه الى بلاده

فعاد الى اران ورجع السلطان الى همدان فاستعد للتجهز الى بلاد ايلدكز باران

(وفاة سنجر)

ثم توفي السلطان سنجر صاحب خراسان في ربيع سنة ثنتين وخمسين وقد كان ولي خراسان منذ أيام أخيه بركيارق وعهد له أخوه محمد فلما مات محمد خوطب بالسلطنة وكل الملوك كلهم بعد في طاعته نحو أربعين سنة وخطب له قبلها بالملك عشرين سنة وأسره الغز ثلاث سنين ونصف ومات بعد خلاصه من الاسر وقطعت خطبته ببغداد والعراق ولما احتضر استخلف على خراسان ابن أخته محمد بن محمود بن بغراخان فأقام بجرجان وملك الغز خراسان وملك المؤيد نيسابور وناحيته من خراسان وبقي الامر على هذا الخلاف سنة أربع وخمسين وبعث الغز الى محمود الخان ليحضر عندهم فيملكوه فخافهم على نفسه وبعث ابنه اليهم فأطاعوه مدة ثم لحق هو بهم كما نذكر بعد

(منازعة ايناق للمؤيد)

كان ايناق هذا من موالي السلطان سنجر فلما كانت الفتنة وافترق الشمل ومات السلطان سنجر وملك المؤيد نيسابور وحصل له التقدم بذلك على عساكر خراسان حسده جماعة من الامراء وانحرف عنه ايناق هذا فتارة يكون معه وتارة يكون في مازندان فلما كان سنة ثنتين وخمسين سار من مازندان في عشرة آلاف فارس من المنحرفين عن المؤيد وقصد نسا وابيورد وأقام بها المؤيد ايناق فسار اليه وكبسه وغنم معسكره ومضى ايناق منهزما الى مازندان وكان بين ملكها رستم وبين أخيه علي منازعة فتقرب ايناق الى رستم بقتال أخيه علي فوجد لذلك عليه ودفعه عنه وسار يتردد في نواحي خراسان بالعيث والفساد وألح على اسفراين فخربها وراسله السلطان محمود الخان والمؤيد في الطاعة والاستقامة فامتنع فساروا اليه في العساكر في صفر سنة ثلاث وخمسين فهرب الى طبرستان وبعث رستم شاه مازندان الى محمود والمؤيد بطاعته وبأموال جليلة وهدية فقبلوا منه وبعث ايناق ابنه رهنا على الطاعة فرجعوا عنه واستقر بجرجان ودهستان وأعمالها

(منازعة سنقر العزيزي للمؤيد ومقتله)

كان سنقر العزيزي من أمراء السلطان سنجر وكان في نفسه من المؤيد ما عند الباقين فلما شغل المؤيد بحرب ايناق سار سنقر من عسكر السلطان محمود بن محمد الى هراة فملكها واشترط عليه أن يستظهر بملك الغورية الحسين فأبى وطمع في الاستبداد لما رأى من استبداد الامراء على السلطان محمود بن محمد فحاصره المؤيد بهراة واستمال

الاتراك الذين كانوا معه فأطاعوه وقتلوا اسنقر العزيزي غيلة وملك السلطان محمد هراة ولحق الفل من عسكر سنقر بايناق وتسلطوا على طوس وقراها واستولى الخراب على البلاد والله تعالى أعلم

(فتنة الغز الثانية بخراسان وخراب نيسابور على يد المؤيد)

كان الغز بعد فتنتهم الاولى أوطنوا بلخ ونزعوا عن النهب والقتل بخراسان واتفقت الكلمة بها على طاعة السلطان محمود بن محمد الخان وكان القائم بدولته المؤيد أبوايه فلما كان سنة ثلاث وخمسين في شعبان سار الغز الى مرو فزحف المؤيد اليهم وأوقع طائفة منهم وتبعهم الى مرو وعاد الى سرخس وخرج معه الخان محمود لحربهم فالتقوا خامس شوال وتواقعوا مرارا ثلاثا انهزم فيها الغز على مرو وأحسنوا السيرة وأكرموا العلماء والائمة ثم أغاروا على سرخس وطوس واستباحوهما وخربوهما وعادوا الى مرو وأما الخان محمود بن محمد فسار الى جرجان ينتظر ما آل أمرهم وبعثوا اليه الغز سنة أربع وخمسين يستدعونه ليملكوه فاعتذر لهم خشية على نفسه فطلبوا ابنه جلال الدين عمر فتوثق منهم بالحلف وبعثه اليهم فعظموه وملكوه في ربيع الآخر من سنة أربع ثم سار أبوه محمود الى خراسان وتخلف عنه المؤيد ابوايه وانتهى الى حدود نسا وابيورد فولى عليهم الامير عمر بن حمزة النسوي فقام في حمايتهما المقام المحمود بظاهر نسا ثم سار الغز من نيسابور الى طوس لامتناع أهلها من طاعتهم فملكوها واستباحوها وعادوا الى نيسابور فسار واسع جلال الدين عمر بن محمود الخان الى حصار سابزوار وبها النقيب عماد الدين محمد بن يحيى العلوي الحسيني فحاصروه وامتنعت عليهم فرجعوا الى نسا وابيورد للقاء الخان محمود بجرجان كما قدمناه فخرج منها سائرا الى خراسان واعترضه الغز ببعض القرى في طريقه فهرب منه وأسر بعضهم ثم هرب منه ولحق بنيسابور فلما جاء الخان محمود اليها مع الغز فارقها منتصف شعبان ودخلها الغز وأحسنوا السيرة وساروا الى سرخس ومرو فعاد المؤيد في عساكره الى نيسابور وامتنع أهلها عليه فحاصرها وافتتحها عنوة وخربها ورحل عنها الى سبزوار في شوال سنة أربع وخمسين

(استيلاء ملكشاه بن محمود على خوزستان) ولما رجع السلطان ملكشاه محمد بن محمود من حصار بغداد وامتنع الخليفة من الخطبة له أقام بهمذان عليلا وسار أخوه ملكشاه الى قم وقاشان فأفحش في نهبها ومصادرة أهلها وراسله أخوه السلطان محمد في الكف عن ذلك فلم يفعل وسار الى اصبهان وبعث الى ابن الجقري وأعيان البلد في طاعته فاعتذروا بطاعة أخيه فعاث في قراها ونواحيها فسار السلطان اليه من

همدان وفي مقدمته كرجان الخادم فافترقت جموع ملكشاه ولحق ببغداد فلما انتهى الى قوس لقيه مهران وسنقر الهمداني فأشارا عليه بقصد خوزستان من بغداد فسار الى واسط ونزل بالجانب الشرقي وسار أثر عسكره في النواحي فقصدوا عليهم الشوق وغرق كثيرهم ورجع ملكشاه الى خوزستان فمنعه شملة من العبور وطلب الجوارفي لمده الى أخيه السلطان محمد ونزل على الاكراد الذين هنالك فاجتمعوا عليه من الجبال والبسائط وحارب شملة ومع ملكشاه سنقر الهمداني ومهران وغيرهما من الامراء فانهزم شملة وقتل عامة أصحابه واستولى ملكشاه على البلاد وسار الى فارس والله هو المؤيد بنصره

(وفاة السلطان محمد وولاية عمه سليمان شاه)

ثم توفي السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه آخر سنة أربع وخمسين وهو الذي حاصر بغداد وطلب الخطبة له من الخليفة ومنعه فتوفي آخر هذه السنة لسبع سنين ونصف من ولايته وكان له ولد صغير فسلمه الى سنقر الاحمديلي وقال هو وديعة عندك فأوصل به الى بلادك فان العساكر لا تطيعه فوصل به الى مراغة واتفق معظم الجند على البيعة لعمه سليمان شاه وبعث أكابر الامراء بهمذان الى أتابك زين الدين مودود أتابك وزير مودود وزيره فأطلقه مودود وجهزه بما يحتاج اليه في سلطانه وسار معه زين الدين على بكك في عساكر الموصل فلما انتهى الى بلاد الجبل وأقبلت العساكر للقاء سليمان شاه ذكر معاملتهم مع السلطان ودالتهم عليه فخشي على نفسه وعاد الى الموصل ودخل سليمان شاه همذان وبايعوا له والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة المقتفي وخلافة المستنجد) ثم توفي المقتفي لامر الله في ربيع الاول سنة خمس وخمسين لاربع وعشرين سنة من خلافته وقد كان استبد في خلافته وخرج من حجر السلجوقية عند افتراق أمرهم بعد السلطان مسعود كما ذكرناه في أخبار الملوك ولما توفي بويع بعده بالخلافة ابنه المستنجد فجرى على سنن أبيه في الاستبداد واستولى على بلاد الماهلي ونزل اللحف وولى عليها من قبله كما كانت لابيه وقد تقدم ذكر ذلك في أخبارهما انتهى

(اتفاق المؤيد مع محمود الخان) قد كنا قدمنا أن الغز لما تغلبوا استدعوا محمود الخان ليملكوه فبعث اليهم بابنه عمر فملكوه ثم سار محمود من جرجان الى نسا وجاء الغز وساروا به الى نيسابور وهرب عنها المؤيد ودخلها محمود والغز ثم سار واعنها فعاد اليها المؤيد فحاصرها وملكها عنوة وخربها في شوال سنة أربع وخمسين ورحل عنها الى سرخس فعاد اليها المؤيد فحاصرها وملكها عنوة ورحل عنها الى بيهق ثم رجع اليها سنة خمس

وخمسين وعمر خرابها وبالغ في الاحسان اليها ثم سار لاصلاح أعمالها ومحو آثار المفسدين والثوار من نواحيها ففتح حصن اشقيل وقتل الثوار الزيدية وخربه وفتح حصن خسرو جرد من أعمال بيهق وهو من بناء كيخسرو ملك الفرس أيام حربه مع جراسياق وملكه ورتب فيه الحامية وعاد الى نيسابور ثم قصد مدينة كندر من أعمال طرسا وفيها متغلب اسمه خرسده يفسد السابلة ويخرب الاعمال ويكثر الفتك وكان البلاء به عظيما في خراسان فحاصره ثم ملك عليه الحصن عنوة وقتله وأراح البلاد منه ثم قصد في رمضان من السنة مدينة بيهق وكانوا قد عصوا عليه فراجعوا الطاعة وقبلهم واستعمل أمره فأرسل اليه الخان محمود بن محمد وهو مع الغز بالولاية على نيسابور وطوس وما اليها فاتصلت يده به واستحكم الصلح بينه وبين الغز وذهبت الفتن

[بياض بالأصل]

كان هؤلاء الاتراك البرزية من شعوب الترك بخراسان وأميرهم بقراخان بن داود فأغار عليهم جمع من عساكر خوارزم شاه وأوقعوا بهم وفتكوا فيهم ونجا بقراخان في الفل منهم الى السلطان محمود بخراسان ومن معه من الغز مستصرخا بهم وهو يظن أن ايتاق هو الذي هيج عليهم فسار الغز معه على طريق نسا وابيورد وقصدوا ايتاق فلم يكن له بهم قوة فاستنصر [بياض بالأصل] شاه مازندران فسار لنصره واحتشد في أعماله من الاكراد والديلم والتركمان وقاتلوا الغز والبرزية [بياض بالأصل] بنواحي دهستان فهزمهم خمسا وكان ايتاق في ميمنة شاه مازندران وأثخن الغز في قتل عسكرهم ولحق شاه مازندران بسارية وايتاق بشهروز خوارزم ثم ساروا الى دهستان فنهبوها وخربوها سنة ست وخمسين وخربوا جرجان كذلك وافترق أهلها في البلاد ثم سار ايتاق الى بقراتكين المتغلب على اعمال قزوين فانهزم من بين يديه ولحق بالمؤيد وصار في جملته واكتسح ايتاق سائر أعماله ونهب أمواله فقوى بها

[بياض بالأصل]

قد قدمنا ان ملك شاه بن محمود سار بعد أخيه السلطان محمد بن خورستان الى أصبهان ومعه شملة التركماني ودكلا صاحب فارس فأطاعه ابن الخجندي رئيس اصبهان وسائر أهلها وجمع له الاموال وأرسل ملك شاه الى أهل الدولة باصبهان يدعوهم الى طاعته وكان هواهم مع عمه سليمان فلم يجيبوه الى ذلك وبعثوا عن سليمان من الموصل وملكوه وانفرد ملك شاه بأصبهان واستفحل أمره وبعث الى المستنجد في الخطبة له ببغداد مكان عمه سليمان شاه وان تعاد الامور الى ما كانت ويتهددهم فوعد الوزير عميد الدين بن هبيرة جارية جاعلها على سمه فسمته في الطعام وفطن الطبيب بأنه مسموم وأخبر بذلك شملة ودكلا فاحضروا الجارية وأقرت ومات ملك شاه وأخرج أهل

اصبهان مصاحبه وخطب للسلطان سليمان شاه وعاد شملة الى خراسان فارغا مما كان ملكشاه تغلب عليه منها

كان سليمان لما ملك اقبل على اللهو ومعاقرة الخمر حتى في نهار رمضان وكان يعاشر الصفاعين والمساخر وعكف على ذلك مع ما كان فيه من الخرق والتهور فقعد الامراء عن غشيان بابه وشكوا الى شرف الدين كردبازه الخادم وكان مدبر مملكته وكان حسن التربية والدين يدخل عليه يوما يعذله على شأنه وهو مع ندمائه بظاهر همذان فأشار اليهم أن يعبثوا بكردبازه فخرج مغضبا واعتذر اليه عند ما صحا فاظهر له القبول وقعد عن غشيان مجلسه وكتب سليمان شاه الى اينانج صاحب الري يدعوه الى النصرة ووعده بذلك اذا افاق من مرضه وزاد كردبازه استيحاشا فاستحلف الامراء على خلع سليمان وبدأ بقتل جميع الصفاعين الذين كانوا ينادمونه وقال انما فعلته صونا للملك ثم عمل دعوة في داره فحضر سليمان شاه والامراء وقبض على سليمان شاه ووزيره أبي القاسم محمود بن عبد العزيز الحامدي وعلى خواصه وذلك في شوال سنة خمس وخمسين وقتل وزيره وخواصه وحبس سليمان شاه قليلا ثم قتله ثم أرسل الى ايلدكز صاحب اران وأذربيجان يستقدم ربيبه أرسلان بن طغرل ليبايع له بالسلطنة وبلغ الخبر الى اينانج صاحب الري فسار الى همذان ولقيه كردبازه وخطب له بالسلطنة بجميع تلك البلاد وكان ايلدكز قد تزوج بأم أرسلان وولدت له ابنه البهلوان محمد ومزدار سلان عثمان فكان ايلدكز أتابك وابنه البهلوان حاجبا وهو أخو أرسلان لامه وايلدكز هذا من موالي السلطان مسعود ولما ملك أقطعه اران وبعض اذربيجان وحدثت الفتن والحروب فاعتصم هو باران ولم يحضر عند أحد من ملوكهم وجاءه اليه ارسلان شاه من تلك الفتن فأقام عنده الى أن ملك ولما خطب له بهمذان بعث ايلدكز اتابك الى اينانج صاحب الري ولاطفه وصاهره في ابنته لابنه البهلوان وتعاقدا على الاتفاق وبعث الى المستنجد بطلب الخطبة لارسلان في العراق واعادة الامور الى عادتها أيام السلطان مسعود فطرد رسوله بعد الاهانة ثم أرسل ايلدكز الى اقسنقر الاحمديلي يدعوه الى طاعة السلطان ارسلان فامتنع وكان عنده ابن السلطان شاه بن محمود الذي أسلمه اليه عند موته فتهدده بالسعة له وكان الوزير ابن هبيرة يكاتبه من بغداد ويطمعه في الخطبة لذلك الصبي قصدا للتضريب بينهم فجهز ايلدكز العساكر مع البهلوان الى اقسنقر واستمد اقسنقر شاهرين سقمان القطبي صاحب خلاط فواصله نجدة بالعساكر وسار نحو البهلوان وقاتله فظفر به ورجع البهلوان الى همذان مهزوما والله تعالى أعلم

لما مات ملك شاه بن محمود باصبهان كما قلناه لحق طائفة من أصحابه ببلاد فارس ومعهم ابنه محمود فانتزعه منهم صاحب فارس زنكي بن دكلا السلقدى وأنزله فى قلعة اصطخر فلما ملك ايلدكز السلطان ارسلان وطلب الخطبة ببغداد وأخذ الوزير ابن هبيرة فى استفساد الاطراف عليهم وبعث لابن اقسنقر فى الخطبة لابن السلطان محمد شاه الذى عنده وكاتب صاحب فارس أيضا يشير عليه بالبيعة للسلطان محمد بن السلطان ملك شاه الذى عنده وبعده بالخطبة له ان ظفر بايلدكز فبايع له ابن دكلا وخطب له بفارس وضرب النوب الخمس على بابه وجمع العساكر وبلغ الى ايلدكز فجمع وسار فى أربعين ألفا الى اصبهان يريد فارس فأرسل الى زنكي فى الخطبة لارسلان شاه فأبى فقال له ايلدكز ان المستنجد اقطعنى بلادك وأنا سائر اليها وتقدمت طائفة الى نواحى ارجان فلقيتها سرية لارسلان بوقا صاحب ارجان فأوقعوا بطائفته وقتلوا منهم وبعثوا بالخبر الى اينانج فنزل من الرى فى عشرة آلاف وأمده اقسنقر الاحمديلى بخمسة آلاف فقصد

وهرب صاحب ابن البازدان وابن طغايرك وغيرهما من أولياء ايلدكز للقاء اينانج ورد عسكر المدافعة زنكي عن شهبرم وغيرها من البلاد فهزمهم زنكي بن دكلا ورجعوا اليه فاستدعى عساكره من اذربيجان وجاء هبيس بن مزدارسلان واستمد اينانج وقتل أصحابه ونهب سواده ودخل الرى وتحصن فى قلعة طبرك ثم ترددت الرسل بينه وبين ايلدكز فى الصلح وأقطعه حربادقان وغيرها وعاد ايلدكز الى همذان والله سبحانه وتعالى أعلم

وفى ربيع سنة ست وخمسين قبض المؤيد على أحياء نيسابور وحبسهم وفيهم نقيب العلويين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسنى وآخذهم على مافعله آباؤهم بأهل البلد من أهل البلد من النهب والاعتداء على الناس فى أموالهم وحرصهم فأخذ هؤلاء الاعيان بهؤتهم كأنهم لم يضربوا على أيديهم وقتل جماعة من أهل الفساد فخرب البلد وامتدت الايدى الى المساجد والمدارس وخزائن الكتب وأحرق بعضها ونهب بعضها وانتقل المؤيد الى الشادياخ فأصلح سوره وسدثلمه وسكنه وخرب نيسابور بالكلية وكان الذى اختط هذا الشادياخ عبد الله بن طاهر أيام ولايته على خراسان ينفرد بسكناه هو وحشمه عن البلد تجافيا عن مزاحمتهم ثم خربت وجددها الب ارسلان ثم خربت فجددها الآن المؤيد وخربت نيسابور بالكلية ثم زحف الغز والخان محمود معهم وهو ملك خراسان لذلك العهد فحاصروا المؤيد بالشادياخ شهرين ثم هرب الخان عنهم الى شهرستان كأنه يريد الحمام وأقام بها وبقى الغز الى آخر شوال ثم رجعوا فنهبوا البلاد

ونهبوا طوس ولما دخل الخان الى نيسابور أمهله المؤيد الى رمضان سنة سبع وخمسين
ثم قبض عليه وسمله وأخذ ما كان معه من الذخائر وحبسه وحبس معه جلال
محمد فماتا في محبسهما وخطب المؤيد لنفسه بعد المستنجد ثم زحف المؤيد الى
شهرستان وقرب نيسابور فحاصرها حتى نزلوا على حكمه في شعبان سنة
تسع وخمسين ونهبها عسكره ثم رفع الايدي عنهم واستقامت في ملكه والله أعلم

بياض بالأصل

ثم زحف المؤيد الى قلعة دسكرة من طوس وكان بها أبو بكر جاندار ممتنعا
فحاصره شهرا وأعانه أهل طوس لسوء سيرته فيهم ثم جهده الحصار فاستأمن
ونزل فحبسه وسار الى كرمان فأطاعوه وبعث عسكرا الى اسفراين فتحصن بها
رئيسها عبد الرحمن بن محمد بالقلعة فحاصره واستنزله وحمله مقيدا الى الشادياخ فحبس
ثم قتل في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ثم ملك المؤيد قهندز نيسابور واستفحل
ملكه وعاد الى ما كان عليه وعمر الشادياخ وخرب المدينة العتيقة ثم بعث
عسكرا الى بوشنج وهراة وهي في ولاية محمد بن الحسين ملك الغور فحاصرها وبعث
الملك محمد عسكر المدافعته فأرجفوا عنها وصفت ولاية هراة للغورية

بياض بالأصل

كان الكرج قد ملكوا مدينة آني من بلاد اران في شعبان سنة ست وخمسين واستباحوها
قتلا وأسرا وجمع لهم شاه ارمن بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط جموعا من الجند
والمتطوعة وسار اليهم فقاتلوه وهزموه وأسر كثير من المسلمين ثم جمع الكرج في شعبان
سنة سبع وخمسين ثلاثين ألف مقاتل وملكوا دوين من اذربيجان والجبل واصبهان
فسار اليهم ايلدكز وسار معه شاه ارمن بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط واقسنقر
صاحب مراغة في خمسين ألفا ودخلوا بلاد الكرج في صفر سنة ثمان وخمسين فاستباحوها
وأسروا الرجال وسبوا النساء والولدان وأسلم بعض أمراء الكرج ودخل مع
المسلمين وكمن لهم في بعض الشعاب حتى زحف الكرج وقاتلوا المسلمين شهرا أو نحوه وتم
خرج الكمين من ورائهم فانهزموا واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وعادوا ظافرين

بياض بالأصل

ثم سار المؤيد الى آيه صاحب نيسابور الى بلاد قومس فملك بسطام ودامغان وولى
بسطام مولاه تنكز فجرى بينه وبين شاه مازندران اختلاف أدى الى الحرب واقتتلوا في
ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ولما ملك المؤيد قومس بعث اليه السلطان ارسلان بن طغرل
بالخلع والالوية لما كان بين المؤيد وايلدكز من المودة وأذن له في ولاية ما يفتحه من

خراسان ويخطب له فيها فخطب له فى أعمال قومس وطوس وسائر أعمال نيسابور ويخطب لنفسه بعد ارسلان وكانت الخطبة فى جرجان ودهستان لخوارزم شاه ارسلان بن اتسز وبعده للامير ايتاق والخطبة فى مرو وبلخ وسرخس وهى بيد الغز وهراة وهى بيد الامير اتيكين وهو مسالم للغز للسلطان سنجر يقولون اللهم اغفر للسلطان السعيد سنجر وبعده لامير تلك المدينة والله تعالى ولى التوفيق

كان خان خاقان الصينى ولى على سمرقند وبخارى الخان جغرا بن حسين تكين وهو من بيت قديم فى الملك ثم بعث اليه سنة سبعة وخمسين باجلاء القارغلية من أعماله الى كاشغر ويشتغلون بالمعاش من الزراعة وغيرها فامتنعوا فألح عليهم فاجتمعوا وساروا الى بخارى فدس أهل بخارى الى جغراخان وهو بسمرقند ووعدوا القارغلية بالمصانعة وطاوعوهم الى أن صبحهم جغرا فى عساكره فأوقع بهم وقطع دابرهم والله تعالى أعلم

وفى سنة تسع وخمسين استولى الامير صلاح الدين سنقر من موالى السلطان سنجر على بلاد الطالقات وأغار على غرشستان حتى ملكها وصارت فى حكمه بحصونها وقلاعها وصالح أمراء الغز وحمل لهم الاتاوة

كان صاحب هراة الامير اتيكين وبينه وبين الغز مهادنة فلما قتل الغز ملك الغور محمد ابن الحسين كما مرّ فى أخباره طمع اتيكين فى بلاده فجمع جوعه وسار اليها فى رمضان سنة تسع وخمسين وتوغل فى بلاد الغور فقاتله أهلها وهزموه وقتل فى المعركة وقصد الغز هراة وقد اجتمع أهلها على أثير الدين منهم فاتهموه بالميل للغز وقتلوه واجتمعوا على أبى الفتوح بن على بن فضل الله الطغرائى ثم بعثوا الى المؤيد بطاعتهم فبعث اليهم مملوكه سيف الدين تنكز فقام بأمرهم وبعث جيشا الى سرخس ومرو وأغاروا على دواب الغز فأفرجوا عن هراة ورجعوا لطاعته والله تعالى أعلم

قد ذكرنا استيلاء المؤيد على قومس وبسطام وولاية مولاه تنكز عليها ثم ان شاه مازندان وهو رستم بن على بن هربار بن قاروت جهز اليها عسكرا مع سابق الدين القزوينى من أمرائه فلك دامغان وسار اليه تنكز فيمن معه من العسكر فكبسهم القزوينى وهزمهم واستولى على البلاد وعاد تنكز الى المؤيد بنيسابور وجعل يغير على بسطام قومس ثم توفى شاه مازندان فى ربيع سنة ستين فكتم ابنه علاء الدين موته حتى استولى على حصونه وبلاده ثم أظهره وملك مكانه ونازعه ايتاق صاحب جرجان ودهستان ولم يرع ما كان بينه وبين أبيه فلم يظفر بشئ والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم بعث المؤيد عساكره في جمادى سنة ثنتين لحصار مدينة نسا فبعث خوارزم شاه ملك ارسلان بن اتسز في عساكره اليها فاجفلت عنها عساكر المؤيد ورجعوا الى نيسابور وصارت نسا في طاعة خوارزم شاه وخطب له فيها ثم سار عسكر خوارزم الى دهستان وغلبوه عليها واقام فيها بطاعته والله أعلم

ثم بعث اقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة سنة ثلاث وستين الى بغداد في الخطبة للملك الذي عنده وهو ابن السلطان محمد شاه على أن يتجافى عن العراق ولا يطلب الخطبة منه الا اذا أسعف بها فاجيب بالوعد الجميل وبلغ الخبر الى ايلدكز صاحب البلاد فبعث ابنه البهلوان في العساكر لحرب اقسنقر فحاربه وهزمه وتحصن بمراغة فحاصره البهلوان وضيق عليه وترددت بينهما الرسل واصطلحوا وعاد البهلوان الى أبيه بهمذان

كان زنكي بن دكلا قد أساء السيرة في جنده فأرسلوا الى شملة صاحب خوزستان واستدعوه ليملكوه فسار ولقي زنكي وهزمه ونجا الى الاكراد الشوانكاره ولما ملك شملة بلاد فارس وأساء السيرة في أهلها ونهب ابن أخيه خرسكا البلاد ففر أهل فارس منه ولحق بزنكي بعض عساكره وزحف الى فارس وفارقها شملة الى بلاده خوزستان وذلك كله سنة أربع وستين وخمسمائة

كان اينانج قد استولى على الري واستقر بها بعد حروبه مع ايلدكز على جزية يؤديها اليه ثم منع الضريبة واعتذر بنفقات الجند فسار اليه ايلدكز سنة أربع وستين وحاربه اينانج فهزمه ايلدكز وحاصره بقلعة طبرك وراسل بعض مماليكه ورغبهم فغدروا به وقتلوه واستولى ايلدكز على طبرك وعلى الري وولى عليها علي بن عمر باغ ورجع الى همذان وشكر لموالي اينانج الذين قتلوه ولم يف لهم بالوعد فافترقوا عنه وسار الذي تولى قتله الى خوارزم شاه فصلبه لما كان بينه وبين اينانج من الوصلة والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه

ثم توفي سنة خمس وستين الملك طغرل بن قاروت ملك صاحب كرمان وولي ابنه ارسلان شاه مكانه ونازعه أخوه الاصغر بهرام شاه فحاربه ارسلان وهزمه فلحق بالمؤيد في نيسابور فانجده بالعساكر وسار الى أخيه ارسلان فهزمه وملك كرمان ولحق ارسلان باصبهان مستنجدا بايلدكز فانجده بالعساكر وارتجع كرمان ولحق بهرام بالمؤيد وأقام عنده ثم هلك ارسلان فسار بهرام الى كرمان وملكها ثم توفي المستنجد وولي ابنه المستضيء ولم نترجم لوفاة الخلفاء ههنا لانها مذكورة في أخبارهم وانما ذكرناها قبل هؤلاء لانهم كانوا في كفالة السلجوقية وبني بويه قبلهم فوفاتهم من جملة أخبار الدولتين وهؤلاء من لدن المقتفي قد استبدوا بأمرهم وخلافتهم من بعد ضعف

السلجوقية بوفاة السلطان مسعود وافترقت دولتهم في نواحي المشرق والمغرب واستبد
منهم بالخلفاء ببغداد ونواحيها ونازعوا من قبلهم أنهم كانوا يخطبون لهم في أعمالهم
ونازعهم فيها مع ذلك حرصا على الملك الذي سلبوه وأصبحوا في ملك منفرد عن أولئك
المتفردين مضافا الى الخلافة التي هي شعارهم وتداول أمرهم الى أن انقرضوا بهلك
المستعصم على يد هلاكو

الملك خوارزم شاه أرسلان امام الخطا رجع الى خوارزم فمات سنة ثمان وستين
وولي ابنه سلطان شاه ونازعه أخوه الاكبر علاء الدين تكش واستنجد بالخطا وسار الى
خوارزم فملكها ولحق سلطان شاه بالمؤيد صاحب نيسابور فسار معه بجيوشه ولقيهم تكش فانهزم
المؤيد وجيء به أسيرا الى تكش فقتل بين يديه صبرا وعاد أصحابه الى نيسابور فولوا ابنه
طغان شاه أبو بكر بن المؤيد وكان من أخبار طغان شاه وتكش ما نذكره في أخبار دولتهم
وفي كل نسبة قتله خبر آخر نذكره هنالك ثم سار خوارزم شاه سنة تسع وستين الى نيسابور
وحاصرها مرتين ثم هزم في الثانية طغان شاه بن المؤيد وأخذه أسيرا وحمله الى خوارزم
وملك نيسابور وأعمالها وجميع ما كان لبني المؤيد بخراسان وانقرض أمرهم والبقاء لله
وحده والله تعالى أعلم

ثم توفي الاتابك شمس الدين ايلدكز أتابك ارسلان شاه ابن طغرل صاحب همذان
واصبهان والري واذربيجان وكان أصله مملوك الكمال الشهير ابن وزير السلطان
محمود ولما قتل الكمال صار للسلطان وترقى في كتب الولاية فلما ولي السلطان مسعود
ولاه أرانية فاستولى عليها وبقيت طاعته للملوك على البعد واستولى على أكثر
اذربيجان ثم ملك همذان واصبهان والري وخطب لربيبه ارسلان بن طغرل وبقي أتابك
وبلغ عسكره خمسين ألفا واتسع ملكه من تفليس الى مكران وكان متحكما على
ارسلان وليس له من الدولة الا جراية تصل اليه ولما هلك ايلدكز قام بالامر بعده
ابنه محمد البهلوان وهو أخو السلطان ارسلان لامه فسار أول ملكه لاصلاح
اذربيجان وخالفه ابن سنكي وهو ابن أخي شملة صاحب خوزستان الى بلدها وقد
تخاسرها ثم تأخر ابن سنكي من تستر وصحبهم من ناحية اذربيجان يوهمهم انه مدد
البهلوان فنفتحوا له البلد ودخل فطلب القاضي والاعيان ونصبهم وتوجه نحو ماسندان
قاصدا العراق ورجع الى خوزستان ثم سار شملة سنة سبعين وقصد بعض التركمان
فاستنجدوا البهلوان بن ايلدكز فأنجدهم وقاتلوه فهزموه وأسر شملة جريحا وولده
وابن أخيه وتوفي بعد يومين وهو من التركمان الافشرية وملك ابنه من بعده وسار
البهلوان سنة سبعين الى مدينة تبريز وكان صاحبها اقسنقر الاحمديلي قد هلك وعهد

بالملك بعده لابنه ملك الدين سار الى بلاده وحاصر مراغة وبعث أخاه طغرل وعاد عن
مراغة الى همدان والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم توفي السلطان ارسلان بن طغرل مكفول البهلوان بن ايلدكز وأخوه لأمه بهمدان
سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وخطب بعده لابنه طغرل

ثم توفي البهلوان محمد بن ايلدكز أول سنة ثنتين وثمانين وخمسمائة وكانت البلاد والرعايا في غاية
الطمأنينة فوقع عقب موته باصبهان بين الحنفية والشافعية وبالري بين أهل السنة
والشيعة فتن وحروب آلت الى الخراب وملك البلاد بعد البهلوان أخوه قزل ارسلان
واسمه عثمان وكان البهلوان كافلا للسلطان طغرل وحاكما عليه ولما هلك قزل لم يرض
طغرل بتحكمه عليه وفارق همدان ولحق به جماعة من الامراء والجند وجرت بينه وبين
قزل حروب ثم غلبه طغرل الى الخليفة وأمره بعمارة دار السلطان فطرد رسوله وهدمت
دار السلطنة وألحقت بالارض وبعث الخليفة

سنة أربع وثمانين عسكرا مع وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس لانجاد قزل على
طغرل فقاتلهم على همدان وهزمهم ونهب جميع ما معهم وأسر الوزير ابن يونس

قد تقدم لنا ما كان بين السلطان طغرل وبين قزل بن ايلدكز من الحروب ثم ان قزل غلبه
واعتقله في بعض القلاع ودانت له البلاد وأطاعه ابن دكلا صاحب فارس وخوزستان
وعاد الى اصبهان والفتن بها متصلة فأخذ جماعة من أعيان الشافعية وصلبهم وعاد الى
همذان وخطب لنفسه بالسلطنة سنة سبع وثمانين ثم قتل غيلة على فراشه ولم يعرف
قاتله وأخذ جماعة من غلمانه بالظنة وكان كريما حليما يحب العدل ويؤثره ولما هلك ولي
من بعده قتلغ بن أخيه البهلوان واستولى على الممالك التي كانت بيده

ولما توفي قزل وولي قتلغ بن أخيه البهلوان كما قلناه اخرج السلطان طغرل من محبسه
بالقلعة التي كان بها واجتمع اليه العساكر وسار الى همدان فلقيه قتلغ بن البهلوان فانهزم
بين يديه ولحق بالري وبعث الى خوارزم شاه علاء الدين تكش ليستنجده فسار اليه سنة
ثمان وثمانين وندم قتلغ على استدعائه فتحصن ببعض قلاعه وملك خوارزم شاه الري
وملك قلعة طبرك وصالح السلطان طغرل وولى على الري وعاد الى خوارزم سنة تسعين
فأحدث أحدوثة السلطان شاه مذكورة في أخبارهم وسار السلطان طغرل الى الري فأغار
عليها وهرب منه قتلغ بن البهلوان وبعث الى خوارزم شاه يستنجده ووافق ذلك وصول
منشور من الخليفة اليه باقطاعه البلاد فسار من نيسابور الى الري وأطاعه قتلغ وسار
معه الى همذان وخرج طغرل للقائهم قبل أن يجمع العساكر ولقيهم قريبا من الري في
ربيع الأول فحمل عليهم وتورط بينهم فصرع عن فرسه وقتل وملك خوارزم شاه

بياض بالأصل

همذان وتبث البلاد جميعا وانقرضت مملكة بني ملك شاه وولي خوارزم شاه على همذان وملك الاعمال فبلغ اينانج بن البهلوان وأقطع كثيرا منها مماليكه وقدم عليهم مساحق منهم ثم استولى وزير الخليفة ابن العطاف على همذان واصبهان والري من يدموا اليه وانتزعها منهم خوارزم كما ذكرناه في أخبار الخلفاء وجاءت العساكر من قبل الخليفة الى همذان مع أبي الهيجاء السمين من أمراء الايوبية وكان أميرا على القدس فعزلوه عنها وسار الى بغداد فبعثه الناصر سنة ثلاث وتسعين بالعساكر الى همذان ولقي عندها ازبك بن البهلوان مطيعا فقبض عليه وأنكر الخليفة ذلك وبعث باطلاقه وخلع عليه وعاد الى بلاد أذربيجان

كان ازبك بن البهلوان قد استولى على اذربيجان بعد موته وكان مشغولا بلذاته فسار الكرج الى مدينة دوبر وحاصروها وبعث أهلها اليه بالصريخ فلم يصرخهم حتى ملكها الكرج عنوة واستباحوها والله تعالى أعلم

كان كوجة من موالي البهلوان قد تغلب على الري وهمذان وبلاد الجبل واصطنع صاحبه ايدغمش ووثق به فنازعه الامر وحاربه فقتله واستولى ايدغمش على البلاد وبقي ازبك بن البهلوان مغلبا ليس له من الحكم شيء

قد ذكرنا أن ازبك كان مشغولا بلذاته مهملا للملك ثم حدثت بينه وبين صاحب اربل وهو مظفر الدين كوكبري سنة اثنتين وستمائة فتنة حملت مظفر الدين على قصده فسار الى مراغة واستنجد صاحبها علاء الدين بن قراسنقر الاحمديلي فسار معه لحصار تبريز وبعث ازبك الصريخ الى ايدغمش بمكانه من بلاد الجبل فسار اليه وأرسل مظفر الدين بالفتن والتهديد فعاد الى بلده وعاد علاء الدين بن قراسنقر الى بلاد مراغة فسار ايدغمش وازبك وحاصروه بمراغة حتى سلم قلعة من قلاعه ورجعوا عنه والله تعالى أعلم

ثم توفي حسام الدين اردشير صاحب مازندران وولي ابنه الاكبر وأخرج أخاه الاوسط عن البلاد فلحق بجرجان وبها علي شاه بن تكش نائبا عن أخيه خوارزم فاستنجده على شرط الطاعة له وأمره أخوه تكش بالمسير معه فساروا من جرجان وبلغهم في طريقهم مهلك صاحب مازندران المتولي بعد أبيه وان أخاه الاصغر استولى على الكراع والاموال فساروا اليه وملكوا البلاد ونهبوها مثل سارية وآمد وغيرها وخطب لخوارزم شاه فيها وعاد علي شاه الى خراسان وأقام ابن صاحب مازندران وهو الاوسط الذي استصرخ به وقد امتنع أخوه الاصغر بقلعة كوري ومعه الاموال والذخائر وأخوه الاوسط فراسله واستعطف وقد ملك البلاد جميعا والله ولي التوفيق

ثم توفي سنة أربع وستمائة علاء الدين بن قراسنقر الأحمديلي صاحب مراغة وأقام
بأمرها خادمه ونصب ابنه طفلا صغيرا وعدى عليه بعض الأمراء وبعث
العسكر لقتاله فانهزموا أولا ثم استقر ملك الطفل ثم توفي سنة خمس وستمائة وانقرض
أهل بيته فسار ازبك بن البهلوان من تبريز الى مراغة واستولى على مملكة آل
قراسنقر ما عدا القلعة التي اعتصم بها الخادم وعنده الخزائن والذخائر

المانقكي ايدغمش في بلاد الجبل همذان واصبهان والري وما اليها عظم شأنه حتى
طلب الامر لنفسه وسار لحصار ازبك ابن مولاه الذي نصبه للامر وكان باذربيجان
فخرج عليه مولى من موالي البهلوان اسمه سنكلي وكثر جمعه واستولى على البلاد
وقدم ايدغمش الى بغداد واحتفل الخليفة لقدومه وتلقاه وذلك سنة ثمان وأقام بها
كان ايدغمش قد وفد سنة ثمان وستمائة الى بغداد وشرفه

الخليفة بالخلع والالوية وولاه على ما كان بيده ورجع الى همذان ووعده الخليفة
بعسكر العساكر فأقام بشطرها عند سليمان بن مرجم أمير الايوانية من التركمان ودس
الى سنكلي بخبره ثم قتل ايدغمش وحمل أصحابه الى سنكلي وافترق أصحابه واستولى
سنكلي وبعث اليه الخليفة بالنكير فلم يلتفت اليه فبعث الى مولاه ازبك بن البهلوان
صاحب اذربيجان يحرضه عليه والى جلال الدين الاسماعيلي صاحب قلعة الموت
ليساعده على أن يكون للخليفة بعض البلاد ولازبك بعضها ولجلال الدين بعضها
وبعث الخليفة العساكر مع مولاه سنقر وجه السبع وأمره بطاعة مظفر الدين
كوكبري بن زين الدين علي بكتكين صاحب اربل وشهرزور وهو مقدم العساكر
جميعا فسار لذلك وهرب سنكلي وتعلق بالجبل بزلواب فتبعه قريبا من كرج فناشبهم
الحرب فانهزم ازبك ثم عاد فعاد ثم أسرى من ليلته منهزما وأصبحوا فاقتسموا البلاد على
الشريطة وولى أزبك فيما أخذ منها مولى أخيه فاستولى عليها ومضى
سنكلي الى ساوة وبها شحنة له فقتله وبعث برأسه الى ازبك واستقر

في بلاد الجبل حتى قتله الباطنية سنة أربع عشرة وستمائة وجاء خوارزم شاه فملكها
كما نذكر في أخباره ودخل ازبك بن البهلوان صاحب اذربيجان واران في طاعته
وخطب له على منابر أعماله وانقرض أمر بني ملكشاه ومواليهم من العراقين وخراسان
وفارس وجميع ممالك المشرق وبقي ازبك ببلاد اذربيجان ثم استولى التتر على
أعمال محمد بن تكش فيما وراء النهر وخراسان وعراق العجم سنة ثماني عشرة وستمائة
وموالي الهند وسار جنكزخان فأطاعه ازبك بن البهلوان سنة احدى وعشرين وأمره
بقتل من عنده من الخوارزمية ففعل ورجع عنه الى خراسان ثم جاء جلال الدين ابن

بياض بالأصل

بياض بالأصل

محمد بن تكش من الهند سنة اثنتين وعشرين فاستولى على عراق العجم وفارس وسار الى أذربيجان فملكها وفر ازبك الى كنجة من بلاد اران ثم ملك كنجة وبلاد أران وفر ازبك الى بعض القلاع هنالك ثم هلك وملك جلال الدين على جميع البلاد وانقرض أمر بني ازبك واستولى التتر على البلاد وقتلوا جلال الدين سنة ثمان وعشرين كما يأتي في أخبارهم جميعا وانتهى الكلام في دولة السلجوقية فلنرجع الى أخبار الدول المتشعبة عنها واحدة بعد واحدة والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

أحمد

محمد ــ بن أوناش

ابراهيم ينال ــــ ابن عم طغرلبك وأخوه لامه

طغرل بن ارسلان شاه بن طغرل ــــــــ بن محمد ــــــــ بن ملك شاه ــــــــ بن ارسلان ــــــــ بن جعفر بك ــ بن ميكال ــــ بن سلجوق

محمد بن مسعود ــ

محمد بن ملك شاه بن محمود

قتلغ آبنانج محمد بن سليمانشاه ــ

ملك شاه بن كافي ــ

برتش ــ

تكش ــ

الياس ــ

قاروت بك ــ

قطلمش بن سعيد ــ

قطلمش بن اسرائيل ــ

ارسلان ــ

عثمان قزل

آغوش ــــ بن ارسلان بن البهلوان ــــ بن ايلدكز

كان أنوشتكين جد دسم تركيا مملوكا لرجل من غرشتان ولذلك يقال له أنوشتكين غرشه ثم صار لرجل من أمراء السلجوقية وعظمائهم اسمه ملكابك وكان مقدما عنده لنجابته وشجاعته ونشأ ابنه محمد على مثل حاله من النجابة والشجاعة وتحلى بالادب والمعارف واختلط بأمراء السلجوقية وولى لهم الاعمال واشتهر فيهم بالكفاية وحسن التدبير ولما ولى بركيارق ابن السلطان ملك شاه وانتقض عليه عمه ارسلان أرغون واستولى على خراسان بعث اليه العساكر سنة تسعين وأربعمائة مع أخيه سنجر وسار فى اثره ولقيهم فى طريقهم خبر مقتل أرغون عمهم وان بعض مواليه خلابه نعدا عليه فقتله كما مر قبل فسار بركيارق فى نواحى خراسان وماوراء النهر حتى دوخها وولى عليها أخاه سنجر وانتقض عليه أمير ميران من قرابته اسمه محمد بن سليمان فسار اليه سنجر وظفر به وسمله وعاد بركيارق الى العراق بعد ان ولى على خوارزم أكنجى شاه ومعنى شاه بلسانهم السلطان فأضيف الى خوارزم على عادتهم فى تقديم المضاف اليه على المضاف ولما انصرف بركيارق الى العراق تأخر من أمرائه قودز وبارقطاش وانتقضا على السلطان ووثبا بالامير اكنجى صاحب خوارزم وهو بمرو ذاهبا الى السلطان شاه فقتلاه وبلغ الخبر الى السلطان وقد انتقض عليه بالعراق الامير انز ومؤيد الملك بن نظام الملك ففنى لحربهما وأعاد الامير داود حبشى بن ايتاق فى عسكر الى خراسان لقتالهما فسار الى هراة وعاجلاه قبل اجتماع عساكره فعبر جيحون وسبق اليه بارقطاش فهزمه داود وأسره وبلغ الخبر الى قودز فثار به عسكره وفر الى بخارى فقبض عليه نائبها ثم أطلقه ولحق بالملك سنجر فقبله وأقام برقطاش أسيرا عند الأمير داود وصفت خراسان من الفتنة والثوار واستقام أمرها للامير داود حبشى فاختار لولاية خوارزم محمد بن أنوشتكين فولاه وظهرت كفايته وكان محبا لاهل الدين والعلم مقربا لهم عادلا فى رعيته فحسن ذكره وارتفع محله ثم استولى الملك سنجر على خراسان فاقر محمد بن أنوشتكين وزاده تقديما وجمع بعض ملوك الترك وقصد خوارزم وكان محمد غائبا عنها ولحق بالترك محمد بن اكنجى الذى كان أبوه أميرا على خوارزم واسمه طغرل تكين محمد فحرض الترك على خوارزم وبلغ الخبر الى محمد بن أنوشتكين فبعث الى سنجر بنيسابور يستمده وسبق الى خوارزم فافترق الترك وطغرل تكين محمد وسار كل منهما الى ناحية ودخل محمد بن أنوشتكين الى خوارزم فازداد بذلك عند سنجر ظهورا والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق لارب سواه

ثم هلك محمد بن أنوشتكين خوارزم وولى بعده ابنه انسز وسار بسيرة أبيه وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وحارب الاعداء فلما ولى افتتح أمره بالاستيلاء على مدينة مقشلاغ

وظهرت كفايته في شأنها فاستدعاه السلطان سنجر فاختصه وكان يصاحبه في أسفاره وحروبه وكل أمره يزيد تقدما عنده والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم

ثم كثرت السعاية عند السلطان سنجر في أتسز خوارزم شاه وأنه يحدث نفسه بالامتناع فسار سنجر اليه لينتزع خوارزم من يده فتجهز أتسز للقائه واقتتلوا فانهزم أتسز وقتل ابنه وخلق كثير من أصحابه واستولى سنجر على خوارزم وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ابن أخيه محمدا ورتب له وزيرا وأتابك وحاجبا وعاد الى مرو منتصف ثلاث وثلاثين وكان أهل خوارزم يستغيثون لأتسز فعاد اليهم بعد سنجر فأدخلوه البلد ورجع سليمان شاه الى عمه سنجر واستبد أتسز بخوارزم والله أعلم

ثم سار سنجر سنة ست وثلاثين لقتال الخطا من الترك فيما وراء النهر لما رجعوا الملك تلك البلاد فيقال ان أتسز أغراهم بذلك ليشغل السلطان سنجر عن بلده وأعماله ويقال ان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بغراخان ملك الخانية في كاشغر وتركستان وهو ابن أخت سنجر زحفت اليه أمم الخطا من الترك ليتملكوا بلاده فسار اليهم وقاتلهم فهزموه وعاد الى سمرقند وبعث بالصريخ الى خاله سنجر فعبر النهر اليه في عساكر المسلمين وملوك خراسان والتقوا في أول صفر سنة ست وثلاثين فانهزم سنجر والمسلمون وفشا القتل فيهم يقال كان القتلى مائة ألف رجل وأربعة آلاف امرأة وأسرت زوجة السلطان سنجر وعاد منهزما وملك الخطا ما وراء النهر وخرجت عن ملك الاسلام وقد تقدم ذكر هذه الواقعة مستوفى في أخبار السلطان سنجر ولما انهزم السلطان سنجر قصد أتسز خوارزم شاه خراسان فملك سرخس ولقي الامام أبا محمد الزيادي وكان يجمع بين العلم والزهد فأكرمه وقبل قوله ثم قصد مرو الشاهجان فخرج اليه الامام أحمد الباخرزي وشفع في أهل مرو وأن لا يدخل لهم أحد من العسكر فشفعه وأقام بظاهر البلد فثار عامة مرو وأخرجوا أصحابه وقتلوا بعضهم وامتنعوا فقاتلهم أتسز وملكها عليهم غلابا أول ربيع من سنة ست وثلاثين وقتل الكثير من أهلها وكان فيهم جماعة من أكابر العلماء وأخرج كثيرا من علمائها الى خوارزم منهم أبو بكر الكرماني ثم سار في شوال الى نيسابور وخرج اليه جماعة من العلماء والفقهاء متطارحين أن يعفيهم مما وقع بأهل مرو فأعفاهم واستصفى أموال أصحاب السلطان وقطع الخطبة لسنجر وخطب لنفسه ولما صرح باسمه على المنبر هم أهل نيسابور بالثورة ثم ردهم خوف العواقب فأقصروا وبعث جيشا الى أعمال بيهق فحاصرها خمسا ثم ساروا في البلاد ينهبون ويكتسحون والسلطان سنجر خلال ذلك متغافل عنه فيما يفعله في خراسان لما وراءه من سد الخطا وقوتهم

ثم أوقع الغز سنة ثمان وأربعين بالسلطان سنجر واستولوا على خراسان وكان هؤلاء الغز

مقيمين بما وراء النهر منذ فارقهم ملوك السلجوقية وكانوا يدينون بالاسلام فلما استولى الخطا على ما وراء النهر أخرجوهم منها فأقاموا بنواحي بلخ وأكثروا فيها العيث والفساد وجمع لهم سنجر وقاتلهم فظفروا به وهزموه وأسروه وانترسلت دولته فلم يعد انتظامه وافترقت أعماله على جماعة من مواليه واستقل حينئذ انسز بملك خوارزم وأعمالها وأورثها بنيه ثم استولوا على خراسان والعراق عند ما ركدت ريح السلجوقية وكانت لهم بعد ذلك دولة عظيمة نذكر أخبارها مفصلة عند دول أهلها والله تعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه

ثم توفي انسز بن محمد بن أنوشتكين في منتصف احدى وخمسين وخمسمائة لستين سنة من ولايته وكان عادلا في رعيته حسن السيرة فيهم ولما توفي ملك بعده ارسلان بن انسز فقتل جماعة من عماله وسمل أخاه ثم بعث بطاعته للسلطان سنجر عند ما هرب من أسر الغز فكتب له بولاية خوارزم وقصد الخطا خوارزم وجمع ارسلان للقائهم وسار غير بعيد ثم طرقه المرض فرجع وأرسل الجيوش لنظر أمير من أمرائه فقاتله الخطا وهزموه وأسروه ورجع الى ما وراء النهر والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم توفي خوارزم شاه ارسلان بن انسز من مرضه الذي قعد به عن لقاء الخطا وملك بعده ابنه الاصغر سلطان شاه محمود في تدبير أمه وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش مقيما في اقطاعه بالجند فاستنكف من ولاية أخيه الاصغر وسار الى ملك الخطا مستنجدا ورغبه في أموال خوارزم وذخائرها فأنجده بجيش كثيف وجاء الى خوارزم ولحق سلطان شاه وأمه بالمؤيد آيه صاحب نيسابور والمتغلب عليها بعد سنجر وأهدى له ورغبه في الاموال والذخائر فجمع وسار معه حتى اذا كان على عشرين فرسخا من خوارزم سار اليه تكش وهزمه وجيء بالمؤيد أسيرا الى تكش فأمر بقتله وقتل بين يديه صبرا ولحق أخوه سلطان شاه بدهستان وتبعه تكش فملكها عنوة وهرب سلطان شاه وأخذت أمه فقتلها تكش وعاد الى خوارزم ولحق سلطان شاه بنيسابور وقد ملكوا طغان شاه أبا بكر بن ملكهم المؤيد ثم سار سلطان شاه من عنده الى غياث الدين ملك الغورية فأقام عنده وعظم تحكم الخطا على علاء الدين تكش صاحب خوارزم واشتطوا عليه وبعثوا يطلبونه في المال فأنزلهم متفرقين على أهل خوارزم ودس اليهم فبيتوهم ولم ينج منهم أحد ونبذ الى ملك الخطا عهده وسمع ذلك أخوه سلطان شاه فسار من غزنة الى ملك الخطا يستنجده على أخيه تكش وادعى أن أهل خوارزم يميلون اليه فبعث معه جيشا كثيفا من الخطا وحاصروا خوارزم فامتنعت وأمر تكش باجراء ماء النهر عليهم فكادوا يغرقون وأفرجوا عن

البلاد ولاموا سلطان شاه فيما عزم فقال لقائدهم ابعث معى الجيش لمرو لانتزعها من
دينار الغزى الذى استولى عليها من حين فتنتهم مع سنجر فبعث معه الجيش وسار الى
سرخس واقتحمها على الغز الذين بها وأثخن فى قتلهم واستباحهم ولحق دينار الى
القلعة فتحصن بها ثم سار سلطان شاه الى مرو وملكها وأقام بها ورجع الخطا الى
ماوراء النهر وأقام سلطان شاه بخراسان يقاتل الغز ويصيب منهم كثيرا وتجرد دينار ملك
الغز عن سرخس فسلمها لطغان شاه بن المؤيد صاحب نيسابور وولى عليها مراموش
من أمرائه ولحق دينار بنيسابور وحاصر دينار سلطان شاه وعاد الى نيسابور ولحق به
مراموش ونزل قلعة سرخس ثم ملك نغلوش والتم وضاقت الامور على طغان شاه
نيسابور الى أن مات فى محرم سنة ثنتين وثمانين وملك ابنه سنجر شاه واستبد عليه
منكلى تكين مملوك جده المؤيد ونفر أهل الدولة من استبداده وتحكمه فلحق أكثرهم
بسلطان شاه فى سرخس وسار الملك دينار من نيسابور فى جموع الغز الى كرمان فملكها ثم
أساء منكلى تكين السيرة بنيسابور فى الرعية بالظلم وفى أهل الدولة بالقتل فسار اليه
خوارزم شاه علاء الدين تكش فى ربيع سنة ثنتين وثمانين فحاصره بنيسابور شهرين
فامتنعت عليه فعاد الى خوارزم ثم رجع سنة ثلاث وثمانين فحاصرها وملكها على
الامان وقتل منكلى تكين وحمل سنجر شاه الى خوارزم فأنزله بها وأكرمه ثم بلغه أنه
يكاتب أهل نيسابور فسمله وبقى عنده الى أن مات سنة خمس وتسعين قال ابن الاثير
ذكر هذا أبو الحسن بن أبى القاسم البيهقى فى كتاب مشارب التجارب وذكر غيره أن
تكش بن ارسلان لما أخرج أخاه سلطان شاه من خوارزم وقصد سلطان شاه الى مرو
فملكها من يد الغز ثم ارتجعوها منه ونالوا من عساكره فعبر الى الخطا واستمدهم
وضمن لهم المال وجاء بجيوشهم فملك مرو وسرخس ونسا وابيورد من يد الغز وصرف
الخطا فعادوا الى بلادهم ثم كاتب غياث الدين الغورى وله هراة وبوشنج وباذغيس
وأعمالها من خراسان يطلب الخطبة له ويتوعده فأجابه غياث الدين بطلب الخطبة
منه بمرو وسرخس وما ملكه من بلاد خراسان ثم ساءت سيرة سلطان شاه فى خراسان
وصادر رعاياها فجهز غياث الدين العساكر مع صاحب سجستان وأمر ابن أخته بهاء
الدين صاحب باميان بالمسير معه فساروا الى هراة وخاف سلطان شاه من لقائهم فرجع
من هراة الى مرو حتى انصرم فصل الشتاء ثم أعاد مراسلة غياث الدين فامتعض
وكتب الى أخيه شهاب الدين بالحضور وكان بالهند فرجع مسرعا اليه وساروا الى خراسان
واجتمعوا لعسكرهم الاول على الطالقان وجمع سلطان شاه جموعه من الغز وأهل
الفساد ونزل على مرو الطالقان وتواقفوا كذلك شهرين وترددت الرسل بين

سلطان شاه وغياث الدين حتى جنح غياث الدين الى النزول له عن بوشنج وباذغيس
وشهاب الدين ابن أخته وصاحب سجستان يجنحان الى الحرب وغياث الدين يكفهم
حتى حضر رسول سلطان شاه عند غياث الدين لاتمام العقد والملوك جميعا حاضرون
فقام   الدين العلوى الهروى وكان غياث الدين يختصه وهو يدل عليه
فوقف فى وسط الجمع ونادى بفساد الصلح وصرخ ومزق ثيابه وحثى التراب على
رأسه وأفحش لرسول سلطان شاه وأقبل على غياث الدين وقال كيف تعمد الى ما ملكناه
بأسيافنا من الغز والاتراك والسنجرية فتعطيه هذا الطريد اذ لا يقنع منا أخوه وهو
الملك بخوارزم ولا بغزنة والهند فأطرق غياث الدين ساكتا فنادى فى عسكره بالحرب
والتقدم الى مرو الروذ وتواقع الفريقان فانهزم سلطان شاه وأخذ أكثر أصحابه
أسرى ودخل الى مرو فى عشرين فارسا ولحق الفل من عسكره وبلغ الخبر الى أخيه
تكش فسار من خوارزم لاعتراضه وقدم العساكر الى جيحون يمنعون
الى الخطا وسمع أخوه سلطان شاه بذلك فرجع عن جيحون وقصد غياث الدين ولما قدم
عليه أمر بتلقيه وأنزله معه فى بيته وأنزل أصحابه عند نظرائهم من أهل دولته وأقام
الى انصرام الشتاء وكتب أخوه علاء الدين خوارزم الى غياث الدين فى رده اليه
ويتهدده لانه فى بلاده وكتب مع ذلك الى نائب غياث الدين بهراة يتهدده فامتعض
غياث الدين لذلك وكتب الى خوارزم شاه بأنه مجيره وشفع فى التجافى عن بلاده
وانصافه من وراثة أبيه ويطلب مع ذلك الخطبة له بخوارزم والصهر مع أخيه شهاب
الدين فامتعض خوارزم شاه وكتب اليه يتهدده ببعض بلاده فجهز غياث الدين اليه
العساكر مع ابن اخته أبو غازى الى بهاء الدين سامى صاحب سجستان وبعثوا مع
سلطان شاه الى خوارزم وكتب الى المؤيد أبيه صاحب نيسابور يستنجده وكانت ابنته
تحت غياث الدين فجمع المؤيد عساكره وخيم بظاهر نيسابور وكان خوارزم شاه عزم
على لقاء أخيه والغورية وسار عن خوارزم فلما سمع خبر المؤيد عاد الى خوارزم واحتمل
أمواله وذخائره وعبر جيحون الى الخطا وترك خوارزم وسار أعيانها الى أخيه سلطان
شاه والبوغازى ابن اخت غياث الدين فأتوا طاعتهم وطلبوا الوالى عليهم وتوفى سلطان
شاه منسلخ رمضان سنة تسع وعاد البوغازى الى خاله غياث الدين ومعه أصحاب سلطان
شاه فاستخدمهم غياث الدين وأقطعهم وبلغ وفاة سلطان شاه الى أخيه خوارزم تكش
فعاد الى خوارزم وعاد الشحنة الى بلاد سرخس ومرو فجهز اليهم نائب الغورية بمرو
عمر المرغنى عسكرا ومنعهم منها حتى يستأذن غياث الدين وأرسل خوارزم شاه الى
غياث الدين فى الصلح والصهر فى وفد من فقهاء خراسان والعلوية يعظمونه ويستجيرون

بياض بالأصل

بياض بالأصل

بهم من خوارزم شاه أن يجير لهم السلطان ويمنعهم ولا يمنعهم ذلك الاصطناع أو سكانه عن وفاء بهم الى الصلح وعقدوه ورد على خوارزم تكش بلاد أخيه وطمع الغز فيها فمالوا الى نواحيها وجاء خوارزم شاه اليها ودخل مرو وسرخس فسار الى ابيورد وتطرق الى طوس وبعث المؤيد ابنه بجمع وسار اليها وعاد خوارزم شاه الى بلده وأفسد المياه في طريقه واتبعه المؤيد فلم يجد ماء فكر عليه خوارزم شاه وقد جهد عسكره العطش فأوقع بهم وجيء اليه بالمؤيد أسيرا فقتله وعاد الى خوارزم وقام بنيسابور بعد المؤيد ابنه طغان شاه ورجع اليه خوارزم شاه من قابل فحاصره

بنيسابور وبرز اليه فأسره وملك نيسابور واحتمل طغان شاه وعياله وقرابته وأنزلهم خوارزم قال ابن الاثير هذه الرواية مخالفة للاولى وانما أوردتهما ليتأمل الناظر ويستكشف أيهما أصح فيعتمدها والله تعالى أعلم

قد تقدم لنا في أخبار الدولة السلجوقية ولاية ارسلان شاه بن طغرل في كفالة ايلدكز وابنه محمد البهلوان من بعده ثم أخيه اربك ارسلان بن ايلدكز وأنه اعتقل السلطان طغرل ثم توفي فولي مكانه قطلغ ابن أخيه البهلوان فخرج السلطان من محبسه وجمع لقتاله سنة ثمان وثمانين فهزمه ولحق قطلغ بالري وبعث الى خوارزم شاه علاء الدين تكش فسار اليه وندم قطلغ على استدعائه فتحصن منه ببعض قلاعه وملك خوارزم شاه الري وقلعة طبرك ورتب فيها الحامية وعاد الى خوارزم لما بلغه أن أخاه سلطان شاه خالفه اليها ولما كان ببعض الطريق لقيه الخبر بأن أهل خوارزم منعوا سلطان شاه وعاد خائبا فتمادى الى خوارزم وأقام الى انسلاخ فصل الشتاء ثم سار الى أخيه سلطان شاه بمرو سنة تسع وثمانين وترددت الرسل بينهما في الصلح ثم استأمن اليه نائب أخيه بقلعة سرخس فسار اليها وملكها ومات أخوه سلطان شاه سنة تسع فسار خوارزم شاه الى مرو وملكها وملك ابيورد ونسا وطوس وسائر مملكة أخيه واستولى على خزائنه وبعث على ابنه علاء الدين محمد فولاه مرو وولى ابنه الكبير ملك شاه نيسابور وذلك آخر تسع وثمانين ثم بلغه أن السلطان طغرل أغار على أصحابه بالري وقطلغ اينانج فبعث اليه بأنه يستنجده ووصل اليه رسول الخليفة يشكو من طغرل وأقطعه أعماله فسار من نيسابور الى الري وتلقاه قطلغ اينانج بطاعته وسار معه ولقيهم السلطان طغرل قبل استكمال تعبيته وحمل عليهم بنفسه وأحيط به فقتل في ربيع سنة تسعين وبعث خوارزم شاه رأسه الى بغداد وملك همذان وبلاد الجبل أجمع وكان الوزير مؤيد الدين بن القصاب قد بعثه الخليفة الناصر مددا لخوارزم شاه في أمره فرحل اليه واستوحش من القصاب فامتنع ببعض الجبال هنالك وعاد خوارزم شاه الى همذان وسلمها وأعمالها

الى قطلغ اينانج وأقطع كثيرا منها مماليكه وقدم عليهم مناجى وأنزل معه ابنه وعاد الى خوارزم ثم اختلف مناجى وقطلغ اينانج واقتتلوا سنة أحدى وتسعين فانهزم قطلغ وكان الوزير بن القصاب قد سار الى خوزستان فملكها وكثيرا من بلاد فارس وقبض على بنى شملة أمرائها وبعثهم الى بغداد وأقام هو يمهد البلاد فلحق به قطلغ اينانج هنالك مهزوما مستميا واستنجده على الرى فأزاح علله وسار معه الى همذان فخرج مناجى وابن خوارزم شاه الى الرى وملك ابن القصاب همذان فى سنة احدى وتسعين وسار الى الرى فأجفل الخوارزميون أمامهم وبعث الوزير العساكر فى اثرهم حتى لحقوهم بالدامغان وبسطام وجرجان ورجعوا عنهم واستولى الوزير على الرى ثم انتقض قطلغ اينانج على الوزير وامتنع بالرى فحاصره الوزير وغلبه عليها ولحق اينانج بمدينة ساوة ورحل الوزير فى اتباعه حتى لحقه على دربندكرخ فهزمه ونجا اينانج بنفسه وسار الوزير الى همذان فأقام بظاهرها ثلاثة أشهر وبعث اليه خوارزم شاه بالنكير على مافعل ويطلب اعادة البلاد فلم يجب الى ذلك وسار خوارزم اليه وتوفى قبل وصوله فقاتل العساكر بعده فى شعبان سنه ثنتين وتسعين فهزمهم وأثخن فيهم وأخرج الوزير من قبره فقطع رأسه وبعث به الى خوارزم لانه كان قتل فى المعركة واستولى على همذان وبعث عسكره الى اصبهان فملكها وأنزل بها ابنه وعاد الى خوارزم وجاءت عساكر الناصر اثر ذلك مع سيف الدين طغرل فقطع بلاد اللحف من العراق فاستدعاه أهل اصبهان فملكوا البلد ولحق عسكر خوارزم شاه بصاحبهم ثم اجتمع مماليك البهلوان وهم أصحاب قطلغ وقدموا على أنفسهم كركجة من أعيانهم وساروا الى الرى فملكوها ثم الى اصبهان كذلك وأرسل كركجة الى الديوان ببغداد يطلب أن يكون الرى له مع جوار الرى وساوة وقم وقاشان وما ينضاف اليها وتكون اصبهان وهمذان وزنجان ومرو من الديوان فكتب له بذلك والله أعلم

قد تقدم لنا أن خوارزم شاه تكش ولى ابنه ملك شاه على نيسابور سنة تسع وثمانين وأضاف اليه خراسان وجعله ولى عهده فى الملك فأقام بها الى سنة ثلاث وتسعين ثم هلك فى ربيع منها وخلف ابنا اسمه هندوخان وولى خوارزم شاه على نيسابور ابنه الآخر قطب الدين الذى كان ولاه بمرو

كان خوارزم شاه تكش لما ملك الرى وهمذان واصبهان وهزم ابن القصاب وعساكر الخليفة بعث الى الناصر يطلب الخطبة ببغداد فامتعض الناصر لذلك وأرسل الى غياث الدين ملك غزنة والغور فقصد بلاد خوارزم شاه فكتب اليه غياث الدين يتهدده بذلك فبعث خوارزم شاه الى الخطا يستنجدهم على غياث الدين ويحذرهم

أن تلك البلاد كلها ملك الخطا فسار الخطا بعساكرهم ووصلوا بلاد الغور وراسلوا بهاء الدين سام ملك باميان وهو بلخ يأمرونه بالخروج عنها وعاثوا في البلاد وخوارزم شاه قد قصد هراة وانتهى الى طوس واجتمع أمراء الغورية بخراسان مثل محمد بن بك مقطع الطالقان والحسين بن خرميل وحروش وجمعوا عساكرهم وكبسوا الخطا وهزموهم وألقوهم في جيحون فنقسموا بين القتل والغرق وبعث ملك الخطا الى خوارزم شاه يتجنى عليه في ذلك ويطلب الدية على القتلى من قومه ويجعله السبب في قتلهم فراجع غياث الدين واستعطفه ووافقه على طاعة الخليفة واعادة ما أخذه الخطا من بلاد الاسلام وأجاب ملك الخطا بأن قومه انما جاؤا الاسترجاع بلخ من يد الغورية ولم يأتوا للتعرض وأنا قد دخلت في طاعة غياث الدين فجهز ملك الخطا عساكره اليه وحاصروه فامتنع فرجعوا عنه بعد أن فني أكثرهم بالقتل وسار في اثرهم وحاصر بخارى وأخذ بعضها حتى ملكها سنة أربع وتسعين وأقام بها مدة وعاد الى خوارزم والله تعالى ولي التوفيق

ثم سار خوارزم شاه تكش لارتجاع الري وبلاد الجبل من يد مناجق والبهلوانية الذين انتقضوا عليه وهرب مناجق عن البلاد وتركها وملكها خوارزم شاه واستدعاه فامتنع من الحضور واتبعه فاستأمن أكثر أصحابه ورجعوا عنه ولحق هو بقلعة من أعمال مازندران فامتنع بها وبعث خوارزم شاه الى الخليفة الناصر فبعث بالخلع له ولولده قطب الدين وكتب له تقليدا بالأعمال التي بيده ثم سار خوارزم شاه لقتال الملحدة فافتتح قلعة لهم قريبة من قزوين وانتقل الى حصار قلعة الموت من قلاعهم فقتل عليها رئيس الشافعية بالري صدر الدين محمد بن الوزان وكان مقدما عنده ولازمه ثم عاد الى خوارزم فوثب الملحدة على وزيره نظام الملك مسعود بن علي فقتلوه فجهز ابنه قطب الدين لقتالهم فسار الى قلعة ترشيش من قلاعهم فحاصرها حتى سألوه في الصلح على مائة ألف دينار يحملونها فامتنع أولا ثم بلغه مرض أبيه فأجابهم وأخذ منهم المال المذكور وعاد والله أعلم

ثم توفي خوارزم شاه تكش بن البارسلان بن اتسز بن محمد أنوشتكين صاحب خوارزم بعد ان استولى على الكثير من خراسان وعلى الري وهمدان وغيرها من بلاد الجبل وكان قد سار من خوارزم الى نيسابور وحات في طريقه اليها في رمضان سنة ست وتسعين وخمسمائة وكان عندما اشتد مرضه بعث لابنه قطب الدين محمد يخبره بحاله ويستدعيه فوصل بعد موته فبايع له أصحابه بالملك ولقبوه علاء الدين لقب أبيه وحمل شلو أبيه الى خوارزم فدفنه بالمدرسة التي بناها هنالك وكان تكش عادلا عارفا بالاصول

والدته على مذهب أبي حنيفة ولما توفي ابنه علاء الدين محمد كان ولده الآخر على شاه باصبهان فاستدعاه أخوه محمد فسار اليه ونهب أهل اصبهان ثقله وولاه أخوه على خراسان فقصد نيسابور وبها هندوخان ابن أخيه ماملك شاه مذ ولاه جده تكش عليها بعد أبيه ملك شاه وكان هندوخان يخاف عمه محمدا لعداوة بينه وبين أبيه ملك شاه ولما مات جده تكش نهب الكثير من خزائنه ولحق بمرو وبلغ وفاة تكش الى غياث الدين ملك غزنة فجلس للعزاء على ما بينهما من العداوة اعظاما للقدرة ثم جمع هندوخان جموعا وسار الى خراسان فبعث علاء الدين محمد بن تكش العساكر لدفاعه مع جنقر التركي فخام هندوخان عن لقائه ولحق بغياث الدين مستنجدا فأكرمه ووعده النصر ودخل جنقر مدينة مرو وبعث بأم هندوخان وولده الى خوارزم مكرمين فأرسل غياث الدين صاحب غزنة الى محمد بن خربك نائبه بالطالقان أن ينبذ الى جنقر العهد ففعل وسار من الطالقان الى مرو الروذ فملكها وبعث الى جنقر يأمره بالخطبة في مرو لغياث الدين أو يفارقها فبعث اليه جنقر يتهدده ظاهرا ويسأله سرا أن يستأمن له غياث الدين فقوى طمعه في البلاد بذلك وأمر أخاه شهاب الدين بالمسير الى خراسان والله أعلم

(استيلاء ملوك الغورية على أعمال خوارزم شاه محمد تكش بخراسان وارتجاعه اياها منهم ثم حصاره هراة من أعمالهم)

ولما استأمن جنقر نائب مرو الى غياث الدين طمع في أعمال خوارزم شاه بخراسان كما قلناه واستدعاه أخوه شهاب الدين للمسير اليها فسار الى غزنة واستشار غياث الدين نائبه بهراة عمر بن محمد المرغني في المسير الى خراسان فنهاه عن ذلك ووصل أخوه شهاب الدين في عساكر غزنة والغور وسجستان وساروا منتصف سبع وتسعين ووصل كتاب جنقر نائب مرو الى شهاب الدين وهو بقرب الطالقان يحثه للوصول وأذن له غياث الدين فسار الى مرو وقاتل العساكر الذين بها من الخوارزمية فغلبهم وأجحرهم بالبلد وسار بالفيلة الى السور فاستأمن أهل البلد وأطاعوا وخرج جنقر الى شهاب الدين ثم جاء غياث الدين بعد الفتح الى هراة مكرما وسلم مرو الى هندوخان بن ملك شاه كما وعده ثم سار الى سرخس فملكها صلحا وولى عليها زنكي بن مسعود من بني عمه وأقطعه معها نسا وابيورد ثم سار الى طوس وحاصرها ثلاثا واستأمن اليه أهلها فملكها وبعث الى علي شاه علاء الدين محمد بن تكش بنيسابور في الطاعة فامتنع فسار اليه وقاتل نيسابور من جانب وأخوه شهاب الدين من الجانب الآخر اليه سقوطه ودخلوا نيسابور وملكوها ونادوا بالامان وجيء بعلي شاه من خوارزم

الى غياث الدين فأتمه وأكرمه وبعثه بالامراء الخوارزمية الى هراة وولى
على خراسان ابن عمه وصهره على ابنته ضياء الدين محمد بن على الغورى ولقبه
علاء الدين وأنزله بنيسابور فى جمع من وجوه الغورية وأحسن الى أهل نيسابور وسلم
على شاه الى أخيه شهاب الدين ورحل الى هراة ثم سار شهاب الدين الى قهستان
وقيل له ان قرية من قراها اهلها اسمعيلية فأمر بقتلهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم
وخرب القرية ثم سار الى حصن من أعمال قهستان وهم اسماعيلية فملكه بالامان بعد
الحصار وولى عليه بعض الغورية فأقام بها الصواب وشعار الاسلام وبعث صاحب
قهستان الى غياث الدين يشكو من أخيه شهاب الدين ويقول ان هذا انقض العهد
الذى بينى وبينكم فاتفق نزول أخيه شهاب الدين على حصن آخر للاسماعيلية
من أعمال دهستان فحاصره فبعث بعض ثقاته الى شهاب الدين يأمره بالرحيل
فامتنع فقطع أطناب سرادقه ورحل مراغما وقصد الهند مغاضبا لاخيه ولما اتصل
بعلاء الدين محمد بن تكش مسيرهما عن خراسان كتب الى غياث الدين يعاتبه عن
أخذه بلاده ويطلب اعادتها ويتوعده باستنصار الخطا عليه فطاوله بالجواب الى خروج
أخيه شهاب الدين من الهند لعجزه عن الحركة لاستيلاء مرض النقرس عليه فكتب
خوارزم شاه الى علاء الدين الغورى نائب غياث الدين بنيسابور يأمره بالخروج
عنها فكتب بذلك الى غياث الدين فأجابه بعده بالنصر وسار اليه خوارزم شاه محمد بن
تكش آخر سنة سبع وتسعين وخمسمائة فلما قرب أبيورد هرب هندوخان من موالى
غياث الدين وملك محمد بن تكش مدينة مرو ونسا وأبيورد وسار الى نيسابور وبها
علاء الدين الغورى فحاصرها وأطال حصارها حتى استأمنوا اليه واستحلفوه
وخرجوا اليه فأحسن اليهم وسأل من علاء الدين الغورى السعى فى الاصلاح بينه
وبين غياث الدين فيمين ذلك وسار الى هراة وبها أقطاعه وغضب على غياث الدين
لقعوده عن انجاده ولم يسر اليه وبالغ محمد بن تكش فى الاحسان الى الحسين بن خرميل
من أمراء الغورية ثم سار الى سرخس وبها الامير زنكى من قرابة غياث الدين
فحاصرها أربعين يوما وضيق مخنقها بالحرب وقطع الميرة ثم سأله زنكى الافراج ليخرج
عن الامان فأفرج عنه قليلا ثم ملأ البلد من الميرة بما يحتاج اليه وأخرج العاجزين
عن الحصار وعاد الى شأنه فندم محمد بن تكش ورحل عنها وجهز عسكرا لحصارها
وجاء نائب الطالقان مددا لمحمد بن خربك داخل بعد أن أرسل اليه بابه
عساكر الخوارزمية المحمرة عليه وأشاع ذلك فأفرجوا عنه وجاء اليه زنكى من
الطالقان فخرج معه ابن خربك الى مرو الروذ وجبى خراجها وما جاورها وبعث

اليه محمد بن تكش عسكر خراسان ثلاثة آلاف مع شاله ولقيهم محمد بن خربك في تسعمائة
فارس فهزمهم وأثخن فيهم قتلا وأسرا وغنم سوادهم وعاد خوارزم شاه محمد بن تكش
الى خوارزم وأرسل الى غياث الدين في الصلح فأجابه مع الحسن بن محمد المرغني من
كبراء الغورية وغالطه في القول ولما وصل الحسن المرغني الى خوارزم شاه واطلع على
أمره قبض على الحسن وسار الى هراة فحاصرها وكتب الحسن الى أخيه عمر بن محمد
المرغني أمير هراة بالخبر فاستعد للحصار وقد كان لحق بغياث الدين أخوان من حاشية
سلطان شاه عم محمد بن تكش المتوفى في سرخس فأكرمهما غياث الدين وأنزلهما
بهراة فكاتبا محمد بن تكش وداخلاه في تمليكه هراة فسار لذلك وحاصر البلد وأميرها
عمر المرغني مرتاب الاخوين وعندهما مفاتيح البلد واطلع أخوه الحسن في محبسه
على شأن الاخوين في مداخلة محمد بن تكش فبعث الى أخيه عمر بذلك فلم يصدقه
فبعث اليه بخط أحدهما فقبض عليهما وعلى أصحابهما واعتقلهم وبعث محمد بن تكش
عسكرا الى الطالقان للغارة عليها فظفر بهم ابن خربك ولم يفلت منهم أحد ثم بعث
غياث الدين ابن أخته البوغاني في عسكر من الغورية فنزلوا قريبا من عسكر خوارزم
شاه محمد بن تكش وقطع عنهم الميرة ثم جاء غياث الدين في عسكر قليل لان أكثرها
مع أخيه شهاب الدين بالهند وغزنة فنزل قريبا من هراة ولم يتقدم على خوارزم
فلما بلغ الحصار أربعين يوما وانهزم أصحاب خوارزم شاه بالطالقان ونزل غياث الدين
وابن أخته البوغاني قريبا منه وبلغه وصول أخيه شهاب الدين من الهند الى غزنة
أجمع الرحيل عن هراة وصالح عمر المرغني على مال حمله اليه وارتحل الى مرو منتصف
ثمان وتسعين وسار شهاب الدين من غزنة الى بلخ ثم الى باميان معتزما على محاربة
خوارزم شاه والتقت طلائعهما فقتل بين الفريقين خلق ثم ارتحل خوارزم شاه عن
مرو وجفلا الى خوارزم وقتل الامير سنجر صاحب نيسابور لاتهامه بالمخادعة وسار
شهاب الدين الى طوس وأقام بها الى انسلاخ الشتاء معتزما على المسير لحصار خوارزم
فأتاه الخبر بوفاة أخيه غياث الدين فرجع الى هراة واستخلف عمر ومحمد بن خربك فسار
اليه جماعة من أمراء خوارزم شاه سنة تسع وتسعين ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ابن خربك ولم ينج
منهم الا القليل فبعث خوارزم شاه الجيوش مع منصور التركي لقتال ابن خربك ولقيهم
على عشرة فراسخ من مرو وقاتلهم فهزموه ودخل مرو منهزما فحاصروه خمسة عشر
يوما ثم استأمن اليهم وخرج فقتلوه وأسف ذلك شهاب الدين وترددت الرسل بينه وبين
خوارزم شاه في الصلح فلم يتم وأراد العود الى غزنة فاستعمل على هراة ابن أخته البوغاني
وملك علاء الدين بن أبي علي الغوري مدينة مرو وزكورة وبلد الغور واعمال

بياض بالاصل

خراسان وفوّض اليه في مملكته وعاد الى غزنة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ثم عاد
خوارزم شاه الى هراة فحاصرها سنة ستمائة وبها البوغازي ابن أخت شهاب الدين
الغوري وكان شهاب الدين قد سار من غزنة الى لهاوور غازيا فحصر خوارزم شاه هراة
الى منسلخ شعبان وهلك في الحصار بين الفريقين خلق وكان الحسين بن خرميل مقيما
بجوزجان وهي اقطاعه فأرسل الى خوارزم شاه يخادعه ويطالبه عسكرا يستلمون
الفيلة وخزانة شهاب الدين فبعث اليه ألف فارس فاعترضهم هو والحسين بن محمد المرغني
فلم ينج منهم الا القليل فندم خوارزم شاه على انفاذ العسكر وبعث الى البوغازي أن يظهر
بعض طاعته ويفرج عنه الحصار فامتنع ثم أدركه المرض فخشي أن يشغله المرض عن
حماية البلد فيملكها عليه خوارزم شاه فرجع الى اجابته واستحلفه وأهدى وخرج له
للقاء ويوطئه بعض الخدمة فمات في طريقه وارتحل خوارزم شاه عن البلد وأحرق
المجانيق وسار الى سرخس فأقام بها

(حصار شهاب الدين خوارزم شاه وانهزامه أمام الخطا)

ولما بلغ شهاب الدين بغزنة ما فعل خوارزم شاه بهراة وموت نائبها البوغازي ابن أخته
وكان غازيا الى الهند ما ثنى عزمه وسار الى خوارزم وكان خوارزم شاه قد سار من
سرخس وأقام بظاهر مرو فلما بلغه خبر مسيره أجفل راجعا الى خوارزم وسبق
شهاب الدين اليها وأجرى الماء في السبخة في طريقها شهاب الدين فأقام أربعين يوما
يطرق المذاهب حتى أمكنه الوصول ثم التقوا واقتتلوا وقتل بين الفريقين خلق كان
منهم الحسين المرغني من الغورية وأسر جماعة من الخوارزمية فقتلهم شهاب الدين
صبرا وبعث خوارزم شاه الى الخطا فيما وراء النهر يستمدهم على شهاب الدين فجمعوا
وساروا الى بلاد الغور وبلغ ذلك شهاب الدين فسار اليهم فلقيهم بالمفازة فهزموه
وحصروه في اندخوي حتى صالحهم وخلص الى الطالقان وقد كثر الارجاف بموته
فتلقاه الحسين بن خرميل صاحب الطالقان وأزاح علله ثم سار الى غزنة واحتمل ابن
خرميل معه خشية من شدة جزعه أن يلحق بخوارزم شاه ويطيعه فولاه حجابته وسار
معه ووجد الخلاف قد وقع بين أمرائه لما بلغهم من الارجاف بموته حسبما مرّ
في أخبار الغورية فأصلح من غزنة ومن الهند وتأهب للرجوع لخوارزم شاه وقد وقع
في خبر هزيمته أمام الخطا بالمفازة وجه آخر ذكرناه هنالك وهو أنه فرق عساكره في المفازة
لقلة الماء فأوقع بهم الخطا متفردين وجاءت الساقة فقاتلهم أربعة أيام مصابرا وبعث
اليه صاحب سمرقند من عسكر الخطا وكان مسلما وأشار عليه بالتحول عليهم ببعث
عسكرا من الليل ويأتوا من الغد متتابعين ويوهمهم صاحب سمرقند بوصول المدد

لشهاب الدين فرجعوا الى الصلح وخلصوا من تلك الواقعة وذلك سنة احدى وستمائة ومات شهاب الدين اثر ذلك

(استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان)

كان نائب الغورية بهراة من خراسان الحسين بن حرميل ولما قتل شهاب الدين الغورى فى رمضان سنة ثنتين وستمائة قام بأمرهم غياث الدين محمود ابن أخيه غياث الدين واستولى على الغور من يد علاء الدين محمد بن أبى على سرورككاه ولما بلغ وفاة شهاب الدين الى الحسين بن حرميل نائب هراة جمع أعيان البلد وقاضيهم واستحلفهم على الامتناع من خوارزم شاه ظاهرا ودس الى خوارزم شاه بالطاعة ويطلب عسكرا يمتنع به من الغورية وبعث ابنه رهينة فى ذلك فأنفذ اليه عسكرا من نيسابور وأمرهم بطاعة ابن حرميل وغياث الدين خلال ذلك يكاتب ابن حرميل ويطلبه فى الطاعة فيراوغه بالمواعدة وبلغه خبره مع خوارزم شاه فاعتزم على النهوض اليه واستشار ابن حرميل بهراة أعيان البلد يختبر ما عندهم فقال له على بن عبد الخالق مدرس مية وناظر الاوقاف الرأى صدق الطاعة لغياث الدين فقال انما أخشاه فسر اليه وتوثق لى منه ففعل وسار الى غياث الدين فأطلعه على الجلى من أمر ابن حرميل وعده الثورة به وكتب غياث الدين الى نائبه بمرو يستدعيه فتوقف وحمله أهل مرو على المسير فسار فخلع عليه غياث الدين وأقطعه واستدعى غياث الدين أيضا نائبه بالطالقان أميران قطر فتوقف فأقطع الطالقان سونج مملوك ابنه المعروف بأمير شكار وبعث الى ابن حرميل مع ابن زياد بالخلع ووصل معه رسوله يستعجز خطبته له فطله أياما حتى وصل عسكر خوارزم شاه من نيسابور ووصل فى اثرهم خوارزم شاه وانتهى الى بلخ على أربعة فراسخ فندم ابن حرميل عند ما عاين مصدوقة الطاعة وعرف عسكر خوارزم شاه بأن صاحبهم قد صالح غياث الدين وترك له البلاد فانصرفوا الى صاحبهم وبعث اليه معهم بالهدايا ولما سمع غياث الدين بوصول عسكر خوارزم شاه الى هراة أخذ اقطاع ابن حرميل وقبض على أصحابه واستصفى أمواله وما كان له من الذخيرة فى حروبان وتبين ابن حرميل فى أهل هراة الميل الى غياث الدين والانحراف عنه وخشى من ثورتهم به فأظهر طاعة غياث الدين وجمع أهل البلد على مكاتبته بذلك فكتبوا اجمعا وأخرج الرسول بالكتاب ودس اليه بأن يلحق عسكر خوارزم شاه فيردهم اليه فوصل الرسول بهم لرابع يومه ولقيهم ابن حرميل وأدخلهم البلد وسمل ابن زياد الفقيه وأخرج صاعدا القاضى وشيع الغورية فلحقوا بغياث الدين وسلم البلد لعسكر خوارزم شاه وبعث غياث الدين عسكره مع على بن أبى على وسار معه أميران صاحب الطالقان وكان منحرفا

عن غياث الدين بسبب عزله فدس الى ابن خرميل بأن يكبسه وواعده ليلة وحلف له
على ذلك فكبسه ابن خرميل فانهزم عسكر غياث الدين وأسر كثير من أمرائه وشن
ابن خرميل الغارة على بلاد باذغيس وغيرها من البلاد واعتزم غياث الدين على المسير
بنفسه الى هراة ثم شغل عن ذلك بأمر غزنة وتسيير صاحب باميان الى الدوس وأقصر
واستطور خوارزم شاه الى بلخ وقد كان عند مقتل شهاب الدين أطلق الغورية الذين
كان أسرهم في المصاف على خوارزم وخيرهم في المقام عنده أو اللحاق بقومهم
واستصفى من أكابرهم محمد بن بشير وأقطعه فلما قصد الآن بلخ قدم اليه أخوه علي شاه
في العساكر وسار اليه عمر بن الحسين أميرها مدافعة عنها ونزل على أربعة فراسخ وأرسل
الى أخيه خوارزم شاه بذلك فسار اليه في ذي القعدة من السنة ونزل على بلخ وحاصرها
وهم ينتظرون المدد من صاحبهم باميان بن بهاء الدين وقد شغلوا بغزنة فحاصرها
خوارزم شاه أربعين يوما ولم يظفر فبعث محمد بن بشير الغوري الى عماد الدين عمر بن
الحسين بأنها يستنزله فامتنع فاعتزم خوارزم شاه على المسير الى هراة ثم بلغه أن أولاد
بهاء الدين أمراء باميان ساروا الى غزنة وأسرهم تاج الدين الدز فأعاد محمد بن بشير الى
عمر بن الحسين فأجاب الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له وخرج اليه فأعاده الى بلده
وذلك في ربيع سنة ثلاث وستمائة ثم سار خوارزم شاه الى جوزجان وبها علي بن علي
فنزل له عنها وسلمها خوارزم شاه الى ابن خرميل لانها كانت من أقطاعه وبعث الى
غياث الدين عمر بن الحسين من بلخ يستدعيه ثم قبض عليه وبعث به الى خوارزم شاه
وسار الى بلخ فاستولى عليها واستخلف عليها جعفري التركي وعاد الى بلاده .

(استيلاء خوارزم شاه على ترمذ وتسليمها للخطا)

ولما أخذ خوارزم شاه بلخ سار عنها الى ترمذ وبها عماد الدين عمر بن الحسين الذي كان
صاحب بلخ وقدم اليه محمد بن علي بن بشير بالعذر عن شأن أبيه وانه اعتاضه خوارزم
مكرما وهو أعظم خواصه ويعده بالاطلاع فاتهم على صاحبها أمره واجتمع عليه
خوارزم شاه والخطا من جميع جوانبه وأسر أصحابه ملوك باميان بغزنة فاستأمن الى
خوارزم شاه وملكه البلد ثم سلمها الى الخطا وهم على كفرهم ليسالموه حتى يملك
وينتزعها منهم فكان كما قدره والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء خوارزم شاه على الطالقان)

ولما ملك خوارزم شاه ترمذ سار الى الطالقان وبها سونج واستناب على الطالقان أمير
شكار نائب غياث الدين محمود وبعث اليه يستميله فامتنع وبرز للحرب حتى تراءى

الجمعان فنزل عن فرسه وقبل الارض وجاء معتذرا فاعرض عنه وملك الطالقان واستولى على ما فيها وبعث اليه سريج واستناب على الطالقان بعض أصحابه وسار الى قلاع كالوين وبيوار وبها حسام الدين على بن ابي على فقاتله ودفعه عن ناحيته وسار الى هراة وخيم بظاهرها وجاء رسول غياث الدين بالهدايا والتحف ثم سار ابن خرميل في جمع من عساكر خوارزم شاه الى اسفزار فملكها على الامان في صفر من السنة وبعث الى صاحب سجستان وهو حرب بن محمد بن ابراهيم من عقب خلف الذى كان ملكها ايام محمود بن سبكتكين فى الطاعة لخوارزم والخطبة له فامتنع وقصد خوارزم شاه وهو على هراة القاضى صاعد بن الفضل الذى أخرجه ابن خرميل ونفى بغياث الدين فلما جاء الى خوارزم شاه رماه ابن خرميل بالميل الى الغورية فحبسه بقلعة زوزن وولى القضاء بهراة الصفى أبا بكر بن محمد السرخسى وكان ينوب عن صاعد ولايته فى القضاء.

(استيلاء خوارزم شاه على مازندان وأعمالها)

ثم توفى صاحب مازندان حسام الدين اردشير وولى مكانه ابنه الاكبر وطرد أخاه الاوسط فقصد جرجان وبها الملك على شاه ينوب عن أخيه خوارزم شاه فجاء يشكو واستمده فاستأذن أخاه وسار معه من جرجان سنة ثلاث وستمائة ومات الاخ الذى ولى على مازندان وولى مكانه أخوهما الاصغر ووصل على شاه ومعه أخو صاحب مازندان فعاثوا فى البلاد وامتنع الملك بالقلاع مثل سارية وآمد فملكوها من يده وخطب فيها لخوارزم شاه وعاد على شاه الى جرجان وترك ابن صاحب مازندان الذى استجار به ملكا فى تلك البلاد وأخوه بقلعة كوره

(استيلاء خوارزم شاه على ماوراء النهر وقتاله مع الخطا وأسره وخلاصه)

قد تقدم لنا كيف تغلب الخطا على ماوراء النهر منذ هزموا سنجر بن ملك شاه وكانوا أمة بادية يسكنون الخيام التى يسمونها الخركاوات وهم على دين المجوسية كما كانوا وكانوا متوطنين بنواحى أوزكنده وبلاد ساغون وكاشغر. وكان سلطان سمرقند وبخارى من ملوك الخانية الاقدمين عريقا فى الاسلام والبيت والملك ويلقب خان خانان بمعنى سلطان السلاطين وكان الخطا وضعوا الجزية على بلاد المسلمين فيما وراء النهر وكثر منهم ثقلت وطأتهم فأنف صاحب بخارى من تحكمهم وبعث الى خوارزم شاه يستصرخه لاديتهم على أن يحمل اليه ما يحملونه للخطا وتكون له الخطبة والسكة وبعث ذلك وجوه بخارى وسمرقند فحلفوا له ووضعوا رهائنهم عنده فتجهز لذلك وولى أخاه

علي شاه على طبرستان مع جرجان وولى على نيسابور الامير كزلك خان من أخواله وأعيان دولته ونصب معه عسكرا وولى على قلعة زوزن أمين الدين أبا بكر وكان أصله جمالا فارتفع ورقى في الرتب الى ملك كرمان وولى على مدينة الجام الامير جلدك وأقر على هراة الحسين بن خرميل وأنزل معه ألفا من المقاتلة واستناب في مرو وسرخس وغيرهما وصالح غياث الدين محمودا على ما بيده من بلاد الغور وكرسيين وجمع عساكر وسار الى خوارزم فتجهز منها وعبر جيحون واجتمع بسلطان بخارى وسمرقند وزحف اليه الخطا فتواقعوا معه مرات وبقيت الحرب بينهم سجالا ثم انهزم المسلمون وأسر خوارزم شاه ورجعت العساكر الى خوارزم مغلولة وقد أرجف بموت السلطان وكان كزلك خان نائب نيسابور محاصرا لهراة ومعه صاحب زوزن فرجعوا الى بلادهما وأصلح كزلك خان سور نيسابور واستكثر من الجند والاقوات وحدثته نفسه بالاستبداد وبلغ خبر الارجاف الى أخيه علي شاه بطبرستان فدعا لنفسه وقطع خطبة أخيه وكان مع خوارزم شاه حين أسر أمير من أمرائه يعرف بابن مسعود فضل للسلطان بأن أظهر نفسه في صورته واتفقا في دعائه باسم السلطان وأوهما صاحبهما الذي أسرهما ان ابن مسعود هو السلطان وان خوارزم شاه خديمه فأوجب ذلك الخطائي حقه وعظمه لاعتقاده انه السلطان وطلب منه بعد أيام أن يبعث ذلك الخديم لاهله وهو خوارزم شاه في الحقيقة ليعرف أهله بخبره ويأتيه بالمال فيدفعه اليه فأذن له الخطائي في ذلك وأطلقه بكتابه ولحق بخوارزم ودخل اليها في يوم مشهود وعلم بما عليه أخوه علي شاه بطبرستان وعسكر كزلك خان بنيسابور وبلغهما خبر خلاصه فهرب كزلك خان الى العراق ولحق علي شاه بغياث الدين محمود فأكرمه وأنزله وسار خوارزم شاه الى نيسابور فأصلح أمورها وولى عليها وسار الى هراة فنزل عليها وعسكره محاصرون لها وذلك سنة أربع وستمائة والله أعلم

(مقتل ابن خرميل ثم استيلاء خوارزم شاه على هراة)

كان ابن خرميل قد تنكر لعسكر خوارزم شاه الذين كانوا عنده بهراة لسوء سيرتهم لما عبر خوارزم شاه جيحون واشتغل بقتال الخطا فقبض ابن خرميل على العسكر وحبسهم وبعث الى خوارزم شاه يعتذر ويشكو من فعلهم فكتب اليه يستحسن فعله ويأمره بانفاذ ذلك العسكر اليه ينتفع بهم في قتال الخطا وكتب الى جلدك بن طغرل صاحب الجام أن يسير اليه بهراة ثقة بفعله وحسن سريرته وأعلم ابن خرميل بذلك ودس الى جلدك بالقبض على ابن خرميل بكل وجه والقبض عليه فسار في ألفي مقاتل وكان يهوى ولاية هراة لان أباه طغرل كان واليها بالسنجر فلما قارب هراة أمر ابن خرميل

الناس بالخروج لتلقيه وخرج هو في اثرهم بعد ان أشار عليه وزيره خواجا الصاحب فلم يقبل فلما التقى جلدك وابن حرميل ترجلا عن فرسيهما للسلام وأحاط أصحاب جلدك بابن حرميل وقبضوا عليه وانهزم أصحابه الى المدينة فأغلق الوزير خواجا الابواب واستعد للحصار وأظهر دعوة غياث الدين محمود وجاء جلدك فناداه من السور وتهدده بقتل ابن حرميل وجاء ابن حرميل حتى أمره بتسليم البلد لجلدك فأبى وأساء الرد عليه وعلى جلدك فقتل ابن حرميل وكتب الى خوارزم شاه بالخبر فبعث خوارزم شاه الى كزلك خان نائب نيسابور والى أمين الدين أبي بكر نائب زوزن بالمسير الى جلدك وحصار هراة معه فسار لذلك في عشرة آلاف فارس وحاصروها فامتنعت وكان خلال ذلك ما قدمناه من انهزام خوارزم شاه أمام الخطا وأسرهم اياه ثم تخلص ولحق بخوارزم ثم جاء الى نيسابور ولحق بالعساكر الذين يحاصرون هراة فأحسن الى أمرائهم لصبرهم وبعث الى الوزير خواجا في تسليم البلد لانه كان يعد عسكره بذلك حين وصوله فامتنع وأساء الرد فشد خوارزم في حصاره وضجر أهل المدينة وجهدهم الحصار وتحدثوا في الثورة فبعث جماعة من الجند للقبض عليه فثاروا بالبلد وشعر جماعة العسكر من خارج بذلك فرجعوا الى السور واقتحموه وملك البلد عنوة وجيء بالوزير أسيرا الى خوارزم شاه فأمر بقتله فقتل وكان ذلك سنة خمس وستمائة وولى على هراة خاله أمير ملك وعاد وقد استقر له أمر خراسان

(١) *(استيلاء خوارزم شاه على بيروزكوه وسائر بلاد خراسان)*

لما ملك خوارزم شاه هراة وولى عليها خاله أمير ملك وعاد الى خوارزم بعث الى أمير ملك يأمره   بيروزكوه وكان بها غياث الدين محمود بن غياث الدين وقد لحق به أخوه علي شاه وأقام عنده فسار أمير ملك وبعث اليه محمود بطاعته ونزل اليه فقبض عليه أمير ملك وعلى علي شاه أخي خوارزم شاه وقتلهما جميعا سنة خمس وستمائة وصارت خراسان كلها لخوارزم شاه محمد بن تكش وانقرض أمر الغورية وكانت دولتهم من أعظم الدول وأحسنها والله تعالى ولي التوفيق

(هزيمة الخطا)

ولما استقر أمر خراسان لخوارزم شاه واستنفر وعبر نهر جيحون وسار اليه الخطا وقد احتفلوا للقائه وملكهم يومئذ طاينكوه ابن مائة سنة ونحوها وكان مظفرا بصيرا بالحرب واجتمع خوارزم شاه وصاحب سمرقند وبخارى وتراجعوا سنة ست وستمائة ووقعت بينهم حروب لم يعهد مثلها ثم انهزم الخطا وأخذ فيهم القتل كل مأخذ

(١) من ا... البا... وسكـ... التحتـ... المهـ... زاء م... الكا... وهاء... الازر... حصيـ... جبال... من أبـ... بيا...

وأسر ملكهم طاينكو فأكرمه خوارزم شاه وأجلسه معه على سريره وبعث به الى خوارزم وسار هو الى ما وراء النهر وملكها مدينة مدينة الى أوزكند وأنزل نوابه فيها وعاد الى خوارزم ومعه صاحب سمرقند فأصهر اليه خوارزم شاه بأخته وردّه الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند على ما كان أيام الخطا والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء

(انتقاض صاحب سمرقند)

ولما عاد صاحب سمرقند الى بلده أقام شحنة خوارزم شاه وعسكره معه نحوا من سنة ثم استقبح سيرتهم ونكر لهم وأمر أهل البلاد فثاروا بهم وقتلوهم في كل مذهب وهمّ بقتل زوجته أخت خوارزم شاه فغلقت الابواب دونه واستجمت فتركها وبعث الى ملك الخطا بالطاعة وبلغ الخبر الى خوارزم شاه فاستعظم وهمّ بقتل من في بلده من أهل سمرقند ثم انثنى عن ذلك وأمر عساكره بالتوجه الى ما وراء النهر فخرجوا أرسالا وهو في أثرهم وعبر بهم النهر ونزل على سمرقند وحاصرها ونصب عليها الآلات وملكها عنوة واستباحها ثلاثا وقتل فيها نحوا من مائتي ألف واعتصم صاحبها بالقلعة ثم حاصرها وملكها عنوة وقتل صاحبها صبرا مع جماعة من أقربائه ومحا آثار الخانية وأنزل في سائر البلاد وراء النهر نوابه وعاد الى خوارزم والله تعالى ولي النصر بمنه وفضله

(استلحام الخطا)

قد تقدم لنا وصول طائفة من أمم الترك الى بلاد تركستان وكاشغر وانتشارهم فيما وراء النهر واستخدموا للملوك الخانية أصحاب تركستان وكان ارسلان خان محمد بن سليمان ينزلهم مسالح على الريف فيما بينه وبين الصين ولهم على ذلك الاقطاعات والجرايات وكان يعاقبهم على ما يقع منهم من الفساد والعيث في البلاد ويوقع بهم فنفروا من بلاده وانتقلوا عنه فيما من الارض ونزلوا بلاد ساغون ثم خرج كوخان ملك الترك الاعظم من الصين سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة فسارت اليه أمم الخطا ولقيهم الخان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بقراخان وهو ابن أخت السلطان سنجر فهزموه وبعث بالصريخ الى خاله سنجر فاستنفر ملوك خراسان وعساكر المسلمين وعبر جيحون للقائهم في صفر سنة ست وثلاثين ولقيه أمم الترك والخطا فهزموه وأثخنوا في المسلمين وأسرت زوجة السلطان سنجر ثم أطلقها كوخان بعد ذلك وملك الترك بلاد ما وراء النهر ثم مات كوخان ملكهم سنة سبع وثلاثين ووليت بعده ابنته وماتت قريبا وملكت من بعدها أمها زوجة كوخان وابنه محمد ثم انقرض ملكهم واستولى الخطا على ما وراء

النهر الى أن غلبهم عليه خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش كما قدمنا وكانت قد خرجت قبل ذلك خارجة عظيمة من الترك يعرفون بالتتر ونزلوا في حدود الصين وراء تركستان وكان ملكهم كشلى خان ووقع بينه وبين الخطا من العداوة والحروب ما يقع بين الامم المتجاورة فلما بلغهم ما فعله خوارزم شاه بالخطا أرادوا الانتقام منهم وزحف كشلى في أمم التتر الى الخطا لينتهز الفرصة فيهم فبعث الخطا الى خوارزم شاه يتلطفون له ويسألونه النصر من عدوهم قبل أن يستحكم أمرهم وتضيق عنه قدرته وقدرتهم وبعث اليه كشلى يغريه بهم وأن يتركه واياهم ويحالف له على مسالمة بلاده فسار خوارزم شاه يوهم كل واحد من الفريقين انه له وأقام منتبذا عنهما حتى تواقعوا وانهزم الخطا فمال مع التتر عليهم واستلحموهم في كل وجه ولم ينج منهم الا القليل تحصنوا بين جبال في نواحي تركستان وقليل آخرون لحقوا بخوارزم شاه كانوا معه وبعث خوارزم شاه الى كشلى خان ملك التتر يعتد عليه بهزيمة الخطا وانها انما كانت بمظاهرته فأظهر له الاعتراف وشكره ثم نازعه في بلادهم وأملاكهم وسار لحربهم ثم علم انه لاطاقة له بهم فكثر مراوغهم على اللقاء وكشلى خان يعذله في ذلك وهو يغالطه واستولى كشلى خان خلال ذلك على كاشغر وبلاد تركستان وساغون ثم عمد خوارزم شاه الى الشاش وفرغانة واسبيجاب وكاشان وما حولها من المدن التي لم يكن في بلاد الله انزه منها ولا أحسن عمارة فجلا أهلها الى بلاد الاسلام وخرب جميعها خوفا أن يملكها التتر ثم اختلف التتر بعد ذلك وخرج على كشلى طائفة أخرى منهم يعرفون بالمغل وملكهم جنكزخان فشغل كشلى خان بحربهم عن خوارزم شاه فعبر النهر الى خراسان وترك خوارزم شاه الى أن كان من أمره ما نذكره والله تعالى أعلم

(استيلاء خوارزم شاه على كرمان ومكران والسند)

قد تقدم لنا أنه كان من جملة أمراء خوارزم شاه تكش تاج الدين أبو بكر وانه كان كريا للدواب ثم ترقت به الاحوال الى أن صار سروان لتكش والسروان مقدم الجهاد ثم تقدم عنده بجلده وامانته وصار أميرا وولاه قلعة زوزن ثم تقدم عند علاء الدين محمد بن تكش واختصه فأشار عليه بطلب بلاد كرمان لما كانت مجاورة لوطنه فبعث معه عسكرا وسار الى كرمان سنة ثنتي عشرة وصاحبها بومشد محمد بن حرب أبي الفضل الذي كان صاحب سجستان أيام السلطان سنجر فغلبه على بلاده وملكها ثم سار الى كرمان وملكها كلها الى السند من نواحي كابل وسار الى هرمز من مدن فارس بساحل البحر واسم صاحبها مكيك فأطاعه وخطب لخوارزم شاه وضمن مالا يحمله وخطب له بقلعات وبعض عمان من وراء النهر لانهم كانوا يتقربون الى

بياض بالاصل

صاحب هرمز بالطاعة وتسير سفنهم بالتجار إلى هرمز لأنه المرسى العظيم الذي تسافر
إليه التجار من الهند والصين وكان بين صاحب هرمز وصاحب كيش مغاورات وفتن
وكل واحد منهما يمنع مراكب بلاده أن ترسي ببلاد الآخر وكان خوارزم شاه
يطوف نواحي سمرقند خشية أن يقصد التتر أصحاب كشلي خان بلاده

(استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها)

ولما استولى خوارزم شاه محمد بن تكش على بلاد خراسان وملك باميان وغيرها وبعث
تاج الدين الدز صاحب غزنة وقد تغلب عليها بعد ملوك الغورية وقد تقدم في أخبار
دولتهم يبعث إليه في الخطبة له وأشار عليه كبير دولته قطلغ تكين مولى شهاب الدين
الغوري وسائر أصحابه بالإجابة إلى ذلك فخطب له ونقش السكة باسمه وسار يتصيد وترك
قطلغ تكين بغزنة نائباً عنه فبعث قطلغ تكين لخوارزم شاه يستدعيه فأغذ السير وملك
غزنة وقلعتها وقتل الغورية الذين وجدوا بها خصوصاً الأتراك وبلغ الخبر الدز فهرب
إلى أساون ثم أحضر خوارزم شاه قطلغ ووبخه على فعله وما أتاه لصاحبه وصادره على
ثلاثين حملاً من أصناف الأموال والأمتعة وأربعمائة مملوك ثم قتله وعاد إلى خوارزم
وذلك سنة ثلاث عشرة وستمائة وقيل سنة ثنتي عشرة بعد أن استخلف عليها ابنه جلال
الدين منكبرس والله أعلم بغيبه وأحكم

(استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل)

كان خوارزم شاه محمد بن تكش قد ملك الري وهمذان وبلاد الجبل كلها أعوام تسعين
وخمسمائة من يد قطلغ اينانج بقية أمراء السلجوقية ونازعه فيها ابن القصاب وزير
الخليفة الناصر فغلبه خوارزم شاه وقتله كما مر في أخباره ثم شغل عنها تكش إلى
أن توفي وذلك سنة ست وتسعين وصار ملكه لابنه علاء الدين محمد بن تكش وتغلب
موالي البهلوان على بلاد الجبل واحداً بعد واحد ونصبوا أزبك بن مولاهم البهلوان
ثم انتقضوا عليه وخطبوا لخوارزم شاه وكان آخر من ولي منهم أغلمش وأقام بها مدة
يخطب لعلاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه ثم وثب عليه بعض الباطنية وطمع
أزبك بن محمد البهلوان بقية الدولة السلجوقية بأذربيجان وأران في الاستيلاء على
أعمال أصبهان والري وهمذان وسائر بلاد الجبل وطمع سعد بن زنكي صاحب فارس
ويقال سعد بن دكلا في الاستيلاء عليها أيضاً كذلك وسار في العساكر وملك أزبك
أصبهان بممالأة أهلها وملك سعد الري وقزوين وسمنان وطار الخبر إلى خوارزم شاه
بأصبهان بسمرقند فسار في العساكر سنة أربع عشرة وستمائة في مائة ألف بعد أن جهز

العساكر فيما وراء النهر وبثغور الترك وانتهى الى قومس ففارق العساكر وسار متجردا
فى اثنى عشر ألفا فلما ظفرت مقدمته بأهل الرى وسعد مخيم بظاهرها وركب للقتال يظن
انه السلطان ثم تبين الآلة والمركب واستيقن انه السلطان فولت عساكره منهزمة
وحمل فى أسر السلطان وبلغ الخبر الى أزبك باصبهان فسار الى همذان ثم عدل عن
الطريق فى خواصه وركب الاوعار الى أذربيجان وبعث وزيره أبا القاسم بن على
بالاعتذار وبعث اليه فى الطاعة فأجابه وحمله الضريبة فاعتذر بقتال الكرج وأما سعد
صاحب فارس فبلغ الخبر بأسره الى ابنه نصرة الدين أبى بكر فهاج بخلعان أبيه وأطلق
السلطان سعدا على أن يعطيه قلعة اصطخر ويحمل اليه ثلث الخراج وزوجه بعض
قرابته وبعث معه من رجال الدولة من يقبض اصطخر فلما وصل الى شيراز وجد ابنه
منتقضا فداخله بعض أمراء ابنه وفتح له باب شيراز ودخل على ابنه واستولى على ملكه
وخطب لخوارزم شاه واستولى خوارزم شاه على شاورة وقزوين وجرجان وابهر
وهمذان واصبهان وقم وقاشان وسائر بلاد الجبل واستولى عليها كلها من أصحابها
واختص الامير طائيسين بهمذان وولى ابنه ركن الدولة ياورشاه عليهم جميعا وجعل معه
جمال الدين محمد بن سابق الشاوى وزيرا

(طلب الخطبة وامتناع الخليفة منها)

ثم بعد ذلك بعث خوارزم شاه محمد بن تكش الى بغداد يطلب الخطبة بها من الخليفة
كما كانت لبنى سلجوق وذلك سنة أربع عشرة وذلك لما رأى من استفحال أمره واتساع
ملكه فامتنع الخليفة من ذلك وبعث فى الاعتذار عنه الشيخ شهاب الدين السهروردى
فأكبر السلطان مقدمه وقام لتلقيه وأول ما بدأ به الكلام على حديث
وجلس على ركبتيه لاستماعه ثم تكلم وأطال وأجاد وعرض بالموعظة فى معاملة النبى
صلى الله عليه وسلم فى بنى العباس وغيرهم والتعرض لاذايتهم فقال السلطان
حاش لله من ذلك وأنا ما آذيت أحدا منهم وأمير المؤمنين كان أولى منى بموعظة
الشيخ فقد بلغنى أن فى محبسه جماعة من بنى العباس مخلدين بتناسلون فقال الشيخ
الخليفة اذا حبس أحدا للاصلاح لا يعترض عليه فيه فما وسع الا النظر فى المصالح
ثم ودعه السلطان ورجع الى بغداد وكان ذلك قبل أن يسير الى العراق فلما استولى على
بلاد الجبل وفرغ من أمرها سار الى بغداد وانتهى الى عقبة سراباد وأصابه هنالك ثلج
عظيم أهلك الحيوانات وعفن أيدى الرجال وأرجلهم حتى قطعوها ووصله هنالك
شهاب الدين السهروردى ووعظه فندم ورجع عن قصده فدخل الى خوارزم سنة
خمس عشرة والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

بياض بالاصل

(قسمة السلطان خوارزم شاه الملك بين ولده)

ولما استكمل السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش ملكه بالاستيلاء على الري وبلاد الجبل قسم أعمال ملكه بين ولده فجعل خوارزم وخراسان ومازندران لولي عهده قطب الدين أولاغ شاه وانما كان ولي عهده دون ابنه الاكبر جلال الدين منكبرس لان أم قطب الدين وأم السلطان وهي تركان خاتون من قبيلة واحدة وهم بياروت من شعوب يمك احدى بطون الخطا فكانت تركان خاتون متحكمة في ابنها السلطان محمد ابن تكش وجعل غزنة وباميان والغور وبست وتكناباد ومامن الهند لابنه جلال الدين منكبرس وكرمان وكيس ومكران لابنه غياث الدين بيرشاه وبلاد الجبل لابنه ركن الدين غورشاه كما قدمناه وأذن لهم في ضرب النوب الخمس له وهي دبادب صغار تقرع عقب الصلوات الخمس واختص هو بنوبة سماها نوبة ذي القرنين سبع وعشرين دبدبة كانت مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة بالجواهر هكذا ذكر الوزير محمد ابن أحمد النسوي المنشي كاتب جلال الدين منكبرس في أخباره وأخبار أبيه علاء الدين محمد بن تكش وعليه اعتمدت دون غيره لانه أعرف بأخبارهما وكانت كرمان ومكران وكيس لمؤيد الملك قوام الدين وهلك منصرف السلطان من العراق فأقطعها لابنه غياث الدين كما قلناه وكان الملك هذا سوقة فأصبح ملكا وأصل خبره ان أمه كانت داية في دار نصرة الدين محمد بن أبي صاحب زوزن فنشأ في بيته واستخدمه وبعثه للسلطان فسعى بدمه من الباطنية ثم رجع فقدم من السلطان بذلك فاقطع نصرة الدين الى الاسماعيلية وتحصن ببعض قلاع زوزن وكتب قوام الدين بذلك الى السلطان فجعل اليه وزارة زوزن وولاية حمايتها ولم يزل يخادع صاحبه نصرة الدين الى أن راجع فتمكن من السلطان وقتله ثم طمع قوام الدين في ملك كرمان وكان بها أمير من بقية الملك دينار وأمده السلطان بعسكر من خراسان فملك كرمان وحسن موقع ذلك من السلطان فلقبه مؤيد الملك وجعلها في أقطاعه ولما رجع السلطان من العراق وقد نفقت جماله بعث اليه بأربعة آلاف بختي ونوفي اثر ذلك فرد السلطان أعماله الى ابنه غياث الدين كما قلناه وحمل من تركته الى السلطان سبعون حملا من الذهب جلا الاصناف

(أخبار تركان خاتون أم السلطان محمد بن تكش)

كانت تركان خاتون أم السلطان محمد بن تكش من قبيلة بياروت من شعوب الترك يمك من الخطا وهي بنت خان جنكش من ملوكهم تزوجها السلطان خوارزم شاه تكش

فولدت له السلطان محمد فالت ملك لحق بها طوائف يمك ومن جاورهم من الترك واستظهرت بهم وتحكمت فى الدولة فلم يملك السلطان معها أمره وكانت تولى فى النواحى من جهتها كما يولى السلطان وتحكم بين الناس وتنصف من الظلامات وتقدم على الفتك والقتل وتقيم معاهد الخير والصدقة فى البلاد وكان لها سبعة من الموقعين يكتبون عنها واذا عارض توقيعها التوقيع السلطانى عمل بالمتأخر منهما وكان لقبها خداوندجهان أى صاحبة العالم وتوقيعها فى الكتاب عصمة الدنيا والدين الولاغ تركان ملكة نساء العالمين وعلامتها اعتصمت بالله وحده تكتبها بقلم غليظ وتجود كتابتها أن تزور عليها واستوزرت للسلطان وزيره نظام الملك وكان مستخدما لها فلما عزل السلطان وزيره أشارت عليه بوزارة نظام الملك هذا فوزر له على كره من السلطان وتحكم فى الدولة بتحكمها ثم تنكر له السلطان لامور بلغته عنه وعزله فاستمر على وزارتها وكان شأنه فى الدولة أكبر وشكاه اليه بعض الولاة بنواحى خوارزم ثم أنه صادره فأمر بعض خواصه بقتله فمنعته تركان من ذلك وبقى على حاله وعجز السلطان عن انفاذ أمره فيه والله يؤيد بنصره من يشاء

(خروج التتر وغلبهم على ما وراء النهر وفرار السلطان أمامهم من خراسان)

ولما عاد السلطان من العراق سنة خمس عشرة كما قدمناه واستقر بنيسابور وفدت عليه رسل جنكزخان بهدية من المعدنين ونوافج المسك وحجر اليشم والثياب الطائية التى تنسج من وبر الابل البيض ويخبر أنه ملك الصين وما يليها من بلاد الترك ويسأل الموادعة والاذن للتجار من الجانبين فى التردد فى متاجرهم وكان فى خطابه اطراء السلطان بأنه مثل أعز أولاده فاستنكف السلطان من ذلك واستدعى محمودا الخوارزمى من الرسل واصطنعه ليكون عينا له على جنكزخان واستخبره على ما قاله فى كتابه من ملكه الصين واستيلائه على مدينة طوغاج فصدق ذلك ونكر عليه الخطاب بالولد وسأله عن مقدار العساكر فغشه وقللها وصرفهم السلطان بما طلبوه من الموادعة والاذن للتجار فوصل بعض التجار من بلادهم الى انزار وبها اينال خان ابن خال السلطان فى عشرين ألفا من العساكر فشره الى أموالهم وخاطب السلطان بأنهم عيون وليسوا بتجار فأمره بالاحتياط عليهم فقتلهم خفية وأخذ أموالهم وفشا الخبر الى جنكزخان فبعث بالنكير الى السلطان فى نقض العهد وان كان فعل ينال افتياتا فابعث اليه يتهدده على ذلك فقتل السلطان الرسل وبلغ الخبر الى جنكزخان فسار فى العساكر واعتزم السلطان أن يحصن سمرقند بالاسوار وجبى لذلك خراج سنتين وجبى ثالثة استخدم بها الفرسان وسار الى احياء جنكزخان فكبسهم وهو غائب عنها فى محاربة كشلى خان

فعبر ورجع واتبعهم ابن جنكزخان فكانت بينهم واقعة عظيمة هلك فيها كثير من
الفريقين ولجأ خوارزم شاه الى جيحون فأقام عليه ينتظر شأن التتر ثم عاجله جنكزخان
فأجفل وتركها وفرّق عساكره في مدن ما وراء النهر أترار وبخارى وسمرقند وترمذ
وخجندة وأنزل آتابك خش من كبراء أمرائه وحجاب دولته في بخارى وجاء جنكزخان الى
أترار فحاصرها وملكها عنوة وأسر أميرها ينال خان الذي قتل التجار وأذاب الفضة
في أذنيه وعينيه ثم حاصر بخارى وملكها على الامان وقاتلوا معه القلعة حتى ملكوها
ثم غدر بهم وقتلهم وسلبهم وخربها ورحل جنكزخان الى سمرقند ففعلوا فيها مثل ذلك
سنة تسع عشرة وستمائة ثم كتب كتبا على لسان الامراء قرابة أم السلطان يستدعون
جنكزخان ويعدونه بزيادة خراسان الى خوارزم وبعث من يستحلفه على ذلك وبعث
الكتب مع من يتعرض بها للسلطان فلما قرأها ارتاب بأمه وقرابتها

(اجفال السلطان خوارزم شاه الى خراسان ثم الى طبرستان ومهلكه)

ولما بلغ السلطان استيلاء جنكزخان على أترار وبخارى وسمرقند وجاء يتبع آثاره
ناجيا في القل أجفل حينئذ وعبر جيحون ورجع عنه طوائف الخطا الذين كانوا معه
وعلاء الدين صاحب قندز وتخاذل الناس وسرّح جنكزخان العساكر في أثره نحوا
من عشرين ألفا يسميهم التتر المغرّبة لسيرهم مغرّبين الى خراسان فتوغلوا في البلاد
وانتهوا الى بلاد بيصور واكتسحوا كل ما مرّوا عليه ووصل السلطان الى نيسابور
فلم يلبث بها ورحل الى ناحية العراق بعد أن أودع أمواله قال المنشي في كتابه حدثني
الامير تاج الدين البسطامي قال لما انتهى خوارزم شاه في مسيره الى العراق استحضرني
وبين يديه عشرة صناديق مملوءة لآلئ لا تعرف قيمتها وقال لي اثنين منها فيهما من الجواهر
ما يساوي خراج الارض بأسرها وأمرني بحملها الى قلعة اردهن من أحصن قلاع
الارض وأخذت خط يد الوالي بوصولها ثم أخذها التتر بعد ذلك حين ملكوا العراق
انتهى * ولما رحل خوارزم شاه من نيسابور قصد مازندران والتتر في أثره ثم انتهى الى
أعمال همذان فكبسوه هنالك وعبا الى بلاد الجبل وقتل وزيره عماد الملك محمد بن
ولقام هو بساحل البحر بقرية عند الفرضة يصلي ويقرأ ويعاهد الله على حسن السيرة
ثم كبسه التتر أخرى فركب البحر وخاضوا في أثره فغلبهم الماء ورجعوا ووصل الى
جزيرة في بحر طبرستان فأقام بها وطرقه المرض فكان جماعة من أهل مازندان يبرّونه
ويحملون اليه كثيرا من حاجته فيوقع لحاملها بالولايات والاقطاع وأمضى ابنه جلال
الدين بعد ذلك جميعها ثم هلك سنة سبع عشرة وستمائة ودفن بتلك الجزيرة لاحدى
وعشرين سنة من ملكه بعد أن عهد لابنه جلال الدين منكبرس وخلع ابنه الاصغر

قطب الدين أولاغ شاه ولما بلغ خبرا جفاله الى أمه تركمان خاتون بخوارزم خرجت هاربة بعد أن قتلت نحوا من عشرين من الملوك والاكابر المحبوسين هنالك ولحقت بقلعة ايلان من قلاع مازندان فلما رجع التتر المغربة عن السلطان خوارزم شاه بعد ان خاض بحر طبرستان الى الجزيرة التى مات بها فقصدوا مازندان وملكوا قلاعها على ما فيها من الامتناع ولقد كان فتحها تأخر الى سنة تسعين أيام سليمان بن عبد الملك فملكوها واحدة واحدة وحاصروا تركمان خاتون فى قلعة ايلان الى أن ملكوا القلعة صلحا وأسروها وقال ابن الاثير انهم لقوها فى طريقها الى مازندان فأحاطوا بها وأسروها ومن كان معها من بنات السلطان وتزوجهن التتر وتزوج دوش خان بن جنكزخان باحداهن وبقيت تركمان خاتون أسيرة عندهن فى خمول وذل وكانت تحضر سماط جنكزخان كاحداهن وتحمل قوتها منه وكان نظام الملك وزير السلطان مع أمه تركمان خاتون فحصل فى قبضة جنكزخان وكان عندهم معظما لما بلغهم من تنكر السلطان له وكانوا يشاورونه فى أمر الجباية فلما استولى دوش خان على خوارزم وجاء بحرم السلطان الذين كانوا بها وفيهن مغنيات فوهب احداهن لبعض خدمه فنبعث نفسها منه ولجأت للوزير نظام الملك فشكاه ذلك الخادم لجنكزخان ورماه بالجارية فأحضره جنكزخان وعدد عليه خيانة استاذه وقتله

مسير التتر بعد مهلك خوارزم شاه من العراق الى اذربيجان وما وراءها من البلاد هنالك

ولما وصل التتر الى الرى فى طلب خوارزم شاه محمد بن تكش سنة سبع عشرة وستمائة ولم يجدوه عادوا الى همذان واكتسحوا ما مر واعليه وأخرج اليهم أهل همذان ما حضرهم من الاموال والثياب والدواب فأمنوهم ثم ساروا الى زنجان ففعلوا كذلك ثم الى قزوين فامتنعوا منهم فحاصروها وملكوها عنوة واستباحوها ويقال ان القتلى بقزوين زادوا على أربعين ألفا ثم هجم عليهم الشتاء فساروا الى اذربيجان على شأنهم من القتل والاكتساح وصاحبها يومئذ أزبك بن البهلوان مقيم بتبريز عاكف على لذاته فراسلهم وصانعهم وانصرفوا الى موقان ليشتوا بالسواحل وعبروا الى بلاد الكرج فجمعوا لقتالهم فهزمهم التتر وأثخنوا فيهم فبعثوا الى ازبك صاحب اذربيجان والى الاشرف بن العادل بن أيوب صاحب خلاط والجزيرة يطلبون اتصال أيديهم على مدافعة التتر وانضاف الى التتر اقرش من موالى ازبك واليه جموع من التركمان والاكراد وسار مع التتر الى الكرج واكتسحوا بلادهم وانتهوا الى بلقين وسار اليهم الكرج فلقيهم اقرش أولا ثم لقيهم التتر فانهزم الكرج وقتل منهم ما لا يحصى

وذلك في ذي القعدة من سنة سبع عشرة ثم عاد التتر الى مراغة ومرّوا بتبريز فصانعهم
صاحبها كعادته وانتهوا الى مراغة فقاتلوها أياما وبها امرأة تملكها ثم ملكوها
في صفر سنة ثماني عشرة واستباحوها ثم رحلوا عنها الى مدينة اربل وبها مظفر الدين بن
فاستمد بدر الدين صاحب الموصل فأمده بالعساكر ثم همّوا بالخروج لحفظ
الدروب على بلاده فجاءت كتب الخليفة الناصر اليهم جميعا بالمسير الى دقوقا ليجتمعوا بها
مع عساكره ويدافع عن العراق وبعث معهم بشتمر كبير امرائه وجعل المقدم على
الجميع مظفر الدين صاحب اربل فخاموا عن لقاء التتر وخام التتر عن لقائهم وساروا الى
همذان وكان لهم بها شحنة منذ ملكوها أولا فطالبوه بفرض المال على أهلها وكان
رئيس همذان شريفا علويا قديم الرياسة بها فحثهم على ذلك فضجروا وأساؤوا الرد عليه
وأخرجوا الشحنة وقاتلوا التتر فغضب العلوي فتسلل عنهم الى قلعة بقرب منها فامتنع
وزحف التتر الى البلد فملكوه عنوة واستباحوه واستلحموا أهله ثم عادوا الى اذربيجان
فملكوا اردبيل واستباحوها وخربوها وساروا الى تبريز وقد فارقها ازبك بن البهلوان
صاحب اذربيجان واران وقصد نقجوان وبعث بأهله وحرمه الى خوى فرارا من التتر
لعجزه وانهماكه فقام بأمر تبريز شمس الدين الطغرائي وجمع أهل البلد واستعدّ للحصار
فأرسل اليه التتر في المصانعة فصانعهم وساروا الى مدينة سراو فاستباحوها وخربوها
وساروا الى بيلقان فحاصروها وبعثوا الى أهل البلد رجلا من أكابرهم يقرر معهم
في المصانعة والصلح فقتلوه فأسرى التتر في حصارهم وملكوا البلد عنوة في رمضان سنة
ثمان عشرة واستلحموا أهلها وأفحشوا في القتل والمثلة حتى بقروا البطون على الاجنة
واستباحوا جميع الناحية قتلا ونهبا وتخريبا ثم ساروا الى قاعدة اران وهي كنجة
ورأوا امتناعها فطلبوا المصانعة من أهلها فصانعوهم ولما فرغوا من أعمال اذربيجان
واران ساروا الى بلاد   وكانوا قد جمعوا لهم واستعدوا ووقفوا
في حدود بلادهم فقاتلهم التتر فهزموهم الى تفليس قاعدة ملكهم فجمعوا امثالهم
ثم خاموا عن لقائهم لما رأوا من اقتحامهم المضايق والجبال فعادوا الى تفليس واستولى
التتر على نواحيها فخربوها كيف شاؤوا ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة الاوعار
والدربندات فعادوا عنها ثم قصدوا دربند شروان وحاصروا مدينة شماخي وتسلقوا
في أهلها ووصلوا الى السور فعلوه بأشلاء القتلى حتى ساموه واقتحموا البلد فأهلكوا
كل من فيه ثم قصدوا الدربند فلم يطيقوا عبوره فأرسلوا الى شروان في الصلح فبعث اليهم
رجالا من أصحابه فقتلوا بعضهم واتخذوا الباقين أدلاء وسلكوا بهم دربند شروان
وخرجوا الى الارض الفسيحة وبها أمم القفجاق واللان واللكز وطوائف من الترك

مسلمون وكفار فأوقعوا بتلك الطوائف واكتسحوا عامة البسائط وقاتلهم قفجاق واللان ودافعوهم ولم يطق التتر مغالبتهم ورجعوا وبعثوا الى القفجاق وهم واثقون بمسالمتهم فأوقعوا بهم وخرج من كان بعيدا منهم الى بلاد الروس واعتصم آخرون بالجبال والغياض واستولى التتر على بلادهم وانتهوا الى مدينتهم الكبرى سراى على بحر نيطش المتصل بخليج القسطنطينية وهى مادتهم وفيها تجارتهم فملكها التتر وافترق أهلها فى الجبال وركب بعضهم الى بلاد الروم فى ايالة بنى قليج ارسلان ثم سار التتر سنة عشر وستمائة من بلاد قفجاق الى بلاد الروس المجاورة لها وهى بلاد فسيحة وأهلها يدينون بالنصرانية فسار والى مدافعتهم فى تخوم بلادهم ومعهم جموع من القفجاق سافروا اليهم فاستطردلهم التتر مراحل ثم كرّوا عليهم وهم غارون فطاردهم القفجاق والروم أياما ثم انهزموا وأثخن التتر فيهم قتلا وسبيا ونهبا وركبوا السفن هاربين الى بلاد المسلمين وتركوا بلادهم فاكتسحها التتر ثم عادوا اليها وقصدوا بلغار أواخر السنة واجتمع أهلها وساروا للقائهم بعد أن أكمنوا لهم ثم استطردوا أمامهم وخرج عليهم الكمناء من خلفهم فلم ينج منهم الا القليل وارتحلوا عائدين الى جنكزخان بأرض الطالقان ورجع القفجاق الى بلادهم واستقروا فيها والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء

(أخبار خراسان بعد مهلك خوارزم شاه)

قد كنا قدمنا مهلك خوارزم شاه ومسير هؤلاء التتر المغربة فى طلبه ثم انتهائهم بعد مهلكه الى النواحى التى ذكرناها وكان جنكزخان بعد اجفال خوارزم شاه من جيحون وهو بسمرقند قد بعث عسكرا الى ترمذ فساروا منها الى كلات من أحصن القلاع الى جانب جيحون فاستولوا عليها وأوسعوها نهبا وسير عسكرا آخر الى فرغانة وكذلك عسكرا آخر الى خوارزم وعسكرا آخر الى خوزستان فعبر عسكر خراسان الى بلخ وملكوها على الامان سنة سبع وستمائة ولم يعرضوا لها بعيث وأنزلوا شحنتهم بها ثم ساروا الى زوزن وميمنة وايدخوى وفارياب فملكوها وولوا عليها ولم يعرضوا لاهلها بأذى وانما استنفروهم لقتال البلد معهم ثم ساروا الى الطالقان وهى ولاية تسعة نقصد وا قلعة صوركوه من أمنع بلادها فحاصروها ستة أشهر وامتنعت عليهم فسار اليهم جنكزخان بنفسه وحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى اذا رأى امتناعها أمر بنقل الخشب والتراب حتى اجتمع منه تل مشرف على البلد واستيقن أهل البلد الهلكة واجتمعوا وفتحوا الباب وصدقوا الحملة فنجا الخيالة وتفرقوا فى الجبال والشعاب وقتل الرجالة ودخل التتر البلد فاستباحوها ثم بعث جنكزخان صهره قفجاق قوين الى خراسان ومر واساوقاتلوها فامتنعت عليهم وقتل قفجاق قوين فاقاموا على حصارها

وملكوها عنوة واستباحوها وخربوها ويقال قتل فيها أزيد من سبعين ألفا وجمع
فكان كالتلال العظيمة وكان رؤساؤها من حمزة بخوارزم منذ ملكها
خوارزم شاه تكش فعاد اليها اختيار الدين جنكي بن عمر بن حمزة وبويع وضبطوها
ثم بعث جنكزخان ابنه في العساكر الى مدينة مرو واستنفر أهل البلاد التي ملكوها
قبل مثل بلخ وأخواتها وكان الناجون من هذه الوقائع كلها قد لحقوا بمرو واجتمع بها
ما يزيد على مائتي ألف وعسكروا بظاهرها لا يشكون في الغلب فلما قاتلهم التتر
صابروهم وجدوا في مصابرتهم ما لم يحتسبوه وولوا منهزمين وأثخن التتر فيهم
ثم حاصروا البلد خمسة أيام وبعثوا الى أميرها يستمهلونه للنزول عنها فاستأمن اليهم
وخرج فأكرموه أولا ثم أمروا باحضار جنده للعرض حتى استكملوا وقبضوا عليهم
ثم استكتبوه رؤساء البلد وتجاره وصناعه على طبقاتهم وخرج أهل البلد جميعا وجلس
لهم جنكزخان على كرسي من ذهب فقتل الجند في صعيد واحد وقسم العامة رجالا
وأطفالا ونساء بين الجند فاقتسموهم وأخذوا أموالهم وامتحنوهم في طلب المال
ونبشوا القبور في طلبه ثم أحرقوا البلد وتربة السلطان سنجر ثم استلحم في اليوم الرابع
أهل البلد جميعا يقال كانوا سبعمائة ألف ثم ساروا الى نيسابور وحاصروها خمسا
ثم اقتحموها عنوة وفعلوا فيها فعلهم في مرو وأشد ثم بعثوا عسكرا الى طوس وفعلوا
فيها مثل ذلك وخربوها وخربوا مشهد علي بن موسى الرضا ثم ساروا الى هراة وهي من
أمنع البلاد فحاصروها عشرا وملكوها وأمنوا من بقي من أهلها وأنزلوا عندهم شحنة
وساروا لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه كما يذكر بعد ووثب أهل هراة على الشحنة
وقتلوه فلما رجع التتر منهزمين اقتحموا البلد واستباحوه وخربوه وأحرقوه ونهبوا
نواحيه أجمع وعادوا الى جنكزخان بالطالقان وهو يرسل السرايا في نواحي خراسان
حتى أتوا عليها تخريبا وكان ذلك كله سنة سبع عشرة وعمت خراسان خرابا وتراجع
أهلها بعض الشيء فكانوا فوضى وامتد آخرون في بعض مدنها كما نذكر ذلك
في أماكنه والله أعلم

{أخبار السلطان جلال الدين منكبرس مع التتر} {بعد مهلك خوارزم شاه واستقراره بغزنة}

ولما توفي السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش بجزيرة بحر طبرستان ركب ولده البحر
الى خوارزم يقدمهم كبيرهم جلال الدين منكبرس وقد كان وثب بها أمد ينصرف
تركان خاتون أم خوارزم شاه رجل من العيارين فضبطها وأساء السيرة وانطلقت
اليها أيدي العيارين ووصل بعض نواب الديوان فأشاعوا موت السلطان فقر

البهاروني ثم جاء جلال الدين واخوته واجتمع الناس اليهم فكانوا معهم سبعة آلاف من العساكر أكثرهم البهاروتية قرابة أم خوارزم شاه فمالوا الى أولاغ شاه وكان ابن أختهم كامرو شاوروا في الوثوب بجلال الدين وخلعه ونمى الخبر اليه فسار الى خراسان في ثلثمائة فارس وسلك المفازة الى بلد نسا فلقي هنالك رصدا من التتر فهزمهم ولجأ فلهم الى نسا وكان بها الامير اختيار زنكى بن محمد بن عمر بن حمزة قد رجع اليها من خوارزم كما قدمناه وضبطها فاستحثم قتل التتر وبلغ وبعث الى جلال الدين بالمدد فسار الى نيسابور ثم وصلت عساكر التتر الى خوارزم بعد ثلاث من مسير جلال الدين فاجفل أولاغ واخوته وساروا في اتباعه ومروا بنسا فسار معهم اختيار الدين صاحبها واتبعتهم عساكر التتر فأدركوهم بنواحي خراسان وكبسوهم فقتل أولاغ شاه وأخوه انشاه واستولى التتر على ما كان معهم من الاموال والذخائر وافترقت في أيدي الجند والفلاحين فبيعت بأبخس الاثمان ورجع اختيار الدين زنكى الى نسا فاستبد بها ولم يسم الى مراسم الملك وكتب له جلال الدين بولايتها فراجع أحوال الملك ثم بلغ الخبر الى جلال الدين بزحف التتر الى نيسابور وأن جنكزخان بالطالقان

نيسابور الى بست واتبعه نائب هراة أمر ملك ابن خال السلطان خوارزم شاه في عشرة آلاف فارس هاربا أمام التتر وقصد سجستان فامتنعت عليه فرجع واستدعاه جلال الدين فسار اليه واجتمعوا فكبسوا التتر وهم محاصرون قلعة قندهار فاستلحموهم ولم يفلت منهم أحد فرجع جلال الدين الى غزنة وكانت قد استولى عليها اختيار الدين قربوشت صاحب الغور عندما ساروا اليها عن جلال الدين صرنجاعن أمس ملك سجستان فخالفه قربوشت اليها وملكها فثار به صلاح الدين النسائي والى قلعتها وقتله وملك غزنة رضا الملك شرف الدين بن أمور ففتك به رضا الملك واستبد بغزنة فلما ظفر جلال الدين بالتتر على قندهار رجع الى غزنة فقتله وأوطنها وذلك سنة ثمان عشرة

بياض بالاصل

بياض بالاصل

* (استيلاء التتر على مدينة خوارزم وتخريبها) *

قد كنا قدمنا ان جنكزخان بعد ما أجفل خوارزم شاه من جيحون بعث عساكره الى النواحي وبعث الى مدينة خوارزم عسكرا أعظمها العظمها لانها كرسي الملك وموضع العساكر فسارت عساكر التتر اليها مع ابنه جنطاي وازكطاي فحاصروها خمسة أشهر ونصبوا عليها الآلات فامتنعت فاستمدوا عليها جنكزخان فأمدهم بالعساكر متلاحقة فزحفوا اليها وملكوا جانبا منها وما زالوا يملكونها ناحية ناحية الى أن استوعبوها ثم فتحوا السد الذي يمنع ماء جيحون عنها فسار اليها جيحون فغرقها وانقسم أهلها بين

السيف والغرق هكذا قال ابن الاثير وقال النسائى الكاتب ان دوشى خان بن جنكزخان عرض عليهم الامان فخرجوا اليه فقتلهم أجمعين وذلك فى محرم سنة سبع عشرة ولما فرغ التتر من خراسان وخوارزم رجعوا الى ملكهم جنكزخان بالطالقان

(خبر آينانج نائب بخارى وتغلبه على خراسان ثم فراره أمام التتر الى الرى)

كان آينانج أمير الامراء والحاجب أيام خوارزم شاه وولاه نيابة بخارى فلما ملكها التتر عليه كما مر فلما أجفل الى المفازة وخرج منها الى نواحى نسا ورأى له اختيار الدين صاحبها يعرض عليه للدخول عنده فأبى فوصله وأمده وكان رئيس يشغوان من قرى نسا أبو الفتح قد داخل التتر فكتب الى شحنة خوارزم بمكان آينانج فجرد اليهم عسكرا فهزمه آينانج وأثخن فيهم وساروا الى يشغوان فحاصروها وملكوها عنوة وهلك أبو الفتح أيام الحصار ثم ارتحل آينانج الى ابيورد وقد تغلب تاج الدين عمر بن مسعود على ابيورد وما بينها وبين مرو وجبى خراجها واجتمع عليه جماعة من أكابر الامراء وعاد الى نسا وقد توفى نائبها اختيار الدين زنكى وملك بعده ابن عمه عمدة الدين حمزة بن محمد بن حمزة وطالب منه اينانج خراج سنة ثمان عشرة وسار الى شروان وقد تغلب عليها ايكجى بهلوان فهزمه وانتزعها من يده ولحق بهلوان بجلال الدين فى الهند واستولى آينانج خان على عامة خراسان وكان تكين بن بهلوان متغلبا على مرو وعبر جيحون وكبس شحنة التتر ببخارى فهزموه سنة سبع ورجع الى شروان وهم باتباعه ولحقوا اينانج خان على جرجان فهزموه ونجا الى غياث الدين بيرشاه بن خوارزم شاه بالرى فأقام عنده الى أن هلك كما نذكر ان شاء الله تعالى

(خبر ركن الدين غورشاه صاحب العراق من ولد خوارزم شاه)

قد كان تقدم لنا أن السلطان لما قسم ممالكه بين أولاده جعل العراق فى قسمة غورشاه منهم ولما أجفل السلطان الى ناحية الرى لقيه ابنه غورشاه ثم سار من الرى الى كرمان فملكها تسعة أشهر ثم بلغه أن جلال الدين محمد بن آيه القزوينى وكان بهمذان أراد أن يملك العراق واجتمع اليه بعض الامراء وأن مسعود بن صاعد قاضى اصبهان مائل اليه فعاجله ركن الدولة واستولى على اصبهان وهرب القاضى الى الاتابك سعد بن زنكى صاحب فارس فأجاره وبعث ركن الدين العساكر لقتال همدان فتصادلوا ورجعوا دون قتال ثم مضى الى الرى ووجد بها قوما من الاسماعيلية يحاولون اظهار دعوتهم ثم زحف التتر الى ركن الدولة فحاصروه بقلعة رواند واقتحموها وقاتلوه واستأمن اليهم ابن آيه صاحب همدان فأسروه ودخلوا همذان فنزلوا عليها علاء الدين الشريف

الحسن عوضا من ابن آبه

(خبر غياث الدين بيرشاه صاحب كرمان من ولد السلطان خوارزم شاه)

قد كنا قدمنا أن السلطان خوارزم شاه ولى ابنه غياث الدين بيرشاه كرمان وكيش ولم ينفذ اليها أيام أبيه ولما كانت الكبسة على قزوين خلص الى قلعة ماروت من نواحى اصبهان وأقام عند صاحبها ثم رجع الى اصبهان ومر به التتر ذاهبين الى اذربيجان فحاصروه وامتنع عليهم وأقام بها الى آخر سنة عشرين وستمائة فلما جاء أخوه ركن الدين غورشاه من كرمان الى اصبهان لقيه هنالك وحرضه غياث الدين على كرمان فنهض اليها وملكها فلما قتل ركن الدين كما قلناه سار غياث الدين الى العراق وكان ركن الدين لما ولاه أبوه العراق جعل معه الامير بقاطابستى اتابكين فاستبد عليه فشكاه الى أبيه وأذن له فى حبسه فحبسه ركن الدين بقلعة سرجهان فلما قتل ركن الدين كما قلناه أطلقه نائب القلعة أسد الدين حولى فاجتمع عليه الناس وكثير من الامراء واستماله غياث الدين وأصهر اليه بأخته وماطله فى الزفاف يستبرئ ذهاب الوحشة بينهما وكانت اصبهان بعد مقتل ركن الدين غلب عليها ازبك خان واجتمعت عليه العساكر وزحف اليه الامير بقاطابستى فاستنجد ازبك غياث الدين فأنجده بعسكر مع الامير دولة ملك وعاجله بقاطابستى فهزمه بظاهر اصبهان وقتله وملكها ورجع دولة ملك الى غياث الدين فزحف غياث الدين الى اصبهان وأطاعه القاضى والرئيس صدر الدين وبادر بقاطابستى الى طاعته ورضى عنه غياث الدين وزف اليه أخته واستولى غياث الدين على العراق ومازندان وخراسان وأقطع مازندان وأعمالها دولة ملك وبقاطابستى همذان وأعمالها ثم زحف غياث الدين الى اذربيجان وشن الغارة على مراغة وترددت رسل صاحب اذربيجان ازبك بن البهلوان فى المهادنة فهادنه وتزوج بأخته صاحب بقعوان وقويت شوكته وعظم فكان بقاطابستى فى دولته وتحكم فيها ثم حدثته نفسه بالاستبداد وانتقض وقصد اذربيجان وبها مملوكان منتقضان على ازبك بن البهلوان فاجتمعا معه وزحف اليهم غياث الدين فهزمهم ورجعوا مغلوبين الى اذربيجان ويقال ان الخليفة دس بذلك الى بقاطابستى وأغراه بالخلاف على غياث الدين ثم لحق بغياث الدين آينانج خان نائب بخارى مفلتا من واقعته مع التتر بجرجان فأكرمه وقدمه ونافسه خال السلطان دولة ملك وأخوه وسعوا اليه فزجرهما عنه فذهبا مغاضبين ووقع دولة ملك فى عساكر التتر بمرو وزنجان فقتل وهرب ابنه بركة خان الى ازبك باذربيجان ثم أوقع عساكر التتر بقاطابستى وهزموه ونجا الى الكرم وخلص الفل الى غياث الدين وعاد التتر الى ماوراء جيحون ثم تذكر صاحب فارس

بياض بالاصل

بياض بالاصل

سعد الدين بن زنكي وكاتبه أهل اصبهان حين كانوا مهزومين عنه فسار اليه وحاصره
في قلعة اصطخر وملكها ثم سار الى شيراز وملكها عليه عنوة ثم سار الى قلعة خرة
فحاصرها حتى استأمنوا وتوقف عليها آتابك غزيمان ومن هنالك بعث سلطان وبعث
عسكرا الى كازرون فملكها عنوة واستباحها ثم سار الى باحشية بغداد وجمع الناس
الجموع من اربل وبلاد الجزيرة ثم راسل غياث الدين في الصلح فصالحه ورجع الى
العراق

* (أخبار السلطان جلال الدين منكبرس وهزيمته أمام التتر ثم عوده الى الهند) *

قد كان تقدم لنا أن أباه خوارزم شاه لما قسم البلاد بين ولده جعل في قسمه غزنة
وباميان والغور وبست وهكاباد وما يليها من الهند واستناب عليها   ملك وأمره
غزنة فلما انهزم السلطان خوارزم شاه أمام التتر زحف اليه حربوشة والي الغور يملكها
من يده وكان من أمره ما قدمناه الى أن استقر بها رضا الملك شرف الدين ولما أجفل
جلال الدين من نيسابور الى غزنة واستولى التتر على بلاد خراسان وهرب أمراؤها
فلحقوا بجلال الدين فقتل نائب هراة أمين الملك خال السلطان وقد تقدم محاصرته
بسجستان ثم مراجعته طاعة السلطان جلال الدين ولحق به أيضا سيف الدين بغراق
الخلجي وأعظم ملك من بلخ ومظفر ملك والحسن فزحف كل منهم في ثلاثين ألفا واجتمع
جلال الدين من عسكر مثلها فاجتمعوا وكبسوا التتر الملوك محاصرين قلعة قندهار
فكانوا قتلوا واستلحموهم ولحق فلهم بجنكزخان فبعث ابنه طولي خان في العساكر فساروا
الى جلال الدين فلقيهم بشروان وهزمهم وقتل طولي خان بن جنكز في المعركة وذهب
التتر منهزمين واختلف عسكر السلطان جلال الدين على الغنائم وتنازع سيف الدين
بغراق مع أمين الملك نائب هراة وتحيز الى العراق وأعظم ملك ومظفر ملك وقاتلوا أمين
الملك فقتل أخ لبغراق وانصرف مغاضبا الى الهند وتبعه أصحابه ولاطفهم جلال الدين
ووعظهم فلم يرجعوا وبلغ خبر الهزيمة الى جنكزخان فسار في أمم التتر وسار جلال
الدين فلقي مقدمة عساكره فلم يفلت من التتر الا القليل ورجع فنزل على نهر السند
وبعث بالصريخ الى الامراء المنحرفين عنه وعاجله جنكزخان قبل رجوعه فهزمه بعد
القتال والمصابرة ثلاثا وقتل أمين الملك قريب أبيه واعترض المنهزمين نهر السند فغرق
أكثرهم وأسر ابن جلال الدين فقتل وهو ابن سبع سنين ولما وقف جلال الدين على
النهر والتتر في اتباعه فقتل أهله وحرمه جميعا واقتحم النهر بفرسه فخاص الى عدوته
وتخلص من عسكره ثلثمائة فارس وأربعة آلاف راجل ووصل أمراؤه ولقوه بعد ثلاث
وتخلص بعض خواصه بمركب مشحون بالاقوات والملابس فسد من حاجتهم وعمهن

أعظم ملك بعض القلاع وحاصره جنكزخان وملكها عنوة وقتله ومن معه ثم عاد التتر الى غزنة فملكوها واستباحوها وأحرقوها وخربوها واكتسحوا سائر نواحيها وكان ذلك كله سنة تسع عشرة ولما سمع صاحب جبل جردى من بلاد الهند بجلال الدين جمع للقائه وخام جلال الدين وأصحابه عن اللقاء لما نهكتهم الحرب فرجعوا ادراجهم وأدركهم صاحب جلال الدين صورى نقاتلهم وهزموه وملكوا أمرهم وبعث اليهم نائب ملك الهند فلاطفهم وهاداهم والله تعالى ولى التوفيق

(أخبار جلال الدين بالهند)

كان جماعة من أصحاب جلال الدين وأهل عسكره لما عبروا اليهم حصلوا عند قباجة ملك الهند منهم بنت أمين الملك خلصت الى مدينة ارجا من عمله ومنهم شمس الملك وزير جلال الدين حياة أبيه ومنهم قزل خان بن أمين الملك خلص الى مدينة كابور فقتله عاملها وقتل قباجة شمس الملك الوزير لخبر جلال الدين بأموره وبعث أمين الملك ولحق بجلال الدين جماعة من أمراء أخيه غياث الدين فقوى بهم وحاصر مدينة كاور وافتتحها وافتتح مدينة ترنوخ كذلك فجمع قباجة للقائه وسار اليه جلال الدين فخام عن اللقاء وهرب وترك معسكره فغنمه جلال الدين بما فيه وسار الى لهاوون وفيها ابن قباجة ممتنعا عليه فصالحه على مال يحمله ورحل الى تستشان وبها فخر الدين السلاوى نائب قباجة فتلقاه بالطاعة ثم سار الى اوجا وحاصرها فصالحوه على المال ثم سار الى جانس وهى لشمس الدين الينمشى من ملوك الهند ومن موالى شهاب الدين الغورى فأطاعه أهلها وأقام بها وزحف اليه ايتمش فى ثلاثين ألف فارس ومائة ألف راجل وثلثمائة فيل وزحف جلال الدين فى عساكره وفى مقدمته جرجان بهلوان ازبك واختلفت المقدمتان فلم يمكن اللقاء وبعث ايتمش فى الصلح فجنح اليه جلال الدين ثم اجتمع قباجة وايتمش وسائر ملوك الهند فخام عن لقائهم ورجع لطلب العراق واستخلف جهان بهلوان الملك على ماملك من الهند وعبر النهر الى غزنة فولى عليها وعلى الغور الامير وفاملك واسمه الحسن فزلف وسار الى العراق وذلك سنة احدى وعشرين بعد مقدمه لها بسنتين

(أحوال العراق وخراسان فى ايالة غياث الدين)

كان غياث الدين بعد مسير جلال الدين الى الهند اجتمع اليه شراد العساكر بكرمان وسار بهم الى العراق فملك خراسان ومازندان كما تقدم وأقام منهمكا فى لذاته واستبد الامراء بالنواحى فاستولى قائم الدين على نيسابور وتغلب يقرن ايلجى بهلوان على شروان وعلك ينال خطابها تر ونظام الملك اسفراين ونصرة الدين بن محمد مستبد

حسا كامرّ واستولى تاج الدين عمر بن مسعود التركمانى على أبيورد وعياث الدين مع ذلك مهمل فى لذاته وسارت اليه عساكر التتر فرحلهم عن العراق الى بلاد الجبل واكتسحوا اسافر جهانه واشتط عليه الخدور ادهم فى الاقطاع والاحسان فلم يشبعهم وأظهروا الفساد وعاثوا فى الرعايا وتحكمت أم السلطان غياث الدين فى الدولة لاعماله أمرها واقتدت طريقة تركان خاتون أم السلطان خوارزم شاه وتلقبت بلقبها خداوند جهان الى أن جاء السلطان جلال الدين فعاب عليه كما نذكره

وصول جلال الدين من الهند الى كرمان
واجازه فارس والعراق مع أخيه غياث الدين

ولما فارق جلال الدين الهند كما قلناه سنة احدى وعشرين وسار فى المفازة وخلص منها الى كرمان بعد أن لقى من المتاعب والمشاق مالا يعبر عنه وخرج معه أربعة آلاف راكب على الحمير والبقر ووجد بكرمان براق الحاجب نائب أخيه غياث الدين وكان من خبر براق هذا أنه كان حاجبا لكوخان ملك الخطا وسير عنه الى خوارزم شاه فأقام عنده ثم ظهر خوارزم شاه بالخطا وولاه حجابته ثم صار الى خدمة ابنه غياث الدين ثم ولاه بكرمان فأكرمه ولما سار جلال الدين الى الهند ورجع عنه التتر سار غياث الدين لطلب العراق فاستناب براق فى كرمان فلما جاء جلال الدين من الهند اتهمه وهمّ بالقبض عليه فنهاه عن ذلك وزيره شرف الملك فخر الدين على بن أبى القاسم الجندى خواجا جهان أن يستوحش الناس لذلك ثم سار جلال الدين الى شيراز وأطاعه صاحبها بردالاتابك وأهدى له وكان أتابك فارس سعد بن زنكى قد استوحش من غياث الدين فاصطلحه جلال الدين وأصهر اليه فى ابنته ثم سار الى اصبهان فأطاعه القاضى ركن الدين مسعود ابن صاعد ولما خبره الى أخيه غياث الدين وهو بالرى تجمع لحربه وبعث جلال الدين يستعطفه وأهدى له سلب طولى خان بن جنكزخان الذى قتل فى حرب بروان كان فرسه وسيفه ودس الى الامراء الذين معه بالاستمالة فمالوا اليه ووعدوه بالمظاهرة ورقى الخبر الى غياث الدين فقبض على بعضهم ولحق الآخرون بجلال الدين فخافوا انه الى المخيم فمال اليه أصحاب غياث الدين وعساكره واستولى على مخيمه وذخائره وأمه ولحق غياث الدين بقلعة سلوقان وعاتب جلال الدين أمه فى فراره فاستدعته وأصلحت بينهما ووقف غياث الدين موقف الخدمة لاخيه السلطان جلال الدين وجاء المتغلبون بخراسان والعراق وادعنوا الى الطاعة وكانوا من قبل مستبدين على غياث الدين فاختبر السلطان طاعتهم وعمل فيها على شاكلتها والله أعلم

(استيلاء ابن آباخ على نسا)

كان نصرة الدين بن محمد قد استولى على نسا بعد ابن عمه اختيار الدين كما مر واستناب فى أموره محمد بن أحمد النسائى المنشى صاحب التاريخ المعتمد عليه فى نقل أخبار خوارزم شاه وبنيه أقام فيها تسع عشرة سنة مستندا على غياث الدين ثم انتقض عليه وقطع الخطبة له فسرح اليه غياث الدين العساكر مع طوطى بن آبنايخ وأنجده بارسلان وكاتب المتغلبين بمساعدته فراجع نصرة الدين محمد بن حمزة نفسه وبعث نائبه محمد بن أحمد المنشى الى غياث الدين بمال صالحه عليه فبلغه الخبر فى طريقه بوصول جلال الدين واستيلائه على غياث الدين فأقام باصبهان ينتظر صلاح السابلة وزوال الثلج ثم سار الى همذان فوجد السلطان غائبا فى غزو الاتابك بقطابستى وكان من خبره أنه صهر الى غياث الدين على أخته كما قدمنا فهرب بعد خلعه الى اذربيجان واتفق هو والاتابك سعد وسارا اليهما جلال الدين فخالفه الى همذان وسار الى جلال الدين وكبسه هنالك فأخذه ثم أمنه وعاد الى مخيمه ولقيه وافد نصرة الدين على بلاد نسا وما يتاخمها وبعث الى ابن آبنايخ بالافراج عن نسا ثم بلغ الخبر بعد يومين بهلاك نصرة الدين واستيلاء ابن آبنايخ على نسا

(مسير السلطان جلال الدين الى خوزستان ونواحى بغداد)

ولما استولى السلطان جلال الدين على أخيه غياث الدين واستقامت أموره سار الى خوزستان شاتيا وحاصر قاعدتها وبها مظفر الدين وجه السبع مولى الخليفة الناصر وانتهت سراياه فى الجهات الى بادرايا والى البصرة فأوقع بهم تلكين نائب البصرة وجاءت عساكر الناصر مع مولاه جلال الدين قشتمر وخاموا عن اللقاء وأوفد ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود السوى العارض على الخليفة ببغداد عاتبا وكان فى مقدمته جهان بهلوان فالتقى فى طريقه بجماعة من العرب وعساكر الخليفة فرجع وأوقع بهم ورجعوا الى بغداد وجىء بأسرى منهم الى السلطان فأطلقهم واستعد أهل بغداد للحصار وسار السلطان الى يعقوبا على سبع فراسخ من بغداد ثم الى دقوقا فملكها عنوة وخربها وقاتلت بعوته عسكر تكريت وترددت الرسل بينه وبين مظفر الدين صاحب اربل حتى اصطلحوا واضطربت البلاد بسبب ذلك وأفسد العرب السابلة وأقام ضياء الملك ببغداد الى أن ملك السلطان مراغة والله تعالى أعلم

(أولية الوزير شرف الدين)

هذا الوزير هو فخر الدين على بن القاسم خواجة جهان ويلقب شرف الملك أصله من ... وكان أول أمره ينوب عن صاحب الديوان بها وكان نجيب الدين

بلغ مقابلة على الأصل
بلغ مقابلة على الأصل

الشهرستاني وزير السلطان واسمه بهاء الملك وزير الجند وفخر الدين هذا بجده مهاتم
عكس من منصب الانشاء وطمع الى مغالبة نجيب الدين على الوزارة وسعى عند
السلطان بأنه تناول من خراسان مائتي ألف دينار فسامحه بها السلطان ولم يعرض
له ثم سعى بنصير الدين ثانية فولي وزارة الجند وأقام بها أربع سنين حتى عبر السلطان
الى بخارى فكثرت به الشكايات فأمر بالقبض عليه فاختفى ولحق بالطالقان الى أن
اتصل بجلال الدين حين كان بغزنة بعد مهلك أبيه فوزر له في الحانة الى أن أخرجه
السند وكان وزيره شهاب الدين الهروي فصله بصاحبه ملك الهند كامنر واستوزر جلال
الدين مكانه فخر الدين هذا ولقبه شرف الملك ورفع رتبته على الوزراء ووثق بسائر
آدابه وأحواله

(عود التتر الى الري وهمذان وبلاد الجبل)

وبعد رجوع التتر المغربة من أذربيجان وبلاد قفجاق وشروان كانت تلك الجهات وخراسان
يومئذ فوضى ليس بها ولاة والمسلمون من بعض أهلها بعد الخراب الأول والنهب
فعمروها فبعث جنكزخان عسكرا آخر من التتر الى الري فهدموها ثانيا وخربوها وقتلوا
في ساوة وقاشان وقم مثل ذلك ولم يكن التتر قبل أصابوا قم ثم ساروا الى همذان فأجفل
أهلها وأوسعوها نهبا وتخريبا وساروا في أتباع أهلها الى أذربيجان وكبسوهم
في حدوده فأجفلوا وبعضهم قصد تبريز فساروا في أتباعهم وراسلوا صاحبها أزبك
ابن البهلوان في إسلام من عنده فبعث بهم لهم بعد أن قتل جماعة منهم وبعث برؤسهم
وصانعهم بما أرضاهم فرجعوا عن بلاده والله تعالى أعلم

(وقائع أذربيجان قبل مسير جلال الدين اليها)

لما رجع التتر من بلاد قفجاق والروس وكانت طائفة من قفجاق لما افترقوا وفروا أمام
التتر ساروا الى دربند شروان واسم ملكه يومئذ رشيد وسألوه المقام في بلاده وأعطوه
الرهن على الطاعة فلم يثق بهم وسألوه الميرة فأذن لهم فيها فكانوا يأتون اليها
زرافات وسمع له بعضهم أنهم يرومون الغدر به وطلب منه الإنجاد بعسكره فسار
في أثرهم فأوقع بهم وهم يدعون بالطاعة فرجع ذلك القفجاقي لعسكره ثم بلغه أنهم
رحلوا من مواضعهم فاتبعهم ثانيا بالعساكر حتى أوقع بهم ورجع الى رشيد ومعه
جماعة منهم مستأمنين وقد اختفى فيهم كثير من مقدميهم وتلاحق به جماعة منهم
فاعتزموا على الوثوب فهرب خائفا ولحق ببلاد شروان واستولت طائفة القفجاق على
القلعة وعلى ما كان رشيد فيها من المال والسلاح واستدعوا أصحابهم فلحقوا بهم

راعتزموا وقصدوا قلعة الكرج فحاصروها وخالفهم رشيد الى القلعة فملكها وقتل من وجد بها منهم فعادوا من حصار تلك المدينة الى دربند واستنعت عليهم القلعة فرجعوا الى تلك المدينة فاكتسحوا نواحيها وساروا الى كنجة من بلاد اران وفيها مولى لازبك صاحب اذربيجان فراسلوه بطاعة ازبك فلم يجبهم اليها وعدد عليهم في الغدر ونهب البلاد واعتذروا بأنهم انما غدروا بشروان لانه منعهم الجواز الى صاحب اذربيجان وعرضوا عليه الرهن فجاءهم بنفسه ولقوه في عدد قليل فعدا عن محال التهمة فبعث بطاعتهم الى سلطانه وبعث بذلك الى أزبك وجاءبهم الى كنجة فأفاض فيهم الخلع والاموال وأصهر اليهم وأنزلهم بجبل كيكاون وجمع لهم الكرج فآواهم الى كنجة ثم سار اليهم أمير من أمراء قفجاق ونال منهم فرجعوا الى جبل كيكاون وسار القفجاق الذين كبسوهم الى بلاد الكرج فاكتسحوها وعادوا فاتبعهم الكرج واستنقذوا الغنائم منهم وقتلوا ونهبوا فرحل القفجاق الى بردعة وبعثوا الى أمير كنجة في المدد على الكرج فلم يجبهم فطلبوا رهنهم فلم يعطهم فمدوا أيديهم في المسلمين واسترهنوا أضعاف رهنهم وثار بهم المسلمون من كل جانب فلحقوا بشروان وتخطفهم المسلمون والكرج وغيرهم فافنوهم وبيع سبيهم وأسراهم بابخس ثمن وذلك كله سنة تسع عشرة وكانت مدينة فيلقان من بلاد اران فأخربها التتر كما قدمناه وساروا عنها الى بلاد قفجاق فعاد اليها أهلها وعمروها وسار الكرج في رمضان من هذه السنة اليها فملكوها وقتلوا أهلها وخربوها واستفحل الكرج ثم كانت بينهم وبين صاحب خلاط غازي بن العادل بن أيوب واقعة هزمهم فيها وأثخن فيهم كما يأتي في دولة بني أيوب ثم انتقض على شروان شاه ابنه وملك البلاد من يده فسار الى الكرج واستصرخ بهم وساروا معه فبرز ابنه اليهم فهزمهم وأثخن فيهم فتشاءم الكرج بشروان شاه فطردوه عن بلادهم واستقر ابنه في الملك واغتبط الناس بولايته وذلك سنة ثنتين وعشرين ثم سار الكرج من تفليس الى اذربيجان وأتوها من الاوعار والمضائق يظنون صعوبتها على المسلمين فسار المسلمون وولجوا المضائق اليهم فركب بعضهم بعضا منهزمين ونال المسلمون منهم أعظم النيل وبيناهم يتجهزون لاخذ الثار من المسلمين وصلهم الخبر بوصول جلال الدين الى مراغة فرجعوا الى مراسلة ازبك صاحب اذربيجان في الاتفاق على مدافعته وعاجلهم جلال الدين عن ذلك كما نذكره ان شاء الله تعالى

(استيلاء جلال الدين على اذربيجان وغزو الكرج)

قد تقدم لنا مسير جلال الدين في نواحي بغداد وما ملك منها وما وقع بينه وبين صاحب

اربل من المراغة والحال كما مر ولما فرغ من ذلك سار الى اذربيجان سنة ثنتين وعشرين
وقصد مراغة فملكها وأقام بها وأخذ في عمارتها وكان يغلب طايش ثم أخذ
غياث الدين متغلباً على الري ونحوها ثم جمع عساكره ونهب البلد وسار الى ساحل اران
شتى هناك ولما بلغ جلال الدين ذلك وهو بعد لم يتمكن بعث الخليفة الناصر الى
ايدغمش واغراه بجلال الدين وأمره بقصد همدان واقطعه البلاد وما يفتحه من
البلاد فعاجله جلال الدين وصبحه بنواحي همدان على غرة وعاين جمعه
فسقط في يده وأرسل زوجته أخت السلطان جلال الدين فاستأمنت له فأمنه ورد
العساكر عنه وعاد الى مراغة وكان اربك بن البهلوان قد فارق تبريز كرسي ملكه الى
كنجة فأرسل جلال الدين الى أهل تبريز يأمرهم بميرة عسكره فأجابوا الى الخطبة وترددت
عساكره اليها فضج الناس وشكا أهل تبريز الى جلال الدين ذلك فأرسل اليهم شحنة
يقيم عندهم فتمنعه من الناس وكانت زوجة اربك بنت السلطان طغرلك بن ارسلان
وقد تقدم ذكر أخبارها وكانت مقيمة بتبريز حاكمة في دولة زوجها اربك ثم حصر أهل
تبريز من الشحنة فسار جلال الدين اليها وحصرها خمسا واشتد القتال بينهم عما كان
من اسلام أصحابه الى التتر واعتذروا بأن الامر في ذلك لغيرهم والذنب لهم ثم استأمنوا
فأمنهم وأمر بنت السلطان طغرل وأنزلها مدينة طغرل الى خوى كما كانت ورجع
ما كان لها من المال والاقطاع وملك تبريز منتصف رجب سنة ثنتين وعشرين وبعث
بنت السلطان طغرل الى خوى مع خادمه قلتمش وجلال وولى على تبريز نظام الدين
ابن أخي شمس الدين الطغرائي وكان هو الذي داخله في فتحها وأفاض العدل في أهلها
وأوصاهم اليه بالمبالغة في الاحسان اليهم ثم بلغه اثار الكرج في اذربيجان واران
وأرمينية ودربند شروان وما فعلوه بالمسلمين فاعتزم على غزوهم وبلغه اجتماعهم بزوين
فسار اليهم وعلى مقدمته جهان بهلوان الكجي فلما تراءى الجمعان وكان الكرج على
جبل لم يثبتوا فتسنمت اليهم العساكر الاوعار فانهزموا وقتل منهم أربعة آلاف
أو يزيدون وأسر بعض ملوكهم واعتصم ملك آخر منهم ببعض قلاعهم وجهز
جلال الدين عليها عسكر الحصار وبث عساكره في البلاد فما تركوا بها اثرا ونهبوها

(فتح السلطان مدينة كنجة ونكاحه زوجة اربك)

لما فرغ السلطان من أمر الكرج واستولى على بلادهم وكان قد ترك وزيره شرف
الدين بتبريز لتطرق المصالح وولى عليها نظام الملك الطغرائي فقصد الوزير به وكتب الى
السلطان بأنه وعمه شمس الدين داخلوا أهل البلد في الانتقاض واعادة اربك فشغل
السلطان بالكرج فلما بلغ ذلك الى السلطان أسره حتى فرغ من أمر الكرج ونزل

أخاه غياث الدين نائبا على ماملك منها وأمره بتدويخ بلادهم وتخريبها وعاد الى تبريز فقبض على نظام الملك الطغرائي وأصحابه فقتلهم وصادر شمس الدين على مائة ألف وجدها عراغة ففر منها الى ازبك ثم لحق ببغداد وحج سنة خمس وعشرين وبلغ السلطان تنصله في المطاف ودعاؤه على نفسه ان كان فعل شيأ من ذلك فأعاده الى تبريز ورد عليه أملاكه ثم بعثت اليه زوجة ازبك في الخطبة وان ازبك حنث فيها بالطلاق فحكم قاضي تبريز عز الدين القزويني بحلها للنكاح فتزوجها السلطان جلال الدين وسار اليها فدخل في خوى ومات ازبك لما لحقه من الغم بذلك ثم عاد السلطان الى تبريز فأقام بها مدة ثم بعث العساكر مع ارخان الى كنجة من أعمال نقجوان وكان بها ازبك ففارقها وترك بها جلال الدين القمي نائبا فملكها عليه ارخان واستولى على أعمالها مثل وشمكور وبردعة وشنة وانطلقت أيدي عساكره في النهب فشكا ازبك الى جلال الدين فكتب الى ارخان بالمنع من ذلك وكان مع ارخان نائب الوزير الى السلطان فعزل ارخان وذهب مغاضبا الى ان قتلته الاسماعيلية وفي آخر رمضان من سنة ثنتين وعشرين توفي الخليفة الناصر لسبع وأربعين سنة من خلافته واستخلف بعده ابنه الظاهر أبو نصر محمد بعهده اليه بذلك كما مر في أخبار الخلفاء

(استيلاء جلال الدين على تفليس من الكرج بعد هزيمته اياهم)

كان هؤلاء الكرج اخوة الارمن وقد تقدم نسبة الاردن الى ابراهيم عليه السلام وكان لهم استطالة بعد الدولة السلجوقية وكانوا من أهل دين النصرانية فكان صاحب أرمن الروم يخشاهم ويدين لهم ببعض الشئ حتى ان ملك الكرج كان يخلع عليه فيلبس خلعته وكان شروان صاحب الدربند يخشاهم وكذلك ملكوا مدينة أرجيش من بلاد ارمينية ومدينة قارس وغيرها وحاصروا مدينة خلاط قاعدتها فأسر بها مقدمهم ايواي وفادوه بالرحيل عنهم بعد ان اشترطوا عليه متابعته لهم في قلعة خلاط فبنوها وكذلك هزموا ركن الدولة قليجا ارسلان صاحب بلاد الروم لما زحف لاخيه طغرل شاه بارزن الروم استنجدهم طغرل فأنجدوه وهزموا ركن الدين أعظم ما كان ملكا زاستفحالا وكانوا يجوسون خلال اذربيجان ويعيثون في نواحيها وكان ثغر تفليس من أعظم الثغور طرازا على من يجاوره منذ عهد الفرس وملكه الكرج سنة خمس عشرة وخمسمائة أيام محمود بن محمود بن ملك شاه ودولة السلجوقية يومئذ أحفل ما كانت وأوسع ايالة وأعمالا فلم يطق ارتجاعه من أيديهم واستولى ايلدكز بعد ذلك وابنه البهلوان على بلاد الجبل والرى واذربيجان واران وارمينية وخلاط وجاورهم بكرسيه ومع ذلك لم يطلق ارتجاعه منهم فلما جاء السلطان جلال الدين الى اذربيجان

وملكوا وزحف الى الكرج وهزمهم سنة اثنتين وعشرين وعاد الى تبريز فى مهمة كان قد ... فلما فرغ من مهمة ذلك وكان قد ترك العساكر ببلاد الكرج مع أخيه غياث الدين ووزيره شرف الدين وأعد السير اليه عازما من تبريز وقد جمع الكرج واحتشدوا وأمدهم القفجاق والكرو ساروا للقاء فلما التقى الفريقان انهزم الكرج وأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب ولم يبقوا على أحد حتى استلحموهم وأسروهم ثم قصد جلال الدين تفليس فى ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين ونزل قريبا منها وركب يوما للاستكشاف أحوالها وترتيب مقاعد القتال عليها وأكمن الكمائن حولها واطلع عليهم فى خفض من العسكر فطمعوا فيه وخرجوا فاستطرد لهم حتى تورطوا واثخنت عليهم الكمائن فهربوا الى البلد والقوم فى اتباعهم ونادى المسلمون من داخلها بشعار الاسلام وهتفوا باسم جلال الدين فالقى الكرج بأيديهم وملك المسلمون البلد وقتلوا كل من فيها الا من اعتصم بالاسلام واستباحوا البلد وامتلأت أيديهم بالغنائم والاسرى والسبايا وكان ذلك من أعظم الفتوحات هذه سياقة ابن الاثير فى فتح تفليس وقال النسائى الكاتب ان السلطان جلال الدين سار نحو الكرج فلما وصل نهر ارس مرض واشتد الثلج ومر بتفليس فبرز أهلها للقتال فهزمهم العساكر وأعجلوهم عن دخولها فملكوها واستباحوها وقتلوا من كان فيها من الكرج والارمن واعتصم أهلها بالقلعة حتى صالحوا على أموال عظيمة حملوها وتركوهم

(انتقاض صاحب كرمان ومسير السلطان اليه)

ولما اشتغل السلطان جلال الدين بشأن الكرج وتفليس طمع براق الحاجب فى الانتقاض بكرمان والاستيلاء على البلاد وقد كنا قدمنا خبره وان غياث الدين استخلفه على كرمان عند مسيره الى العراق وان جلال الدين لما رجع من الهند ارتاب به وهم بالقبض عليه ثم تركه وأقره على كرمان فلما انتقض الآن وبلغ خبره الى السلطان ... معتزم على قصد خلاط فتركها وأغذ السير اليه واستصحب أخاه غياث الدين ... وعده بكرمان وترك مخلفه بكيكلون وترك وزيره شرف الدين بتفليس وأمره باكتساح بلاد الكرج وقدم الى صاحب كرمان بالخلع والمقاربة والوعد فارتاب بذلك ... وقصد بعض قلاعه فاعتصم بها ورجع الرسول الى جلال الدين فلما علم أن المكيدة لم تتم أقام باصبهان وبعث اليه وأقره على ولايته وعاد وكان الوزير شرف الدين بتفليس فأقام بها وضاق الحال به من الكرج وأرجف عند الامراء بكيكلون أن الكرج حاصروه بتفليس فساروا بجملتهم فى العساكر الى تفليس ثم وصل البشير من قبل ...

برجوع

برجوع السلطان من العراق فأعطاه الوزير أربعة آلاف دينار ثم افترقت العساكر في بلاد الكرج وبها ايواني مقدمهم مع بعض أعيانهم وبعث عسكرا آخر الى مدينة قرس واشتد عليها الحصار ثم جمر العساكر عليها وعاد الى تفليس

(مسير جلال الدين الى حصار خلاط)

كانت خلاط في ولاية الاشرف بن العادل بن أيوب وكان نائبه بها حسام الدين على الموصلي وكان الوزير شرف الدين حين أقام بتفليس عند مسير جلال الدين الى كرمان ضاقت على عساكره الميرة فبعث عسكرا منهم الى أعمال أرزن الروم فاكتسحوا نواحيها ورجعوا فمروا بخلاط فخرج نائبها حسام الدين واعترضهم واستنقذ ما معهم من الغنائم وكتب الوزير شرف الدين بذلك الى جلال الدين وهو بكرمان فلما عاد جلال الدين من كرمان وحاصر مدينة انى استقر حسام الدين نائب خلاط للامتناع منه فارتحل هو الى بلاد انجاز ليأتيه على غرة ورحل جلال الدين من انجاز فسار الى خلاط وحاصر مدينة ملازكرد في ذى القعدة من السنة وانتقل منها الى مدينة خلاط وحاصرها وضيق بخنقها وقاتلها مرارا واشتد أهل البلد في مدافعته لما يعلمون من سيرة الخوارزمية الالوانية وكانوا متغلبين على الكثير من بسائط ارمينية واذربيجان فبلغه أنهم أفسدوا البلاد وقطعوا السابلة وأخذوا الضريبة من أهل خوى وخربوا سائر النواحي وكتب اليه بذلك نوابه وبنت السلطان طغرل زوجته فلما رحل عن خلاط قصدهم على غرة قبل أن يصعدوا الى حصونهم بجبالهم الشاهقة فأحاطت بهم العساكر واستباحوهم واقتسموهم بين القتل والغنيمة وعاد الى تبريز

(دخول الكرج مدينة تفليس واحراقها)

ولما عاد السلطان من خلاط وغزو التركمان فرق عساكره للمشتى وكان الامراء أساؤا السيرة الى تفليس وهرب العسكر الذين بها واستطموا بقيتهم وخربوا البلاد وحرقوها لعجزهم عن حمايتها من جلال الدين وذلك في ربيع سنة أربع وعشرين وستمائة وعند النسائى الكاتب ان استيلاء الفرنج على تفليس واحراقهم اياها كان والسلطان جلال الدين على خلاط وانه لما بلغه ذلك رجع وأغار على التركمان في طريقه لما بلغه من افسادهم فنهب أموالهم وساق مواشيهم الى موقان وكان خمسها ثلاثين ألفا ثم سار الى خوى لملاقاة بنت طغرل ثم سار الى كنجة فبلغه الخبر بانصراف الكرج على تفليس بعد احراقها قال ولما وصل كنجة قدم عليه هناك خاموش بن الاتابك ازبك ابن البهلوان مؤديا منطقة بلخش قدر الكف مصنوعا عليه منقوشا اسم كيكاوس

وجماعة من ملوك الروس بعسير السلطان صناعتها ونقشها على اسمه وكان يلبس تلك المطلية في الاعياد وأحدها التتر يوم كبسوه وحملت الى السلطان الاعظم ابن جنكزخان بقراقدوم وأقام حاموش في خدمة السلطان الى أن صرعه التتر ولحق بعلاء الملك ملك الاسماعيلية فتوفي عنده انتهى كلام النسائي

(أخبار السلطان جلال الدين مع الاسماعيلية)

كان السلطان جلال الدين بعد وصوله من الهند ولى ارخان على نيسابور وأعمالها وكان وعده بذلك بالهند فاستخلف عليها وأقام مع السلطان وكان نائبه نهاية يتعرض لبلاد الاسماعيلية المتاخمة لقهستان وغيرها بالنهب والقتل فأوفدوا على السلطان وهو بخوى وقد أسمهم يشكون من نائب ارخان وأساء عليهم ارخان في المحاورة ولما عاد السلطان الى كنجة وكان قد أقطعها وأعمالها لارخان فلما خيم بظاهرها وثب ثلاثة من الباطنية ويسمون الفداوية لانهم يقتلون من أمرهم أميرهم بقتله ويأخذون ديته منه وقد فرغوا على أصحابهم فوثبوا به فقتلوه وقتلهم العامة وكانت الاسماعيلية قد استولوا على الدامغان أيام الفتنة ووصل رسولهم بعد هذه الواقعة الى السلطان وهو ببيلقان فطالبهم بالنزول على الدامغان فطلبوا ضمانها بثلاثين ألف دينار وقررت عليهم وكان الرسول الوافد في خدمة الوزير وهم راجعون الى اذربيجان فاستضافه الطريق ليلة وأحضر له خمسة من الفداوية معه بالعسكر وبلغ خبرهم السلطان فأمر باحراقهم انتهى كلام النسائي وقال ابن الاثير ان السلطان بعد مقتل ارخان سار في العساكر الى بلاد الاسماعيلية من الموت الى كردكوه فاكتسحها واخربها وانتقم منهم وكانوا بعد واقعته قد طمعوا في بلاد الاسلام فكف عاديتهم وقطع اطماعهم وعاد فبلغه أن طائفة من التتر بلغوا الدامغان قريبا من الري فسار اليهم وهزمهم وأثخن فيهم ثم جاء الخبر بأن جموع التتر متلاحقة لحربه فأقام في انتظارهم في الري انتهى

(استيلاء حسام الدين نائب خلاط على مدينة خوى)

قد تقدم لنا أن بنت السلطان طغرل زوجة ازبك بن البهلوان لما ملك السلطان جلال الدين تبريز من يدها أقطعها مدينة خوى ثم تزوجها بعد ذلك كما قدمناه وتركها لما هو فيه من أشغال ملكه فوجدت لذلك ما فقدته من العز والحكم قال النسائي الكاتب وأضاف لها السلطان مدينتي سلماس وارمينية وعين رجلا لقبض أقطاعها فتنكر لها وأغرى بها الوزير فكاتب السلطان بأنها تداخل الاتابك ازبك وتكاتبه ثم وصل الوزير الى خوى فنزل بدارها واستصفى وكانت مقيمة بقلعة طلع فحاصرها

وسألت الماضى الى السلطان فأبى الانزولها على حكمه انتهى وكان أهل خوى مع ذلك قد نفروا من ملكة جلال الدين وجوره وتسلط عساكره فاتفقت الملكة معهم وكاتبوا حسام الدين الحاجب النائب عن الاشرف بخلاط فسار اليهم فى مغيب السلطان جلال الدين بالعراق واستولى على مدينة خوى وأعمالها ومدينة وكانه أهل نقجوان وسلموها اليه وعاد الى خلاط واحتمل الملكة بنت طغرل زوجة جلال الدين الى خلاط الى ان كان مانذكره

(واقعة السلطان مع التتر على اصبهان)

ثم بلغ الخبر الى السلطان بأن التتر زحفوا من بلادهم فيما وراء النهر الى العراق فسار من تبريز للقائهم وجرد أربعة آلاف فارس الى الرى والدامغان طليعة فرجعوا وأخبروه بوصولهم الى اصبهان فنهض للقائهم واستخلف العساكر على الاستمانة وأمر القاضى باصبهان باستنفار العامة وبعث التتر عسكرا الى الرى فبعث السلطان عسكرا لاعتراضهم فأوقعوا بالتتر فنالوا منهم ثم التقى الفريقان فى رمضان سنة خمس وعشرين لرابعة وصولهم الى اصبهان وانتقض عنه أخوه غياث الدين وجهان بهلوان الكيجى فى طائفة من العسكر وانهزمت ميسرة التتر والسلطان فى اتباعهم وكانوا قد أكمنوا له فخرجوا من ورائه وثبت واستشهد جماعة من الامراء وأسر آخرون وفيهم علاء الدولة صاحب يزد ثم صدق السلطان عليهم الحملة فافرجوا له وسار على وجهه وانهزمت العساكر فبلغوا فارس وكرمان ورجعت ميمنة السلطان من قاشان فوجدوه قد انهزم فتفرقوا أشتاتا وفقد السلطان ثمانيا وكان بقاطى بستى مقيما باصبهان فاعتزم أهل اصبهان على بيعته ثم وصل السلطان فاقصروا عن ذلك وتراجع بعض العسكر وسار السلطان فيهم الى الرى وكان التتر قد حاصروا أصبهان بعد الهزيمة فلما وصل السلطان خرج معه أهل اصبهان فقاتلوا التتر وهزموهم وسار السلطان فى اتباعهم الى الرى وبعث العساكر وراءهم الى خراسان وعند ابن الاثير أن صاحب بلاد فارس وهو ابن الاتابك سعد الذى ملك بعد أبيه حضر مع السلطان فى هذه الواقعة وأن التتر انهزموا أولا فاتبعهم صاحب فارس حتى اذا أبعدوا انفرد عن العسكر ورجع عنهم فوجد جلال الدين قد انهزم لانحراف أخيه غياث الدين وأمرائه عنه ومضى الى شهرم تلك الايام ثم عاد الى اصبهان كما ذكرناه

(الوحشة بين السلطان جلال الدين وأخيه غياث الدين)

كان ابتداؤها أن الحسن بن حرميل نائب الغورية بهراة لما قتلته عساكر خوارزم شاه

محمد بن تكش وحاصروا وزيره المنيع بها حتى اقتحموها عليه عنوة وتناولوه محمد بن الحسن بن حرميل الى بلاد الهند فلما سار السلطان جلال الدين وحطى لديه وأقامه ثمة بأصبهان فلما سار السلطان الى اصبهان للقاء التتر انحرف بجماعة من عساكر غياث الدين عنه فساروا الى نصرة الدين بن حرميل واستوحشهم منه غياث الدين في بيته وطعنه وأشواه ومات للحال وأحفظ ذلك السلطان وأقام غياث الدين مستوحشا لما كان يوم اللقاء انحرف عن أخيه ولحق بخوزستان وخاطب الخليفة فبعث اليه بثلاثين ألف دينار وسار من هنالك الى قلعة الموت عند صلاح الدين شيخ الاسماعيلية فلما رجع السلطان من وقعة التتر الى الري سار الى قلعة الموت وحاصرها فاستأمن علاء الدين الى السلطان لغياث الدين فأمنه وبعث من يأتيه به فامتنع غياث الدين وفارق القلعة واعترضه عساكر السلطان بنواحي همدان وأوقعوا به وأسروا جماعة من أصحابه وصار الى براق الحاجب بكرمان فتزوج بأمه كرها ورمي اليه أنها تحاول سمه فقتلها وقتل معها بهلوان الكعبي وحبس غياث الدين ببعض القلاع ثم قتله بعد ويقال بل هرب من محبسه ولحق باصبهان وقتل بأمر السلطان قال النسائي وقفت على كتاب براق الحاجب الى الوزير شرف الملك والسلطان بتبريز وهو بعد دسوا بقه نعدمها اتذلة أعدى عدو السلطان والله تعالى ولي التوفيق

(انتقاض البهلوانية)

لما ارتحل السلطان والوزير شرف الملك معه وانتهى الى همذان بلغه أن الامراء البهلوانية اجتمعوا بظاهر تبريز يرومون الانتقاض واسمه خاموش بن الاتابك ازبك من قلعة قوطور وكان مقيما بها فرجع السلطان اليهم وقدم بين يديه الوزير شرف الملك فلقيهم قريبا من تبريز وهزمهم وقبض على الدين تولوا أكبر الفتنة منهم ودخل تبريز في أثرهم وقبض على القاضي المعزول مصادمة قوام الدين الحرادي ابن أخت الطغرائي وصادره وسار السلطان للقاء التتر وأقام الوزير نائبا بالبلاد

(ايقاع نائب خلاط بالوزير)

ولما كان ما ذكرناه من مسير حسام الدين نائب خلاط الى اذربيجان واحتماله زوجة السلطان جلال الدين الى خلاط امتعض الوزير لذلك فسار الى موقان من بلاد اران وجمع التركمان وفرق العمال للجباية وطلب الحمل من شروان شاه وهو خمسون ألفا دينار فتوقف وأغار على بلاده فلم يظفر بشيء ورجع الى اذربيجان وكانت بنت الاتابك بهلوان في قيمان فارقها سامولا بأيدغمش وجاء الى الوزير فأطمعه فيها وسار الوزير

منتظر الغدر بها واشتدت عليه ونزل بالمرج فأكرمته وقربته ورحل الى خوى من أعمالها وكانت للاشرف صاحب خلاط من أيام ازبك فانتشرت أيدى العسكر فى تلك الضياع وقاتلها الوزير وجاء الحاجب صاحب خلاط فى عساكره فانهزم الوزير وترك أثقاله وذلك سنة أربع وعشرين وكان مع الحاجب فخر الدين سام صاحب حلب وحسام الدين خضر صاحب تبريز بره وكان الوزير وتكاليفه فظهر الآن بمخلفه وخلص الوزير الى اران وسار الحاجب على فى اتباعه ثم عاد الى تبريز ومرّ بخوى فنهبها ثم وسار الى بشجان فملكها ثم الى تدمر كذلك وأقام الوزير بتبريز وكان بها الاتابك ازبك متمسكا منعه أهل تبريز من الدخول وحملوا اليه النفقة ثم جاء الخبر برجوع السلطان الى اصبهان بعد الهزيمة كما مرّ فسار الوزير الى اذربيجان ولقى ثلاثة من الامراء جاؤا مدداله من عند السلطان وأمره بحصار خوى فسار اليها وبها نائب الحاجب حسام الدين صاحب خلاط وهو بدر الدين بن صرهنك والحاجب حسام الدين على منوشهر فنهض اليه الوزير من خوى فتأخر الى تركرى والتقيا هنالك فانهزم الحاجب ودخل تركرى فاعتصم بها وحاصره الوزير وطلب الصلح فلم يسعفه ورجع الامراء الذين كانوا معه بعساكرهم الى اذربيجان وأفرج الوزير عن حصار تركرى ومرّ بخوى وقد فارقها ابن صرهنك الى قلعة قوطور واستأمن للسلطان من بعد ذلك ودخل الوزير مدينة خوى وصادر أهلها وسار الى ترمذ ونقجوان ففعل فيهما مثل ذلك وانقطعت ايالة الحاجب صاحب خلاط والله أعلم

(فتوحات الوزير باذربيجان واران)

ولما تخلف الوزير عن السلطان صرف همته الى تمهيد البلاد ومدافعة صاحب خلاط وارتجاع البلاد التى ملك من اذربيجان واران وفتح القلاع العاصية فكان بينه وبين الحاجب حسام الدين صاحب خلاط ما ذكرناه وهو خلال ذلك يستميل أصحاب القلاع ويفيض فيهم الاموال والخلع حتى أجاب أكثرهم ثم قبض على ناصر الدين محمد من أمراء البهلوانية وكان معتزلا عند نصرة الدين محمد بن سبكتكين فصادره على مال وتسلم من نائبه قلعة كانت بيده ثم مات نائب السلطان بكنجة اقسنقر الاتابكى فنهض اليها وقبض على نائبه شمس الدين كرشاسف وصادره وتسلم منه قلعة هردوجار برد من أعمال اران ثم جهز العساكر لحصار قلعة زونين وبها زوجة السلطان خاموش فأطال حصارها وعرضت عليه نكاحها فأبى ولما رجع السلطان من العراق تزوجها وولى خادمه سعد الدين على القلعة فأساء اليها وانتزع أملاكها فأخرجوه وعادوا الى الانتقاض ولما تخلص الوزير من واقعته مع الحاجب نائب خلاط قصد أران فجبى الاموال وجمع واحتشد

وقصد قلعة مرداشي وكانت لمهر الوزير ركبة الدين فصالحه بأربعة آلاف دينار حملها اليه ثم سار الى قلعة حاجين وبها جلال الدولة ابن أخت أوانى أمير الكرج فصالحه على عشرين ألف دينار وسبعمائة أسير من المسلمين ثم كانت فتنة البهلوانية فسكن او سرح الجند عنها وشرح الخبر عنها ان بعض مماليك اتابك ازبك كان قد أخش فى قتل الخوارزمية باذربيجان عند زحفهم اليها أيام فرارهم من التتر فلما ملك السلطان جلال الدين اذربيجان وبها مماليك البهلوانية منها لحق الامير مقدى هذا بالاشرف بن العادل بن أيوب صاحب الشأم وأقام عنده فلما بلغه انهزام الوزير شرف الملك أمام الحاجب حسام الدين نائب الاشرف بخلاط فزمن الشأم الى اذربيجان ليقيم مع الاتابكية ومر بالحاجب فى خوى فاتبعه وعبر النهر وخاطب من عدوته معتذرا فرجع عنه ودخل مقدى بلاد تمار وبها قلاع استولى عليها المتقصون والعصاة فراسلهم فى اقامة الدعوة الاتابكية والبيعة لابن خاموش بن ازبك يستدعونه من قلعة قوطور واتصل ذلك بالوزير فأقلقه ثم جاء خبر هزيمة السلطان باصبهان فازداد قلقا وسار الامير مقدى الى نصرة الدين محمد بن سبكتكين يدعوه لذلك ولاطمه فى القول وكتب للوزير بالخبر فأجابه بأن يضمن لمقدى ما أحب فى مراجعة الطاعة ففعل وجاء به الى الوزير فأكرمه وخلع عليه وعلى من جاء معه وعاهده على العفو عن دماء الخوارزمية وجاء الخبر برجوع السلطان من اصبهان فارتحل الوزير للقائه ومعه الامير مقدى وابن سبكتكين وأكرمهما السلطان

(أخبار الوزير بخراسان)

كان صفى الدين محمد الطغرائى وزيرا بخراسان وأصل خبره انه كان من قرية كلاجرد وأبوه رئيسها وكان هو حسن الخط ورتبة الاطوار ثم لحق بالسلطان فى الهند وخدم الوزير شرف الملك فلما عادوا الى العراق ولاه الطغرائى ولما ملك السلطان تفليس من يد الكرج ولى عليها اقسنقر مملوك الاتابك اربك وأقام صفى الدين فى وزارته فلما حاصرها الكرج هرب اقسنقر وأقام صفى الدين فحاصروه أياما ثم أفرجوا ووقع ذلك من السلطان أحسن المواقع وولاه وزارة خراسان فأقام بها سنة وضجر منه أهلها فلما جاء السلطان الى الرى وأقام بها كثرت به الشكايات فنكبه السلطان واستصفى أمواله وقبض على مواليه وحاشيته وقيدت خيله الى مرابط السلطان وكانت ثلثمائة وخلص من مواليه على الكرمانى الى قلعة كان حصنها فامتنع بها واستوزر السلطان مكانه تاج الدين البلخى المستوفى وسلم اليه الصفى ليستصفيه ويقلع القلعة من مولاه وشدد فى امتحانه وكان عدوه فلم يظفر منه بشئ وكان لما ركب طالبه بأن يأذن السلطان

باستنثار الجواهر وما ساقته لخدمة الوزير وغيره فأحضر أربعة آلاف دينار وسبعين قصا من ياقوت وبلخش واستأثر الخازن بها الظنه أنه مقتول ثم كاتب الصفي أرباب الدولة ووعدهم بالاموال فشفعوا فيه وخلصوه وكتب السلطان بخطه بسراحه فجاء واستخلص ماله من الخازن الا الفصوص فانه تعذر عليه ردها وولى السلطان على وزارة نسا محمد بن مودود النسوى العارض من بيت رياسة بها وردت به الحادثة الى غزنة فلما جاء السلطان من الهند ولاه الانشاء والحبس وعظم أمره وغص به الوزير شرف الملك فلما ورد أحمد بن محمد المنشى الكاتب رسولا عن نصرة الدين محمد بن حمزة صاحب نسا بأمر ولاه السلطان الانشاء فأرغض لذلك ضياء الدين وطلب وزارة نسا فولاه السلطان اياها وأقطع له عشرة آلاف دينار فى السنة زيادة على أرزاق الوزارة وذهب اليها لاقامة وظيفته واستناب فى ديوان العرض مجد الملك النيسابورى ثم قطع الحبل فعزله السلطان وولى مكانه الكاتب أحمد بن محمد المنشىء وتعرض للسعاية فيه فطرده السلطان وهلك فى طرده

(خبر بلبان صاحب خلخال)

كان من أتابكية ازبك ولما كانت فتنة التتر وخلاء خراسان واستيلاء السلطان جلال الدين على اذربيجان لحق بمدينة خلخال فاستولى عليها وعلى قلاعها وشغل عنه السلطان بأمر العراق وصاحب خلاط فلما انصرف المسلمون من واقعة التتر بالعراق حاصروه بقلعة فيروزاباذ حتى استأمن وملكها السلطان وولى عليها حسام الدين بكاش مولى سعد اتابك فارس ثم خلف السلطان أثقاله بموقان وتجرد لخلاط وعاقه البرد بارجيش فنهب بعض قلاع وكان عز الدين الخلخالى فى كفرطاب قريبا من أرجيش فلحق بخلاط وجهزه الحاجب الى اذربيجان يشغلهم باثارة الفتنة فيها فلم يتم قصده من ذلك فلحق بجبال زنجان وأقام يخيف السابلة وكتب له السلطان بالامان ونزل الى اصبهان فبعث نائبها شرف الدولة برأسه الى السلطان ثم رجع السلطان من كفرطاب الى خرت برت فنهبها وخربها ووصله خلال ذلك الخبر بوفاة الخليفة الظاهر منتصف ثلاث وعشرين وولاية ابنه المنتصر وجاءه كتابه بأخذ البيعة وأن يبعث اليه بالخلع والله تعالى ولى التوفيق لا رب غيره

(تنكر السلطان للوزير شرف الملك)

لما رجعت العساكر الى موقان وأقام السلطان بخوى شكا اليه أهلها بكثرة مصادرة الوزير لهم واطلع على اساءته للملكة بنت طغرل واستصفائه مالها مع براءتها مما نسب اليها ثم جاء الى تبريز فبلغه عنه أكثر من ذلك وهو بقرية كورتان من أعمالها

ما يفقد رئيسها وكان يخدمه وقيل ان الوزير صادره على ألف دينار لمملوكيه ولما وصل
الى تبريز حبس من أخذها حتى ردها على صاحبها وأسقط عن أهل تبريز خراج ثلاث
سنين وكتب لهم بذلك وكثرت الشناعات على الوزير بما فعله في مغيب السلطان هذا
مع ما كان منه في محاربة الاسماعيلية بأن السلطان كاتبه من بغداد بأن يفتش قاول
الشام من أهل رسول من عند التتر بعثوه الى الشام وقصد بذلك معاتبة الخليفة
ان عثر على الرسول فرمته ال الاسماعيلية فقتلهم واستولى على أموالهم فلما عاد
السلطان الى اذربيجان وصله رسول علاء الدين ملك الاسماعيلية يعاتبه على ذلك
ويطلب المال فنكر السلطان على الوزير ما فعله ووكل به أميرين حتى رد ما أخذ من
أموالهم وكانت ثلاثين ألف دينار وعشرة أفراس فانطوى السلطان للوزير من
ذلك كله على سخط وأعرض عن سطاه وكان يكاتب ملايجاب وبجرت تبريز عن علاوية
السلطان فأمر بفتح اهراء الوزير والتصرف فيها ورجع السلطان الى موقان ولم يعثر عليه
شيأ ووقع له بتناول عشر الخاص فكان يأخذ من عشر العراق ستين ألف دينار
في كل سنة والله أعلم

* (وصول القفجاق لخدمة السلطان) *

كان للقفجاق على قديم العهد هوى مع قوم هذا السلطان وأهل بيته وكانوا يصهرون
اليهم غالبا بناتهم ومن أجل ذلك استأصلهم جنكزخان واشتد في طلبهم فلما عاد
السلطان من واقعة اصبهان وقد هاله أمر التتر رأى أن يستظهر عليهم بقبائل قفجاق
وكان في جملته سير جكش منهم فبعثه اليهم يدعوهم لذلك ويرغبهم فيه فاجابوا وجاءت
قبائلهم ارسالا وركب البحر كور وكان من ملوكهم في ثلثمائة من قرابته ووصل
الى الوزير بموقان فشتى بها ثم جاء السلطان فخلع عليه ورده بوعد جميل في فتح دربند
وهو باب الابواب ثم أرسل السلطان لصاحب دربند وكان طفلا وأتابكه يلقب
بالاسد يأمره فتقدم على السلطان فخلع عليه وأقطع له وملكه العمل على أن يفتح له
الدربند وجهز عساكره وأمراءه فلما فصلوا من عنده قبضوا على الاسد وشنوا الغارة على
نواحي الباب وأعمل الاسد الحيلة وتخلص من أيديهم وتعذر عليهم ما أرادوه

* (استيلاء السلطان على أعمال كشاسبي) *

كان علم الوزير شكر أن السلطان أراد أن يقتطع له بعض مذاهب المسلمة فسار
في العساكر وعبر نهر ارس فاستولى على أعمال كشاسبي من يد شروان شاه فلما
عاد السلطان الى موقان أقطعها لجلال الدين سلطان شاه بن شروان شاه وكان أسيرا
عند الكرج أسلمه أبوه اليهم على أن يزوجوه بنت الملك رسودان بنت تاماد فلما فتح

السلطان بلاد الكرج استخلصه من الاسرورباه وبقى عنده وأقطعه الآن كستاسفى وكان أيضا عند الكرج ابن صاحب ارزن الروم وكان تنصر فزوجوه رسودان بنت تاماد فأخرجه السلطان لما فتح بلاد الكرج ثم رجع الى ردته ولحق بالكرج فوجد رسودان قد تزوجت

(قدوم شروان شاه)

كان السلطان ملك شاه بن البارسلان لما ملك اران أطلق الغارة على بلاد شروان فوفد عليه ملكها افريدون بن فرتبريز وضمن حمل مائة ألف دينار فى السنة فلما ملك السلطان جلال الدين اران سنة ثنتين وعشرين وستمائة طلب شروان شاه افريدون بالحمل فاعتل بتغلب الكرج وضعف البلاد فأسقط عنه نصف الحمل فلما عاد الان قدم عليه شروان شاه وأهدى له خمسمائة فرس وللوزير خمسين فاستقلها وأشار على السلطان بحبسه فلم يقبل اشارته ورده بالخلع والتشريف وأسقط عنه من الحمل عشرين ألفا فبقى ثلاثون قال النسائى الكاتب وأعطانى فى التوقيع ألف دينار والله تعالى أعلم

(مسير السلطان الى بلاد الكرج وحصاره قلاع بهرام)

لما كان السلطان مقيما بموقان منصرفه من اذربيجان بعث عساكره مع ايلك خان فأغار على بلاد الكرج واكتسحها ومر ببحيرة بتاج فكبسه الكرج وأوقعوا به وفقد اربطانى واغتمض السلطان لما وقع بعسكره وارتحل لوقته وقد جمع له الكرج فهزمت مقدمته مقدمتهم وجىء بالاسرى منهم فقتلهم وسار فى اتباعهم ونازل كورى وطالبهم باطلاق أسرى البحيرة فأطلقوهم وأخبر أن اربطانى خاص تلك الليلة الى اذربيجان ثم وجده السلطان فى نقجوان ثم سار الى بهران الكرجى وقد كان أغار على نواحى كنجة فعاث فى أعماله وحاصر قلعة سكان ففتحها عنوة وكذلك قلعة عليا ثم حاصر قلعة كالو وبعث الوزير لحصار كوزانى فحاصرها ثلاثة أشهر حتى طلبوا الصلح على مال حملوه فرحل عنهم الى خلاط والله أعلم

(مسير السلطان الى خلاط وحصارها)

ولما فرغ السلطان من شأن الكرج قدم أثقاله الى خلاط على طريق قاقروان وسار هو الى نقجوان وصبح الكرج واستاق مواشيهم ثم أقام اياما وقضى أشغال أهل خراسان والعراق ليفرغ لحصار خلاط قال النسائى الكاتب وحصل لى منهم تلك الايام ألف دينار ثم ارتحل الى خلاط ولحق بعساكره ولقيه رسول من عز الدين ايبك نائب الأشرف بخلاط وقد كان الاشرف بعثه وأمره بالقبض على نائبها حسام

الدين علي ابن حماد فقبض عليه ثم قتله غيلة وبعث الى السلطان يستقدم اليه بذلك
وان سلطانه الاشرف أمره بطاعة السلطان جلال الدين وبالغ في الملاطفة فأبى
السلطان الا امضاء ما عزم عليه وقال ان كان هذا حقا فابعث الي بالحاجب فلما سمع
هذا الجواب قتله وسار السلطان الى خلاط ونزل عليها بعد عيد الفطر من سنة ست
وعشرين وجاءه ركن الدين جهان شاه بن طغرل صاحب ارزن الروم وكان معه وحاصرها
ونصب عليها المجانيق وأحدق بها حتى ضر أهلها عجزا من الجوع وتفرقوا في البلاد
ثم داخله بعض أهلها الى أن مكنهم من تسليمها على أن يؤمنوه ويقطعوه في اذربيجان
فأقطعه السلطان سلماس وعدة ضياع هنالك وأصعد الرجال ليلا الى الاسوار فقاتلوا
الجند بالمدينة وهزموهم وملكوها وأسروا من كان بها وأسروا النصارى وأسد بن
عبد الله وقبض النائب عز الدين ايبك بالقلعة فأمنه وحبسه بقلعة درقان فلما وقعت
المراسلة في الصلح قتل لئلا يشترط وقال ابن الاثير ان مولى من موالي حسام الدين
كان هرب الى السلطان فلما ملك خلاط طلب أن يثأر منه بمولاه فدفعه اليه فقتله ونهب
البلد ثلاثا وسرح السلطان صاحب ارزن وهرب القيمري من محبسه فقتل أسد بن
عبد الله المهراني بجريرته وأقطع السلطان خلاط للأمراء وعاد والله تعالى ولي
التوفيق

* (واقعة السلطان جلال الدين مع الاشرف وكيقباد وانهزامه أمامهما) *

ولما استولى السلطان جلال الدين على خلاط تجهز الاشرف من دمشق وقد كان
ملكها وسار لقتال السلطان جلال الدين في عساكر الجزيرة والشام وذلك
في سنة تسع وعشرين ولقيه علاء الدين كيقباد صاحب بلاد الروم على سيواس وكان
كيقباد قد خشي من اتصال جهان شاه ابن عمه طغرل صاحب ارزن الروم بالسلطان
جلال الدين لما بينهما من العداوة فسار الاشرف وكيقباد من سيواس وفي مقدمة
الاشرف عز الدين عمر بن علي من أمراء حلب من الاكراد الهكارية وله صيت
في الشجاعة وجاء السلطان علاء الدين للقائهم فلما تراءى الجمعان حمل عز الدين صاحب
المقدمة عليهم فهزمهم وعاد السلطان الى خلاط وكان الوزير على ملازكرد يحاصرها
فلحق به وارتحلوا جميعا الى اذربيجان وأسر ركن الدين جهان شاه بن طغرل وجيء به
الى ابن عمه علاء الدين كيقباد فجاء به الى ارزن فسلمها وسائر أعمالها ووصل الاشرف
الى خلاط فوجدها خاوية ولما رجع السلطان الى اذربيجان ترك العساكر مع الوزير
بكان وأقام بخوي وخلص الترك في الهزيمة الى موقان وتردد شمس الدين التكريتي
رسول الاشرف بينه وبين السلطان جلال الدين في الصلح بينهم ودخل فيه علاء الدين

صاحب

صاحب الروم وانعقد بينهم جميعا وسلم لهم السلطان سر من رأى مع خلاط والله تعالى أعلم

(الحوادث أيام حصار خلاط)

منها وفادة نصر الدين اصبهبد صاحب الجبل مع ارخامن امراء السلطان بصهره على أخيه فقبض السلطان عليه الى أن عاد من بلاد الروم منهزما فأقطعه وأعاده الى بلاده * ومنها رسالة أخت السلطان وكانت عند دوشى خان أخذها من العيال الذين جاؤا معه وتركان خاتون من خوارزم وأولدها وكانت تكاتب أخاها بالاخبار فبعثت اليه الآن فى الصلح مع خاقان والمصاهرة وأن يسلم له فيما وراء جيحون فلم يجبها * ومنها وفادة ركن الدين شاه ابن طغرل صاحب ارزن الروم وكان فى طاعة الاشرف ومظاهرا للحاجب نائب خلاط على عداوة السلطان منافرة لابن عمه علاء الدين كيقباد ابن كيخسر صاحب الروم وكان قتل رسول السلطان منقلبا من الروم ومنع الميرة عن العسكر فلما طال حصار السلطان بخلاط استأمن وقدم عليه السلطان فاحتفل لقدومه واركب الوزير للقائه ثم خلع عليه ورده الى بلاده واستدعى منه آلات الحصار فبعث بها ثم حضر بعد ذلك الواقعة الاشرف مع السلطان كما مر * ومنها وصول سعد الدين الحاجب برسالة الخليفة الى السلطان بالخطبة فى أعمالها وان لا يتعرض لمظفر الدين كوكبرون صاحب اربل ولا للمولد صاحب الموصل ولا لشهاب الدين سليمان شاه ملك ولا لعماد الدين بهلوان بن هراسيت ملك الجبال ويعدهم فى أولياء الديوان فامتثل مراسله وبعث نائب العراق شرف الدين على بأن ملك العراق لا يتم الا بطاعة ملك الجبال عماد الدين بهلوان وملك سليمان شاه فبعث اليهما السلطان من لاطفهما حتى كانت طاعتهما اختيارا منهما وبعث السلطان الحاجب بدر الدين طوطو بن اينانج خان فأحسن فى تأدية رسالته وجاء بهدية حافلة من عند الخليفة خلعتان للسلطان احداهما جبة وعمامة وسيف هندى مرصع الحلية والاخرى قنع وكمة وفرجية وسيف محلى بالذهب وقلادة مرصعة ثمينة وفرسان رائعان بعدتين كاملتين ونعال لكل واحدة من أربعمائة دينار وترس ذهب مرصع بالجوهر وفيه احد وأربعون فصا من الياقوت وبدخشانى فى وسطه فيروزجة كبيرة وثلاثون فرسا عربية مجللة بالاطلس الرومى المبطن بالاطلس البغدادى بعقاود الحرير ونعال الذهب لكل واحدة منها ستون دينارا وعشرون مملوكا بالعدة والمركوب وعشرة فهود بجلال الاطلس وقلائد الذهب وعشرة صقور بالاكمام المكللة ومائة وخمسون بقجة فى كل واحدة عشرة ثياب وخمس أكر من العنبر مضلعة بالذهب

ابن الاصل :

وثصرة من العود الهندى طولها خمسة أذرع وأربع عشرة خلعة نسوانية للحامات من خوالص الذهب وكاس لحمل تفليسية وللامراء ثلثمائة خلعة لكل أمير خلعة قباء وكمة وللوزير عمامة سوداء وقباء وفرجية وسيف هندى واكرتان من العنبر وخمسون ثوبا بعلة ولاصحاب الديوان عشرون خلعة فى كل خلعة جبة وعمامة وعشرون ثوبا أكثرها اطلس رومى وبغدادى وعشرون بغلة شهباء ورفعت للسلطان خماء فدخلها ولبس الخلعتين وشمع الرسول فى أهل خلاط فاعتذر له السلطان * ومما وصل هدية من صاحب الروم ثلاثون بغلا مجللة بثياب الاطلس الحطائى وفرو القندسى والسمور وثلاثون عاوكا بالخيل والعدة ومائة فرس وخمسون بغلا ولما سار وبادر بيهان اعترضهم ركن الدين جهان شاه بن طغرل صاحب ارزن وكان فى طاعة الاشرف فأمسك الهدية عنده الى أن وعد على السلطان بطاعته فأمرها * ومما سار وزير المورحاشاء الى الجبل المطل على قزوين لمضاد الحشيش على عادته وكان السلطان قد تعبر على علاء الدين صاحبهم بسبب أخيه غياث الدين ولحاقهم بهم فى الموت فسار مقطع ساوة الى ذلك الجبل وأكى لهم وأمر الوزير وبعث به الى السلطان وهو يحاصر خلاط فحبسه بقلعة رزمان وهلك لاشهر قلائل ثم بعث السلطان كاتبه محمد بن أحمد النسائى الى علاء الدين صاحب قلعة الموت يطالب الحوارج وطلب الحملة فامتنع منها أولا واحتج عليه بأن أباه جلال الدين الحسن خطب لخوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش والد السلطان فأنكر والترم أن يبعث الى الديوان مائة ألف فى كل سنة

(وصول جهان بهلوان ازبك من الهند)

وكان السلطان لما وصل من الهند بقصد العراق واستخلف على البلاد التى ملكها هنالك جهان بهلوان ازبك فأقام هنالك الى أن قصده عسكر شمس الدين ايتماش صاحب لهاوور ففارق مكانه وسار الى بلاد قشمير فزاحموه وطردوه عن البلاد فقصد العراق وتخلف عنه أصحابه وعادوا الى ايتماش وفيهم الحسن قرلق الملقب وفا ملك وكاتب جهان عليا ملك العراق بوصوله فى سبعمائة فارس فأجاب الحسن رأى السلطان فيه وبعث اليه بعشرة آلاف دينار للنفقة ووصل توقيع السلطان بأن يحمل اليه عشرون ألفا وأن يشتى بالعراق يستريح من التعب فصادف عود السلطان من بلاد الروم وزحف السلطان الى ادربيجان فحال قدر الله بينه وبين مرامه وقتل هنالك سنة ثمان وعشرين

(وصول التتر الى ادربيجان)

وكان التتر عندما ملكوا ما وراء النهر وزحفوا الى خراسان فضعضعوا ملك بنى

خوارزم شاه وانتهوا الى قاصية البلاد ونهبوا امامهم واعاليه واكتسحوا ونهبوا وقتلوا ثم استقر ملكهم بما وراء النهر وعمروا تلك البلاد واختطوا قرب خوارزم مدينة عظيمة تعوض منها وبقيت خراسان خالية واستبد بالمدن فيها أمراء أشبه الملوك يعطون الطاعة لسلطان جلال الدين لما جاء من الهند وانفرد جلال الدين بملك العراق وفارس وكرمان واذربيجان واران وما وراء ذلك وبقيت خراسان مجالات لغارات التتر وحروبهم ثم سارت طائفة منهم سنة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين لما جاء من الهند المواقعة على اصبهان كما مر ثم كان بين جلال الدين وبين الاشرف صاحب الشأم وعلاء الدين كيقباد صاحب الروم المواقعة سنة سبع وعشرين كما مر وأوهنت من جلال الدين وحلت عرى ملكه وكان علاء الدين مقدم الاسماعيلية في قلعة الموت فعادى جلال الدين لما أثخن في بلاده وقرر عليه وظائف الاموال فبعث الى التتر يخبرهم بالهزيمة الكائنة عليه وانها أوهنته ويحثهم على قصده فساروا الى أذربيجان أول سنة ثمان وعشرين وبلغ الخبر الى السلطان بمسيرهم فبعث يوغرمن أمرائه طليعة لاستكشاف خبرهم فلقي مقدمتهم فانهزم ولم ينج من أصحابه غيره وجاء بالخبر فرحل من تبريز الى موقان وخلف عياله بتبريز لنظر الوزير وأعجله الحال عن أن يبعثهم الى بعض الحصون ثم ورد كتاب من خدودزنجان بأن المقدمة التي لقيها يوغر بأهراقاموا ابرج الخان وانهم سبعمائة فارس فظن السلطان أنهم لا يجاوزونها فسرى عنه ورحل الى موقان فأقام بها وبعث في احتشاد العساكر الاميرين بغان شحنة خراسان وأوميان بهلوان شحنة مازندان وشغل بالصيد وبينما هو كذلك كبسه التتر بمكانه ونهبوا معسكره وخاض الى نهر اوس ثم ورى بقصد كنجة وعطف الى اذربيجان فنشكر لماهان وكان عز الدين صاحب قلعة شاهين غاضبا منذ سنين لاغارة الوزير على بلده فلما نزل السلطان ماهان كان يخدمه بالميرة وباخبار التتر ثم أنذره آخر الشتاء بمسير التتر اليه من ارجان وأشار عليه بالعود الى اران لكثرة ما فيها من العساكر وأجناد التركمان متحصنين بها فلما فارقها وكان الوزير فوق بيوت السلطان وخزائنه في قلاع حسام الدين منهم ارسلان كبير أمراء التركمان باران وكان قد عمر هنالك قلعة سنك سراخ من أحصن القلاع فأنزل عياله بها وكان مستوحشا من السلطان فجاهر بالعصيان وكانت وحشته من السلطان لامور منها تبذير أمواله في العطاء والنفقة ومنها أنه ظن أن السلطان محتفل الى الهند فكاتب الاشرف صاحب الشأم وكيقباد صاحب الروم فوعدهم من نفسه الطاعة وهما عدوا السلطان ومنها أنه كاتب قليج ارسلان التركماني فأمره بحفظ حرم السلطان وخزائنه

ولايتها اليه وبعث في الكتاب له والكتاس قبله ليغزو الروم فلما مر السلطان بقلعته بعث اليه يستدعيه فوصل رجل كفنه في يده فلاطفه السلطان وكلفه قطعها بخالدة فلما مات والله تعالى ولي التوفيق

(استيلاء التتر على تبريز وكنجة)

ولما اجفل السلطان بعد الكسرة من موقان الى اران بلغ الخبر الى أهل تبريز فثاروا بالخوارزمية وأرادوا قتلهم ووافقهم بهاء الدين محمد بن بشير فارىك الوزير بعد الطغرائي وكان الطغرائي رئيس البلد كامر بمنعهم من ذلك وعدوا على واحد من الخوارزمية وقتلوه فقتل به اثنين من العامة واجتهد في تحصين تبريز وحراستها وشحنها بالرجال ولم تنقطع كتبه عن السلطان ثم هلك فسلمها العوام الى التتر ثم ثار أهل كنجة وسلموا بلدهم للتتر وكذا أهل العمارة والله أعلم

(نكبة الوزير ومقتله)

لما وصل السلطان الى قلعة جاربرد بلغه استيحاش الوزير وخشي أن يفر الى بعض الجهات فركب الى القلعة موريا بالنظر في أحوالها والوزير معه وأمر الى والي القلعة أن يمسك الوزير ويقيده هنالك ففعل ونزل السلطان فجمع مماليك الوزير وكبيرهم الناصر قشتمر وضمهم الى أورخان ثم نمي الى والي القلعة أن السلطان مستبدل منه فاستوحش وبعث بخاتم الوزير الى قشتمر كبير المماليك يقول عن صاحبكم متوازرون عن أحب خدمته فليأت القلعة تسقط في يد السلطان وكان ابن الوالي في حلته وحاشيته فأمره السلطان أن يكاتب أباه ويعاتبه ففعل وأجابه بالتنصل من ذلك فقال له السلطان فليبعث الي برأس الوزير فبعث به وكان الوزير مكرما للعلماء والأدباء مواصلا لهم كثير الخشية والبكاء متواضعا منبسطا في العطاء حتى استغرق أموال الديوان لولا أن السلطان جذب من عنانه وكان فصيحا في لغة الترك وكانت علامته على التواقيع السلطانية الحمد لله العظيم وعلى التواقيع الديوانية يعتمد ذلك وعلى تواقيعه الى بلاده أبو المكارم علي ابن أبي القاسم خالصة أمير المؤمنين

(ارتجاع السلطان كنجة)

لما ثار أهل كنجة بالخوارزمية كان القائم بأمرهم رجل منهم اسمه بندار وبعث السلطان اليهم رسوله يدعوهم الى الطاعة فوصلوا قريبا منه وأقاموا وخرج اليهم الرئيس جمال الدين القمي بأولاده وامتنع الباقون ثم وصل السلطان وردد اليهم فلم تغن وبرزوا بعض الأيام للقتال ورموا على خيمته فركب وحمل عليهم فانهزموا

وازدحموا فى الباب فمنعهم الزحام من اغلاقه فاقتحم السلطان المدينة وقبض على ثلاثين من أهل الفتنة فقتلهم وحمى ببندار وكان بالغا فى الفساد وكسر سرير الملك الذى نصبه بها أحمد بن ملك شاه ثم لم يزل به وفصل أعضاءه بين يديه وأقام السلطان بكنجة نحوا من شهر ثم سار الى خلاط مستمدا للاشرف فارتحل الاشرف الى مصر وعلل بالمواعيد ووصل السلطان فى وجهته الى قلعة شمريوبها ابن ابوان الكرجى فخرج وقبل الارض على البعد ثم بعث الى السلطان ما أمرى وبعث السلطان الى جيرانه من الملوك مثل صاحب حلب وآمد وماردين يستنجدهم بعد يأسه من الاشرف وجرد عسكرا الى خرت برت وملطية وادربيجان فأغاروا فى تلك النواحى واستاقوا نعمها لما بين ملكيها كيقباد وبين الاشرف من الموالاة فاستوحش جميعهم من ذلك وقعدوا عن نصرته والله تعالى ولى التوفيق

(واقعة التتر على السلطان بآمد ومهلكه)

كان السلطان بلغه وهو بخلاط أن التتر ساروا اليه فبعث السلطان الامير أورخان فى أربعة آلاف فارس طليعة فرجع وأخبر أن التتر رجعوا من حدود ملازكرد وكان الامراء أشاروا على السلطان الانتقال بديار بكر ويعبرون الى اصبهان ثم جاء رسول صاحب آمد وزين له قصد بلاد الروم وأطمعه فى الاستيلاء عليها ليتصل بالقفجاق ويستظهر بهم على التتر وأنه يمده بنفسه فى أربعة آلاف فارس وكان صاحب آمد يروم الانتقام من صاحب الروم بما ملك من قلاعه فجنح السلطان الى كلامه وعدل عن اصبهان الى آمد فنزل بها وبعث اليه التركمان بالنذير وانهم رأوا نيران التتر بالمنزل الذى كانوا به أمس فاتهم خبرهم وصبحه التتر على آمد وأحاطوا بخيمته قبل أن يركب فحمل عليهم اورخان حتى كشفهم عن الحركات وركب السلطان وركض وأسلم زوجته بنت الاتابك سعد الى أميرين يحملانها الى حيث تنتهى الجفلة ثم ردا اورخان والعساكر عنه ليتوارى بانفراده عن عين العدو وسار اورخان فى أربعة آلاف فارس فخلص الى اصبهان واستولى عليها الى أن ملكها التتر عليه سنة تسع وثلاثين وذهب السلطان مستخفيا الى باشورة آمد والناس يظنون أن عسكره غدروا به فوقفوا يردونهم فذهب الى حدود الدربندات وقد ملئت المضايق بالمفسدين فأشار عليه أورخان بالرجوع فرجع وانتهى الى قرية من قرى ميافارقين فنزل فى بيدرها وفارقه أورخان لشهاب الدين غازى صاحب حلب لمكاتبات كانت بينهما فخيبه ثم طلبه الكامل فبعث به اليه محبوسا ثم سقط من سطح فمات وهجم التتر على السلطان بالبيدر فهرب وقتل الذين كانوا معه وأخبر التتر أنه

السلطان فاتبعوه وأدركه اثنان منهم فقتلهما ويئس منه الباقون فرجعوا
عنه وصعد جبل الاكراد فوجدهم مترصدين في الطرق للنهب فسلبوه وهموا
بقتله وأسر الى بعضهم أنه السلطان فمضى به الى بيته ليخلصه الى بعض النواحي
ودخل البيت في غيبته بعض سفلتهم وبيده حربة وهو يطلب الثأر من الخوارزمية
بأخ له قتل بخلاط فقتله ولم يغن عنه البيت وكانت الوقعة منتصف شوال سنة ثمان
وعشرين هذه سياقة الخبر من كتاب النسائي كاتب السلطان جلال الدين وأما ابن الاثير
فذكر الواقعة وانه فقد فيها وبقوا أياما في انتظار خبره ولم يذكر قتله وانتهى به التأليف
ولم يزد على ذلك قال النسائي وكان السلطان جلال الدين أسمر قصيرا تركيا شجاعا حليما
وقورا لا يضحك الا تبسما ولا يكثر الكلام مؤثرا للعدل الا أنه مغلوب من أجل الفتنة
وكان يكتب للخليفة والوحشة قائمة بينهما كما كان أبوه يكتب خادمه المطواع فلان فلما
بعث اليه بالخلع عن خلاط كما مر كتب اليه عبده فلان والخطاب بعد ذلك سيدنا ومولانا
أمير المؤمنين وامام المسلمين وخليفة رب العالمين قدوة المشارق والمغارب المنيف على
الذروة العليا من لؤي بن غالب ويكتب لملوك الروم ومصر والشام السلطان فلان بن
فلان ليس معها أخوه ولا محبه وعلامته على تواقيعه النصرة من الله وحده وعلامته
لصاحب الموصل بأحسن خط وشق القلم شقين لعظمه والاصل من الهند كاتبه الخليفة
الجناب الرفيع الخاقاني فطلب الخطاب بالسلطان فاحتج بأنه لم تجر به عادة مع أكابر
الملوك فألح في ذلك حين حملت له الخلع فخوطب بالجناب العالي الشاهنشاهي ثم انتشر التتر
بعد هذه الواقعة في سواد آمد وأرزن وميافارقين وسائر ديار بكر فاكتسحوها وخربوها
وملكوا مدينة اسعرد عنوة فاستباحوها بعد حصار خمسة أيام ومروا عابرين
فامتنعت ثم وصلوا الى نصيبين فاكتسحوا نواحيها ثم الى سنجار وجبالها والخابور
ثم ساروا الى تدليس فأحرقوها ثم الى أعمال خلاط فاستباحوا أباكري وارجيش
وجاءت طائفة أخرى من اذربيجان الى أعمال اربل ومروا في طريقهم بالتركمان
الايوانية والاكراد الجوزقان فنهبوا وقتلوا وخرج مظفر الدين صاحب اربل بعد
ان استمد صاحب الموصل فلم يدركهم وعادوا وبقيت البلاد قاعا صفصفا والله وارث
الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وافترق عسكر جلال الدين منكبرس وساروا
الى كيقباد ملك الروم وأثبتهم في ديوانه واستخدمهم ثم هلك سنة أربع وثلاثين وولي
ابنه غياث الدين كيخسرو فارتابهم وقبض على كبيرهم وفر الباقون واكتسحوا
ما مروا به وآفاقه واستبدوا بأطراف البلاد ثم استمالهم الصالح نجم الدين أيوب بن
الكامل وكان نائبا لابيه بالبلاد الشرقية حران وكيفا وآمد واستأذن أباه

وأربعمائة ثم أقام يردد الحصار على دمشق حتى ملكها سنة ثمان وستين وسار الى مصر سنة تسع وستين وحاصرها وعاد عنها وولى السلطان ملك شاه بعد أبيه الب ارسلان سنة خمس وستين فأقطع أخاه تتش بلاد الشام وما يفتحه من تلك النواحى سنة سبعين وأربعمائة فسار الى حلب وحاصرها وكان أمير الجيوش بدر الجمالى قد بعث العساكر لحصار دمشق وبها أتسز فبعث بالصريخ الى تاج الدولة تتش فسار لنصرته وأجفلت عساكر مصر وخرج أتسز لتلقيه فتعلل عليه بطئه عن تلقيه وقتله واستولى على دمشق وقد تقدم ذلك كله ثم استولى سليمان بن قطلمش على انطاكية وقتل مسلم بن قريش وسار الى حلب ليملكها واستمد بها تتش فسار اليها واقتتلا سنة تسع وسبعين وقتل سليمان بن قطلمش فى الحرب وسار السلطان ملك شاه الى حلب فملكها وولى عليها قسيم الدولة اقسنقر جد نور الدين العادل ثم جاء السلطان الى بغداد سنة أربع وثمانين وسار اليه أخوه تاج الدين تتش من دمشق وقسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب وبوزان صاحب الرها وحضروا معه صنيع المولد النبوى ببغداد فلما وعدوه العود الى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان بأن يسيرا بعسكرهما مع تاج الدولة تتش لفتح البلاد ساحل الشام وفتح مصر من يد المستنصر العلوى ومحو الدولة العلوية منها فسار لذلك وملك تتش حمص من يد ابن ملاعب وغزة عنوة وأفامية من يد خادم العلوى بالامان وحاصر طرابلس وبها جلال الدين بن عمار فداخل قسيم الدولة اقسنقر وصانعه بالمال فى أن يشفع له عند تتش فلم يشفعه فرحل مغاضبا وأجفلوا الى حلب وانتقض أمرهم وهلك السلطان ملك شاه سنة خمس وثمانين ببغداد وقد كان سار الى بغداد وسار تتش أخوه من دمشق للقائه وبلغه فى طريقه خبر وفاته وتنازع ولده محمود وبركيارق الملك فاعتزم على طلب الامر لنفسه ورجع الى دمشق فجمع العساكر وقسم العطاء وسار الى حلب فأعطاه اقسنقر الطاعة لصغر أولاد ملك شاه والتنازع الذى بينهم وحمل صاحب انطاكية وبوزان صاحب الرها وحران على طاعته وساروا جميعا فى محرم سنة ست وثمانين فحاصروا الرحبة وملكوها وخطب فيها تتش لنفسه ثم ملك نصيبين عنوة واستباحها وأقطعها لمحمد بن مسلم بن قريش ثم سار الى الموصل وبها ابراهيم بن قريش بن بدران وبعث اليه فى الخطبة على منابره فامتنع وبرز للقائه فى ثلاثين ألفا وكان تتش فى عشرة آلاف والتقوا بالمضيع من نواحى الموصل فانهزم ابراهيم وقتل واستبيحت أحياء العرب وقتل أمراؤهم وأرسل الى بغداد فى طلب الخطبة فلم يسعف الا بالوعد ثم سار الى ديار بكر فملكها فى ربيع الآخر وسار منها الى اذربيجان وكان بركيارق بن ملك شاه قد استولى على الرى وهمدان وكثير من بلاد الجبل فسار فى العساكر لمدافعته فلما تقاربا نزع

اقسنقر وبوزان الى بركيارق ورجع تتش منهزما الى الشام وجمع العساكر واستركب في العشر وسار الى اقسنقر في حلب فبرز اليه ومعه بوزان صاحب الرها وكربوقا الذي ملك الموصل فيما بعد ولقيهم تتش على ستة فراسخ من حلب فانهزموا وجيء باقسنقر أسيرا فقتله صبرا ولحق كربوقا وبوزان بحلب فحاصرها تتش وملكها وأخذهما أسيرين وبعث الى حران والرها في الطاعة فامتنعوا فقتل بوزان وملكهما وحبس كربوقا بحمص ثم سار الى الجزيرة فملكها جميعا ثم الى ديار بكر وخلاط ثم اذربيجان ثم همذان وبعث الى بغداد في الخطبة وكان بركيارق يومئذ بنصيبين فعبر دجلة الى اربل ثم منها الى بلد سرخاب بن بدر وسار الامير يعقوب بن ارتق من عسكر تتش فكبسه وهزمه ونجا الى اصبهان فكان من خبره ما تقدم وبعث تتش يوسف بن انق التركماني شحنة الى بغداد فمنع منها فعاث في نواحيها ثم بلغه مهلك تتش فعاد الى حلب وهذه الاخبار كلها قد تقدمت في أول دولة السلجوقية وانما ذكرناها هنا لتوطئة لدولة بني تتش بدمشق وحلب والله أعلم

(مقتل تتش)

ولما انهزم بركيارق أمام عمه تتش لحق باصبهان وبها محمود وأهل دولته فأدخلوه وتشاوروا في قتله ثم أبقوه الى ابلال محمود من مرضه فقدر هلاك محمود وبايعوا لبركيارق فبادر الى اصبهان وقدم أميرا آخر بين يديه لاعداد الزاد والعلوفة وساروا الى اصبهان ورجع تتش الى الري وأرسل الى الامراء باصبهان يدعوهم ويرغبهم فأجابوه باستبراء أمر بركيارق ثم ابل بركيارق من مرضه وسار في العساكر الى الري فانهزم تتش وانهزم عسكره وثبت هو فقتله بعض أصحاب اقسنقر بثار صاحبه واستقام الامر لبركيارق والله تعالى أعلم

(استيلاء رضوان بن تتش على حلب)

كان تتش لما انفصل من حلب استخلف عليها أبا القاسم الحسن بن علي الخوارزمي وأمكنه من القلعة ثم أوصى أصحابه قبل المصاف بطاعة ابنه رضوان وكتب اليه بالمسير الى بغداد ونزول دار السلطنة فسار لذلك وسار معه ايلغازي بن ارتق وكان أبوه تتش تركه عنده وسار معه و   معه محمد بن صالح بن مرداس وغيرهما وبلغه مقتل أبيه عند هيت فعاد الى حلب ومعه الاميران الصغيران أبو طالب وبهرام وأمه وزوجها جناح الدولة الحسن بن ايتكين لحق بهم من المعركة فلما انتهوا الى حلب امتنع أبو القاسم بالقلعة ومعه جماعة من المغاربة وهم أكثر جندها فاستمالهم جناح

بياض في الاصل

الدولة بنار واليا القلعة من الليل ونادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبي القاسم
فبعث اليه رضوان بالامان وخطب له على منابر حلب وأعمالها وأقام بتدبير دولته
جناح الدولة وأحسن السيرة وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن ألب التركماني
صاحب انطاكية ثم أطاع وأشار على رضوان بقصد ديار بكر وسار معه لذلك وجاءهم
أمراء الاطراف الذين كان تتش رأسهم بها وقصدوا سروج فسبقهم اليها سلمان بن
ارتق وملكها فساروا الى الرها وبها الفارقليط من الروم كان يضمن البلاد من بوزان
فحصر بالقلعة ودافعهم ثم غلبوا عليها وملكها رضوان وطلبها منه باغيسيان وخشي
جناح الدولة على نفسه فلحق بحلب ورجع رضوان والامراء على أثره فسار باغيسيان
واقطعها له ثم سار الى حران وأميرها قراجا فدس اليهم بعض أهلها بالطاعة واتهم قراجا
بذلك ابن المفتي من أعيانها كان تتش يعتمد عليه في حفظ البلد فقتله وقتل بني أخيه
ثم فسد ما بين جناح الدولة وباغيسيان وخشي جناح الدولة على نفسه فلحق بحلب
ورجع رضوان والامراء على أثره فسار باغيسيان الى بلده انطاكية وسار معه
أبو القاسم الخوارزمي ودخل رضوان الى حلب دار ملكه وكان من أهل دولته يوسف
ابن ابق الخوارزمي الذي بعثه تتش الى بغداد شحنة وكان من الفتيان
بحلب وكان فروعا وكان يعادي يوسف بن ابق فجاء الى جناح الدولة القائم بأمر
رضوان ورمى يوسف بن ابق عنده بأنه يكاتب باغيسيان ويداخله في الثورة واستأذنه
في قتله فأذن له وأمده بجماعة من الجند وكبس يوسف في داره فقتله ونهب فيها
واستطال على الدولة وطمع في الاستبداد على رضوان ودس لجناح الدولة أن رضوان
أمر بقتله فهرب الى حمص وكانت اقطاعا له واستبد على رضوان ثم تنكر له رضوان
سنة تسع وثمانين وأمر بالقبض عليه فاختفى ونهبت دوره وأمواله ودوابه ثم قبض
عليه فامتحن وقتل هو وأولاده

(استيلاء دقاق بن تتش على دمشق)

كان تتش قد بعث ابنه دقاقا الى أخيه السلطان ملكشاه ببغداد فأقام هنالك الى
أن توفي ملكشاه فسار مع ابنه محمود وأمه خاتون الجلالية الى اصبهان ثم ذهب عنهم
سرا الى بركيارق ثم لحق بأبيه وحضر معه الواقعة التي قتل فيها ولما قتل تتش أبوه سار به
مولاه تكين الى حلب فأقام عند أخيه رضوان وكان بقلعة ساوتكين
الخادم من موالي تتش ولاه عليها قبل موته فبعث الى دقاق يستدعيه ليملكه فسار اليه
وبعث رضوان في طلبه فلم يدركه ووصل دمشق وكتب اليه باغيسيان صاحب
انطاكية يشير عليه بالاستبداد بدمشق على أخيه رضوان ووصل معتمد الدولة

طغتكين منع جماعة من خواص تتش وكان قد حضر المعركة وأسر فخاص الآن من الاسار وجاء الى دمشق فلقيه دقاق ومال اليه وحكمه في أمره وداخل في مثل ساوتكين الخادم فقتلوه ووفد عليهم باغيسيان من انطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي فأكرمهما واستوزر الخوارزمي وحكمه في دولته

(الفتنة بين دقاق وأخيه رضوان)

ثم سار رضوان الى دمشق سنة تسعين وأربعمائة قاصدا انتزاعها من يد دقاق فامتنعت عليه فعاد الى مالس وقصد الورس فامتنعت عليه فعاد الى حلب وفارقه باغيسيان صاحب انطاكية الى أخيه دقاق وحض على المسير الى أخيه بحلب فسار لذلك واستنجد رضوان سكمان من سروج في أمم من التركمان ثم كان اللقاء بقنسرين فانهزمت عساكر دقاق ونهب سوادهم وعاد رضوان الى حلب ثم سعى بينهما في الصلح على أن يخطب لرضوان بدمشق وانطاكية قبل دقاق فانعقد ذلك بينهما ثم لحق جناح الدولة بحمص عندما عظمت فيه سعاية المركما ذكرناه وكان باغيسيان منافراله فلما فصل من حلب جاء باغيسيان الى رضوان وصالحه ثم بعث الى رضوان المستعلى خليفة العلويين بمصر يعده بالامداد على أخيه على أن يخطب له على منابره وزين له بعض أصحابه صحة مذهبهم فخطب له في جميع أعماله سوى انطاكية والمعرة وقلعة حلب ثم وفد عليه بعد شهرين من هذه الخطبة سكمان بن ارتق صاحب سروج وباغيسيان صاحب انطاكية فلم يقم بها غير ثلاث حتى وصل الفرنج فحاصروه وغلبوه على انطاكية وقتلوه كما مر في خبره

(استيلاء دقاق على الرحبة)

كانت الرحبة بيد كربوقا صاحب الموصل فلما قتل كما مر في خبره استولى عليها قايماز من موالى السلطان ألب ارسلان فسار دقاق بن تتش ملك دمشق وأتابكه طغركين اليها سنة خمس وتسعين وحاصروها فامتنعت عليهم فعادوا عنها وتوفى قايماز صاحبها في صفر سنة ست وتسعين وقام بأمرها حسن من موالى الاتراك فطمع في الاستبداد وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين واستخدم جماعة من الجند وطرد آخرين وخطب لنفسه فسار دقاق اليه وحاصره في القلعة حتى استأمن وخرج اليه وأقطعه بالشأم اقطاعات كثيرة وملك الرحبة وأحسن الى أهلها وولى عليهم ورجع الى دمشق والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق لا رب غيره

(وفاة دقاق وولاية أخيه تلتاش ثم خلعه)

ثم توفي دقاق صاحب دمشق سنة سبع وتسعين واستقل أتابكه طغركين بالملك وخطب لمصه ... ثم قطع خطبته وخطب لتتاش أخي دقاق صبياً من اصقاره وقبضه أمه من طغركين مراحه أم دقاق وأنه يميل الى ابن دقاق من أجل جدته فاستوحش وفارق دمشق الى بعلبك في صفر سنة ثمان وتسعين ولقيه ايتكين الحلبي صاحب بصرى وكان ممن حسن له ذلك وعاثا في نواحي حوران ولحق به أهل الفساد وراسلاهما وبل ملك الفرنج فأبا بهما بالوعد ولم يوف لهما فساروا الى الرحبة واستولى عليها تتاش وقيل ان تتاش لما استوحش منه طغركين من دخول الدمعي الى حصون له وأقام بها ونصب طغركين الطفل ابن دقاق وخطب له واستبد عليه وأحسن الى الناس واستقام أمره والله تعالى ولي التوفيق وهو نعم الرفيق

(الحرب بين طغركين والفرنج أثم را)

كان قمص من قامصة الفرنج على مرحلتين من دمشق فلج بالغارات على دمشق فجمع طغركين العساكر وسار اليه وجاء معرونت ملك القدس وعكا من الفرنج باعداد القمص فاظهر العينة عليه وعاد الى عكا وقاتل طغركين القمص فهزمه وأسره ... عمسنه ثم حاصره حتى ملك الحصن عنوة وقتل أهله وأسر جماعته وعاد الى دمشق ظافراً غانماً ثم سار الى حصن رمسة من حصون الشأم وقد ملكه الفرنج وبه ابن أخت سميل المقيم على طرابلس يحاصرها فحاصر طغركين حصن رمسة حتى ملكه وقتل أهله من الفرنج وخربه والله أعلم

(مسير رضوان صاحب حلب لحصار نصيبين)

ثم ان رضوان صاحب حلب اعتزم على غزو الفرنج واستدعى الامراء من النواحي لذلك فجاءه أبو الغازي بن ارتق الذي كان شحنة بغداد وأصبهان وصباوو وألبي بن ارسلان تاش صاحب سنجر وهو صهر جكرمش صاحب الموصل وأشار أبو الغازي بالمسير الى بلاد جكرمش للاستكثار بعسكرها وأموالها واتفقوا الى وساروا الى نصيبين في رمضان سنة تسع وتسعين وأربعمائة فحاصروها وبها أميران من قبل جكرمش واشتد الحصار وجرح ألبي بن ارسلان بسهم أصابه فعاد الى سنجر وأجفل أهل السواد الى الموصل وعسكر جكرمش بظاهرها معتزماً على الحرب ثم كاتب أعيان العسكر وحثهم على رضوان وأمر أصحابه بنصيبين باظهار طاعته وطلب الصلح معه وبعث الى رضوان بذلك والامداد بما يشاؤه وعلى أن يقبض على أبي الغازي فمال الى ذلك واستدعى أبا الغازي يخبره أن المصلحة في صلح جكرمش ليستعينوا به في غزو

الفرنج وجمع شمل المسلمين فجاء به أبو الغازى بالمنع من ذلك ثم قبض عليه وقيده فانتقض التركمان ولجؤا الى سور المدينة وقاتلوا رضوان وبعث رضوان بأبى الغازى الى نصيبين فخرجت منها العساكر لامداده فافترق منها التركمان ونهبوا ما قدروا عليه ورحل رضوان من وقته الى حلب وانتهى الخبر الى جكرمس بتل أعفر وهو قاصد حرب القوم فرحل عند ذلك الى سنجار وبعث اليه رضوان فى الوفاء بما وعده من النجدة فلم يف له ونازل صهره ابى بن ارسلان بسنجر وهو جريح من السهم الذى أصابه على نصيبين فخرج اليه ابى محمولا واعتذر اليه فأعتبه وأعاده الى بلده فمات وامتنع أصحابه بسنجار رمضان وشوالا ثم خرج اليه عم ابى وصالح جكرمس وعاد الى الموصل والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق بمنه

(استيلاء الفرنج على افامية)

كان خلف بن ملاعب الكلابى فى حمص وملكها منه تاج الدولة تتش فسار الى مصر وأقام بها ثم بعث صاحب افامية من جهة رضوان بن تتش بطاعته الى صاحب مصر العلوى فبعث اليها ابن ملاعب وملكها وخلع طاعة العلوية وأقام يخيف السبيل كما كان فى حمص فلما ملك الافرنج سرمين لحق به قاضيها وكان على مذهب الرافضة فكتب الى ابن الطاهر الصائغ من أكابر الغلاة ومن أصحاب رضوان وداخلهم فى الفتك بابن ملاعب ونمى الخبر اليه من أولاده فحلف له القاضى بما اطمأن اليه وتحيل مع ابن الصائغ فى جند من قبلهم يستأمنون الى ابن ملاعب ويعطونه خيلهم وسلاحهم ويقيمون للجهاد معه ففعلوا وأنزلهم بربض افامية ثم بيته القاضى ليلا بمن معه من أهل سرمين ورفع أولئك الجند من الربض بالحبال وقتلوا ابن ملاعب فى بيته وقتلوا معه ابنه وفر الآخر الى أبى الحسن بن منقذ صاحب شيرز وجاء الصائغ من حلب الى القاضى فطرده واستبد بافامية وكان بعض أولاد ابن ملاعب عند طغركين وولاه حماية بعض الحصون فعظم ضرره فطلبه طغركين فهرب الى الافرنج وأغراهم بافامية ودلهم على عورتها وعدم الاقوات فيها فحاصروها شهرا وملكوها عنوة وقتلوا القاضى والصائغ وذلك سنة تسع وتسعين وقد ذكرنا قبل أن الصائغ قتله ابن بديع وتتش صاحب حلب مهلك رضوان فالله أعلم أيهما الصحيح ثم ملك صاحب انطاكية من الافرنج حصن لامارة بعد حصار طويل فملكه عنوة واستلحم أهله وفعل فى ذريته مثل ذلك ورحل أهل منبج وبالس وتركوهما خاويين وملكوا احيد بالامان وطلب الفرنج من أهل الحصون الاسلامية الجزية فأعطوهم ذلك على ضريبة فرضوها عليهم فكان على رضوان بحلب وأعمالها ثلاثون ألف دينار وعلى صور سبعة آلاف وعلى ابن منقذ فى شيرز

بياض بالأصل

أربعة آلاف وعلى حماة ألف دينار وذلك سنة ست وخمسمائة

(استيلاء طغركين على بصرى)

قد تقدم لنا سنة تسع وتسعين حال ثلاثاش بن تتش والخطبة له بعد أخيه دقاق وخروجه من دمشق واستنجاده الفرنج وان الذي تولى كبر ذلك كله أيتكين الحلبي صاحب بصرى فسار طغركين سنة ثمان وخمسمائة الى بصرى وحاصرها حتى أذعنوا وسربوا اليه أهلها الفرنج معاد الى دمشق حتى انقضى الأجل فأتوه طاعتهم وملك البلد وأحسن اليهم والله تعالى ولي التوفيق لارب غيره

(غزو طغركين وهزيمته)

ثم سار طغركين سنة اثنتين وخمسمائة الى طبرية ووصل اليها ابن أخت بغدوين ملك الفرنج من الفرنج فاقتتلوا فانهزم المسلمون أولا فنزل طغركين ونادى بالمسلمين فكروا وانهزم الفرنج وأسر ابن أخت بغدوين وعرض طغركين عليه الاسلام فامتنع فقتله بيده وبعث بالأسرى الى بغداد ثم انعقد الصلح بين طغركين وبغدوين بعد أربع سنين وسار بعدها طغركين الى حصن عرقة في شعبان من السنة وكان لمولى القاضي فخر الملك بن علي بن عمار صاحب طرابلس فعصى عليه وحاصره الافرنج واشتدت عليه الميرة فأرسل الى طغركين صاحب دمشق أن يمكنه من الحصن فأرسل اليه أميرا اسمه اسرائيل من أصحابه فملك الحصن وقتل صاحبه مولى بن عمار غيلة ليستأثر بعلمه فانتظر طغركين دخول الشتاء وسار الى الحصن لينظر في أمره وكان السرداني من الافرنج يحاصر طرابلس فلما سمع بوصول طغركين حصن الاكمة أغذ السير اليه فهزمه وغنم سواده ولحق طغركين بحمص وسار السرداني الى عرقة فاستأمنوا اليه وملكها وقبض على اسرائيل فادى به أسيرا كان لهم بدمشق منذ سبع سنين ووصل طغركين الى دمشق ثم قصد ملك الافرنج رفنية من أعمال دمشق فملكها وشحنها بالاقوات والحامية فقصدها طغركين بعد أن عين اليه الخبر بضعف الحامية الذين بها فكبسها عنوة وأسر الافرنج الذين بها والله سبحانه وتعالى أعلم

(انتقاض طغركين على السلطان محمد)

كان السلطان محمد بن ملك شاه قد أمر مودود بن نوشتكين صاحب الموصل بالمسير لغزو الافرنج لان ملك القدس تابع الغارات على دمشق سنة ست وخمسمائة واستصرخ طغركين مودودا فجمع العساكر وسار سنة تسع ولقيه طغركين بسلمة وقصدوا القدس وانتهوا الى الاقحوانة على الاردن وجاء بغدوين فنزل قبالتهما على النهر ومعه جوسكين

صاحب جيشه واقتتلوا منتصف محرم سنة عشر على بحيرة طبرية فانهزم الافرنج وقتل منهم كثير وغرق كثير في بحيرة طبرية ونهر الاردن ولقيتهم عساكر طرابلس وانطاكية فاشتدوا وأقاموا بالجبل قرب طبرية وحاصرهم المسلمون فيه ثم يئسوا من الظفر به فساحوا في بلادهم واكتسحوها وخربوها ونزلوا مرج الصفر وأذن مودود للعساكر في العود والراحة ليتهيؤا للغزو بعد الشتاء ودخل دمشق آخر ربيع من سنة ليقيم عند طغركين تلك المدة وصلى معه أول جمعة ووثب عليه باطني بعد الصلاة فطعنه ومات آخر يومه واتهم طغركين بقتله وولى السلطان مكانه على الموصل اقسنقر البرسقي فقبض على اياز بن أبي الغازي وأبيه صاحب حصن كيفا فسار بنو أرتق الى البرسقي وهزموه وتخلص اياز من أسره فلحق أبو الغازي أبوه بطغركين صاحب دمشق وأقام عنده وكان مستوحشا من السلطان محمد لاتهامه بقتل مودود فبعث الى صاحب انطاكية من الفرنج وتحالفوا على المظاهرة وقصد أبو الغازي ديار بكر فظفر به قيرجان ابن قراجا صاحب حمص وأسره وجاء طغركين لاستنقاذه فحلف قيرجان ليقتلنه ان لم يرجع طغركين الى بلاده وانتظر وصول العساكر من بغداد تحمله فأبطأت وأجاب طغركين الى اطلاقه ثم بعث السلطان محمد العساكر لجهاد الافرنج والبداءة بقتال طغركين وأبي الغازي فساروا في رمضان سنة ثمان وخمسمائة ومقدمهم برسق ابن برسق صاحب همذان وانتهوا الى حلب وبعثوا الى متوليها لؤلؤ الخادم ومقدم عسكرها شمس الخواص يأمرونهما بالنزول عنها وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فدافعا بالوعد واستحثا طغركين وأبا الغازي في الوصول فوصلا في العساكر وامتنعت حلب على العساكر وأظهروا العصيان فسار برسق الى حماة وهي لطغركين فملكها عنوة ونهبها ثلاثا وسلمها الامير قيرجان صاحب حمص وكان جميع ما يفتحه من البلاد له بأمر السلطان فانتقض الامراء من ذلك وكسلوا عن الغزو وسار أبو الغازي وطغركين وشمس الخواص الى انطاكية يستنجدون صاحبها بجميل من الافرنج ثم تواعدوا الى انصرام الشتاء ورجع أبو الغازي الى ماردين وطغركين الى دمشق ثم كان في اثر ذلك هزيمة المسلمين واستشهد برسق وأخوه زنكي وقد تقدم خبر هذه الهزيمة في أخبار البرسقي ثم قدم السلطان محمد بغداد فوفد عليه اتابك طغركين صاحب دمشق في ذي القعدة من سنة تسع مستعينا فأعانه وأعاده الى بلده والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة رضوان بن تتش صاحب حلب وولاية ابنه البارسلان)

ثم توفي رضوان بن تتش صاحب حلب سنة تسع وخمسمائة وقد كان قتل أخويه

باطنى بالأصل

أباطالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية فى أموره ويداخلهم ولما توفى بايع مولاه لؤلؤ الخادم لابنه ألب ارسلان صبيا معتلما وكانت فى لسانه حبسة فكان يلقب الأخرس وكان لؤلؤ مستبدا عليه ولا قول ملكه قتل أخويه وكل ملك شاه منهما شقيقه وكانت الباطنية كثيرا فى حلب فى أيام رضوان حتى خافهم ابن بديع وأعيانها فلما توفى أذن لهم ألب ارسلان فى الايقاع بهم فقبضوا على مقدمهم ابن طاهر الصابغ وجماعة من أصحابهم فقتلوهم وافترق الباقون

مهلك لؤلؤ الخادم واستيلاء أبى الغازى ثم مقتل ألب ارسلان وولاية أخيه السلطان شاه

كان لؤلؤ الخادم قد استولى على قلعة حلب وولى أتابكية ألب ارسلان ابن مولاه رضوان ثم تنكر له فقتله لؤلؤ ونصب فى الملك أخاه سلطان شاه واستبد عليه فلما كان سنة احدى عشرة سار الى قلعة جعفر للاجتماع بصاحبها سالم بن مالك فغدر به مماليكه الاتراك وقتلوه عند خرتبرت وأخذوا سرا شه واعترضهم أهل حلب فاستعادوا منهم ما أخذوه وولى أتابكية سلطان شاه بن رضوان شمس الخواص يارقتاش وعزل لشهر وولى بعده أبو المعالى بن الملحى الدمشقى ثم عزل وصودر واضطربت الدولة وخاف أهل حلب من الافرنج واستدعوا أبا الغازى بن أرتق وحكموه على أنفسهم ولم يجد فيها مالا فصادر جماعة الخدم وصانع بمالهم الافرنج حتى صار الى ماردين بنية العود الى حمايتها واستخلف عليها ابنه حسام الدين تمرتاش وانقرض ملك رضوان بن تتش من حلب والله سبحانه وتعالى أعلم

(هزيمة طغركين أمام الافرنج)

كان ملك الافرنج بغدوين صاحب القدس قد توفى فى سنة ثنتى عشرة وقام بملكهم بعده القمص صاحب الرها الذى كان أسره جكرمس وأطلقه جاولى كما تقدم فى أخبارهم وبعث الى طغركين فى المهادنة وكان قد سار من دمشق لغزوهم فأبى من اجابته وسار الى طبرية فنهبها واجتمع بقواد المصريين فى عسقلان وقد أمرهم صاحبهم بالرجوع الى رأى طغركين ثم عاد الى دمشق وقصد الافرنج حصنا من أعماله فاستأمن اليهم أهله وملكوه ثم قصدوا أذرعات فبعث طغركين ابنه بورى لمدافعتهم فنحوا عن أذرعات الى جبل هنالك وحاصرهم بورى وجاء اليه أبوه طغركين فراسلوه ليفرج عنهم فأبى طمعا فى أخذهم فاستماتوا وحملوا على المسلمين حملة صادقة فهزموهم ونالوا منهم ورجع الفل الى دمشق وسار طغركين الى أبى الغازى بحلب يستمده وعده بالنجدة وسار الى

ماردين للمشهد ورجع طغركين الى دمشق كذلك وتواعد والليعبال وسبق الافرنج الى حلب وكان بينه وبين أبى الغازى ماذكره فى موضعه من دولة بنى ارتق والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق لارب غيره

(منازلة الافرنج دمشق)

ثم اجتمع الافرنج سنة عشرين وخمسمائة ملوكهم وقامصتهم وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر وبعث أتابك طغركين بالصريخ الى تركمان بديار بكر وغيرها وخيم قبالة الافرنج واستخلف ابنه بورى على دمشق ثم ناجزهم الحرب آخر السنة فاشتد القتال وصرع طغركين عن فرسه فانهزم المسلمون وركب طغركين واتبعهم ومضت خيالة الافرنج فى اتباعهم وبقى رجالة التركمان فى المعركة فلما خاص اليهم رجالة الافرنج اجتمعوا واستماتوا وحملوا على رجالة الافرنج فقتلوهم ونهبوا معسكرهم وعادوا غانمين ظافرين الى دمشق ورجعت خيالة الافرنج من اتباعهم منهزمين فوجدوا معسكرهم منهوبا ورجالتهم قتلى وكان ذلك من الصنع الغريب

(وفاة طغركين وولاية ابنه بورى)

ثم توفى أتابك طغركين صاحب دمشق فى صفر سنة ثنتين وعشرين وكان من موالى تاج الدولة تتش وكان حسن السيرة مؤثرا للعدل محبا فى الجهاد ولقبه ظهير الدين ولما توفى ملك بعده ابنه تاج الدولة بورى أكبر أولاده بعهده اليه بذلك واقر وزير أبيه ابى على طاهر بن سعد المزدغانى على وزارته وكان المزدغانى يرى رأى الرافضة الاسماعيلية وكان بهرام ابن أخى ابراهيم الاسترابادى لما قتل عمه ابراهيم ببغداد على هذا المذهب لحق بالشأم وملك قلعة بانياس ثم سار الى دمشق وأقام بها خليفة يدعو الى مذهبه ثم فارقها وملك القرموس وغيره من حصون الجبال وقابل البصرية والدرزة بوادى التيم من أعمال بعلبك سنة ثنتين وعشرين وغلبهم الضحاك وقتل بهرام وكان المزدغانى قد أقام له خليفة بدمشق يسمى أبا الوفاء فكثر اتباعه وتحكم فى البلد وجاء الخبر الى بورى بأن وزيره المزدغانى والاسماعيلية قد راسلوا الافرنج بأن يملكوهم دمشق فجاء اليها وقتل المزدغانى ونادى بقتل الاسماعيلية وبلغ الخبر الى الافرنج فاجتمع صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وسائر ملوك الافرنج وساروا لحصار دمشق واستصرخ تاج الملك بالعرب والتركمان وجاء الافرنج فى ذى الحجة من السنة وبثوا سراياهم للنهب والاغارة ومضت منها سرية الى خوارزم فبعث تاج الدولة بورى سرية من المسلمين مع شمس الخواص من أمرائه لمدافعتهم فلقوهم وظفروا بهم واستلحموهم

وبلغ الخبر الى الافرنج فاجفلوا منهزمين وأحرقوا مخلفهم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون والله تعالى ولي التوفيق

(أسر تاج الملك دبيس بن صدقة وتمكين عماد الدين زنكي منه)

كان بصرخد من أرض الشأم أمير عليها اتوفي سنة خمس وعشرين وخلف سرية واستولت على القلعة وعلمت أنه لا يتم لها استيلاؤها الا بتزويج رجل من أهل العصابة فوصف لها دبيس فكتبت اليه تستدعيه وهو على البصرة مباعد للسلطان عندما رجع من عند سنجر فاتخذ الادلاء وسار الى صرخد فضل به الدليل بنواحي دمشق ونزل على قوم من بني كلاب شرقي الغوطة فحملوه الى تاج الملك فحبسه وبعث به الى عماد الدين زنكي يستدعيه ويتهدده على منعه وأطلق سرخاب بن تاج الملوك والامراء الذين كانوا أسرى معه فبعث تاج الملك بدبيس اليه وأشفق على نفسه فلما وصل الى زنكي خالف ظنه وأحسن اليه وتخلله وبسط أمله وبعث فيه المسترشد أيضا يطلبه وجاء فيه الاسارى وسمع في طريقه باحسان زنكي اليه فرجع ثم أرسل المسترشد يشفع فيه أطلق

(وفاة تاج الملوك بوري صاحب دمشق وولاية ابنه شمس الملوك اسمعيل)

كان تاج الملوك بوري قد ثار به جماعة من الباطنية سنة خمس وعشرين وطعنوه فأصابته جراحة واندملت ثم انتقضت عليه في رجب من سنة ست وعشرين لاربع سنين ونصف من امارته وولي بعده ابنه شمس الملوك اسمعيل بعهده اليه بذلك وكان عهد بمدينة بعلبك وأعمالها لابنه الآخر شمس الدولة وقام بتدبير أمره الحاجب يوسف ابن فيروز شحنة دمشق وأحسن الى الرعية وبسط العدل فيهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء شمس الملوك على الحصون)

ولما تولى شمس الملوك اسمعيل وسار أخوه محمد الى بعلبك خرج اليها وحاصر أخاه محمدا بها وملك البلد واعتصم محمد بالحصن وسأل الابقاء فأبقى عليه ورجع الى دمشق ثم سار الى بانياس وقد كان الافرنج الذين بها نقضوا الصلح وأخذوا جماعة من تجار دمشق في بيروت فسار اليها طاويا وجهه مذهبه حتى وصلها في صفر سنة سبع وعشرين وقاتلها ونقب أسوارها وملكها عنوة وقتل بالافرنج الذين بها واعتصم فلهم بالقلعة حتى استأمنوا وملكها ورجع الى دمشق ثم بلغه ان المسترشد زحف الى الموصل فطمع هو في حماة وسار آخر رمضان وملكها يوم الفطر من غده فاستأمنوا اليه وملكها واستولى على مافيها ثم سار الى قلعة شيزر وبها صاحبها من بني منقذ فحاصرها وصانعه

صاحبها بمال حمله اليه فأفرج عنه وسار الى دمشق في ذي القعدة من السنة ثم سار في محرم سنة ثمان وعشرين الى حصن شقيق في الجبل المطل على بيروت وصيدا وبه الفضل بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به وتحاماه المسلمون والافرنج يحتمي من كل طائفة بالاخرى فسار اليه وملكه من وقته وعظم ذلك على الافرنج فساروا الى حوران وعاثوا في نواحيها فاحتشد هو واستنجد بالتركمان وسار حتى نزل قبالتهم وجهز العسكر هنالك وخرج في البر وأناخ على طبرية وعكا فاكتسح نواحيها وامتلأت أيدي عسكره بالغنائم والسبي وانتهى الخبر الى الافرنج بمكانهم من بلاد حوران فأجفلوا الى بلادهم وعاد هو الى دمشق وراسله الافرنج في تجديد الهدنة فهادنهم

(مقتل شمس الملوك وولاية أخيه شهاب الدين محمود)

كان شمس الملوك سيئ السيرة كثير الظلم والعدوان على رعيته مرهف الحد لأهله وأصحابه حتى انه وثب عليه بعض مماليك جده سنة سبع وعشرين وعلاه بالسيف ليقتله فأخذ وضرب فأقر على جماعة داخلوه فقتلهم وقتل معهم أخاه سونج فتنكر الناس له وأشيع عنه بأنه كاتب عماد الدين زنكي ليملكه دمشق واستحثه في الوصول لئلا يسلم البلد الى الافرنج فسار زنكي فصدق الناس الاشاعة وانتقض أصحاب أبيه لذلك وشكوا الى أمه فأشفقت ثم تقدمت الى غلمانه بقتله فقتلوه في ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وقيل انه اتهم أمه بالحاجب يوسف بن فيروز فاعتزم على قتلها فهرب يوسف وقتلته أمه ولما قتل ولي أخوه شهاب الدين محمود من بعده ووصل أتابك زنكي بعد مقتله فحاصر دمشق من ميدان الحصار وجد في مدافعته والامتناع عليه وقام في ذلك معين الدين أنز مملوك جده طغركين مقاما محمودا وجلا في المدافعة والحصار ثم وصل رسول المسترشد أبو بكر بن بشر الجزري الى أتابك زنكي يأمره بمسالمة صاحب دمشق الملك البارسلان شهاب الدين محمود وصلحه معه فرحل عن دمشق منتصف السنة

(استيلاء شهاب الدين محمود على حمص)

كانت حمص لقيرجان بن قراجا ولولده من بعده والموالي بها من قبلهما وطالبهم عماد الدين زنكي في تسليمها وضايقهم في نواحيها فراسلوا شهاب الدين صاحب دمشق في أن يملكها ويعوضهم عنها بتدمر فأجاب واستولى على حمص وسار اليها سنة ثلاثين وأقطعها لمملوك جده معين الدين أنز وأنزل معه حامية من عسكره ورجع الى

دمشق واسنادة الحاجب يوسف بن وبرورى العود من تدمر الى دمشق وقد كان حرب اليها كما قدمناه وكان جماعة من الموالى منحرفين عنه بسبب ما تقدم فى مقتل سونج فسكروا ذلك ولاطفهم ابن فيروز واسترضاهم وحلف لهم انه لا يتولى شيأ من الامور ولما دخل رجع الى حاله فوثبوا عليه وقتلوه وخيموا بظاهر دمشق واشتطوا فى الطلب فلم يسعفوا بكلمة فلحقوا بشمس الدولة محمد بن تاج الملوك فى بعلبك وبثوا السرايا الى دمشق فعاثت فى نواحيها حتى أسعفهم شهاب الدين بكل ما طلبوه فرجعوا الى ظاهر دمشق وخرج لهم شهاب الدين وتحالفوا ودخلوا الى البلد وولى من واش كبيرهم على العساكر وجعل اليه الحل والعقد فى دولته والله أعلم

(استيلاء عماد الدين زنكى على حمص وغيرها من أعمال دمشق)

ثم سار أتابك زنكى الى حمص فى شعبان سنة احدى وثلاثين وقدم اليه حاجبه صلاح الدين الباغيسيانى وهو أكبر أمرائه يخاطبوا اليها معين الدين أزرفى تسليمها فلم يفعل وحاصرها فامتنعت عليه فرحل عنها آخر شوال من السنة ثم سار سنة ثنتين وثلاثين الى نواحى بعلبك فملك حصن المجدل على الامان وهو لصاحب دمشق ثم سار الى حمص وحاصرها وعاد ملك الروم الى حلب فاستدعى الفرنج وملك كثيرا من الحصون مثل عين زربة وتل حمدون وحصر انطاكية ثم رجع وأفرج أتابك زنكى خلال ذلك عن حمص ثم عاود منازلتها بعد مسير الروم وبعث الى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب اليه امه مردخاتون ابنة جاولى طمعا فى الاستيلاء على دمشق فزوجها له ولم يظفر مما أمله من دمشق وسلموا له حمص وقلعتها وحملت اليه خاتون فى رمضان من السنة والله أعلم

(مقتل شهاب الدين محمود وولاية أخيه محمد)

لما قتل شهاب الدين محمود فى شوال سنة ثلاث وثلاثين اغتاله ثلاثة من مواليه فى مجمعه بحلوته وهربوا فعثروا على اثنين منهم وأصيب الآخر ان كتب معين الدين أزالى أخيه شمس الدين محمد بن بورى صاحب بعلبك بالخبر فسارع ودخل دمشق وتبعه الجند والاعيان وفوض أمر دولته الى معين الدين أز علوك جده وأقطعه بعلبك واستقامت أموره

(استيلاء زنكى على بعلبك وحصاره دمشق)

ولما قتل شهاب الدين محمود وبلغ خبره الى أمه خاتون زوجة أتابك زنكى جعلت عظم جزعها عليه وأرسلت الى زنكى بالخبر وكان بالجزيرة وسألت منه الطلب بثاره فسار

الى دمشق واستعد والحصار فعدل الى بعلبك وكانت لمعين الدين أنز كما قلناه وكان أتابك زنكى دس اليه الاموال ليمكنه من دمشق فلم يفعل فسار الى بلد بعلبك وجد في حربها ونصب عليها المجانيق حتى استأمنوا اليه وملكها في ذى الحجة آخر سنة ثلاث وثلاثين واعتصم جماعة من الجند بقلعتها ثم استأمنوا فقتلهم وأرهب الناس بهم ثم سار الى دمشق وبعث الى صاحبها في تسليمها والنزول عنها على أن يعوضه عنها فلم يجب الى ذلك فزحف اليها ونزل داريا منتصف ربيع الاول سنة أربع وثلاثين وبرزت اليه عساكر دمشق فظفر بهم وهزمهم ونزل المصلى وقاتلهم فهزمهم ثانيا ثم امسك عن قتالهم عشرة أيام وتابع الرسل اليه بأن يعوضه عن دمشق ببعلبك او حمص أو ما يختاره فمنعه أصحابه فعاد زنكى الى القتال واشتد فى الحصار والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

(وفاة جمال الدين محمد بن بورى وولاية ابنه مجير الدين أنز)

ثم توفي جمال الدين محمد بن بورى صاحب دمشق رابع شعبان سنة أربع وثلاثين وزنكى محاصر به وهو معه فى مراوضة الصلح وجمع زنكى فيما عساه أن يقع بين الامراء من الخلاف فاشتد فى الزحف فما وهنوا لذلك وولوا من بعد جمال الدين محمد ابنه مجير الدين أنز وقام بتربيته وتدبيره ولمه معين الدين أنز مدبر دولته وأرسل الى الافرنج يستنجدهم على مدافعة زنكى على أن يحاصر قاشاش فاذا فتحها أعطاهم اياها فأجابوا الى ذلك حذرا من استطالة زنكى بملك دمشق فسار زنكى للقائهم قبل اتصالهم بعسكر دمشق ونزل حوران فى رمضان من السنة فخام الافرنج عن لقائه وأقاموا ببلادهم فعاد زنكى الى حصار دمشق فى شوال من السنة ثم أحرق قرى المرج والغوطة ورحل عائدا الى بلده ثم وصل الافرنج الى دمشق بعد رحيله فسار معهم معين الدين أنز الى قاشاش من ولاية زنكى ليفتحها ويعطيها للافرنج كما عاهدهم عليه وقد كان واليها أغار على مدينة صور ولقيه فى طريقه صاحب انطاكية وهو قاصد الى دمشق لانجاد صاحبها على زنكى فقتل الوالى ومن معه من العسكر ولجأ الباقون الى قاشاش وجاء معين الدين أنز اثر ذلك فى العساكر فملكها وسلمها للافرنج وبلغ الخبر الى أتابك زنكى فسار الى دمشق بعد ان فرق سراياه وبعوثه على حوران وأعمال دمشق وسار هو متجردا اليها فصبحها وخرج العسكر لقتاله فقاتلهم عامة يومه ثم تأخر الى مرج راهط وانتظر بعوثه حتى وصلوا اليه وقد امتلأت أيديهم بالغنائم ورحل عائدا الى بلده

(مسير الافرنج لحصار دمشق)

بكان الافرنج منذ ملكوا سواحل الشأم ومدنه تسير اليهم أمم الافرنج من كل ناحية
من بلادهم مددا لهم على المسلمين لما يرونه من تفرد هؤلاء بالشأم بين عدوّهم وسار
في سنة ثلاث وأربعين ملك الالمان من أمراء الافرنج من بلاده في جموع عظيمة
قاصدا بلاد الاسلام لا يشك في الغلب والاستيلاء لكثرة عساكره وتوفر عدده وأمواله
فلما وصل الشأم اجتمع عليه عساكر الافرنج الذين به يمتثلون أمره فأمرهم بالمسير معه
الى دمشق فساروا اليها سنة ثلاث وأربعين وحاصروها فقام معين الدين أنر في
مدافعتهم المقام المحمود ثم قاتلوهم الافرنج سادس ربيع الاوّل من السنة ونالوا من
المسلمين بعد الشدة والمصابرة واستشهد ذلك اليوم الفقيه حجة الدين يوسف الفندلاوي
المغربي وكان عالما زاهدا وسأله معين الدين يومئذ في الرجوع لضعفه وسنه فقال له
قد بعت واشترى مني فلا أقيل ولا أستقيل يشير الى آية الجهاد وتقدّم حتى استشهد عند
النيرب على نصف فرسخ من دمشق واستشهد معه خلق وقوى الافرنج ونزل ملك
الالمان الميدان الاخضر وكان عماد الدين زنكي صاحب الموصل قد توفي سنة احدى
وأربعين وولى ابنه سيف الدين غازي الموصل وابنه نور الدين محمود حلب فبعث معين
الدين أنر الى سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده فجاء لانجاده ومعه أخوه
نور الدين وانتهوا الى مدينة حمص وبعث الى الافرنج يتهدّدهم فاضطربوا الى قتاله
وانقسمت مؤنتهم بين الفريقين وأرسل معين الدين الى الالمان يتهدّدهم بتسليم البلد
الى ملك المشرق يعني صاحب الموصل وأرسل الى فرنج الشأم يحذرهم من استيلاء ملك
الالمان على دمشق فانه لا يبقى لكم معه مقام في الشأم ووعدهم بحصن بانياس
فاجتمعوا الى ملك الالمان وخوّفوه من صاحب الموصل أن يملك دمشق فرحل عن
البلد وأعطاهم معين الدين قلعة بانياس وعاد ملك الالمان الى بلاده على البحر المحيط
في أقصى الشمال والمغرب ثم توفي معين الدين أنر مدبر دولة أتق والمتغلب عليه سنة
أربع وأربعين لسنة من حصار ملك الالمان والله أعلم

(استيلاء نور الدين محمود العادل على دمشق وانقراض دولة بنى تتش من الشأم)

كان سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل قد توفي سنة أربع وأربعين وملك
أخوه قطب الدين وانفرد أخوه الآخر نور الدين محمود بحلب وما يليها وتفرّد لطلب
دمشق ولجهاد الافرنج واتفق أن الافرنج سنة ثمان وأربعين ملكوا عسقلان من يد
خلفاء العلوية لضعفهم كما مرّ في أخبار دولتهم ولم يجد نور الدين سبيلا الى ارتجاعها
من يدهم لاعتراض دمشق بينه وبينهم ثم طمع في ملك دمشق بعد عسقلان وكان أهل
دمشق يؤدون اليهم الضريبة فيدخلون لقبضها ويحكمون فيهم ويطلقون من

أسرى الافرنج الذين بها كل من أراد الرجوع الى أهله فخشى نور الدين عليها من
الافرنج ورأى انه ان قصدها استنصر صاحبها عليه بالافرنج فراسل صاحبها مجير الدين
واستماله بالهدايا حتى وثق به فكان يغريه بأمرائه الذين يجد بهم القوة على المدافعة
واحدا واحدا ويقول له ان فلانا كاتبنى بتسليم دمشق فيقتله مجير الدين حتى كان
آخرهم عطاء بن حافظ السلمى الخادم وكان شديدا فى مدافعة نور الدين فأرسل الى مجير
الدين يتهدده فقبض عليه وقتله فسار حينئذ نور الدين الى دمشق بعد ان كاتب
الاحداث الذين بها واستمالهم فوعدوه وأرسل مجير الدين الى الافرنج
من نور الدين على أن يعطيهم بعلبك فأجابوه وشرعوا فى الحشد وسبقهم نور الدين الى
دمشق فثار الاحداث الذين كاتبهم وفتحوا له الباب الشرقى فدخل منه وملكها
واعتصم مجير الدين بالقلعة فراسله فى النزول عنها وعوضه مدينة حمص فسار اليها ثم
عوضه عن حمص بالس فلم يرضها وسار الى بغداد واختط بها دارا قرب النظامية
وتوفى بها واستولى نور الدين على دمشق وأعمالها واستضافها الى ملكه بحلب وانقرض
ملك بنى تتش من الشأم والبلاد الفارسية أجمع والبقاء لله وحده والله مالك الملك
لا رب غيره سبحانه وتعالى

ألب ارسلان بن تتش بن دقاق أتابكه طغركين تاج الملوك بورى بن محمد بن شمس الدين ابق بن مجير الدين

تتش

سلطان شاه

شمس الملوك اسمعيل

المستبد عليه معين الدين انز اتابك

{الخبر عن دولة قطلمش وبنيه ملوك قونية وبلاد الروم من السلجوقية ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم}

كان قطلمش هذا من عظماء أهل هذا البيت ونسبه فيهم مختلف فقيل قطلمش بن يبقو وابن الاثير تارة يقول قطلمش ابن عم طغرلبك وتارة يقول قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق ولعله بيان لذلك الاجمال ولما انتشر السلجوقية فى البلاد طالبين للملك دخل قطلمش هذا الى بلاد الروم وملك قونية وأقصرا ونواحيها وبعثه السلطان طغرلبك بالعساكر مع قريش بن بدران صاحب الموصل فى طلب دبيس بن مزيد عندما أظهر الدولة العلوية فى الحلة وأعمالها فهزمهم دبيس والبساسيرى كما تقدم فى أخبارهم ثم

عصى على السلطان الب ارسلان بعد طغرلبك وقصد الري ليملكه فقاتله الب ارسلان سنة
ست وخمسين فانهزم عسكر قطلمش ووجد بين القتلى فجمع له الب ارسلان وقعد للعزاء
فيه كما تقدم في أخبارهم وقام بأمره ابنه سليمان وملك قونية وأقصرا وغيرهما من
الولاية التي كانت بيد أبيه وافتتح انطاكية من يد الروم سنة سبع وسبعين وأربعمائة
وقد كانوا ملكوها منذ خمس وخمسين وأربعمائة فأخذها منهم وأضافها الى ملكه
وقد تقدم خبر ملكه اياها في دولتهم وكان لمسلم بن قريش صاحب الموصل ضريبة على
الروم بانطاكية فطالب بها سليمان بن قطلمش فامتعض لذلك وأنف منه فجمع مسلم
العرب والتركمان لحصار انطاكية ومعه جق أمير التركمان والتقيا سنة ثمان وسبعين
وانحاز جق الى سليمان فانهزم العرب وسار سليمان بن قطلمش لحصار حلب فامتنعت عليه
وسألوه الامهال حتى يكاتب السلطان ملك شاه ودسوا الى تاج الدولة تتش صاحب
دمشق يستدعونه فأغذ السير واعترضه سليمان بن قطلمش على غير تعبية فانهزم وطعن
نفسه بخنجر فمات وغنم تتش معسكره وملك بعده ابنه قليج ارسلان وأقام في سلطانه
ولما زحف الافرنج الى سواحل الشأم سنة تسعين وأربعمائة جعلوا طريقهم على
القسطنطينية فمنعهم من ذلك ملك الروم حتى شرط عليهم أن يعطوه انطاكية اذا
ملكوها فأجابوا الى ذلك وعبروا خليج القسطنطينية ومروا ببلاد قليج ارسلان بن سليمان
ابن قطلمش فلقيهم في جموعه قريبا من قونية فهزموه وانتهوا الى بلاد ابن ليون الارمني
فروا منها الى انطاكية وبها باغيسيان من أمراء السلجوقية فاستعد للحصار وأمر
بحفر الخندق فعمل فيه المسلمون يوما ثم عمل فيه النصارى الذين كانوا بالبلد من الغد فلما
جاء الدخول منعهم وقال أنا لكم في مخلفكم حتى ينصرف هؤلاء الافرنج وزحفوا
اليه فحاصروه تسعة أشهر ثم عدا بعض الحامية من سور البلد عليهم فادخلوهم من
بعض مسارب الوادي وأصبحوا في البلد فاستباحوه وركب باغيسيان للصلح
فهرب ولقيه حطاب من الارمن فجاء برأسه الى الافرنج وولي عليها بيمند من زعماء
الافرنج وكان صاحب حلب وصاحب دمشق قد عزما على النفير الى انطاكية
لمدافعتهم فكاتبهم الافرنج بالمسالمة وانهم لا يعرضون لغير انطاكية فأوهن ذلك
من عزائمهم وأقصروا عن انجاد باغيسيان وكان التركمان قد انتشروا في نواحي
العراق وكان كمشتكين بن طيلق المعروف أبوه بالدانشمند ومعناه المعلم عندهم
قد ملك سيواس من بلاد الروم مما يلي انطاكية وكان بملطية مما يجاورها متغلب
آخر من التركمان وبينه وبين الدانشمند حروب فاستنجد صاحب ملطية عليه الافرنج
وجاء بيمند من انطاكية سنة ثلاث وتسعين في خمسة آلاف فلقيه ابن الدانشمند

وهزمه وأخذه أسيرا وجاء الافرنج لتخليصه فنازلوا قلعة انكورية وهي أنقرة فأخذوها عنوة ثم ساروا الى أخرى فيها اسمعيل بن الدانشمند وحاصروها فجمع ابن الدانشمند وقاتلهم وأكمن لهم وكانوا في عدد كثير فلما قاتلهم استطرد لهم حتى خرج عليهم الكمين وكر عليهم فلم يفلت منهم أحد وسار الى ملطية فملكها وأسر صاحبها وجاء الافرنج من انطاكية فهزمهم

(استيلاء قلج ارسلان على الموصل)

كانت الموصل وديار بكر والجزيرة بيد جكرمش من قواد السلجوقية فمنع الحمل وهم بالانتقاض فأقطع السلطان الموصل وأعمالها جاولي سكاوو والكل من قوادهم وأمرهم بالمسير لقتال الافرنج فسار جاولي وبلغ الخبر جكرمش فسار من الموصل الى اربل وتعاقد مع أبي الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني صاحب اربل وانتهى الى البوازيج فعبر اليه جكرمش دجلة وقاتله فانهزمت عساكر جكرمش وبقي جكرمش واقفا لفالج كان به فأسره جاولي ولحق الفل بالموصل فنصبوا مكانه ابنه زنكي صبيا صغيرا وأقام بأمره غزغلي مولى أبيه وكانت القلعة بيده وفرق الاموال والخيول واستمدوا لمدافعة جاولي وكاتب صدقة بن مزيد والبرسقي شحنة بغداد وقلج ارسلان صاحب بلاد الروم يستنجدهم ويعد كلا منهم بملك الموصل اذا دفعوا عنه جاولي فأعرض صدقة عنه ولم يحتفل بذلك ثم سار جاولي الى الموصل وحاصرها وعرض جكرمش للقتل أن يسلموا اليه البلد فامتنعوا وأصبح جكرمش في بعض أيام حصارها   وسمع جاولي بأن ارسلان سار في عساكره الى نصيبين فأفرج عن الموصل وسار الى سنجار ووصل البرسقي اليها بعد رحيل جاولي وأرسل الى أهلها فلم يجيبوه بشيء وعاد الى بغداد واستدعى رضوان صاحب دمشق جاولي سكاوو لمدافعة الافرنج عنه فسار اليه وخرج من الموصل عسكر جكرمش الى قلج ارسلان بنصيبين فجاء القوم معه وجاؤا به الى الموصل فملكها آخر رجب من سنة خمسمائة وخرج اليه ابن جكرمش وأصحابه وملك القلعة من غزغلي وجلس على التخت وخطب لنفسه بعد الخليفة وأحسن الى العسكر وسار في الناس بالعدل وكان في جملته ابراهيم ابن ينال التركماني صاحب آمد ومحمد بن جق التركماني صاحب حصن زياد وهو خرت برت وكان ابراهيم بن ينال قد ولي تتش على آمد حين ولي ديار بكر وكانت بيده وأما خرت برت فكانت بيد الفلادروس ترجمان الروم والرها وانطاكية من أعماله فملك سليمان بن قطلمش انطاكية وملك فخر الدولة بن جهير

ديار بكر فضعف القلادروس وملك جق خرت برت من يده وأسلم القلادروس على يد السلطان ملك شاه وأمره على الرها فأقام بها حتى مات وملكها جق هى وما جاورها من الحصون وأورثها ابنه محمدا بعد موته والله تعالى ولى التوفيق

(الحرب بين قليج ارسلان وبين الافرنج)

كان سمند صاحب انطاكية من الافرنج قد وقعت بينه وبين ملك الروم بالقسطنطينية وحشة واستحكمت وسار سمند فنهب بلاد الروم وعزم على قصد انطاكية فاستنجد ملك الروم بقليج ارسلان فأمده بعساكره وسار مع ذلك الروم فهزموا الافرنج وأسروهم ورجع الفل الى بلادهم بالشأم فاعتزموا على قصد قليج ارسلان بالجزيرة فأتاهم خبر مقتله فأقصروا والله تعالى ولى التوفيق

(مقتل قليج ارسلان وولاية ابنه مسعود)

قد تقدم لنا استيلاء قليج ارسلان على الموصل وديار بكر وأعمالها وجلوسه على التخت وان جاولى سكاو وسار الى سنجار ثم سار منها الى الرحبة وكان قليج ارسلان خطب له بها صاحبها محمد بن السباق من بنى شيبان بعد مهلك دقاق واستقاضه على أبيه فلما حاصرها جاولى بعث اليه رضوان بن تتش صاحب حلب فى النجدة على الافرنج لما ساروا الى بلاده فوعده لانقضاء الحصار وجاء رضوان فحضر عنده واشتد الحصار على أهل الرحبة وغدر بعضهم فأدخل أصحاب جاولى ليلا ونهبوها الى الظهر وخرج اليه صاحبها محمد الشيبانى فأطاعه ورجع عنه وبلغ الخبر الى قليج ارسلان فسار من الموصل لحرب جاولى واستخلف عليها ابنه ملك شاه صبيا صغيرا مع أمير يدبره فلما انتهى الى الخابور هرب عنه ابراهيم بن ينال صاحب آمد ولحق ببلده واعتزم قليج ارسلان على المطاولة واستدعى عسكره الذين أنجدهم ملك الروم على الافرنج فجاؤا اليه واعتزم جاولى قلة عسكره فلقيه آخر ذى القعدة من السنة واشتدت الحرب وحمل قليج ارسلان على جاولى بنفسه وصرع صاحب الراية وضرب جاولى بسيفه ثم حمل أصحاب جاولى عليه فهزموه وألقى نفسه فى الخابور فغرق وسار جاولى الى الموصل فملكها وأعاد خطبة السلطان محمد وبعث اليه ملك شاه بن قليج ارسلان وولى مكان قليج ارسلان فى قونية وأقصرا وسائر بلاد الروم ابنه مسعود واستقام له ملكها

(استيلاء مسعود بن قليج ارسلان على ملطية وأعمالها)

كانت ملطية وأعمالها وسيواس لابن الدانشمند من التركمان كما مر وكانت بينه وبينهم حروب وهلك كمشتكين بن الدانشمند وولى مكانه ابنه محمد واتصلت حروبه مع الافرنج

كما كان ابوه معهم ثم هلك سنة سبع وثلاثين فاستولى مسعود بن قليج ارسلان على الكثير منها وبقى الباقى بيد أخيه ياغى ارسلان بن محمد

(وفاة مسعود بن قليج وولاية ابنه قليج ارسلان)

ثم توفى مسعود بن قليج ارسلان سنة احدى وخمسين وخمسمائة وملك مكانه ابنه قليج ارسلان وكانت بينه وبين ياغى ارسلان ابن الدانشمند صاحب ملطية وما جاورها من ملك الروم حروب بسبب ان قليج ارسلان تزوج بنت الملك طغرل بن على بن أبى القاسم وزفوها اليه بجهازها فأغار عليه ياغى ارسلان صاحب ملطية وأخذها بما معها وزوجها بابن أخيه ذى النون بن محمد بن الدانشمند بعد ان أشار عليها بالردة ليتفسخ النكاح ثم عادت الى الاسلام وزوجها بابن أخيه ثم جمع قليج ارسلان عساكره وسار الى ياغى ارسلان بن الدانشمند فهزمه ياغى ارسلان واستمد ملك الروم فأمده بعساكر ومات ياغى ارسلان خلال ذلك وولى ابراهيم ابن أخيه محمد وملك قليج ارسلان بعض بلاده واستولى أخوه ذو النون بن محمد بن الدانشمند على قيسارية وامير شاه بن مسعود أخو قليج ارسلان على مدينة انكورية وهى انقرة واستقرت الحال على ذلك ثم وقعت الفتنة بين قليج ارسلان وبين نور الدين محمود بن زنكى وتراجعوا الحرب وكتب الصالح بن رزيك المتغلب على العلوى بمصر الى قليج ارسلان ينهاه عن ذلك ثم هلك ابراهيم بن محمد ابن الدانشمند وملك مكانه أخوه ذو النون وانتقض قليج ارسلان عليه وملك ملطية من يده والله تعالى أعلم

(مسير نور الدين العادل الى بلاد قليج ارسلان)

ثم سار نور الدين محمود بن زنكى سنة ثمان وستين الى ولاية قليج ارسلان بن مسعود بلاد الروم وهى ملطية وسيواس وأقصرا فجاءه قليج ارسلان متنصلا معتذرا فأكرمه وثنى عزمه عن قصد بلاده ثم أرسل اليه شفيعا فى ذى النون بن الدانشمند يرد عليه بلاده التى جمعها فسار اليه وملك مرعش وبهسنا وما بينهما فى ذى القعدة من السنة وبعث عسكرا الى سيواس فملكوها فمال قليج ارسلان الى الصلح وبعث الى نور الدين يستعطفه ويتلطفه عن العزم مأربه فأجابه على أن يمده بالعساكر للغزو وعلى أن يبقى سيواس بيد نواب نور الدين وهى لذى النون بن الدانشمند ثم جاءه كتاب الخليفة باقطاع البلاد ومن جملتها بلاد قليج ارسلان وخلاط وديار بكر ولما مات نور الدين عادت سيواس لقليج ارسلان وطرد عنها نواب ذى النون

(مسير صلاح الدين لحرب قليج ارسلان)

كان قليج ارسلان بن مسعود صاحب بلاد الروم قد زوج ابنته من نور الدين محمود بن قليج ارسلان بن داود بن سقمان صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر وأعطاه عدة حصون فلم يحسن عشرتها وتزوج عليها وهجرها مضجعها واستعض أبوها قليج ارسلان لذلك واعتزم على غزو نور الدين فى ديار بكر وأخذ بلاده فاستجار نور الدين بصلاح الدين بن أيوب واستشفع به فلم يشفعه وتعلل بطلب البلاد التى أعطاه عند المصاهرة فامتعض صلاح الدين لذلك وكان يحارب الافرنج بالشأم فصالحهم وسار فى عساكره الى بلاد الروم وكان الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود بالشأم نعدل عنه ومر على تل باشر الى رعبان ولقى بها نور الدين محمد صاحب كيفا وبعث اليه قليج ارسلان رسولا يقرر غدره بابنته فاغتاظ على الرسول وتوعده بأخذ بلادهم فتلطف له الرسول وخلص معه نجيا فقبح له ما ارتكبه من أجل هذه المرأة من ترك الغزو ومصالحة العدو وجمع العساكر وخساره وان بنت قليج ارسلان لو بعثت اليه بعد وفاة أبيها تسأل منه النصفة بينها وبين زوجها لكان أحق ما تقصده فامتنعت وعلم أن على نفسه الحق فأمر الرسول أن يصلح بينهم ويكون هو عونا له على ذلك فداخلهم ذلك الرسول فى الصلح على أن يطلق هذه المرأة بعد سنة ويعقد بينهم ذلك ورجع كل الى بلاده ووفى نور الدين بما عقد على نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم

(قسمة قليج ارسلان أعماله بين ولده وتغلبهم عليه)

ثم قسم قليج ارسلان سنة سبع وثمانين أعماله بين ولده فاعطى قونية باعمالها لغياث الدين كيخسرو واقصرا وسيواس لقطب الدين ودوقاط لركن الدين سليمان وانقرة وهى أنكورية لمحيى الدين وملطية لعز الدين قيصرشاه و لمغيث الدين وقيسارية لنور الدين محمود وأعطى تكسار واماسا لابنى أخيه وتغلب عليه ابنه قطب الدين وحمله على انتزاع ملطية من يد قيصرشاه فانتزعها ولحق قيصرشاه بصلاح الدين بن أيوب مستشفعا به فأكرمه وزوجه ابنة أخيه العادل وشفع له عند أبيه وأخيه فشفعوه وردوا عليه ملطية ثم زاد تغلب ركن الدين وحجر عليه وقتل دائبة فى مدينته وهو اختيار الدين حسن فخرج سائر بنيه عن طاعته وأخذ قطب الدين أباه وسار به الى قيسارية ليملكها من أخيه فهرب قليج ارسلان ودخل قيسارية وعاد قطب الدين الى قونية واقصرا فملكهما وبقى قليج ارسلان يتنقل بين ولده من واحد الى آخر وهم معرضون عنه حتى استنجد بغياث الدين كيخسرو صاحب منهم فأنجده وسار معه الى قونية فملكها ثم سار الى اقصرا وحاصرها ثم مرض قليج ارسلان وعاد الى قونية فتوفى فيها وقيل انما اختلف ولده عليه لانه ندم على قسمة أعماله بينهم وأراد ايثار ابنه قطب الدين

ابن الاثير (margin note)

ابن الاثير (margin note)

بجميعها واستضعوا عليه لذلك وخرجوا عن طاعته ولحق بتردد بينهم وقصد كسنجر وصاحب توقية فأطاعه وخرج معه بالعساكر لحصار محمود أخيه في قيسارية وتوفي قلج ارسلان وهو محاصر لقيسارية ورجع غياث الدين الى قونية

(وفاة قلج ارسلان وولاية ابنه غياث الدين)

ثم توفي قلج ارسلان بمدينة قونية أو على قيسارية كما مر من الخلاف منتصف شعبان وعاش لسبع وعشرين سنة من ملكه وكان مهيبا عادلا حسن السياسة كثير الجهاد ولما توفي واستقل ابنه غياث الدين كسنجر بقونية وما اليها وكان قطب الدين أخوه صاحب اقصرا وسيواس وكان كلما سار من احداهما الى الاخرى يجعل طريقه على قيسارية بها أخوه نور الدين محمود ويلقاه بظاهرها حتى استنام اليه مدة فغدر به وقتله وامتنع أصحابه بقيسارية وكان كبيرهم حسن فقتله مع أخيه ثم أطاعوه وأمكنوه من البلد ومات قطب الدين اثر ذلك

(استيلاء ركن الدين سليمان على قونية وأكثر بلاد الروم وفرار غياث الدين)

ولما توفي قلج ارسلان وولي بعده في قونية ابنه غياث الدين كسنجر وبنوه بوشد على حالهم في ولايتهم التي قسمها بينهم أبوهم وملك قطب الدين منهم قيسارية بعد أن غدر بأخيه محمود صاحبها ومات قطب الدين اثر ذلك فسار ركن الدين سليمان صاحب دوقاط الى الغلب على أعمال سائر بلاد الروم وسار الى سيواس واقصرا وقيسارية أعمال قطب الدين فملكها ثم سار الى قونية فحاصر بها غياث الدين وملكها ولحق غياث الدين بالشام كما يأتي خبره ثم سار الى نكسار واماسا فملكهما وسار الى ملطية سنة سبع وتسعين فملكها من يد معز الدين قيصرشاه ولحق معز الدين بالعادل أبي بكر بن أيوب ثم سار الى أرزن الروم وكانت لولد الملك محمد بن سلتق من بيت ملك قديم وخرج اليه صاحبها القرر معه صلحا فقبض عليه وملك البلد فاجتمع لركن الدين سائر أعمال اخوته ماعدا انقرة فحاصرها المغير عليها الكاتب وحاصرها ثلاثا ثم دس من قتل أمانه وملك البلد سنة احدى وستمائة وتوفي هو عقب ذلك والله تعالى أعلم

(وفاة ركن الدين وولاية ابنه قلج ارسلان)

ثم توفي ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان أوائل ذي القعدة من تمام سنة احدى وستمائة وولي بعده ابنه قلج ارسلان ولم تطل مدته وكان ركن الدين ملكا حازما شديدا على الاعداء الا أنه ينسب الى التدين بالفلسفة والله تعالى أعلم

(استيلاء غياث الدين كسنجر على بلاد الروم من أخيه ركن الدين)

كان غياث الدين كيخسرو بن قليج ارسلان لما ملك أخوه ركن الدين قونية من يده لحق بحلب وفيها الظاهر غازي بن صلاح الدين فلم يجد عنده قبولا فسار الى القسطنطينية وأكرمه ملك الروم وأصهر اليه بعض البطارقة في ابنته وكانت له قرية حصينة في أعمال قسطنطينية فلما استولى الافرنج على القسطنطينية سنة ستمائة لحق غياث الدين بقلعة صهره البطريق وبلغ اليه خبر أخيه تلك السنة وبعث اليه بعض الامراء من قونية يستدعيه للملك فسار اليه واجتمعوا على حصار قونية وخرجت اليهم العساكر منها فهزموه ولحق ببعض البلاد فتحصن بها ثم قام أهل اقصرا بدعوته وطردوا واليهم وبلغ الخبر الى أهل قونية فثاروا بقليج ارسلان بن ركن الدين وقبضوا عليه واستدعوا غياث الدين فملكوه وأمكنوه من ابن أخيه وكان أخوه قيصرشاه قد لحق بصهره العادل أبي بكر بن أيوب فاستنصر به على أخيه ركن الدين عندما ملك ملطية من يده فأمر له بالرها واستفحل ملك غياث الدين وقصده علي بن يوسف صاحب شميشاط ونظام الدين بن أرسلان صاحب خرت برت وغيرهما وعظم شأنه الى أن قتله أشكر صاحب قسطنطينية سنة سبع وستمائة والله تعالى ولي التوفيق

(مقتل غياث الدين كيخسرو وولاية ابنه كيكاوس)

ولما قتل غياث الدين كيخسرو ولي بعده ابنه كيكاوس ولقبوه الغالب بالله وكان عمه طغرلشاه بن قليج ارسلان صاحب ارزن الروم طلب الامر لنفسه وسار الى قتال كيكاوس ابن أخيه وحاصره في سيواس وقصد أخوه كيقباد بن كيخسرو بلد انكورية من أعماله فاستولى عليها وبعث كيكاوس صريخه الى الملك العادل صاحب دمشق فانفذ اليه العساكر وأفرج طغرلشاه عن سيواس قبل وصولهم فسار كيكاوس الى انكورية وملكها من يد أخيه كيقباد وحبسه وقتل امراءه وسار الى عمه طغرلشاه في ارزن الروم فظفر به سنة عشر وقتله وملك بلاده

(مسير كيكاوس الى حلب واستيلاؤه على بعض أعمالها ثم هزيمته وارتجاع البلد من يده)

كان الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب قد توفي وملك بعده ابنه طفلا صغيرا وكان بعض أهل حلب قد لحق بكيكاوس فرارا من الظاهر وأغراه بملك حلب وهون عليه أمرها وملك ما بعدها ولما مات الظاهر قوي عزمه وطمعه في ذلك واستدعى الافضل بن صلاح الدين ابن شميشاط للمسير معه على أن تكون الخطبة لكيكاوس والولاية للافضل في جميع ما يفتحونه من حلب وأعمالها فاذا فتحوا بلاد الجزيرة مثل

حران والرهامن يد الاشرف تكون ولايتها لكيكاوس وتعاقدوا على ذلك وساروا سنة خمس عشرة فملكوا قلعة رعبان وتسلمها الافضل على الشرط ثم ملكوا قلعة تل باشر فاستأثر بها كيكاوس وارتاب الافضل ثم بعث ابن الظاهر صاحب حلب الى الاشرف بن العادل صاحب الجزيرة وخلاط يستنجده على أن يخطب له بحلب وينقش اسمه على السكة فسار لانجاده ومعه احياء طي من العرب فنزل بظاهر حلب وسار كيكاوس والافضل الى منبج ولقيت طليعتهم طليعة الظاهرية فتنازلوا وعاد عسكر كيكاوس منهزمين اليه فأجفل وسار الاشرف الى رعبان وتل باشر وتسلمها واصحاب كيكاوس فعلهم عليهما وأطلقهم الى صاحبهم فأحرقهم بالدار وسلم الاشرف المدينتين الى شهاب الدين بن الظاهر صاحب حلب وبلغه الخبر بوفاة أبيه الملك العادل بمصر فرجع عن قصد بلاد الروم

(وفاة كيكاوس وملك أخيه كيقباد)

كان كيكاوس بعد الواقعة بينه وبين الاشرف قد اعتزم على قصد بلاد الاشرف بالجزيرة واتفق مع صاحب آمد وصاحب اربل على ذلك وكانا يخطبان له ثم سار الى ملطية يشغل الاشرف عن الموصل حتى ينال منها صاحب اربل ومرض في طريقه فعاد ومات سنة ست عشرة وخلف بنيه صغارا وكان أخوه كيقباد محبوسا منذ أخذه من انكورية فأخرجه الجند من محبسه وملكوه وقيل بل أخرجه هو من محبسه وعهد اليه ولما ملك خالف عليه عمه صاحب ارزن الروم فوصل يده بالاشرف وعقد معه صلحا

(الفتنة بين كيقباد وصاحب آمد من بني ارتق وفتح عدة من حصونه)

كانت الفتنة قد حدثت بين الاشرف صاحب الجزيرة والمعظم صاحب دمشق وجاء جلال الدين خوارزم من الهند سنة ثلاث وعشرين بعد هروبه أمام التتر وملك اذربيجان واعتضد به المعظم صاحب دمشق على الاشرف وظاهرهما الملك مسعود صاحب آمد من بني ارتق فأرسل الاشرف الى كيقباد ملك الروم يستنجده على صاحب آمد والاشرف يومئذ محاصر لماردين فسار كيقباد وأقام على ملطية وجهز العساكر من هناك الى آمد ففتح حصونا عدة وعاد صاحب آمد الى موافقة الاشرف فكتب الى كيقباد أن يرد عليه ما أخذه فامتنع فبعث عساكره الى صاحب آمد مددا على كيقباد وكان يحاصر القلعة الكمنا فلقيهم وهزمهم وأثخن فيهم وعاد فتح القلعة والله أعلم

(استيلاء كيقباد على مدينة ارزنكان)

كان صاحب ارزنكان هذه بهرام شاه من بني الاحدب بيت قديم في الملك وملكها ستين سنة ولم يزل في طاعة قليج ارسلان وولده وتوفي فلك بعده ابنه علاء الدين داود شاه وأرسل عنه كيقباد سنة خمس وعشرين ليعسكر معه فسار اليه وقبض عليه وملك مدينة ارزنكان وكان من حصونه كماخ فامتنع نائبه فيه وتهدد داود شاه فبعث الى نائبه فسلم له الحصن ثم قصد ارزن الروم وبها ابن عمه طغرلشاه بن قليج ارسلان فبعث ابن طغرلشاه بطاعته الى الاشرف واستنجد نائبه بخلاط حسام الدين على فسار اليه فخام كيقباد عن لقائه وعاد من ارزنكان الى بلاده فوجد العدو من الافرنج قد ملك قلعة منها تسمى صنوبا طلة على بحر الخزر فحاصرها برا وبحرا وارتجعها المسلمون والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

(فتنة كيقباد مع جلال الدين)

كان صاحب ارزن الروم وهو ابن عم كيقباد صار الى طاعة جلال الدين خوارزم شاه وحاصر معه خلاط وفيها ايبك مولى الاشرف فملكها جلال الدين وقتل ايبك كما يأتي في أخباره فخافهما كيقباد صاحب الروم فاستنجد الملك الكامل وهو بحران فأمده بأخيه الاشرف من دمشق فجمع عساكر الجزيرة والشأم وسار الى كيقباد فلقيه بسيواس واجتمعوا في خمسة وعشرين ألفا وساروا من سيواس الى خلاط فلقيهم جلال الدين في نواحي ارزنكان فهاله منظرهم ومضى منهزما الى خلاط ثم سار منها الى اذربيجان فنزلوا عند خوى وسار الاشرف الى خلاط فوجد جلال الدين قد خربها فعادوا الى بلادهم وترددت الرسل الى الصلح فاصطلحوا

(مسير بني أيوب الى كيقباد وهزيمتهم)

كان علاء الدين كيقباد قد استفحل ملكه ببلاد الروم ومد يده الى ما يجاوره من البلاد فملك خلاط بعد أن دافع عنها مع الاشرف بن العادل جلال الدين خوارزم شاه فنازعه الاشرف في ذلك واستصرخ بأخيه الكامل فسار في العساكر من مصر سنة احدى وثلاثين وسار معه الملوك من أهل بيته وانتهى الى النهر الازرق من تخوم الروم وبعث في مقدمته المظفر صاحب حماة من أهل بيته فلقيه كيقباد وهزمه وحصره في خرت برت وكانت لبني ارتق ورجع الكامل بالعساكر الى مصر سنة ثنتين وثلاثين وسار كيقباد في اتباعهم ثم سار الى حران والرها فملكهما من يد نواب الكامل وولى عليهما من قبله وسار الكامل سنة ثلاث وثلاثين فارتجعهما

(وفاة كيقباد وملك ابنه كيخسرو)

ثم توفى علاء الدين كيقباد سنة أربع وثلاثين وستمائة وملك بعده ابنه غياث الدين كيخسرو وقارن ذلك انقراض الدولة السلجوقية من ممالك الاسلام واختلال دولة بنى خوارزم شاه وخروج التتر من مفازة الترك وراء النهر واستيلاء جنكزخان سلطانهم على الممالك وانتزاعها من يد بنى خوارزم شاه وفر جلال الدين آخرهم الى الهند ثم رجع واستولى على اذربيجان وعراق العجم وكان بنو أيوب يومئذ بممالك الشام وأرمينية كما نذكر ذلك كله فى أماكنه ان شاء الله تعالى وانتشر التتر فى سائر النواحى وعاثوا فيها وتغلبوا عليها واستفحل ملكهم فسارت منهم طوائف الى بلاد الروم سنة احدى وأربعين فبعث غياث الدين كيخسرو بالصريخ الى بنى أيوب وغيرهم من الترك فى جواره وجاء المدد من كل جانب فسار للقائهم واقيتهم المقدمة على قشميرزنجان فانهزمت المقدمة ووصلوا اليه فانهزم وتخلى بعياله وذخيرته الى مدينة على مسيرة شهر من المعترك ونهبوا سواده ومخلفه وانتشروا فى نواحى بلاد الروم وعاثوا فيها وتحصن غياث الدين بهذه المدينة واستولى التتر على خلاط وآمد ثم استأمن لهم غياث الدين ودخل فى طاعتهم واستقامت أمور معهم الى أن مات قريبا من رجوعه وملك التتر قيسارية والله أعلم

(وفاة غياث الدين وولاية ابنه كيقباد)

ثم توفى غياث الدين كيخسرو سنة أربع وخمسين وترك ثلاثا من الولد أكبرهم علاء الدين كيقباد وعز الدين كيكاوس وركن الدين قليج ارسلان وولى علاء الدين كيقباد بعهده اليه وكان يخطب لهم جميعا وأمرهم واحد وكان جنكزخان ملك التتر قد هلك وكان كرسى سلطانهم بقراقروم وولى مكانه ابنه طلوخان وجلس على كرسيه وهو الخان الاعظم عندهم وحكمه ماض فى ملوك الشمال والعراق من أهل بيته وسائر عشيرته ثم هلك طلوخان وولى مكانه فى كرسيه ابنه منكوخان فبعث أخاه هلاكو لفتح العراق وبلاد الاسماعيلية سنة خمسين وستمائة فسار لذلك وملك العراقين وبغداد ثم جرد الخان الاعظم منكوخان الى بلاد الروم سنة أربع وخمسين أميرا من أمراء المغل اسمه بيكو فى العساكر فسار الى ارزن الروم وبها سنان الدين ياقوت مولى السلطان علاء الدين فحاصرها شهرين ونصب عليها المجانيق ثم ملكها عنوة وأمر ياقوت واستلحم الجند بأسرهم واسترق الباعة والصناع ثم سار الى بلاد الروم فلقى قيسارية ومسيرة شهر معها ورجع ثم عاد سنة خمس وخمسين وعاث فى البلاد واستولى على أكثر من الاولى والله تعالى أعلم

وفاة

(وفاة كيغباد وملك أخيه كيكاوس)

ولما كثر عيث التتر الذين مع بيكو في مملكة علاء الدين كيغباد واعتزم على المسير الى الخان الاعظم منكوخان يؤكد الدخول في طاعته و يقتضي مراسمه الى بيكو ومن معه من المغل بالكف عن البلاد سار من قونية سنة خمس وخمسين ومعه سيف الدين طرنطاى من موالى أبيه واحتمل معه الاموال والهدايا وسار ووثب أخوه عز الدين كيكاوس على أخيه الآخر قليج ارسلان فاعتقله بقونية واستولى على الملك وكتب في اثر أخيه الى سيف الدين طرنطاى مع بعض الاكابر من أصحابه أن يمكنوه من الهدايا التى معهم يتوجه بها الى الخان و يردوا علاء الدين فلم يدركوه حتى دخل بلاد الخان ونزل على بعض أمرائه فسعى ذلك الرسول في علاء الدين وطرنطاى بأن معهم سما فكبسهم الامير فوجد شيأ من المحمودة فعرض عليهم أكلها فامتنعوا فتخيل تحقيق السعاية فسألوه احضار الاطباء فأزالوا عنه الشك وبعث بهم الى الخان ومات علاء الدين أثناء طريقه ولما اجتمعوا عند الخان اتفقوا على ولاية عز الدين كيكاوس وأنه أكبر وعقدوا له الصلح مع الخان فكتب له وخلع عليهم ثم كتب بيكو الى الخان بأن أهل بلاد الروم قاتلوه ومنعوه العبور فأحضر الرسل وعرفهم الخبر فقالوا اذا بلغناهم كتاب السلطان اذعنوا فكتب الخان بتشريك الاميرين عز الدين كيكاوس وأخيه ركن الدين قليج ارسلان على أن تكون البلاد قسمة بينهما فمن سيواس الى القسطنطينية غربا لعز الدين ومن سيواس الى ارزن الروم شرقا المتصلة ببلاد التتر لركن الدين وعلى الطاعة وحمل الاتاوة لمنكوخان ملكهم صاحب الكرسي بقراقروم ورجعوا الى بلاد الروم وحملوا معهم شلوكيغباد الى أن دفنوه

(استيلاء التتر على قونية)

ثم سار بيكو في عساكر المغل الى بلاد الروم ثالثة فبعث عز الدين كيكاوس العساكر للقائه مع ارسلان ايدغمش من أمرائه فهزمه بيكو وجاء في اتباعه الى قونية فهرب عز الدين كيكاوس الى العلايا بساحل البحر فنزل بيكو على قونية وحاصرها حتى استأمنوا اليه على يد خطيبهم ولما حضر اليه أكرمه ورفع منزلته وأسلمت امرأته على يده وأمن أهل البلد ثم سار هلاكو الى بغداد سنة خمس وستين و بعث عن بيكو وعساكره من بلاد الروم بالحضور معه فاعتذر بالاكراد الذين في طريقه من الفراسانية والياروقية فبعث اليهم هلاكو العساكر فأجفلوا وانتهت العساكر الى اذربيجان وقد أجفل أهلها أمام الاكراد فاستولوا عليها ورجعوا وصحبة بيكو الى هلاكو فحضر

معه فتح بغداد وقد مر خبره فى أخبار الخلفاء ويأتى فى أخبار هلاكو ويقال أن بيكو لما بعث عنه هلاكو لم يحضر معه فتح بغداد واستمر على عذره فلما انقضى أمر بغداد بعث اليه هلاكو من سقاه السم فمات لانه اتهمه بالاستبداد ثم سار هلاكو بعد فتح بغداد الى الشام سنة ثمان وخمسين وحاصر حلب وبعث عن عز الدين كيكاوس وركن الدين قليج ارسلان وعن معين الدين سليمان البرواناه صاحب دولتهم وكان من خبره أن أباه مهذب الدين على كان من الديلم وطلب العلم ونبغ فيه ثم تعرض للوزير سعد الدين المستوفى أيام علاء الدين كيقباد يسأله اجراء رزقه وكان وسيما فاستحسنه وزوجه ابنته وولدت سليمان ونشأ فى الدولة ومات سعد الدين المستوفى فرقى السلطان مهذب الدين الى الوزارة وألقى اليه بالمقاليد وتوفى مهذب الدين وترقى ابنه سليمان مهذب الدولة وكان يلقب معين الدين وترقى فى الرتب الى أن ولى الحجابة وكان يدعى البرواناه ومعناه الحاجب بلغتهم وكان مختار ركن الدين المداخلين معهم ساعده هلاكو وكان قلده حلا بينه وقال لركن الدين لا يأتينى فى أمور حكم الاهذا فرقت حاله الى أن ملك بلاد الروم أجمع

الفتنة بين عز الدين كيكاوس وأخيه قليج ارسلان واستيلاء قليج ارسلان على الملك

ثم وقعت الفتنة سنة تسع وخمسين بين عز الدين كيكاوس وأخيه ركن الدين قليج ارسلان وسار ركن الدين ومعه البرواناه الى هلاكو يستمده على أخيه فأمده بالعساكر وسار بها فهزمه عز الدين أولا ثم أمده هلاكو فانهزم عز الدين ولحق بالقسطنطينية واستولى ركن الدين على سائر الاعمال وهرب التركمان الى أطراف الجبال والثغور والسواحل وبعثوا الى هلاكو يطلبون الولاية منه على احيائهم فولاهم وأذن لهم فى اتخاذ الآلة فصاروا ملوكا من حينئذ وكان محمد بك أميرهم وأخوه على بك رديفه فاستدعى على هلاكو محمد الملك فلم يأته فأمر قليج ارسلان وعساكر التتر الذين معه بقتاله فساروا وقاتلوه فانهزم ثم استأمن الى السلطان ركن الدين فأمنه وجاء به الى قونية فقتله واستقر على بك أميرا على التركمان وأورثها بنيه واستولى التتر على البلاد الى

(خبر عز الدين كيكاوس)

ولما انهزم عز الدين كيكاوس ولحق بالقسطنطينية أحسن اليه مخاييل الشكرى صاحب قسطنطينية وأجرى عليه الرزق وكان معه جماعة من الروم أخواله فحدثتهم أنفسهم بالثورة وعلك القسطنطينية وبعى ذلك عنهم فقبض الشكرى عليه وعلى

من معه واعتقله ببعض القلاع ثم وقعت بين الشكرى و بين منكوتمر بن طغان ملك الشمال من بنى دوشى خان بن جنكزخان فتنة وغزا منكوتمر القسطنطينية وعاث فى نواحيها فهرب اليه كيكاوس من محبسه فمضى معه الى كرسيه بصراى ثم مات هنالك سنة سبع وسبعين وخلف ابنه مسعودا وخطب منكوتمر ملك صراى أمه فمنعها وهرب عنه ولحق بابقا بن هلاكو ملك العراق فأحسن اليه وأقطعه سيواس وارزن الروم وارزنكان فاستقر بها

(مقتل ركن الدين قليج ارسلان وولاية ابنه كيخسرو)

كان معين الدين سليمان البرنواه قد استبد على ركن الدين قليج ارسلان ثم تنكر له ركن الدين البرنواه على مكان أخيه عزالدين كيكاوس بالقسطنطينية أن يحدث فيه أمرا فلما بلغه خبر كيكاوس واعتقاله بالقسطنطينية أحكم تدبيره فى ركن الدولة فقتله غيلة ونصب للملك ابنه غياث الدين فى كفالته وتحت حجره واستقل بملك بلاد الروم واستقامت أموره والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء الظاهر ملك مصر على قيسارية ومقتل البرنواه)

كان هلاكو قد زحف الى الشام سنة ثمان وخمسين مرارا وزحف ابنه ابقا كذلك وقاتلهم الملك الظاهر صاحب مصر والشام وكان كثيرا ما يخالفهم الى بلادهم فدخل سنة خمس وسبعين الى بلاد الروم وأميرها يومئذ من التتر طغا وأمده ابقا بأميرين من التتر وهما كداون وترقو لحماية بلاد الروم من الظاهر فزحفوا الى الشام وسار اليهم الظاهر من مصر فى مقدمته سنقر الاشقر فلقيت مقدمته مقدمتهم على كوكصو فانهزم التتر وتبعهم الظاهر والتقى الجمعان على ابلستين فانهزموا ثانية وأثخن فيهم الظاهر بالقتل والاسر الى قيسارية فملكها وكان البرنواه قد دس اليه واستحثه للوصول الى بلاده فأقام الظاهر على قيسارية ينتظره وبلغ ملك التتر ابقا خبر الواقعة فزحف فى جموع المغل الى قيسارية بعد منصرف الظاهر الى بلاده فلما وقف على مصارع قومه وجد على البرنواه وصدقت عنه السعاية فيه وأنه الذى استحث الظاهر لانه لم فى المعركة مصرع أحد من بلاد الروم ورجع الى معسكره ومعه سليمان البرنواه واستبد بملكه والله تعالى ولى التوفيق وهو نعم الرفيق لارب سواه ولا معبود الا اياه سبحانه

(خلع كيخسرو ثم مقتله وولاية مسعود ابن عمه كيكاوس)

كان قنطغرطاى بن هلاكو مقيما ببلاد الروم مع غياث الدين كيخسرو ملك بلاد الروم وصار أمير المغل بها منذ عهد ابقا ولما ولى أحمد تكدار بن هلاكو بعد أخيه ابقا

بعث عن أخيه قطغرطاي فامتنع من الوصول اليه خشية على نفسه ثم حمل غياث
الدين على اجابة أخيه وسار معه فقتل تكرار أثناء قطغرطاي واتهم المغل غياث الدين
بانه علم رأي تكرار فيه واعتمد المغل ارغون بن ابغا بعد تكرار عزل غياث الدين
عن بلاد الروم وحبسه بارزنكان وولى مكانه على المغل ببلاد الروم أولاكو وذلك
سنة ثنتين وثمانين وأقام مسعود ملكا ببلاد الروم سنة ثمان عشرة وسبعمائة وأصابه
الفقر واختل أمره وبقي الملك بها للتتر ثم فشل أمرهم واضمحلت دولتهم لا بقايا
بسيواس من بني ارتنا مملوك دمرداش بن جوبان واستولى التركمان على تلك البلاد
أجمع وأصبح ملكهم لهم والله غالب على أمره يؤتي الملك من يشاء وهو العزيز الحكيم

* (ملوك قونية من بلاد الروم وملكها من أيديهم التتر) *

غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان بن غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق

مسعود بن كيكاوس

كيكاوس

قلج ارسلان بن ركن الدين سليمان

قطب الدين ملكشاه

الخبر عن بنى سكمان موالى السلجوقية ملوك خلاط وبلاد أرمينية ومصير الملك الى مواليهم من بعدهم ومبادى أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان صاحب مرند من اذربيجان اسمعيل بن ياقوتى بن داود أخو الب ارسلان وداود أخو طغرلبك كامر ولقب اسمعيل قطب الدولة وكان له مولى تركى اسمه سكمان بالكاف والقاف وكان ينسب اليه فيقال سكمان القطبى وكان شهما عادلا فى أحكامه وكانت خلاط وارمينية لبنى مروان ملوك ديار بكر وكانوا فى آخر دولتهم قد اشتد عسفهم وظلمهم وساء حال أهل البلد معهم فاجتمع أهل خلاط وكاتبوا سكمان واستدعوه ليملكوه عليهم فسار اليهم سنة ثلاث وتسعمائة الى ميافارقين من ديار بكر فحاصرها حتى استأمنوا اليه وملكها ثم أمر السلطان محمد شاه بن ملكشاه الامير مودود بن زيد بن صدقة صاحب الموصل بغزو الافرنج وانتزاع البلاد من أيديهم وأمر أمراء الثغور بالمسير معه فسار معه برسق صاحب همذان وأحمد بك صاحب مراغة وأبو الهيجاء صاحب اربل وابو الغازى صاحب ماردين وسقمان القطبى صاحب ديار بكر فساروا لذلك وفتحوا عدة حصون وحاصروا الرها فامتنعت عليهم ثم تل باشر كذلك واستدعاهم رضوان بن تتش صاحب حلب

فلما ساروا اليه امتنع من لقائهم ومرض سكمان القطبى هنالك ورجع عنهم وتوفى فى طريقه بالس وافترقت العساكر وملك خلاط وبلاد ارمينية بعد مهلكه ابنه ظهير الدين ابراهيم وسار فيهم بسيرة أبيه الى أن هلك سنة احدى وعشرين وملك بعده أخوه أحمد بن سكمان عشرة أشهر ثم توفى فنصب أصحابه للملك بارمينية وخلاط شاه أرمن سكمان ابن أخيه ابراهيم بن سكمان صبيا دارجا واستبدت عليه جدته أم ابراهيم ثم أزمعت قتله فقتلها أهل الدولة وعمه سنة ثمان وعشرين واستبد شاه أرمن وكانت بينه وبين الكرج وقائع وساروا سنة ست وخمسمائة الى مدينة انى من أعمال اران فاستباحوها وسار اليهم فى العساكر فهزموه وبالوا منه وكانت عنده أخت طليق بن على صاحب ارزن الروم ووقعت بينه وبين الكرج حرب فانهزم طليق وأسر وبعث شاه ارمن الى ملك الكرج وفادى طليقا ورده الى ملكه بارزن ثم استولى صلاح الدين بن أيوب على مصر والشأم واستفحل ملكه وكاتبه مظفر الدين كوكبرى وأغراه بملك الجزيرة ووعده بخمسين ألف دينار وسار صلاح الدين الى سنجار فحاصرها وهو مجمع المسير الى الموصل وبها يومئذ عز الدين مودود بن زنكى فاستنجد بشاه ارمن صاحب خلاط فبعث شاه ارمن مولاه بكتمر الى صلاح الدين شفيعا فى صاحب الموصل وورد عليه وهو محاصر لسنجار ولم يشفعه صلاح الدين فرجع عنه مغاضبا وسار شاه ارمن

لقتاله واستدعى قطب الدين نجم الدين الى صاحب ماردين وهو ابن أخيه وابن خال عز الدين وحضر معه دولة شاه بن طغرلشاه بن قليج ارسلان صاحب وسار سنة ثمان وسبعين وقد ملك صلاح الدين سنجار وافترقت العساكر فلما بلغه مسيرهم بعث عن تقي الدين ابن أخيه شاه من حماة فوافاه سريعا ورحل الى رأس عين وافترقت جموعهم وسار صلاح الدين الى ماردين فعاث في نواحيها ورجع ثم سار الى الموصل آخر احدى وثلاثين وعبر الى الجزيرة وانتهى الى حران ولقيه مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين ولم يف له بالخمسين ألفا التي وعده بها وأخذ منه حران والرها ثم أطلقه بما انفذه من مكاتبته وأعاد عليه بلدته وسار من حران فحضر عنده عساكر الحصن ودارا ولقيه سنجرشاه صاحب الجزيرة ابن أخي عز الدين مودود فارق الطاعة عمه وسار معه الى الموصل ولما انتهى الى مدينة بلد بعث اليه عز الدين ابن عمه نور الدين محمود وجماعة من أعيان الدولة راغبين في الصلح فأكرمهم واستشار أصحابه من أعيان الدولة فأشار على بن أحمد المشطوب كبير الهكارية بالامتناع من ذلك فردهم صلاح الدين واعتذر وسار فنزل على فرسخين من الموصل واشتدوا في مدافعته فامتنعوا عليه فندم على عدم الصلح ورجع على على المشطوب ومن وافقه باللائمة وخاطبه القاضي الفاضل البيساني من مصر وعزله في ذلك وجاء زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل وأخوه مظفر الدين كوكبرى فتلقاهما بالتكرمة وأنزلهما مع الحشود الوافدة بالجانب الشرقي وبعث على بن أحمد المشطوب الهكاري الى قلعة الجزيرة من بلاد الهكارية فحاصرها واجتمع عليه الاكراد ولم يزل محاصرا لها حتى عاد صلاح الدين من الموصل وأقام صلاح الدين على حصارها مدة وبلغ عز الدين أن نائبه بالقلعة يكاتبه فمنعه من الصعود اليها وكان يقتدي برأي مجاهد الدين وبعثه في الصلح فسعى فيه الى أن تحمله ووصل صلاح الدين الى ميافارقين

(وفاة شاه ارمن سكمان وولاية بكتمر مولى أبيه)

ثم توفي شاه ارمن سقمان بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط سنة ست وسبعين وكان بكتمر مولى أبيه بميافارقين فأسرع الوصول بمن معه من المماليك واستولى على كرسي بني سكمان وولى على ميافارقين أسد الدين برتقش من موالي شاه ارمن وكان البهلوان ابن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان مترببا نائبا لملوك السلجوقية وقد زوج ابنته من شاه ارمن طمعا في ملك خلاط فلما توفي شاه ارمن سار اليها في عساكره فكاتب أهل خلاط صلاح الدين بن أيوب ودافعوا كلا منهما بالآخر وسار صلاح الدين في مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين بن زين الدين وغيرهما ونزلوا قريبا من خلاط

ثم تردد الرسل من صلاح الدين ومن شمس الدين البهلوان الى أهل خلاط وهم يدافعون
الفريقين وكان قد بلغه وفاة صاحبها قطب الدين وان برتقش نصب ابنه طفلا صغيرا
واستبد عليه فسار صلاح الدين اليها وحاصرها حتى تسلمها على الامان وأقام مكتمر
أميرا بخلاط وطالت مدته وجرت بينه وبين صلاح الدين فتن وحروب الى أن توفي
صلاح الدين سنة تسع وثمانين وأظهر الشماتة به وتسمى عبد العزيز وتلقب سيف الدين
وتوفي اثر ذلك والله تعالى أعلم

(وفاة مكتمر وولاية اقسنقر)

كان مكتمر لأول ولايته قد اختص اقسنقر من موالي شاه ارمن وتلقب هزار ديناري
وزوجه بنته وجعله اتابكه فأقام على ذلك مدة ثم استوحش من مكتمر وتربص به حتى
اذا توفي صلاح الدين تجهز مكتمر من مباذراين فأمكنته فيه الفرصة فقتله لعشرين
من ولايته وذلك بعد وفاة صلاح الدين بشهرين واستبد بملك خلاط وارمينية واعتقل
ابن مكتمر وأمه في بعض القلاع والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة اقسنقر وولاية محمد بن مكتمر)

ثم هلك اقسنقر صاحب خلاط وارمينية سنة أربع وتسعين لخمس سنين من ملكه
وقام بملك خلاط بعده واستبد قطلغ الارمني ولم يرضه أهل خلاط فوثبوا به لسبعة
أيام من ولايته وقتلوه واستدعوا محمد بن مكتمر من محبسه وملكوه ولقبوه الملك المنصور
وقام بدولته شجاع الدين قطلغ القفجاقي دوادار شاه ارمن وأقام تحت استبداده الى
سنة ثلاث وستمائة ثم دبر على الدوادار وقبض عليه وكان حسن السيرة فاستوحش
لذلك الجند والعامة وعكف بعد نكبة الدوادار على لذاته فاجتمع أهل خلاط
والجند وكبيرهم بلبان مملوك شاه ارمن وكتبوا الى ارتق بن أبي الغازي بن البي
صاحب ماردين يستدعونه للملك بما كان ابن أخت شاه ارمن وجاهر بلبان بالعصيان
الى ملازكرد واجتمع الجند عليه

(نكبة ابن مكتمر واستيلاء بلبان على خلاط وأعمالها)

ولما ملك بلبان مدينة ملازكرد وأعمالها واجتمع عليه الجند وسار يريد خلاط ووصل
ارتق بن أبي الغازي صاحب ماردين لموعدهم ونزل قريبا من خلاط فبعث اليه بلبان
أن الجند والرعية اتهموني بك فارجع واذا ملكت البلد سلمته اليك فتمهل قليلا وبعث
اليه يتوعده على مقاتلته وبطئه فعاد الى ماردين وكان الاشرف موسى بن العادل

ابن أيوب صاحب الجزيرة وحران لما سمع بمسير ارتق الى خلاط طمع فيها لنفسه وخشى أن يزداد بملكها قوة عليهم فخالفه الى ماردين وأقام بتدليس وجبى ديار بكر حتى استوعبها وعاد الى حران ثم جمع بلبان العساكر وسار الى خلاط فحاصرها وبرز ابن مكتمر فيمن عنده فانهزم بلبان وعاد الى ولايته بلاد كردوا رجيش وغيرها ثم جمع ورجع الى خلاط فحاصرها وضيق عليها وابن مكتمر عاكف على لذاته فلما جهدهم الحصار ثاروا به وقبضوه ومكنوا بلبان منه ودخل الى خلاط واستولى عليها وعلى سائر أعمالها وحبس ابن مكتمر فى قلعة هنالك واستبد بملكها وكان الاوحد نجم الدين أيوب ابن العادل بن أيوب قد ولى على ميافارقين من قبل أبيه الى خلاط سنة أربع وستمائة وقصد مدينة سوس وحاصرها وملك ما يجاورها وعجز بلبان عنه ثم ملك سوس وقصد خلاط فبرز له بلبان وهزمه فعاد الى ميافارقين وجمع واستمد أباه العادل فأمده بالعساكر ونهض الى خلاط فبرز له بلبان ثانية وهزمه الاوحد وحاصره فى خلاط فبعث بلبان الى طغرل يستنجده فانهزم الاوحد امامهما وسار بلبان مع طغرل الى مراش فحاصراها وغدر به طغرل هنالك وقتله وسار الى خلاط فمنعه أهلها فسار الى ملاز كرد فمنعوه كذلك فعاد الى ارزن وأرسل أهل خلاط بطاعتهم الى الاوحد نجم الدين فجاء وملك خلاط واستولى على أعمالها وزحف الكرج فأغاروا على خلاط وعاثوا فى نواحيها والاوحد مقيم بخلاط لم يفارقها وانتقض عليه جماعة من العسكر بحصن رام وساروا الى مدينة ارجيش فملكوها واجتمع اليهم المفسدون وبعث نجم الدين الى أبيه العادل يستنجده فأمده بابنه الآخر شرف الدين موسى فحاصر حصن رام حتى استأمن اليه من كان به من الجند ورجع الاشرف الى عمله بحران والرها واستقر نجم الدين بخلاط ثم سار الى ملازكرد ليطالع أمورها ويمهدها فثار أهل خلاط بعسكره فاخرجوهم وحصروا أصحاب نجم الدين بالقلعة ونادوا بشعار شاه ارمن وقومه فرجع الاوحد ولاقاه عسكر الجزيرة وحاصر خلاط ثم اختلف أهلها فملكها عليهم عنوة واستباحها ونقل جماعة من أعيانهم الى ميافارقين وقتل أمراءهم هنالك واستكان أهل خلاط بعدها وانمحى منها حكم المماليك بعد أن كانوا مستحكمين فيها يولون ملوكها ويخلعونهم وانقرضت دولة بنى سكمان من خلاط وصارت لبنى أيوب والبقاء لله وحده والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين واليه المرجع

(آخر دولة السلجوقية بخلاط وارمينية وملكها منهم بنو أيوب)

عز الدين بلبان مولى شاه أرمن بن ابراهيم بن سكمان القطبي مولى قطب الدين اسمعيل بن ياقوتي بن داود بن ميكال

اقسنقر مولى

محمد بن بكتمر مولى

قام بدولته سلم مولى شاه أرمن

أخبار الافرنج وما ملكوه من سواحل الشام وثغوره وكيف تغلبوا عليه وبداية أمرهم فى ذلك ومصايره

قد تقدم لنا اول الكتاب الكلام فى أنساب هذه الامة عند ذكر أنساب الامم وانهم من ولد يافث بن نوح ثم من ولد ريفات بن كومر بن يافث اخوة الصقالبة والخزر والترك وقال هروشيوش انهم من عصر مابن غومر وأما مواطنهم من بلاد المعمورة فهم فى شمالى البحر الرومى من خليج رومة الى ما وراء البحر غربا وشمالا وكانوا أولا يدينون لليونان والروم بالطاعة عند استفحال أمرهم فلما انقرضت دولة أولئك استقل هؤلاء

الافرنج بملكهم وافترقوا ولاه شل دولة القوط بالاندلس والجلالقة بعدهم وملك
اللمانين بالتفخيم من جزيرة انكلطره بالبحر المحيط الغربى الشمالى وما يحاذيه ويقابله من
المعمور ومثل ملوك افرنسة وهو عندهم اسم افرنجة بعينه (بياض بالاصل) ينطقون
بهاسينا وهم ماوراء خليج رومة غربا الى الثنايا المفضية الى جزيرة الاندلس فى الجبل
المحيط بها من شرقيها وتسمى تلك الثنايا البردت وكانت دولة هؤلاء الافرنس منهم من
أعظم دولهم واستفحل أمرهم بعد الروم وصد زامن دولة الاسلام العربية وسموا
الى ملك بلاد المشرق من ناحيتها وتغلبوا على جزر البحر الرومى فى آخر المائة الخامسة
وكان ملكهم لذلك العهد بردويل فبعث رجالا من ملوكهم الى صقلية وملكها من
يد المسلمين سنة ثمانين وأربعمائة ثم سموا الى ملك ماوراء النهر من افريقية وبلاد
الشأم والاستيلاء على بيت المقدس وطال ترددهم فى ذلك ثم استحثهم وحرضهم عليه
فيما يقال خلفاء العبيديين بمصر لما استفحل ملك السلجوقية وانتزعوا الشأم من أيديهم
وحاصروهم فى مصر فيقال ان المستنصر منهم دس الى الافرنج بالخروج وتسهيل
أمرهم عليه ليحولوا بين السلجوقية وبين مرامهم فتجهز الافرنج لذلك وجعلوا
طريقهم فى البر على القسطنطينية ومنعهم ملك الروم من العبور عليه من الخليج حتى
شرط عليهم أن يسلموا له انطاكية لكون المسلمين كانوا أخذوها من ممالكهم
فقبلوا شرطه وسهل لهم العبور فى خليجه فأجازوا سنة تسعين وأربعمائة فى العديد
والعدة وانتهوا الى بلاد قليج ارسلان وجمع للقائهم فهزموه وفر (بياض بالاصل)
بلاد ابن اليون الارمنى ووصلوا انطاكية وبها باغيسيان من أمراء السلجوقية
فحاصروه بها وخذلوا صاحب حلب ودمشق على صريخه بأن لا يقصدوا غير انطاكية
فأسلموه حتى ضاق به الحصار وغدر به بعض الحامية فملك الافرنج البلاد وهرب
باغيسيان فقتل وحمل اليهم رأسه وكان ملوكهم الحاضرون لذلك خمسة بردويل
وضنجيل وكبريرى والقمص واسمند وهو مقدم العساكر فردوا اليه أمر انطاكية وبلغ
الخبر الى المسلمين فسار واليهم شرقا وغربا وسار قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل
وجمع عساكر الشأم وسار الى دمشق فخرج اليهم دقاق بن تتش وطغتكين أتابك
وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان (بياض بالاصل) صاحب سنجر وسكمان
ارتق وغيرهم من الامراء وزحفوا الى انطاكية فحاصروها ثلاثة عشر يوما
ووهن الافرنج واشتد عليهم الحصار لما فجأهم على غير استعداد وطلبوا الخروج على
الامان فلم يسعفوا ثم اضطرب أمر عساكر المسلمين وأساء كربوقا السيرة فيهم وأزعجوا
من استكثاره عليهم فخرج الافرنج اليهم واستماتوا فتخاذل المسلمون وانهزموا وأمن

غير قتال حتى ملكها الافرنج مكيدة فقتلوا عدوا من أتباعهم واستشهد من المسلمين ألوف والله تعالى أعلم

(استيلاء الافرنج على معرة النعمان ثم على بيت المقدس)

ولما صلحت للافرنج هذه النكاية فى المسلمين طمعوا فى البلاد وساروا الى معرة النعمان وحاصروها واشتد القتال فى أسوارها حتى داخل أهلها الجزع فتحصنوا بالدور وتركوا السور وملكه الافرنج ودخلوا عليهم فاستباحوها ثلاثا وأقاموا بها أربعين يوما ثم ساروا الى عرقة وحاصروها أربعة أشهر وامتنعت عليهم فصالحهم ابن منقذ عليها وساروا الى حمص وحاصروها فصالحهم عليها جناح الدولة وساروا الى عكا فامتنعت عليهم وكان بيت المقدس قد ملكه السلجوقية وصار لتاج الدولة تتش وأقطعه لسكمان بن ارتق من التركمان فلما كانت واقعة الافرنج بانطاكية طمع أهل مصر فيهم وسار الافضل بن بدر الجمالى المستولى على العلويين بمصر الى بيت المقدس وبها سكمان وابو الغازى ابنا ارتق وابن عمهما سوج وابن أخيهما ياقوتى فحاصروه نيفا وأربعين يوما ونصبوا عليه نيفا وأربعين منجنيقا وملكوه بالامان سنة احدى وتسعين وأربعمائة وأحسن الافضل الى سكمان وابى الغازى وأصحابهما وسرحهم الى دمشق وعبروا الفرات وأقام سكمان بالرها وسار ابو الغازى الى العراق واستناب الافضل عليها افتخار الدولة الذى كان بدمشق فقصده الافرنج بعد أن حاصروا عكا وامتنعت عليهم فحاصروه أربعين ليلة واقتحموا على جوانب البلد وملكوها من الجانب الشمالى آخر شعبان من السنة واستباحوها وأقاموا بها أسبوعا واعتصم بعض المسلمين بمحراب داود وقاتلوا فيه ثلاثا حتى استأمنوا ولحقوا بعسقلان وأحصى القتلى من الائمة والعلماء والعباد والزهاد المجاورين بالمسجد فكانوا سبعين ألفا أو يزيدون وأخذ من المنابر المعلقة عند الصخرة أربعون قنديلا من الفضة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة وستون درهما من الفضة زنته أربعون رطلا بالشامى ومائة وخمسون قنديلا من الصغار وما لا يحصى من غير ذلك وجاء الصريخ الى بغداد صحبة القاضى أبى سعيد الهروى ووصف فى الديوان صورة الواقعة فكثر البكاء والاسف وسير الخليفة جماعة من الاعيان والعلماء فيهم القاضى أبو محمد الدامغانى وأبو بكر الشاشى وأبو الوفاء بن عقيل الى السلطان بركيارق يستصرخونه للاسلام فساروا الى حلوان وبلغهم اضطراب الدولة السلجوقية وقتل مجد الملك البارسلانى المتحكم فى الدولة واختلاف السلاطين فعادوا وتمكن الافرنج من البلاد وولوا على بيت المقدس كندفرى من ملوكهم

(مسير العساكر من مصر لحرب الافرنج)

ولما بلغ خبر الواقعة الى مصر جمع الافضل الجيوش والعساكر واحتشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الافرنج بالنكير والتهديد فأعادوا الجواب ورحلوا مسرعين فكبسوه بعسقلان على غير أهبة فهزموه واستلحموا المسلمين ونهبوا سوادهم ودخل الافضل عسقلان وافترق المنهزمون واستبدوا بنهر الحير ووصل الافضل من عسقلان الى مصر ونازلها الافرنج حتى صانع أهلها الافرنج بعشرين ألف دينار وعادوا الى القدس .

(ايقاع ابن الدانشمند بالافرنج)

كان كمستكين بن الدانشمند من التركمان ويعرف بطايلوا ومعنى الدانشمند المعلم كان أبوه يعلم التركمان وتقلبت به الاحوال حتى ملك سيواس وغيرها وكان صاحب ملطية يعاديه فاستنجد عليه اسمند صاحب انطاكية فجاءه فى خمسة آلاف وسار اليه ابن الدانشمند وأسره ثم جاء الافرنج الى قلعة أنكورية فملكوها وقتلوا من بها من المسلمين ثم حاصروا اسمعيل بن الدانشمند فلقيهم كمستكين وهزمهم واستلحمهم وكانوا ثلثمائة ألف ثم ساروا الى ملطية فملكوها وأسروا صاحبها وزحف اليه اسمند من انطاكية فى الافرنج فهزمهم ابن الدانشمند فأتاح الله للمسلمين على يده هذا الظهور فى مدد متقاربة حتى خلص اسمند من الاسر وجاء الى انطاكية والافرنج بها وبعث الى قيس والعواصم وماجاورها يطلب الامارة فامتعض المسلمون لذلك وقلدوه بعد العهد الذى التزمه

(حصار الافرنج قلعة جبلة)

كانت جبلة من أعمال طرابلس وكان الروم قد ملكوها وولوا على المسلمين بها ابن رئيسهم منصور بن صليحة يحكم بينهم فلما صارت للمسلمين رجع أمرها لجمال الملك أبي الحسن على بن عمار المستبد بطرابلس وبقى منصور بن صليحة على عادته فيها ثم توفى منصور فقام اليه أبو محمد عبد الله مقامه وأظهر الشماتة فارتاب به ابن عمار وأراد القبض عليه فعصى هو فى جبلة وأقام بها الخطبة العباسية واستنجد عليه ابن عمار دقاق بن تتش فجاءه ومعه أتابك طغركين فامتنع عليهم ورجعوا ثم جاء الافرنج فحاصروها فامتنعت عليهم أيضا وشاع أن بركيارق جاء الى الشأم فرحلوا ثم عادوا وأظهروا أن المصريين جاؤا لانجاده فرحلوا ثم عادوا فتقدم للنصارى الذين عنده أن يداخلوا الافرنج فى نقب البلد من بعض أسواره فجهزوا اليهم ثلثمائة من أعيانهم

فرماهم بالحبال واحدا بعد واحد وهو قاعد على السور حتى قتلهم أجمعين فرحلوا عنه
ثم عادوا اليه فهزمهم وأسر ملكهم كندريطل وفدى نفسه منه بمال عظيم ثم
ابن صليحة وجهده الحصار فأرسل الى طغتكين صاحب دمشق وبعث ابن عمار في طلبه
الى الملك دقاق على أن يدفعه اليه بعد أن يأخذ ماله ويعطيه ثلاثين ألف دينار فلم يتم
وسار ابن صليحة الى بغداد ووعده الى وصول رحله من الانبار فبعث الوزير من استولى
عليها ووجد فيها ما لا يحصى من الملابس والعمائم والمتاع وانتزع ذلك كله ولما ملك
تاج الملوك جبلة أساء فيها السيرة فراسلوا فخر الملك أبا علي بن عمار صاحب طرابلس
واستدعوه لملكها فبعث اليهم عسكرا وقاتلوا تاج الملك ومن معه فهزموه وأخذوه
أسيرا وملكوا جبلة بدعوة ابن عمار وحملوا تاج الملك الى ابن عمار فأحسن اليه
وبعث الى أبيه بدمشق واعتذر له بأنه خاف على جبلة من الافرنج

(استيلاء الافرنج على سروج وقيسارية وغيرهما)

ثم سار كندري ملك الافرنج من بيت المقدس سنة أربع وتسعين لحصارها وأصابه منهم
سهم فقتله فسار أخوه بقدوين في خمسمائة فارس الى القدس ونهض دقاق صاحب
دمشق ومعه جناح الدولة صاحب حمص لاعتراضه فهزموا الافرنج وأقصوا بهم
ثم كاتب أهل مدينة الافرنج وكان أكبرهم ودخل في طاعتهم وكان سقمان بن أرتق
صاحب سروج جمع جموعه من التركمان وسار الى الرها فلقيه الافرنج وهزموه
في ربيع سنة أربع وتسعين وساروا الى سروج فحاصروهم حتى ملكوها عنوة
واستباحوها ثم ملكوا حصن كيفا بقرب عكا عنوة وملكوا أرسوف بالأمان ثم ساروا
في رجب الى قيسارية فملكوها عنوة واستباحوها والله تعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه

(حصار الافرنج طرابلس وغيرها)

كان صنجيل من ملوك الافرنج المذكورين قبل قد لازم حصار طرابلس وزحف اليه
قليج ارسلان صاحب بلاد الروم فظفر به وعاد صنجيل مهزوما وأرسل فخر الدولة بن عمار
صاحب طرابلس الى أمير آخر نائب جناح الدولة بحمص الى دقاق بن تتش يدعوه الى
معاجلته فجاء تاج الدولة بنفسه وجاءه العسكر مددا من عند دقاق واجتمعوا على
طرابلس وفرق صنجيل أهله الذين معه على قتالهم فانهزموا كلهم وقتل كثير من أهل
طرابلس وشد حصارها وأعانه أهل الجبل والنصارى من أهل سوادها فصالحوه على
مال وخيل ورحل عنهم الى طرطوس من أعمال طرابلس فحاصرها وملكها عنوة
واستباحها الى حصن الطوبان ومقدمه ابن العريض فامتنع عليهم وقاتلهم صنجيل

فهزمه واعسكره وأسروا زعيما من زعماء الافرنج بذل صنجيل فيه عشرة آلاف دينار وألف أسير ولم يعاوده وذلك كله سنة خمس وتسعين وأربعمائة ثم سار صنجيل الى حصن الاكراد وحاصره جناح الدولة لغزوه فوثب عليه باطني بالمسجد وقتله ويقال ان رضوان بن تتش وضعه عليه ثم سار صنجيل الى حمص وحاصرها وملك أعمالها ثم نزل القمص على عكا في جمادى الاخيرة من السنة فنفر المسلمون من جميع السواحل لقتاله وهزموه وأحرقوا اهله والمنجنيقات التي نصبت للحرب ثم سار القمص صاحب الرها الى سروج وحاصرها فامتنعت عليه وزحف عساكر مصر الى عسقلان للمدافعة عن سواحلهم فزحف اليهم بردويل صاحب القدس فهزمه المسلمون ونجا الى الرملة وهم في اتباعه فحاصروه وخلص الى يافا وفشا القتل والاسر في الافرنج والله تعالى ولي التوفيق

(حصار الافرنج عسقلان وحروبهم مع عساكر مصر)

لما طمع الافرنج في عسقلان واستفحل أمرهم بالشام جهز الافضل أمير الجيوش عساكره من مصر لحربهم سنة ست وتسعين مع سعد الدولة القواسي مولى أبيه وزحف بقدوين ملك الافرنج من القدس فلقيهم بين الرملة ويافا وهزمهم ومات سعد الدولة متردياعن فرسه واستولى الافرنج على سواده وبعث الافضل بعده ابنه شرف المعالي فلقيهم في العساكر على يازور قرب الرملة فهزمهم ونال منهم ونجا كثير من أعيانهم الى بعض الحصون هنالك فحاصرهم شرف المعالي خمس عشرة ليلة وملك الحصن فقتل وأسر ونجا بقدوين الى يافا ثم الى القدس فصادف وصول جمع كثير من الافرنج لزيارة القدس فندبهم للغزو فساروا الى عسقلان وبها شرف المعالي فامتنعت ورجعوا وبعث شرف المعالي الى أبيه فبعث العساكر في البر مع تاج العجم مولى أبيه والاسطول في البحر لحصار يافا مع القاضي ابن قادوس فلما وصل الاسطول الى يافا بعث عن تاج العجم ليأتيه بالعساكر فامتنع فأرسل الافضل من قبض عليه وولى على العساكر وعلى عسقلان جمال الملك من مواليهم فانصرمت السنة وبيد الافرنج بيت المقدس غير عسقلان ولهم أيضا من الشأم يافا وارسوف وقيسارية وصيدا وطبرية والاردن واللاذقية وانطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وصنجيل محاصر فخر الملك بن عمار بمدينة طرابلس وهو يرسل اسطوله للغارة على بلاد الافرنج في كل ناحية ثم دخلت سنة سبع وتسعين فخرج الافرنج الذين بالرها فأغاروا على الرقة وقلعة جعبر واكتسحوا نواحيها وكانت لسالم ابن مالك بن بدران بن المقلد منذ ملكه السلطان ملك شاه اياها سنة تسع وسبعين كما مر والله أعلم

(استيلاء الافرنج على جبيل وعكا)

وفي سنة سبع وتسعين وصلت مراكب من بلاد الافرنج تحمل خلقا كثيرا من التجار والحاج فاستعان بهم صنجيل على حصار طرابلس فحاصروها حتى يئسوا منها وارتحلوا الى جبيل وملكوها بالامان ثم غدروا باهلها وأخذوا في استباحتهم ثم استنجدهم بغدوين ملك القدس على حصار عكا فحاصروها برا وبحرا وبها الدولة الجيوشي من قبل ملك الجيوش الافضل صاحب مصر فدافعهم حتى عجزوا وهرب عنها الى دمشق وملك الافرنج عكا عنوة وأخذوا في استباحتها والله تعالى أعلم

(غزو أمراء السلجوقية بالجزيرة الافرنج)

كان المسلمون أيام تغلب الافرنج على الشام في فتنة واختلاف تمكن فيها الافرنج واستطالوا وكانت حران وحمص لمولى من موالى ملك شاه اسمه قراجا والموصل لجكرمش وحصن كيفا لسقمان بن ارتق وهو في حران على قراجا لانه فيها فاغتاله باولى مولى من موالى الترك وقد طمع الافرنج في حران وحاصروها وكان بين جكرمش وسقمان فتنة وحروب فوضعوا أوزارها للتلاقي حران واجتمعا على الخابور وتحالفا ومع سقمان سبعة آلاف من قومه التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف من قومه الترك ومن العرب والاكراد وسار اليهم الافرنج من حران فاقتتلوا واستطردلهم المسلمون بعيدا ثم كروا عليهم فأثخنوا فيهم واستباحوا أموالهم وكان ابيمند صاحب انطاكية وسكرى صاحب الساحل قد أكمنوا للمسلمين وراء الجبل فلم يظهر لهم ما لهم من أصحابهم وأقاموا الى الليل ثم هربوا وتبعهم المسلمون فاتبعوهم وأثخنوا فيهم وأسر في تلك الواقعة القمص بردويل صاحب الرها أسره بعض التركمان من أصحاب سقمان فشق ذلك على أصحاب جكرمش لكثرة ما حاز به التركمان من الغنائم وحسنوا له أخذ القمص من سقمان فأخذه وأراد التركمان محاربة جكرمش وأصحابه عليه فمنعهم سقمان حذرا من اختلاف المسلمين وسار مفارقا لهم وكان يزعمون الافرنج يرجعون اليه ظنا بنصر أصحابهم فتملكها عليهم وسار جكرمش الى حران فملكها وولى عليها من قبله ثم سار الى الرها وحاصرها أياما وعاد الى الموصل وفادى القمص بردويل بخمسة وثلاثين ألف دينار ومائة وستين أسيرا والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه

(حرب الافرنج مع رضوان بن تتش صاحب حلب)

ثم سار سكرى صاحب انطاكية من الافرنج سنة ثمان وتسعين الى حصن أرتاح من

حصون رضوان صاحب حلب فضاقت حالهم واستنجدوا برضوان فسار اليهم وخرج
الافرنج لقتاله ثم طلب الصلح من رضوان فمنعه اصبهبذ صباوو من أمراء السلجوقية
كان نزع اليه بعد قتل صاحبه اياز والقيهم الافرنج فانهزموا أولا ثم استقاموا وكروا على
المسلمين فهزموهم وأثخنوا فى قتلهم وقتل الرجالة الذين دخلوا عسكرهم فى الحملة
الاولى ونجا رضوان وأصحابه الى حلب ولحق صباوو بطغركين أتابك دمشق ورجع
الافرنج الى حصار الحصن فهرب أهله الى حلب وملكه الافرنج والله تعالى ولى
التوفيق

(حرب الافرنج مع عساكر مصر)

كان الافضل صاحب مصر قد بعث سنة ثمان وتسعين ابنه شرف المعالى فى العساكر الى
الرملة فملكها وقهر الافرنج ثم اختلف العسكر فى ادعاء الظفر وكادوا يقتتلون وأغار
عليهم الافرنج فعاد شرف المعالى الى مصر فبعث الافضل ابنه الآخر سناء الملك حسينا
مكانه فى العساكر وخرج معه جمال الدين صاحب عسقلان واستمدوا طغركين أتابك
دمشق فجهز اليهم اصبهبذ صباوو من أمراء السلجوقية وقصدهم بغدوين صاحب
القدس وعكا فاقتتلوا وكثرت بينهم القتلى واستشهد جمال الملك نائب عسقلان
وتحاجزوا وعاد كل الى بلده وكان مع الافرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش
ذهب مغاضبا عن دمشق لما عدل عنه طغركين الاتابك بالملك الى ابن أخيه دقاق وأقام
عند الافرنج والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق بمنه

(حرب الافرنج مع طغركين)

كان قمص من قامصة الافرنج بالقرب من دمشق وكان كثيرا ما يغير عليها ويحارب
عساكرها فسار اليه طغركين فى العساكر وجاء بغدوين ملك القدس لانجاده على المسلمين
فرده ذلك القمص ثقة بكفايته فرجع الى عكا وسار طغركين الى الافرنج فقاتلهم
وحجزهم فى حصنهم ثم خرب الحصن وألقى حجارته فى الوادى وأسر الحامية الذين به
وقتل من سواهم من أهله وعاد الى دمشق ظافرا ثم سار بعد أسبوع الى   وبه ابن
أخت صنجيل فملكه وقتل حاميته

بياض بالاصل

(استيلاء الافرنج على حصن افامية)

كان خلف بن ملاعب الكلابى متغلبا على حمص وملكها منه تتش كما مر وانتقلت
الاحوال الى مصر ثم ان رضوان صاحب حلب انتقض عليه واليه بحصن افامية وكان
من الرافضة فبعث بطاعته الى صاحب مصر واستدعى منهم واليا فبعثوا خلف بن

ملاعب لايثاره الجهاد وأحسن وارغبه في المقام في افامية ويستنجدهم او اجتمع عنده
المفسدون ثم ملك الافرنج من اعمال حلب وأهل رافعة ويلحق فاميا
بابن ملاعب في افامية ثم أعمل التدبير عليه وبعث الى أبي طاهر الصائغ من اصحاب
رضوان وأعيان الباطنية ودعاتهم وداخله في الفتك بابن ملاعب وتسليم الحصن الى
رضوان وشعر بذلك ابنا ابن ملاعب وحذرا أباهما من تدبير القاضي عليه وجاء القاضي
فحلف له على كذبه وصدقه وعاد القاضي الى مداخلة أبي طاهر ورضوان في ذلك
التدبير وبعثوا جماعة من أهل سرمين بخيل وسلاح يقصدون الخدمة عند ابن
ملاعب فأنزلهم بربض افامية حتى تم التدبير وأصعدهم القاضي وأصحابه ليلا الى
القلعة فملكوها وقتلوا ابن ملاعب وهرب ابناه فلحق أحدهما بأبي الحسن بن منقذ
صاحب شيزر وقتل الآخر وجاء أبو طاهر الصائغ الى القاضي يعتقد ان الحصن له
فلم يمكنه القاضي وأقام عنده وكان بعض بني خلف بن ملاعب عند طغركين بدمشق
مغاضبا لابيه وولاه حصنا من حصونه فأظهر الفساد والعبث فطلبه طغركين فهرب الى
الافرنج واستحثهم على افامية فحاصروه حتى جهد أهلها الجوع وقتلوا القاضي المتغلب
به والصائغ وذلك سنة تسع وتسعين وخمسمائة

(خبر الافرنج في حصار طرابلس)

كان صنجيل من ملوك الافرنج ملازما لحصار طرابلس وملك جبلة من يد ابن صليحه
وبنى على طرابلس حصنا وأقام عليها ثم هلك وحمل الى القدس ودفن وأمر ملك الروم
أهل اللاذقية أن يحملوا الميرة الى الافرنج المحاصرين طرابلس فحملوها في البحر
وظفر أصحاب ابن عمار ببعضها فقتلوا وأسروا واستمر الحصار خمس سنين فعدمت
الاقوات واستنفد أهل الثروة مكاسبهم في الانفاق وضاقت أحوالهم وجاءتهم سنة
خمسمائة ميرة في البحر من جزيرة قبرس وانطاكية وجزائر البنادقة فخففت أزماتهم
ثم بلغ ابن عمار استقامة الامر للسلطان محمد بن ملكشاه بعد أخيه بركيارق فارتحل اليه
صريخا واستخلف على طرابلس ابن عمه ذا المناقب في طرابلس وخرج ابن عمار الى
دمشق وأكرمه طغركين ثم سار الى بغداد فأكرمه السلطان محمد وأمر بتلقيه
والاحتفال لقدومه ووعده بالانجاد ولما رحل عن بغداد أحضره عنده بالنهروان وأمر
الامير حسين بن أتابك قطلغتكين بالمسير معه وان يستصحب العساكر التي بعثها مع
الامير مودود الى الموصل لقتال جاولي سكاوو وأمره باصلاح جاولي والمسير مع ابن
عمار حسبما مر في أخبارهم ثم وقعت الحرب بين السلطان محمد وبين صدقة بن مزيد
واصطلحوا وودعه ابن عمار بعد ان خلع عليه وسار معه الامير حسين فلم يصل الى قصده

من عساكر الموصل ومودود ثانيا فعاد فخر الدين بن عمار الى دمشق فى محرم سنة ثنتين وخمسمائة يسار منها الى فلكها وبعث أهل طرابلس الى الافضل أمير الجيوش بمصر يستمدونه ويسألون الوالى عليهم فبعث اليهم شرف الدولة بن أبى الطيب بالمدد والاقوات والسلاح وعدة الحصار واستولى على ذخائر ابن عمار وقبض على جماعة من أهله وحمل الجميع فى البحر الى مصر

(خبر القمص صاحب الرها مع جاولى ومع صاحب انطاكية)

كان جاولى قد ملك الموصل من يد أصحاب جكرمس ثم انتقض فبعث السلطان اليه مودود فى العساكر فسار جاولى عن الموصل وحمل معه القمص بردويل صاحب الرها الذى كان أسره سقمان وأخذه منه جكرمس وأصحابه وترك الموصل ثم أطلق جاولى هذا القمص فى سنة ثلاث وخمسمائة بعد خمس سنين من أسره على مال قرره عليه وأسرى من المسلمين عنده يطلقهم وعلى أن يمده بنفسه وعساكره وماله متى احتاج الى ذلك ولما انبرم العقد بينهما بعث بو الى سالم بن مالك بقلعة جعفر حتى جاءه هنالك ابن خاله جوسكين تل ناشر فأقام رهينة مكانه ثم أطلقه جاولى ورهن مكانه أخا زوجته وزوجة القمص فلما وصل جوسكين الى منبج أغار عليها ونهبها وسبى جماعة من أصحاب جاولى الى الغدر فاعتذر بأن هذه البلاد ليست لكم ولما أطلق القمص سار الى انطاكية ليسترد الرها من يد سكرى لانه أخذها بعد أسره فلم يردها وأعطاه ثلاثين ألف دينار ثم سار القمص الى تل ناشر وقدم عليه أخوه جوسكين الذى وضعه رهينة عند جاولى وسار سكرى صاحب انطاكية لحربهما قبل أن يستفحل أمرهما ويحدهما جاولى فقاتلوه ورجع الى انطاكية وأطلق القمص مائة وستين من أسرى المسلمين ثم سار القمص وأخوه جوسكين فأغاروا على حصون انطاكية وأنجدهم صاحب رعبان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمال حلب وهو من الارمن بألف فارس وألفى راجل وخرج اليهم سكرى وتراجعوا للحرب ثم حملهم الترك على الصلح وحكم على سكرى برد الرها على القمص صاحبها بعد ان شهد عنده جماعة من البطارقة والاساقفة بأن اسمند خال سكرى لما انصرف الى بلاده أوصاه برد الرها على صاحبها اذا خلص من الاسر فردها سكرى على القمص فى صفر سنة ثلاث وفى القمص لجاولى بما كان بينهما ثم قصد جاولى الشام ليملكه يتنقل فى نواحيه كما مر فى أخباره وكتب رضوان صاحب حلب الى سكرى صاحب انطاكية يحذره من جاولى ويستنجده عليه فأجابه وبرز من انطاكية وبعث اليه رضوان بالعساكر واستنجد جاولى القمص صاحب الرها فأنجده بنفسه ولحق به على منبج وجاءه الخبر هنالك باستيلاء عسكر السلطان على بلده الموصل وعلى خزائنه بها

وفارقه كثير من أصحابه منهم زنكي بن آقسنقر فنزل جاولي تل ناشر وتراجع مع سكري هنالك واشتد القتال واستمر أصحاب أنطاكية فخاذل أصحاب جاولي وانهزموا واردف الافرنج بسوادهم خفاء القمص وجوسكين الى تل باشر والله تعالى أعلم

(حروب الافرنج مع طغركين)

كان طغركين قد سار الى طبرية سنة ثنتين وخمسمائة فسار اليه ابن أخت بغدوين ملك القدس واقتتلوا فانكشف المسلمون ثم استماتوا وهزموا الافرنج وأسروا ابن أخت الملك فقتله طغركين بيده بعد ان فادى نفسه بثلاثين ألف دينار وخمسمائة أسير فلم يقبل منه الا الاسلام أو القتل ثم اصطلح طغركين وبغدوين لمدة أربع سنين وكان حصن عرقة من أعمال طرابلس بيد مولى ابن عمار فعصى عليه وانقطعت عنه الميرة لعيث الافرنج في نواحيه فأرسل الى طغركين بطاعته فبعث اسرائيل من أصحابه ليتملك الحصن ونزل منه مولى ابن عمار ورماه اسرائيل في الزحام بسهم فقتله حذرا أن يطلع الاتابك على مخلفه وقصد طغركين الحصن لمشارفة أحواله فمنعه نزول الثلج حتى اذا انقشع واعتلى سار في أربعة آلاف فارس وفتح حصونا للافرنج منها حصن الاكمة وكان السرداني من الافرنج يحاصر طرابلس فسار للقائه فلما أشرف عليه انهزم طغركين وأصحابه الى حمص وملك السرداني حصن عرقة بالامان ووصل طغركين الى دمشق فبعث اليه بغدوين ملك القدس باللقاء على الصلح وذلك في شعبان سنة اثنين

(استيلاء الافرنج على طرابلس وبيروت وصيدا وجبيل وبانياس)

ولما عادت طرابلس الى صاحب مصر من يد ابن عمار وولى عليها نائبه والافرنج يحاصرونها وزعيمهم السرداني ابن أخت صنجيل فلما كانت سنة ثلاث وخمسمائة في شعبان وصل القمص ابن صنجيل وليس صنجيل الاول وأعانه وقمص آخر بمراكب عديدة مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وجرت بينه وبين السرداني فتنة واقتتلوا وجاء سكري صاحب انطاكية مددا للسرداني ثم جاء بغدوين ملك القدس وأصلح بينهم وحاصروا طرابلس ونصبوا عليها الابراج واشتد بهم الحصار وعدموا القوت لتأخر الاسطول المصري بالميرة ثم زحفوا الى قتالها بالابراج وملكوها عنوة ثاني الاضحى واستباحوها وأثخنوا فيها وكان النائب بها قد استأمن الى الافرنج قبل ذلك بليال وملكها بالامان ونزل على مدينة جبيل وبها فخر الملك بن عمار فاستأمنوا الى سكري وملكها ولحق ابن عمار بشيزر فنزل على صاحبها سلطان بن علي بن منقذ الكناني ولحق منها بدمشق فأكرمه طغركين وأقطعه الزبداني من أعمال دمشق

فى محرم سنة أربع ووصل اسطول مصر بالميرة بعد أخذ طرابلس بثمانية أيام فأرسى بساحل صور وفرقت الغلال فى جهاتها فى صور وصيدا وبيروت ثم استولى الافرنج على صيدا فى ربيع الآخر سنة أربع وخمسمائة وذلك انه وصل اسطول للافرنج من ستين مركبا مشحونة بالرجال والذخائر وبها ملوكهم بقصد الحج والغزو فاجتمع مع بقدوين صاحب القدس ونازلوا صيدا برا وبحرا وأسطول مصر يعجز عن انجادهم ثم زحفوا الى السور فى ابراج الخشب المصفحة فضعفت نفوسهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فاستأمنوا فأمنهم الافرنج فى جمادى الاولى ولحقوا بدمشق بعد سبعة وأربعين يوما من الحصار وأقام بالبلد خلق كثير تحت الامان وعاد بقدوين الى القدس

(استيلاء أهل مصر على عسقلان)

كانت عسقلان للخلفاء العلوية بمصر وقد ذكرنا حروب الافرنج مع عساكرهم عليها وآخر من استشهد منهم جمال الملك نائبها كما مر آنفا وولى عليها شمس الخلافة فراسل بقدوين ملك القدس وهاداه ليمتنع به من الخليفة بمصر وبعث الافضل بن أمير الجيوش العساكر اليه سنة أربع وخمسمائة مع قائد من قوادهم موريا بالغزو وأسر اليه بالقبض على شمس الخلافة والولاية مكانه بعسقلان وشعر شمس الخلافة بذلك فجاهر بالعصيان خشى أن يملكها الافرنج فراسله وأقره على عمله وعزل شمس الخلافة جند عسقلان واستجد جماعة من الارمن فاستوحش منه أهل البلد ووثبوا به فقتلوه وبعثوا الى الامير الافضل صاحب مصر المستولى عليها بطاعتهم فجاءهم الوالى من قبله واستقامت أمورهم

(استيلاء الافرنج على حصن الاقارب وغيره)

ثم جمع سكرى صاحب انطاكية واحتشد وسار الى حصن الاقارب على ثلاثة فراسخ من حلب فحاصره وملكه عنوة وأثخن فيهم بالقتل والسبى ثم سار الى حصن وزدناد ففعل فيه مثل ذلك وهرب أهله منه ومارس على بلديهما ثم سار عسكر من الافرنج الى مدينة صيدا فملكوها على الامان وأشفق المسلمون من استيلاء الافرنج على الشأم وراسلوهم فى الهدنة فامتنعوا الا على الضريبة فصالحهم رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين ألف دينار وعدة من الخيول والثياب وصاحب صور على سبعة آلاف دينار وابن منقذ صاحب شيزر على أربعة آلاف دينار وعلى الكردى صاحب حماة على ألفى دينار ومدة الهدنة الى حصاد الشعير ثم اعترضت مراكب الافرنج مراكب

العسكار من مصر فاخذوها وأسروهم وسار جماعة من أهل حلب الى بغداد للنفير ودخلوها مستغيثين ومعهم خلق من الفقهاء والغوغاء وقصدوا جامع السلطان يوم الجمعة فمنعوا الناس من الصلاة بضجيجهم وكسروا المنبر فوعدهم السلطان بانفاذ العساكر للجهاد وبعث من دار الخلافة منبر الجامع ثم قصدوا في الجمعة الثانية جامع القصر في مثل جمعهم ومنعهم صاحب الباب فدفعوا ودخلوا الجامع وكسروا شبابيك المقصورة والمنبر وبطلت الجمعة وأرسل الخليفة الى السلطان في رفع هذا الحرب وأمر الامراء بالتجهز للجهاد وأرسل ابنه الملك مسعود مع الامير مودود صاحب الموصل ليلحق به الامراء ويسيروا جميعا الى قتال الافرنج

(مسير الامراء السلجوقية الى قتال الافرنج)

ولما سار مسعود ابن السلطان مع الامير مودود الى الموصل اجتمع معهم الامراء سقمان القطبي صاحب ديار بكر وابنا برسق أيلتكي وزنكي اصحاب همذان والامير أحمديل صاحب مراغة وأبو الهيجاء صاحب اربل وايلغازي بن أبي الغازي بعثه أخوه صاحب ماردين وساروا جميعا الى سنجار وفتحوا عدة حصون للافرنج ونزلوا على مدينة الرها وحاصروا واجتمع الافرنج على الفرات وحام الطائفتان عن اللقاء وتأخر المسلمون الى حران يستطردون للافرنج لعلهم يعبرون الفرات فجاءهم الافرنج الى الرها وشحنوها أقواتا وعدة وأخرجوا الضعفاء منها ثم عبروا الفرات الى نواحي حلب لان الملك رضوان صاحبها لما عبروا الى الجزيرة ارتجع بعض الحصون التي كان الافرنج أخذوها بأعمال حلب وطرقوها الآن فاكتسحوا نواحيها وجاءت عساكر السلطان الى الرها وقاتلوها فامتنعت عليهم فعبروا الفرات وحاصروا قلعة تل باشر شهرا ونصفا فامتنعت فرحلوا الى حلب فقعد الملك رضوان عن لقائهم ومرض هنالك سقمان القطبي ورجعوا فتوفي في بالس وحمل شلوه الى بلده ونزلت العساكر الشامية على معرة النعمان فخرج طغركين صاحب دمشق الى مودود ونزل عليه ثم ارتاب لما رأى من الامراء في حقه فدس للافرنج بالمهادنة ثم افترقت العساكر كما ذكرنا في أخبارهم وبقي مودود مع طغركين على نهر العاصي وطمع الافرنج بافتراقهم فساروا الى فامية وخرج سلطان بن منقذ صاحب شيزر الى مودود وطغركين فرحل بهم الى شيزر وهون عليهم أمر الافرنج وضاقت الميرة على الافرنج فرحلوا واتبعهم المسلمون يتخطفون من أعقابهم حتى أبعدوا والله تعالى أعلم

(حصار الافرنج مدينة صور)

ولما افترقت العساكر السلطانية خرج بغدوين ملك القدس وجمع الافرنج ونزلوا على

مدينة صور في جمادى الاولى من سنة خمس وهي للامير الافضل صاحب مصر ونائبه بها عز الملك الاعز ونصبوا عليها الابراج والمجانيق وانتدب بعض الشجعان من أهل طرابلس كان عندهم في ألف رجل وصدقوا الحملة حتى وصلوا البرج المتصل بالسور فأحرقوه ورموا الآخرين بالنفط فأحرقوهم واشتد القتال بينهم وبعث أهل صور الى طغركين صاحب دمشق يستنجدونه على أن يمكنوه من البلد فجاء الى بانياس وبعث اليهم بمائتي فرس واشتد القتال وبعث نائب البلد الى طغركين بالاستحثاث للوصول ليمكنه من البلد وكان طغركين يغير على أعمال الافرنج في نواحيها وملك لهم حصنا من أعمال دمشق وقطع الميرة عنهم فسار واحملوها في البحر ثم سار الى صيدا وأغار عليها ونال منها ثم أزهت الثمرة وخشي الافرنج من طغركين على بلادهم فأفرجوا عن صور الى عكا وجاء طغركين الى صور فأعطى ‌ ‌ الاموال واشتغلوا باصلاح سورهم وخندقهم والله أعلم

(أخبار مودود مع الافرنج ومقتله ووفاة صاحب انطاكية)

ثم سار الامير مودود صاحب الموصل سنة ست الى سروج وعاث في نواحيها فخرج جكرمس صاحب تل باشر وأغار على دوابهم فاستاقها من راعيها وقتل كثيرا من العسكر ورجع ثم توفي الامير الارمني صاحب الدورب ببلاد ابن كاور فسار سكري صاحب انطاكية من الافرنج الى بلاده ليملكها فمرض وعاد الى انطاكية ومات منتصف سنة ست وملكها بعده ابن أخته سرجان واستقام أمره ثم جمع الامير مودود صاحب الموصل العساكر واحتشد وجاءه ‌ ‌ صاحب سنجار وايازبن أبي الغازي صاحب ماردين وطغركين صاحب دمشق ودخلوا في محرم سنة سبع الى بلاد الافرنج وخرج بقدوين ملك القدس وجوسكين صاحب القدس يغير على دمشق فعبروا الفرات وقصدوا القدس ونزلوا على الاردن والافرنج عدوتهم واقتتلوا منتصف المحرم فانهزم الافرنج وهلك منهم كثير في بحيرة طبرية والاردن وغنم المسلمون سوادهم وساروا منهزمين فلقيهم عسكر طرابلس وانطاكية فشردوا معهم وأقاموا على جبل طبرية وحاصرهم المسلمون نحوا من شهر فلم يظفروا بهم فتركوهم وانساحوا في بلاد الافرنج ما بين عكا والقدس واكتسحوها ثم انقطعت المواد عنهم للبعد عن بلادهم فعادوا الى مرج الصفر على نية العود للغزاة في فصل الربيع وأذنوا للعساكر في الانطلاق ودخل مودود الى دمشق يقيم بها الى أوان اجتماعهم فطعنه باطني في الجامع منصرفه من صلاة الجمعة آخر ربيع الاول من السنة ومات من يومه واتهم طغركين بقتله والله تعالى أعلم

بياض في الاصل

بياض في الاصل

ملكوا مراغة ونازلوا المدينة فصانعهم أهلها على مقاسمتهم أملاكهم وزحف أبو الغازي
من ماردين في عشرين ألفاً من العساكر والمتطوعة ومعه أسامة بن مالك و
الكناني والأمير طغان ارسلان بن افتكين بن جناح صاحب ارزن وسار الافرنج
منيل عزمس قرب الاثارب فنزلوا به في موضع منقطع المسالك وعزموا الى الـ
فناجزهم أبو الغازي وسار اليهم ودخل عليهم في مجتمعهم وقاتلوه أشد القتال فلم يطيقوا
وفتك فيهم فتكة شنعاء وقتل فيهم سرجال صاحب انطاكية وأسر سبعون من زعمائهم
وذلك منتصف ربيع من السنة ثم اجتمع فل الافرنج وعاودوا الحرب فهزمهم
أبو الغازي وملك عليهم حصن الاثارب وزردنا وجاء الى حلب فأصلح أمورها وعاد
الى ماردين ثم سار جوسكين صاحب تل باشر في مائتين من الافرنج ليكبس حلة من
أحياء طيء يعرفون ببني خالد فأغار عليهم وغنم أموالهم ودلوه على بقية قومهم من
ربيعة فيما بين دمشق وطبرية فبعث أصحابه اليهم وسار هو من طريق آخر فضل عن
الطريق ووصل أصحابه اليهم وأميرهم [illegible] من ربيعة فقاتلهم وغلبهم وقتل منهم سبعين
وأسر اثني عشر ففاداهم بمال جزيل وأصناف عدتهم من الاسرى وبلغ الخبر جوسكين
في طريقه فعاد الى طرابلس وجمع جمعاً وأغار على عسقلان فهزمه المسلمون وعاد
مفلولا والله أعلم .

•(ارتجاع الرها من الافرنج)•

ثم سار بهرام أخو أبي الغازي الى مدينة الرها وحاصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها
ولقيه النذير بأن جوسكين صاحب الرها وسروج قد سار لاعتراضه وقد تفرق عنه
أصحابه فاستجاب لما وصل اليه الافرنج ودفعهم لارض سبخة توحلت بها خيولهم
فلم يفلت منهم أحد وأسر جوسكين وخاط عليه جلد جمل وفادى نفسه بأموال جليلة
فأبى مالك من فديته الا أن يسلم حصن الرها فلم يفعل وحبسه في خرتبرت ومعه كلام ابن
خالته وكان من شياطينهم وجماعة من زعمائهم والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

•(استيلاء الافرنج على خرتبرت وارتجاعها منهم)•

كان مالك بن بهرام صاحب خرتبرت وكان في جواره الافرنج في قلعة كركر فحاصره
وسار بقدوين اليه في جموعه فلقيه في صفر سنة سبع عشرة فهزم الافرنج وأسر
ملكهم وجماعة من زعمائهم وحبسهم مالك في قلعة خرتبرت مع جوسكين صاحب
الرها وأصحابه وسار مالك الى حران في ربيع الاول وملكها ولما غاب عن خرتبرت
تحيل الافرنج وخرجوا من محبسهم بمداخلة بعض الجند وسار بقدوين الى بلده

الآخرون التلعة فعادما لك اليهم وحاصرها وارتجعها من أيديهم ورتب فيها الحامية والله تعالى ولى التوفيق

(استيلاء الافرنج على مدينة صور)

كانت مدينة صور للخلفاء العلوية بمصر وكان بها عز الملك من قبل الافضل بن أمير الجيوش المستبد على الامر بمصر وتجهز الافرنج لحصارها سنة ست فاستمدوا طغركين صاحب دمشق فأمدهم بعسكر ومال مع وال من قبله اسمه مسعود فجاء اليها ولم يغير دعوة العلوية بها فى خطبة ولا سكة وكتب الى الافضل بذلك وسأله تردد الاسطول اليه بالمدد فأجابه وشكره ثم قتل الافضل وجاء الاسطول اليها من مصر على عادته وقد أمر مقدمه أن يعمل الحيلة فى القبض على مسعود الوالى بصور من قبل طغركين لشكوى أهل مصر منه فقبض عليه مقدم الاسطول وحمله الى مصر وبعثوا به الى دمشق وأقام الوالى من قبل أهل مصر فى مدينة صور وكتب الى طغركين بالعذر عن القبض على مسعود واليه وكان ذلك سنة ست عشر ولما بلغ الافرنج انصراف مسعود عن صور قوى طمعهم فيها وتجهزوا لحصارها وبعث الوالى الامير بذلك وبعجزه عن مقاومة حصارهم لها وسار طغركين الى بانياس ليكون قريبا من صور يحميها وبعث الى أهل مصر يستنجدهم فراسل الافرنج فى تسليم البلد وخروج من فيها فدخلها الافرنج آخر جمادى الاولى من السنة بعد ان حمل أهلها ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتح البرسقى كفرطاب وانهزامه من الافرنج)

ثم جمع البرسقى عساكره وسار سنة تسعة عشر الى كفرطاب وحاصرها فملكها من الافرنج ثم سار الى قلعة غزر شمالى حلب وبها جوسكين فحاصرها واجتمع الافرنج وسار والمدافعته فلقيهم وقاتلهم شديدا فمحص الله المسلمين وانهزموا وقتل النصارى فيهم ولحق البرسقى بحلب فاستخلف بها ابنه مسعودا وعبر الفرات الى الموصل ليستمد العساكر ويعود لغزوهم فقضى الله بمقتله وولى ابنه عز الدين بعده قليلا ثم مات سنة احدى وعشرين وولى السلطان محمود عماد الدين زنكى بن اقسنقر مكانه على الموصل والجزيرة وديار بكر كما مر فى أخبار دولة السلجوقية ثم استولى منها على الشام وأورث ملكها بنيه فكانت لهم دولة عظيمة بهذه الاعمال نذكرها ان شاء الله تعالى ونشأت عن دولتهم دولة بنى أيوب وتفرعت منها كما نذكره ونحن الآن نترك من أخبار الافرنج هنا جميع ما يتعلق بدولة بنى زنكى وبنى أيوب حتى نوردها فى أخبار تلك الدولتين كلا

تكرر الاخبار ونذكر فى هذا الموضع من أخبار الافرنج ماليس له تعلق بالدول فاذا طالعه المتأمل علم كيف يرد كل خبر الى مكانه من دولة فريضته وحسن تأمله

(الحرب بين طغركين والافرنج)

ثم اجتمعت الافرنج سنة عشرين وخمسمائة وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر واستجد طغركين صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها فجاؤا اليه وكان هو قد سار الى جهة الافرنج آخر سنة عشرين وقاتلهم وسقط فى المعترك فظن أصحابه انه قتل فانهزموا وركب فرسه وسار معهم منهزما والافرنج فى اتباعهم وقد أثخنوا فى رجالة التركمان فلما اتبعوا المنهزمين خالف الرجالة الى معسكرهم فنهبوا سوادهم وقتلوا من وجدوا فيه ولحقوا بدمشق ورجع الافرنج من المنهزمين فوجدوا خيامهم منهوبة فساروا منهزمين ثم كان سنة ثلاث وعشرين واقعة المزدغانى والاسماعيلية بدمشق بعد أن طمع الافرنج فى ملكها وأسف ملوك الافرنج على قتله وسار صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من القمامصة ومن وصل فى البحر للتجارة أو الزيارة وساروا الى دمشق فى ألفى فارس ومن الرجال مالا يحصى وجمع طغركين من العرب والتركمان ثمانية آلاف فارس وجاء الافرنج آخر السنة ونازلوا دمشق وبثوا سراياهم للاغارة بالنواحى وجمع الميرة وسمع تاج الملك بسرية فى حوران فبعث شمس الخواص من أمرائه ولقوا سرية الافرنج وظفروا بهم وغنموا مامعهم وجاؤا الى دمشق وبلغ الخبر الى الافرنج فأجفلوا عن دمشق بعد أن أحرقوا ما تعذر عليهم حمله وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثم ان اسمند صاحب انطاكية سار الى حصن القدموس وملكه والله تعالى يؤيد من يشاء

(هزيمة صاحب طرابلس)

ثم اجتمع سنة سبع وعشرين جمع كثير من تركمان الجزيرة وأغاروا على بلاد طرابلس وقتلوا وغنموا فخرج اليهم القمص صاحبها فاستطردوا له ثم كروا عليه فهزموه ونالوا منه ونجا الى قلعة بعرين فتحصن بها وحاصره التركمان بها فخرج من القلعة ليلا فى عشرين من أعيان أصحابه ونجا الى طرابلس واستصرخ الافرنج من كل ناحية وسار بهم الى بعرين لمدافعة التركمان فقاتلهم حتى أشرف الافرنج على الهزيمة ثم حيزوا الى ارمينية وتعذر على التركمان اتباعهم فرجعوا عنهم انتهى

(فتح صاحب دمشق بانياس)

كان بورى بن طغركين صاحب دمشق لما توفى فى سنة ست وعشرين وخمسمائة وليه

مكانه ابنه شمس الملوك اسمعيل فاستضعفه الافرنج وتعرضوا لنقض الهدنة ودخل بعض تجار المسلمين الى سروب فأخذوا أموالهم وراسلهم شمس الملوك فى ردها عليهم فلم يفعلوا فتجهز وسار الى بانياس فى صفر سنة سبع وعشرين فنازلها وشدد حصارها ونقب المسلمون سورها وملكوها عنوة واستلموا الافرنج بها واعتصم فلهم بالقلعة حتى استأمنوا بعد يومين وكان الافرنج قد جمعوا المدافعة شمس الملوك فجاءهم خبر فتحها فأقصروا

(استيلاء شمس الملوك على الشقيف)

ثم سار شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق الى شقيف بيروت وهو فى الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادى التيم وهو ممتنع به وقد تحاماه المسلمون والافرنج وهو يحتمى من كل منهما بالآخر فسار اليه شمس الملوك وملكه فى المحرم سنة ثمان وعشرين وعظم ذلك على الافرنج وخافوا شمس الملوك فساروا الى بلد حوران وعاثوا فى جهاتها ونهض شمس الملوك ببعض عساكره وجمر الباقى قبالة الافرنج وقصد طبرية والناصرة وعكا فاكتسح نواحيها وجاء الخبر الى الافرنج فأجفلوا الى بلادهم وعظم عليهم خرابها وراسلوا شمس الملوك فى تجديد الهدنة فجددها لهم انتهى والله أعلم

(استيلاء الافرنج على جزيرة جربة من افريقية)

كانت جزيرة جربة من أعمال افريقية ما بين طرابلس وقابس وكان أهلها من قبائل البربر قد استبدوا بجزيرتهم عندما دخل العرب الهلاليون افريقية ومزقوا ملك صنهاجة بها وقارن ذلك استفحال ملك الافرنج برومة وما اليها من البلاد الشمالية وتطاولوا الى ملك بلاد المسلمين فسار ملكهم بردويل فيمن معه من زعمائهم وأقماصهم الى الشأم فملكوا مدنه وحصونه كما ذكرناه آنفا وكان من ملوكهم القمص رجار ابن تنعر بن خميرة وكان كرسيه مدينة ميلكو امقابل جزيرة صقلية ولما ضعف أمر المسلمين بها وانقرضت دولة بنى أبى الحسين الكلبى منها سما رجار هذا الى ملكها وأغراه المتغلبون بها على بعض نواحيها فأجاز اليها عساكره فى الاسطول فى سبيل التضريب بينهم ثم ملكها من أيديهم معقلا معقلا الى أن كان آخرها فتحا طرابنة ومازرعة من يد عبد الله بن الحواس أحد الثوار بها فملكها من يده صلحا سنة أربع وستين وأربعمائة وانقطعت كلمة الاسلام بها ثم مات رجار سنة أربع وتسعين فولى ابنه رجار مكانه وطالت أيامه واستفحل ملكه وذلك عندما هبت ريح الافرنج بالشأم وجاسوا خلالها وصاروا

يتغلبون على ما بقي دونه عليه من بلاد المسلمين وكان رجار بن رجار قد تعاهد سواحل افريقية بأمره وبعث سنة ثلاث وثلاثين اسطول صقلية الى جزيرة جربة وقد تقلص عنها ظل الدولة الصنهاجية فأحاطوا بها واشتد القتال ثم اقتحموا الجزيرة عليهم عنوة وغنموا وسبوا واستأمن الباقون وأقرهم الافرنج في جزيرتهم على جزية وملكوا عليهم أمرهم والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(فتح صاحب دمشق بعض حصون الافرنج)

ثم بعث شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق عساكره مع الامير بزواش سنة احدى وثلاثين الى طرابلس الشام ومعه جمع كثير من التركمان والمتطوعة وسار اليه القمص صاحب طرابلس فقاتلوه فهزموه وأثخنوا في عساكره وأحجروه بطرابلس وعاثوا في أعماله وفتحوا حصن وادي ابن الاحمر من حصونه عنوة واستباحوه واستلحموا من فيه من الافرنج ثم سار الافرنج سنة خمس وثلاثين الى عسقلان وأغاروا في نواحيها وخرج اليهم عسكر مصر الذين بها فهزموا الافرنج وظفروا بهم وعادوا منهزمين وكفى الله شرهم بمنه وكرمه

(استيلاء الافرنج على طرابلس الغرب)

كان أهل طرابلس الغرب لما تحل نظام الدولة الصنهاجية بافريقية وتقلص ظلها عنهم قد استبدوا بأمرهم وكان بالمهدية آخر الملوك من بني باديس وهو الحسن بن علي ابن يحيى بن تميم بن المعز فاستبد بطرابلس أبو يحيى بن مطروح ورفضوا دعوة الحسن وقومه وذلك عندما تكالب الافرنج على الجهات فطمع رجار في ملكها وبعث اسطوله في البحر فنازلها آخر سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فنقبوا سورها واستنجد أهلها بالعرب فأنجدوهم وخرجوا الى الافرنج فهزموهم وغنموا أسلحتهم ودوابهم ورجع الافرنج الى صقلية فتجهزوا الى المغرب وطرقوا جيجل من سواحل بجاية وهرب أهلها الى الجبل ودخلوها فنهبوها وخربوا القصر الذي بناها يحيى بن العزيز بن حماد ويسمى النزهة ورجعوا الى بلادهم ثم بعث رجار اسطوله الى طرابلس سنة احدى وأربعين فأرسى عليها ونزل المقاتلة وأحاطوا بها برا وبحرا وقاتلوها ثلاثا وكان أهل البلد قد اختلفوا قبل وصول الافرنج وأخرجوا بني مطروح وولوا عليهم رجلا من أمراء البادية قدم حاجا في قومه فولوه أمرهم فلما شغل أهل البلد بقتال الافرنج اجتمعت شيعة بني مطروح وأدخلوهم البلد ووقع بينهم القتال فلما شعر الافرنج بأمرهم بادروا الى الاسوار ونصبوا عليها السلالم وتسنموها وقهروا البلد عنوة وأثخنوا

فى القتل والسبى والنهب ونجا كثير من أهلها الى البربر والعرب فى نواحيها ثم رفعوا السيف ونادوا بالامان فتراجع المسلمون الى البلد وأقروهم على الجزية وأقاموا بها ستة أشهر حتى أصلحوا أسوارها وفنادقها وولوا عليها ابن مطروح وأخذوا رهنه على الطاعة ونادوا فى صقلية بالمسير الى طرابلس فسار اليها الناس وحسنت عمارتها

(استيلاء الافرنج على المهدية)

كانت قابس عندما اختل نظام الدولة الصنهاجية واستبد بها ابن كامل بن جامع من قبائل رياح احدى بطون هلال الذين بعثهم الجرجرائى وزير المستنصر بمصر على المعز بن باديس وقومه فأضرعوا الدولة وأفسدوا نظامها وملكوا بعض أعمالها واستبد آخرون من أهل البلاد بمواضعهم فكانت قابس هذه فى قسمة بنى دهمان هؤلاء وكان لهذا العهد رشيد أميرا بها كما ذكرنا ذلك فى أخبار الدولة الصنهاجية من أخبار البربر وتوفى رشيد سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة ونصب مولاه يوسف ابنه الصغير محمد بن رشيد وأخرج ابنه الكبير معمرا واستبد على محمد وتعرض لحرمه سرا وكان فيهن امرأة رشيد وساروا الى التعرض بصاحب المهدية يشكون فعله وكاتبه الحسن فى ذلك فلم يجبه وتهدده بادخال الافرنج الى قابس فجهز اليه العساكر وبعث يوسف الى رجار صاحب طرابلس بطاعته وأن يوليه على قابس كما ولى ابن مطروح على طرابلس وشعر أهل البلد بمداخلته للافرنج فلما وصل عساكر الحسن ثاروا به معهم وتحصن يوسف بالقصر فملكوه عنوة وأخذ يوسف أسيرا وملك معمر قابس مكان أخيه محمد وامتحن يوسف بأنواع العذاب الى أن هلك وأخذ بنو قرة أختهم ولحق عيسى أخو يوسف وولد يوسف برجار صاحب صقلية واستجاروا به وكان الغلاء قد اشتد بافريقية سنة سبع وثلاثين ولحق أكثر أهلها بصقلية وأكل بعضهم بعضا وكثر الموتان فاغتنم رجار الفرصة ونقض الصلح الذى كان بينه وبين الحسن بن على صاحب المهدية لسنين وجهز أسطوله مائتين وخمسين من الشوانى وشحنها بالمقاتلة والسلاح ومقدم الاسطول جرجى بن ميخائيل أصله من المتنصرة وقد ذكرنا خبره فى أخبار صنهاجة والموحدين فقصد قوصرة وصادف بها مركبا من المهدية فغنمه ووجد عندهم حمام البطاقة فبعث الخبر الى المهدية على أجنحتها بأن أسطول الافرنج أقلع الى القسطنطينية ثم أقلع فأصبح قريبا من المرسى فى ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين وقد بعث الله الريح فعاقتهم عن دخول المرسى ففاته غرضه وكتب الى الحسن بأنه باق على الصلح وانما جاء طالبا بثأر محمد بن رشيد ورده الى بلده قابس فجمع

الحسن الناس واستشارهم فأشاروا بالقتال فخام عنه واعتذر بقلة الاقوات وارتحل من البلد وقد حمل ما خف حمله وخرج الناس بأهاليهم وما خف من أموالهم واختفى كثير من المسلمين في الكنائس ثم جاء داريع أسطول الافرنج ووصلوا الى المرسى ونزلوا الى البلد من غير مدافع ودخل جرجي القصر فوجده على حاله مملوأ بالذخائر النفيسة التي يعز وجود مثلها وبعث بالامان الى كل من شرد من أهلها فرجعوا وأقرهم على الجزية وسار الحسن بأهله وولده الى المعلقة وبها محرز بن زياد من أمراء الهلاليين ولقيه في طريقه حسن بن ثعلب من أمراء الهلاليين بمال انكسر له في ديوانه فأخذ ابنه يحيى رهينة به ولما وصل محرز بن زياد أكرم لقاءه وبر مقدمه جزاء بما كان يؤثره على العرب ويرجع شعله وأقام عنده شهرا ثم عزم على المسير الى مصر وبها يومئذ الحافظ فأرصد له جرجي الشواني في البحر فرجع عن ذلك واعتزم على قصد عبد المؤمن من ملوك الموحدين بالمغرب وفي طريقه يحيى بن عبد العزيز ببجاية من بني عمه حماد فأرسل اليه ابناه يحيى وتميما يستأذنه في الوصول فأذن له وبعث اليه من أوصله الى جزائر بني مزغنة ووكل به وبولده حتى ملك عبد المؤمن بجاية سنة أربع وأربعين وخبرهم مشروح هنالك ثم جهز جرجي اسطولا آخر الى صفاقس وجاء العرب لانجادهم فلما توافوا للقتال استطرد لهم الافرنج غير بعيد فهزموهم ومضى العرب عنهم وملك الافرنج المدينة عنوة ثالث عشر صفر وفتكوا فيها ثم أمنوهم وفادوا أسراهم وأقروهم على الجزية وكذا أهل سوسة وكتب رجار صاحب صقلية الى أهل سواحل افريقية بالامان والمواعد ثم سار جرجي الى اقليبية من سواحل تونس واجتمع اليها العرب فقاتلوا الافرنج وهزموهم ورجعوا خائبين الى المهدية وحدثت الفتنة بين رجار صاحب صقلية وبين ملك الروم بالقسطنطينية فشغل رجار بها عن افريقية وكان متولي كبرها جرجي بن ميخاييل صاحب المهدية ثم مات سنة ست وأربعين فسكنت تلك الفتنة ولم يقم لرجار بعده أحد بمقامه والله تعالى أعلم

(استيلاء الافرنج على بونة ووفاة رجار صاحب صقلية وملك ابنه غليالم)

ثم سار اسطول رجار من صقلية سنة ثمان وأربعين الى مدينة بونة وقائد الاسطول بها وقاصد المهدوي فحاصرها واستعان عليها بالعرب فملكها واستباحها وأغضى عن جماعة من أهل العلم والدين فخرجوا بأموالهم وأهاليهم الى القرى وأقام بها عشرا ورجع الى المهدية ثم الى صقلية فنكر عليه رجار رفقه بالمسلمين في بونة وحبسه ثم اتهم في دينه فاجتمع الاساقفة والقسوس وأحرقوه ومات رجار آخر هذه السنة لعشرين سنة من ملكه وولي ابنه غليالم مكانه وكان حسن السيرة واستوزر مائق البرقيائي

فأساء التدبير واختلفت عليه حصون من صقلية وبلاد قلورية وتعدى الامراء على افريقية على ماسيأتى ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(استيلاء الافرنج على عسقلان)

كانت عسقلان فى طاعة الظافر العلوى ومن جملة ممالكه وكان الافرنج يتعاهدونها بالمحاصرة بعد مرة وكان الوزراء يمدونها بالاموال والرجال والاسلحة وكان لهم الحكم فى الدولة على الخلفاء العلوية فلما قتل ابن السلار سنة ثمان وأربعين اضطرب الحال بمصر حتى ولى عباس الوزارة فسار الافرنج خلال ذلك من بلادهم بالشأم وحاصروا عسقلان وامتنعت عليهم ثم اختلف أهل البلد وآل أمرهم الى القتال فاغتنم الافرنج الفرصة وملكوا البلد وعاثوا فيها والله يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(ثورة المسلمين بسواحل افريقية على الافرنج المتغلبين فيها)

قد تقدم لنا وفاة رجار وملك ابنه غليالم وانه ساء تدبير وزيره فاختلف عليه الناس وبلغ ذلك المسلمين الذين تغلبوا عليهم بافريقية وكان رجار قد ولى على المسلمين بمدينة صفاقس لما تغلب عليها أبو الحسين الفريانى منهم وكان من أهل العلم والدين ثم عجز عن ذلك وطلب ولاية ابنه عمر فولاه رجار وحمل أبا الحسين الى صقلية رهينة وأوصى ابنه عمر وقال يابنى أنا كبير السن وقد قرب أجلى فتى امكنتك الفرصة فى انقاذ المسلمين من ملكة العدو فافعل ولاتخش على واحسبنى قد مت فلما اختل أمر غليالم دعا عمر أهل صفاقس الى الثورة بالافرنج فثاروا بهم وقتلوهم سنة احدى وخمسين واتبعه أبو يحيى بن مطروح بطرابلس ومحمد بن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن الى بونة فملكها وذهب حكم الافرنج عن افريقية ماعدا المهدية وسوسة وارسل عمر الفريانى الى زويلة قريبا من المهدية يغريهم بالوثوب على الافرنج الذين معهم فوثبوا وأعانهم أهل ضاحيتهم وقاتلوا الافرنج بالمهدية وقطعوا الميرة عنهم وبلغ الخبر الى غليالم فبعث الى عمر الفريانى بصفاقس وأعذر اليه فى أبيه فأظهر للرسول جنازة ودفنها وقال هذا قد دفنته فلما رجع الرسول بذلك صلب أبا الحسين ومات شهيدا رحمه الله تعالى وسار أهل صفاقس والعرب الى زويلة واجتمعوا مع أهلها على حصار المهدية وأمدهم غليالم بالاقوات والاسلحة وصانعوا العرب بالمال على أن يخذلوا أصحابهم ثم خرجوا للقتال فانهزم العرب وركب أهل صفاقس البحر الى بلدهم أيضا واتبعهم الافرنج فعاجلوهم عن زويلة وقتلوهم ثم اقتحموا البلد فقتلوا مخلفهم بها

واستباحوهم

(ارتجاع عبد المؤمن المهدية من يد الافرنج)

ولما وقع بأهل زويلة من الافرنج ما وقع لحقوا بعبد المؤمن ملك المغرب يستصرخونه فأجاب صريخهم ووعدهم وأقاموا في نزله وكرامته وتجهز للمسير وتقدم الى ولاته وعماله بتحصيل الغلات وحفر الآبار ثم سار في مفرسة أربع وخمسين في مائة ألف مقاتل وفي مقدمته الحسن بن علي صاحب المهدية ونازل تونس منتصف السنة وبها صاحبها أحمد بن خراسان من بقية دولة صنهاجة وجاء أسطول عبد المؤمن فحاصرها من البحر ثم نزل اليه من سورها عشرة رجال من أعيانها في السلام مستأمنين لأهل البلد ولأنفسهم فأمنهم على مقاسمتهم في أموالهم وعلى أن يخرج اليه ابن خراسان فتم ذلك كله وسار منها الى المهدية وأسطوله يحاذيه في البحر ووصلها منتصف رجب من السنة وبها أولاد الملوك والزعماء من الافرنج وقد أخلوا زويلة وهي على علوة من المهدية فعمرها عبد المؤمن لوقتها وامتلأ فضاء المهدية بالعساكر وحاصرها أياما وصاف موضع القتال من البر لاستدارة البحر عليها لانها صورة يد في البحر ودراعها في البر وأحاط الاسطول بها في البحر وركب عبد المؤمن البحر في الشواني ومعه الحسن بن علي فرأى حصانتها في البحر وأخذ في المطاولة وجمع الاقوات حتى كانت في ساحة معسكره كالتلال وبعث اليه أهل صفاقس وطرابلس وجبال نفوسة بطاعتهم وبعث عسكرا الى قابس فملكها عنوة وبعث ابنه عبد الله ففتح كثيرا من البلاد ثم وفد عليه يحيى بن تميم بن المعز بن الرند صاحب نفصة في جماعة من أعيانها فبذل طاعته ووصله عبد المؤمن بألف دينار ولما كان آخر شعبان وصل أسطول صقلية في مائة وخمسين من الشواني غير الطرائد كان في جزيرة يابسة فافتتحها وبعث اليه صاحب صقلية يقصد المهدية فلما أشرفوا على المرسى قذفت اليهم أساطيل عبد المؤمن ووقف عسكره على جانب البر وعبد المؤمن ساجد يعفر وجهه بالتراب ويجأر بالدعاء فانهزم اسطول الافرنج وأقلعوا الى بلادهم وعاد اسطول المسلمين ظافرا ويئس أهل المهدية من الانجاد ثم صابروا الى آخر السنة حتى جهدهم الحصار ثم استأمنوا الى عبد المؤمن فعرض عليهم الاسلام فأبوا ولم يزالوا يخضعون له بالقول حتى أمنهم وأعطاهم السفن فركبوا فيها وكان فصل شتاء فهال عليهم البحر وغرقوا ولم يصل منهم الا الاقل ودخل عبد المؤمن المهدية في محرم سنة خمس وخمسين لثنتي عشرة سنة من ملك الافرنج وأقام بها عشرين يوما فأصلح أمورها وشحنها بالحامية والاقوات واستعمل عليها بعض أصحابه وأنزل معه الحسن بن علي وأقطعه بأرضها الدور ولاولاده وأمر الوالي أن يقتدي

برأيه ورجع الى المغرب والله أعلم

(حصار الافرنج أسد الدين شيركوه فى بلبيس)

كان أسد الدين شيركوه بن شادى عم صلاح الدين قد بعثه نور الدين العادل سنة تسع وخمسمائة منجدا لشاور وزير العاضد صاحب مصر على قريعه الضرغام كما سيأتى فى أخبارهم ان شاء الله تعالى وسار نور الدين من دمشق فى عساكره الى بلاد الافرنج ليشغلهم عن أسد الدين شيركوه وخرج ناصر الدين أخو الضرغام فى عساكر مصر فهزمه أسد الدين على تنيس واتبعه الى القاهرة ونزلها منتصف السنة وأعاد شاور الى الوزارة ونقض ما بينه وبين أسد الدين وتأخر الى تنيس وخشى منه ودس الى الافرنج يغريهم به ويبذل لهم المال فطمعوا بذلك فى ملك الديار المصرية وسار ملك القدس فى عساكر الافرنج واجتمعت معه عساكر المسلمين وساروا الى أسد الدين فحاصروه فى بلبيس ثلاثة ولم يظفروا منه بشئ ثم جاءهم الخبر بأن نور الدين العادل هزم أصحابهم على حارم وفتحها ثم سار الى بانياس فسقط فى أيديهم وطلبوا الصلح من أسد الدين ليعودوا الى بلادهم لذلك وخرج من بلبيس سائرا الى الشام ثم عاد الى مصر سنة ثنتين وستين وعبر النيل من اطفيح ونزل الجزيرة واستمد شاور الافرنج فساروا اليه بجموعهم وكان أسد الدين قد سار الى الصعيد وانتهى الى

فسار الافرنج والعساكر المصرية فى اثره فأدركوه منتصف السنة واستشار أصحابه فاتفقوا على القتال وأدركته عساكر الافرنج ومصر وهو على تعبيته وقد أقام مقامه فى القلب راشد حذرا من حملة الافرنج وانحاز فيمن يثق به من شجعان أصحابه الى الميمنة فحمل الافرنج على القلب فهزموهم واتبعوهم وخالفهم أسد الدين الى من تركوا وراءهم من العساكر فهزمهم وأثخن فيهم ورجع الافرنج من اتباع القلب فانهزموا وانهزم أصحابهم ولحقوا بمصر ولحق أسد الدين بالاسكندرية فملكها صلحا وأنزل بها صلاح الدين ابن أخيه وحاصرته عساكر الافرنج ومصر وزحف اليهم عمه أسد الدين من الصعيد فبعثوا اليه فى الصلح فأجابهم على خمسين ألف دينار يعطونها اياه ولا يقيم فى البلد أحد من الافرنج ولا يملكون منها شيأ فقبلوا ذلك وعادوا الى الشأم وملك أهل مصر الاسكندرية واستقر بينهم وبين الافرنج أن ينزلوا بالقاهرة شحنة وأن يكون أبوابها فى غلقها وفتحها بأيديهم وان لهم من خراج مصر مائة ألف دينار فى كل سنة وتم ذلك منه وعاد الافرنج الى بلادهم بالسواحل الشامية والله تعالى أعلم

(حصار الافرنج القاهرة)

ثم كان مسير أسد الدين الى مصر وقتله شاور سنة أربع وستين باستدعاء العاضد لما رأى
من تغلب الافرنج كما ذكرنا في أخبار أسد الدين وأرسل الى الافرنج أصحابهم الذين
بالقاهرة يستدعونهم لملكها ويهونونها عليهم وملك الافرنج يومئذ بالشام مري ولم
يكن ظهر فيهم مثله شجاعة ورأيا فأشار بأن جبايتها لنا خير من ملكها وقد يضطرون
فيملكون نور الدين منها وان ملكها قبله احتاج الى مصانعتنا فأبوا عليه وقالوا انما
نزداد بها قوة فرجع الى رأيهم وساروا جميعا الى مصر وانتهوا الى تنيس في صدر سنة
أربع وستين فملكوها عنوة واستباحوها ثم ساروا الى القاهرة وحاصروها وأمر
شاور باحراق مصر وانتقال أهلها الى القاهرة فنهبت المدينة ونهب أموال أهلها
ونقلهم قبل نزول الافرنج عليهم بيوم ولم تخمد النار مدة شهرين وبعث العاضد بالصريخ
الى نور الدين واشتد عليه الحصار ودس شاور الى ملك الافرنج يشير بالصلح على ألف
ألف دينار مصرية ويهدده بعساكر نور الدين فأجابوا الى ذلك ودفع اليهم مائة ألف
دينار وتأخروا قريبا حتى يصل اليهم بقية المال وعجز عن تحصيله والافرنج يستحثونه
فبعثوا خلال ذلك الى نور الدين يستمدونه على الافرنج بأن يرسل اليهم أسد الدين
شيركوه في عسكر يقيمون عندهم على أن لنور الدين ثلث بلاد مصر ولأسد الدين اقطاعه
وعطاء العساكر فاستدعى أسد الدين من حمص وكانت اقطاعه وأمره بالمسير الى مصر
وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الدواب والاسلحة وحكمه في العساكر والخزائن
وما يحتاج اليه وسار في ستة آلاف وأزاح علل جنده وأعانهم أسد الدين بعشرين
دينارا للكل فارس وبعث معه جماعة من الامراء منهم خرديك مولاه وعز الدين قلج
وشرف الدين برغش وعين الدولة الياروقي وقطب الدين ينال بن حسان وصلاح
الدين يوسف ابن أخيه أيوب وسار الى مصر فلما قاربها ارتحل الافرنج راجعين الى
بلادهم ودخل هو اليها منتصف السنة وخلع عليه العاضد وأجرى عليه وعلى عسكره
الجرايات الوافرة ثم شرع شاور في مماطلة أسد الدين بما وقع اتفاقهم معه عليه
وحدث نفسه بالقبض عليه واستخدام جنده لمدافعة الافرنج ولم يتم له ذلك وشعر به
أسد الدين فاعترضه صلاح الدين ابن أخيه وعز الدين خرديك مولاه عند قبر الامام
الشافعي رضي الله تعالى عنه وقتلاه وفوض العاضد أمور دولته الى أسد الدين
وتقاصر الافرنج عنها ومات أسد الدين واستولى صلاح الدين بعد ذلك على البلاد
وارتجع البلاد الاسلامية من يد الافرنج كما ذكر في أخبار دولته والله أعلم

(حصار الافرنج دمياط)

ولما ملك أسد الدين شيركوه مصر خشيه الافرنج على ما بأيديهم من مدن الشام

وسواحله وكاتبوا أهل ملتهم ونسبهم بصقلية وافرنسة يستنجدونهم على مصر ليملكوها وبعثوا الاقسة والرهبان من بيت المقدس يستنفرونهم لحمايتها وواعدوهم بدمياط طمعا فى أن يملكوها ويتخذوها ركابا للاستيلاء على مصر فاجتمعوا عليها وحاصروها لاول أيام صلاح الدين وأمدهم صلاح الدين بالعساكر والاموال وجاء بنفسه وبعث الى نور الدين يستنجده ويخوفه على مصر فتابع اليه الامداد وسار بنفسه الى بلاد الافرنج بالشأم واكتسحها وخربها فعاد الافرنج الى دمياط بعد حصار خمسين يوما نفس الله عليهم ومن هذه القصة بقية أخبار الافرنج متعلقة بالدولتين دولة بنى زنكى بالشأم ودولة بنى أيوب بمصر فأخرت بقية أخبارهم الى أن نسردها فى الدولتين على مواقعها فى مواضعها حسبما تراه ولم يبق الا استيلاؤهم على القسطنطينية من يد الروم فأوردناه ههنا

(استيلاء الافرنج على القسطنطينية)

كان هؤلاء الافرنج بعدما ملكوه من بلاد الشأم اختلفت أحوالهم فى الفتنة والمهادنة مع الروم بالقسطنطينية لاستيلائهم على الثغور من بلاد المسلمين التى تجاور الروم التى كانت بأيديهم من قبل وظاهرهم الروم على المسلمين فى بعض المرات ثم غلبوا عليهم آخرا وملكوا القسطنطينية من أيديهم فأقامت فى أيديهم مدة ثم ارتجعها الروم على يد شكرى من بطارقتهم وكيفية الخبر عن ذلك أن ملوك الروم أصهروا الى ملوك الافرنج وتزوجوا منهم بنتا الملك الروم فولدت ذكرا خاله الافرنسيس وثب عليه أخوه فانتزع الملك من يده وحبسه ولحق الولد بملك الافرنج خاله مستنصرا به فوصل اليه وقد تجهز الافرنج لاستنقاذ القدس من يد المسلمين وكان صلاح الدين قد ارتجعها منهم كما يأتى فى أخباره ان شاء الله تعالى وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دموس البنادقة وهو صاحب الاسطول الذى ركبوا فيه وكان شيخا أعمى لا يركب ولا يمشى الا بقائد ومقدم الفرنسيس ويسمى المركيش والثالث يسمى كبداقليد وهو أكثرهم عددا فجعل الملك ابن أخته معهم وأوصاهم بمظاهرته على ملكه بالقسطنطينية ووصلوا اليها فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة فخرج عم الصبى وقاتلهم واضرم شيعة الصبى النار فى نواحى البلاد فاضطرب العسكر ورجعوا وفتح شيعة الصبى باب المدينة وأدخلوا الافرنج وخرج عمه هاربا ونصب الافرنج الصبى فى الملك وأطلقوا أباه من السجن واستبدوا بالحكم وصادروا الناس وأخذوا مال البيع وما على الصلبان من الذهب وما على تماثيل المسيح والحواريين وما على الانجيل فعظم ذلك على الروم ووثبوا بالصبى فقتلوه وأخرجوا الافرنج من البلد وذلك منتصف سنة ستمائة وأقام الافرنج

بتظاهرها محاصرين لهم ويعث الروم صريخا الى صاحب قونية ركن الدين سليمان بن قليج ارسلان فلم ينهض لذلك وكان بالمدينة متخلفون من الافرنج يناهزون ثلاثين ألفا فثاروا بالمدينة عند شغل الروم بقتال أصحابهم وأضرموا النار ثانيا فاقتحم الافرنج وأجفلوا فى النهب والقتل ولجأ كثير من الروم الى الكنائس وأعظمها كنيسة سوفيا فلم تغن عنهم وخرج القسيسون والاساقفة فى أيديهم الانجيل والصلبان فقتلوهم ثم تنازع الملوك الثلاثة على الملك بها وتقارعوا فخرجت القرعة على كند افليد فملكها على أن يكون لدموس البنادقة الجزائر البحرية اقريطش ورودس وغيرهما ويكون لمركيش الافرنسيس شرقى الخليج ولم يحصل أحد منهم شيأ الا ملك القسطنطينية كند افليد وتغلب على شرقى الخليج بطريق من بطارقة الروم اسمه شكرى فلم يزل بيده الى أن مات ثم غلب بعد ذلك على القسطنطينية وملكها من يد الافرنج والله غالب على أمره

الخبر عن دولة بنى ارتق وملكهم لماردين وديار بكر ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان ارتق بن اكسك ويقال اكسب والاول أصح كلمة أولها همزة ثم كاف الاولى ساكنة بينهما سين من مماليك السلطان ملك شاه بن الب ارسلان ملك السلجوقية وله مقام محمود فى دولتهم وكان على حلوان وما اليها من أعمال العراق ولما بعث السلطان ملك شاه عساكره الى حصار الموصل مع عز الدولة بن جهير سنة سبع وسبعين وأربعمائة أردفه بعسكر آخر مع أرتق فهزمه مسلم بن قريش فحاصره بآمد ثم داخله فى الخروج من هذا الحصار على مال اشترطه وعبا الى الرقة ثم خشى ارتق من فعلته تلك فلحق بتتش حتى سار الى حلب طامعا فى ملكها فلقيه تتش وهزمه وكان لارتق فى تلك الواقعة المقام المحمود ثم سار تتش الى حلب وملكها واستجار مقدمها ابن الحسين بارتق وأجاره من السلطان تتش ثم هلك ارتق سنة ثلاث وتسعين بالقدس وملكه من بعد ارتق ابناه أبو الغازى وسقمان وكان لهما معه الرها وسروج ولما ملك الافرنج انطاكية سنة احدى وتسعين وأربعمائة اجتمعت الامراء بالشأم والجزيرة وديار بكر وحاصروها وكان لسقمان فى ذلك المقام المحمود ثم تخاذلوا وافترقوا وطمع أهل مصر فى ارتجاع القدس منهم وسار اليها الملك الافضل المستولى على دولتهم فحاصرها أربعين يوما وملكها بالامان وخرج سقمان وأبو الغازى ابنا ارتق وابن أخيهما ياقوتى وابن عمهما سونج وأحسن اليهم الافضل وولى على بيت المقدس ورجع الى مصر وجاء الافرنج فملكوها كما تقدم فى أخبار الدولة السلجوقية ولحق أبو الغازى بالعراق فولى شحنة بغداد وسار

سقمان الى الرها فأقام بها وكان بينه وبين كربوقا صاحب الموصل فتن وحروب أسر في بعضها ياقوتي ابن أخيه ثم توفي كربوقا سنة خمس وتسعين وولي الموصل بعده موسى التركماني وكان نائبا بحصن كيفا فزحف اليه جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وحاصره بالموصل واستنجد موسى سقمان على أن يعطيه حصن كيفا فأنجده وسار اليه وأفرج عنه جكرمس وخرج موسى للقاء سقمان فقتله مواليه غدرا ورجع سقمان الى حصن كيفا فملكه ثم كانت الفتنة بين أبي الغازي وكمستكين القيصري لما بعثه بركيارق شحنة على بغداد وكان هو شحنة من قبل السلطان محمد فمنع القيصري من الدخول واستنجد أخاه سقمان فجاء اليه من حصن كيفا في عساكره ونهب تكريت وخرج اليه أبو الغازي واجتمع معهم صدقة بن مزيد صاحب الحلة وعاثوا في نواحي بغداد وفتكوا بنفر من أهل البلد وبعث اليهم الخليفة في الصلح على أن يسير القيصري الى واسط فسار اليها ودخل أبو الغازي بغداد ورجع سقمان الى بلده وقد مر ذلك في أخبارهم ثم استولى مالك بن بهرام أخي سقمان على عانة الحرمية سنة سبع وتسعين وكان له مدينة سروج فملكها منه الافرنج وسار الى غانة فملكها من بني يعيش بن عيسى بن خلاط واستصرخوا بصدقة بن مزيد وارتجعها لهم منه وعاد الى الحلة فعاد مالك فملكها واستقرت في ملكه ثم اجتمع سقمان وجكرمس صاحب الموصل على جهاد الافرنج سنة سبع وتسعين وهم محاصرون حران فتركوا المنافسة بينهم وقصدوهم وسقمان في سبعة آلاف من التركمان فهزموا الافرنج وأسروا القمص بردويل صاحب الرها أسره أصحاب سقمان فتغلب عليهم أصحاب جكرمس وأخذوه وافترقوا بسبب ذلك وعادوا الى ما كان بينهم من الفتن والله أعلم

(استيلاء سقمان بن ارتق على ماردين)

كان هذا الحصن ماردين من ديار بكر وأقطعه السلطان بركيارق بجميع أعماله لمغن كان عنده وكان في ولاية الموصل وكان يجتمع اليه خلق كثير من الاكراد يفسدون السابلة واتفق ان كربوقا صاحب الموصل سار لحصار آمد وهي لبعض التركمان فاستنجد صاحبها بسقمان فسار لانجاده وقاتل كربوقا قتالا شديدا ثم هزمه وأسر ابن أخيه ياقوتي بن ارتق وحبسه بقلعة ماردين عند المغني فبقي محبوسا مدة طويلة وكثر شر الاكراد فبعث ياقوتي الى المغني صاحب الحصن في أن يطلقه ويقيم عنده بالربض لدفاع الاكراد ففعل وصار يغير عليهم في سائر النواحي الى خلاط وصار بعض أجناد القلعة يخرجون للاغارة معه فلا يحجبهم ثم حدثته نفسه بالتوثب على القلعة فقبض عليهم بعض الايام مرجعه من الاغارة ودنا من القلعة وعرضهم على القتل ان لم

بقصر اليه فقتلهما أهلوهم وملكها وجمع الجموع وسار الى نصيبين وأغار على جزيرة ابن
عمر وهي لجكرمش فكبسه جكرمش وأصحابه في الحرب بينهم فقتله وبكاه جكرمش
وكان تحت ياقوتي ابنة عمه سقمان فبعثت الى أبيها وجمعت التركمان وجاء سقمان ثم الى
نصيبين فترك طلب الثار فبعث اليه جكرمش ما أرضاه من المال في ديته ورجع وقدم
بماردين بعد ياقوتي أخوه علي بطاعة جكرمش وخرج منها لبعض المذاهب وكتب
نائبه بها الى عمه سقمان بأنه يملك ماردين لجكرمش فسار اليها سقمان وعوض عليا
ابن أخيه جبل جور وأقام ماردين في ملكه مع حصن كيفا واستضاف اليهما
نصيبين والله أعلم

(وفاة سقمان بن ارتق وولاية أخيه أبي الغازي مكانه بماردين)

ثم بعث فخر الدين بن عمار صاحب طرابلس يستنجد سقمان بن ارتق على الافرنج وكان
استبد بها على الخلفاء العلويين أهل مصر وحاربه الافرنج عندما ملكوا سواحل الشام
فبعث بالصريخ الى سقمان بن ارتق سنة ثمان وتسعين وأجابه وبينما هو يتجهز للمسير
وافاه كتاب طغركين صاحب دمشق المستبد بها من موالي بني تتش يستدعيه لحضور
وفاته خوفا على دمشق من الافرنج فأسرع المسير اليه معتزما على قصد طرابلس
وبعدها دمشق فانتهى الى القريتين وندم طغركين على استدعائه وجعل يدبر الرأي مع
أصحابه في صرفه ومات هو بالقدس فكفاهم الله أمره وقد كان أصحابه عندما أشفى على
الموت أشاروا عليه بالرجوع الى كيفا فامتنع وقال هذا جهاد وان مت كان لي ثواب
شهيد فلما مات حمله ابنه ابراهيم الى حصن كيفا فدفنه بها وكان أبو الغازي بن ارتق
شحنة بغداد كما قدمناه ولاه السلطان محمد أيام الفتنة بينه وبين أخيه بركيارق فلما اصطلح
بركيارق وأخوه سنة تسع وتسعين على أن تكون بغداد له وممالك أخرى من الممالك
الاسلامية ومن جملتها حلوان وهي اقطاع أبي الغازي فبادر وخطب لبركيارق ببغداد
فنكر عليه ذلك صدقة بن مزيد وكان من شيعة السلطان محمد فجاء الى بغداد ليزعج
أبا الغازي عنها ففارقها الى يعقوبا وبعث الى صدقة يعتذر بأنه صار في ولاية بركيارق
وبحكم الصلح في اقطاعه وولايته فلم يمكنه غير ذلك ومات بركيارق على اثر ذلك فخطب
أبو الغازي لابنه ملكشاه فنكر ذلك السلطان محمد منه فلما استولى على الامر عزله عن
شحنة بغداد فلحق بالشام وحمل رضوان بن تتش صاحب حلب على حصار نصيبين من
بلاد جكرمش فحاصروها وبعث جكرمش الى رضوان وأغراه بأبي الغازي ففسد
ما بينهما ورحلوا مفترقين على نصيبين وسار أبو الغازي الى ماردين وقد مات أخوه
سقمان كما قلناه فاستولى عليها والله تعالى أعلم

(اضطراب أبي الغازي في طاعته وأسره ثم خلاصه)

لما ولى السلطان محمد على الموصل والجزيرة وديار بكر سنة ثنتين وخمسمائة مودود بن افتكين مكان جاولي سكاو والذي ملكها من يد جكرمس كما مر في أخبارهم فوصل مودود الى الموصل وسار جاولي الى نصيبين وهي يومئذ لابي الغازي وراسله في المظاهرة والانجاد فوصل اليه بماردين على حين غفلة مستنجدا به فلم يسعه الا اسعافه وسار معه الى سنجار والرحبة وحاصرهما وشق عليه ما فلما نزل الخابور هرب أبو الغازي راجعا الى نصيبين ثم الى بلده وبقي مضطربا ثم بعث السلطان محمد سنة خمس وخمسمائة الى الامير مودود بالمسير الى قتال الافرنج وأن يسير الامراء معه من كل جهة مثل سقمان القطبي صاحب ديار بكر وأحمد بك صاحب مراغة وأبي الهيجاء صاحب اربل وأبي الغازي صاحب ماردين فحضروا كلهم الا أبا الغازي فانه بعث ولده ايازفي عسكر فسارت العساكر الى الرها وحاصروها وامتنعت عليهم ثم ساروا سنة ست وخمسمائة الى سروج كذلك ثم ساروا سنة سبع الى بلاد الافرنج فهزموهم على طبرية ودوخوا بلادهم وعاد مودود الى دمشق وافترقت العساكر ودخل دمشق ليشتي بها عند طغركين صاحبها فقتل غيلة بها واتهم طغركين في أمره وبعث السلطان مكانه على العساكر والموصل اقسنقر البرسقي وأمره بقصد الافرنج وقتالهم وكتب الى الامراء بطاعته وبعث ابنه الملك مسعودا في عسكر كثيف ليكون معه فسار اقسنقر سنة ثمان وخمسمائة وقد أبو الغازي وحاصره بماردين حتى استقام وبعث معه ابنه اياز في عسكر فحاصروا الرها وعاثوا في نواحيها ثم سروج وشمشاط وأطاعه صاحب مرعش وكيسوم ورجع فقبض على اياز بن أبي الغازي ونهب سواد ماردين فسار أبو الغازي من وقته الى ركن الدولة داود ابن أخيه سقمان وهو بحصن كيفا مستنجدا به فأنجده وساروا الى البرسقي آخر ثمان وخمسمائة فهزموهم وخلصوا ابنه اياز من الاسر وأرسل السلطان الى أبي الغازي يتهدده فلحق بطغركين صاحب دمشق صريخا وكان طغركين مستوحشا لاتهامه بأمر مودود فاتفقا على الاستنجاد وبعثا بذلك الى صاحب انطاكية فجاء اليهما قرب حمص وتحالفا وعاد الى انطاكية وسار أبو الغازي الى ديار بكر في خف من أصحابه فاعترضه قيرجان صاحب حمص فظفر به وأسره وبعث الى السلطان بخبره وأبطأ عليه وصول جوابه فيه وجاء طغركين الى حمص فدخل على قيرجان وألح عليه ... بقتل أبي الغازي ثم أطلقه قيرجان وأخذ عليه

وسار أبو الغازي الى حلب وبعث السلطان العساكر مع يوسف بن برسق صاحب همذان وغيره من الامراء لقتال أبي الغازي وقتال الافرنج بعده فساروا الى حلب

بياض بالاصل

وبها لؤلؤ الخادم مولى رضوان بن تتش كفل ابنه ألب أرسلان بعد موته ومعه مقدم العساكر شمس الخواص فطالبوهما بتسليم حلب بكتاب السلطان اليهما فى ذلك وبادر أبو الغازى وطغركين فدخلا اليهما وامتنعت عليهما فساروا الى حماة من أعمال طغركين وبها ذخائره فحصروها عنوة ونهبوها وسلموها الى الامير قيرجان صاحب حمص فأعطاهم ايار بن أبى الغازى وكان أبو الغازى وطغركين وشمس الخواص ساروا الى روجيل صاحب انطاكية يستنجدونه على حفظ حماة وجاءهم هنالك بغدوين صاحب القدس والقمص صاحب طرابلس وغيرهما واتفقوا على مطاولة العساكر لتمزق واعدهم يوم الشتاء واجتمعوا عند قلعة افامية فلم تبرح العساكر مكانها فافترقوا وعاد طغركين الى دمشق وأبو الغازى الى ماردين والافرنج الى بلادهم ثم كان اثر ذلك فتح كفرطاب على المسلمين واعتزموا على معاودة حلب فاعترضهم روجيل صاحب انطاكية وقد جاء فى خمسمائة فارس مددا للافرنج فى كفرطاب فانهزم المسلمون وكان تمحيصهم ورجع برسق أمير العساكر وأخوه منهزمين الى بلادهم وكان ايار بن أبى الغازى أسيرا عندهم فقتله الموكلون به يوم المعركة سنة تسع وخمسمائة والله تعالى أعلم

(استيلاء أبى الغازى على حلب)

كان رضوان بن تتش صاحب حلب لما توفى سنة سبع وخمسمائة قام بأمر دولته لؤلؤ الخادم ونصب ابنه ألب أرسلان فى ملكه ثم استوحش منه ونصب مكانه أخاه سلطان شاه واستبد عليه ثم سار لؤلؤ الخادم الى قلعة جعبر سنة احدى عشرة [illegible] بينه وبين مالك بن سالم بن مالك بن بدران فغدر به مماليك الاتراك وقتلوه عند خرت برت واستولوا على خزائنه واعترضهم أهل حلب واستنقذوا منهم ما أخذوه وولى شمس الخواص أتابك مكان لؤلؤ ثم عزل لشهر وولى أبو المعالى بن [illegible] الدمشقى ثم عزل وصودر واضطربت الدولة وخشى أهل حلب على بلدهم من الافرنج فاستدعوا أبا الغازى بن ارتق من ماردين وسار اليه البلد وانقرض ملك آل رضوان ابن تتش منها ولم يملكها بعد واحد منهم ولما ملكها لم يجد فيها الا قضاء وجماعة من الخدم وصانع الافرنج بمالهم ثم سار الى ماردين بنية العود الى حمايتها واستخلف عليها ابنه حسام الدين تمرتاش

(واقعة أبى الغازى مع الافرنج)

ولما استولى أبو الغازى على حلب وسار عنها طمع فيها الافرنج وساروا اليها فملكوا مراغة وغيرها من أعمالها وحاصروها فلم يكن لاهلها بد من مدافعتهم بقتال أو بمال

فقاسموهم

فقاسموهم أملاكهم التي بضاحيتها في سبيل المصانعة وبعثوا الى بغداد يستغيثون
فلم يغاثوا وجمع أبو الغازي من العساكر والمتطوعة نحوا من عشرين ألفا وسار بهم
الى الشام سنة ثلاث عشرة ومعه أسامة بن مبارك بن منقذ الكناني وطغان ارسلان
ابن اسكين بن جناح صاحب ارزن الروم ونزل الافرنج قريبا من حصون الاماري
في ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ونزلوا في تل عفرين حيث كان مقتل
مسلم بن قريش وتحصنوا بالجبال من كل جهة الا ثلاث مسارب فقصدهم أبو الغازي
ودخل عليهم من ثلاث المسارب وهم غارون فركبوا وصدقوا الحملة فلقوا عساكر المسلمين
متتابعة فولوا منهزمين وأخذهم السيف من كل جهة فلم يفلت الا القليل وأسر من
زعمائهم سبعون ففاداهم أهل حلب بثلثمائة ألف دينار وقتل سرجان صاحب
انطاكية ونجا فلهم من المعركة فاجتمع جماعة من الافرنج وعاودوا اللقاء فهزمهم
أبو الغازي وفتح حصن الاربات وزردنا وعاد الى حلب فأصلح أمورها وعبر الفرات
الى ماردين وولى على حلب ابنه سليمان ثم وصل دبيس بن صدقة الى أبي الغازي
مستجيرا به فكتب اليه المسترشد مع سرير الدولة بعد أبي الغازي بابعاد
دبيس ثم وقع بينه وبين السلطان محمود الاتفاق ورهن ولده على الطاعة ورجع وسار
أبو الغازي الى الافرنج عقب ذلك سنة أربع عشرة فقاتلهم بأعمال حلب وظفر بهم
ثم سار هو وطغركين صاحب دمشق فحاصروا الافرنج بالمسيرة وخشوا من استماتتهم
فأفرج لهم أبو الغازي حتى خرجوا من الحصن وكان لا يطيل المقام بدار الحرب
لان أكثر الغزاة معه التركمان يأتون بجراب دقيق وقديد شاة فيستعجل العود ان فنيت
أزوادهم والله أعلم

بياض بالاصل

(انتقاض سليمان بن أبي الغازي بحلب)

كان أبو الغازي قد ولى على حلب ابنه سليمان فحمله بطانته على الخلاف على أبيه وسار
اليه أبوه تلقاه ابنه سليمان بالمعاذير فأمسك عنه وقبض على بطانته الذين
داخلوه في ذلك وكان متولي كبرها أمير كان لقيطا لابيه ونشأ في بيته فسمله وقطع لسانه
وكان منهم آخر من أهل حماة قدمه أبو الغازي على أهل حلب فقطعه وسمله فمات
وأراد قتل ابنه ثم ثنته الشفقة عليه وهرب الى دمشق وشفع فيه طغركين فلم يشفعه
ثم استخلف على حلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين
وذلك سنة خمس عشرة ثم ابنه حسام الدين تمرتاش مع القاضي بهاء الدولة أبي الحسن
الشهرزوري شافعا في دبيس وضامنا في طاعته فلم يتم ذلك فلما انصرف تمرتاش الى أبيه
أقطع السلطان أباه أبا الغازي مدينة ميافارقين وكانت لسقمان القطبي صاحب

بياض بالاصل

بلادها فتسلمها أبو الغازي ولم تزل في يده الى أن ملكها صلاح الدين بن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة والله تعالى أعلم

(واقعة مالك بن بهرام مع جوسكين صاحب الرها)

قد تقدم لنا أن جوسكين من الافرنج كان صاحب الرها وسروج وأن مالك بن بهرام كان قد ملك مدينة غانة فسار سنة خمس عشرة الى الرها وحاصرها أياما فامتنعت عليه وسار جوسكين في اتباعه بعد أن جمع الافرنج وقد تفرق عن مالك أصحابه ولم يبق معه الا اربعمائة فلقوه في أرض رخوة قد نضب عنها الماء فوحلت فيها خيولهم ولم يقدروا على التخلص فظفر بهم أصحاب مالك وأسروهم وجعل جوسكين في اهاب جمل وخيط عليه وطلبوا منه تسليم الرها فلم يفعل وحبسه في خرت برت بعد أن بذل في فديته أموالا فلم يقبلوه والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(وفاة أبي الغازي وملك بنيه من بعده)

ثم توفي أبو الغازي بن ارتق صاحب ماردين في رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة فولي بعده بماردين ابنه حسام الدين تمرتاش وملك سليمان ميافارقين وكان بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار فاستولى عليها ثم سار مالك بن بهرام بن ارتق الى مدينة حران فحاصرها وملكها وبلغه ان سليمان ابن عمه عبد الجبار صاحب حلب قد عجز عن مدافعة الافرنج وأعطاهم حصن الاثاري فطمع في ملك بلاده وسار اليها في ربيع سنة ست عشرة وملكها من يده على الامان ثم سار سنة ثمان عشرة الى منبج وحاصرها وملك المدينة وحبس صاحبها حسان التغلبي وامتنع أهلها بالقلعة فحاصرها وسمع الافرنج بذلك فساروا اليه ليرحلوه عن القلعة من يحاصرها ونهض اليهم فهزمهم وأثخن فيهم وعاد الى منبج فحاصرها وأصابه بعض الايام سهم غرب فقتله واضطرب العسكر وافترقوا وخلص حسان من محبسه وكان تمرتاش بن أبي الغازي صاحب ماردين معه على منبج فلما قتل حمل شلوه الى حلب ودفنه بها واستولى عليها ثم استخلف عليها وعاد الى ماردين وجاء الافرنج الى مدينة صور فملكوها وطمعوا في غيرها من بلاد المسلمين ولحق بهم دبيس بن صدقة ناجيا من واقعته مع المسترشد فأطمعهم في ملك حلب وساروا معه فحاصروها وبنوا عليها المساكن وطال الحصار وقلت الأقوات واضطرب أهل البلد وظهر لهم العجز من صاحبهم ولم يكن في الوقت أظهر من البرسقي صاحب الموصل ولا أكثر قوة وجماعة فاستدعوه ليدافع عنهم ويملكوه وشرط عليهم أن يمكنوه من القلعة قبل وصوله فنزل فيها نوابه وسار فلما أشرف على الافرنج ارتحلوا عائدين الى

بلادهم وخرج أهل حلب فتلقوا البرسقي فدخل واستولى على حلب وأعمالها ولم تزل
بيده الى ان هلك وملكها ابنه عز الدين ثم هلك فولى السلطان محمود عليها اتابك زنكى
حسبما يأتى فى أخبار دولته ورجع تمرتاش الى ماردين واستقر ملكه بها وكان مستوليا
على كثير من قلاع ديار بكر ثم استولى سنة ثنتين وثلاثين على قلعة الساخ من ديار بكر
وكانت بيد بعض بنى مروان من بقايا ملوك الاولين وكان هذا آخرهم بهذه القلعة
وكان ملك ميافارقين قد سار لحسام الدين تمرتاش وملكها من يد أخيه سليمان ولم يزل
تمرتاش ملكا بماردين الى أن هلك سنة سبع وأربعين وخمسمائة لاحدى وثلاثين سنة
من ملكه والله تعالى ولى التوفيق

(وفاة تمرتاش وولاية ابنه البى بعده)

ثم توفى حسام الدين تمرتاش سنة سبع واربعين وخمسمائة كما قلناه فملك بعده ابنه بماردين
البى بن تمرتاش وبقى ملكا عليها الى أن مات وولى بعده ابنه أبو الغازى بن البى الى أن
مات ولم يذكر ابن الاثير تاريخ وفاتهما وقال مؤرخ حماة لم يقع الى تاريخ وفاتهما

(ولاية حسام الدين بولق ارسلان بن أبى الغازى بن البى)

ولما توفى أبو الغازى بن البى قام بأمر ملكه نظام الملك النقش ونصب للملك مكانه ابنه
بولق ارسلان طفلا واستبد عليه وكان النقش غالبا على هواه حيث صار أمر الطفل
فى يده ولم تزل حالهم على ذلك الى أن هلك حسام الدين فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة
على عهد بولق هذا وكاه ابن الاثير حسام الدين ناصر الملك قصد العادل أبو بكر
ابن أيوب ماردين وخشيت ملوك الجزيرة ولم يقدروا على منعه ثم توفى العزيز بن صلاح
الدين صاحب مصر وولى أخوه الافضل فاستنفر العادل أهل مصر ودمشق وأهل
سنجار وبعثهم مع ابنه الكامل وحاصروا ماردين فبعث اليه النقش المستولى على بولق
بالطاعة وتسليم القلعة لاجل معلوم على أن يدخل اليهم الاقوات ووضع العادل ابنه
على بابها أن لا يدخلها زائد على القوت فصانعوا الولد بالمال وشحنوها بالاقوات
وبينما هم فى ذلك جاء نور الدين صاحب الموصل لانجادهم وقاتلهم فانهزم عساكر
العادل وخرج أهل القلعة فأوقعوا بعسكر الكامل ابنه فرحلوا جميعا منهزمين ونزل
حسام الدين بولق الى نور الدين ولقيه وشكر وعاد ونزل نور الدين على دنيسر ثم رحل عنها
قاصدا حوران كما نذكره فى أخبار دولته ان شاء الله تعالى والله أعلم

(وفاة بولو وولاية أخيه ارتق)

ولما هلك بولو ارسلان نصب لؤلؤ الخادم بعده للملك أخاه الاصغر ناصر الدين ارتق

ارسلان بن قطب الدين أبى الغازى ولم يذكر ابن الاثير خبر وفاته أيضا وبقى ملكها فى كفالة النقش الى سنة احدى وستمائة والله أعلم

(مقتل النقش واستبداد ارتق المنصور واتصال الملك فى عقبه)

ثم استنكف ارتق من الحجر من النقش سنة احدى وستمائة فجاء ارتق لعيادته وقتل لؤلؤا الخادم فى بعض دوابيته ورجع الى النقش فقتله فى فراشه واستقل بملك ماردين وتلقب المنصور وتوفى سنة ست وثلاثين وستمائة وملك بعده ابنه السعيد نجم الدين غازى بن ارتق وتوفى سنة ثمان أو ثلاث وخمسين وملك بعده أخوه المظفر قرا ارسلان بن ارتق وأقام سنة أو بعضها ثم هلك سنة ثلاث وتسعين وستمائة وملك بعده أخوه المنصور نجم الدين غازى بن قرا ارسلان الى أن توفى سنة ثنتى عشرة وسبعمائة لاربع وخمسين سنة من ولايته وملك بعده ابنه المنصور أحمد الى أن توفى سنة تسع وستين لثلاث سنين من ولايته ثم ملك بعده ابنه الصالح محمود أربعة أشهر وخلعه عمه المظفر فخر الدين داود بن المنصور أحمد الى أن توفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وملك بعده ابنه مجد الدين عيسى وهو السلطان بماردين لهذا العهد والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده (ولما) ملك هلاكو بن طلوخان بن جنكزخان مدينة بغداد وأعمالها أعطاه المظفر قرا ارسلان طاعته وصحب له فى أعماله ولم يزالوا يدينون بطاعة بنيه الى أن هلك أبو سعيد ابن خربندا آخر ملوك التتر ببغداد سنة سبع وثلاثين فقطعوا الخطبة لهم واستبد أحمد المنصور منهم وهو الثانى عشر من لدن أبى الغازى جدهم الاول (وأما) داود بن سقمان فانه ملك حصن كيفا بعد سقمان ابيه وابراهيم أخيه ولم أقف على خبر وفاته (وملك بعده) ابنه فخر الدين قرا ارسلان بن داود وملك أكثر ديار بكر مع حصن كيفا وتوفى سنة ثنتين وستين وخمسمائة (وملك بعده) ابنه نور الدين محمد بعهده اليه بذلك وكانت بينه وبين صلاح الدين مواصلة ومظاهرة ظاهر صلاح الدين على الموصل على أن يظاهره على آمد فظاهره صلاح الدين وحاصرها من صاحبها ابن نيسان سنة تسع وسبعين وصارت من أعمال نور الدين كما ذكرنا فى دولة صلاح الدين ثم توفى نور الدين محمد سنة احدى وثمانين وخلف ولدين (الملك الاكبر) منهما قطب الدين سقمان وقام بتدبير دولته القوام ابن سماق الاسعردى وزير أبيه وكان عماد الدين أخو نور الدين هو المرشح للامارة الا أنه سار فى العساكر مددا لصلاح الدين على حصار الموصل فلما بلغه الخبر بوفاة أخيه سار الى البلد لصغر أولاد أخيه نور الدين فلم يظفر واستولى على حرت برت فانتزعها منهم وملكها وأورثها بنيه فلما أفرج صلاح الدين عن الموصل لقيه قطب الدين سقمان

وأقره على ملك أبيه بكيفا وأبقى بيده آمد التى كان ملكها لابيه وشرط عليه مراجعته
فى أحواله والوقوف عند أوامره وأقام أميرا من أصحاب ابنه قرا ارسلان اسمه
صلاح الدين فقام بأمور دولته واستقر ملكه بكيفا وآمد وما اليهما الى أن توفى
سنة سبع وتسعين وخمسمائة تردى من جوسق له بحصن كيفا فمات وكان
أخوه محمود مرشحا لمكانه الا أن قطب الدين سقمان كان شديد البغضاء له
وأشخصه الى حصن منصور من آخر عملهم واصطفى مملوكه اياسا وزوجه باخته
وجعله ولى عهده (ولما توفى) ملك بعده مملوكه وشخص أهل الدولة فدسوا الى محمود
فسار الى آمد وسبقه اياس اليها ليدافعه فلم يطق وملك محمود آمد واستولى على
البلد كلها وحبس اياسا الى أن أطلقه بشفاعة صاحب بلاد الروم ولحق به وانتظم فى
امرائه واستقل محمود بملك كيفا وآمد وأعمالهما ولقب ناصر الدين وكان ظالما
قبيح السيرة وكان ينتحل العلوم الفلسفية وتوفى سنة تسع عشرة وستمائة وولى مكانه
المسعود وحدثت بينه وبين الافضل بن عادل فتنة واستنجد عليه أخاه الكامل
فسار فى العساكر من مصر ومعه داود صاحب الكرك والمظفر صاحب حماة
فحاصروه بآمد الى أن نزل عنها وجاء الى الكامل فاعتقله فلم يزل عنده حبيسا الى أن
مات الكامل فذهب الى التتر فمات عندهم (وأما) عماد الدين بن قرا ارسلان
الذى ملك خرت برت من يد قطب الدين سقمان ابن أخيه نور الدين فلم تزل فى يده الى
أن توفى سنة احدى وستمائة لعشرين سنة من ملكه اياها (وملكها بعده) ابنه نظام
الدين أبو بكر وكانت بينه وبين ناصر الدين محمود ابن عمه نور الدين صاحب آمد
وكيفا عداوة ودخل محمود فى طاعة العادل بن أيوب وحضر مع ابنه الاشرف فى حصار
الموصل على أن يسير معه بعدها الى خرت برت فيملكها له وكان نظام الدين مستنجدا
　　　　الدين قليج ارسلان صاحب بلاد الروم فمات وسار الاشرف مع محمود بعساكره
وحاصروا خرت برت فى شعبان سنة احدى وستين وملكوا ربضها وبعثوا غياث الدين
صاحب الروم الى نظام الدين المدد بالعساكر مع الافضل بن صلاح الدين صاحب
سميساط فلما انتهوا الى ملطية أفرج الاشرف ومحمود عن خرت برت الى بعض حصون
نظام الدين بالعذراء بحيرة سمهنين وفتحت فى ذى الحجة سنة احدى وستين فلما وصل
الافضل بعساكر غياث الدين وصل الاشرف عن البحيرة راجعا جاء نظام الدين
بالعساكر الى الحصن فامتنع عليه وبقى لصاحب آمد ثم ملك كيقباد صاحب الروم
حصن خرت برت من أيديهم سنة احدى وثلاثين وانقرض منها ملك بنى سقمان والله
وارث الارض ومن عليها واليه يرجعون

بياض بالاصل

الظاهر عيسى بن المظفر داود بن الصالح صالح بن المنصور غازي بن المظفر قرا ارسلان بن المنصور ارتق ارسلان بن لولو ارسلان بن ابي الغازي بن البي بن تمرتاش بن ابي الغازي بن ارتق بن اكسك

الصالح عمر بن المنصور احمد

داود

السعيد غازي

سليمان

سليمان بن عبد الجبار

اسمعيل السلطان ملك شاه السلجوقي

ملك ماردين واسعد

سقمان ملك حصن كيفا

داود بن سقمان

ابراهيم

قرا ارسلان بن داود

قطب الدين سقمان

محمد بن قرا ارسلان

مسعود بن محمود بن محمد

عماد الدين ابو بكر

نظام الدين ابو بكر ملك خرت برت بعد ابيه

الخبر عن دولة بنى زنكى بن اقسنقر من موالى السلجوقية بالجزيرة والشأم ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم

قد تقدم لنا ذكر اقسنقر مولى السلطان ملك شاه وأنه كان يلقب قسيم الدولة وأن السلطان ملك شاه لما بعث الوزير فخر الدولة بن جهير سنة سبع وسبعين وأربعمائة بفتح ديار بكر من يد ابن مروان واستنجد ابن مروان صاحب الموصل شرف الدولة مسلم بن عقيل وهزمته العساكر وانحصر بآمد فبعث السلطان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير ليخالف شرف الدولة الى السلطان فلقيه فى الرحبة وأهدى له فرضى عنه ورده الى بلده الموصل واستولى بنو جهير بعد ذلك على ديار بكر كما مرّ فى موضعه من دولة بنى مروان ثم كان بعد ذلك شأن حلب واستبد بها أهلها بعد انقراض دولة بنى صالح بن مرداس الكلابى وطمع فيها شرف الدولة مسلم بن قريش وسليمان بن قطلمش صاحب بلاد الروم وتتش ابن السلطان الب ارسلان وقتل سليمان بن قطلمش مسلم ابن قريش ثم قتل تتش سليمان بن قطلمش وجاء الى حلب فملكها وامتنعت عليه القلعة فحاصرها وقد كانوا بعثوا الى السلطان ملك شاه واستدعوه لملكها فوصل اليهم سنة تسع وسبعين ورحل تتش عن القلعة ودخل البرية واستولى السلطان على حلب وولى عليها قسيم الدولة اقسنقر وعاد الى العراق فعمرها اقسنقر وأحسن السيرة فيها وسار معه تتش حين عهد له أخوه السلطان ملك شاه بفتح بلاد العلوية بمصر والشأم ففتح الكثير منها وهو معه كما مرّ وزحف قبل ذلك سنة ثمانين الى بنى منقذ بشيزر فحاصره وضيق عليه ثم رجع عنه عن صلح وأقام بحلب ولم يزل واليا عليها الى أن هلك السلطان سنة خمس وثمانين واختلف ولده من بعده وكان أخوه تتش قد استولى على الشأم منذ سنة احدى وسبعين فلما هلك أخوه طمع فى ملك السلجوقية من بعده فجمع العساكر وسار لاقتضاء الطاعة من الامراء معه بالشأم وقصد حلب فأطاعه قسيم الدولة اقسنقر وحمل باغيسيان صاحب انطاكية وتبران صاحب الرها وحران على طاعته حتى يظهر مآل الامر فى ولد سيدهم ملك شاه وساروا مع تتش الى الرحبة فملكها وخطب لنفسه فيها ثم الى نصيبين ففتحها عنوة ثم الى الموصل فهزم صاحبها ابراهيم بن قريش بن بدران وتولى كبر هزيمته اقسنقر وقتل قريش بن ابراهيم وملك الموصل من يده وولى تتش عليها ابن عمته على بن مسلم بن قريش وسار الى ديار بكر فملكها ثم الى اذربيجان وكان بركيارق ابن ملك شاه قد استولى على الرى وهمذان وكثير من البلاد فسار لمدافعته وجنح قسيم الدولة اقسنقر وبوزان صاحب الرها الى بركيارق ابن سيدهم فلحقوا به وتركوا تتش فانقلب عائدا الى الشأم ساخطا على اقسنقر وبوزان ما فعلوه فجمع العساكر

وسار الى حلب سنة سبع وثمانين لقتال قسيم الدولة وأمده بركيارق بالأمير كربوقا في العساكر فبرزوا الى لقائهم والتقوا على ست فراسخ من حلب ونزع بعض عساكر آقسنقر الى تتش فانتقض مصافه وتمت الهزيمة عليه وجيء به أسيرا الى تتش فقتله صبرا ولحق كربوقا وبوزان بحلب وتبعهما فحاصرهما وملكها وأخذهما أسيرين كما مر في أخبار الدولة وكان قسيم الدولة حسن السياسة كثير العدل وكانت بلاده آمنة ولما مات نشأ ولده في ظل الدولة السلجوقية وكان أكبرهم زنكي ومشأهم موفقا بصير النجابة ولما ولي كربوقا الموصل من قبل بركيارق أيام الفتنة بين بركيارق وأخيه محمد كان زنكي في جملته لأنه كان صاحب أبيه وسار كربوقا أيام ولايته لحصار آمد وصاحبها يومئذ بعض أمراء التركمان وأنجده سقمان بن ارتق وكان زنكي بن آقسنقر يومئذ صبيا وهو في جملة رجال كربوقا ومعه جماعة من أصحاب أبيه فخلا في تلك الحرب وانهزم سقمان وظهر كربوقا وفي هذه الحرب أسر ياقوتي ابن ارتق وحبسه كربوقا بقلعة ماردين فكان ذلك سببا لملك بني ارتق فيها كما مر في أخبار دولتهم ثم تتابعت الولاة على الموصل فوليها جكرمش بعد كربوقا وبعده جاولي سكاوو وبعده مودود بن ايتكين وبعده آقسنقر البرسقي كما تقدم في أخبار السلجوقية وولاه السلطان محمد بن ملكشاه سنة ثمان وخمسين وبعث معه ابنه مسعودا وكتب الى سائر الأمراء هنالك بطاعته ومنهم يومئذ عماد الدين زنكي بن آقسنقر فاختص به ولما ملك السلطان محمود بعد أبيه محمد سنة احدى عشرة كان أخوه مسعود بالموصل كما تقدم أتابكه جيوش بك ونقل البرسقي من الموصل الى شحنة بغداد وانتقض دبيس ابن صدقة صاحب الحلة على المسترشد والسلطان محمود وجمع البرسقي العساكر وقصد الحلة فكاتب دبيس السلطان مسعودا وأتابكه جيوش بك بالموصل وأغراهما بالمسير الى بغداد فساروا لذلك مع السلطان مسعود ووزيره فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس وزنكي بن قسيم الدولة آقسنقر وجماعة من أمراء الجزيرة ووصلوا الى بغداد وصالحهم البرسقي وسار معهم ودخل مسعود الى بغداد وجاء منكبرس الى بغداد ونزع اليه دبيس بن صدقة ووقعت الحرب بينهما على بغداد كما تقدم في أخبار الدولة وأقام منكبرس ببغداد ثم كان له في خدمة السلطان محمود عند حربه مع أخيه مسعود مقامات جليلة وغلب السلطان أخاه مسعودا وأخذ عنده واستنزل أتابكه جيوش بك من الموصل وأعاد اليها البرسقي سنة خمس عشرة فعاد زنكي الى الاختصاص به كما مر ثم أضاف اليه السلطان محمود شحنة بغداد وولاية واسط مضافة الى ولاية الموصل سنة ست عشرة وولى عليها عماد الدين زنكي فحسن أثره في ولايتها ولما كانت الحرب بين دبيس بن صدقة وبين الخليفة المسترشد وبرز المسترشد لقتاله من بغداد وحضر البرسقي من الموصل وعماد الدين زنكي فانهزم دبيس عماد الدين في ذلك المقام ثم

ذهب دبيس الى البصرة وجمع المنتفق من بني عقيل فدخلوا البصرة ونهبوها وقتلوا أميرها وبعث المسترشد الى البرسقي فعذله في اهماله أمر دبيس حتى فعل في البصرة مافعل فبادر الى نصره وهرب دبيس واستولى على البصرة وولى عليها عماد الدين زنكي بن اقسنقر فأحسن حمايتها والدفاع عنها وكبس العرب في حللهم بضواحيها وأجفلوا ثم عزل البرسقي سنة ثمان عشرة عن شحنة بغداد وعاد الى الموصل فاستدعى عماد الدين زنكي من البصرة فضجر من ذلك وقال كل يوم للموصل جديد يستجدنا وسار الى السلطان ليكون في جملته فلما قدم عليه باصبهان أقطعه البصرة وأعاده عليها من قبله ثم ملك البرسقي مدينة حلب سنة ثمان عشرة وقتل بها سنة تسع عشرة وكان ابنه عز الدين مسعود بحلب فبادر الى الموصل وأقام ملك أبيه بها ووقع الخلاف بين المسترشد والسلطان محمود وبعث الخليفة عفيفا الخادم الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان محمود فسار اليه عماد الدين زنكي من البصرة وقاتله فهزمه ونجى عفيف الى المسترشد وأقام عماد الدين في واسط وأمره أن يحضر بالعساكر في السفن وفي البر فجمع السفن من البصرة وشحنها بالمقاتلة شاكي السلاح وأصعد في البر وقدم على السلطان وقد تسلحت العساكر فهاله منظرهم ووهن المسترشد لما رأى فأجابه الى الصلح

(ولاية زنكي شحنة بغداد والعراق)

ولما ظهر من عماد الدين زنكي من الكفاءة والغناء في ولاية البصرة وواسط ما ظهر ثم كان له المقام المحمود مع السلطان محمود على بغداد كما مر ولاه شحنة بغداد والعراق لما رأى انه يستقيم اليه في أمور الخليفة بعد أن شاور أصحابه فأشاروا به وذلك سنة احدى وعشرين وسار عن بغداد بعد ان ولاه على كرسي ملكه باصبهان والله تعالى أعلم

(ولاية عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها)

قد قدمنا ان عز الدين مسعود بن البرسقي لما قتل الباطنية أباه بالموصل وكان نائبه بحلب فبادر الى الموصل وضبط أمورها وخاطب السلطان محمود افولاه مكان أبيه وكان شجاعا عارما فطمع في ملك الشأم فسار وبدأ بالرحبة فحاصرها حتى استأمن اليه أهل القلعة وطرقه مرض فمات وتفرقت عساكره ونهب بعضهم بعضا حتى شغلوا عن دفنه وكان جاولي مولى أبيه مقدم العساكر عنده فنصب مكانه أخاه الأصغر وكاتب السلطان في تقرير ولايته وأرسل في ذلك الحاجب صلاح الدين محمد الباغيسياني والقاضي أبا الحسن علي بن القاسم الشهرزوري فأوصى صلاح الدين

نصير جقر نائبه وكان شيعة لعماد الدين زنكي فخوف الحاجب وحذره
مغبة المنعه وأشار عليه وعلى القاضي بطلب عماد الدين زنكي وضمن لهما عنه
الولايات والاقطاع وركب القاضي مع الحاجب الى الوزير شرف الدين أنوشروان
ابن خالد وذكرا له حال الجزيرة والشام واستيلاء الافرنج على أكثرها من ماردين
الى العريش وأنها تحتاج الى من يكف طغيانهم وان ابن البرسقي المنصوب بالموصل
صغير لا يقوى على مدافعتهم وحماية البلاد منهم ونحن قد خرجنا عن العهدة وأنهينا
الامر اليكم فرفع الوزير قولهما الى السلطان فشكرهما واستدعاهما واستشارهما
فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة وأدرجا فيهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه مالا جزيلا
لخزانة السلطان فأجابهما اليه لما يعلم من كفايته وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها
وشافهه بالولاية وسار الى ولايته فبدأ بالبوازيج وملكها ثم سار الى الموصل وخرج
جاولي والعساكر للقائه ودخل الموصل في رمضان سنة احدى وعشرين وبعث جاولي
واليا على الرحبة وولى على القلعة نصير الدين جقر وولى على حجابته صلاح الدين
الياغيسياني وعلى القضاء ببلاده جميعا بهاء الدين الشهرزوري وزاد في اقطاعه وكان
لا يصدر الا عن رأيه ثم خرج الى جزيرة ابن عمر وبها مماليك البرسقي فامتنعوا عليه
فحاصرهم وكان بينه وبين البلد دجلة فعبرها وبين دجلة والبلد فسيح من الارض
غير دجلة وقاتلهم في ذلك الفسيح وهزمهم فتحصنوا بالاسوار ثم استأمنوا اليه فدخل
البلد وملكه وسار لنصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش بن أبي الغازي صاحب
ماردين فاستنجد عليه ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب كيفا فوعده بالنجدة
وبعث حسام الدين بذلك الى أهل نصيبين يأمرهم بالمصابرة عشرين يوما الى حين
وصوله فسقط في أيديهم لعجزهم عن ذلك واستأمنوا لعماد الدين فأمنهم وملكها
وسار منها الى سنجار فامتنعوا عليه أولا ثم استأمنوا وملكها وبعث منها الى الخابور فملك
جميعه ثم سار الى حران وكانت الرها وسروج والبيرة في جوارها للافرنج وكانوا منهم
في ضيقة فبادر أهل حران الى طاعته وأرسل الى جوسلين وهادنه حتى يتفرغ له
فاستقر بينهما الصلح والله تعالى أعلم

(استيلاء الاتابك زنكي على مدينة حلب)

كان البرسقي قد ملك حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلف عليها ابنه مسعودا ثم قتلت
الباطنية البرسقي بالموصل فبادر ابنه مسعود الى الموصل واستخلف على حلب الامير
قزمان ثم عزله وبعث بولايتها الى الامير قطلغ آبه فمنعه قزمان وقال بيني وبينه علامة
لم أرها في التوقيع فرجع الى مسعود فوجده قد   الرحبة فعاد الى حلب

مسرعا ومال اليه أهل البلد ورئيسهم اسماعيل بن ربيع وأدخلوه وملكوه واستنزلوا قرمان من القلعة وأعطوه ألف دينار وبلغوه مأمنه وملك قطلغ القلعة والبلد منتصف احدى وعشرين ثم ساءت سيرته وفحش ظلمه واشتمل على الاشرار فاستوحش الناس منه وثاروا به في عيد الفطر من السنة وقبضوا على أصحابه وولوا عليهم بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذي كان ملكها من قبل وحاصروا قطلغ بالقلعة ووصل حسان صاحب منبج وحسن صاحب مراغة لاصلاح الامر فلم يتم وزحف جوسكين صاحب الرها من الافرنج الى حلب فصانعوه بالمال ورجع فزحف صاحب انطاكية وحاصر البلد وهم يحاصرون القلعة الى منتصف ذى القعدة من آخر السنة وانتهى عماد الدين زنكى الى صاحب حران كما ذكرناه فبعث الى أهل حلب أميرين من أصحابه بتوقيع السلطان له بالموصل والجزيرة والشأم فبادروا الى الطاعة وسار اليه بدر الدولة ابن عبد الجبار وقطلغ آبه وأقام أحد الاميرين بحلب ولما وصلا الى عماد الدين أصلح بينهما وأقاما عنده وبعث الحاجب صلاح الدين محمدا الباغيسانى فى عسكر اليها فملك القلعة ورتب الامور وولى ثم وصل عماد الدين بعده فى محرم سنة ثنتين وعشرين وملك فى طريقه منبج من يد حسان ومراغة من يد حسن وتلقاه أهل حلب فاستولى وأقطع أعمالها للامراء والاجناد ثم قبض على قطلغ آبه وأسلمه الى ابن بديع فكحله ومات واستوحش ابن بديع فلحق بقلعة جعفر مستنجدا بصاحبها وأقام عماد الدين مكانه فى رياسة حلب على بن عبد الرزاق وعاد الى الموصل والله أعلم

(استيلاء الاتابك زنكى على مدينة حماة)

ثم سار عماد الدين زنكى لجهاد الافرنج وعبر الفرات الى الشأم واستنجد تاج الملوك بورى بن طغركين صاحب دمشق فأنجده بعد التوثق باستحلافه وبعث عسكر دمشق الى ابنه سونج وأمره بالمسير الى زنكى فلما وصلوا اليه أكرمهم ثم غدر بهم بعد أيام وقبض على سونج والامراء الذين معه فاعتقلهم بحلب ونهب خيامهم وبادر الى حماة وهى خلو من الحامية فملكها وسار عنها الى حمص وصاحبها قيرجان بن قراجا معه فى عساكره وهو الذى أشار بحبس سونج وأصحابه فقبض عليه يظن أهل حمص يسلمون بلادهم اليه فامتنعوا وبعث اليهم قيرجان بذلك فلحق اليها فحاصرها مدة وامتنعت عليه فعاد الى الموصل ومعه سونج بن بورى والله أعلم

(فتح عماد الدين حصن الاثارب وهزيمة الافرنج) (١)

ولما عاد عماد الدين الى الموصل أراح عساكره أياما ثم تجهز سنة أربع وعشرين الى الغزو

وعاد الى الشام تقصد حلب واعتزم على قصد حصن الاثارب وهو على ثلاثة فراسخ من حلب وكان الافرنج الذين به قد ضيقوا على حلب فسار اليه وحاصره وجاء الافرنج من انطاكية لدفعه وامتنعوا بقلعتهم وترك الحصن وسار اليهم واستمات المسلمون فانهزم الافرنج وأسر كثير من زعمائهم وقتل كثير حتى بقيت عظامهم ماثلة بذلك الموضع أكثر من ستين سنة ثم عاد الى حصن الاثارب فملكه عنوة وخربه وقسم جميع من فيه بين القتل والاسر وسار الى قلعة حارم (١) قرب انطاكية وهي للافرنج فحاصرها حتى صالحوه على نصف خراجها فرجع عنها وملك الافرنج دهشة من استبداد المسلمين به وذهب ما كان عندهم من الطمع

●(واقعة عماد الدين مع بني ارتق)●

ولما فرغ عماد الدين من غزو الافرنج وفتح الاثارب وقلعة حارم عاد الى الجزيرة وحاصر مدينة سرخس وهي لصاحب ماردين بين نهاوين ونصيبين فاجتمع حسام الدين صاحب ماردين وركن الدولة صاحب آمد وهما الى الغازى صاحب ماردين بن حسام الدين تمرتاش بن أبي الغازى وصاحب كيفا ركن الدولة داود بن سقمان وتمرتاش بن ارتق وجمعوا من التركمان نحوا من عشرين ألفا وساروا والمداخلة زنكى فهزمهم وملك سرخس وسار ركن الدولة الى جزيرة ابن عمر ليهبها فاتبعه عماد الدين فرجع الى بلده فعاد عنه لضيق مسالكه وملك من قلاعه همرد ورجع الى الموصل الى آخره

●(حصول دبيس بن صدقة في أسر الاتابك زنكى)●

قد تقدم لنا أن دبيس بن صدقة لما فارق البصرة سار الى سرخد من قلاع الشام سنة خمس وعشرين باستدعاء الجارية التي خلفها الخصى هنالك ليتزوج بها وأنه مر في الغوطة بحي من أحياء كلب فأسروه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق وبلغ الخبر الى الاتابك زنكى وكان عدوا له فبعث فيه الى تاج الملوك بورى وفادى من ابنه سونج والامراء الذين معه عنده فأطلقهم وبعث بورى اليه بدبيس وهو مستيقن الهلاك فلما وصله أكرمه وأحسن اليه وأزاح علله وبعث المسترشد فيه الى بورى ابن طغركين صاحب دمشق فوجده قد فات تسليمه الى زنكى فقدم الرسل زنكى فيما فعله فأرصد لهم في طريقهم وسبقوا اليه وهم سديد الدولة بن الانبارى وأبو بكر ابن بشر الجزرى فحبسهما حتى شفع فيهما المسترشد وبقى دبيس عنده حتى انحدر معه الى العراق

●(مسير الاتابك زنكى الى العراق ولمظاهرة السلطان مسعود وانهزامه)●

ولما توفى السلطان محمود سنة خمس وعشرين واختلف ولده داود وأخوه مسعود وسار داود الى مسعود وحاصره بتبريز فى محرم سنة ست وعشرين ثم صالحه وخرج مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار الى همذان وبعث يطلب الخطبة من المسترشد فنعه وكتب الى الاتابك عماد الدين زنكى يستنجده وسار الى بغداد فحاصرها وكان قد سبق اليها أخوه سلجوق شاه صاحب فارس وخوزستان مع أتابك قراجا الساقى فى عسكر كثير وأنزله المسترشد بدار السلطان فلما جاء مسعود ونزل عباسة وبرز عسكر المسترشد وعسكر سلجوق شاه وقراجا الساقى لمحاربة مسعود فأتاهم الخبر بوصول عماد الدين زنكى من ورائهم وأنه وصل الى المعشوب فرجع قراجا الساقى الى محاربته وسار سلجوق شاه بالعساكر الى محاربة أخيه مسعود وأغذ قراجا السير وصبح عماد الدين بعد يوم وليلة على المعشوب وقاتله وهزمه وأسر كثيرا من أصحابه وسار زنكى منهزما الى تكريت والنائب بها نجم الدين أيوب بن شادى والد السلطان صلاح الدين فأقام زنكى وعبر دجلة وسار الى بلده. وبلغ مسعود خبر الهزيمة فتأخر ثم اصطلح مع الخليفة على أن يكون العراق له والسلطنة لمسعود وولاية العهد لسلجوق شاه وذلك منتصف سنة ست وعشرين

(مسير الاتابك عماد الدين الى بغداد بابنه وانهزامه)

قد قدمنا ما كان بعد وفاة السلطان محمود من الخلاف بين ابنه داود وأخويه مسعود وسلجوق شاه ثم استقر مسعود فى السلطنة وصلحه مع أخيه سلجوق على أن يكون ولى عهده ثم ان السلطان سنجر سار من خراسان يطلب السلطنة لطغرل ابن أخيه السلطان محمود وكان عنده مقيما فبلغ همذان وخرج السلطان مسعود وسلجوق شاه للقائه وسار واستبطئين ينتظرون لحاق المسترشد بهم وخرج المسترشد الى لقائه فجاءته الاخبار بوصول الاتابك زنكى ودبيس بن صدقة الى بغداد وذكر دبيس ان السلطان سنجر أقطعه الحلة وبعث يسترضى فلم يشفعه وذكر الاتابك زنكى ان السلطان سنجر ولاه شحنة بغداد واستمر السلطان مسعود وأخوه سلجوق على المسير للقاء سنجر وكانت الهزيمة على مسعود كما مر فعاد المسترشد الى بغداد ونزل العباسية من الجانب الغربى ولقى الاتابك زنكى ودبيس على حصن البرامكة فهزمهما آخر رجب سنة ست وعشرين ولحق الاتابك بالموصل

(واقعة الافرنج على أهل حلب)

وفى غيبة الاتابك زنكى سار ملك الافرنج من القدس الى حلب فخرج نائبها من الاتابك زنكى وهو الامير اسوار وجمع التركمان مع عساكره وقاتل الافرنج عند

قنسرين وصارهم وخلص الله المسلمين وانهزموا الى حلب وسار ملك الافرنج في أعمال حلب طاهرا ثم سار بعض الافرنج من الرها للغارة في أعمال حلب فخرج اليهم الامير اسوار ومعه حسان البعلي الذي كان صاحب منبج فأوقعوا بهم واستلحموهم وأسروا من بقي منهم وعادوا ظافرين

(حصار المسترشد الموصل)

ولما وقع ما قدمناه من وصول زنكي الى بغداد وانهزامه أمام المسترشد حقد عليه المسترشد ذلك وأقام يتربص ثم كثر الخلاف بين سلاطين السلجوقية واعتزلهم جماعة من أمرائهم فرارا من الفتنة ولحقوا بالخليفة وأقاموا في طلبه وأراد الخليفة المسترشد أن يتصفيهم من الاتابك زنكي فقدم اليه بهاء الدين أبا الفتوح الاسفرايني الواعظ وحمله عتابا أغلظ فيه وزاده الواعظ غلظة حفظا على ناموس الخلافة في معتقده فامتعض الاتابك لما شافهه به وأهانه وحبسه وأرسل المسترشد الى السلطان مسعود على قصد الموصل وحاصرها لما وقع من زنكي ثم سار في شعبان سنة سبع وعشرين الى الموصل في ثلاثين ألف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها الاتابك زنكي الى سنجار وترك نائبه بها نصر الدين جقري وجاء المسترشد فحاصرها والاتابك زنكي قد قطع الميرة عن معسكره فتعذرت الاقوات وضاقت عليهم الاحوال وأرادت جماعة من أهل البلد الوثوب بها وسعى بهم فأخذوا وصلبوا ودام الحصار ثلاثة أشهر وامتنعت عليه فأفرج عنها وعاد الى بغداد وقيل ان مطرا الخادم جاءه من بغداد وأخبره أن السلطان مسعودا عازم على قصد العراق فعاد مسرعا

(ارتجاع صاحب دمشق مدينة حماة)

قد كنا قدمنا أن الاتابك زنكي تغلب على حماة من يد تاج الملوك بوري بن طغركين صاحب دمشق سنة ثلاث وعشرين وأقامت في ملكه أربع سنين وتوفي تاج الملوك بوري في رجب سنة ست وعشرين وولي بعده ابنه شمس الملوك اسمعيل وملك بانياس من الافرنج في صفر سنة سبع وعشرين ثم بلغه أن المسترشد بالله حاصر الموصل فسار هو الى حماة وحاصرها وقاتلها يوم الفطر ويومين بعده فملكها عنوة واستأمنوا فأمنهم ثم حصر الوالي ومن معه بالقلعة فاستأمنوا أيضا واستولى على ما فيها من الذخائر والسلاح وسار منها الى قلعة شيزر فحاصرها ابن منقذ فحمل اليه مالا صانعه به وعاد الى دمشق في ذي الحجة من السنة

(حصار الاتابك زنكى قلعة آمد واستيلاؤه على قلعة النسور ثم حصار قلاع الحميدية)

وفى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة اجتمع الاتابك زنكى صاحب الموصل وصاحب ماردين على حصار آمد واستنجد صاحبها بداود بن سقمان صاحب كيفا فجمع العساكر وسار اليهما ليدافعهما عنه وقاتلاه فهزماه وقتل كثير من عسكره وأطالا حصار آمد وقطعا شجرها وكرومها وامتنعت عليهما فرحلا عنها وسار زنكى الى قلعة النسور من ديار بكر فحاصرها وملكها منتصف رجب من السنة ووفد عليه ضياء الدين أبو سعيد ابن الكفرتوثى فاستوزره الاتابك وكان حسن الطريقة عظيم الرياسة والكفاية محببا فى الجند وتوفى سنة ست وثلاثين بعدها ثم استولى الاتابك على سائر قلاع الاكراد الحميدية مثل قلعة العقر وقلعة سوس وغيرهما وكان لما ملك الموصل أمر صاحب هذه القلاع الامير عيسى الحميرى على ولايتها فلما حاصر المسترشد الموصل قام فى خدمته أحسن القيام وجمع له الاكراد فلما عاد المسترشد الى بغداد من قتال الاتابك زنكى حاصر قلاعهم وحاصرتها العساكر وقاتلوها قتالا شديدا حتى ملكوها فى هذه السنة ورفع الله شرهم عن أهل السواد المجاورين لهم فقد كانوا منهم فى ضيقة من كثرة عيثهم فى البلاد وتخريبهم والله تعالى أعلم

(استيلاء الاتابك على قلاع الهكارية وقلعة كواشى)

حدث ابن الاثير عن الجنيبى أن الاتابك زنكى لما ملك قلاع الحميدية وأجلاهم عنها خاف أبو الهيجاء من عبد الله على قلعة أشب والجزيرة وكواشى فاستأمن الاتابك واستحلفه وحمل له مالا ثم وفد عليه بالموصل بعد أن اخرج ابنه أحمد من أشب خشية أن يغلب عليها وأعطاه قلعة كواشى وولى على أشب رجلا من الكرد واسمه باد الارمنى وابنه أحمد هذا هو أبو على بن أحمد المشطوب من أمراء السلطان صلاح الدين ولما مات أبو الهيجاء واسمه موسى وسار أحمد الى أشب ليملكها فامتنع عليه باد وأراد حفظها لعلى الصغير من بنى أبى الهيجاء فسار الاتابك زنكى فى عساكره ونزل على اشب وبرز أهلها لقتاله واستجرهم حتى أبعدوا ثم كرّ عليهم فأفناهم قتلا وأسرا وملك القلعة فى الحال وسيق اليه باد فى جماعة من مقدمى الاكراد وقتلهم وعاد الى الموصل ثم سار غازيا فى بعض مذاهبه فبعث نائبه نصر الدين جقرى عسكرا وخلى كنجا ورتبى قلعة العمادية وحاصروا قلعة الشعبانى وفرح وكواشى والزعفرانى والنى وسرق وسفروه وهى حصون الهكارية فحصرها وملكها جميعا واستقام أمر الجبل والزوزان

وأمنت الرعية من الاكراد وأما باقي قلاع الهكارية وهي جبل وصور وهرور والملايسي وبامرما ومارماوباكرا ونشرفان فراحا صاحب العمادية فتحهما بعد قتل زنكي عدة طويلة كان أميرا على تلك الحصون الهكارية من قبل زين الدين علي على ما قال ابن الاثير ولم أعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرتهما قال وحدثني بخلاف هذا الحديث بعض فضلاء الاكراد أن أتابكر زنكي لما فتح قلعة اشب وجرساني قلعة العمادية ولم يبق في الهكارية الا صاحب جبل صورا وصاحب هرور لم يكن لهما شوكة يخشى منهما ثم عاد الى الموصل وخانه أهل القلاع الجبلية ثم توفي عبدالله بن عيسى ابن ابراهيم صاحب الربية والنفي وفرح وملكها بعده ابنه علي وكانت أمه خديجة ابنة الحسن أخت ابراهيم وعيسى وهما من الامراء مع زنكي بالموصل فأرسلها ابنها علي الى أخويها المذكورين وهما خالاه ليستأمنا له من الاتابك فاستحلفاه وقدم عليه وأقره على قلاعه واستقل بفتح قلاع الهكارية وكان الشعباني هذا الامير من المهرانية اسمه الحسن بن عمر وأخذه منه وخرج به لكبره وقلة أعماله وكان نصير الدين جقري يكره عليا صاحب الربية والنفي وفرح فسعى عند الاتابك في حبسه وأمر بحبسه ثم ندم وكتب اليه أن يطلقه فوجده قد مات فاتهم نصير الدين بقتله ثم بعث العساكر الى قلعة الربية فنازلوها بغتة وملكوها عنوة وأسروا ولد علي واخوته وبعث أمه خديجة لعمهم ايهاب البشر الى الاتابك بفتح الربية فسره ذلك وبعث العساكر الى ما بقي من قلاع علي فأبى الأمر بدونه قلعة كواشي بعثت خديجة أم علي الى صاحب كواشي من المهرانية واسمه سرلة راهروا وسألته النزول عن كواشي لاطلاق أسراهم ففعل ذلك وتسلم زنكي القلاع وأطلق الاسرى واستقامت له جبال الاكراد والله تعالى أعلم

(حصار الاتابك زنكي مدينة دمشق)

كان شمس الملوك اسمعيل بن بوري قد اشغل أمره وضعفت دولته واستطال عليه الافرنج وخشي عاقبة أمرهم فاستدعى الاتابك زنكي سرا ليملكه دمشق ويريح نفسه وشعر بذلك أهل دولته فشكوا الى أمه فوعدتهم اراحة منه ثم اغتالته فقتلته وجاء الاتابك زنكي فقدم رسله من الفرات فألفوا شمس الملوك قد مات وولي مكانه أخوه محمود واشتمل أهل الدولة عليه ورجعوا الخبر الى الاتابك فلم يحفل به وسار حتى نزل بظاهر دمشق واشتد أهل الدولة على مدافعته ومقدمهم معين الدين أنر بوه أتابك طغركين ثم بعث المسترشد أبا بكر بن بشر الجزري الى الاتابك زنكي يأمره بصلح صاحب دمشق فصالحه ورحل عنه منتصف السنة والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتنة الراشد مع السلطان مسعود ومسيره الى الموصل وخلعه)

كان كثير من أمراء السلجوقية قد اجتمعوا على الانتقاض على السلطان مسعود والخروج عليه ولحق داود ابن السلطان محمود من أذربيجان ببغداد فى صفر سنة اثنين وثلاثين فأنزل بدار السلطنة وراسله أولئك الامراء وقدم عليه بعضهم مثل صاحب قزوين وصاحب اصبهان وصاحب الاهواز وصاحب الحلة وصاحب الموصل الاتابك زنكى وخرجت اليهم العساكر من بغداد وولى داود شحنة بغداد وخرج موكب الخليفة مع الوزير جلال الدين الرضى وكان الخليفة قد تغير عليه وعلى قاضى القضاة الزينبى فسمع بهم الاتابك ثم وقعت العزيمة من الراشد والسلطان داود والاتابك زنكى وحلف كل منهم لصاحبه وبعث الراشد الى الاتابك بمأتى ألف دينار ووصل سلجوق شاه الى واسط وقبض على الامير بك آبه ونهب ماله فانحدر الاتابك زنكى لمدافعته فاصطلحا وعاد زنكى الى بغداد ومر على جميع العساكر لقتال السلطان مسعود وخرج على طريق خراسان وبلغهم أن السلطان مسعودا سار الى بغداد فعاد اليها ثم عاد الملك داود وجاء السلطان مسعود فنزل على بغداد وحاصرهم نيفا وخمسين يوما وارتحل الى النهروان ثم قدم عليه طرنطاى صاحب واسط بالسفن فرجع الى بغداد وعبر الى الجانب الغربى ثم اختلف العسكر ببغداد ورجع الملك داود الى ولايته باذربيجان وافترق الامراء الذين معه ولحق الراشد بالاتابك زنكى فى نفر من أصحابه وهو بالجانب الغربى وسار معه الى الموصل ودخل السلطان مسعود الى بغداد منتصف ذى القعدة سنة ثلاثين واستقر بها وسكن الناس وجمع القضاة والفقهاء وعرض عليهم يمين الراشد بخطه بأنه متى جمع أو خرج لحرب السلطان فقد خلع نفسه فأفتوا بخلعه ثم وقعت الشهادات من أهل الدولة وغيرهم الى الراشد بموجبات العزل وكتبت وأفتى الفقهاء عقبها باستحقاق العزل وحكم به القاضى المعين حينئذ لغيبة قاضى القضاة بالموصل مع الراشد ونصب للخلافة .... ابن المستظهر وجاء رسول الاتابك زنكى الى بغداد وهو القاضى كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزورى وبايع .... بعد أن ثبت عنده الخلع وانصرف الى الاتابك باقطاع من خاص الخليفة ولم يكن ذلك لاحد قبله وعاد كمال الدين الى الاتابك وحمل كتب الخلع فحكم بها قاضى القضاة بالموصل وانصرف الراشد عن الموصل الى اذربيجان كما مر فى أخبار الخلفاء والسلجوقية والله تعالى ولى التوفيق

هذا البياض كله بالاصل

(غزاة العساكر حلب الى الافرنج)

ثم اجتمعت عساكر حلب .... مع الامير اسوار نائب الاتابك زنكى بحلب

فى شعبان سنة اثنتين وثلاثين وساروا واغاروا الى بلاد الافرنج وقصدوا اللاذقية على غرة فنالوا
منها ما لا يساحر اى بسائطها واكتسحوها وامتلأت أيديهم من الغنائم وخربوا بلاد
اللاذقية وما جاورها وعبروا على شيزر وقد ملؤا الشام بالاتراك والظهر ووهن الافرنج
لذلك والله سبحانه وتعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

{حصار الاتابك زنكى مدينة حمص واستيلاؤه على}
{بعدوين وهزيمة الافرنج واستيلاؤه على حمص}

ثم سار الاتابك فى العساكر فى شعبان سنة احدى وثلاثين الى مدينة حمص وبها يومئذ
معين الدين انر النائب فى دولة صاحب دمشق وحمص من أقطاعه فقدم اليه صاحبه صلاح
الدين الباغيسانى فى تسليمها فاعتذر بأن ذلك ليس من الاصابة فحاصرها والرسل تردد
بينهما وامتنعت عليه فرحل عنها الى بعدوين من حصون الافرنج فى شوال من السنة
فجمع الافرنج وأوعبوا وزحفوا اليه واشتد القتال بينهم ثم هزم الله العدو ونجا المسلمين
منهم ودخل ملوكهم الى حصن بعدوين فامتنعوا به وشد الاتابك حصاره وذهب
القسوس والرهبان الى بلاد النصرانية من الروم والافرنج يستنجدونهم على المسلمين
ويخوفونهم استيلاء الاتابك على قلعة بعدوين وما يخشى بعد ذلك من ارتجاعهم بيت
المقدس وجد الاتابك بعد ذلك فى حصارها والتضييق عليها حتى جهدهم الحصار ومنع
عنهم الاخبار ثم استأمنوا على أن يحملوا اليه خمسين ألف دينار فأجابهم وملك القلعة
ثم سمعوا بمسير الروم والافرنج لانجادهم وكان الاتابك خلال الحصار قد فتح المعرة
وكفرطاب فى الولايات التى بين حلب وحماة ووهن الافرنج ثم سار الاتابك
زنكى فى محرم سنة اثنتين وثلاثين الى بعلبك وملك حصن المجدل من أعمال صاحب
دمشق وبعث اليه نائب بانياس بالطاعة كذلك ثم كانت حادثة ملك الروم ومنازلته
حلب كما نذكره فسار الى سلمية ولما انجلت حادثة الروم رجع الى حصار حمص وبعث
الى محمود صاحب دمشق فى خطبة أمه مردخان بنت جاولى التى قتلت ابنها فتزوجها
وملك حمص وقلعتها وحملت الخاتون اليه فى رمضان وظن أنه يملك دمشق بزواجها
فلم يحصل على شئ من ذلك والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(مسير الروم الى الشأم وملكهم مراغة)

ولما استنجد الافرنج بعدوين ملك أمم النصرانية كما مر جمع ملك الروم
بالقسطنطينية وركب البحر سنة احدى وثلاثين ولحقته أساطيله وسار الى مدينة نيقية
فحاصرها وصالحوه بالمال وسار عنها الى اذنة والمصيصة وهما لابن ليون الارمنى

صاحب قلاع الدرب وبغا فحاصرهما وملكهما وسار الى عين زربة فملكها عنوة وملك
تل حمدون ونقل أهله الى جزيرة قبرص ثم ملك مدينة انطاكية فى ذى القعدة من السنة
وبها رغيند من ملوك الافرنج فصالحه ورجع الى بغراس ودخل منها بلاد ابن ليون
فصالحه بالاموال ودخل فى طاعته ثم خرج الى الشأم أول سنة ثنتين وثلاثين وحاصر
مراغة على ستة فراسخ من حلب وبعثوا بالصريخ الى الاتابك زنكى فبعث بالعساكر
الى حلب لحمايتها وقاتل ملك الروم مراغة فملكها بالامان منتصف السنة ثم غدر بهم
واستباحهم ورحل الى حلب فنزل بزيق ومعه الافرنج ورجعوا من الغد الى حلب
وحاصروها ثلاثا فامتنعت عليهم وقتل عليها بطريق كبير منهم ورحل عنها الى قلعة
الاثارب فى شعبان من السنة فهرب عنها أهلها ووضع الروم بها الاسرى والسبى وأنزلوا
بها حامية وبعث اليهم أسوار نائب حلب عسكرا فقتلوا الحامية وخلصوا الاسرى
والسبى ورحل الاتابك من حصن (بياض بالاصل) بعد فتحه الى سلمية وقطع
الفرات الى الرقة واتبع الروم فقطع عنهم الميرة وقصد الروم قلعة شيزر وبها سلطان ابن
على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى فحاصروها ونصبوا المجانيق عليها واستصرخ
صاحبها بالاتابك زنكى فسار اليه ونزل نهر العاصى بين شيزر وحماة وبعث السرايا
تتخطف من حول معسكر الروم وبعث الى الروم يدعوهم الى المناجزة والنزول الى
البسيط فخاموا عن ذلك فرجع الى التضريب بين الروم والافرنج يحذر أحد الفريقين
من الآخر حتى استراب كل بصاحبه فرحل ملك الروم فى رمضان من السنة بعد حصار
شيزر أربعين يوما واتبعه الاتابك فلحقهم واستلمهم واستباحهم ثم أرسل القاضى كمال
الدين محمد بن عبد الله الشهرزورى الى السلطان مسعود يستنجده على العدو ويحذره
الروم واستيلاءهم على حلب ويحدرون من الفرات الى بغداد فوضع القاضى كمال
الدين فى جامع القصر من ينادى بصريخ المسلمين والخطيب على المنبر وكذا فى جامع
السلطان فعظم الصراخ والبكاء وتسايلت العوام من كل جانب وجاؤا الى دار
السلطان فى تلك الحالة وقد وقع العويل والصراخ فعظم الهول على السلطان مسعود
وجهز عسكرا عظيما وخاف القاضى كمال الدين غائلته ثم وصل الخبر برحيل ملك
الروم فاخبر القاضى السلطان مسعود بذلك و (بياض بالاصل) من مسير العسكر
والله تعالى أعلم

(استيلاء الاتابك زنكى على بعلبك)

ثم قتل محمود صاحب دمشق سنة ثلاث وثلاثين فى شوال كما مر فى أخبار دولتهم وكانت
أمه زمرد خاتون متزوجة بالاتابك كما مر فبعثت اليه وهو بالجزيرة تعرفه بالخبر وتطلب

منه أن يسير الى دمشق ويشار بولدها من أهل دولته فسار لذلك واستعد أهل دمشق للحصار ثم قصد الاتابك مدينة بعلبك وبرلها وكان ابن القائم بالدولة قد نصب كمال الدين محمد بن بوري بدمشق وتزوج أمه وبعث بجاريته الى بعلبك فلما سار الاتابك الى دمشق قدم رسله الى ابرق تسليم البلد على أن يبدل له ما يريد فأبى من ذلك وسار الاتابك الى بعلبك ونازلها آخر ذي الحجة من السنة ونصب عليها المجانيق وشد حصارها حتى استأمنوا فملكها واعتصم الحامية بالقلعة حتى يئسوا من أنفسهم فاستأمنوا الى الاتابك فلما ملكها قبض عليهم وصلبهم وتزوج جاريته ابرو ونقلها الى حلب الى أن بعثها ابنه نور الدين محمود الى صاحبها بعد موت الاتابك والله تعالى أعلم

(حصار الاتابك زنكي مدينة دمشق)

ثم سار الاتابك زنكي الى حصار دمشق في ربيع الاول من سنة أربع وثلاثين بعد الفراغ من بعلبك فنزل بالبقاع وأرسل الى جمال الدين محمد صاحبها في أن يسلمها اليه ويعوضه عنها بما شاء فلم يجب الى ذلك فزحف اليه ونزل داريا والتقت الطلائع فكان الظفر لاصحاب الاتابك ثم تقدم الى المصلى فنزل بها وقاتله أهل دمشق بالغوطة فظفر بهم وأثخن فيهم ثم أمسك عن القتال عشرا وراودهم صاحب دمشق وبذل له بعلبك وحمص وما يختاره من البلاد فجنح الى ذلك ولم يوافقه أصحابه فعادت الحرب ثم توفي صاحب دمشق جمال الدين محمد في شعبان من السنة ونصب معين الدين انر مكانه ابنه مجير الدين أبق وقام بأمره وطمع زنكي في ملك البلد فامتنعت عليه وبعث معين الدين انر الى الافرنج يستدعيهم الى النصر على الاتابك ويبذل لهم ويخوفهم غائلته ويشترط لهم اعانتهم على بانياس حتى يملكوها فأجاب الافرنج لذلك وأجفل زنكي الى حوران خامس رمضان من السنة معتزما على لقائهم ولم يصلوا فعاد الى حصار دمشق وأحرق قراها وارتحل الى بلاده ثم وصل الافرنج وارتحل معين الدين انر في عساكر دمشق الى بانياس وهي للاتابك زنكي ليوفي للافرنج بشرطه لهم فيها وقد كان نائبها سار للاغارة على مدينة صور ولقيه في طريقه صاحب انطاكية ذاهبا الى دمشق مددا لهم فهزم عسكر بانياس وقتلوا ولحق فلهم بالبلد وقد وهوا وحاصرهم معين الدين انر والافرنج وملكها عنوة وسلمها للافرنج وأحفظه ذلك وفرق العسكر في حوران وأعمال دمشق وسار هو فصابح دمشق ولم يعلموا بمكانه فبرزوا اليه وقاتلوه وقتل منهم جماعة ثم أحجم عنهم لقلة من معه وارتحل الى مرج راهط في انتظار عساكره فلما توافوا عنده عاد الى بلاده

(استيلاء الاتابك على شهرزور وأعمالها)

كان شهرزور بيد قفجاق بن ارسلان شاه أمير التركمان وصالحهم وكانت الملوك تتجافى عن أعماله لامتناعها ومضايقها فعظم شأنه واشتمل عليه التركمان وسار اليه الاتابك زنكى سنة أربع وثلاثين فجمع ولقيه فظفر به الاتابك واستباح معسكره وسار فى اتباعه فحاصر قلاعه وحصونه وملك جميعها واستأمن اليه قفجاق فأمنه وسار فى خدمته وخدمة بنيه بعده الى آخر المائة ثم كان فى سنة خمس وثلاثين بين الاتابك زنكى و بين داود بن سقمان صاحب كيفا فتنة وحروب وانهزم داود وملك الاتابك من بلاده قلعة شمردو وادركه فعاد الى الموصل ثم سار الاتابك الى مدينة الحرمية فملكها سنة ست وثلاثين ونقل آل مهارش الذين كانوا بها الى الموصل ورتب أصحابه مكانهم ثم خطب له صاحب آمد وصار فى طاعته بعد أن كان مع داود عليه ثم بعث الاتابك لسنة سبع وثلاثين عسكرا الى قلعة أشهب وهى أعظم من حصون الاكراد الهكارية وأمنعها وفيها أهلوهم وذخائرهم فحاصرها وملكها وأمره الاتابك بتخريبها و بنى قلعة العمادية عوضا عنها وكانت خربت قبل ذلك لاتساعها وعجزهم عن حمايتها فأعيدت الآن وكان نصير الدين نائب الموصل قد فتح أكثر القلاع الحربية والله تعالى أعلم

(صلح الاتابك مع السلطان مسعود واستيلاؤه على أكثر ديار بكر)

كان السلطان مسعود ملك السلجوقية قد حقد على الاتابك زنكى شان الخارجين على طاعته من أهل الاطراف و ينسب ذلك اليه وكان يفعل ذلك مشغلة للسلطان عنه فلما فرغ السلطان مسعود من شواغله سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة سار الى بغداد عازما على قصد الاتابك وحصار الموصل فأرسل الاتابك يستعطفه و يستميله على أن يدفع اليه مائة ألف دينار ويعود عنه فشرع فى ذلك وحمل منها عشرين ألفا ثم حدثت الفتنة على السلطان فاحتاج الى مداراته وترك له الباقى وبالغ هو فى مخالصة السلطان بحيث ان ابنه غازى كان عند السلطان فهرب الى الموصل فبعث الى نائبها نصير الدين جقرى يمنعه من دخولها وبعث الى ابنه بالرجوع الى خدمة السلطان وكتب الى السلطان بان ابنى هرب للخوف من تغير السلطان عليه وقد أعدته الى الخدمة ولم ألقه وأنا مملوكك والبلاد لك فوقع ذلك من السلطان أحسن المواقع ثم سار الاتابك الى ديار بكر ففتح طره واسعرد وحران وحصن الرزق وحصن تطليت وحصن باسنه وحصن ذى القرنين وغير هذه وملك أيضا من بلاد ماردين الافرنج حملين والمودن وتل موزر وغيرها من بلاد حصون جستان وأزل بها الحامية وقصد آمد فحصرها وسير عسكرا الى مدينة عانة من أعمال الفرات فملكها والله تعالى أعلم

(فتح الرها وغيرها من أعمال الافرنج)

كان الافرنج بالرها وسروج والبيرة قد أضروا بالمسلمين جوارهم مثل آمد ونصيبين ورأس عين والرقة وكان زعيمهم ومقدمهم بتلك البلاد جوسكين الزعيم ورأى الاتابك أنه يورى عن قصدهم بغيره لئلا يجمعوا له فورى بغيره وديار بكر كما قلناه و

جوسكين وعبر الفرات من الرها الى غزنة وجاء الخبر بذلك الى الاتابك فارتحل منتصف جمادى الاخيرة سنة تسع وثلاثين وحرض المسلمين وحثهم على عدوهم ووصل الى الرها وجوسكين غائب عنها فاضجر الافرنج بالبلد وحاصرهم شهرا وشدد في حصارهم وقتالهم ونقب في ذلك قبل اجتماع الافرنج ومسيرهم اليه ثم صعف سورها فسقطت ثلمة منه وملك البلد عنوة ثم حاصر القلعة وملكها كذلك ثم رد على أهل البلد ما أخذ منهم وأنزل به حامية وسار الى سروج وجميع البلاد التي بيد الافرنج شرقيا فملكها جميعا الا البيرة لامتناعها فأقام يحاصرها حتى امتنعت ورحل عنها والله سبحانه وتعالى أعلم

{مقتل نصير الدين جقري نائب الموصل وولاية زين الدين على كجك مكانه بالقلعة}

كان استقر عند الاتابك زنكي بالموصل الملك البارسلان ابن السلطان محمد ويلقب الخفاجي وكان شبابه وتوهم السلطان ان البلاد له وأنه نائبه وينتظر وفاة السلطان مسعود فيخطب له ويملك البلد باسمه وكان يتردد له ويسعى في خدمته نداماه بعض المفسدين في غيبة الاتابك وزين له قتل نصير الدين النائب والاستيلاء على الموصل فلما دخل اليه أغرى به أجناد الاتابك ومواليه فوثبوا به وقتلوه في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين ثم ألقوا برأسه الى أصحابه يحسبون أنهم يفترقون فاعتصموا واقتحموا عليه الدار ودخل عليه القاضي تاج الدين يحيى ابن الشهرزوري بأوهمه بطاعته وأشار عليه بالعود الى القلعة ليستولى على المال والسلاح فركب وصعد معه وتقدم الى حائط القلعة وأشار عليه بأن يمكنه من الدخول ثم يقبض عليه فدخل ودخل معه الذين قتلوا نصير الدين فحبسهم والى القلعة وعاد القاضي الى البلد وطار الخبر الى الاتابك زنكي بحصار البيرة فخشى اختلاف البلد وعاد الى الموصل وقدم زين الدين على ابن كجك وولاه القلعة مكان نصير الدين وأقام ينتظر الخبر وخاف الافرنج الذين بالبيرة من عودته اليهم فبعثوا الى نجم الدين صاحب ماردين وملكوها له فملكها المسلمون

(حصار زنكى حصن جعبر وفنك)

ثم سار الاتابك زنكى سنة احدى وأربعين فى المحرم الى حصن جعبر ويسمى دوس وهو مطل على الفرات وكان لسالم بن مالك العقيلى أقطعه السلطان ملك شاه لابيه حين أخذ منه حلب وبعث جيشا الى قلعة فنك على فرسخين من جزيرة ابن عمر فحاصروها وصاحبها يومئذ حسام الدين الكردى فحاصر قلعة جعبر حتى توسط الحال بينهما حسان المنبجى ورغبه ورهبه وقال فى كلامه من يمنعك منه فقال الذى منعك أنت من مالك بن بهرام وقد حاصر حسان منبج فأصابه فى بعض الايام سهم فقتله وأفرج عن حسان وقدر قتل الاتابك كذلك والله تعالى أعلم

(مقتل الاتابك عماد الدين زنكى)

كان الاتابك عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل والشأم محاصرا لقلعة جعبر كما ذكرنا واجتمع جماعة من مواليه اغتالوه ليلا وقتلوه على فراشه ولحقوا بجعبر وأخبروا أهلها فنادوا من السور بقتله فدخل أصحابه اليه وألفوه يجود بنفسه وكان قتله لخمس من ربيع الآخر سنة احدى وأربعين عن ستين سنة من عمره ودفن بالرقة وكان يوم قتل أبوه ابن سبع سنين ولما قتل دفن بالرقة وكان حسن السياسة كثير العدل مهيبا عند جنده عمر البلاد وأمنها وأنصف المظلوم من الظالم وكان شجاعا شديد الغيرة كثير الجهاد ولما قتل رحل العسكر عن قلعة فنك وصاحبها اغفار قال ابن الاثير سمعتهم يزعمون أن لهم فيها نحو ثلثمائة سنة وفيهم رفادة وعصبية ويجيرون كل من يلجأ اليهم والله أعلم

(استيلاء ابنه غازى على الموصل وابنه الآخر محمود على حلب)

ولما قتل الاتابك زنكى نزع ابنه نور الدين محمود خاتمه من يده وسار به الى حلب فاستولى عليها وخرج الملك البارسلان ابن السلطان محمود واجتمعت عليه العساكر وطمع فى الاستقلال بملك الموصل وحضر ابنه جمال الدين محمد بن على بن متولى الديوان وصلاح الدين محمد بن الباغيسانى الحاجب وقد اتفقا فيما بينهما على حفظ الدولة لاصحابهما وحسنا للبارسلان ماهو فيه من الاشتغال بلذاته وأدخلاه الرقة فانغمس بها وهما يأخذان العهود على الامراء لسيف الدين غازى ويبعثانهم الى الموصل وكان سيف الدين غازى فى مدينة شهرزور وهى أقطاعه وبعث اليه زين الدين على كوجك نائب القلعة بالموصل يستدعيه ليحضر عنده وسار البارسلان الى سنجار والحاجب وصاحبه معه ودسوا الى نائبها أن يعتذر للملك البارسلان بتأخره حتى يملك الموصل فساروا الى الموصل ومروا بمدينة وقد وقف العسكر وأشاروا على البارسلان

بعبور دجلة الى الشرق وبعثوا الى سيف الدين غازى بخبره وقلة عسكره فأرسل اليه عسكرا فقصدوه وجاؤا به فحبسه بقلعة الموصل واستولى سيف الدين غازى على الموصل والجزيرة وأخوه نور الدين محمود على حلب ولحق به صلاح الدين الباغيسيانى فقام بدولته والله سبحانه وتعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(عصيان الرها)

ولما قتل الاتابك زنكى ملك الرها جوسكين كان جوسكين مقيما فى ولايته بتل باشر وما جاورها فراسل أهل الرها وعامتهم من الارمن وحملهم على العصيان على المسلمين وتسليم البلد له فأجابوه وواعدوه ليوم عينوه فسار فى عساكره وملك البلد وامتنعت القلعة وبلغ الخبر الى نور الدين محمود وهو بحلب فأغذ السير اليها وأجفل جوسكين الى بلده ونهب نور الدين المدينة وسبا أهلها وارتحلوا عنها وبعث سيف الدين غازى العساكر اليها فبلغهم فى طريقهم ما فعله نور الدين فعادوا وذلك سنة احدى وأربعين ثم قصد صاحب دمشق بعد قتل الاتابك حصن بعلبك وبه نجم الدين أيوب بن شادى نائب الاتابك فابطأ عليه انجاد بنيه فصالح صاحب دمشق وسلم له بعلبك على اقطاع ومال أعطاه اياه وعشر قرى من بلاد دمشق وانتقل معه الى دمشق فسكنها وأقام بها ثم سار نور الدين محمود سنة ثنتين وأربعين من حلب الى الافرنج ففتح مدينة ارتاح عنوة وحاصر حصونا أخرى وكان الافرنج بعد قتل الاتابك يظنون أنهم يستردون ما أخذه منهم فبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون ولما قتل الاتابك زنكى طمع صاحب ماردين وصاحب كيفا أن يستردوا ما أخذ من بلادهم فلما تمكن سيف الدين غازى سار الى أعمال ديار بكر فملك دارا وغيرها وتقدم الى ماردين وحاصرها وعاث فى نواحيها حتى ترحم صاحبها حسام الدين تمرتاش على الاتابك مع عداوته ثم أرسل الى سيف الدين غازى وصالحه وزوجه بنته فعاد الى الموصل وزفت اليه وهو مريض فهلك قبل زفافها وتزوجها أخوه قطب الدين من بعده والله أعلم

(مصاهرة سيف الدين غازى لصاحب دمشق وهزيمة نور الدين محمود للافرنج)

كان تقدم لنا فى دولة بنى طغركين موالى دقاق بن تتش أن ملك الالمان من الافرنج سار سنة ثلاث وأربعين وحاصر دمشق بجموع الافرنج وبها مجير الدين ارتق بن بورى بن محمد بن طغركين فى كفالة معين الدين أنز مولى

فبعث معين الدين الى سيف الدين غازى بن أتابك زنكى بالموصل يدعوه الى نصرة المسلمين فجمع عساكره وسار الى الشأم واستدعى أخاه نور الدين من حلب ونزلوا على

حص فأخذوا بحجزة الافرنج عن الحصار وقوى المسلمون بدمشق عليهم وبعث معين
الدين الى طائفتى الافرنج من سكان الشأم والالمان الواردين فلم يزل يضرب بينهم
وبذل لافرنج الشأم حصن بانياس طعمة على أن يرحلوا ملك الالمانيين ففتلوا له
فى الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع الى بلاده وراء قسطنطينية بأقصى الشمال
وحسن أثر سيف الدين غازى وأخيه فى الدفاع عن المسلمين وكان مع ملك الالمان
حين خروج الى الشأم ابن ادفونش ملك الجلالقة بالاندلس وكان جده هو الذى ملك
طرابلس الشأم من المسلمين حين خروج الافرنج الى الشأم فلما جاء الآن مع ملك الالمان
ملك حصن العريمة وأخذ فى منازلة طرابلس ليملكها من القمص فأرسل القمص الى
نور الدين محمود ومعين الدين أنز وهما مجتمعان ببعلبك بعد رحيل ملك الالمانيين عن
دمشق وأغراهما بابن ادفونش ملك الجلالقة واستخلاص حصن العريمة من يده
فسارا لذلك سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وبعثا الى سيف الدين وهو بحمص
فأمدهما بعسكر مع الامير عز الدين أبى بكر الدبيسى صاحب جزيرة ابن عمر وحاصروا
حصن العريمة أياما ثم نقضوا سوره وملكوه على الافرنج وأسروا من كان به من
الافرنج ومعهم ابن ادفونش وعاد الى سيف الدين عسكره ثم بلغ نور الدين ان الافرنج
تجمعوا فى يقوم من أرض الشأم للاغارة على أعمال حلب فسار اليهم وقتلهم وهزمهم
وأثخن فيهم قتلا وأسرا وبعث من غنائمهم وأسراهم الى أخيه سيف الدين غازى والى
المقتفى الخليفة انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة سيف الدين غازى وملك أخيه قطب الدين مودود)

ثم توفى سيف الدين غازى بن الاتابك زنكى صاحب الموصل منتصف أربع وأربعين
وخمسمائة لثلاث سنين وشهرين من ولايته وخلف ولدا صغيرا ربى عند عمه نور الدين
محمود وهلك صغيرا فانقرض عقبه وكان كريما شجاعا متسع المائدة يطعم بكرة وعشية مائة
رأس من الغنم فى كل نوبة وهو أول من حمل الصنجق على رأسه وأمر بتعليق السيوف
بالمناطق وترك التوشح بها وحمل الدبوس فى حلقة السرج وبنى المدارس للفقهاء
والربط للفقراء ولما أنشده حيص بيص الشاعر يمدحه

الامير الذى المجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا اليك المنابر

فوصله بألف مثقال سوى الخلع وغيرها ولما توفى سيف الدين غازى انتقض الوزير
جمال الدين وأمير الجيوش زين الدين على وجاؤا بقطب الدين مودود بادروا الى
تمليكه واستحلفوه وحلفوا له وركب الى دار السلطنة وزين الدين فى ركابه فبايعوا له

وأطاعه جميع من في أعمال أخيه بالموصل والجزيرة وتزوج الخاتون بنت حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين التي هلك أخوه قبل زفافها فكان ولده كلهم منها والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء السلطان محمود على سنجار)

ولما ملك قطب الدين مودود الموصل وكان أخوه نور الدين محمود بالشأم وكان أكبر منه وله حلب وحماة كاتبه جماعة من الامراء بعد أخيه غازي ومنهم كاتبه نائب سنجار المقدم عبد الملك فبادر اليه في سبعين فارسا من أمرائه وسبق أصحابه في يوم مطير الى مساكن ودخل البلد ولم يعرفوا منه الا أنه أمير من جند التركمان ثم دخل على الشحنة بيته فقبل يده وأطاعه ولحق به أصحابه وساروا جميعا الى سنجار وأغذ السير فقطع عنه أصحابه ووصل الى سنجار في فارسين ونزل بظاهر البلد وبعث الى المقدم فوصله وكان قد سار الى الموصل وترك ابنه شمس الدين محمدا بالقلعة فبعث في اثر أبيه وعاد من طريقه وسلم سنجار الى نور الدين محمود فملكها واستدعى فخر الدين قرى ارسلان صاحب كيفا للمودة بينهما فوصل في عساكره وبلغ الخبر الى قطب الدين صاحب الموصل ووزيره جمال الدين وأمير جيشه زين الدين فساروا الى سنجار للقاء نور الدين محمود وانتهوا الى تل اعفر ثم خاموا عن لقائه وأشار الوزير جمال الدين بمصالحته وسار اليه بنفسه فعقد معه الصلح وأعاد سنجار على أخيه قطب الدين وسلم له أخوه مدينة حمص والرحبة والشأم فانفرد بملك الشأم وانفرد أخوه قطب الدين بالجزيرة واتفقا وعاد نور الدين الى حلب وحمل ما كان لابيهم الاتابك زنكي من الذخيرة لسنجار وكانت لا يعبر عنها والله تعالى أعلم

(غزو نور الدين الى انطاكية وقتل صاحبها وفتح فاميا)

ثم غزا نور الدين سنة أربع وأربعين الى انطاكية فعاث فيها وخرب كثيرا من حصونها وبينما هو يحاصر بعض الحصون اجتمع الافرنج وزحفوا اليه فلقيهم وحاربهم وأبلى في ذلك الموقف فهزم الافرنج وقتل البرنس صاحب انطاكية وكان من عتاة الافرنج وملك بعده ابنه سيمند طفلا وتزوجت أمه برنس آخر يكفل ولدها ويدبر ملكها فغزاه نور الدين ولقوه فهزمهم وأسر ذلك البرنس الثاني وتمكن الطفل سيمند من ملكه بانطاكية ثم سار نور الدين سنة خمس وأربعين الى حصن فاميا بين شيزر وحماة وهو من أحصن القلاع فحاصره وملكه وشحنه حامية وسلاحا وأقواتا ولم يفرغ من أمرها الا والافرنج الذي بالشأم جمعوا وزحفوا اليه وبلغهم الخبر فخاموا عن اللقاء وصالحوه في الهادنة بعقد لهم انتهى

(هزيمة نور الدين جوسكين وأسر جوسكين)

ثم جمع نور الدين بعد ذلك وسار غازيا الى بلاد زعيم الافرنج وهي تل باشر وعنتاب وعذاز وغيرها من حصون شمالي حلب فجمع جوسكين لمدافعته عنها ولقيه فاقتتلوا ومحص الله المسلمين واستشهد كثير منهم وأسر آخرون وفيهم صاحب صلاح نور الدين فبعثه جوسكين الى الملك مسعود بن قلج ارسلان يعيره به لمكان صهره نور الدين على ابنته فعظم ذلك عليه وأعمل الحيلة في جوسكين وبذل المال لاحياء التركمان البادين بضواحيه أن يحتالوا في القبض عليه ففعلوا وظفر به بعضهم فشاركهم في اطلاقه على مال وبعث من يأتي به وشعر بذلك والى حلب أبو بكر بن الرامة فبعث عسكرا اليسوا من ذلك الحي جاؤا بجوسكين أسيرا الى حلب وثار نور الدين الى القلاع فملكها وهي تل باشر وعنتاب وعذار وتل خالد وقورص وداونداد ومرج الرصاص وحصن النادة وكفرشود وكفرلات ودلوكا ومرعش ونهر الجود وشحنها بالاقوات وزحف اليه الافرنج ليدافعوه فلقيهم على حصن جلدك وانهزم الافرنج وأثخن المسلمون فيهم بالقتل والاسر ورجع نور الدين الى دلوكا ففتحها وتأخر فتح تل باشر منها الى أن ملك نور الدين دمشق واستأمنوا اليه وبعث اليهم حسان المنبجي فتسلمها منهم وحصنها وذلك في سنة تسع وأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء نور الدين على دمشق)

كان الافرنج سنة ثمان وأربعين قد ملكوا عسقلان من يد العلوية خلفاء مصر واعترضت دمشق بين نور الدين وبينها فلم يجد سبيلا الى المدافعة عنها واستطال الافرنج على دمشق بعد ملكهم عسقلان ووضعوا عليها الجزية واشترطوا عليهم تخيير الاسرى الذين بأيديهم في الرجوع الى وطنهم وكان بها يومئذ مجير الدين انز بن محمد ابن بوري بن طغركين الاتابك واهن القوى مستضعف القوة فخشي نور الدين عليها من الافرنج وربما ضايق مجير الدين بعض الملوك من جيرانه فيفزع الى الافرنج فيغلبون عليه وأمعن النظر في ذلك وبدأ أمره بمواصلة مجير الدين وملاطفته حتى استحكمت المودة بينهما حتى صار يداخله في أهل دولته ويريهم عنده أنهم كاتبوه فيوقع الآخر بهم حتى هدم أركان دولته ولم يبق من أمرائه الا الخادم عطاء بن حفاظ وكان هو القائم بدولته فغص به نور الدين وحال بينه وبين دمشق فأغرى به صاحبه مجير الدين حتى نكبه وقتله وخلت دمشق من الحامية فسار حينئذ نور الدين مجاهرا بعداوة مجير الدولة ومتجنيا عليه واستنجد بالافرنج على أن يعطيهم الاموال ويسلم لهم بعلبك

جمعوا واحتشدوا وفى خلال ذلك عمد نور الدين الى دمشق سنة سبع وأربعين وكاتب جماعة من احداثها وراودهم من أسهم لما وصل ثاروا بمجير الدين ولجأ الى القلعة وملك نور الدين المدينة وحاصره بالقلعة وبذل له اقطاعا منها مدينة حمص فسار اليها مجير الدين وملك نور الدين القلعة ثم عوضه عن حمص ببالس فلم يرضها ولحق ببغداد وابتنى بها دارا وأقام بها الى أن توفى والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء نور الدين على تل باشر وحصار قلعة حارم)

ولما فرغ نور الدين من أمر دمشق بعث اليه الافرنج الذين فى تل باشر فى شمالى حلب واستأمنوا اليه ومكروه من حصنهم فتسلمه حسان المنبجى من كبراء أمراء نور الدين سنة تسع وأربعين ثم سار سنة احدى وخمسين الى قلعة حارم بالقرب من انطاكية وهى لبيمند أمير انطاكية من الافرنج فحاصرها واجتمع الافرنج لمدافعته ثم خاموا عن لقائه وصالحوه على نصف أعمال حارم فقبل صلحهم ورحل عنها والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

(استيلاء نور الدين على شيرز)

شيرز هذه حصن قريب من حماة على نصف مرحلة منها على جبل منيع عال لا يسلك اليه الا من طريق واحدة وكانت لبنى منقذ الكنانيين يتوارثون ذلك من أيام صالح ابن مرداس صاحب حلب من أعوام عشرين وأربعمائة الى أن انتهى ملكه الى المرهف نصر بن على بن نصير بن منقذ بعد أبيه أبى الحسن على فلما حضره الموت سنة تسعين وأربعمائة عهد لاخيه أبى سلمة بن مرشد وكان عالما بالقرآت والادب وولى مرشد أخاه الاصغر سلطان بن على وكان بينهما من الاتفاق والملاءمة ما لم يكن بين اثنين ونشأ لمرشد بنون كثيرون و فى السودد منهم عز الدولة أبو الحسن على ومؤيد الدولة أسامة وولد على وتعدد ولده وبنو أخيه عمهم ونشئت بينهم السعايات فتماسكوا المكان مرشد والتئامه بأخيه فلما مات مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة تنكر أخوه سلطان لولده وأخرجهم من شيرز فتفرقوا وقصد بعضهم نور الدين فامتعض لهم وكان مشتغلا عنهم بالافرنج ثم توفى سلطان وقام بأمر شيرز أولاده وراسلوا الافرنج فحنق نور الدين عليهم لذلك ثم وقعت الزلازل بالشأم وخرب أكثره مثل حماة وحمص وكفرطاب والمعرة وافامية وحصن الاكراد وعرقة ولاذقية وطرابلس وانطاكية هذه سقطت جميعها وتهدمت سنة ثنتين وخمسين وما سقط بعضه وتهدمت أسواره فأكثر بلاد الشأم وخشى نور الدين عليها من الافرنج فوقف بعساكره

(على الهامش: بياض بالاصل)

فى أطراف البلاد حتى رم ما تثلم من أسوارها وكان بنو منقذ أمراء شيزر قد اجتمعوا عند صاحبها منهم فى دعوة فأصابتهم الزلزلة مجتمعين فسقطت عليهم القلعة ولم ينج منهم أحد وكان بالقرب منها بعض أمراء نور الدين فبادر وصعد اليها وملكها منه نور الدين ورم ما تثلم من أسوارها وجدد بناءها فعادت كما كانت هكذا قال ابن الاثير وقال ابن خلكان وفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة استولى بنو منقذ على شيزر من يد الروم والذى تولى فتحها منهم على بن منقذ بن نصر بن سعد وكتب الى بغداد بشرح الحال ما نصه كتابى من حصن شيزر حماه الله وقد رزقنى الله من الاستيلاء على هذا المعقل العظيم مالم يتأت لمخلوق فى هذا الزمان واذا عرف الامر على حقيقته علم أنى ذو بر هذه الامة وسليمان الجن والمردة وأنا أفرق بين المرء وزوجه وأستنزل القمر من محله أنا أبو النجم وشعرى شعرى نظرت الى هذا الحصن فرأيت أمرا يذهل الالباب يسع ثلاثة آلاف رجل بالاهل والمال وتمسكه خمس نسوة فعمدت الى تل بينه وبين حصن الروم يعرف بالجواص ويسمى هذا التل بالحصن فعمرته حصنا وجمعت فيه أهلى وعشيرتى ونفرت نفرة على حصن الجواص فأخذته بالسيف من الروم ومع ذلك فلما أخذت من به من الروم أحسنت اليهم وأكرمتهم ومزجتهم بأهلى وعشيرتى وخلطت خنازيرهم بغنمى ونواقيسهم بصوت الاذان ورأى أهل شيزر فعلى ذلك فأنسوا الى ووصل الى منهم قريب من نصفهم فبالغت فى اكرامهم ووصل اليهم مسلم بن قريش العقيلى فقتل من أهل شيزر نحو عشرين رجلا فلما انصرف مسلم عنهم سلموا الى الحصن انتهى كتاب على بن منقذ وبين هذا الذى ذكره ابن خلكان والذى ذكره ابن الاثير نحو خمسين سنة وما ذكره ابن الاثير أولى لان الافرنج لم يملكوا من الشأم شيأ فى أوائل المائة الخامسة والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء نور الدين على بعلبك)

كانت بعلبك فى يد الضحاك البقاعى نسبة الى بقاعة والآن عليها اصاحب دمشق فلما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحاك ببعلبك وشغل نور الدين عنه بالافرنج فلما كانت سنة ثنتين وخمسين استنزله نور الدين عنها وملكها والله أعلم

(استيلاء أخى نور الدين على حران ثم ارتجاعها)

كان نور الدين سنة أربع وخمسين وخمسمائة بحلب ومعه أخوه الاصغر أمير أميران فرض نور الدين بالقلعة واشتد مرضه فجمع أخوه وحاصر قلعة حلب وكان شيركوه ابن شادى أكبر أمرائه بحمص فلما بلغه الارجاف سار الى دمشق ليملكها وعليها

أخوه نجم الدين أيوب فنكر عليه وأمره بالمسير الى حلب حتى يتبين حياة نور الدين من
موته فأعد المسير الى حلب وصعد القلعة وأظهر نور الدين للناس من سطح مشرف
فافترقوا عن أخيه أمير أميران فسار الى حران فملكها فلما أفاق نور الدين سلمها الى زين
الدين علي كجك نائب أخيه قطب الدين بالموصل وسار الى الرقة فحاصرها والله تعالى
ولي التوفيق

(خبر سليمان شاه وحبسه بالموصل ثم مسيره منها الى السلطنة بهمذان)

كان الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه عند عمه السلطان سنجر بخراسان
وقد عهد له بالملك وخطب باسمه على منابر خراسان فلما حصل سنجر في أسر الغز سنة
ثمان وأربعين وخمسمائة كما مر في أخبارهم واجتمعت العساكر على سليمان شاه هذا
وقدموه فلم يطق مقاومة الغز ومضى الى خوارزم شاه وزوجه ابنة أخيه ثم بلغه عنه
ما ارتاب له فأخرجه من خوارزم وقصد اصبهان فمنعه الشحنة من الدخول فقصد
قاشان فبعث اليه محمد شاه ابن أخيه محمود عسكرا دافعوه عنها فسار الى خراسان فمنعه
ملكشاه منها فقصد البحف ونزل وأرسل للخليفة المستنصر وبعث أهله
وولده رهنا بالطاعة واستأذن في دخول بغداد فأكرمهم الخليفة وأذن له وخرج ابن
الوزير ابن هبيرة لتلقيه في الموكب وفيه قاضي القضاة والنقيبان ودخل بغداد وخلع عليه
آخر سنة خمسين وبعد أيام أحضر بالقصر واستحلف بحضرة قاضي القضاة والأعيان
وخطب له ببغداد ولقب ألقاب أبيه وأمده بثلاثة آلاف فارس وسار نحو بلاد الجبل
في ربيع سنة احدى وخمسين ونزل الخليفة حلوان واستقدم له ابن أخيه ملكشاه
صاحب همذان فتقدم اليه في ألفي فارس وجعله سليمان شاه ولي عهده وأمدهما
الخليفة بالمال والسلاح ولحق بهما الدكز صاحب الري وكثرت جموعهم وبعث
السلطان محمد الى قطب الدين مودود صاحب الموصل وزين الدين كجك على نائبه
في المظاهرة والاعتضاد وسار الى لقاء سليمان شاه فانهزم وتفرق عسكره وفارقه ايلدكز
فذهب الى بغداد على طريق شهرزور وبلغ خبر الهزيمة الى زين الدين على كجك
فخرج في جماعة من عسكر الموصل وقعد له بشهرزور ومعه الامير ابراق حتى مر بهم
سليمان شاه فقبض عليه زين الدين وحمله الى الموصل فحبسه بها مكرما وطير الى
السلطان محمود بالخبر فلما هلك السلطان محمود بن محمد سنة خمس وخمسين أرسل أكابر
الامراء من همذان الى قطب الدين اتابك وزيره وزير اله وتعاهدوا على ذلك وجهزه
قطب الدين جهاز الملك وسار معه زين الدين علي كجك في عسكر الموصل الى همذان
فلما قاربوا بلاد الجبل تتابعت العساكر والامداد للقائهم ارسالا واجتمعوا على سليمان

شاه

بياض بالأصل

شاه وجروا معه على مذاهب الدولة فحبسهم زين الدين على نفسه وزعق ولحق سنقر
وسار سليمان شاه الى همذان فكان من أمرهم ما تقدم في أخبار الدولة السلجوقية

(محاصرة قلعة حارم وانهزام نور الدين امام الافرنج ثم هزيمتهم وفتحها)

ثم جمع نور الدين محمود عساكر حلب وحاصر الافرنج بقلعة حارم وجمعوا لمدافعته
ثم خاموا عن لقائه ولم ينل جزءه وطال عليه أمرها فعاد عنها ثم جمع عساكره سنة
ثمان وخمسين معتزما على غزو طرابلس وانتهى الى البقيعة تحت حصن الاكراد
فكبسهم الافرنج هنالك وأثخنوا فيهم ونجا نور الدين في الفل الى بحيرة قدس قريبا من
حمص ولحق به المنهزمون وبعث الى دمشق وحلب في الاموال والخيام والظهر وأزاح
علل العسكر وعلم الافرنج بمكان نور الدين من حمص فنكبوا عن قصدها وسألوه
الصلح فامتنع فأنزلوا حاميتهم بحصن الاكراد ورجعوا وفي هذه الغزاة عزل نور الدين
رجلا يعرف بابن نصرى تنصح له بكثرة خرجه بصلاته وصدقاته على الفقراء والفقهاء
والصوفية والقراء الى مصارف الجهاد فغضب وقال والله لا أرجو النصر الا بأولئك
فانهم يقاتلون عني بسهام الدعاء في الليل وكيف أصرفها عنهم وهي من حقوقهم في بيت
المال ذلك شيء لا يحل لي ثم أخذ في الاستعداد للاخذ بثاره من الافرنج وسار بعضهم
الى ملك مصر فأراد أن يخالفهم الى بلادهم فبعث الى أخيه قطب الدين مودود صاحب
الموصل والى فخر الدين قرا ارسلان صاحب كيفا والى نجم الدين والي صاحب ماردين
بالنجدة فسار من بينهم أخوه قطب الدين وفي مقدمته زين الدين علي كجك صاحب
جيشه ثم تبعه صاحب كيفا وبعث نجم الدين عسكره فلما توافت الامداد سار نور الدين
نحو حارم سنة تسع وخمسين فحاصرها ونصب عليها المجانيق واجتمع من بقي بالساحل من
ملوك الافرنج ومقدمهم البرنس سمند صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس
وابن جوسلين واستنفروا لهم أمم النصرانية وقصدوه فأفرج عن حارم الى ارتاح
ثم خاموا عن لقائه وعادوا الى حصن حارم وسار في اتباعهم وناوشهم الحرب فحملوا على
عساكر حلب وصاحب كيفا في ميمنة المسلمين فهزموها ومروا في اتباعهم وحمل زين
الدين في عساكر الموصل على الصف فلقيه الرجل فأثخن فيهم واستلحمهم وعاد الافرنج
من اتباع الميمنة فسقطوا في أيديهم ودارت رحا الحرب على الافرنج فانهزموا ورجع
المسلمون من القتل الى الاسر فأسروا منهم أعيانهم سمند صاحب انطاكية والقمص
صاحب طرابلس وبعث السرايا في تلك الاعمال بقصد انطاكية لخلوها من الحامية
فأبى وقال أخشى أن يسلمها أصحابها لملك الروم فان سمند ابن أخته ومجاورته أحب الي
من مجاورة ملك الروم ثم عاج على قلعة حارم فحاصرها وافتتحها ورجع مظفرا والله

يزيد بصره من يشاء من عباده

(فتح نور الدين قلعة بانياس)

ولما افتتح نور الدين قلعة حارم أذن لعسكر الموصل وحصن كيفا بالانطلاق الى بلادهم وعزم على منازلة بانياس وكانت بيد الافرنج من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ثم ورى عنها بقصد طبرية فصرف الافرنج همتهم الى حمايتها وخالفهم الى بانياس لقلة حاميتها فحاصرها وضيق عليها فى ذى الحجة من سنة تسع وخمسين وكان معه أخوه نصير الدين أمير أميران فأصيب بسهم فى احدى عينيه وأخذ الافرنج فى الجمع لمدافعته فلم يستكملوا أمرهم حتى فتحها وشحن قلعتها بالمقاتلة والسلاح وشاطره الافرنج فى أعمال طبرية وضرب عليهم الجزية فى الباقى ووصل الخبر بفتح حارم وبانياس الى ملوكهم الذين ساروا الى مصر فسبقهم بالفتح وعاد الى دمشق ثم سار سنة احدى وستين متجردا الى حصن المنيطرة فنازلهم على غرة وملكه عنوة ولم يجتمع الافرنج الا وقد ملكه فافترقوا ويئسوا من ارتجاعه والله تعالى أعلم

(وفادة شاور وزير العاضد بمصر على نور الدين العادل صريخا واعادته بالعسكر مع أسد الدين شيركوه)

كانت دولة العلويين بمصر قد أخذت فى التلاشى وصارت الى استبداد وزرائها على خلفائها وكان من آخر المستبدين بها شاور السعدى استعمله الصالح بن رزيك على قوص وندم فلما هلك الصالح بن رزيك وكان مستبدا على الدولة قام ابنه رزيك مقامه فعزل شاور عن قوص فلم يرض بعزله وجمع وزحف الى القاهرة فملكها وقتل رزيك واستبد على العاضد ولقبه أمير الجيوش وكانت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ثم نازعه الضرغام وكان صاحب الباب ومقدم البرقية فثار عليه لتسعة أشهر من وزارته وأخرجه من القاهرة فلحق بالشام وقصد نور الدين محمود بن زنكى مستنجدا به على أن يكون له ثلث الجباية بمصر ويقيم عسكر نور الدين بها مددا له فاستشار من أمرائه لذلك أسد الدين شيركوه بن شادى الكردى وكان بحمص وجهزه بالعساكر فسار لذلك فى جمادى سنة تسع وخمسين واتبعه نور الدين الى أطراف بلاد الافرنج فشغلهم عن التعرض للعساكر وسار أسد الدين مع شاور وسار معه صلاح الدين ابن أخيه نجم الدين أيوب وانتهوا الى بلبيس فلقيهم ناصر الدين أخو الضرغام فى عساكر مصر فانهزم ورجع الى القاهرة واتبعه أسد الدين فقتله عند مشهد السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وقتل أخوه وعاد شاور الى وزارته وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة ينتظر

الوفاء

الوفاء بالعهد من شاور بما عاهد عليه نور الدين فنكث شاور العهد وبعث اليه بالرجوع الى بلده فلج في طلب ضريبته ورحل الى بلبيس والبلاد الشرقية فاستولى عليها واستمد شاور عليه بالافرنج فبادروا الى ذلك لما كان في نفوسهم من تخوف غائلته وطمعوا في ملك مصر وسار نور الدين من دمشق ليأخذ بحجزتهم على المسير فلم يتم ذلك وتركوا بلادهم حامية فلما قاربوا مصر فارقها أسد الدين واجتمع الافرنج وعساكر مصر فحاصروه ثلاثة أشهر يغاديهم القتال ويراوحهم وجاءهم الخبر بهزيمة الافرنج على حارم وما هيأ الله لنور الدين في ذلك فراسلوا أسد الدين شيركوه في الصلح وطووا عنه الخبر فصالحهم وخرج ولحق بالشأم ووضع له الافرنج المراصد بالطريق فعدل عنها ثم أعاده نور الدين الى مصر سنة ثنتين وستين فسار بالعساكر في ربيع ونزل اطفيح وعبر النيل وجاء الى القاهرة من جانبها الغربي ونزل الجيزة في عدوة النيل وحاصرها خمسين يوما واستمد شاور بالافرنج وعبر الى أسد الدين فتأخر الى الصعيد ولقيهم بمنتصف السنة فهزمهم وسار الى ثغر الاسكندرية فملكها وولى عليها صلاح الدين ابن أخيه ورجع فدوّخ بلاد الصعيد وسارت عساكر مصر والافرنج الى الاسكندرية وحاصروا بها صلاح الدين فسار اليه أسد الدين فتلقوه بطلب الصلح فتم ذلك بينهم وعاد الى الشأم وترك لهم الاسكندرية وكاتب شجاع بن شاور نور الدين بالطاعة عنه وعن طائفة من الامراء ثم استطال الافرنج على أهل مصر وفرضوا عليهم الجزية وأنزلوا بالقاهرة الشحنة وتسلموا أبوابها واستدعوا ملكهم بالشأم الى الاستيلاء عليها فبادر نور الدين وأعاد أسد الدين في العساكر اليها في ربيع سنة أربع وستين فملكها وقتل شاور وطرد الافرنج عنها وقدمه العاضد لوزارته والاستبداد عليه كما كان من قبله ثم هلك أسد الدين وقام صلاح الدين ابن أخيه مكانه وهو مع ذلك في طاعة نور الدين محمود وهلك العاضد فكتب نور الدين الى صلاح الدين يأمره باقامة الدعوة العباسية بمصر والخطبة للمستضيء ويقال انه كتب له بذلك في حياة العاضد وبين يدي وفاته وهلك لخمسين يوما أو نحوها فخطب للمستضيء العباسي وانقرضت الدولة العلوية بمصر وذلك سنة سبع وستين كما نأتي على شرحه وتفصيله في دولة بني أيوب ان شاء الله تعالى ووقعت خلال ذلك فتنة بين نور الدين محمود وبين صاحب الروم قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان سنة ستين وخمسمائة وكتب الصالح بن زربك الى قليج ارسلان ينهاه عن الفتنة والله تعالى ولي التوفيق

(فتح نور الدين صافيتا وعريمة ومنبج وجعبر)

ثم جمع نور الدين عساكره سنة ثنتين وستين واستدعى أخاه قطب الدين من الموصل فقدم

غلبه بحمص ودخلوا جميعا بلاد الافرنج ومروا بحصن الاكراد واكتسحوا نواحيه ثم حاصروا عرقة وخربوا حلبة وفتحوا العريمة وصافيتا وبعثوا اسراياهم فعاثت في البلاد ورجعوا الى حمص فأقاموا بها الى رمضان وانتقلوا الى بانياس وقصدوا حصن هونين فهرب عنه الافرنج فهدم نور الدين سوره وأحرقه واعتزم على بيروت فرجع عنه أخوه قطب الدين الى الموصل وأعطاه نور الدين من عمله الرقة على الفرات ثم استخلص مدينة منبج من غازي بن حسان وبعث اليها العساكر فملكها عنوة وأقطعها أخاه قطب الدين ينال بن حسان ثم بقيت بيده الى أن أخذها منه صلاح الدين بن أيوب ثم قبض بنو كلاب على شهاب الدين مالك بن علي بن مالك العقيلي صاحب قلعة جعبر وكانت تسمى دوسر ثم تسمت باسم جعبر بانيها وكان السلطان ملكشاه أعطاها لجده بعد ما ملك حلب كما تقدم في أخباره ولم تزل بيده وبيد عقبه الى أن ملك هذا فخرج يتصيد سنة ثلاث وستين وقد أرصد له بنو كلاب فأسروه وحملوه الى نور الدين محمود صاحب دمشق فاعتقله مكرما وحاوله في النزول عن جعبر بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى فأبى وبعث بالعساكر مع الامير فخر الدين مسعود بن أبي علي الزعفراني وحاصرها مدة فامتنعت فبعث عسكرا آخر وقدم على الجميع الامير فخر الدين أبا بكر ابن الداية رضيعه وأكبر أمرائه فحاصرها فامتنعت ورجع الى ملاطفة صاحبها فأجاب وعوضه نور الدين عنها سروج وأعمالها وساحة حلب ومراغة وعشرين ألف دينار وملك قلعة جعبر سنة أربع وستين وانقرض أمر بني مالك منها والبقاء لله وحده

(رحلة زين الدين نائب الموصل الى اربل واستبداد قطب الدين بملكه)

قد كان تقدم لنا أن نصير الدين جقري كان نائب الاتابك زنكي بالموصل وقتل البارسلان ابن السلطان محمود آخر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة طمعا في الملك لغيبة الاتابك فرجع من غيبته في حصار البيرة وقدم مكانه زين الدين علي بن كشتكين بقلعة الموصل ولم يزل مستقيما أيام الاتابك وأيام ابنه غازي وابنه الآخر قطب الدين سنة ثمان وخمسين على وزيرهم جمال الدين محمد بن علي بن منصور الاصبهاني فاعتقله وذلك لسنة من الاعتقال وحمل الى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم ودفن بها في رباط هنالك أعده لذلك وكانت وفاته أيام سيف الدين غازي بن قطب الدين فولى مكانه جلال الدين أبا الحسن ابنه وكان زين الدين علي بن كشتكين ويعرف بكجك قد استبد في دولة قطب الدين واستقل بحكم الدولة وصارت بيده أكثر البلاد اقطاعا مثل اربل وشهرزور والقلاع التي في تلك البلاد الهكارية منها العمادية وغيرها والحميدية وتكريت وسنجار وقد كان نقل أهله وولده وذخائره الى اربل وأقام بحمل

نيابته من قلعة الموصل فأصابه الكبر وطرقه العمى والصمم فعزم على مفارقة الموصل الى كسريته باربل فسلم جميع البلاد التى بيده الى قطب الدين ماعدا اربل وسار اليها سنة أربع وستين وأقام قطب الدين مكانه فخر الدين عبد المسيح خصيا من موالى جده الاتابك زنكى وحكمه فى دولته فنزل بالقلعة وعمرها وكان الخراب قد لحقها باهمال زين الدين أمر البناء والله تعالى أعلم

(حصار نور الدين قلعة الكرك)

ثم بعث صلاح الدين سنة خمس وستين الى نور الدين محمود يطلب انفاذ أبيه نجم الدين أيوب اليه فبعثه فى عسكر واجتمع اليه خلق من التجار ومن أصحاب صلاح الدين وخشى عليهم نور الدين فى طريقهم من الافرنج فسارت العساكر الى الكرك وهو حصن اختطه من الافرنج البرابس ارناط واختط له قلعة فحاصره نور الدين وجمع له الافرنج فرحل الى مقدمتهم قبل أن يتلاحقوا فأحجموا عن لقائه ونكصوا على أعقابهم وسار فى بلادهم فاكتسحها وخرب مامر به من القلاع وانتهى الى بلاد المسلمين حتى نزل حوشب وبعث نجم الدين من هنالك الى مصر فوصلها منتصف خمس وستين وركب العاضد للقائه ولما كان نور الدين بعشيرا سار للقاء شهاب الدين محمد بن الياس بن أبى الغازى بن ارتق صاحب قلعة أكبره فلما انتهى الى نواحى بعلبك لقى سرية من الافرنج فقاتلهم وهزمهم واستلحمهم وجاء بالاسرى ورؤس القتلى الى نور الدين وعرف الرؤس مقدم الاستبان صاحب حصن الاكراد وكان شجى فى قلوب المسلمين وبلغه وهو بهذا المنزل خبر الزلازل التى عمت البلاد بالشأم والموصل والجزيرة والعراق وخربت أكثر البلاد بعمله فسار اليها وشغل فى اصلاحها من واحدة الى أخرى حتى أكملها بمبلغ جهده واشتغل الافرنج بعمارة بلادهم أيضا خوفا من غائلته والله تعالى أعلم

(وفاة قطب الدين صاحب الموصل وملك ابنه سيف الدين غازى)

ثم توفى قطب الدين مودود بن الاتابك زنكى صاحب الموصل فى ذى الحجة سنة خمس وستين لاحدى وعشرين سنة ونصف من ملكه وعهد لابنه الاكبر عماد الدين بالملك وكان القائم بدولته فخر الدين عبد المسيح وكان شديد الطواعية لنور الدين محمود ويعلم ميله عن عماد الدين زنكى بن مودود فعدل عنه الى أخيه سيف الدين غازى بن مودود بموافقة أمه خاتون بنت حسام الدين تمرتاش بن أبى الغازى ولحق عماد الدين بعمه نور الدين منتصرا به وقام فخر الدين عبد المسيح بتدبير الدولة بالموصل واستبد بها والله

تعالى أعلم

(استيلاء نور الدين على الموصل واقراره ابن أخيه سيف الدين عليها)

ولما ولى سيف الدين غازي بالموصل بعد أبيه قطب الدين واستبدّ عليه فخر الدين عبد المسيح كما تقدم وبلغ الخبر الى نور الدين باستبداده أنف من ذلك وسار في خف من العسكر وعبر الفرات عند جعبر أول سنة ست وستين وقصد الرقة فملكها ثم الخابور فملك جميعه ثم نصيبين وكلها من أعمال الموصل وجاءه هنالك نور الدين محمد بن قرا ارسلان ابن داود بن سقمان صاحب كيفا مددا ثم سار الى سنجار فحاصرها وملكها وسلمها لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين ثم جاءته كتب الامراء بالموصل واستحثوه فأعد السير الى مدينة كلك ثم عبر الدجلة ونزل شرقي الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل وسقطت ذلك اليوم ثلمة كبيرة من سور الموصل وكان سيف الدين غازي قد بعث أخاه عز الدين مسعودا الى الاتابك شمس الدين صاحب همدان وبلاد الجبل وأذربيجان واصبهان والري يستنجده على عمه نور الدين فأرسل ايلدكز الى نور الدين ينهاه عن الموصل فأساء جوابه وتوعده وأقام يحاصر الموصل ثم اجتمع أمراؤها على طاعة نور الدين ولما أحس فخر الدين عبد المسيح استأمن الى نور الدين على أن يبقى ... الدين ابن أخيه على ملكها فأجابه على أن يخرج هو عنه ويكون معه بالشام وتم ... يوم ... وملك نور الدين منتصف جمادى الاولى من سنة ست وستين ودخل المدينة واستناب بالقلعة خصيا اسمه كمشتكين ولقبه سعد الدين فأقر سيف الدين ابن أخيه على ملكه وخلع عليه خلعة وردت عليه من الخليفة المستضيء وهو يحاصرها وأمر ببناء جامع بالموصل فبنى وشهر باسمه وأمر سيف الدين أن يشاور كمشتكين في جميع أموره وأقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين وعاد الى الشأم والله تعالى أعلم

(الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين)

ثم سار صلاح الدين في صفر سنة تسع وستين من مصر الى بلاد الافرنج غازيا ونازل حصن الشوبك من أعمال ... واستأمن اليه أهله على أن يمهلهم عشرة أيام فأجابهم وسمع نور الدين بذلك فسار من دمشق غازيا أيضا بلاد الافرنج من جانب آخر ونصح لصلاح الدين أصحابه بأنك ان ظاهرته على الافرنج اضمحل أمرهم فاستطال عليك نور الدين ولا تقدر على الامتناع منه فترك الشوبك وكر راجعا الى مصر وكتب لنور الدين يعتذر له بأنه بلغه عن بعض شيعة العلويين بمصر أنهم معتزمون على الوثوب فلم يقبل نور الدين عذره في ذلك واعتزم على عزله عن مصر فاستشار صلاح

الدين أباه وخاله شهاب الدين الحارمي وقرابتهم فأشار عليه تقي الدين عمر بن أخيه
بالامتناع والعصيان فنكر عليه نجم الدين أبوه وقال له ليس منا من يقوم بعصيان نور
الدين لو حضر أو بعث وأشار عليه بأن يكاتبه بالطاعة وأنه ان عزم على أخذ البلاد منك
فسلمها ويصل بنفسه وافترق المجلس فخلا به أبوه وقال مالك توجد بهذا الكلام السبيل
للامراء في استطالتهم عليك ولو فعلتم ما فعلتم كنت أول الممتنعين عليه ولكن
ملاطفته أولى وكتب صلاح الدين الى نور الدين بما أشار به أبوه من الملاطفة فتركهم نور
الدين وأعرض عن قصدهم ثم توفي واشتغل صلاح الدين بملك البلاد ثم جمع نور الدين
العساكر وسار لغزو الافرنج بسبب ما أخذوه لاهل البلاد من مراكب التجار ونكثوا
فيها العهد مغالطين بأنها تكسرت فلم يقبل مغالطتهم وسار اليهم وبث السرايا
في بلادهم نحو انطاكية وطرابلس وحاصر هو حصن عرقة وخرب ربضه وأرسل
عسكرا الى حصن صافيتا وعريمة ففتحهما عنوة وخربهما ثم سار من عرقة الى طرابلس
واكتسح كل ما مر عليه حتى رجع الافرنج الى الانصاف من أنفسهم وردوا ما أخذوا
من المكرمين الاعزين وسألوا تجديد الهدنة فأجابهم بعد أن خربت بلادهم وقتلت
رجالهم وغنمت أموالهم ثم اتخذ نور الدين في هذه السنة الحمام بالشأم
تطيرا الى أوكارها من لاتساع بلاده ووصول الاخبار بسرعة فبادر الى
القيام بواجبه وأجرى الجرايات على المرتبين لحفظها لتصل الكتب في أجنحتها ثم أغار
الافرنج على حوران من أعمال دمشق وكان نور الدين بمنزل الكسوة فرحل اليهم
ورحلوا أمامه الى السواد وتبعهم المسلمون ونالوا منهم ونزل نور الدين على عشترا
وبعث منها سرية الى أعمال طبرية فاكتسحها وسار الافرنج لمدافعتهم فرجعوا عنها
واتبعهم الافرنج فعبروا النهر وطمعوا في استنقاذ غنائمهم فقاتلهم المسلمون دونها
أشد قتال الى أن استنقذت وتحاجزوا ورجع الافرنج خائبين والله تعالى ينصر
المسلمين على الكافرين بمنه وكرمه

الساقط في الوضعين بالأصل

(واقعة ابن ليون ملك الارمن بالروم)

كان مليح بن ليون صاحب دروب حلب أطاع نور الدين محمود بن زنكي وأمره على
الجمالة وأقطعه ببلاد الشأم وكان يسير في خدمته ويشهد حروبه مع الافرنج أهل ملته
وكان الارمني أيضا يستظهر به على أعدائه وكانت أذنة والمصيصة وطرسوس مجاورة
لابن ليون وهي بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فتغلب عليها ابن ليون وملكها
وبعث صاحب القسطنطينية منتصف سنة ثمان وستين وخمسمائة جيشا كثيفا
مع عظيم من بطارقته فلقيه ابن ليون بعد أن استنجد نور الدين فأنجده بالعساكر وقاتلهم

بهزمهم وبعث بعمائهم وأسراهم الى نورالدين وقويت شوكة ابن ليون ويئس الروم من تلك البلاد والله تعالى أعلم

(مسير نور الدين الى بلاد الروم)

كان ذوالنون بن محمد بن الدانشمند صاحب ملطية وسيواس واقصرى وقيسارية ملكها بعد عمه ياغى ارسلان وأخيه ابراهيم بن محمد فلم يزل قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان يحيف بلاده الى أن استولى عليها ولحق ذوالنون بنورالدين صريخا وأرسل الى قليج ارسلان بالشفاعة فى رد بلاده فلم يشفعه فسار اليه وملك من بلاده بكسون ومهنسا ومرعش ومرزبان وما بينهما فى ذى القعدة سنة ثمان وستين ثم بعث عسكرا الى سيواس فملكوها ثم أرسل قليج ارسلان الى نورالدين يستعطفه وقد كان يعتزم أمامه الى قاصية بلاده فأجابه نورالدين الى الصلح على أن يمده بعسكر الافرنج وبقى سيواس بيد ذى النون وعسكر نورالدين الذى معه فيها ورجع نورالدين الى بلاده وبقيت سيواس بيد ذى النون حتى مات نورالدين وعاد قليج ارسلان ثم وصل رسول نورالدين من بغداد كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزورى ومعه منشور من الخليفة المستضىء لنورالدين بالموصل والجزيرة واربل وخلاط والشأم وبلاد الروم وديار مصر والله سبحانه وتعالى أعلم

(مسير صلاح الدين الى الكرك ورجوعه)

ولما كانت الوحشة بين نورالدين وصلاح الدين كما قدمناه واعتزم نورالدين على عزله عن مصر واستعطفه صلاح الدين كان فيما تقرر بينهما أنهما يجتمعان على الكرك وأيهما سبق انتظر صاحبه فسار صلاح الدين من مصر فى شوال سنة ثمان وستين وسبق الى الكرك وحاصره وخرج نورالدين بعد أن بلغه مسير صلاح الدين من مصر وأزاح علل العساكر وانتهى الى الرقيم على مرحلتين من الكرك فخافه صلاح الدين على نفسه وخشى أن يعزله عند لقائه وكان استخلف أباه نجم الدين أيوب على مصر وبلغه أنه طرقه مرض شديد فوجد فيه عذرا لنورالدين وكر راجعا الى مصر وبعث الفقيه عيسى بذلك العذر وان حفظه مصر أهم عليه فلما وصل مصر وجد أباه قد توفى من سقطة سقطها عن مركوبه هوه المرح فرماه وحمل الى بيته وقيذا ومات لايام قريبة آخر ذى الحجة من السنة ورجع نورالدين الى دمشق وكان قد بعث رسوله كمال الدين الشهرزورى القاضى ببلاده وصاحب الوقوف والديوان لطلب التقليد للبلاد التى بيده مثل مصر والشأم والجزيرة والموصل والتى دخلت فى طاعته كديار بكر وخلاط

وبلاد الروم وأن يعاد له ما كان لابيه زنكى من الاقطاع بالعراق وهى صريفين ودرب هرون وأن يسوغ قطعة أرض على شاطئ دجلة بظاهر الموصل يبنى فيها مدرسة للشافعية فأسعف بذلك كله

(وفاة نور الدين محمود وولاية ابنه اسمعيل الصالح)

ثم توفى نور الدين محمود بن الاتابك زنكى حادى عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة لسبع عشرة سنة من ولايته وكان قد شرع فى التجهز لاخذ مصر من صلاح الدين ابن أيوب واستنفر سيف الدين ابن أخيه فى العساكر موريا بغزو الافرنج وكان قد اتسع ملكه وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن لما ملكها سيف الدولة بن أيوب وكان معتنيا بمصالح المسلمين مواظبا على الصلاة والجهاد وكان عارفا بمذهب أبى حنيفة ومتحريا للعدل ومتجافيا عن أخذ المكوس فى جميع أعماله وهو الذى حصن قلاع الشأم وبنى الاسوار على مدنها مثل دمشق وحمص وحماة وشيزر وبعلبك وحلب وبنى مدارس كثيرة للحنفية والشافعية وبنى الجامع النورى بالموصل والمارستانات والخانات فى الطريق والخوانق للصوفية فى البلاد واستكثر من الاوقاف عليها يقال بلغ ريع أوقافه فى كل شهر تسعة آلاف دينار صورى وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ويمثل لهم قائما ويؤنسهم فى المجالسة ولا يرد لهم قولا وكان متواضعا مهيبا وقورا ولما توفى اجتمع الامراء والمقدمون وأهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنه الملك الصالح اسمعيل وهو ابن احدى عشرة سنة وحلفوا له وأطاعه الناس بالشأم وصلاح الدين بمصر وخطب له هنالك وضرب السكة باسمه وقام بكفالته وتدبير دولته الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم واشار عليه القاضى كمال الدين الشهرزورى بأن يرجعوا فى جميع أمورهم الى صلاح الدين لئلا ينبذ طاعتهم فأعرضوا عن ذلك والله تعالى ولى التوفيق

(استيلاء سيف الدين غازى على بلاد الجزيرة)

قد كنا قدمنا أن نور الدين استولى على بلاد الجزيرة وأقر سيف الدين ابن أخيه قطب الدين على الموصل واحتمل معه فخر الدين عبد المسيح الذى ولى سيف الدين واستبد عليه بأمره وولى على قلعة الموصل سعد الدين كمشتكين ولما استنفرهم نور الدين بين يدى موته سار اليه سيف الدين غازى وكمشتكين الخادم فى العساكر وبلغهم فى طريقهم خبر وفاته وكان كمشتكين فى المقدمة فهرب الى حلب واستولى سيف الدين على مخلفه وسواده وعاد الى نصيبين فملكها وبعث العساكر الى الخابور فاستولى عليها وعلى أقطاعها ثم سار

الى حران وبها قايماز الحراني مولى نور الدين فحاصرها أياما ثم استنزله على أن يقطعه حران فلما نزل قبض عليه وملكها ثم سار الى الرها وبها خادم لنور الدين فتسلمها وعوضه عنها قلعة الزعفراني من جزيرة ابن عمر وانتزعها منه بعد ذلك ثم سار الى الرقة وسروج فملكها واستوعب بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر لامتناعها وسوى راس عين كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خاله وكان شمس الدين على بن الداية بحلب وهو من أكبر أمراء نور الدين ومعه العساكر ولم يقدر على مدافعة سيف الدين فخر الدين عبد المسيح وكان نور الدين تركه قبل موته بسيواس مع ذى النون بن الدانشمند فلما مات نور الدين رجع الى صاحبه سيف الدين غازى وهو الذى كان ملكه فوجده بالجزيرة وقد ملكها فأشار عليه بالعبور الى الشام وعارضه آخر من أكبر الامراء فى ذلك فرجع سيف الدين الى قوله وعاد الى الموصل وأرشد صلاح الدين الى الملك الصالح وأهل دولته بعتابهم حيث لم يستدعوه لمدافعة سيف الدين عن الجزيرة وتهدد ابن المقدم وأهل الدولة على انفرادهم بأمر الملك الصالح دونه وعلى قعودهم عن مدافعة سيف الدين غازى ثم أرسل شمس الدين بن الداية الى الملك الصالح يستدعيه من دمشق الى حلب ليدافع شمس الدين ابن عمه قطب الدين عن الجزيرة فمنعه أمراؤه عن ذلك مخافة أن يستولى عليه ابن الداية والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه

(حصار الافرنج بانياس)

ولما مات نور الدين محمود اجتمع الافرنج وحاصروا قلعة بانياس من أعمال دمشق وجمع شمس الدين بن المقدم العساكر وسار عن دمشق وراسل الافرنج وتهددهم بسيف الدين صاحب الموصل وصلاح الدين صاحب مصر فصالحوه على مال يبذله اليهم واشترى من الافرنج وأطلقهم وتقررت الهدنة وبلغ ذلك صلاح الدين فنكره واستعظمه وكتب الى الصالح وأهل دولته يقبح من تمكينهم ويعدهم بغزوة الافرنج وقصده اعتاه وطريقه الى الشام لتلك البلاد وانما صالح ابن المقدم الافرنج خوفا منه ومن سيف الدين والله تعالى أعلم

(استيلاء صلاح الدين على دمشق)

ولما كان ما ذكرناه من استيلاء سيف الدين غازى على بلاد الجزيرة خاف شمس الدين ابن الداية منه على حلب وكان سعد الدين كمشتكين قد هرب من سيف الدين غازى اليه فأرسله الى دمشق ليستدعى الملك الصالح للمدافعة فلما قارب دمشق أنفذ ابن المقدم اليه عسكرا انتهبوه وعاد الى حلب ثم رأى ابن المقدم وأهل الدولة بدمشق أن مسير

الصالح الى حلب أصلح فبعثوا الى كمشتكين وبعثوا معه الملك الصالح فلما وصل الى حلب قبض كمشتكين على ابن الداية واخوته وعلى رئيس حلب ابن الخشاب وعلى مقدم الأحداث بها واستبد بأمر الصالح وخشى ابن المقدم وأمراؤه بدمشق غائلته فكاتبوا سيف الدين غازى صاحب الموصل أن يملكوه فأحجم عن المسير اليهم وظنها مكيدة وبعث بخبرهم الى كمشتكين وصالحه على مال أخذه من البلاد فكثر ارتياب القوم فى دمشق فكاتبوا صلاح الدين بن أيوب فطار اليهم ونكب عن الافرنج فى طريقه وقصد بصرى وأطاعه صاحبها ثم سار صلاح الدين الى دمشق فخرج اليه أهل الدولة بمقدمهم شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم وهو الذى كان أبوه سلم سنجار لنور الدين سنة أربع وأربعين كما مر ودخل صلاح الدين دمشق آخر ربيع سنة سبعين ونزل دار أبيه المعروفة بدار العقيقى وكان فى القلعة ريحان خديم نور الدين فبعث اليه صلاح الدين القاضى كمال الدين الشهرزورى بأنه على طاعة الصالح والخطبة له فى بلاده وانه انما جاء ليرتجع البلاد التى أخذت له فسلم اليه ريحان القلعة واستولى على ما فيها من الاموال وهو فى ذلك كله يظهر طاعة الملك الصالح ويخطب له وينقش السكة باسمه انتهى والله أعلم

* (استيلاء صلاح الدين على حمص وحماة ثم حصاره حلب ثم ملكه بعلبك) *

ولما ملك صلاح الدين دمشق من ايالة الملك الصالح استخلف عليها أخاه سيف الاسلام طغركين بن أيوب وكانت حمص وحماة وقلعة مرعش وسلمية وتل خالد والرها من بلاد الجزيرة فى اقطاع فخر الدين مسعود الزعفرانى من أمراء نور الدين ماعدا القلاع منها ولما مات نور الدين أجفل الزعفرانى عنها لسوء سيرته ولما ملك صلاح الدين دمشق سار الى حمص فملك البلد وامتنعت القلعة بالوالى الذى بها فجهز عسكرا لحصارها وسار الى حماة فنازلها منتصف شعبان وبقلعتها الامير خرديك فبعث اليه صلاح الدين بأنه فى طاعة الملك الصالح وانما جاء لمدافعة الافرنج عنه وارتجاع بلاده بالجزيرة من ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل واستحلفه على ذلك عز الدين ثم بعثه صلاح الدين الى الملك الصالح بحلب فى الاتفاق واطلاق شمس الدين على حسن وعثمان تقى الدين من الاعتقال فسار عز الدين لذلك واستخلف بالقلعة أخاه ولما وصل الى حلب قبض عليه كمشتكين وحبسه فسلم أخوه قلعة حماة لصلاح الدين وملكها ثم سار صلاح الدين من وقته الى حلب وحاصرها وركب الملك الصالح وهو صبى مناهز فسار فى البلد واستعان بالناس وذكر حقوق أبيه فبكى الناس رحمة له واستماتوا دونه وخرجوا فدافعوا عسكر صلاح الدين ودس كمشتكين الى مقدم الاسماعيلية فى القتل

بصلاح الدين فبعث الملك مداوية منهم وشعر بذلك بعض أصحاب صلاح الدين وجماعة منهم معه وقتلوا عن آخرهم وأقام صلاح الدين محاصرا لحلب وبعث كمشتكين الى الافرنج يستنجدهم على منازلة بلاد صلاح الدين ليرحل عنهم وكان القمص صنجيل صاحب طرابلس أسره نور الدين في حارم سنة تسع وخمسين وبقي معتقلا حتى أطلقه الآن كمشتكين بمائة وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير وكان متغلبا على ابن مرى ملك الافرنج لكونه مجذوما لا يصدر الا عن رأيه فسار بجموع الافرنج الى حمص سابع رجب وصالحهم صلاح الدين من الغد فأجفلوا وحاصرها وملكها آخر شعبان واستولى على أكثر الشام ثم سار الى بعلبك وبها ابن الخادم من موالي نور الدين فحاصرها حتى استأمنوا اليه فملكها منتصف رمضان من السنة وأقطعها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم بما تولى له من اظهار طاعته بدمشق وتسليمها له والله تعالى أعلم

حروب صلاح الدين مع سيف الدين غازي صاحب الموصل وغلبه اياه واستيلاؤه على بعدوين وغيرها من أعمال الملك الصالح ثم مصالحته على حلب

لما ملك صلاح الدين حمص وحماة وحاصر حلب كاتب الملك الصالح اسمعيل من حلب الى ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده بجميع عساكره واستنجد أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار ولم يجبه لما كان بينه وبين صلاح الدين وأنه ولاه سنجار ويطمعه في الملك فبعث سيف الدين غازي بالعساكر لمدافعة صلاح الدين عن الشام في رمضان سنة سبعين وخمسمائة مع أخيه عز الدين مسعود وأمير جيوش عز الدين القندار وجعل التدبير اليه وسار هو الى سنجار فحاصرها أخاه عماد الدين وامتنع عليه وبينما هو يحاصره جاءه الخبر بأن صلاح الدين هزم أخاه عز الدين وعساكره فصالح عماد الدين على سنجار وعاد الى الموصل ثم جهز أخاه عز الدين في العساكر ثانية ومعه القندار وساروا الى حلب فانضمت اليهم عساكره وساروا جميعا الى صلاح الدين فأرسل الى عماد الدين بالموصل في الصلح بينه وبين الملك الصالح على أن يرد عليه حمص وحماة ويسوغه الصالح دمشق فأبى الا ارتجاع جميع بلاد الشام واقتصاره على مصر فسار صلاح الدين الى عساكرهم ولقيها قريبا من حماة فانهزمت وثبت عز الدين قليلا ثم صدق عليه صلاح الدين الحملة فانهزم وغنم سوادهم ومخلفهم واتبع عساكر حلب حتى أخرجهم منها وحاصرها وقطع خطبة الملك الصالح وبعث بالخطبة للسلطان في جميع بلاده ولما طال عليهم الحصار صالحوه على اقراره على جميع ما ملك من الشام ورحل عن حلب عاشر شوال من السنة وعاد الى حماة ثم سار منها الى بعدوين وكانت لفخر

الدين مسعود بن الزعفرانى من أمراء نور الدين وكان قد اتصل بالسلطان صلاح الدين واستخدم له ثم فارقه حيث لم يحصل على غرضه عنده فلحق بقدوين وبها نائب الزعفرانى فحاصرها حتى استأمنوا اليه وأقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمى وأقطع حمص ناصر الدين بن عمه شيركوه وعاد الى دمشق آخر سنة سبعين وكان سيف الدين غازى صاحب الموصل بعد هزيمة أخيه وعساكره عاد من حصار أخيه بسنجار كما قلناه الى الموصل فجمع العساكر وفرق الاموال واستنجد صاحب كيفا وصاحب ماردين وسار فى ستة آلاف فارس وانتهى الى نصيبين فى ربيع سنة احدى وسبعين فأقام الى انسلاخ فصل الشتاء وسار الى حلب فبرز اليه سعد الدين كمشتكين الخادم مدبر الصالح فى عساكر حلب وبعث صلاح الدين عن عساكره من مصر وقد كان أذن لهم فى الانطلاق فجاؤا اليه وسار من دمشق الى سيف الدين وكمشتكين فلقيهم بتل الفحول وانهزموا راجعين الى حلب وترك سيف الدين أخاه عز الدين بها فى جمع من العساكر وعبر الفرات الى الموصل يظن أن صلاح الدين فى اتباعه وشاور الصالح وزيره جلال الدين ومجاهد الدين قايماز فى مفارقة الموصل الى قلعة الحميدية فعارضاه فى ذلك ثم عزل القندار عن امارة الجيوش لانه كان جر الهزيمة برأيه ومفارقته وولى مكانه مجاهد الدين قايماز ولما انهزمت العساكر أمام صلاح الدين وغنم مخلفها سار الى مراغة وملكها وولى عليها ثم سار الى منبج وبها صاحبها قطب الدين نيال بن حسان المنبجى وكان شديد العداوة لصلاح الدين فملك المدينة وحاصره بالقلعة وضيق مخنقه ثم نقب أسوارها وملكها عليه عنوة وأسره ثم أطلقه سليبا فلحق بالموصل وأقطعه سيف الدين الرقة ولما فرغ صلاح الدين من منبج سار الى قلعة عزاز وهى فى غاية المنعة فحاصرها أربعين يوما حتى استأمنوا اليه فتسلمها فى الاضحى ثم رحل الى حلب فحاصرها وبها الملك الصالح واشتد أهلها فى قتاله فعدل الى المطاولة ثم سعى بينهما فى الصلح وعلى أن يدخل فيه سيف الدين صاحب الموصل وصاحب كيفا وصاحب ماردين فاستقر الامر على ذلك وخرجت أخت الملك الصالح الى صلاح الدين فأكرمها وأفاض عليها العطاء وطلبت منه قلعة عزاز فأعطاها اياها ورحل الى بلاد الاسماعيلية والله سبحانه وتعالى أعلم

(عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين صاحب الموصل ورجوعه)

كان مجاهد الدين قايماز متولى مدينة اربل وكان بينه وبين شهاب الدين محمد بن بدران صاحب شهرزور عداوة فلما ولى سيف الدين مجاهد الدين قايماز نيابة الموصل خاف شهاب الدين غائلته عن تعاهد الخدمة بالموصل وأظهر الامتناع وذلك سنة ثنتين

وسبعين فخاطبه جلال الدين الوزير في ذلك مخاطبة بليغة وحذره ورغبه فعاود الطاعة وبادر الى الحضور بالموصل والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(نكبة كمشتكين الخادم ومقتله)

كان سعد الدين كمشتكين الخادم قائما بدولة الملك الصالح في حلب وكان يناهضه فيها أبو صالح العجمي تقدم عند نور الدين وعند ابن الملك الصالح وتجاوز مراتب الوزير فعدا عليه بعض الباطنية فقتله وخلا الجو لكمشتكين وانفرد بالاستبداد على الصالح وكثرت السعاية فيه بحجر السلطان والاستبداد عليه ورأيه فتسل وزيره فقبض عليه وامتحنه وكان قد أقطعه قلعة حارم فامتنع بها أصحابه وأرادهم الصالح على تسليمها فامتنعوا وهلك كمشتكين في المحنة وطمع فيها وسار وا اليها وحاصروها وصانعهم الصالح بالمال فرجعوا عنها وبعث عساكره اليها وقد جهدهم الحصار فسلموها له وولى عليها والله تعالى أعلم

(وفاة الصالح اسمعيل واستيلاء ابن عمه عز الدين مسعود على حلب)

ثم توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب في منتصف سنة سبع وسبعين لثمان سنين من ولايته وعهد بملكه لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل واختلف أهل دولته على ذلك بعضهم بعماد الدين صاحب سنجار أخي عز الدين الاكبر لكان صهره على أخت الصالح وأن أباه نور الدين كان يميل اليه فأبى وقال عز الدين أنا أقدر على مدافعة صلاح الدين عن حلب فلما قضى نحبه أرسل الامراء بحلب الى عز الدين مسعود يستدعونه فوصل هو ومجاهد الدين قايماز الى الفرات ولقيهما الأمراء حلب وجاؤا معه فدخلها آخر شعبان من السنة وصلاح الدين يومئذ بمصر بعيدا عنهم وتقي الدين عمر بن أخيه في منبج فلما أحس بهم فارقها الى حماة وثار به أهل حماة ونادوا بشعار عز الدين وأشار أهل حلب عليه بقصد دمشق وبلاد الشام وأطمعوه فيها فأبى من أجل العهد الذي بينه وبين صلاح الدين ثم أقام بحلب شهورا وسار عنها الى الرقة والله تعالى أعلم

(استيلاء عماد الدين على حلب ونزوله عن سنجار لأخيه عز الدين)

ولما انتهى عز الدين الى الرقة مرتحلا من حلب وافقه هنالك رسل أخيه عماد الدين صاحب سنجار يطلب منه أن يملكه مدينة حلب ويعطيه عوضها سنجار ويرل هوله عن حلب فلم يجبه الى ذلك فبعث عماد الدين اليه بأنه يسلم سنجار الى صلاح الدين فحمل الامراء حينئذ على

معاوضته على سنجار وتحميهم له ولم يكن لعز الدين مخالفا لتمكنه فى الدولة وكثرة بلاده وعساكره فأخذ سنجار من أخيه عماد الدين وأعطاه حلب وسار اليها عماد الدين وملكها وسهل أمره على صلاح الدين بعد ان كان متخوفا من عز الدين على دمشق والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿مسير صلاح الدين الى بلاد الجزيرة وحصاره الموصل واستيلاؤه على كثير من بلادها ثم على سنجار﴾

كان عز الدين صاحب الموصل قد أقطع مظفر الدين كوكبرى زين الدين كجك مدينة حران وقلعتها ولما سار صلاح الدين لحصار البيرة جنح اليه مظفر الدين ووعده النصر واستحثه للقدوم على الجزيرة فسار الى الفرات موريا بقصد وعبر اليه مظفر الدين فلقيه وجاء معه الى البيرة وهى قلعة منيعة على الفرات من عدوة الجزيرة وكان صاحبها من بنى ارتق أهل ماردين قد أطاع صلاح الدين فعبر من جسرها وعز الدين صاحب الموصل يومئذ قد سار ومعه مجاهد الدين الى نصيبين لمدافعة صلاح الدين عن حلب فلما بلغهما عبوره الفرات عادا الى الموصل وبعثا حامية الى الرها وكاتب صلاح الدين ملوك النواحى بالنجدة والوعد على ذلك وكان تقدم العهد بينه وبين نور الدين محمد بن قرى ارسلان صاحب كيفا على أن صلاح الدين يفتح آمد ويسلمها اليه فلما كاتبهم الآن كان صاحب كيفا أول مجيب وسار صلاح الدين الى الرها فحاصرها فى جمادى سنة ثمان وسبعين وبها يومئذ فخر الدين مسعود الزعفرانى فلما اشتد به الحصار استأمن الى صلاح الدين وحاصر معه القلعة حتى سلمها نائبها على مال أخذه وأقطعها صلاح الدين مظفر الدين كوكبرى صاحب حران وسار عنها الى الرقة وبها نائبها قطب الدين نيال بن حسان المنبجى فاجفل عنها الى الموصل وملكها صلاح الدين وسار الى الخابور وهو قرقيسيا وماكسين وعرمان فاستولى على جميعها وسار الى نصيبين فملكها لوقتها وحاصر القلعة اياما وملكها وأقطعها أبا الهيجاء السمين من أكبر أمرائه وسار عنها وملكها ومعه صاحب كيفا وجاءه الخبر بأن الافرنج أغاروا على أعمال دمشق ووصلوا داريا فلم يحفل بخبرهم واستمر على شأنه وأغراه مظفر الدين كوكبرى وناصر الدين محمد بن شيركوه بالموصل ورجحا قصدها على سنجار وجزيرة ابن عمر كما أشار عليهما فسار صلاح الدين وصاحبها عز الدين ونائبه مجاهد الدين وقد جمعوا العساكر وأفاضوا العطاء وشحنوا البلاد التى بأيديهم كالجزيرة وسنجار والموصل واربل وسار صلاح الدين حتى قاربها وسار هو ومظفر الدين وابن شيركوه فى أعيان دولته الى السور فرآه مخايل الامتناع وقال لمظفر الدين ولناصر الدين

ابن عمه قد أغر بقانى ثم صبح البلد وناشبه وركب أصحابه فى المقاعد للقتال ونصب
منجنيقا فلم يغن ونصب اليه من البلد تسعة ثم خرج اليه جماعة من البلد وأخذوه
وكانوا يحرسون ليلا من البلد بالمشاعل ويوهمون الحركة فخشى صلاح الدين من البيات
وتأخر عن القصد وكان صدر الدين شيخ الشيوخ قد وصل من قبل الخليفة الناصر مع
بشير الخادم من خواصه فى الصلح بين الفريقين على اعادة صلاح الدين بلاد الجزيرة
فأجاب على اعادة الآخر بن حلب فامتنعوا ثم رجع عن شرط حلب الى ترك مظاهرة
صاحبها فاعتذروا عن ذلك ووصلت رسل صاحب اذربيجان قزل ارسلان وأرسل
صاحب خلاط شاه ارمن فلم ينتظم بينهما أمر ورحل صلاح الدين عن الموصل الى سنجار
فحاصرها وبها أمير أميران وأخوه عز الدين صاحب الموصل
فى عسكر ولقبه شرف الدين وجاءها المدد من الموصل فحال بينهم وبينها وداخله بعض
أمراء الاكراد من الزوادية من داخلها فكبسها صلاح الدين من ناحيته واستأمن
شرف الدين لوقته فأمنه صلاح الدين ولحق بالموصل وملك صلاح الدين سنجار
وصارت سياجا على جميع ما ملكه بالجزيرة وولى عليها سعد الدين ابن معين الدين انر
الذى كان متغلبا بدمشق على آخر طغركين وعاد الى نصيبين وشكا اليه
أهلها من أبى الهيجاء السمين فعزله وسار الى حران بلد مظفر الدين كوكبرى فوصلها
فى القعدة من سنة سبع وثمانين وأراح بها وأذن لعساكره فى الانطلاق وكان
عز الدين قد بعث الى شاه ارمن صاحب خلاط يستنجده وأرسل شاه ارمن الى صلاح
الدين بالشفاعة فى ذلك رسلا عديدة آخرهم مولاه سكرباه وهو على سنجار فلم يشفعه
أنفا من ذلك وفارقه مغاضبا وسار شاه ارمن الى قطب الدين صاحب
ماردين وهو ابن أخته وابن خال عز الدين وصهره على بنته فاستنجده وسار معه وجاءهم
عز الدين من الموصل فى عساكره واعتزموا على قصد صلاح الدين وبلغه الخبر وهو
مريح بحران فبعث عن تقى الدين ابن أخيه صاحب حمص وحماة وارتحل للقائهم ونزل
رأس عين فخاموا عن لقائه ولحق كل ببلده وسار صلاح الدين الى ماردين فأقام عليها
اياما ورجع والله تعالى أعلم

(استيلاء صلاح الدين على حلب وأعمالها)

ولما ارتحل صلاح الدين عن ماردين قصد آمد فحاصرها سنة تسع وسبعين وملكها وسلمها
لنور الدين محمد بن قرا ارسلان كما كان العهد بينهما وقد أشرنا اليه ثم سار الى الشام
فحاصر تل خالد من أعمال حلب حتى استأمنوا اليه وملكها فى محرم سنة تسع وسبعين
وسار منها الى عنتاب وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل خازن نور الدين محمود

وصاحبه ولاه عليها نور الدين فلم يزل بها فاستأمن الى صلاح الدين على أن يقره على
الحصن و يكون فى خدمته فأقره وأطاعه ورحل صلاح الدين الى حلب و بها عماد
الدين زنكى بن مودود ونزل عليها بالميدان الاخضر اياما ثم انتقل الى جبل جوشن
أياما أخرى وأظهر أنه أبنى عليها وعجز عماد الدين عن عطاء الجند فراسل صلاح الدين
أن يعوضه عنها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج فأجاب الى ذلك وأعطاه عنها
تلك البلاد وملكها وكان فى شرط صلاح الدين عليه انه يبادر الى الخدمة متى
دعاه اليها وسار عماد الدين الى بلاده تلك ودخل صلاح الدين حلب فى آخر سنة تسع
وسبعين ومات عليها أخوه الاصغر تاج الملوك بورى بضربة فى ركبته تصدعت لها
ومات بعد فتح حلب ثم ارتحل صلاح الدين الى قلعة حارم و بها سرجك من موالى نور
الدين ولاه عليها عماد الدين فلما سلم حلب لصلاح الدين امتنع سرجك فى قلعة حارم
فحاصره صلاح الدين وترددت الرسل بينهما وقدس الى الافرنج ودعاهم وخشى
الجند الذين معه أن يسلمها اليهم فحبسوه واستأمنوا الى صلاح الدين فملكها وولى عليها
بعض خواصه وعلى تل خالد الامير داروم الياروقى صاحب تل باشر وأقطع قلعة عزاز
الامير سليمان بن جندر فعمرها بعد ان كان عماد الدين خربها وأقطع صلاح الدين أعمال
حلب لامرائه وعساكره والله تعالى أعلم

(نكبة مجاهد الدين قايماز)

كان مجاهد الدين قايماز قائما بدولة الموصل ومتحكما فيها كما قلناه وكان عز الدين محمود
الملقب زلقندار صاحب الجيش وشرف الدين أحمد بن أبى الخير الذى كان صاحب
العراق كان من أكابر الامراء عند السلطان عز الدين مسعود صاحب الموصل
وكانا يغريانه بمجاهد الدين و يكثران السعاية عنده فيه حتى اعتزم على نكبته ولم يقدر
على ذلك فى مجلسه لاستبداد مجاهد الدين وقوة شوكته فانقطع فى بيته لعارض
مرض وكان مجاهد الدين خصيا لا يحتجب منه النساء فدخل عليه يعوده فقبض
عليه وركب الى القلعة فاحتوى على أمواله وذخائره وولى بها زلقندار نائبا وجعل
ابن صاحب العراق أميرا حاجبا وحكمهما فى دولته وكان فى يد مجاهد الدين اربل
وأعمالها فيها زين الدين يوسف بن زين الدين على بكتكين صبيا صغيرا تحت استبداده
و بيده أيضا جزيرة ابن عمر لمعز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازى وهو صبى تحت
استبداده و بيده أيضا شهرزور وأعمالها ودقوقا وقلعة عقر الحميدية ونوابه فى جميعها
ولم يكن لعز الدين مسعود بعد استيلاء صلاح الدين على الجزيرة سوى الموصل وقلعتها
لمجاهد الدين وهو الملك فى الحقيقة فلما قبض عز الدين عليه امتنع صاحب اربل واستبد

بنفسه وكان صاحب جزيرة ابن عمر وبعث بطاعته الى صلاح الدين وبعث الخليفة الناصر شيخ الشيوخ وبشيرا الخادم بالصلح بين عز الدين وصلاح الدين على أن تكون الجزيرة واربل من أعماله وامتنع عز الدين وقال هما من أعمالى وطمع صلاح الدين فى الموصل فنكر عز الدين لرقيب الدولة ابن صاحب العراق للحلاء عليه من الفساد لنكبة مجاهد الدين ببدأ أولا بعزل صاحب اذربيجان فقال له أما أكفيكه وجهز له عسكرا نحو ثلاثة آلاف فارس وساروا نحو اربل فاكتسحوا البلد ونهبوها وسار اليهم زين الدين يوسف باربل فوجدهم مفترقين فى النهب فهزمهم وما كان بعضهم وعاد ظافرا ولحق العجم ببلادهم وعاد مجاهد الدين الى الموصل والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

(حصار صلاح الدين الموصل وصلحه مع عز الدين صاحبها)

ثم سار صلاح الدين من دمشق فى ذى القعدة سنة احدى وثمانين فلما انتهى الى حران قبض على صاحبها مظفر الدين كوكبرى لانه كان اذلك وعده بخمسين ألف دينار حتى اذا وصل لم يف له بها فقبض عليه لاعتراف أهل الجزيرة عنه فأطلقه ورد عليه مدينتى حران والرها وسار عن حران وجاء معه عساكر كيفا ودارى وعساكر جزيرة ابن عمر مع صاحبها معز الدين سنجر شاه ابن أخى معز الدين صاحب الموصل وقد كان استبد بأمره وفارق طاعة عمه بعد نكبة مجاهد الدين كما قلناه فساروا مع صلاح الدين الى الموصل ولما انتهوا الى مدينة بلد وفدت عليه أم عز الدين وابن عمه نور الدين محمود وجماعة من أعيان الدولة طامعا بانه لا يردهم وأشار عليه الفقيه عيسى وعلى بن أحمد المشطوب بردهم ورحل الى الموصل فقاتلها وامتنعت عليه وندم على رد الوفد وجاءه كتاب القاضى الفاضل بالائمة ثم قدم عليه زين الدين يوسف صاحب اربل فأنزله مع أخيه مظفر الدين كوكبرى وغيره من الامراء ثم بعث الامير على بن أحمد المشطوب الى قلعة الجزيرة من بلاد الهكارية فاجتمع عليه الاكراد الهكارية وأقام يحاصرها وكاتب نائب القلعة زلفندار وهى حرمكاتبته الى عز الدين عمه واطرحه من المشورة وعدل الى مجاهد الدين قايماز وكان يقتدى برأيه فضبط الامور وأصلحها ثم بلغه فى آخر ربيع من سنة ثنتين وثمانين وقد ضجر من حصار الموصل ان شاه رمن صاحب خلاط توفى تاسع ربيع واستولى عليها مولاه بكتمر فرحل عن الموصل وملك ميافارقين كما يأتى فى أخبار دولته ولما فرغ منها عاد الى الموصل ومر بنصيبين ونزل الموصل فى رمضان سنة ثنتين وثمانين وترددت الرسل بينهما فى الصلح على أن يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية القرابلى وما وراء الزاب ويخطب له على منابرها وينقش اسمه على

سكنته ومرض صلاح الدين اثناء ذلك ووصل الى حران ولحقته الرسل بالاجابة الى الصلح وتعاقدوا عليه وبعث من يسلم البلاد وأقام ممرضا بحران وعنده أخوه العادل وناصر الدولة ابن عمه شيركوه وامنت بلاد الموصل ثم حدثت بعد ذلك فتنة بين التركمان والاكراد بالجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشام وشهرزور واذربيجان وقتل فيها مالا يحصى من الامم واتصلت أعواما وسببها أن عروسا من التركمان أهديت الى زوجها ومروا بقلعة الزوزان والاكراد وطلبوا منهم الوليمة على عادة الفتيان فأغلظوا في الرد فقتل صاحب القلعة الزوج وثار التركمان بجماعة من الاكراد فقتلوهم ثم أصلح مجاهد الدين بينهم وأفاض فيهم العطاء فعادوا الى الوفاق وذهبت بينهم الفتنة والله تعالى أعلم

(وفاة نور الدين يوسف صاحب اربل وولاية أخيه مظفر الدين اقتهى)

كان زين الدين يوسف بن على بكتكين قد صار في طاعة صلاح الدين كما ذكرناه قبل واربل من أعماله ووقع الصلح على ذلك بينه وبين عز الدين صاحب الموصل سنة ست وثمانين للعسكر معه فمات عنده أخريات رمضان من السنة واستولى أخوه على بوجوده وقبض على جماعة من أمرائه مثل بلداحي صاحب قلعة حقبيركان وغيره وطلب من صلاح الدين أن يقطعه اربل مكان أخيه وينزل عن حران والرها فأقطعه اربل وأضاف اليها شهرزور وأعمالها ودقبرقرابلي وبني قفجاق وراسل أهل اربل مجاهد الدين قايماز واستدعوه ليملكوه وهو بالموصل فلم يتطاول لذلك خوفا من صلاح الدين ولان عز الدين لما كان ولاه نيابته بعد ان أطلقه من الاعتقال لم يمكنه كما كان أول مرة وجعل معه رديفا في الحكم كان من بعض غلمانه فكان أسفا لذلك فلما راسله أهل اربل قال والله لا أفعل لئلا يحكم معي فيها فلان وسار مظفر الدين اليها وملكها

(حصار عز الدين صاحب الموصل جزيرة ابن عمر)

كان سنجرشاه بن سيف الدين غازي بن مودود قد ملك جزيرة ابن عمر بوصية أبيه وخرج عن طاعة عمه عز الدين عند نكبة مجاهد الدين كما قلناه وصار عينا على عمه يكاتب صلاح الدين بأخباره ويغريه به ويسعى في القطيعة بينهما ثم حاصر صلاح الدين قلعة عكا سنة ست وثمانين واستنفر لها أصحاب الاطراف المتشبثين بدعوته مثل عز الدين صاحب الموصل وأخيه عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين وسنجارشاه هذا ابن عمه وصاحب كيفا وغيرهم واجتمعوا عنده على عكا وجاء جماعة من جزيرة ابن عمر يتظلمون من سنجرشاه فخاف واستأذن في الانطلاق فاعتذر صلاح الدين بأن في ذلك افتراق

هذه العساكر فألح عليه في ذلك وغدا عليه يوم الفطر مسلما فوعده وانصرف وكان تقي الدين عمر بن شاه أخي صلاح الدين مقبلا من حماة في عسكر فأرسل اليه صلاح الدين باعتراضه ورده طوعا أو كرها فلقيه بقلعة فيك ورده كرها وكتب صلاح الدين الى عز الدين صاحب الموصل بحصار جزيرة ابن عمر يظنها مكيدة فتلقاها بالمراجعة وطلب اقطاع الجزيرة فأسعفه وسار اليها وحاصرها أربعة أشهر فامتنعت عليه ثم صالحه على نصف أعماله ورجع الموصل والله تعالى أعلم

(مسير عز الدين صاحب الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة ورجوعه عنها)

كان صلاح الدين قد ملك من بلاد الجزيرة حران والرها وسميساط وميافارقين وكانت بيد ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاه ثم توفي تقي الدين وأقطعها أخاه العادل أبا بكر بن أيوب ثم توفي صلاح الدين سنة تسع وثمانين فطمع عز الدين صاحب الموصل في ارتجاعها واستشار أصحابه فأشار عليه بعضهم بمعاجلتها وأن تستنفر أصحاب الاطراف لها مثل صاحب اربل وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب سنجار ونصيبين ومن امتنع يعاجله بالحرب أو يعاجل البلد قبل أن يستعد أهله للمدافعة وأشار مجاهد الدين قايماز بمشاورة هؤلاء الملوك والعمل باشارتهم فقبل من مجاهد الدين وكاتبهم فأشاروا بانتظار أولاد صلاح الدين وأن البلد في طاعته وأنه القائم بدولته وأنه بلغه أن صاحب ماردين تعرض لبعض بلاده فجهز جيشا كثيفا لقصد ماردين فوجموا الكآبة وتركوا الحركة ثم بلغهم أنه يظاهر حران في خف من العسكر فتجهز للحركة عليه ولما وقع الاتفاق مع صاحب سنجار جاءت عساكر الشام الى العادل من الافضل فامتنع وسار عز الدين في عساكره من الموصل الى نصيبين واجتمع بأخيه عماد الدين وساروا الى الرها وقد عسكر العادل قريبا منهم بمرج الريحان وخافهم فأقاموا أياما كذلك ثم طرق عز الدين المرض فترك العساكر مع أخيه عماد الدين وسار الى الموصل والله تعالى أعلم

(وفاة عز الدين صاحب الموصل وولاية ابنه نور الدين)

ولما رجع عز الدين الى الموصل أقام بها مدة شهرين واشتد مرضه فتوفي آخر شعبان سنة تسع وثمانين وولي ابنه نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن الاتابك زنكي وقام بتدبير دولته مجاهد الدين قايماز مدبر دولة أبيه والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة عماد الدين صاحب سنجار وولاية ابنه قطب الدين)

ثم توفى عماد الدين زنكى بن مودود بن الاتابك زنكى صاحب سنجار والخابور ونصيبين والرقة وسروج وهى التى عوضه صلاح الدين عن حلب لما أخذها منه توفى فى محرم سنة أربع وتسعين وملك بعده ابنه قطب الدين وتولى تدبير دولته مجاهد الدين يرنقش مولى أبيه وكان دينا خيرا عادلا متواضعا محبا لاهل العلم والدين معظما لهم وكان متعصبا على الشافعية حتى أنه بنى مدرسة للحنفية بسنجار وكان حسن السيرة والله تعالى أعلم

(استيلاء نور الدين صاحب الموصل على نصيبين)

كان عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين قد امتدت أيدى نوابه بنصيبين الى قرى من أعمال الموصل تجاورهم وبعث اليه فى ذلك مجاهد الدين قايمان صاحب دولة الموصل يشكو اليه نوابه سرا من سلطانه نور الدين فلج عماد الدين فى ادعاء انها من أعماله وأساء الرد فأعاد نور الدين الرسالة اليه مع بعض مشايخ دولته وقد طرقه المرض فأجاب مثل الاول فنصح الرسول وكان من بقية الاتابك زنكي وعاد الى فأغلظ له فى القول واعتزم نور الدين على المسير الى نصيبين ووصل الخبر اثر ذلك بوفاة عماد الدين وولاية ابنه قطب الدين فقوى طمع نور الدين فى نصيبين وتجهز لها فى جمادى سنة أربع وتسعين وسار قطب الدين بن سنجر فى عسكره فسبقه نور الدين الى نصيبين فلما وصل اقيه فهزمه نور الدين ودخل الى قلعة نصيبين مهزوما ثم أسرى منها الى حران ومعه نائبه مجاهد الدين يرنقش وكاتبوا العادل أبا بكر بن أيوب يستحثونه من دمشق وأقام نور الدين بنصيبين حتى وصل العادل الى الجزيرة ففارقها الى الموصل فى رمضان من السنة وعاد قطب الدين اليها وكان الموتان قد وقع فى عسكر نور الدين فمات كثير من أمراء الموصل ومات مجاهد الدين قايمان القائم بالدولة ولما عاد نور الدين الى الموصل وعاد قطب الدين الى نصيبين سار العادل الى ماردين فحاصرها اياما وضيق عليها ثم انصرف والله تعالى أعلم

(هزيمة الكامل بن العادل على ماردين أمام نور الدين صاحب الموصل وبنى عمه ملوك الجزيرة)

لما رحل العادل عن ماردين كما قدمناه جمر العساكر عليها للحصار مع ابنه الكامل وعظم ذلك على ملوك الجزيرة وديار بكر وخافوا ان ملكها يغلبهم على أمرهم ولم يكن سار من سار معه منهم عنده اشتغاله بحرب نور الدين الاتقية لكثرة عساكره فلما رجع الى دمشق وبقى الكامل على ماردين استهانوا بأمره وطمعوا فى مدافعته وأغراهم بذلك

ناقص بالاصل

الظاهر والافضل ابنا صلاح الدين لعتبهم مع عمهم العادل فتجهز نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وسار أول شعبان سنة خمس وتسعين وانتهى الى دنيسر فأقام بها ولحق به ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكى صاحب سنجار وابن عمه الآخر سنجر شاه ابن غازى صاحب جزيرة ابن عمر حتى اذا انقضى عيد الفطر ارتحلوا وقصدوا ماردين لمزاحمة الكامل على ماردين وكان أهل ماردين خلال ذلك قد ضاقت مخنقهم وجهدهم الحصار وبعث النظام المستولى على دولة صاحبها الى الكامل براوده فى الصلح وتسليم القلعة له الى أجل معلوم على أن يبيح لهم ما يقوتهم من الميرة فأسعفهم بذلك وبينماهم فى ذلك جاءهم خبر العساكر فامتنعوا وركب الكامل فهزموا الى معسكره بالربض فخرج أهل القلعة اليهم وقاتلوهم الى المساء ثم أجفل الكامل من ليلته منتصف شوال وعاد الى بلاده ونهبت أهل القلعة مخلفه وخرج صاحب ماردين وهو بولو ارسلان ابن أبى الغازى فلقى نور الدين وشكره وعاد الى حصنه ورجع نور الدين وأصحابه الى نصيبين ثم سار منها الى رأس عين فقدم عليها هنالك رسول الظاهر بن صلاح الدين من حلب يطلب منه السكة والخطبة فوجم لذلك وثنى عزمه عن مظاهرتهم ثم طرقه المرض فبعث اليهم بالعذر وعاد الى الموصل فى ذى الحجة آخر السنة والله تعالى أعلم

(مسير نور الدين صاحب الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة)

ثم ان الملك العادل ملك مصر سنة ست وتسعين من يد الافضل ابن أخيه فخشيه الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردين وراسلوا نور الدين صاحب الموصل فى الاتفاق وأن يسير الى بلاد العادل بالجزيرة حران والرها والرقة وسنجار فسار نور الدين الكهفى شعبان سنة سبع وتسعين وسار معه ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار وحسام الدين صاحب ماردين وانتهوا الى رأس عين وكان بحران الفائز بن العادل فى عسكر فأرسل الى نور الدين فى الصلح فبادر الى الاجابة لما وقع فى عسكره من الموتان واستحلفهم وحلف لهم وبعثوا الى العادل فحلف وعاد نور الدين الى الموصل فى ذى القعدة من السنة والله تعالى أعلم

(هزيمة نور الدين صاحب الموصل أمام عسكر العادل)

لم يزل الملك العادل يراسل قطب الدين صاحب سنجار ويستميله الى أن خطب له فى أعماله سنة ستمائة فسار نور الدين صاحب الموصل الى نصيبين من أعمال قطب الدين فحاصرها وملك المدينة وأقام يحاصر القلعة فبينما هو قد قارب فتحها بلغه الخبر من نائبه بالموصل بأن مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل من أعمال الموصل

قد رحل

فرحل عن نصيبين معتزماعلى قصد اربل فلم يجد كل الخبر صحيحا فسارالى تل اعفر من أعمال سنجار فحاصرها وملكها وكان الاشرف موسى بن العادل قد سار من حران الى رأس عين نجدة لصاحب سنجار وقد اتفق معه على ذلك مظفر الدين صاحب اربل وصاحب كيفا وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وتراسلوا وتواعدوا للاجتماع فلما ارتحل نور الدين عن نصيبين اجتمعوا عليه وجاءهم أخو الاشرف نجم الدين صاحب ميافارقين وسار والى البقعا من تل اعفر الى كفرزمان وقصده المطاولة حتى جاءه بعض عيونه فقللهم فى عينه وأطمعه فيهم وكان من مواليه فوثق بقوله ورحل الى نوشرى قريبا منهم وتراءى الجمعان فالتقوا وانهزم نور الدين ونجا فى قل قليل ونزلت العساكر كفرزمان ونهبوا مدينة فيد وماليها وأقاموا هنالك وترددت الرسل فى الصلح على أن يعيد نور الدين تل اعفر لقطب الدين صاحب سنجار فأعادها واصطلحوا سنة احدى وستمائة ورجع كل الى بلده والله تعالى ولى التوفيق

* (مقتل سنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر وولاية ابنه محمود بعده) *

كان سنجرشاه بن غازى بن مودود ابن الاتابك زنكى صاحب جزيرة ابن عمر وأعمالها أوصى له بها أبوه عند وفاته كما مر وكان سيئ السيرة غشوما ظلوما مرهف الحد على رعيته وجنده وحرمه وولده كثير القهر لهم والانتقام منهم فاقد الشفقة على بنيه حتى غرب ابنيه محمودا ومودودا الى قلعة فرح من بلاد الزوزان لتوهمه فيهما وأخرج ابنه غازى الى دار بالمدينة ووكل به فساءت حاله وكانت الدار كثيرة الحشاش فيجمر من حاله وتناول حية وبعثها الى أبيه فلم يعطف عليه فتسلل من الدار واستخفى فى المدينة وبعث الى نور الدين صاحب الموصل من أوهمه بوصوله اليه فبعث اليه بنفقة وردّه خوفا من أبيه وترك أبوه طلبه لما شاع انه بالشأم فلم يزل غازى يعمل الحيلة حتى دخل دار أبيه واختفى عند بعض حظاياه وطرق عليه الخلاء فى بعض الليالى وهو سكران فطعنه أربع عشرة طعنة ثم ذبحه وأقام مع الحرم وعلم أستاذ الدولة من خارج بالخبر فأحضر أعيان الدولة وأغلق أبواب القصر وبايع الناس لمحمود بن سنجرشاه واستدعاه وأخاه مودودا من قلعة فرح ثم دخلوا الى غازى وقتلوه ووصل محمود فملكوه ولقبوه معز الدين لقب أبيه وعمد الى الجوارى التى واطأت على قتل أبيه فغرقهن فى الدجلة والله تعالى أعلم

* (استيلاء العادل على الخابور ونصيبين من أعمال صاحب سنجار وحصاره اياه) *

كان بين قطب الدين محمود بن زنكى بن مودود وبين ابن عمه نور الدين ارسلان شاه

ابن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة قد مر كثير من أخبارها
ولما كانت سنة خمس وستمائة أصهر العادل بن أيوب صاحب مصر والشام الى نور
الدين في ابنته فزوجها نور الدين من ابنه واستكثر به وطمع الى الاستيلاء على جزيرة
ابن عمر فأغرى العادل بأن يتظاهره على ولاية ابن عمه قطب الدين سنجر وتكون ولاية
قطب الدين وهي سنجار ونصيبين والخابور للعادل وتكون ولاية غازي بن سنجرشاه
لنور الدين صاحب الموصل فأجاب الى ذلك العادل وأطمع نور الدين في أنه يقطع ولاية
قطب الدين اذا ملكها لابنه الذي هو صهره على ابنته وتحالفا على ذلك وسار العادل سنة
ست وستمائة من دمشق الى الخابور وراجع نور الدين رأيه فاذا هو قد تورط وانه يملك
البلاد كلها من دونه ان وفى له وسار نور الدين الى الجزيرة فربما حال بنو العادل بينه وبين
الموصل وان انتقص نور الدين عليه سار اليه فاضطرب في أمره وملك العادل الخابور
ونصيبين واعتزم قطب الدين على أن يعتاض منه عن سنجار ببعض البلاد فمنعه من
ذلك أحمد بن برتقش مولى أبيه وجهز نور الدين عسكرا مع ابنه القاهر مددا للعادل كما
اتفقا عليه وفي خلال ذلك بعث قطب الدين سنجر ابنه الى مظفر الدين صاحب اربل
يستنجده فأرسل الى العادل شافعا في أمره فلم يشفعه لمظاهرة نور الدين اياه فغضب
مظفر الدين وأرسل الى نور الدين في المساعدة على دفاع العدو فأجاب نور الدين الى ذلك
ورجع عن مظاهرة العادل وأرسل هو ومظفر الدين الى الظاهر بن صلاح الدين صاحب
حلب والى كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب الروم يستنجدانهما فأجاباهما وتداعوا
الى قصد بلاد العادل ان لم يرحل عن سنجار وبعث الخليفة الناصر أستاذ الدار أبا نصر
هبة الله بن المبارك بن الضحاك والأمير آقباش من خواص مواليه في الافراج عن
سنجار وتخاذل أصحابه عن مضايقة سنجار معه وسيما أسد الدين شيركوه صاحب
حمص والرحبة فانه جاهر بخلافه في ذلك فأجاب العادل في الصلح على أن تكون نصيبين
والخابور للذين ملكهما له وتبقى سنجار لقطب الدين وتحالفوا على ذلك ورجع العادل
الى حران ومظفر الدين الى اربل والله تعالى أعلم

(وفاة نور الدين صاحب الموصل وولاية ابنه القاهر)

ثم توفي نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن الاتابك زنكي منتصف سنة سبع
وستمائة لثمان عشرة سنة من ولايته وكان شهما شجاعا ويساعده أصحابه حسن
السياسة لرعيته وجدد ملك آبائه بعد أن أشفى على الذهاب ولما احتضر عهد بالملك
لابنه عز الدين مسعود وهو ابن عشر سنين وأوصاه أن يتولى تدبير ملكه مولاه بدر
الدين لؤلؤ لما فيه من حسن السياسة وكان قائما بأمره مدة توفي مجاهد الدين قايماز

وأوصى

وأوصى لولده الاصغر عماد الدين بقلعة عقر الحميدية وقلعة شوش وولايتها ولنتقه الى العقر فلما توفى نور الدين بايع الناس ابنه عز الدين مسعودا ولقبوه القاهر واستقر ملك الموصل وأعمالها له وقام بدر الدين لؤلؤ بتدبير دولته والبقاء لله وحده

*(وفاة القاهر وولاية ابنه نور الدين ارسلان شاه فى كفالة بدر الدين لؤلؤ)

لما توفى الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن الاتابك زنكى صاحب الموصل آخر ربيع الاول سنة خمس عشرة وخمسمائة لثمان سنين من ولايته بعد أن عهد بالملك لابنه الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره عشرون سنة وجعل الوصى عليه والمدبر لدولته لؤلؤا كما كان فى دولة القاهر وابنه نور الدين فبايع له وقام بالكه وأرسل الى الخليفة فى التقليد والخلع على العادة فوصلت وبعث الى الملوك فى الاطراف فى تجديد العهد كما كان بينهم وبين سلفه وضبط اموره وكان عمه نور الدين زنكى ارسلان شاه بقلعة عقر الحميدية لايشك فى مصير السلطان له فدفعه عن ذلك واستقامت أموره وأحسن السيرة وسمع شكوى المتظلمين وأنصفهم ووصل فى تقليد الخليفة لنور الدين اسناد النظر فى أموره لبدر الدين لؤلؤ والله أعلم

(استيلاء عماد الدين صاحب عقر على قلاع الهكارية والزوزان)

كان عماد الدين زنكى قد ولاه أبوه قلعتى العقر والشوش قريبا من الموصل وأوصى له بهما وعهد بالملك لابنه الاكبر القاهر فلما توفى القاهر كما ذكرنا طمع زنكى الى الملك وكان يحدث به نفسه فلم يحصل له وكان بالعمادية نائب من موالى جده مسعود فدا خله فى الطاعة له وشعر بذلك بدر الدين لؤلؤ فعزل ذلك النائب وبعث اليها أميرا أنزله بها وجعل فيها نائبا من قبله واستبدّ بالنواب فى غيرها وكان نور الدين بن القاهر لايزال عليلا لضعف مزاجه وتوالى الامراض عليه فبقى محتجبا طول المدة فأرسل زنكى الى نور الدين بالعمادية يشيع موته ويقول أنا أحق بملك سلفى فتوهموا صدقه وقبضوا على نائب لؤلؤ ومن معه وسلموا البلد لعماد الدين زنكى منتصف رمضان سنة خمس عشرة وجهز لؤلؤ العساكر وحاصروه بالعمادية فى فصل الشتاء وكلب البرد وتراكم الثلج ولم يتمكنوا من قتاله وظاهره مظفر الدين صاحب اربل على شأنه وذكر لؤلؤ بالعهد الذى بينهما أن لايتعرض لاعمال الموصل والنص فيها على قلاع الهكارية والزوزان وانه يظاهرهم على من يتعرض لها فلج فى مظاهرته واعتمد نقض العهد وأقام العسكر محاصر الزنكى بالعمادية وتقدموا بعض الليالى وركبوا الاوعار اليه فبرز اليهم أهل العمادية وهزموهم فى المضايق والشعاب فعادوا الى الموصل وراسل عماد الدين

قلاع الهكارية والزوزان في الطاعة له فأبا وه وملكهما وولي عليها والله أعلم

(مظاهرة الاشرف بن العادل للؤلؤ صاحب الموصل)

ولما استولى عماد الدين زنكي على قلاع الهكارية والزوزان وظاهره مظفر الدين صاحب اربل خاف لؤلؤ غائلته فبعث بطاعته الى الاشرف موسى بن العادل وقد ملك أكثر بلاد الجزيرة وخلاط وأعمالها وسأله المعاضدة فاجابه وكان يومئذ بحلب في مدافعة كيكاوس صاحب بلاد الروم عن أعمالها فأرسل الى مظفر الدين بالنكير عليه فيما فعل من نقضه العهد الذي كان بينهم جميعا كامر وبعزم عليه في اعادة ما أخذ من بلاد الموصل ويتوعده ان أصر على مظاهرة زنكي بقصد بلاده فلم يجب مظفر الدين الى ذلك واستمال على أمره صاحب ماردين وناصر الدين محمود اصاحب كيفا وآمد فوافقوه وفارقوا طاعة الاشرف في ذلك فبعث الاشرف عساكره الى نصيبين لانجاد لؤلؤ متى احتاج اليه والله تعالى أعلم

(واقعة عساكر لؤلؤ بعماد الدين)

ولما عاد عسكر الموصل عن حصار العمادية خرج زنكي الى قلعة العقر لتي هي من أعمال الموصل الصحراوية اذ كان قد فرغ من أعمالها الجبلية وامده مظفر الدين صاحب اربل بالعساكر وعسكر جند الموصل على أربع فراسخ من البلد من ناحية العقر ثم انعقوا على المسير الى زنكي وصبحوه آخر المحرم سنة ست عشرة وستمائة وهزموه فلحق باربل وعاد العسكر الى مكانهم ووصل رسل الخليفة الناصر والاشرف ابن العادل في الصلح بينهما فاصطلحوا وتحالفوا والله تعالى أعلم

(وفاة نور الدين صاحب الموصل وولاية أخيه ناصر الدين)

لما توفي نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر كما قدمناه من سوء مزاجه واختلاف الاسقام عليه توفي قبل كمال الحول ونصب لؤلؤ مكانه أخاه ناصر الدين محمد بن القاهر في سن الثلاث واستحلف له الجند وأركبه في الموكب فرضي به الناس لما بلوا من عجز أخيه عن الركوب لمرضه والله تعالى ولي التوفيق

(هزيمة لؤلؤ صاحب الموصل من مظفر الدين صاحب اربل)

ولما توفي نور الدين ونصب لؤلؤ أخاه ناصر الدين محمدا على صغر سنه تجدد الطمع لعماد الدين عمه ولمظفر الدين صاحب اربل في الاستيلاء على الموصل وتجهزوا لذلك وعاثت سراياهم في نواحي الموصل وكذا لؤلؤ قد بعث ابنه الاكبر في العساكر نجدة للملك الاشرف وهو يقصد بلاد الافرنج بالسواحل ليأخذ بحجزتهم عن امداد اخوانهم

بدمياط عن أبيه الكامل بمصر فبادر لؤلؤ الى عسكر الاشرف الذين بنصيبين
واستدعاهم مجتازا الى الموصل منتصف سنة عشر وستمائة وعليهم ايبك مولى الاشرف
فاستقلهم لؤلؤ ورآهم مثل عسكره الذين بالشام أو دونهم وألح ايبك على عبور دجلة
الى اربل فمنعه أياما فلما أصر عبر لؤلؤ معه ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقي دجلة
وجمع مظفر الدين زنكي وعبروا   الزاب وتقدم اليهم ايبك
في عسكره وأصحاب لؤلؤ وسار منتصف الليل من رجب وأشار عليه لؤلؤ بانتظار
الصباح فلم يفعل ولقيهم بالليل وحمل ايبك على زنكي في الميسرة فهزمه وانهزمت ميسرة
لؤلؤ وبقي في نفر قليل فتقدم اليه مظفر الدين فهزمه وعبر دجلة الى الموصل وظهر مظفر
الدين على تبريز ثلاثا ثم بلغه أن لؤلؤا يريد تبييته فأجفل راجعا وترددت الرسل بينهما
فاصطلحا على كل ما بيده والله أعلم

بياض بالأصل

(وفاة صاحب سنجار وولاية ابنه ثم مقتله وولاية أخيه)

ثم توفي قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود بن الاتابك زنكي صاحب سنجار في ثامن
صفر سنة ست عشرة وستمائة وكان حسن السيرة مسلما الى نوابه وملك بعده ابنه عماد
الدين شاهين شاه واشتمل الناس عليه فملك شهورا ثم سار الى تل اعفر فاغتاله أخوه عمر
ودخل اليه في جماعة فقتلوه وملك بعده وبقي مدة الى أن تسلم منها الاشرف بن العادل
مدينة سنجار في جمادى سنة سبع عشرة وستمائة والله أعلم

(استيلاء عماد الدين على قلعة كواشي ولؤلؤ على تل اعفر والاشرف على سنجار)

كانت كواشي من أحسن قلاع الموصل وأمنعه وأعلاه ولما رأى الجند الذين بها بعد
أهل العمادية واستبدادهم بأنفسهم طمعوا في مثل ذلك وأخرجوا نواب لؤلؤ عنهم
وتمسكوا باظهار الطاعة على البعد خوفا على رهائنهم بالموصل ثم استدعوا عماد الدين
زنكي وسلموا اليه القلعة وأقام عندهم وبعث لؤلؤ الى مظفر الدين يذكره العهود التي
لم يجز لها بعد فأعرض وأرسل الى الاشرف بحلب يستنجده فسار وعبر الفرات الى
حران وكان مظفر الدين صاحب اربل يراسل الملوك بالاطراف ويغريهم بالاشرف
ويخوفهم غائلته ولما كان بين كيكاوس بن كيخسرو صاحب الروم من الفتنة ما نذكره
في أخباره وسار كيكاوس الى حلب دعا مظفر الدين الملوك بناحيته الى وفاق كيكاوس
مثل صاحب كيفا وآمد وصاحب ماردين فأطاعوه وخطبوا له في أعمالهم ومات
كيكاوس وفي نفس الاشرف منه ومن مظفر الدين ما في نفسه ولما سار الاشرف الى
حران لمظاهرة لؤلؤ راسل مظفر الدين جماعة من أمرائه مثل أحمد بن علي المشطوب

وعز الدين محمد بن بدر الحميدى وغيرهما واستمالهم ففارقوا الاشرف ونازلوا دنيسر تحت
ماردين ليجتمعوا مع ملوك الاطراف المداومة الاشرف واستمال الاشرف صاحب آمد
وأعطاه مدينة حانى وجبل جوردى ووعده بدارا اذا ملكها فأجاب وفارقهم اليه
واضطر آخرون منهم الى طاعة الاشرف فانحل أمرهم وانفرد ابن المشطوب بعداوة
الاشرف فقصد اربل ومر بنصيبين فقاتله شحنتها فانهزم الى سنجار وأسره صاحبها
وكان هواه مع الاشرف ولؤلؤ فصده ابن المشطوب عن رأيه فيهم حتى أجمع خلافه
وأطلقه فجمع المفسدين وقصد البقعاء من أعمال الموصل فاكتسح نواحيها وعاد ثم سار
من سنجار ثانية الى الموصل وأرصد له لؤلؤ عسكرا فاعترضوه فهزمه واستجار بتل اعفر
من أعمال صاحب سنجار فأقاموا عليها وبعث اليه لؤلؤ فسار وحاصرها وملكها
فى ربيع سنة سبع عشرة وستمائة وأسر ابن المشطوب وبعث به الى الموصل ثم بعثه الى
الاشرف فحبسه بحران سنين وهلك فى محبسه ولما أطاع صاحب آمد الاشرف رحل من
حران الى ماردين ونزل دنيسر وحاصر ماردين ومعه صاحب آمد وترددت الرسل بينه
وبين صاحب ماردين على أن يرد عليه رأس عين وكان الاشرف قد أقطعها له على أن
يحمل اليه ثلاثين ألف دينار وأن يعطى لصاحب آمد الموزر بلد

وانعقد الصلح بينهما وارتحل الاشرف من دنيسر الى نصيبين يريد الموصل فلقيه رسل
صاحب سنجار يطلب من يتسلمها منه على أن يعوضه الاشرف منها الرقة بما أدركه من
الخوف عندما تملك لؤلؤ على تل اعفر ونفرة أهل دولته عنه لقتله أخاه كان كرباه فأجابه
الاشرف وأعطاه الرقة وملك سنجار فى جمادى سنة سبع عشرة وستمائة ورحل عنها
بأهله وعشيرته وانقرض أمر بنى زنكى منها بعد أربع وتسعين سنة والبقاء لله وحده

(صلح الاشرف مع مظفر الدين)

ولما ملك الاشرف سنجار سار الى الموصل ووافاه بها رسل الخليفة الناصر ومظفر الدين
صاحب اربل فى الصلح ورد القلاع المأخوذة من ايالة الموصل على صاحبها لؤلؤ ما عدى
العمادية فتبقى بيد زنكى وتردد الحديث فى ذلك شهرين ولم يتم فرحل الاشرف يقصد
اربل حتى قارب نهر الزاب وكان العسكر قد جهز واسوه صاحب آمد مع مظفر الدين
فأشار باجابته الى ما سأل ووافق على ذلك أصحاب الاشرف فانعقد الصلح وساق زنكى
الى الاشرف رهينة على ذلك وسلمت قلعة العقر وشوش لنواب الاشرف وهما لزنكى
رهنا أيضا وعاد الاشرف الى سنجار فى رمضان سنة سبع عشرة وبعثوا الى القلاع فلم
يسلمها حفاظها واتبعوا أبيها واستجار عماد الدين زنكى بشهاب بن العادل فاستعطف له
أخاه الاشرف فأطلقه ورد عليه قلعتى العقر وشوش وصرف نوابه عنهما ورجع لؤلؤ

الاشرف

الاشرف يميل الى قلعة تل اعفر وانه لم يزل استنجار قديما فبعث اليه بتسليمها . والله تعالى أعلم

(رجوع قلاع الهكاريه والزوزان الى طاعة صاحب الموصل)

لما رأى زنكى أنه ملك قلاع الهكاريه والزوزان وبلوه فلم ير واعنده ما ظنوه من حسن السيرة كما يفعل لؤلؤ مع جنده ورعاياه اعتزموا على مراجعة طاعة لؤلؤ وطلبوه فى الاقطاع فأجابهم واستأذن الاشرف فلم يأذن له وجاء زنكى من عند الاشرف فحاصر العمادية ولم يبلغ منها غرضا فأعادوا مراسلة لؤلؤ فاستأذن الاشرف وأعطاه قلعة جديدة ونصيبين وولاية بين النهرين وأذن له فى تلك القلاع وأرسل نوابه اليها ووفى لهم بما عاهدهم عليه وتبعهم بقية القلاع من أعمال الموصل فدخلوا كلهم فى طاعة لؤلؤ وانتظم له ملكها والله تعالى أعلم

(استيلاء صاحب الموصل على قلعة سوس)

كانت قلعة سوس وقلعة العقر متجاورتين على اثنى عشر فرسخا من الموصل وكانتا لعماد الدين زنكى بن نور الدين ارسلان شاه بوصية أبيه كما مرّ وملك معها قلاع الهكاريه والزوزان ورجعت الى الموصل وسار هو سنة تسعة عشر الى ازبك بن البهلوان صاحب اذربيجان من بقية السلجوقية فسار معه وأقطع له الاقطاعات وأقام عنده فسار لؤلؤ من الموصل الى قلعة سوس فحاصرها وضيق عليها وامتنعت عليه فجمر العساكر لحصارها وعاد الى الموصل ثم اشتد الحصار بأهلها وانقطعت عنهم الاسباب فاستأمنوا الى لؤلؤ ونزلوا له عنها على شروط اشترطوها وقبلها وبعث نوابه عليها والله تعالى أعلم

(حصار مظفر الدين الموصل)

كان الاشرف بن العادل بن أيوب قد استولى على الموصل ودخل لؤلؤ فى طاعته واستولى على خلاط وسائر ارمينية وأقطعها أخاه شهاب الدين غازى ثم جعله ولى عهده فى سائر أعماله ثم نشأت الفتنة بينهما فاستظهر غازى بأخيه المعظم صاحب دمشق وبمظفر الدين كوكبرى وتداعوا لحصار الموصل فجمع أخوهما الكامل عساكره وسار الى خلاط فحاصرها بعد ان بعث الى المعظم صاحب دمشق وتهدده فأقصر عن مظاهرة أخيه واستنجد غازى مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل فسار الى الموصل وحاصرها ليأخذه بحجزة الاشرف عن خلاط ونهض المعظم صاحب دمشق لانجاد أخيه غازى وكان لؤلؤ صاحب الموصل قد استعد للحصار فأقام عليها مظفر الدين

عشرا ثم رحل منتصف احدى وعشرين لامتناعها عليه ولقيه الخبر بأن الاشرف قد ملك خلاط من يد أخيه فندم على ما كان منه

(انتقاض أهل العمادية على لؤلؤ ثم استيلاؤه عليها)

قد تقدم لنا انتقاض أهل قلعة العمادية من أعمال الموصل سنة خمس عشرة ورجوعه الى عماد الدين زنكى ثم عودهم الى طاعة لؤلؤ فأقاموا على ذلك مدة ثم عادوا الى ديدنهم من التربص فى الطاعة وتجنوا على لؤلؤ بعزل نوابه فعزلهم مرة بعد أخرى ثم استدعيا أولاد خواجا ابراهيم وأخوه عيسى تبعهم واخرجوا من مالهم وأظهروا العصيان على لؤلؤ فسار اليهم سنة ثنتين وعشرين وحاصرهم وقطع الميرة عنهم وبعث عسكرا الى قلعة هروران وقد كانوا تبعوا أهل العمادية فى العصيان فحاصرهم حتى استأمنوا وملكها ثم جهز العساكر الى العمادية مع نائبه أمين الدين وعاد الى الموصل واستمر الحصار الى ذى القعدة من السنة ثم راسلوا أمين الدين فى الصلح على مال وأقطاع وعوض عن القلعة وأجاب لؤلؤ الى ذلك وكان أمين الدين قد وليها قبل ذلك وكان له فيها بطانة مستمدون على عهده ومكاتبته وسخط كثير من أهل البلد فعل أولاد خواجا ابراهيم واستئثارهم بالصلح دونهم ووجد أولئك البطانة سبيلا الى التسلط عليهم ودسوا الامين الدين أن يبيت البلد ويصالحها مصالحهم فوثبوا بأولاد خواجا ونادوا بشعار لؤلؤ فصعد العسكر القلعة وملكها أمين الدين وبعث بالخبر الى لؤلؤ فسأل أن ينعقد اليمين مع وفد أولاد خواجا والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

(مسير مظفر الدين صاحب اربل الى أعمال الموصل وعوده عنها)

كان جلال الدين منكبرى بن خوارزم شاه قد غلبه التتر أول خروجهم سنة سبع عشرة وستمائة على خوارزم وخراسان وغزنة وفر أمامهم الى الهند ثم رجع عنها سنة ثنتين وعشرين واستولى على العراق ثم على اذربيجان وجاور الاشرف بن العادل فى ولايته خلاط والجزيرة وحدثت بينهما الفتنة وراسله أعيان الاشرف فى الاغراء به مثل مظفر الدين صاحب اربل ومسعود صاحب آمد وأخيه المعظم صاحب دمشق واتفقوا على ذلك وسار جلال الدين الى خلاط وسار مظفر الدين الى الموصل وانتهى الى الزاب ينتظر الخبر عن جلال الدين وسار المعظم صاحب دمشق الى حمص وحماة وبعث لؤلؤ من الموصل يستنجد الاشرف فسار الى حران ثم الى دنيسر فانتسف أعمال ماردين وكان جلال الدين قد بلغه انتقاض نائبه بكرمان فاغذ السير اليه وترك خلاط

بعد ان عاث فى أعمالها وفت ذلك فى أعضاد الآخرين وعظمت سطوة الاشرف بهم وبعث اليه أخوه المعظم وقد نازل حمص وحماة يتوعده بمحاصرتهما ومحاصرة مظفر الدين الموصل فرجع عن ماردين ورجع الآخران عن حمص وحماة والموصل ولحق كل ببلده والله تعالى أعلم

(مسير التتر فى بلاد الموصل واربل)

ولما أوقع التتر بجلال الدين خوارزم شاه على آمد سنة ثمان وعشرين وقتلوه ولم يبق لهم مدافع من الملوك ولا ممانع انساحوا فى البلاد طولا وعرضا ودخلوا ديار بكر واكتسحوا سواد آمد وارزن وميافارقين وحاصروا ... وملكوها بالامان ثم استباحوها وساروا الى ماردين فعاثوا فى نواحيها ثم دخلوا الجزيرة واكتسحوا أعمال نصيبين ثم مروا الى سنجار فنهبوها ودخلوا الخابور واستباحوه وسارت طائفة منهم الى الموصل فاستباحوا أعمالها ثم أعمال اربل وأثخنوا فيها وبرز مظفر الدين فى عساكره واستمد عساكر الموصل فبعث بها لؤلؤ اليه ثم عاد التتر عنهم الى اذربيجان فعاد كل الى بلاده والله أعلم

(وفاة مظفر الدين صاحب اربل وعودها الى الخليفة)

ثم توفى مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين بكتكين صاحب اربل سنة تسع وعشرين لاربع وأربعين سنة من ولايته عليها أيام صلاح الدين بعد أخيه يوسف ولم يكن له ولد فأوصى باربل للخليفة المستنصر فبعث اليها نوابه واستولى عليها وصارت من أعماله والله تعالى أعلم

(بقية أخبار لؤلؤ صاحب الموصل)

كان عسكر خوارزم شاه بعد مهلكه سنة ثمان وعشرين على آمد لحقوا بصاحب الروم كيقباد فاستنجدهم وهلك سنة أربع وثلاثين وستمائة وولى ابنه كيخسرو وانقبض على أميرهم ومر الباقون وانتبذوا بأطراف البلاد وكان الصالح نجم الدين أيوب فى حران وكيفا وآمد نائبا عن أبيه الملك العادل فرأى المصلحة فى استضافتهم اليه فاستمالهم واستخدمهم بعد ان اذن أبوه له فى ذلك فلما مات أبوه سنة خمس انتقضوا ولقوا بالموصل واشتمل عليهم لؤلؤ وسار معهم فحاصر الصالح بسنجار ثم بعث الصالح الى الخوارزمية واستمالهم فرجعوا الى طاعته على أن يعطيهم حران والرها ينزلون بها فاعطاهما اياهم وملكوهما ثم ملكوا نصيبين من أعمال لؤلؤ وبنو أيوب يومئذ

متفرقون على كراسي الشام و بينهم من الانفة والفرقة ما نتلو عليك قصصه في دولتهم ثم استقر ملك سنجار للجواد يونس منهم وهو ابن مودود بن العادل أخذها من الصالح نجم الدين أيوب عوضا عن دمشق واستولى لؤلؤ على سنجار من يده سنة سبع وثلاثين ثم حدثت بين صاحب حلب وبين الخوارزمية فتنة والمدبر يومئذ صفية خاتون بنت العادل فبعثت العساكر اليهم مع المعظم توران شاه بن صلاح الدين فهزموا عساكره وأسروا ابن أخيه الافضل ودخلوا حلب واستباحوها ثم تقدموا منبج وعاثوا فيها وقطعوا الفرات من الرقة وهم يذهبون وتبعهم عسكر دمشق وحمص فهزموهم وأفضوا اليهم ولحقوا ببلادهم حران فسارت اليهم عساكر حلب واستولوا على حران ولحق الخوارزمية بعانة و بادر لؤلؤ صاحب الموصل الى نصيبين فملكها من أيديهم ثم توفيت صفية بنت العادل سنة أربعين في حلب وكانت ولايتها بعد وفاة أبيها العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين فولي بعدها ابنه الناصر يوسف ابن العزيز في كفالة مولاه اقبال الخاتوني فلما كانت سنة ثمان وأربعين وستمائة وقع بين عسكره و بين بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل حرب انهزم فيها لؤلؤ وملك الناصر نصيبين ودارا وقرقيسيا و   لؤلؤ بحاب ثم زحف هلاكو ملك التتر الى بغداد سنة   وملكها وقتل الخليفة المستعصم واستلحم العلية من بغداد كما مر في أخبار الخلفاء ويأتي في أخبار التتر وتخطى منها الى اذربيجان فبادر لؤلؤ ووصل اليه باذربيجان وآتاه طاعته وعاد الى الموصل والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(وفاة صاحب الموصل وولاية ابنه الصالح)

ثم توفي بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل سنة سبع وخمسين وستمائة وكان يلقب الملك الرحيم وملك بعده على الموصل ابنه الصالح اسمعيل وعلى سنجار ابنه المظفر علاء الدين علي وعلى جزيرة ابن عمر ابنه المجاهد اسحق وأبقاهم هلاكو عليها مدة ثم أخذها منهم ولحقوا بمصر فنزلوا على الملك الظاهر بيبرس كما نذكر في أخباره وسار هلاكو الى الشام فملكها وانقرضت دولة الاتابك زنكي وبنيه ومواليه من الشام والجزيرة اجمع كأن لم تكن والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والبقاء لله تعالى وحده والله تعالى أعلم

نور الدين ارسلان شاه بن القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن اقسنقر مولى السلطان ملك شاه

ناصر الدين محمود

عماد الدين

الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ مولى [illegible] صاحب الموصل

صاحب سنجار

محمود [illegible]

الغازى اسماعيل بن العادل نور الدين محمود [illegible]

غازى بن سنجر شاه بن سيف الدين غازى

محمود

شاهنشاه بن قطب الدين بن عماد الدين زنكى

يوسف بن زين الدين كوچك على بن سبكتكين

المظفر كوكبرى صاحب اربل

الخبر عن دولة بني أيوب القائمين بالدولة العباسية وما كان لهم من الملك بمصر والشام واليمن والمغرب وأولية ذلك ومصايره

هذه الدولة من فروع دولة بني زنكي كما تراه وجدهم هو أيوب بن شادي بن مروان بن
علي بن عنترة بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن هدبة بن الحصين بن
الحرث بن سنان بن عمر بن مرة بن عوف الحميري الدوسي هكذا نسبه بعض المؤرخين
لدولتهم قال ابن الاثير انهم من الاكراد الروادية وقال ابن خلكان شادي أبوهم
من أعيان درين وكان صاحبه بهروز فأصابه خصي من بعض أمرائه وفر حياء
من الملك فلحق بدولة السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه وتعلق بخدمة داية بنيه حتى
اذا هلك الداية أقامه السلطان لبنيه مقامه فظهرت كفايته وعلا في الدولة محله فبعث
عن شادي بن مروان صاحبه لما بينهما من الالفة وأكيد الصحبة فقدم عليه ثم ولي
السلطان بهروز شحنة بغداد فسار اليها واستصحب شادي معه ثم أقطعه السلطان قلعة
تكريت فولى عليها شادي فهلك وهو وال عليها وولى بهروز مكانه ابنه نجم الدين أيوب
وهو أكبر من أسد الدين شيركوه فلم يزل واليا عليها ولما زحف عماد الدين زنكي صاحب
الموصل لمظاهرة مسعود على الخليفة المسترشد سنة عشرين وخمسمائة وانهزم الاتابك
وانكفأ راجعا الى الموصل ومر بتكريت قام نجم الدين بعلوفته وازواده وعقد له
الجسور على دجلة وسهل له عبورها ثم ان شيركوه أصاب دما في تكريت ولم يقده منه
أخوه أيوب فعزله بهروز وأخرجهما من تكريت فلحقا بعماد الدين بالموصل فأحسن
اليهما وأقطعهما ثم ملك بعلبك سنة ثنتين وثلاثين جعله نائبا بها ولم يزل بها أيوب ولما
مات عماد الدين زنكي سنة احدى وأربعين زحف صاحب دمشق فخر الدين طغركين
الى بعلبك وحاصرها واستنزل أيوب منها على ما شرط لنفسه من الاقطاع وأقام معه
بدمشق وبقي شيركوه مع نور الدين محمود بن زنكي وأقطعه حمص والرحبة
لاستطلاعه وكفايته وجعله مقدم عساكره ولما انصرف نظره الى الاستيلاء على دمشق
واعتزم على مداخلة أهلها كان ذلك على يد شيركوه ومكاتبته لاخيه أيوب وهو بدمشق
فتم ذلك على أيديهما وبعنايتهما وملكها سنة تسع وأربعين وخمسمائة وكانت دولة
العلويين بمصر قد أخلقت جدتها وذهب استفحالها واستبد وزراؤها على خلفائها فلم
يكن الخلفاء يملكون معهم وطمع الافرنج في سواحلهم وأمصارهم لما نالهم من الهرم
والوهن فمالوا عليهم وانتزعوا البلاد من أيديهم وكانوا يردون عليهم كرسي خلافتهم
بالقاهرة ووضعوا عليهم الجزية وهم يتجرعون المصاب من ذلك ويحملونه مع بقاء
أمرهم كاد الاتابك زنكي وقومه السلجوقية من قبل أن يمحوا دعوتهم ويذهبوا

بدولتهم

بدولتهم وأقاموا من ذلك على مضض وقلق وجاء الله بدعوة العاضد آخرهم وتغلب عليه بعد الصالح بن زريك شاور السعدى وقتل زريك بن صالح سنة ثمان وخمسين واستبد على العاضد ثم نازعه الضرغام لتسعة أشهر من ولايته وغلبه وأخرجه من القاهرة فلحق بالشأم ولحق بنور الدين صريخا سنة تسع وخمسين وشرط له على نفسه ثلث الجباية بأعمال مصر على أن يبعث معه عسكرا يقيمون بها فأجابه الى ذلك وبعث أسد الدين شيركوه فى العساكر فقتل الضرغام وردشاور الى رتبته وآل أمرهم الى محو الدولة العلوية وانتظام مصر وأعمالها فى ملكة ابن أيوب بدعوة نور الدين محمود بن زنكى ويخطب للخلفاء العباسيين لما هلك نور الدين محمود واستبد صلاح الدين بأمره فى مصر ثم غلب على بنى نور الدين محمود وملك الشأم من أيديهم وكثير ابن عمهم مودود واستفحل ملكه وعظمت دولة بنيه من بعده الى أن انقرضوا والبقاء لله وحده

(مسير أسد الدين شيركوه الى مصر واعادة شاور الى وزارته)

لما اعتزم نور الدين محمود صاحب الشأم على صريخ شاور وارسال العساكر معه واختار لذلك أسد الدين شيركوه بن شادى وكان من أكبر أمرائه فاستدعاه من حمص وكان أميرا عليها وهى أقطاعه وجمع له العساكر وأزاح عللهم وفصل بهم شيركوه من دمشق فى جمادى سنة تسع وخمسين وسار نور الدين بالعساكر الى بلاد الافرنج ليأخذ بحجزتهم عن اعتراضه أو صده لما كان بينهم وبين صاحب مصر من الالفة والتظاهر ولما وصل أسد الدين بلبيس لقيه هنالك ناصر الدين أخو الضرغام وقاتله فانهزم وعاد الى القاهرة مهزوما وخرج الضرغام منسلخ جمادى الاخيرة فقتل عند مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها وقتل أخوه وأعاد شاور الى وزارته وتمكن فيها وصرف أسد الدين الى بلده وأعرض عما كان بينهما فطالبه أسد الدين بالوفاء فلم يجب اليه فتغلب أسد الدين على بلبيس والبلاد الشرقية وبعث شاور الى الافرنج يستنجدهم ويعدهم فبادروا الى اجابته وسار بهم ملكهم مرى لخوفهم أن يملك أسد الدين مصر واستعانوا بجمع من الافرنج جاؤا لزيارة القدس وسار نور الدين اليهم ليشغلهم فلم يثنهم ذلك وطمعوا العزمهم ورزأ أسد الدين الى بلبيس واجتمعت العساكر المصرية والافرنج عليه وحاصروه ثلاثة أشهر وهو يغاديهم القتال ويراوحهم وامتنع عليهم وقصاراهم منع الاخبار عنه واستنفر نور الدين ملوك الجزيرة وديار بكر وقصد حارم وسار الافرنج لمدافعته فهزمهم وأثخن فيهم وأسر صاحب انطاكية وطرابلس وفتح حارم قريبا من حلب ثم سار الى بانياس قريبا من دمشق ففتحها كما مر فى أخبار نور الدين وبلغ الخبر بذلك الى الافرنج وهم محاصرون أسد الدين فى بلبيس ففت فى عزائمهم وطووا الخبر

عنه وراسلوه فى الصلح على أن يعود الى الشأم فصالحهم وعاد الى الشأم فى ذى الحجة من السنة والله تعالى أعلم

(مسير أسد الدين ثانيا الى مصر وملكه الاسكندرية ثم صلحه عليها وعوده)

ولما رجع أسد الدين الى الشأم لم يزل فى نفسه مما كان من غدر شاور وبقى يتحين لغزوهم الى سنة ثنتين وستين فجمع العساكر وبعث معه نور الدين جماعة من الامراء واكتف له العسكر حوفا على حامية الاسلام وسار أسد الدين الى مصر وانتهى الى اطفيح وعبر منها الى العدوة الغربية ونزل الجيزة وأقام نحوا من خمسين يوما وبعث شاور الى الافرنج يستمدهم على العادة وعلى مالهم من التخوف من استفحال ملك نور الدين وشيركوه فسارعوا الى مصر وعبروا مع عساكرها الى الجيزة وقد ارتحل عنها أسد الدين الى الصعيد وانتهى منها الى وانبعوه وأدركوه بها منتصف ثنتين وستين ولما رأى كثرة عددهم واستعدادهم مع تخاذل أصحابه فاستشارهم فاشار بعضهم بعبور النيل الى العدوة الشرقية والعود الى الشأم وأبى زعماؤهم الا الاستماتة سيما خشية العتب من نور الدين وتقدم صلاح الدين بذلك وأدركهم القوم على تعبية وجعل صلاح الدين فى القلب وأوصاه أن يندفع أمامهم ووقف هو فى الميمنة مع من وثق باستماتته وحمل القوم على صلاح الدين فسار بين أيديهم على تعبيته وخالفهم أسد الدين الى مخلفهم فوضع السيف فيهم وأفحش قتلا وأسرا ورجعوا عن صلاح الدين يظنون أنهم ساروا منهزمين فوجدوا أسد الدين قد استولى على مخلفهم واستباحه فانهزموا الى مصر وسار أسد الدين الى الاسكندرية فتلقاه أهلها بالطاعة واستخلف بها صلاح الدين ابن أخيه وعاد الى الصعيد فاستولى عليه وفرق العمال على جباية أمواله ووصلت عساكر مصر والافرنج الى القاهرة وأزاحوا عللهم وساروا الى الاسكندرية فحاصروا بها صلاح الدين وجهده الحصار وسار أسد الدين من الصعيد لامداده وقد انتقض عليه طائفة من التركمان من عسكره وبينما هو فى ذلك جاءته رسل القوم فى الصلح على أن يرد عليهم الاسكندرية ويعطوه خمسين ألف دينار سوى ما جباه من أموال الصعيد فأجابهم الى ذلك على أن يرجع الافرنج الى بلادهم ولا يملكوا من البلاد قرية فانعقد ذلك بينهم منتصف شوال وعاد أسد الدين وأصحابه الى الشأم منتصف ذى القعدة ثم شرط الافرنج على شاور أن ينزلوا بالقاهرة شحنة وتكون أبوابها بأيديهم ليتمكنوا من مدافعة نور الدين عن مصر وأعليه مائة ألف دينار فى كل سنة جزية فتقبل ذلك وعاد الافرنج الى بلادهم بسواحل الشأم وتركوا بمصر جماعة من زعمائهم وبعث الكامل أبا شجاع شاور الى نور الدين

بطاعته

بطاعته وأن يبث بمصر دعوته وقرر على نفسه مالا يحمل كل سنة الى نور الدين فأجابه الى ذلك وبقي شيعة له بمصر والله تعالى أعلم

(استيلاء أسد الدين على مصر ومقتل شاور)

ولما ضرب الافرنج الجزية على القاهرة ومصر وأنزلوا بها الشحنة وملكوا أبوابها تمكنوا من البلاد وأقاموا فيها جماعة من زعمائهم فتحكموا واطلعوا على عورات الدولة فطمعوا فيما وراء ذلك من الاستيلاء وراسلوا بذلك ملكهم بالشام واسمه مرى ولم يكن ظهر بالشام من الافرنج مثله فاستدعوه لذلك وأغروه فلم يجبهم واستحثه أصحابه لملكها وما زالوا يفتلون له في الذروة والغارب ويوهمونه القوة بتملكها على نور الدين ويريهم هو أن ذلك يؤل الى خروج أصحابها عنها لنور الدين فبقي بها الى أن غلبوا عليه فرجع الى رأيهم وتجهز وبلغ الخبر نور الدين فجمع عساكره واستنفر من في ثغوره وسار الافرنج الى مصر مفتتح أربع وستين فملكوا بلبيس عنوة في صفر واستباحوها وكاتبهم جماعة من أعداء شاور فأنسوا بمكاتبتهم وساروا الى مصر ونازلوا القاهرة وأمر شاور باحراق مدينة مصر لينتقل أهلها الى القاهرة فينضبط الحصار فانتقلوا وأخذهم الحريق وامتدت الايدي وانتهبت أموالهم واتصل الحريق فيها شهرين وبعث العاضد الى نور الدين يستغيث به فأجاب وأخذ في تجهيز العساكر فاشتد الحصار على القاهرة وضاق الامر بشاور فبعث الى ملك الافرنج يذكره بقديمه وان هواه معه دون العاضد ونور الدين ويسأل في الصلح على المال لنفور المسلمين مما سوى ذلك فأجابه ملك الافرنج على ألف ألف دينار لما رأى من امتناع القاهرة وبعث اليهم شاور بمائة ألف منها وسألهم في الافراج فارتحلوا وشرع في جمع المال فعجز الناس عنه ورسل العاضد خلال ذلك تردد الى نور الدين في أن يكون أسد الدين وعساكره حامية عنده وعطاؤهم عليه وثلث الجباية خالصة لنور الدين فاستدعى نور الدين أسد الدين من حمص وأعطاه مائتي ألف دينار وجهزه بما يحتاجه من الثياب والدواب والاسلحة وحكمه في العساكر والخزائن ونفل العسكر عشرين دينارا لكل فارس وبعث معه من أمرائه مولاه عز الدين خردك وعز الدين قليج وشرف الدين برغش وعز الدولة الباروقي وقطب الدين ينال بن حسان المنبجي وأمد صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عمه أسد الدين فتعلل عليه واعتزم عليه فأجاب وسار أسد الدين منتصف ربيع فلما قارب مصر رجع الافرنج الى بلادهم فسر بذلك نور الدين وأقام عليه البشائر في الشأم ووصل أسد الدين القاهرة ودخلها منتصف جمادى الاخيرة ونزل بظاهرها ولقي العاضد وخلع عليه وأجرى عليه وعلى عساكره الجرايات والاتاوات وأقام أسد الدين ينتظر شرطهم وشاور

يماطله ويعللمه بالمواعيد ثم فاوض أصحابه في القبض على أسد الدين واستخدام جنده معه ابنه الكامل من ذلك فانتصر ثم أشرف أصحاب أسد الدين على اليأس من شاور وتفاوض أمراؤه في ذلك فاتفق صلاح الدين ابن أخيه وعز الدين جرديك على قتل شاور وأسد الدين ينهاهم وغدا شاور يوما على أسد الدين في خيامه فألفاه قد ركب لزيارة تربة الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فتلقاه صلاح الدين وجرديك وركبوا معه لقصد أسد الدين فقبضوا عليه في طريقهم وطيروا بالخبر الى أسد الدين وبعث العاضد لوقته يحرضهم على قتله فبعثوا اليه برأسه وأمر العاضد بنهب دوره فنهبها العامة وجاء أسد الدين لقصر العاضد فخلع عليه الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش وخرج له من القصر منشور من انشاء القاضي الفاضل البيساني وعليه مكتوب بخط الخليفة ما نصه هذا عهد لا عهد لوزير بمثله فتقلد ما رآك الله وأمير المؤمنين أهلا له وعليك الحجة من الله فيما أوضح لك من مراشده فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك الى نبوة النبوة واتخذ أمير المؤمنين للفوز سبيلا ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ثم ركب أسد الدين الى دار الوزارة التي كان فيها شاور وجلس مجلس الامر والنهي وولى على الاعمال وأقطع البلاد للعساكر وأمر أهل مصر بالرجوع الى بلادهم ورمها وعمارتها وكاتب نور الدين بالواقع مفصلا وانتصب للامور ثم دخل للعاضد وخاطبه الاستاذ جوهر الخصي عنه وهو يومئذ أكبر الاساتذ فقال يقول لك مولانا تؤثر مقامك عندنا من أول قدومك وأنت تعلم الواقع من ذلك وقد تيقنا أن الله عز وجل ادخرك لنا نصرة على أعدائنا فحلف له أسد الدين على النصيحة واظهار الدولة فقال الاستاذ عن العاضد الامر بذلك هذا أكبر ثم جددت الخلع واستخلص أسد الدين الجليس عبد القوي وكان قاضي القضاة وداعي الدعاة واستحسنه واختصه وأما الكامل بن شاور فدخل القصر مع اخوته معتصمين به وكان آخر العهد به وأسف أسد الدين عليه لما كان منه في رد أبيه وذهب كل عاكب والله تعالى أعلم

(وفاة أسد الدين وولاية ابن أخيه صلاح الدين)

ثم توفي أسد الدين شيركوه آخر جمادى الاخيرة من سنة أربع وستين لشهرين من وزارته ولما احتضر أوصى حواشيه بهاء الدين قراقوش فقال له الحمد لله الذي بلغنا من هذه الديار ما أردنا وصار أهلها راضين عنا فلا تفارقوا سور القاهرة ولا تفرطوا في الاسطول ولما توفي تشوف الامراء الذين معه الى رتبة الوزارة مكانه مثل عز الدولة الياروقي وشرف الدين المشطوب الهكاري وقطب الدين ينال بن حسان المنبجي

وشهاب الدين الحارمي وهو خال صلاح الدين وجمع كل الغالبة صاحبه وكان أهل القصر وخواص الدولة قد تشاوروا فأشار جوهر باخلاء رتبة الوزارة واصطفاء ثلاثة آلاف من عسكر الغز يقودهم قراقوش ويعطي لهم الشرقية اقطاعا ينزلون بها حشدا دون الافرنج من يستبد على الخليفة بل يقيم واسطة بينه وبين الناس على العادة وأشار آخرون باقامة صلاح الدين مقام عمه والناس تبع له ومال القاضي لذلك حياء من صلاح الدين وجنوحا الى صغر سنه وأنه لا يتوهم فيه من الاستبداد ما يتوهم في غيره من أصحابه وأنهم في سعة من رأيهم مع ولايته فاستدعاه وخلع عليه ولقبه الملك الناصر واختلف عليه أصحابه فلم يطيعوه وكان عيسى الهكاري شيعة له واستمالهم اليه الا الياروقي فانه امتنع وعاد الى نور الدين بالشأم وثبتت قدم صلاح الدين في مصر وكان نائبا عن نور الدين ونور الدين يكاتبه بالامير الاسفهسلار ويجمعه في الخطاب مع كافة الامراء بالديار المصرية ومازال صلاح الدين يحسن المباشرة ويستميل الناس ويفيض العطاء حتى غلب على أفئدة الناس وضعف أمر العاضد ثم أرسل يطلب اخوته وأهله من نور الدين فبعث بهم اليه من الشأم واستقامت أموره واطردت سعادته والله تعالى ولي التوفيق

(واقعة السودان بمصر)

كان بقصر العاضد خصي حاكم على أهل القصر يدعى مؤتمن الخلافة فلما غص أهل الدولة بوزارة صلاح الدين داخل جماعة منهم وكاتب الافرنج يستدعيهم ليبرز صلاح الدين لمدافعتهم فيثوروا بمخلفه ثم يتبعونه وقد ناشب الافرنج فيأتون عليه وبعثوا الكتاب مع ذي طمرين جعله في نعاله فاعترضه بعض التركمان واستلبه ورأوا النعال جديدة فاسترابوا بها فجاؤا به الى صلاح الدين فقرأ الكتاب ودخل على كاتبه فأخبره بحقيقة الامر فطوى ذلك وانتظر مؤتمن الخلافة حتى خرج الى بعض قراه متنزها وبعث من جاء برأسه ومنع الخصيين بالقصر عن ولاية أموره وقدم عليهم بهاء الدين قراقوش خصيا أبيض من خدمه وجعل اليه جميع الامور بالقصر وامتعض السودان بمصر لمؤتمن الخلافة واجتمعوا لحرب صلاح الدين وبلغوا خمسة آلاف وناجزوا عسكره من القصر في ذي القعدة من السنة وبعث الى محالهم بالمنصورة من أحرقها على أهليهم وأولادهم فلما سمعوا بذلك انهزموا وأخذهم السيف في السكك فاستأمنوا وعبروا الى الجيزة فسار اليهم شمس الدولة أخو صلاح الدين في طائفة من العسكر فاستلحمهم وأبادهم . والله أعلم

(منازلة الافرنج دمياط وفتح ايلة)

بياض بالاصل

بياض بالاصل

ولما استولى صلاح الدين على دولة مصر وقد كان الافرنج أشفقوا على ما فاتهم من صده
ومدافعه عن مصر وتوقعوا الهلاك من استطالة نور الدين عليهم بتلك المصر فبعثوا
الرهبان والاقسة الى بلاد الفرانية يدعونهم الى المدافعة عن بيت المقدس وكاتبوا
الافرنج بصقلية والاندلس يستجدونهم فنفروا واستعدوا والامداد لهم واجتمع الذين
بسواحل الشأم في فاتح خمس وستين وثلثمائة وركبوا في ألف من الاساطيل وأرسلوا
لدمياط ليملكوها ويقربوا من مصر وكان صلاح الدين قد ولاها شمس الخواص
منكبرس فبعث اليه بالخبر فجهز اليها بهاء الدين قراقوش وأمراء الغزفى البر متتابعين
وواصل المراكب بالاسلحة والاقوات وخاطب نور الدين يستمده لدمياط لانه لا يقدر
على المسير اليها خشية من أهل الدولة بمصر فبعث نور الدين اليها العساكر ارسالا ثم سار
بنفسه وخالف الافرنج الى بلادهم بسواحل الشأم فاستباحها وخربها وبلغهم الخبر
بذلك على دمياط وقد امتنعت عليهم ووقع فيهم الموتان فأقاموا عنها خمسين يوما من
حصارها ورجع أهل سواحل الشأم لبلادهم ووجدوها خرابا وكان جملة ما بعثه
نور الدين في المدد لصلاح الدين في شأن دمياط هذه ألف ألف دينار سوى الثياب
والاسلحة وغيرها ثم أرسل صلاح الدين الى نور الدين في منتصف السنة يستدعى منه أباه
نجم الدين أيوب فجهزه اليه مع عسكر واجتمع معهم من التجار جماعة وخشى عليهم
نور الدين في طريقهم من الافرنج الذين بالكرك فسار الى الكرك وحاصرهم بها
وجمع الافرنج الآخرون مدد للقائهم فخام عنهم وسار في وسط بلادهم وسار الى
عشيرا ووصل نجم الدين أيوب الى مصر وركب العاضد لتلقيه ثم سار صلاح الدين سنة
ست وستين لغزو بلاد الافرنج وأغار على أعمال عسقلان والرملة ونهب ربط غزة
ولقى ملك الافرنج فهزمه وعاد الى مصر ثم أنشأ مراكب وحملها مفصلة على الجمال
الى أيلة فألفها وألقاها في البحر وحاصر أيلة برا وبحرا وفتحها عنوة في شهر ربيع من
السنة واستباحها وعاد الى مصر فعزل قضاة الشيعة وأقام قاضيا شافعيا واولى
في جميع البلاد كذلك ثم بعث أخاه شمس الدولة توران شاه الى الصعيد فأغار على العرب
وكانوا قد عاثوا وأفسدوا فكفهم عن ذلك والله تعالى أعلم

(اقامة الخطبة العباسية بمصر)

ثم كتب نور الدين باقامة الخطبة للمستضىء العباسي وترك الخطبة للعاضد بمصر
فاعتذر عن ذلك بميل أهل مصر للعلويين وفي باطن الامر خشى من نور الدين ولم
يقبل نور الدين عذره في ذلك ولم تسعه مخالفته وأحجم عن القيام بذلك وورد على
صلاح الدين شخص من علماء الاعاجم يعرف بالخبشاني ويلقب بالامير العالم فلما رآهم

شجمين عن ذلك صعد المنبر يوم الجمعة قبل الخطيب ودعى للمستضى فلما كانت الجمعة القابلة أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد والخطبة للمستضى فتراسلوا بذلك ثانى جمعة من المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وكان المستضى قد ولى الخلافة بعد أبيه المستنجد فى ربيع من السنة قبلها ولما خطب له بمصر كان العاضد مريضا فلم يشعروه بذلك وتوفى يوم عاشوراء من السنة ولما خطب له على منابر مصر جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصره ووكل به بهاء الدين قراقوش وكان فيه من الذخائر ما يعز وجوده مثل حبل الياقوت الذى وزن كل حصاة منه سبعة عشر مثقالا ومصاف الزمرذ الذى طوله أربعة أصابع طولا فى عرض ومثل طبل القولنج الذى يضرب به ضاربه فيعافى بذلك من داء القولنج وكسروه لما وجدوا ذلك منه فلما ذكرت لهم منفعته ندموا عليه ووجدوا من الكتب النفيسة ما لا يعد ونقل أهل العاضد الى بعض حجر القصر ووكل بهم واخرج الاماء والعبيد وقسمهم بين البيع والهبة والعتق وكان العاضد لما اشتد مرضه استدعاه فلم يجب داعيه وظنها خديعة فلما توفى ندم وكان يصفه بالكرم ولين الجانب وغلبة الخير على طبعه والانقياد ولما وصل الخبر الى بغداد بالخطبة للمستضى ضربت البشائر وزينت بغداد أياما وبعثت الخلع لنور الدين وصلاح الدين مع صندل الخادم من خواص المقتفى فوصل الى نور الدين وبعث بخلعة صلاح الدين وخلع الخطباء بمصر والاعلام السود والله تعالى أعلم

(الوحشة بين صلاح الدين ونور الدين)

قد كان تقدم لنا ذكر هذه الوحشة فى أخبار نور الدين مستوفاة وأن صلاح الدين غزا بلاد الافرنج سنة سبع وستين وحاصر حصن الشوبك على مرحلة من الكرك حتى استأمنوا اليه فبلغ ذلك نور الدين فاعتزم على قصد بلاد الافرنج من ناحية أخرى فارتاب صلاح الدين فى أمره وفى لقاء نور الدين واظهار طاعته وما ينشأ عن ذلك من تحكمه فيه فأسرع العود الى مصر واعتذر لنور الدين بشئ بلغه عن شيعة العلويين ليعتزله نور الدين وأخذ فى الاستعداد لعزله وبلغ ذلك صلاح الدين وأصحابه فتفاوضوا فى مدافعته ونهاهم أبوه نجم الدين أيوب وأشار بمكاتبته والتلطف له مخافة أن يبلغه غير ذلك فيقوى عزمه على العمل به ففعل ذلك صلاح الدين فسالمه نور الدين وعادت المخالطة بينهما كما كانت واتفقا على اجتماعهما لحصار الكرك فسار صلاح الدين لذلك سنة ثمان وستين وخرج نور الدين من دمشق بعد أن تجهز فلما انتهى الى الرقيم على مرحلتين من الكرك وبلغ صلاح الدين خبره ارتاب به ثانيا وجاءه الخبر بمرض نجم الدين أبيه بمصر فكر راجعا وأرسل الى نور الدين الفقيه عيسى الهكارى بما وقع من حديث

المرض بأبيه وانه رجع من أجله فأظهر نور الدين القبول وعاد الى دمشق. والله تعالى أعلم

(وفاة نجم الدين أيوب)

كان نجم الدين أيوب بعد انصراف ابنه صلاح الدين الى مصر أقام بدمشق عند نور الدين ثم بعث عنه ابنه صلاح الدين عندما استوسق له ملك مصر فجهزه نور الدين سنة خمس وستين في عسكره وسار لحصار الكرك ليشغل الافرنج عن اعتراضه كما مرّ ذكره ووصل الى مصر وخرج العاضد لتلقيه وأقام مكرما ثم سار صلاح الدين الى الكرك سنة ثمان وستين المرّة الثانية في مواعدة نور الدين وأقام نجم الدين بمصر وركب يوما في موكب وسار ظاهر البلد والفرس في غلواء مراحه وملاعبة ظله فسقط عنه وحمل وقيذا الى بيته فهلك لايام منها آخر ذي الحجة من السنة وكان خيرا جوادا محسنا للعلماء والفقراء وقد تقدم ذكر أوليته والله ولي التوفيق

(استيلاء قراقوش على طرابلس الغرب)

كان قراقوش من موالي تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب وهو ابن أخي صلاح الدين فغضب مولاه في بعض النزعات وذهب مغاضبا الى المغرب ولحق بجبل نفوسة من ضواحي طرابلس الغرب وأقام هنالك دعوة مواليه وكان في تلك الجبال مسعود ابن زمام المعروف بالبلط في احيائه من رياح من عرب هلال بن عامر كان منحرفا عن طاعة عبد المؤمن شيخ الموحدين وخليفة المهدي فيهم فانتبذ مسعود بقومه عن المغرب وافريقية الى تلك القاصية فدعاه قراقوش الى اظهار دعوة مواليه بني أيوب فأجابه ونزل معه باحيائه على طرابلس فحاصرها قراقوش وافتتحها ونزل بأهله وعياله في قصرها ثم استولى على قابس من ورائها وعلى توزر ونفطة وبلاد نفزاوة من افريقية وجمع أموال الجباية وجعل ذخيرته بمدينة قابس وخربت تلك البلاد أثناء ذلك باستيلاء العرب عليها ولم يكن لهم قدرة على منعهم ثم طمع في الاستيلاء على جميع افريقية ووصل يده بيحيى بن غانية المتوثب الثائر بتلك الناحية بدعوة لمتونة من بقية الامراء في دولتهم فكانت لهما بتلك الناحية آثار مذكورة في أخبار دولة الموحدين الى أن غلبه ابن غانية على ما ملك من تلك البلاد وقتله كما هو مذكور في أخبارهم والله أعلم

(استيلاء نور الدين توران شاه بن أيوب على بلاد النوبة ثم على بلاد اليمن)

كان صلاح الدين وقومه على كثرة ارتيابهم من نور الدين وعلمهم به الظنون يحاولون ملك القاصية عن مصر ليمنعوا بها ان طرقهم منه حادث أو عزم على المسير اليهم في مصر

فصرفوا عزمهم فى ذلك الى بلاد النوبة أو بلاد اليمن وتجهز شمس الدولة توران شاه ابن أيوب وهو اخو صلاح الدين الاكبر الى ملك النوبة وسار اليها فى جمادى سنة ثمان وستين وحاصر قلعة من ثغورهم ففتحها واختبرها فلم يجد فيها خرجا ولا فى أهلها منعة جباية وأقواتهم الذرة وهم فى شظف من العيش ومعاناة للفتن فاقتصر على ما افتتح من ثغورهم وعاد فى غنيمته بالعبدى والجوارى فلما وصل الى مصر أقام بها قليلا ثم بعثه صلاح الدين الى اليمن وقد كان غلب عليه على بن مهدى الخارجى سنة أربع وخمسين وصار أمره الى ابنه عبد النبى وكرسى ملكه زبيد منها وفى عدن ياسر بن بلال بقية ملوك بنى الزريع وكان عمارة اليمنى شاعر العبيدى وصاحب بنى زريك من أمرائهم وكان أصله من اليمن وكان فى خدمة شمس الدولة ويغريه به فسار اليه شمس الدولة بعد ان تجهز وأزاح العلل واستعد للمال والعيال وسار من مصر منتصف سنة تسع وستين ومر بمكة وانتهى الى زبيد وبها ملك اليمن عبد النبى بن على بن مهدى فبرز اليه وقاتله فانهزم وانحجر بالبلد وزحفت عساكر شمس الدولة فتسنموا أسوارها وملكوها عنوة واستباحوها وأسروا عبد النبى وزوجته وولى شمس الدولة على زبيد مبارك بن كامل ابن منقذ من أمراء شيزر كان فى جملته ودفع اليه عبد النبى ليستخلص منه الاموال فاستخرج من قرابته دفائن كانت فيها أموال جليلة ودلتهم زوجته الحرة على ودائع استولوا منها على أموال جمة وأقيمت الخطبة العباسية فى زبيد وسار شمس الدولة توران شاه الى عدن وبها ياسر بن بلال كان أبوه بلال بن جرير مستبدا بها على مواليه بنى الزريع وورثها عنه ابنه ياسر فسار ياسر للقائه فهزمه شمس الدولة وسارت عساكره الى البلد فملكوها وجاؤا بياسر أسيرا الى شمس الدولة فدخل عدن وعبد النبى معه فى الاعتقال واستولى على نواحيها وعاد الى زبيد ثم سار الى حصون الجبال فملك تعز وهى من أحصن القلاع وحصن التعكر والجند وغيرها من المعاقل والحصون وولى على عدن عز الدولة عثمان بن الزنجيلى واتخذ زبيد سرير الملك ثم استوخمها وسار فى الجبال ومعه الاطباء يتخير مكانا صحيح الهواء للسكنى فوقع اختيارهم على تعز فاختط هنالك مدينة واتخذها كرسيا للملك وبقيت لبنيه ومواليهم بنى رسول كما نذكره فى أخبارهم والله تعالى ولى التوفيق

(واقعة عمارة ومقتله)

كان جماعة من شيعة العلويين بمصر منهم عمارة بن أبى الحسن اليمنى الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضى العويدس وابن كامل وداعى الدعاة وجماعة من الجند وحاشية القصر اتفقوا على استدعاء الافرنج من صقلية وسواحل الشام وبذلوا لهم

الاموال على أن يقصدوا مصر فان خرج صلاح الدين لقتالهم بالعساكر ثار هؤلاء بالقاهرة وأعادوا الدولة العبيدية والاملا بدله ان أقام من بعث عساكره لمدافعة الافرنج فيستفردون به ويقبضون عليه وواطأهم على ذلك جماعة من أمراء صلاح الدين وتحينوا الدلك غيبة أخيه توران شاه باليمن ووثقوا بأنفسهم وصدقوا توهماتهم ورتبوا وظائف الدولة وخططها وتسارع في الوزارة بنو زريك وبنو شاور وكان على ابن نجى الواعظ ممن داخلهم في ذلك فأطلع صلاح الدين هو في الباطن اليهم وعين الخبر الى صلاح الدين من عيونه ببلاد الافرنج فوضع على الرسول عنده عيونا بأوه بحلية خبره فقبض حينئذ عليهم وقيل ان على بن نجى أنهى خبرهم الى القاضى فأوصله الى صلاح الدين ولما قبض عليهم صلاح الدين أمر بصلبهم ومر عمارة ببيت القاضى وطلب لقاءه فلم يسعفه وأنشد البيت المشهور

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص هو العجب

ثم صلبوا جميعا ونودى فى شيعة العلويين بالخروج من ديار مصر الى الصعيد واحتيط على سلالة العاضد بالقصر وجاء الافرنج بعد ذلك من صقلية الى الاسكندرية كما يأتى خبره ان شاء الله تعالى والله أعلم

* (وصول الافرنج من صقلية الى الاسكندرية) *

لما راسلت رسل هؤلاء الشيعة الى الافرنج بصقلية تجهزوا وبعثوا امراكبهم مائتى اسطول للمقاتلة فيها خمسون ألف رجل وألفان وخمسمائة فارس وثلاثون مركبا للخيول وستة مراكب لآلة الحرب وأربعون للازواد وتقدم عليهم ابن عم الملك صاحب صقلية ووصلوا الى ساحل الاسكندرية سنة سبعين وركب أهل البلد الاسوار وقاتلهم الافرنج ونصبوا الآلات عليها وطار الخبر الى صلاح الدين بمصر ووصلت الامراء الى الاسكندرية من كل جانب من نواحيها وخرجوا فى اليوم الثالث فقاتلوا الافرنج فظفروا عليهم ثم جاءهم البشير آخر النهار بمجىء صلاح الدين فاهتاجوا للحرب وحرجوا عند اختلاط الظلام فكبسوا الافرنج فى خيامهم بالساحل وبادروا الى ركوب البحر فتقسموا بين القتل والغرق ولم ينج الا القليل واعتصم منهم نحو من ثلثمائة برأس رابية هنالك الى أن أصبحوا فقتل بعضهم وأسر الباقون وأقلعوا بأساطيلهم راجعين والله تعالى أعلم

* (واقعة كنز الدولة بالصعيد) *

كان أمير العرب بنواحى اسوان يلقب كنز الدولة وكان شيعة للعلوية بمصر وطالت

أيامه

أيامه واشتهر ولما ملك صلاح الدين قسم الصعيد اقطاعا بين أمرائه وكان أخو أبى الهيجاء السمين من أمرائه واقطاعه فى نواحيهم فعصى كنز الدولة سنة سبعين واجتمع اليه العرب والسودان وهجم على أخى أبى الهيجاء السمين فى اقطاعه فقتله وكان أبو الهيجاء من أكبر الامراء فبعثه صلاح الدين لقتال الكنز وبعث معه جماعة من الامراء والتف له الجند فساروا الى اسوان ومروا بصدد فحاصروا بها جماعة وظفروا بهم فاستلموهم ثم ساروا الى الكنز فقاتلوه وهزموه وقتل واستلحم جميع أصحابه وأمنت بلاد اسوان والصعيد والله تعالى ولى التوفيق

(استيلاء صلاح الدين على قواعد الشأم بعد وفاة العادل نور الدين)

كان صلاح الدين كما قدمناه قائما فى مصر بطاعة العادل نور الدين محمود بن زنكى ولما توفى سنة تسع وستين ونصب ابنه الصالح اسمعيل فى كفالة شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم وبعث اليه صلاح الدين بطاعته ونقم عليهم انهم لم يردوا الامر اليه وسار غازى صاحب الموصل بن قطب الدين مودود بن زنكى الى بلاد نور الدين التى بالجزيرة وهى نصيبين والخابور وحران والرها والرقة فملكها ونقم عليه صلاح الدين أنهم لم يخبروه حتى يدافعه عن بلادهم وكان الخادم سعد الدين كمشتكين الذى ولاه نور الدين قلعة الموصل وأمر سيف الدين غازى بطاعته بأموره قد لحق عند وفاة نور الدين بحلب وأقام بها عند شمس الدين على بن الداية المستبد بها بعد نور الدين فبعثه ابن الداية الى دمشق فى عسكر ليجىء بالملك الصالح الى حلب لمدافعة سيف الدين غازى فنكروه أولا وطردوه ثم رجعوا الى هذا الرأى وبعثوا عنه فسار مع الملك الصالح الى حلب ولحين دخوله قبض على ابن الداية وعلى مقدمى حلب واستبد بكفالة الصالح وخاف الامراء بدمشق وبعثوا الى سيف الدين غازى ليملكوه فظنها مكيدة من ابن عمه وامتنع عليهم وصالح ابن عمه على ما أخذ من البلاد فبعث أمراء دمشق الى صلاح الدين وتولى كبر ذلك ابن المقدم فبادر الى الشأم وملك بصرى ثم سار الى دمشق فدخلها فى منسلخ ربيع سنة سبعين وخمسمائة ونزل دار أبيه المعروفة بالعفيفى وبعث القاضى كمال الدين ابن الشهرزورى الى ريحان الخادم بالقلعة انه على طاعة الملك الصالح وفى خدمته وما جاء الا لنصرته فسلم اليه القلعة وملكها واستخلف على دمشق أخاه سيف الاسلام طغركين وسار الى حمص وبها وال من قبل الامير مسعود الزعفرانى وكانت من أعماله فقاتلها وملكها وجمر عسكرا لقتال قلعتها وسار الى حماة مظهرا لطاعة الملك الصالح وارتجاع ما أخذ من بلاده بالجزيرة وبعث بذلك الى صاحبها

قلعتها حرديك واستحلفه وسار الى الملك الصالح ليجمع الكلمة و يطلق أولاد الداية واستحلف على قلعة حماة أخاه ولما وصل الى حلب حبسه كمشتكين الخادم ووصل الخبر الى أخيه بقلعة حماة فسلمها لصلاح الدين وسار الى حلب فحاصرها ثالث جمادى الآخرة واستمال أهلها في المدافعة عن الصالح وكان بقلعة حمص صاحب طرابلس من الافرنج محبوسا منذ أسره نور الدين على حارم سنة تسع وخمسين فأطلقه كمشتكين على مال وأسرى بلده وتوفي نور الدين أول السنة وخلف ابنا مجدوما فكفله حمد واستولى على ملكوم فلما حاصر صلاح الدين حلب بعث كمشتكين الى حمد يستنجده فسار الى حمص ونزلها فسار اليه صلاح الدين وترك حلب ونجمع الافرنج عسكره فرحلوا عن حمص ووصل هو اليها عاشر رجب فحاصر قلعتها وملكها آخر شعبان من السنة ثم سار الى بعلبك وبها يمن الخادم من أيام نور الدين فحاصره حتى استأمن اليه وملكها رابع رمضان من السنة وصار بيده من الشأم دمشق وحماة وبعلبك ولما استولى صلاح الدين على هذه البلاد من أعمال الملك الصالح كتب الصالح الى ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده على صلاح الدين فأنجده بعساكره مع أخيه عز الدين مسعود وصاحب جيشه عز الدين زلفندار وسارت معهم عساكر حلب وساروا جميعا لمحاربة صلاح الدين وبعث صلاح الدين الى سيف الدين غازي أن يسلم لهم حمص وحماة ويبقى بدمشق نائبا عن الصالح فأبى الا ردجميعها فسار صلاح الدين الى العساكر ولقيهم آخر رمضان بنواحي حماة فهزمهم وغنم ما معهم واتبعهم الى حلب وحاصرها وقطع خطبة الصالح ثم صالحوه على ما بيده من الشأم فأجابهم ورحل عن حلب لعشرين من شوال وعاد الى حماة وكان فخر الدين مسعود بن الزعفراني من الامراء النورية وكانت ماردين من أعماله مع حمص وحماة وسلمية وتل خالد والرها فلما ملك أقطاعه هذه اتصل به ولم ير نفسه عنده كما ظن ففارقه فلما عاد صلاح الدين من حصار حلب الى حماة سار الى بعرين واستأمن اليه واليها فملكها وعاد الى حماة فأقطعها خاله شهاب الدين محمود وأقطع حمص ناصر الدولة بن شيركوه وأقطع بعلبك شمس الدين ابن المقدم ودمشق الى عماد والله تعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه

{واقعة صلاح الدين مع الملك الصالح وصاحب
الموصل وما ملك من الشأم بعد انهزامهما}

ثم سار سيف الدين غازي صاحب الموصل في سنة احدى وسبعين بعد انهزام أخيه وعساكره واستقدم صاحب كيفا وصاحب ماردين وسار في ستة آلاف فارس وانتهى

الى نصيبين فى ربيع من السنة فشتى بها حتى ضجرت العساكر من طول المقام وسار الى حلب فخرجت اليه عساكر الملك الصالح مع كمشتكين الخادم وسار صلاح الدين من دمشق للقائهم فلقيهم قبل السلطان فهزمهم واتبعهم الى حلب وعبر سيف الدين الفرات منهزما الى الموصل وترك أخاه عز الدين بحلب واستولى صلاح الدين على مخلفهم وسار الى مراغة فملكها وولى عليها ثم الى منبج وبها قطب الدين نيال بن حسان المنبجى وكان حنقا عليه لقبح آثاره فى عداوته فلحق بالموصل وولاه غازى مدينة الرقة ثم سار صلاح الدين الى قلعة عزاز فحاصرها أوائل ذى القعدة من السنة أربعين يوما وشدد حصارها فاستأمنوا اليه فملكها ثانى الاضحى من السنة وثب عليه فى بعض أيام حصارها باطنى من الفداوية فضربه وكان مسلحا فأمسك يد الفداوى حتى قتل وقتل جماعة كانوا معه لذلك ورحل صلاح الدين بعد الاستيلاء على قلعة عزاز الى حلب فحاصرها وبها الملك الصالح واعصوصب عليه أهل البلد واستماتوا فى المدافعة عنه ثم ترددت الرسل فى الصلح بينهما وبين صاحب الموصل وكيفا وصاحب ماردين فانعقد بينهم فى محرم سنة اثنتين وتسعين وعاد صلاح الدين الى دمشق بعد أن رد قلعة عزاز الى الملك الصالح بوسيلة أخته الصغيرة خرجت الى صلاح الدين زائرة فاستوهبته قلعة عزاز فوهبها اياها والله تعالى أعلم

(مسير صلاح الدين الى بلاد الاسماعيلية)

ولما رحل صلاح الدين عن حلب وقد وقع من الاسماعيلية على حصن عزاز ما وقع قصد بلادهم فى محرم سنة ثنتين وتسعين ونهبها وخربها وحاصر قلعة ياميان ونصب عليها المجانيق وبعث سنان مقدم الاسماعيلية بالشام الى شهاب الدين الحارمى خال صلاح الدين بحماة يسأله الشفاعة فيهم ويتوعده بالقتل فشفع فيهم وأرحل العساكر عنهم وقدم عليه أخوه توران شاه من اليمن بعد فتحه واظهار دعوتهم فيه وولى على مدنه وامصاره فاستخلفه صلاح الدين على دمشق وسار الى مصر لطول عهده بها أبو الحسن ابن سنان بن سقمان بن محمد ولما وصل اليها أمر بادارة سور على مصر القاهرة والقلعة التى بالجبل دوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع بالهاشمى واتصل العمل فيه الى أن مات صلاح الدين وكان متولى النظر فيه مولاه قراقوش والله تعالى ولى التوفيق بمنه

(غزوات بين المسلمين والافرنج)

كان شمس الدين محمد بن المقدم صاحب بعلبك وأغار جمع من الافرنج على البقاع من

أعمال حلب فسار اليهم وأكمن لهم في الغياض حتى مال عليهم وقتل فيهم وبعث الى صلاح الدين بمائتي أسير منهم وقارن ذلك وصول شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن فبلغه أن جمعا من الافرنج أغاروا على أعمال دمشق فسار اليهم ولقيهم بالمروج فلم يثبت وهزموه وأسر سيف الدين أبو بكر بن السلار من أعيان الجند بدمشق وتجاسر الافرنج على تلك الولاية ثم اعتزم صلاح الدين على غزو بلاد الافرنج فبعثوا في الهدنة وأجابهم اليها وعقلهم والله تعالى ولي التوفيق

(هزيمة صلاح الدين بالرملة أمام الافرنج)

ثم سار صلاح الدين من مصر في جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين الى ساحل الشأم لغزو بلاد الافرنج وانتهى الى عسقلان فاكتسح أعمالها ولم يروا للافرنج خبرا فانساحوا في البلاد وانقلبوا الى الرملة ثارا عيهم الا الافرنج مقبلين في جموعهم وأبطالهم وقد افترق أصحاب صلاح الدين في السرايا فثبت في موقفه واشتد القتال وأبلى يومئذ محمد ابن أخيه في المدافعة عنه وقتل من أصحابه جماعة وكان لتقي الدين بن شاه ابن اسمه أحمد متكامل الخلال لم يطر شاربه فأبلى يومئذ واستشهد وتمت الهزيمة على المسلمين وكان بعض الافرنج تخلصوا الى صلاح الدين فقتل بين يديه وعاد منهزما وأسر الفقيه عيسى الهكاري بعد ان أبلى يومئذ بلاء شديدا وسار صلاح الدين حتى غشيه الليل ثم دخل البرية في قل قليل الى مصر ولحقهم الجهد والعطش ودخل الى القاهرة منتصف جمادى الاخيرة قال ابن الاثير ورأيت كتابه الى أخيه توران شا بدمشق يذكر الواقعة

ذكرتك والخطي يخطر بيننا * وقد نهلت فينا المثقفة السمر

ومن فصوله لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة وما نجانا الله سبحانه منه الا لأمر يريده وماثبتت الا وفي نفسها أمر انتهى وأما السرايا التي دخلت بلاد الافرنج فتقسمهم القتل والاسر وأما الفقيه عيسى الهكاري فلما ولى منهزما ومعه أخوه الظهير ضل عن الطريق ومعهما جماعة من أصحابهما فأسروا وفداه صلاح الدين بعد ذلك بستين ألف دينار والله تعالى أعلم

(حصار الافرنج مدينة حماة)

ثم وصل في جمادى الاولى الى ساحل الشأم زعيم من طواغيت الافرنج وقارن وصوله هزيمة صلاح الدين وعاد الى دمشق يومئذ توران شاه بن أيوب في قلة من العسكر وهو مع ذلك منهمك في لذاته فسار ذلك الزعيم بعد ان جمع فرنج الشأم وبذل لهم العطاء فحاصر مدينة حماة وبها شهاب الدين محمود الحارمي خال صلاح الدين مريضا وشد

حصارها وقتالها حتى أشرف على أخذها وهجموا يوما على البلد وملكوا ناحية منه فدافعهم المسلمون وأخرجوهم ومنعوا حماة منهم فأفرجوا عنها بعد أربعة أيام وساروا الى حارم فحاصروها ولما رحلوا عن حماة مات شهاب الدين الحارمى ولم يزل الافرنج على حارم يحاصرونها وأطمعهم فيها ما كان من نكبة الصالح صاحب حلب لكمستكين الخادم كافل دولته ثم صانعهم بالمال فرحلوا عنها ثم عاد الافرنج الى مدينة حماه فى ربيع سنة أربع وسبعين فعاثوا فى نواحيها واكتسحوا أعمالها وخرج العسكر حامية البلد اليهم فهزموهم واستردوا ما أخذوا من السواد وبعثوا بالرؤس والاسرى الى صلاح الدين وهو بظاهر حمص منقلبا من الشأم فأمر بقتل الاسرى والله تعالى ولى التوفيق

(انتقاض ابن المقدم ببعلبك وفتحها)

كان صلاح الدين لما ملك بعلبك استخلف فيها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم جزاء بما فعله فى تسليم دمشق وكان شمس الدولة محمد أخو صلاح الدين ناشئا فى ظل أخيه وكفالته فكان يميل اليه وطلب منه أقطاع بعلبك فأمر ابن المقدم بتمكينه منها فأبى وذكره عهده فى أمر دمشق فسار ابن المقدم الى بعلبك وامتنع فيها ونازلته العساكر فامتنع وطاولوه حتى بعث الى صلاح الدين يطلب العوض فعوضه عنها وسار أخوه شمس الدين اليها فملكها والله تعالى ولى التوفيق

(وقائع مع الافرنج)

وفى سنة أربع وسبعين سار ملك الافرنج فى عسكر عظيم فأغار على أعمال دمشق واكتسحها وأثخن فيها قتلا وسبيا وأرسل صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه فى العساكر لمدافعته فسار يطلبهم ولقيهم على غير استعداد فقاتل أشد القتال ونصر الله المسلمين وقتل جماعة من زعماء الافرنج منهم هنفرى وكان يضرب به المثل ثم أغار البرنس صاحب انطاكية واللاذقية على سرح المسلمين بشيزر وكان صلاح الدين على بانياس لتخريب حصن الافرنج بمخاضة الاضرار فبعث تقى الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه وناصر الدين محمد الى حمص لحماية البلد من العدو كما نذكره ان شاء الله تعالى

(تخريب حصن الافرنج)

كان الافرنج قد اتخذوا حصنا منيعا بقرب بانياس عند بيت يعقوب عليه السلام ويسمى مكانه مخاضة الاضرار فسار صلاح الدين من دمشق الى بانياس سنة خمس وسبعين وأقام بها وبث فيها الغارات على بلادهم ثم سار الى الحصن فحاصره ليختبره وعاد عنه الى اجتماع العساكر وبث السرايا فى بلاد الافرنج للغارة وجاء ملك الافرنج للغارة

على سريته ومعه جماعة من عساكره فبعثوا الى صلاح الدين بالخبر فوافاهم وهم يقتتلون فهزم الافرنج وأثخن فيهم ونجا ملكهم فى فل وأسر صاحب الرملة ونابلس منهم وكان رديف ملكهم وأسر أخوه صاحب جبيل وطبرية ومقدم الفداوية ومقدم الاساتارية وغيرهم من طواغيتهم وفادى صاحب الرملة نفسه وهو ارتيرزان عائة وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير من المسلمين وأبلى فى هذا اليوم عز الدين فرخشاه ابن أخى صلاح الدين بلاء حسنا ثم عاد صلاح الدين الى بانياس وبث السرايا فى بلاد الافرنج وسار لحصار الحصن فقاتلوه قتالا شديدا وتسنم المسلمون سوره حتى ملكوا ربضا منه وكان مدد الافرنج بطبرية والمسلمون يرتقبون وصولهم فأصبحوا من الغد ونقبوا السور وأضرموا فيه النار فسقط وملك المسلمون الحصن عنوة آخر ربيع سنة خمس وسبعين وأسروا كل من فيه وأمر صلاح الدين بهدم الحصن فألحق بالارض وبلغ الخبر الى الافرنج وهم مجتمعون بطبرية للامداد فافترقوا وانهزم الافرنج والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفتنة بين صلاح الدين وقليج ارسلان صاحب الروم)

كان حصن رعبان من شمالى حلب قد ملكه نور الدين العادل بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم وهو بيد شمس الدين ابن المقدم فلما اقتطع حصن رعبان عن ايالة صلاح الدين وراء حلب طمع قليج ارسلان فى استرجاعه فبعث اليه عسكرا يحاصرونه وبعث صلاح الدين تقى الدين ابن أخيه فى عسكر لدافعتهم فلقيهم وهزمهم وعاد الى عمه صلاح الدين ولم يحضر معه تخريب حصن الاسرار وكان نور الدين محمود بن قليج ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وآمد وغيرهما من ديار بكر قد فسد ما بينه وبين قليج ارسلان صاحب بلاد الروم بسبب اضراره بابنته وزواجه عليها واعتزم قليج ارسلان على حربه وأخذ بلاده فاستنجد نور الدين بصلاح الدين وبعث الى قليج ارسلان يشفع فى شأنه وطلب استرجاع حصونه التى أعطاها لنور الدين عند المصاهرة ولج فى ذلك صلاح الدين على قليج وسار الى رعبان ومر بحلب فتركها ذات الشمال وسلك على تل باشر ولما انتهى الى رعبان جاءه نور الدين محمود وأقام عنده وارسل اليه قليج ارسلان يصف فعل نور الدين واضراره ببنته فلما أدى الرسول رسالته امتعض صلاح الدين وتوعدهم بالمسير الى بلده فتركه الرسول حتى سكن وغدا عليه وطلب الخلوة وتلطف له فى قبح ما هو فيه من ترك الغزو ونفقة الاموال فى هذا العرض الحقير وأن بنت قليج ارسلان يجب على مثلك من الملوك الامتعاض لها ولا تترك المضارة من دونها فعلم صلاح الدين الحق فيما قاله وقال للرسول ان نور الدين استند الى معلك فاصلح الامر بينهما وأنا معين على ما تحبونه

جميعا ففعل الرسول ذلك وأصلح بينهما وعاد صلاح الدين الى الشأم ونور الدين محمود الى ديار بكر وطلق ضرة بنت قليج ارسلان للأجل الذى أجله للرسول والله تعالى أعلم

(مسير صلاح الدين الى بلاد ابن اليون)

كان قليج بن اليون من ملوك الارض صاحب الدروب المجاورة لحلب وكان نور الدين محمود قد استخدمه وأقطع له فى الشأم وكان يعسكر معه وكان جريأ على صاحب القسطنطينية وملك وادقة والمصيصة وطرسوس من يد الروم وكانت بينهما من أجل ذلك حروب ولما توفى نور الدين وانقضت دولته أقام ابن اليون فى بلاده وكان التركمان يحتاجون الى رعى مواشيهم بارضه على حصانتها وصعوبة مضايقها وكان يأذن لهم فيه خلونها وغدر بهم فى بعض السنين واستباحهم واستاق مواشيهم وبلغ الخبر الى صلاح الدين منصرفه من رعبان فقصد بلده ونزل النهر الاسود وبث الغارات فى بلادهم واكتسحها وكان لابن اليون حصن وفيه ذخيرته نخشى عليه فقصد تخريبه وسابقه اليه صلاح الدين فغنم مافيه وبعث اليه ابن اليون بردما أخذ من التركمان واطلاق أسراهم على الصلح والرجوع عنه فاجابه الى ذلك وعاد عنه فى منتصف سنة خمس وسبعين والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(غزوة صلاح الدين الى الكرك)

كان البرنس ارناط صاحب الكرك من مردة الافرنج وشياطينهم وهو الذى اختط مدينة الكرك وقلعتها ولم تكن هنالك واعتزم على غزو المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام وسمع عز الدين فرخشاه بذلك وهو بدمشق فجمع وسار الى الكرك سنة سبع وسبعين واكتسح نواحيه وأقام ليشغله عن ذلك الغرض حتى انقطع أمله وعاد الى الكرك فعاد فرخشاه الى دمشق والله تعالى أعلم بغيبه

(مسير سيف الاسلام طغركين بن أيوب الى اليمن واليا عليها)

قد كان تقدم انما فتح شمس الدولة توران شاه لليمن واستيلاؤه عليه سنة ثمان وستين وأنه ولى على زبيد مبارك بن كامل بن منقذ من أمراء شيزر وعلى عدن عز الدولة عثمان الزنجيلي واختط مدينة تعز فى بلاد اليمن واتخذها كرسيا للملك ثم عاد الى أخيه سنة اثنتين وسبعين وأدركه منصرفا من حصار حلب فولاه على دمشق وسار الى مصر ثم ولاه أخوه صلاح الدين بعد ذلك مدينة الاسكندرية وأقطعه اياها مضافة الى أعمال اليمن وكانت الاموال تحمل اليه من زبيد وعدن وسائر ولايات اليمن ومع ذلك فكان عليه دين قريب من مائتى ألف دينار مصرية وتوفى سنة ست وسبعين فتقاضاها عنه

صلاح الدين ولما بلغه خبر وفاته سار الى مصر واستخلف على دمشق عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه وكان سيف الدين مبارك بن كامل بن منقذ الكنانى نائبه بزبيد قد تغلب فى ولايته وتحكم فى الاموال فنزع الى وطنه واستأذن شمس الدولة قبل موته فأذن له فى المضى واستأذن أخاه عطاف بن زبيد وأقام مع شمس الدولة حتى اذا مات بقى فى خدمة صلاح الدين وكان يحسد الذى بيده عنده أنه احتجر أموال اليمن ولم يعرض له فصيل اعداؤه عليه وكان ينزل بالعدوية قرب مصر فسنح فى بعض الايام صيما دعى اليه أعيان الدولة واختلف مواليه وخدامه الى مصر فى شراء حاجتهم فتحيلوا لصلاح الدين انه هارب الى اليمن فتمت حيلتهم فقبض عليه ثم ضاق عليه الحال وصابره على ثمانين ألف دينار مصرية سوى ما أعطى لاهل الدولة فأطلقه وأعاده الى منزلته فلما بلغ شمس الدين الى اليمن اختلف نوابه بها حطان بن منقذ وعثمان بن الزنجيلى وخشى صلاح الدين أن تخرج اليمن عن طاعته فجهز جماعة من امرائه الى اليمن مع صارم الدين قطلغ أبيه والى مصر من أمرائه فساروا لذلك سنة سبع وسبعين واستولى قطلغ أبيه على زبيد من حطان بن منقذ ثم مات قريبا فعاد حطان الى زبيد وأطاعه الناس وقوى على عثمان الزنجيلى فكتب عثمان الى صلاح الدين أن يبعث بعض قرابته فجهز صلاح الدين أخاه سيف الاسلام طغركين فسار الى اليمن وخرج حطان بن منقذ من زبيد وتحصن فى بعض القلاع ونزل سيف الاسلام زبيد وبعث الى حطان بالامان فنزل اليه وأولاه الاحسان ثم طلب اللحاق بالشام فمنعه ثم ألح عليه فأذن له حتى اذا خرج واحتمل رواحله وجاء ليودعه قبض عليه واستولى على ما معه ثم حبسه فى بعض القلاع فكان آخر العهد به ويقال كان فيما أخذه سبعون حملا من الذهب ولما سمع عثمان الزنجيلى خبر حطان خشى على نفسه وحمل أمواله فى البحر ولحق بالشام وبقيت مراكبه مراكب لسيف الاسلام فاستولى عليها ولم يخلص الا ما كان معه فى طريقه وصفا اليمن لسيف الاسلام والله تعالى أعلم

{دخول قلعة البيرة فى ايالة صلاح الدين وغزوه الافرنج
وفتح بعض حصونهم مثل الشقيف والغزو ببيروت}

كانت قلعة البيرة من قلاع العراق لشهاب الدين بن ارتق وهو ابن عم قطب الدين أبى الغازى بن ارتق صاحب ماردين وكان فى طاعة نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام ثم مات وملك البيرة بعده ابنه ومات نور الدين فصار الى طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل ثم وقع بين صاحب ماردين وصاحب الموصل من المخالفة والاتفاق ما وقع وطلب من عز الدين أن يأذن له فى أخذ البيرة فأذن له فسار قطب الدين فى عسكره

الى قلعة شميشاط وأقام بها وبعث العسكر الى البيرة وحاصروها وبعث صاحبها يستنجد صلاح الدين ويكون له كما كان أبوه لنور الدين فشفع صلاح الدين الى قطب الدين صاحب ماردين ولم يشفعه وشغل عنه بأمر الافرنج ورحلت عساكر قطب الدين عنها فرجع صاحبها الى صلاح الدين وأعطاه طاعته وعاد الى ايالته ثم خرج صلاح الدين من مصر فى محرم سنة ثمان وسبعين قاصدا الشأم ومر بأيلة وجمع الافرنج لاعتراضه فبعث أثقاله مع أخيه تاج الملوك الى دمشق ومال على بلادهم فاكتسح نواحى الكرك والشوبك وعاد الى دمشق منتصف صفر وكان الافرنج لما اجتمعوا على الكرك دخلوا بلادهم من نواحى الشأم فخالفهم عز الدين فرخشاه نائب دمشق اليها واكتسح نواحيها وخرب قراها وأثخن فيهم قتلا وسبيا وفتح السقيف من حصونهم عنوة وكان له نكاية فى المسلمين فبعث الى صلاح الدين بفتحه فسر بذلك ثم أراح صلاح الدين بدمشق أياما وسار فى ربيع الاول من السنة وقصد طبرية وخيم بالاردن واجتمعت الافرنج على طبرية فسير صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه الى بيسان فملكها عنوة واستباحها وأغار على الغور فأثخن فيها قتلا وسبيا وسار الافرنج من طبرية الى جبل كوكب وتقدم صلاح الدين اليهم بعساكره فتحصنوا بالجبل فأمر ابنى أخيه تقى الدين عمر وعز الدين فرخشاه ابنى شاهنشاه فقاتلوا الافرنج قتالا شديدا ثم تحاجزوا وعاد صلاح الدين الى دمشق ثم سار الى بيروت فاكتسح نواحيها وكان قد استدعى الاسطول من مصر لحصارها فوافاه بها وحاصرها أياما ثم بلغه ان البحر قد قذف بدمياط مركبا للافرنج فيه جماعة منهم جاؤا لزيارة القدس فالقتهم الريح بدمياط وأسر منهم ألف وستمائة أسير ثم ارتحل عن بيروت الى الجزيرة كما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿مسير صلاح الدين الى الجزيرة واستيلاؤه على حران والرها والرقة والخابور ونصيبين وسنجار وحصار الموصل﴾

كان مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين كجك الذى كان أبوه نائب القلعة بالموصل مستوليا فى دولة مودود وبنيه وانتقل آخرا الى اربل ومات بها وأقطعه عز الدين صاحب الموصل ابنه مظفر الدين وكان هواه مع صلاح الدين ويؤمله ملكه بلاد الجزيرة فراسله وهو محاصر لبيروت وأطمعه فى البلاد واستحثه للوصول فسار صلاح الدين عن بيروت موريا بحلب وقصد الفرات ولقيه مظفر الدين وساروا الى البيرة وقد دخل طاعة عز الدين وكان عز الدين صاحب الموصل ومجاهد الدين لما بلغهما مسير صلاح الدين الى الشأم ظنوا أنه يريد حلب فساروا للمدافعة فلما عبر الفرات عادوا الى الموصل وبعثوا حامية الى الرها وكاتب صلاح الدين ملوك الاطراف بديار بكر وغيرها

بالوعد والمقاربة ووعد نور الدين محمود صاحب كيفا أنه يملكه آمد ووصل اليه فساروا
الى مدينة الرها فحاصروها وبها يومئذ الامير فخر الدين بن مسعود الزعفرانى واشتد
عليه القتال فاستأمن الى صلاح الدين وملك المدينة وحاصر معه القلعة حتى سلمها
النائب الذى بها على مال شرطه فأعطاها صلاح الدين الى مظفر الدين مع حران
وساروا الى الرقة وبها نائب قطب الدين ينال بن حسان المنبجى ففارقها الى الموصل
وملكها صلاح الدين ثم سار الى قرقيسيا وماكسين وعربان وهى بلاد الخابور فاستولى
على جميعها وسار الى نصيبين فملك المدينة لوقتها وحاصر القلعة أياما ثم ملكها أقطعها
للامير أبى الهيجاء السمين ثم رحل عنها ونور الدين صاحب كيفا معه معتزما على قصد
الموصل وجاءه الخبر بأن الافرنج أغاروا على نواحى دمشق واكتسحوا قراها وأرادوا
تخريب جامع داريا فوعدهم نائب دمشق بتخريب بيعهم وكنائسهم فتركوه فلم يثن
ذلك من عزمه وقصد الموصل وقد جمع صاحبها العساكر واستعد للحصار وجعل نائبه
فى الاستعداد وبعث الى سنجار واربل وجزيرة ابن عمر فشحنها بالامداد من الرجال
والسلاح والاموال وأرسل صاحب الدار عساكره بقربها وتقدم هو ومظفر الدين
وابن شيركوه فهالهم استعداد صاحب البلد وأيقنوا بامتناعه وعذل صاحبه هذين
فانهما كانا أشارا بالبداءة بالموصل ثم أصبح صلاح الدين من الغد فى عسكره ونزل
عليه أول رجب على باب كندة وأنزل صاحب الحصن بباب الجسر وأخاه تاج الملوك
بالباب العمادى وقاتلهم ولم يظفر وجرح بعض الرجال فنالوا منه ونصب منجنيقا
فنصبوا عليه من البلد تسعة ثم خرجوا اليه من البلد فأخذوه بعد قتال كثير وخشى
صلاح الدين من البيات فتأخر لانه رآهم فى بعض الليالى يخرجون من باب الجسر
بالمشاعل ويرجعون وكان صدر الدين شيخ الشيوخ ومشير الخادم قد وصلا من عند
الخليفة الناصر فى الصلح وترددت الرسل بينهم فطلب عز الدين من صلاح الدين رد
ما أخذه من بلادهم فأجاب على أن يمكنوه من حلب فامتنع فرجع الى ترك مظاهرة
صاحبها فامتنع أيضا ثم وصلت أيضا رسل صاحب اذربيجان ورسل شاه رمن صاحب
خلاط فى الصلح فلم يتم وسار أهل سنجار يعترضون من يقصدهم من عساكره وأصحابه
فأفرج عن الموصل وسار اليها وبها شرف الدين أمير أميران هندو أخو عز الدين صاحب
الموصل فى عسكر وبعث اليه مجاهد الدين النائب بعسكر آخر مددا وحاصرها
صلاح الدين وضيق عليها واستمال بعض أمراء الاكراد الذين بها من الزرزارية فواعده
من ناحيته وطرقه صلاح الدين فملك البرج الذى فى ناحيته فاستأمن أمير أميران
وخرج بعسكره معه الى الموصل وملك صلاح الدين سنجار وولى عليها سعد الدين

ابن معين الذى كان أبوه كامل بن طغركين بدمشق وصارت سنجار من سائر البلاد التى ملكها من الجزيرة وسار صلاح الدين الى نصيبين فشكا اليه أهلها من أبى الهيجاء السمين فعزله عنهم واستصحبه معه وسار الى حران فى ذى القعدة من سنة ثمان وسبعين وفرق عساكره ليستريحوا وأقام فى خواصه وكبار أصحابه والله أعلم

(مسير شاهرين صاحب خلاط لنجدة صاحب الموصل)

كان عز الدين قد أرسل الى شاهرين يستنجده على صلاح الدين فبعث اليه عدة رسل شافعا فى أمره فلم يشفعه وغالطه فبعث اليه مولاه آخر اسيف الدين بكتمر وهو على سنجار يسأله فى الافراج عنها فلم يجبه الى ذلك وسوف رجاء أن يفتحها فأبلغه بكتمر الوعيد عن مولاه وفارقه مغاضبا ولم يقبل صلته وأغراه بصلاح الدين فسار شاهرين من مخيمه بظاهر خلاط الى ماردين وصاحبها يومئذ ابن أخته وابن خال عز الدين وصهره على بنته وهو قطب الدين بن نجم الدين وسار اليهم أتابك عز الدين صاحب الموصل وكان صلاح الدين فى حران منصرفه من سنجار وفرق عساكره فلما سمع باجتماعهم استدعى تقى الدين ابن أخيه شاهنشاه من حماة ورحل الى رأس عين فافترق القوم وعاد كل الى بلده وقصد صلاح الدين ماردين فأقام عليها عدة أيام ورجع والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

(واقعة الافرنج فى بحر السويس)

كان البرنس ارناط صاحب الكرك قد أنشأ اسطولا مفصلا وحمل أجزاءه الى صاحب ايلة وركبه على ما تقتضيه صناعة النشابة وقذفه فى السويس وشحنه بالمقاتلة وأقلعوا فى البحر ففرقة أقاموا على حصن ايلة يحاصرونه وفرقة ساروا نحو عيذاب وأغاروا على سواحل الحجاز وأخذوا ما وجدوا بها من مراكب التجار وطرق الناس منهم بلية لم يعرفوها لانه لم يعهد ببحر السويس افرنجى محارب ولا تاجر وكان بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائبا عن أخيه صلاح الدين فعمر اسطولا وشحنه بالمقاتلة وسار به حسام الدين لؤلؤ الحاجب قائد الاساطيل بديار مصر فبدأ باسطول الافرنج الذى يحاصر ايلة فمزقهم كل ممزق وبعد الظفر بهم اقلع فى طلب الآخرين وانتهى الى عيذاب فلم يجدهم فرجع الى رابغ وأدركهم بساحل الحوراء وكانوا عازمين على طروق الحرمين واليمن والاغارة على الحاج فلما أطل عليهم لؤلؤ بالاسطول أيقنوا بالتغلب وتراموا على الحوراء وأسنموا اليها واعتصموا بشعابها ونزل لؤلؤ من مراكبه وجمع خيل الاعراب هنالك وقاتلهم فظفر بهم وقتل أكثرهم وأسر الباقين فأرسل بعضهم

الى منى وقتلوا بها أيام الحج وعاد بالباقين الى مصر والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء

(وفاة فرخشاه)

ثم توفى عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه أخو صلاح الدين النائب عنه بدمشق وكان حلفته فى أهله ووثوقه به أكثر من جميع أصحابه وخرج من دمشق غازيا الافرنج وطرقه المرض وعاد فتوفى فى جمادى سنة ثمان وسبعين وبلغ خبره صلاح الدين وقد عبر الفرات الى الجزيرة والموصل فأعاد شمس الدين محمد بن المقدم الى دمشق وجعله نائبها واستقر لشأنه والله تعالى يورث الملك لمن يشاء من عباده

(استيلاء صلاح الدين على آمد وتسليمها لصاحب كيفا)

قد تقدم لنا مسير صلاح الدين الى ماردين واقامته عليها أياما من نواحيها ثم ارتحل عنها الى آمد كما كان العهد بينه وبين نور الدين صاحب كيفا فنازلها منتصف ذى الحجة وبها بهاء الدين بن نيسان فحاصرها وكانت غاية فى المنعة وأساء ابن نيسان التدبير وقبض يده عن العطاء وكان أهلها قد ضجروا منه لسوء سيرته وتضييقه عليهم فى مكاسبهم وكتب اليهم صلاح الدين بالترغيب والترهيب فتخاذلوا عن ابن نيسان وتركوا القتال معه ووقف السور من خارج بيت ابن نيسان وأخرج نساءه مع القاضى الفاضل يستقيل اليه صلاح الدين ويؤجله ثلاثة أيام للرحلة فأجابه صلاح الدين وملك البلد فى عاشوراء سنة تسع وسبعين وبنى خيمة بظاهر البلد ينقل اليها ذخيرته فلم يلتفت الناس اليه وتعذر عليه أمره فبعث الى صلاح الدين يسأله الاعانة فأمر له بالدواب والرجال فنقل فى الايام الثلاثة كثيرا من موجوده ومنع بعد انقضاء الاجل عن نقل ما بقى ولما ملكها صلاح الدين سلمها لنور الدين صاحب كيفا وأشير على صلاح الدين بمنعها من المنائر ليستقلها لنفسه فأبى وقال ما كنت لأعطى الأصل وأبخل بالفرع ودخل نور الدين البلد ودعا صلاح الدين وأمراءه الى صنيع صنعه لهم وقدم لهم من التحف والهدايا ما يليق بهم وعاد صلاح الدين والله تعالى أعلم

(استيلاء صلاح الدين على تل خالد وعنتاب)

ولما فرغ صلاح الدين من آمد سار الى أعمال حلب فحاصر تل خالد ونصب عليه المجانيق حتى تسلمه بالامان فى محرم سنة تسع وسبعين ثم سار الى عنتاب فحاصرها وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل الذى كان خازن نور الدين العادل وصاحبه وهو الذى ولاه عليها فطلب من صلاح الدين أن يقرها بيده ويكون فى طاعته فأجابه الى ذلك وحلف له وسار فى خدمته وغنم المسلمون خلال ذلك مغانم ببلاد البحر سار اسطول

مصر فالقى فى البحر مركبا فيها نحو ستمائة من الافرنج بالسلاح والاموال قاصدون الافرنج بالشأم فظفروا بهم وغنموا ما معهم وعادوا الى مصر سالمين ومنها فى البر أغار بالدارون جماعة من الافرنج ولحقهم المسلمون بايلة واتبعوهم الى العسيلة وعطش المسلمون فانزل الله تعالى عليهم المطر حتى رووا وقاتلوا الافرنج فظفروا بهم هنالك واستلموهم واستقاموا معهم وعادوا سالمين الى مصر والله أعلم

(استيلاء صلاح الدين على حلب وقلعة حارم)

كان الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين العادل صاحب حلب لم يبق له من الشأم غيرها وهو يدافع صلاح الدين عنها فتوفى منتصف سنة سبع وسبعين وعهد لابن عمه عز الدين صاحب الموصل وسار عز الدين صاحب الموصل مع نائبه مجاهد الدين قايماز اليها فملكها ثم طلبها منه أخوه عماد الدين صاحب سنجار على أن يأخذ عنها سنجار فأجابه الى ذلك وأخذ عز الدين سنجار وعاد الى الموصل وسار عماد الدين الى حلب فملكها وعظم ذلك على صلاح الدين وخشى أن يسير منها الى دمشق وكان بمصر فسار الى الشأم وسار منها الى الجزيرة وملك ما ملك منها وحاصر الموصل ثم حاصر آمد وملكها ثم سار الى أعمال حلب كما ذكرناه فملك تل خالد وعنتاب ثم سار الى حلب وحاصرها فى محرم سنة تسع وسبعين ونزل الميدان الاخضر أياما ثم انتقل الى جبل جوشق وأظهر البقاء عليها وهو يغاديها القتال ويراوحها وطلب عماد الدين جنده فى العطاء وضايقوه فى تسليم حلب لصلاح الدين وأرسل اليه فى ذلك الامير طومان البارونى وكان يميل الى صلاح الدين فشارطه على سنجار ونصيبين والرقة والخابور وينزل له عن حلب وتحالفوا على ذلك وخرج عنها عماد الدين ثامن عشر صفر من السنة الى هذه البلاد ودخل صلاح الدين حلب بعد ان شرط على عماد الدين أن يعسكر معه متى عاد ولما خرج عماد الدين الى صلاح الدين صنع له دعوة احتفل فيها وانصرف وكان فيمن هلك فى حصار حلب تاج الملوك نور الدين أخو صلاح الدين الاصغر أصابته جراحة فمات منها بعد الصلح وقبل أن يدخل صلاح الدين البلد ولما ملك صلاح الدين حلب سار الى قلعة حارم وبها الامير طرخك من موالى نور الدين العادل وكان عليها ابنه الملك الصالح فحاصره صلاح الدين ووعده وترددت الرسل بينهم وهو يمتنع وقد أرسل الى الافرنج يدعوهم للانجاد وسمع بذلك الجند الذين معه فوثبوا به وحبسوه واستأمنوا الى صلاح الدين فملك الحصن وولى عليه بعض خواصه وقطع تل خالد   البارونى صاحب تل باشر وأما قلعة عزاز فان عماد الدين اسمعيل كان خربها فأقطعها صلاح الدين سليمان بن جسار وأقام بحلب الى أن قضى جميع أشغالها وأقطع أعمالها وسار الى

بياض بالاصل

دمشق والله تعالى أعلم

(غزوة بيسان)

ولما فرغ صلاح الدين من أمر حلب وولى عليها ابنه الظاهر غازى ومعه الامير سيف الدين يازكج كالاتابك لصغره وهو أكبر الامراء الاسدية وسار الى دمشق فتجهز للغزو وجمع عساكر الشأم والجزيرة وديار بكر وقصد بلاد الافرنج فعبر الاردن منتصف سبع وسبعين وأجفل أهل تلك الاعمال أمامه فقصد بيسان وخربها وحرقها وأغار على نواحيها واجتمع الافرنج له فلما رأوه خاموا عن لقائه واستندوا الى جبل وخندقوا عليهم وأقام يحاصرهم خمسة أيام ويستدرجهم للنزول فلم يفعلوا فرجع المسلمون عنهم وأغاروا على تلك النواحى وامتلأت أيديهم بالغنائم وعادوا الى بلادهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(غزو الكرك وولاية العادل على حلب)

ولما عاد صلاح الدين من غزوة بيسان تجهز لغزو الكرك وسار فى العساكر واستدعى أخاه العادل أبا بكر بن أيوب من مصر وهو نائبها ليلحق به على الكرك وكان قد سأله فى ولاية حلب وقلعتها فأجابه الى ذلك وأمره أن يجىء بأهله وماله فوافاه على الكرك وحاصروه أياما وملكوا أرباضه ونصبوا عليها المجانيق ولم يكن بالغ فى الاستعداد لحصاره ولطنه أن الافرنج يدافعون عنه فأفرج عنه منتصف شعبان وبعث تقى الدين ابن أخيه شاه على نيابة مصر مكان أخيه العادل واستصحب العادل معه الى دمشق فوفاه مدينة حلب ومدينة منبج وما اليها وبعثه بذلك فى شهر رمضان من السنة واستدعى ولده الظاهر غازى من حلب الى دمشق ثم سار فى ربيع الآخر من سنة ثمانين لحصار الكرك بعد ان جمع العساكر واستدعى نور الدين صاحب كيفا وعساكر مصر واستعد لحصاره ونصب المجانيق على ربضه فملكه المسلمون وبقى الحصن وراء خندق بينه وبين الربض عمقه ستون ذراعا وراموا طمه فمنعوهم بالسهام ورموهم بالحجارة فأمر برفع السقف ليمشى المقاتلة تحتها الى الخندق وأرسل أهل الحصن الى ملكهم يستمدونه ويخبرونه بما نزل بهم فاجتمع الافرنج وأوعبوا وساروا اليهم فرحل صلاح الدين للقائهم حتى انتهى الى حرونة الارض وأقام ينتظر خروجهم الى البسيط فخاموا عن ذلك فتأخر عنهم فراسخ ومرّوا الى الكرك وعلم صلاح الدين أن الكرك قد امتنع بهؤلاء فتركه وسار الى نابلس فخربها وحرقها وسار الى سبسطية وبها مشهد زكريا عليه السلام فاستنقذ من وجد بها من أسارى المسلمين ورحل الى جينين فنهبها وخربها

وسارالى دمشق بعدان بث السرايا فى كل ناحية ونهب كل مامرّ به وامتلأت الأيدى من الغنائم وعادالى دمشق مظفرا والله تعالى أعلم

(حصار صلاح الدين الموصل)

ثم سار صلاح الدين من دمشق الى الجزيرة فى ذى القعدة من سنة ثمان وعبر الفرات وكان مظفرالدين كوكبرى على ثلث يستحثه للمسيرالى الموصل فى كل وقت ورعاوعده بخمسين ألف دينارا اذا وصل فلما وصل الى حران لم يف له فقبض عليه ثم خشى معيرة أهل الجزيرة فأطلقه وأعاد عليهم حران والرها وسار فى ربيع الاول ولقيه نورالدين صاحب كيفا ومعزالدين سنجارشاه صاحب جزيرة ابن عمر وقد انحرف عن عمه عزالدين صاحب الموصل بعد نكبة مجاهدالدين نائبه وساروا كلهم مع صلاح الدين الى الموصل وانتهوا الى مدينة بلد فلقيه هنالك أم عزالدين وابنة عمه نورالدين وجماعة من أهل بيته يسألونه الصلح ظنا بأنه لايردهنّ وسيما بنت نورالدين واستشار صلاح الدين أصحابه فأشار الفقيه عيسى وعلى بن أحمد المشطوب بردّهنّ وساروا الى الموصل وقاتلوها واستماتت أهلها وامتعضوا الرد النساء فامتنعت عليهم وعاد على أصحابه باللوم فى اشارتهم وجاء زين الدين يوسف صاحب اربل وأخوه مظفرالدين كوكبرى فانزلهما بالجانب الشرقى وبعث على بن أحمد المشطوب الهكارى الى قلعة الجزيرة ليحاصرها فاجتمع عليه الاكراد الهكارية الى أن عاد صلاح الدين عن الموصل وبلغ عزالدين أنّ نائبه بالقلعة زلقندار يكاتب صلاح الدين فنعه منها وانحرف عنه الى الاقتداء برأى مجاهدالدين وتصدرعنه ثم بلغه خبر وفاة شاهرين صاحب خلاط فطمع صلاح الدين فى ملكها وانه يستعين بها على أموره ثم جاءته كتب أهلها يستدعونه فسارعن الموصل اليها وكان أهل خلاط انما كاتبوه مكرا لانّ شمس الدين البهلوان ابن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان قصده تملكهم بعدان كان زوّج ابنته من شاهرين على كبره وجعل ذلك ذريعة الى ملك خلاط فلماسار اليهم كاتبوا صلاح الدين ودافعوا كلامنهما بالآخر فسارصلاح الدين وفى مقدمته ناصرالدين محمد بن شيركوه ومظفرالدين صاحب اربل وغيرهما وتقدّموا الى خلاط وتقدم صاحب اذربيجان فنزل قريبا من خلاط وترددت رسل أهل خلاط بينه وبين البهلوان ثم خطبوا للبهلوان والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(استيلاء صلاح الدين على ميافارقين)

ولما خطب أهل خلاط للبهلوان وصل صلاح الدين على ميافارقين وكانت لقطب الدين

صاحب ماردين توفى ومات ابنه فلا صغيراً بعده وردّ أمرها الى شاهر بن صاحب خلاط وأرسل صاحبكره تطمع فيها صلاح الدين بعد وفاة شاهر بن وحاصرها من أول جمادى سنة احدى وثمانين وعلى أجنادها الامير أسد الدين برنقش فاحسن الدفاع وكان بالبلد زوجة قطب الدين المتوفى ومعها بناتها منه وهى أخت نور الدين صاحب كيفا فراسلها صلاح الدين فأتى برنقش قدمال اليها فى تسليم البلد وهى تدعى حق أخيك نور الدين فأزوج بناتك من أبنائى وتكون البلد لنا ووضع على برنقش من أخبره بأن الخاتون مالت الى صلاح الدين وان أهل خلاط كاتبوه وكان حبر أهل خلاط صحيحا فسقط فى يده وبعث فى التسليم على شروط اشترطها من اقطاع ومال وسلم البلد فملكها صلاح الدين وعقد النكاح لبعض ولده على بعض بنات خاتون وأرسلها وبناتها الى قلعة هتاخ وعاد الى الموصل ومر بنصيبين وانتهى الى كفر زمان واعتزم على أن يشتو به ويقطع جميع ضياع الموصل ويجبى أعمالها ويكتسح غلاتها وجنح مجاهد الدين الى مصالحته وترددت الرسل فى ذلك على أن يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية القرابلى وما وراء الزاب من الاعمال ثم طرقه المرض فعاد الى حران وأدركه الرسل بالاجابة الى ما طلب فانعقد معهم الصلح وتحالفوا وتسلم البلاد وطال مرضه بحران وكان عنده أخوه العادل ويده حلب ومعها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين واشتد به المرض فقسم البلاد بين أولاده وأوصى أخاه العادل على الجميع وعاد الى دمشق فى محرم سنة ثنتين وثمانين وكان عنده بحران ناصر الدين محمد بن عمه شيركوه ومن اقطاعه حمص والرحبة فعاد قبله الى حمص ومر بحلب وصانع جماعة من أمرائها على أن يقوموا بدعوته ان حدث بصلاح الدين أمر وبلغ الى حمص فبعث الى أهل دمشق بمثل ذلك وأفاق صلاح الدين من مرضه ومات ناصر الدين ليلة الاضحى ويقال دس عليه من سمه وورث أعماله ابنه شيركوه وهو ابن اثنتى عشرة سنة والله تعالى أعلم

(قسمة صلاح الدين الاعمال بين ولده وأخيه)

كان ابنه العزيز عثمان بحلب فى كفالة أخيه العادل وابنه الاكبر الافضل على بمصر فى كفالة تقى الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه وبعثه اليها بعد ما استدعى العادل منها كما مر فلما مرض بحران أسف على كونه لم يول أحدا من ولده استقلالا وسعى اليه بذلك بعض بطانته فبعث ابنه عثمان العزيز الى مصر فى كفالة أخيه العادل كما كان بحلب ثم اقطع العادل حران والرها وميافارقين من بلاد الجزيرة وترك عثمان ابنه بمصر ثم بعث على ابنه الافضل وتقى الدين ابن أخيه فامتنع تقى الدين من المصير واعتزم على المسير الى المغرب واللحاق بمولاه قراقوش فى ولايته التى حصلت له بطرابلس والجريد

من افريقيه فراسله صلاح الدين ولاطفه ولما وصل اقطعه نجاة ومنبج والمعرة وكفرطاب وجبل جوز وسائر أعمالها وقيل ان تقي الدين لما أرجف بمرض صلاح الدين وموته تحرك فى طلب الامر لنفسه وبلغ ذلك صلاح الدين فأرسل الفقيه عيسى الهكارى وكان مطاعافيهم وأمره باخراج تقي الدين من مصر والمقام بها فسار ودخلها على حين غفلة وأمر تقي الدين بالخروج فأقام خارج البلد وتجهز للمغرب فراسله صلاح الدين الى آخر الخبر والله تعالى أعلم

اتفاق القمص صاحب طرابلس مع صلاح الدين ومنابذة البرنس صاحب الكرك له وحصاره اياه والاغارة على عكا

كان القمص صاحب طرابلس وهو ريمند بن ريمند بن صنجيل تزوج بالقومصة صاحبة طبرية وانتقل اليها فأقام عندها ومات ملك الافرنج بالشأم وكان مجذوما كما مر وأوصى بالملك لابن أخيه صغيرا فكفله هذا القمص وقام بتدبير ملكه لعظمه فيهم وطمع أن تكون كفالته ذريعة الى الملك ثم مات الصغير فانتقل الملك الى أبيه ويئس القمص عندها مما كان يحدث به نفسه ثم ان الملكة تزوجت ابن عم من الافرنج القادمين من المغرب وتوجته وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاستبارية والداوية والبارونة وأشهدتهم خروجها له عن الملك ثم طولب القمص بالجباية أيام كفالته الصبي فأنف وغضب وجاهر بالشقاق لهم وراسل صلاح الدين وسار الى ولايته وخلف له على مصره من أهل ملته وأطلق له صلاح الدين جماعة من زعماء النصارى كانوا أسارى عنده فازداد غبطة بمظاهرته وكان ذلك ذريعة لفتح بلادهم وارتجاع القدس منهم وبث صلاح الدين السرايا من ناحية طبرية فى سائر بلاد الافرنج فاكتسحوها وعادوا غانمين وذلك كله سنة ثنتين وثمانين وكان البرنس ارناط صاحب الكرك من أعظم الافرنج مكرا وأشدهم ضررا وكان صلاح الدين قد سلط الغارة والحصار على بلده حتى سأل فى الصلح فصالحه فصلحت السابلة بين الامتين ثم مرت فى هذه السنة قافلة كثيرة التجار والجند فغدر بهم وأسر وأخذ ما معهم وبعث اليه صلاح الدين فأصر على غدرته فنذر أنه يقتله ان ظفر به واستنفر الناس للجهاد من سائر الاعمال من الموصل والجزيرة واربل ومصر والشأم وخرج من دمشق فى محرم سنة ثلاث وثمانين وانتهى الى رأس الماء وبلغه ان البرنس ارناط صاحب الكرك يريد أن يتعرض للحاج من الشأم وكان معهم ابن أخيه محمد بن لاجين وغيره فترك من العساكر مع ابنه الافضل على وسار الى بصرى ومع البرنس بمسيره فأحجم عن الخروج ووصل الحاج سالمين وسار صلاح الدين الى الكرك وبث السرايا فى أعمالها وأعمال

الشوبك فاكتسحوهما والبرنس محصور بالكرك وقد عجز الافرنج عن امداده لمكان العساكر مع الافضل بن صلاح الدين ثم بعث صلاح الدين الى ابنه الافضل فامره بارسال بعث الى عكا ليكتسحوا نواحيها فبعث مظفر الدين كوكبرى صاحب حران والرها وقايماز النجمى ودلدرم الياروقى وساروا الى آخر صفر فصبحوا صفورية وبها جمع من الفداوية والاستبارية فبرزوا اليهم وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله النصر فيها المسلمين وانهزم الافرنج وقتل مقدمهم وامتلأت أيدى المسلمين من الغنائم وانقلبوا ظافرين ومروا بطبرية وبها القمص فلم يهجهم لما تقدم بينه وبين صلاح الدين من الولاية وعظم هذا الفتح وسار البشير به فى البلاد والله تعالى أعلم

(هزيمة الافرنج وفتح طبرية ثم عكا)

ولما انهزم الفداوية والاستبارية بصفورية ومر المسلمون بالغنائم على القمص ريمند بطبرية ووصلت البشائر بذلك الى صلاح الدين عاد الى معسكره الذى مع ابنه ومر بالكرك واعتزم على غزو بلاد الافرنج فاعترض عساكره وبلغه ان القمص ريمند قد راجع أهل ملته ونقض عهده معه وان البطرك والقسيس والرهبان أنكروا عليه مظاهرته للمسلمين ومرور عساكرهم به بأسرى النصارى وغنائمهم ولم يعترضهم مع ايقاعهم بالفداوية والاستبارية أعيان الملة وتهددوه بالحاق كلمة الكفر به فشغل وراجع رأيه واعتذر اليهم فقبلوا عذره وخلص لكم وطواغيته بجددوا الحلف والاجتماع وساروا من عكا الى صفورية وبلغ الخبر الى صلاح الدين وشاور أصحابه فمنهم من أشار بترك اللقاء وبث الغارات عليهم حتى يضعفوا ومنهم من أشار باللقاء لنزول عكا واستيفاء ما فعلوه فى المسلمين بالجزيرة فاستصوبه صلاح الدين واستعجل لقاءهم ثم رحل من الاقحوانة أواخر رمضان فسار حتى خلف طبرية وتقدم الى معسكر الافرنج فلم يفارقوا خيامهم فلما كان الليل أقام طائفة من العسكر فسار الى طبرية فملكها من ليلته عنوة ونهبها وأحرقها وامتنع أهلها بالقلعة ومعهم الملكة وأولادها فبلغ الخبر الى الافرنج فصح القمص وعدل الى الصلح وأطال القول فى تعظيم الخطب وكثرة المسلمين فنكر عليه البرنس صاحب الكرك واتهمه ببقائه على ولاية صلاح الدين واعتزموا على اللقاء ورحلوا من مكانهم لقصد المعسكر وعاد صلاح الدين الى معسكره وبعدت المياه من حوالى الافرنج وعطشوا ولم يتمكنوا من الرجوع فركبهم صلاح الدين دون قصدهم واشتدت الحرب وصلاح الدين يجول بين الصفوف يتفقد أحوال المسلمين ثم حمل القمص على ناحية تقى الدين عمر بن شاهنشاه استمات فيها هو وأصحابه فأفرج له الصف وخلص من تلك الناحية الى مضايقه واختل مصاف الافرنج وتابعوا الحملات

وكان بالارض هشيم أصابه شرر فاضطرم نارا فجهدهم لفحها ومات جلهم من العطش ذوهشوا وأحاط بهم المسلمون من كل ناحية فارتفعوا الى تل بناحية حطين لينصبوا خيامهم به فلم يتمكنوا الا من خيمة الملك فقط والسيف يجول فيهم مجاله حتى فنى أكثرهم ولم يبق الا نحو المائة والخمسين من خلاصة زعمائهم مع ملكهم والمسلمون يكرون عليهم مرة بعد أخرى حتى ألقوا ما بأيديهم وأسروا الملك وأخاه البرنس ارناط صاحب الكرك وصاحب جبيل وابن هنفرى ومقدم الفداوية وجماعة من الفداوية والاستبارية ولم يصابوا منذ ملكوا هذه البلاد أعوام التسعين والاربعمائة بمثل هذه الوقعة ثم جلس صلاح الدين فى خيمته وأحضر هؤلاء الاسرى فقرع الملك ووبخه بعد ان أجلسه الى جانبه وفاء بمنصب الملك وقام الى البرنس فتولى قتله بيده حرصا على الوفاء بنذره بعد ان عرفه بغدرته وبجسارته على ما كان يرومه فى الحرمين وحبس الباقين وأما القمص صاحب طرابلس فنجا كما ذكرناه الى بلده ثم مات لايام قلائل أسفا ولما فرغ صلاح الدين من هزيمتهم نهض الى طبرية فنازلها واستأمنت اليه الملكة بها فأمنها فى ولدها وأصحابها ومالها وخرجت اليه فوفى لها وبعث الملك وأعيان الاسرى الى دمشق فحبسوا بها وجمع أسرى الفداوية والاستبارية بعد ان بذل لمن يجده منهم من المقاتلة خمسين دينارا مصرية لكل واحد وقتلهم أجمعين قال ابن الاثير ولقد اجتزت بمكان الوقعة بعد سنة فرأيت عظامهم ماثلة على البعد أجحفتها السيول ومزقتها السباع ولما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها الى عكا فنازلها واعتصم الافرنج الذين بها بالاسوار وشادوا بالاستئمان فأمنهم وخيرهم فاختاروا الرحيل فحملوا ما أقلته رحالهم ودخلها صلاح الدين غرة جمادى سنة ثلاث وثمانين وصلوا فى جامعها القديم الجمعة يوم دخولهم فكانت أول جمعة أقيمت بساحل الشأم بعد استيلاء الافرنج عليه وأقطع صلاح الدين بلد عكا لابنه الافضل وجميع ما كان فيه للفداوية من أقطاع وضياع ووهب للفقيه عيسى الهكارى كثيرا مما عجز الافرنج عن حمله وقسم الباقى على أصحابه ثم قسم الافضل ما بقى فى أصحابه بعد مسير صلاح الدين ثم أقام صلاح الدين أياما حتى أصلح أحوالها ورحل عنها والله تعالى أعلم

(فتح يافا وصيدا وجبيل وبيروت وحصون عكا)

لما هزم صلاح الدين الافرنج كتب الى أخيه العادل بمصر بمسيره ويأمره بالمسير الى جهات الافرنج من جهات مصر فنازل حصن مجدل وفتحه وغنم ما فيه ثم سار الى مدينة يافا ففتحها عنوة واستباحها وكان صلاح الدين أيام مقامه بعكا بعث بعوثه الى قيسارية وحيفا وسطورية وبعلبا وسقف وغيرها فى نواحى عكا فملكوها واستباحوها

وامتلأت أيديهم من غنائمها وبعث حسام الدين عمر بن لاجين في عسكر الى نابلس وتلك سلطنة مدينة الاسباط وبها قبر زكريا عليه السلام ثم سار الى مدينة نابلس فملكها واعتصم الافرنج الذين بها بالقلعة فأقرهم على أموالهم وبعث تقي الدين عمر ابن شاهنشاه الى تبنين ليقطع الميرة عنها وعن صور فوصل اليها وحاصرها وضيق عليها حتى استأمنوا فأمنهم وملكها ومر الى صيدا ومر في طريقه بصرخد فملكها بعد قتال وجاء الخبر بفرار صاحب صيدا فسار وملكها آخر جمادى الاولى من السنة ثم سار من يومه الى بيروت وقاتلها من احدى جوانبها فتوهموا أن المسلمين دخلوا عليهم من الجانب الآخر فاهتاجوا لذلك فلم يستقروا ولا قدروا على تسكين الهيعة لكثرة ما معهم من أخلاط السواد فاستأمنوا اليه وملكها آخر يوم من جمادى لثمانية أيام من حصارها وكان صاحب جبيل أسيرا بدمشق فضمن لهم تسليم جبيل لصلاح الدين على أن يطلقه فاستدعاه وهو محاصر لبيروت وسلم الحصن وأطلقه وكان من أعيان الافرنج وأولي الرأي منهم والله تعالى أعلم

(وصول المركيش الى صور وامتناعه بها)

كان القمص صاحب طرابلس لما خلص من هزيمة حطين لحق بمدينة صور وأقام بها يريد حمايتها ومنعها من المسلمين فلما ملك صلاح الدين تبنين وصيدا وبيروت ضعف عزمه عن ذلك ولحق بلده طرابلس وبقيت صيدا وصور بدون حامية وجاء المركيش من تجار الافرنج من المغرب في كثرة وقوة فأرسى بعكا ولم يشعر بفتحها وخرج اليه الرائد فأخبره بملك الافضل بن صلاح الدين بها وان صور وعسقلان باقية للافرنج فلم يطق الاقلاع اليها لركود الريح فشغلهم بطلب الامان ليدخل المرسى ثم طابت ريحه وجرت به الى صور وأمر الافضل بخروج الشواني في طلبه فلم يدركوه حتى دخل مرسى صور فوجد بها أخلاطا كثيرة من فل الحصون المفتتحة فجاؤا اليه وضمن لهم حفظ المدينة وبذل أمواله في الانفاق عليها على أن تكون هي وأعمالها له دون غيره واستحلفهم على ذلك ثم قام بتدبير أحوالها وشرع في تحصينها فحفر الخنادق ورمم الأسوار واستحصنها والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتح عسقلان وما جاورها)

ولما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وتلك الحصون صرف همته الى عسقلان والقدس لعظم شأن القدس ولأن عسقلان مقطع بين الشام ومصر فسار عن بيروت الى عسقلان ولحق به أخوه العادل في عساكر مصر ونازلها أوائل جمادى الآخرة

واستدعى ملك الافرنج ومقدم الراية وكانا أسيرين بدمشق فأحضرهما وأمرهما بالاذن للافرنج بعسقلان فى تسليمها لم يجيبوا الى ذلك وأساؤا الرد عليهما فاشتد فى قتالهم ونصب المجانيق عليهم وملكهم يردد الرسائل اليهم فى التسليم عساه ينطلق ويأخذ بثار من المسلمين فلم يجيبوه ثم جهدهم الحصار وبعد عليهم الصريخ فاستأمنوا الى صلاح الدين على شروط اشترطوها كان أهمها عندهم أن يمنعهم من الهراسة بما قتلوا أميرهم فى الحصار فأجابهم الى جميع ما اشترطوه وملك المدينة منتصف السنة لاربعة عشر يوما من حصارها وخرجوا بأهليهم وأموالهم وأولادهم الى القدس ثم بعث السرايا فى تلك الاعمال ففتحوا الرملة والداروم وغزة ومدن الخليل وبيت لحم والبطرون وكل ما كان للفداوية وكان أيام حصار عسقلان قد بعث عن اسطول مصر فجاء به حسام الدين لؤلؤ الحاجب وأقام يغير على مرسى عسقلان والقدس ويغنم جميع ما يقصده من النواحى والله سبحانه وتعالى يؤيد من يشاء بنصره

(فتح القدس)

لما فرغ صلاح الدين من أمر عسقلان وما يجاورها سار الى بيت المقدس وبها البطرك الاعظم وبليان بن نيزران صاحب الرملة وربيسة قرابة الملك ومن نجا من زعمائهم من حطين وأهل البلد المفتتحة عليهم وقد اجتمعوا كلهم بالقدس واستماتوا للدين وبعد الصريخ وأكثروا الاستعداد ونصبوا المجانيق من داخله وتقدم اليه أمير من المسلمين فخرج اليه الافرنج فأوقعوا به وقتلوه فى جماعة ممن معه وفجع المسلمون بقتله وساروا فنزلوا على القدس منتصف رجب وهالهم كثرة حاميته وطاف بهم صلاح الدين خمسة أيام فتخير متبوأ عليه للقتال حتى اختار جهة الشمال نحو باب العمود وكنيسة صهيون فتحول اليه ونصب المجانيق عليها واشتد القتال وكان كل يوم يقتل بين الفريقين خلق وكان ممن استشهد عز الدين عيسى بن مالك من أكابر أمراء بنى بدران وأبوه صاحب قلعة جعبر فأسف المسلمون لقتله وحملوا عليهم حتى أزالوهم عن مواقفهم وأحجروهم بالبلد وملكوا عليهم الخندق ونقبوا السور فوهن الافرنج واستأمنوا لصلاح الدين فأبى الا العنوة كما ملكه الافرنج أول الامر سنة احدى وتسعين وأربعمائة فاستأمن له بالباب ابن نيزران صاحب الرملة وخرج اليه وشافهه بالاستئمان واستعطفه فأصر على الامتناع فتهدده بالاستماتة وقتل النساء والابناء وحرق الامتعة وتخريب المشاعر المعظمة واستلحام أسرى المسلمين وكانوا خمسة آلاف أسير واستهلاك جميع الحيوانات الداجنة بالقدس من الظهر وغيره فحينئذ استشار صلاح الدين أصحابه فجنحوا الى تأمينهم فشارطهم على عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة ودينارين

للولد صبي أو صبية وعلى أجل أربعين يوما فمن تأخر أداؤه عنها فهو أسير وبذل بليان
ابن بيرزان عن فقراء أهل ملته ثلاثين ألف دينار وملك صلاح الدين المدينة يوم الجمعة
تسع وعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين ورفعت الاعلام الاسلامية على أسواره
وكان يوما مشهودا ورتب على أبواب القدس الامناء لقبض هذا المال ولم يكن الامر
فيه على المشاحة فذهب أكثره دون شئ وعجز آخر الامر ستة عشر ألف نسمة
فأخذوا أسارى وكان فيه على التحقيق ستون ألف مقاتل غير النساء والولدان
فان الافرنج أزروا اليه من كل جانب لما فتحت عليهم حصونهم وبلادهم ومن
الدليل على مقاربة هذا العدد أن بليان صاحب الرملة أعطى ثلاثين ألف دينار على
ثمانية عشر ألفا وعجز منهم ستة عشر ألفا وأخرج جميع الامراء خلقا لا تحصى في زي
المسلمين بعد أن شارطوهم على بعض القطيعة واستوهب آخرون جموعا منهم يأخذون
قطيعتهم فوهبهم اياهم وأطلق بعض نساء الملوك من الروم كانوا مترهبات فأطلقهم
بعبيدهم وحشمهم وأموالهم وكذا ملكة القدس التي أسر صلاح الدين زوجها ملك
الافرنج بسببها وكان محبوسا بقلعة نابلس فأطلقها بجميع ما معها ولم يحصل من
القطيعة على خراج وخرج البطرك الاعظم بما معه من ماله وأموال البيع ولم
يتعرض له وجاءته امرأة البرنس صاحب الكرك الذي قتله يوم حطين تشفع في ولدها
وكان أسيرا بعثها الى الكرك لتأذن الافرنج في النزول عنه للمسلمين وكان على رأس
قبة الصخرة صليب عظيم مذهب وتسلق جماعة من المسلمين اليه واقتلعوه وارتجت
الارض بالتكبير والعويل ولما خلا القدس من العدو أمر صلاح الدين برد مشاعره
الى أوضاعها القديمة وكانوا قد غيروها فأعيدت الى حالها الاول وأمر بتطهير المسجد
والصخرة من الاقذار فطهرا ثم صلى المسلمون الجمعة الاخرى في قبة الصخرة وخطب محيي
الدين بن زكي قاضي دمشق بأمر صلاح الدين وأتى في خطبته بعجائب من البلاغة
في وصف الحال وعزة الاسلام اقشعرت لها الجلود وتناقلها الرواة وتحدثت بها
السمار أحوالا ثم أقام صلاح الدين بالمسجد للصلوات الخمس اماما وخطيبا وأمر بعمل
المنبر فحدثوا عنده بأن نور الدين محمودا اتخذ له منبرا منذ عشرين سنة وجمع الصناع
بحلب فأحسنوا صنعته في عدة سنين فأمر بحمله ونصبه بالمسجد الاقصى ثم أمر بعمارة
المسجد واقتلاع الرخام الذي فوق الصخرة لان القسيسين كانوا يبيعون الحجر من الصخرة
يقطعونها قطعا ويبيعونها بالذهب وزنا بوزن فتنافس الافرنج فيها التماس البركة منها
ويدفنونها في الكنائس فخشي ملوكهم أن تفنى الصخرة فعالوا عليها بفرش الرخام فأمر
صلاح الدين بقلعه ثم استكثر في المسجد من المصاحف ورتب فيه القراء ووفر

الجرايات وتقدم ببناء الربط والمدارس فكانت من مكارمه رحمه الله تعالى وارتحل الافرنج بعد ان باعوا جميع ما يملكونه من العقار بأرخص ثمن واشتراه أهل العسكر ونصارى القدس الاقدمون بعد أن ضربت عليهم الجزية كما كانوا والله تعالى أعلم

(حصار صور ثم صفد وكوكب والكرك)

لما فتح صلاح الدين القدس أقام بظاهره الى آخر شعبان من السنة حتى فرغ من جميع أشغاله ثم رحل الى مدينة صور وقد اجتمع فيها من الافرنج عوالم وقد نزل بها المركيش وضبطها ولما انتهى صلاح الدين الى عكا أقام بها أياما فبالغ المركيش فى الاستعداد وتعميق الخنادق واصلاح الاسوار وكان البحر يحيط بها من ثلاث جهاتها فوصل جانب اليمين بالشمال وسارت كالجزيرة وسار اليها فنزل عليها التسع بقين من رمضان على تل يشرف منه على مكان القتال وجعل القتال على أقيال عسكره نوبا بين ابنه الافضل وابنه الظاهر وأخيه العادل وابن أخيه تقى الدين ونصب عليها المجانيق والعرادات وكان الافرنج يركبون فى الشوانى والحراقات ويأتون المسلمين من ورائهم فيردون عليهم من البحر ويقاتلونهم ويمنعونهم من الدنو الى السور فبعث صلاح الدين عن أسطول مصر من مرسى عكا فجاء ودافع الافرنج وتمكن المسلمون من قتال الاسوار وحاصروها برا وبحرا ثم كبس اسطول الافرنج خمسة من أساطيل المسلمين ففتكوا بهم وردّ صلاح الدين الباقى الى بيروت لقلتها فاتبعها أساطيل الافرنج فلما أرهقوهم فى الطلب ألقوا بأنفسهم الى الساحل وتركوها فحكمها صلاح الدين ونقضها وجد فى حصار صور فلم يفد وامتنعت عليه لما كان فيها من كثرة الافرنج الذين أمنهم بعكا وعسقلان والقدس فنزلوا اليها بأموالهم وأمدوا صاحبها واستدعوا الافرنج وراء البحر فوعدوهم بالنصر وأقاموا فى انتظارهم ولما رأى صلاح الدين امتناعها شاور أصحابه فى الرحيل فترددوا وتخاذلوا فى القتال فرحل آخر شوال الى عكا وأذن للعساكر فى المشى الى أوطانهم الى فصل الربيع وعادت عساكر الشرق والشأم ومصر وأقام بقلعة عكا فى خواصه وردّ أحكام البلد الى خرديك من أمراء نور الدين وكان صلاح الدين عندما اشتغل بحصار عسقلان بعث عسكر الحصار صور فشددوا حصارها وقطعوا عنها الميرة وبعثوا الى صلاح الدين وهو يحاصر صور فاستأمنوا له ونزلوا عنها فملكها وكان أيضا صلاح الدين لما سار الى عسقلان جهز عسكر الحصار قلعة كوكب يحرسون السابلة فى طريقها من الافرنج الذين فيها وهى مطلة على الاردن وهى للاستبارية وجهز عسكر الحصار صفد وهى للفداوية مطلة على طبرية ولجأ الى هذين الحصنين من سلم من وقعة حطين وامتنعوا بهما فلما جهز العساكر اليهما صلحت الطريق

وارتسع منها السادة فلما كان آخر ليلة من شوال غفل المرتكاون بالحصار على قلعة كوكب وكانت ليلة شاتية باردة فكبسهم الافرنج وهربوا ما عندهم من طعام وسلاح وعادوا الى قلعتهم وبلغ ذلك صلاح الدين وهو يعتزم على الرحيل عن صور فشحذ من عزيمته ثم جهز عسكرا على صور مع الامير قايماز النجمي وارتحل الى عكا فلما انصرم فصل الشتاء سار من عكا في محرم سنة أربع وثمانين الى قلعة كوكب فحاصرها وامتنعت عليه ولم يكن بقي في البلاد الساحلية من عكا الى الجنوب غيرها وغير صفد والكرك فلما امتنعت عليه جهز العسكر لحصارها مع قايماز النجمي ورحل عنها في ربيع الاول الى دمشق ووافته رسل ارسلان وفرح الناس بقدومه والله تعالى ولي التوفيق

{غزو صلاح الدين الى سواحل الشأم وما فتحه}
{من حصونها وصلحه آخرا مع صاحب انطاكية}

لما رجع صلاح الدين من فتح القدس وحاصر صور وصفد وكوكب عاد الى دمشق ثم تجهز للغزو الى سواحل الشأم وأعمال انطاكية وسار عن دمشق في ربيع سنة أربع وثمانين فنزل على حمص واستدعى عساكر الجزيرة وملوك الاطراف فاجتمعوا اليه وسار الى حصن الاكراد فضرب عسكره هنالك ودخل متجردا الى القلاع بنواحي انطاكية فنقص طرفها وأغار على ولايتها الى طرابلس حتى شفى نفسه من ارتيادها وعاد الى معسكره وقد خربت الارض بالغنائم فأقام عند حصن الاكراد ووفد عليه هنالك منصور بن نبيل صاحب جبلة وكان من يوم استيلاء الافرنج على جبلة عند صاحب انطاكية حاكما على جميع المسلمين فيها ومتوليا أمورهم فلما هبت ريح الاسلام بصلاح الدين وظهوره نزل اليه ليكشف الغماء ودله على عورة جبلة واللاذقية واستحثه لهما فسار أول جمادى ونزل بطرسوس وقد اعتصم الافرنج منها ببرجين حصينين واخلوا المدينة فخربوها واستباحوها وكان أحد البرجين للفداوية وفيه مقدمهم الذي أسره صلاح الدين يوم المصاف وأطلقه عند فتح القدس واستأمن اليه أهل البرج الآخر فنزلوا له عنه فخربه صلاح الدين والقى حجارته في البحر وامتنع عليه برج الفداوية فسار الى المرقب وهو للاستبارية ولا يرام لعلوه وارتفاعه وامتناعه والطريق في الجبل الى جبلة عليه فهو عن يمين الطريق والبحر عن يساره في مسلك ضيق انما يمر به الواحد فالواحد

(فتح جبلة)

وكان وصل اسطول من صاحب صقلية مددا للافرنج فى تلك السواحل فى ستين قطعة فأرسوا بطرابلس فلما سمعوا بصلاح الدين اقلعوا الى المغرب ووقفوا قبالتها ينضحون بسهامهم المارة بتلك الطريق فضرب صلاح الدين على ذلك الطريق سورا من جهة البحر من المتارس ووقف وراءه الرماة حتى سلك العسكر المضيق الى جبلة ووصلها آخر جمادى وسبق اليها القاضى وملكها صلاح الدين لحينه ورفع أعلام الاسلام على سورها ونبى حاميتها الى القلعة فاستنزلهم القاضى على الامان واستمر منهم جماعة فى رهن القاضى والمسلمين عند صاحب انطاكية حتى أطلقهم وجاء رؤساء أهل البلاد الى طاعة صلاح الدين وهو بجبل ما بين جبلة وحماة وكان الطريق عليه بينهما صعبا ففتحه صلاح الدين من ذلك الوقت واستناب بجبلة سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وسار عنها اللاذقية والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم

(فتح اللاذقية)

ولما فرغ صلاح الدين من أمر جبلة سار الى اللاذقية فوصلها آخر جمادى الاولى وامتنع حاميتها بحصنين لها فى أعلى الجبل وملك المسلمون المدينة وحصروا الافرنج فى القلعتين وحفروا تحت الاسوار وأيقن الافرنج بالهلكة ودخل اليهم قاضى جبلة ثالث نزولها فاستأمنوا معه وامنهم صلاح الدين ورفعوا أعلام الاسلام فى الحصنين وخرب المسلمون المدينة وكانت مبانيها فى غاية الوثاقة والضخامة واقطعها تقى الدين ابن أخيه فأعادها الى أحسن ما كانت من العمارة والتحصين وكان عظيم الهمة فى ذلك وكان اسطول صقلية فى مرسى اللاذقية وسخطوا ما فعله أهلها ومنعوهم من الخروج منها وجاء مقدمهم الى صلاح الدين فرغب منه اقامتهم على الجزية وعرض فى كلامه بالتهديد بامداد الافرنج من وراء البحر فاجابه صلاح الدين باستهانة أمر الافرنج وهدده فانصرف الى أصحابه ورحل صلاح الدين الى صهيون والله تعالى أعلم

(فتح صهيون)

ولما فرغ صلاح الدين من فتح اللاذقية سار الى قلعة صهيون وهى على جبل صعبة المرتقى بعيدة المهوى يحيط بجبلها واد عميق ضيق ويتصل بالجبل من جهة الشمال وعليها خمسة أسوار وخندق عميق فنزل صلاح الدين على الجبل لصقها وقدم ولده الظاهر صاحب حلب فنزل مضيق الوادى ونصب المنجنيقات هنالك فرمى بها على الحصن ونضحهم بالسهام من سائر أصناف القسى وصابروا قليلا ثم زحف المسلمون ثانى جمادى

الاخرى وسلكوا بين العصور حتى ملكوا أحد اسوارها وقاتلوهم منه فملكوا عليهم سورين آخرين وغنموا جميع ماكان في المدينة من الدواب والبقر والدخائر وبلغ الحامية الى القلعة وقاتلهم المسلمون عليها فسادوا بالامان فشرط عليهم مثل قطيعة القدس وملك المسلمون الحصن وولى عليه ناصر الدين بن كورس صاحب قلعة بو ملس حمصه وافترق المسلمون في تلك النواحي فوجدوا الافرنج قد فروا من حصونها فملكوها جميعا وهيؤا اليها طريقا على عقبة صعبة لم نفاطريقها السهلة بالافرنج والاسماعيلية والله تعالى أعلم

(فتح بكاس والشغر)

ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الى قلعة بكاس وقد فارقها الافرنج وتحصنوا بقلعة شغر والدبكاس وحاصر قلعة الشغر والطريق منها مسلوك الى اللاذقية وجبلة وصهيون فقاتلهم ونصب المجنيقات عليها فقصرت حجارتها عن الوصول وكانوا اقتعدوا وبعثوا الحلال ذلك الى صاحب انطاكية وكان الحصن من ابالته فاستمدوه والا اعطوا الحصن بما قذف الله في قلوبهم من الرعب لما تعذر نصرهم فاستأمنوا الى صلاح الدين وسألوه انظار ثلاث للفتح فانظرهم وأخذ رهنهم ثم سلموا بعد الثلاث في منتصف جمادى من السنة والله تعالى أعلم

(فتح سرمينية)

كان صلاح الدين عند اشتغاله بفتح هذه الحصون بعث ابنه الظاهر غازيا صاحب حلب الى سرمينية وحاصرها واستنزل الافرنج الذين بها على قطيعة اعطوها وهدم الحصن وكان فتحها آخر جمادى الاخيرة فاطلق جماعة من الاسارى كانوا بهذا الحصن وكانت هذه الفتوحات كلها في مقدار شهر وجميعها من أعمال انطاكية والله تعالى أعلم

(فتح برزية)

ولما فرغ صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزية قبالة افامية وتقاسمها في اعمالها وبينهما بحيرة من ماء العاصي والعيون التي تجري وكانوا أشد شيء في الاذى للمسلمين ونازلها في الرابع والعشرين من جمادى الاخيرة وهي متعذرة المصعد من الشمال والجنوب وصعبة من الشرق ومن جهة الغرب مسلك اليها فنزل هنالك صلاح الدين ونصب المجانيق فلم تصل حجارتها لبعد القلعة وعلوها فرجع الى المراحفة وقسم عساكره على أمرائه وجعل القتال بينهم نوبا فقاتلهم أولا عماد

الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار واصعدهم الى قلعتهم حتى صعب المرتقى على المسلمين وبلغوا مواقع سهامهم وحجارتهم من الحصن وكانوا يدحرجون الحجارة على المقاتلة فلا يقوم لها شئ فلما تعب أهل هذه النوبة عادوا وصعد خاصة صلاح الدين فقاتلوا قتالا شديدا وصلاح الدين وتقى الدين ابن أخيه يحرضانهم حتى أعيوا وهموا بالرجوع فصاح فيهم صلاح الدين وفى أهل النوبة الثانية فتلاحقوا بهم وجاء أهل نوبة عماد الدين على اثرهم وحمى الوطيس وردّوا الافرنج على أعقابهم الى حصنهم فدخلوه ودخل المسلمون معهم وكان بقية المسلمين فى الخيام شرقى الحصن وقد أهمله الافرنج فعمد أهل الخيام من تلك الناحية واجتمعوا مع المسلمين فى أعقاب الافرنج عند الحصن فملكوه عنوة وجاء الافرنج الى قبة الحصن ومعهم جماعة من أسارى المسلمين فى القيود فلما سمعوا تكبير اخوانهم خارج القبة كبروا فدهش الافرنج وظنوا أن المسلمين خالطوهم فألقوا باليد وأسرهم المسلمون واستباحوهم وأحرقوا البلد وأسروا صاحبها وأهله وولده وافترقوا فى أسراهم فجمعهم صلاح الدين حتى اذا قارب انطاكية بعثهم اليها لان زوجة صاحب انطاكية كانت تراسل صلاح الدين بالاخبار وتهاديه فرعى لها ذلك والله تعالى ولى التوفيق

(فتح دربساك)

ولما فرغ صلاح الدين من حصن برزية دخل من الغد الى الجسر الجديد على نهر العاصى قرب انطاكية فأقام عليه فلحق به تخلف العسكر ثم سار الى قلعة دربساك ونزل عليها فى رجب من السنة وهى معاقل الفداوية التى يلجؤن الى الاعتصام بها ونصب عليها المجانيق حتى هدم من سورها ثم هجمها بالزاحفة وكشف المقاتلة عن سورها ونقبوا منها برجا من أسفله فسقط ثم باكروا الزحف من الغد وصابرهم الافرنج ينتظرون المدد من صاحبهم سمند صاحب انطاكية فلما تبينوا عجزه استأمنوا صلاح الدين فأمنهم فى أنفسهم فقط وخرجوا الى انطاكية وملك الحصن فى عشرين من رجب من السنة والله تعالى أعلم

(فتح بغراس)

ثم سار عماد الدين عن دربساك الى قلعة بغراس على تعددها وقربها من انطاكية فيحتاج مع قتالها الى ردء من العسكر بينه وبين انطاكية فحاصرها ونصب عليها المجانيق فقصرت عنها لعلوها وشق عليهم حمل الماء الى أعلى الجبل وبينما هم فى ذلك اذ جاء رسولهم يستأمن لهم فأمنهم فى أنفسهم فقط كما أمن أهل دربساك وتسلم القلعة بما

فيها ونحوها فجددها ابن اليون صاحب الارمن وحصنها وصارت في ايالته والله أعلم،

•(صلح انطاكية)•

ولما فتح حصن بغراس خاف سمند صاحب انطاكية وأرسل الى صلاح الدين في الصلح على أن يطلق أسرى المسلمين الذين عنده وتحامل عليه أصحابه في ذلك ليريح الناس ويستعدوا فأجابه صلاح الدين الى ذلك لثمانية أشهر من يوم عقد الهدنة وبعث اليه من استحلفه وأطلق الاسرى وكان سمند في هذا الوقت عظيم الافرنج متسع المملكة وطرابلس وأعمالها قد صارت اليه بعد القمص واستخلف فيها ابنه الاكبر وعاد صلاح الدين الى حلب فدخلها ثالث شعبان من السنة وأطلق ملوك الاطراف بالجزيرة وغيرها الى بلادهم ثم رحل الى دمشق وكان معه أبو فليتة قاسم بن مهنا أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم قد عسكر معه وشهد فتوحه وكان يتيمن بصحبته ويتبرك برؤيته ويجتهد في تأنيسه وتكرمته ويرجع الى مشورته ودخل دمشق أول رمضان من السنة وأشير عليه بتفريق العساكر فأبى وقال هذه الحصون كوكب وصفد والكرك في وسط بلاد الاسلام ولابد من البدار الى فتحها والله سبحانه وتعالى أعلم

•(فتح الكرك)•

كان صلاح الدين قد جهز العساكر على الكرك مع أخيه العادل حتى سار الى دربساك وبغراس وأبعد في تلك الناحية فشد العادل حصارها حتى جهدوا وفنيت أقواتهم فراسلوه في الامان فأجابهم وسلموا القلعة فملكها وملك الحصون التي حواليها وأعظمها الشوبك وأمنت تلك الناحية واتصلت ايالة المسلمين من مصر الى القدس والله تعالى أعلم

•(فتح صفد)•

لما عاد صلاح الدين الى دمشق أقام بها نصف رمضان ثم تجهز لحصار صفد فنزل عليها ونصب المجانيق وكانت أقواتهم قد نسلط عليها الحصار الاول فخافوا من نفادها فاستأمنوا فأمنهم وملكها ولحقوا بمدينة صور والله تعالى أعلم

•(فتح كوكب)•

لما كان صلاح الدين على صفد خافه الافرنج على حصن كوكب فبعثوا اليه نجدة وكان قايماز النجمي محاصره فشعر بتلك النجدة وركب اليهم وهم مختفون بين شعب

الشعاب فكبسهم ولم يفلت منهم أحد وكان فيهم مقدمان من الاستبارية فحملهما الى صلاح الدين على صفد فاحضرهما للقتل على عادته فى الفداوية والاستبارية فاستعطفه واحد منهما فعفا عنهما وحبسهما ولما فتح صفد سار الى كوكب وحاصره وارسل اليهم بالامان فاصروا على الامتناع عليه فنصب عليهم المجانيق وتابع المزاحفة ثم عاقه المطر عن القتال وطال مقامه فلما انقضى المطر عاود المزاحفة وضايقهم بالسور ونقب منه برجا فسقط فارتاعوا واستأمنوا وملك الحصن منتصف ذى القعدة من السنة ولحق الافرنج بصور واجتمع الزعماء وتابعوا الرسل الى اخوانهم وراء البحر فى حوزة يستصرخونهم فتابعوا اليهم المدد واتصل المسلمون فى الساحل من ايلة الى بيروت لا يفصل بينهم الا مدينة صور ولما فرغ صلاح الدين من صفد وكوكب سار الى القدس فقضى فيه نسك الأضحى ثم سار الى عكا فأقام بها الى انسلاخ الشتاء والله تعالى أعلم

(فتح الشقيف)

ثم سار صلاح الدين فى ربيع سنة خمس وثمانين الى محاصرة الشقيف وكان لارناط صاحب صيدا وهو من أعظم الناس مكرا ودهاء فلما نزل صلاح الدين بمرج العيون جاء اليه وأظهر له المحبة والميل وطلب المهلة الى جمادى الاخيرة ليتخلص أهله وولده من المركيش بصور ويسلم له حصن الشقيف فأقام صلاح الدين هنالك لوعده وانقضت مدة الهدنة بينه وبين سمند صاحب انطاكية فبعث تقى الدين ابن أخيه مسلحة فى العساكر الى البلاد التى قرب انطاكية ثم بلغه اجتماع الافرنج بصور عند المركيش وأن الامداد وافتهم من أهل ملتهم وراء البحر وأن ملك الافرنج بالشام الذى أطلقه صلاح الدين بعد فتح القدس قد اتفق مع المركيش ووصل يده به واجتمعوا فى أمم لا تحصى وخشى أن يتقدم اليهم ويترك الشقيف وراءه فتنقطع عنه الميرة فأقام بمكانه فلما انقضى الاجل تقدم الى الشقيف واستدعى ارناط فجاء واعتذر بأن المركيش لم يمكنه من أهله وولده وطلب الامهال مرة أخرى فتبين صلاح الدين مكره فحبسه وأمره أن يبعث الى أهل الشقيف بالتسليم فلم يجب فبعث به الى دمشق فحبس بها وتقدم الى الشقيف فحاصره بعد أن أقام مسلحة قبالة الافرنج الذين بظاهر صور فجاءه الخبر بأنهم فارقوا صور لحصار صيدا فلقيتهم المسلحة وقاتلوهم فغلبوهم وأسروا سبعة من فرسانهم وقتلوا آخرين وقتل مولى لصلاح الدين من أشجع الناس وردوهم على أعقابهم الى معسكرهم بظاهر صور وجاء صلاح الدين بعد انقضاء الوقعة فأقام فى المسلحة رجاء أن يصادف أحدا من الافرنج فينتقم منهم وركب فى بعض الايام ليشارف معسكر الافرنج فظن عسكره أنه يريد القتال فجمعوا وأوغلوا الى العدو وبعث صلاح الدين الامراء فى أثرهم يردونهم فلم يرجعوا وراآهم

الافرنج فظنوا أن وراءهم كمينا فأرسلوا من يكشف خبرهم فوجدوهم منقطعين فحملوا
عليهم وأناموهم جميعا وذلك تاسع جمادى الاولى من السنة ثم انحدر اليهم صلاح الدين
في عساكر من الجبل فهزمهم الى الجسر وغرق منهم في البحر نحو من مائة دارع سوى
من قتل وعزم السلطان على حصارهم واجتمع اليه الناس ثم عاد الافرنج الى صور وعاد
السلطان الى بلبيس ليشارف عكا ورجع الى مخيمه ولما وصل الى المعسكر جاء الخبر بأن
الافرنج يتعدون من صور ومداهم لحاجاتهم فكتب الى المعسكر بعكا وعدهم ثامن
جمادى الاخيرة يوافونه من ناحيتهم للاغارة عليهم وأكمن لهم في الاودية والشعاب من
سائر النواحي واختار جماعة من فرسان عسكره وتقدم اليهم بأن يتعرضوا للافرنج ثم
يستطردوا لهم الى مواضع الكمناء ففعلوا وناشبوا الافرنج وانفوا من الاستطراد
وطال على الكمناء الانتظار فخرجوا خشية على أصحابهم فوافوهم في شدة الحرب
فانهزم المسلمون ووقع التمحيص وكان أربعة في الكمين من امراء طي فعدلوا
عن طريق أصحابهم وسلكوا الوادي وتبعهم بعض العسكر من مرالي صلاح
الدين ورآهم الافرنج في الوادي فعلموا أنهم أضلوا الطريق فاتبعوهم وقتلوهم والله
تعالى أعلم

(محاصرة الافرنج أهل صور لعكا والحروب عليها)

كانت صور كما قدمناه حطها المركيش من الافرنج الواصل من وراء البحر وقام بها
وكان كلما فتح صلاح الدين مدينة أو حصنا على الامان لحق أهلها بصور فاجتمع بها
عدد عظيم من الافرنج وأموال جمة ولما فتح القدس لبس كثير من رهبانهم وقسيسهم
وزعمائهم السواد حزنا على البيت المقدس وارتحل بطركه من القدس وهم معه
يستصرخون أهل الملة النصرانية من وراء البحر للاخذ بثأر القدس فخرجوا للجهاد
من كل بلد حتى النساء اللواتي يجدن القوة على الحرب ومن لم يستطع الخروج استأجر
مكانه وبذلوا الاموال لهم وجاء الافرنج من كل مكان ونزلوا بصور ومدد الرجال
والاقوات والاسلحة متداركة لهم في كل وقت واتفقوا على الرحيل الى عكا لمحاصرتها
فخرجوا ثامن رجب من سنة خمس وثمانين وسلكوا على طريق الساحل وأساطيلهم
تحاذيهم في البحر ومسلحة المسلمين تتخطفهم من جوانبهم حتى وصلوا الى عكا منتصف
رجب وكان رأي صلاح الدين أن يحاذيهم في مسيرهم لينال منهم فخالفه أصحابه
واعتذروا بضيق الطريق ووعره فسلك طريقا آخر ووافاهم على عكا ونزلوا عليها
وأساطيلهم من البحر الى البحر فليس للمسلمين اليها طريق ونزل صلاح الدين قبالتهم
وبعث الى الاطراف يستنفر الناس فجاءت عساكر الموصل وديار بكر وسنجار وسائر

بلاد الجزيرة وجاء تقي الدين ابن أخيه من حماة ومظفر الدين كوكبري من حران والرها وكان أمداد المسلمين تصل في البر وامداد الافرنج في البحر وهم محصورون في صورة محاصرين وكانت بينهم أيام مذكورة ووقائع مشهورة وأقام السلطان بقية رجب لم يقاتلهم فلما استهل شعبان قاتلهم يوما بكمله وبات الناس على تعبية ثم صبحهم بالقتال ونزل الصبر وحمل عليهم تقي الدين ابن أخيه منتصف النهار من الميمنة حملة أزالتهم عن مواقفهم وملأ مكانهم واتصل بالبلد فدخلها المسلمون وشحنها صلاح الدين بالمدد من كل شئ وبعث اليهم الامير حسام الدين أبا الهيجاء السمين من أكابر امرائه من الاكراد الحطمية من اربل ثم نهض المسلمون من الغد فوجدوا الافرنج قد أداروا عليهم خندقا يمتنعون به ومنعوهم القتال يومهم وأقاموا كذلك ومع السلطان أحياء من العرب فكمنوا في معاطف النهر من ناحية الافرنج على الساحل للغداف منهم وكبسوهم منتصف شعبان وقتلوهم وجاؤا برؤسهم الى صلاح الدين فأحسن اليهم والله تعالى أعلم

(الوقعة على عكا)

كان صلاح الدين قد بعث عن عسكر مصر وبلغ الخبر الافرنج فارادوا معاجلته قبل وصولهم وكانت عساكره متفرقة في المسالح على الجهات فمسلحة تقابل انطاكية وسمند من أعمال حلب ومسلحة بحمص تحفظها من أهل طرابلس ومسلحة تقابل صور ومسلحة بدمياط والاسكندرية واعتزم الافرنج على مهاجمتهم بالقتال ولم يشعروا بهم وصبحوهم لعشرين من شعبان وركب صلاح الدين وعبى عساكره وقصدوا الميمنة وعليها تقي الدين ابن أخيه فتزحزح بعض الشئ وأمده صلاح الدين بالرجال من عنده فحطوا على صلاح الدين في القلب فتضعضع واستشهد جماعة منهم الامير علي ابن مردان والظهير أخو الفقيه عيسى والي القدس والحاجب خليل الهكاري وغيرهم وقصدوا خيمة صلاح الدين فقتلوا من وزرائه ونهبوا واستشهد جمال الدين بن رواحة من العلماء ووضعوا السيف في المسلمين وانهزم الذين كانوا حوالي الخيمة ولم تسقط وانقطع الذين ولوها من الافرنج عن أصحابهم وراءهم وحملت ميسرة المسلمين عليهم فاحجمتم وراء الخنادق وعادوا الى خيمة صلاح الدين فقتلوا كل من وجدوا عندها من الافرنج وصلاح الدين قد عاد من اتباع أصحابه يردهم للقتال وقد اجتمعوا عليهم فلم يفلت منهم أحد وأسروا مقدم الفداوية فأمر بقتله وكان أطلقه مرة أخرى وبلغت عدة القتلى عشرة آلاف فألقوا في النهر وما المنهزمون من المسلمين فنهم من رجع من طبرية ومنهم من جاوز الاردن ورجع ومنهم من بلغ دمشق واتصل قتال

المسلمين للافرنج وكادوا يطبقون عليهم معسكرهم ثم جاءهم الصريخ بنهب اموالهم وكان المهزمون قد حملوا اثقالهم فامتدت اليها أيدي الاوباش ونهبوها فكان ذلك مما شغل المسلمين عن استئصال الافرنج وأقاموا في ذلك يوما وليلة يستردون النهب من أيدي المسلمين ونقص بذلك عن الافرنج بعض الشئ والله تعالى أعلم

(رحيل صلاح الدين عن الافرنج بعكا)

ولما انقضت هذه الواقعة وامتلأت الارض من جيف الافرنج تغير الهواء وأنتن وحدث بصلاح الدين قولنج كان يعاوده فأشار عليه أصحابه بالانتقال عن الافرنج يتقلون وان أقاموا عدنا اليهم وجلة الاطباء على ذلك فرحل رابع رمضان من السنة وتقدم الى أهل عكا بحياطتها وأعلمهم سبب رحيله فلما ارتحل اشتد الافرنج في حصار عكا وأحاطوا بها دائرة مع اسطولهم في البحر وحفروا خندقا على معسكرهم وأداروا عليهم سورا من ترابه حتمانس صلاح الدين أن يعود اليهم ومسلحة المسلمين قبالتهم يناوشوهم القتال ولا يقاتلونهم وبلغ ذلك صلاح الدين وأشار أصحابه بارسال العساكر ليمنع من التحصين فامتنع من ذلك لمرضه فتم للافرنج ما أرادوه وأهل عكا يخرجون اليهم في كل يوم ويقاتلونهم والله تعالى أعلم

(معاودة صلاح الدين حصار الافرنج على عكا)

ثم وصل العادل أبو بكر بن أيوب منتصف شوال في عساكر مصر ومعه الجم الغفير من المقاتلة والاصناف الكثيرة من آلات الحصار ووصل على اثره اسطول مصر مع الامير لؤلؤ وكبس مركبا مغنم ما فيه ودخل به الى عكا وبرئ صلاح الدين من مرضه وأقام بمكانه بالجزيرة الى انسلاخ الشتاء وسمع الافرنج أن صلاح الدين سار اليهم واستقلوا مسلحة المسلمين عندهم فزحفوا اليهم في صفر سنة ست وثمانين واستماتت المسلمون وقتل بين الفريقين خلق وبلغ الخبر بذلك صلاح الدين وجاءته العساكر من دمشق وحمص وحماة فتقدم من الجزيرة الى تل كيسان وتابع القتال على الافرنج يشغلهم عن المسلمين فكانوا يقاتلون الفريقين وكان الافرنج مدة مقامهم على عكا قد صنعوا ثلاثة أبراج من الخشب ارتفاع كل برج ستون ذراعا وفيه خمس طبقات وغشوها بالجلود وطلوها بالادوية التى لا تعلق النار بها وشحنوها بالمقاتلة ودنوها الى البلد من ثلاث جهات في العشرين من ربيع الاول سنة ست وثمانين وأشرفوا بها على السور فكشفوا من عليه من المقاتلة وشرع الافرنج في طم الخندق وبعث أهل عكا سابحا في البحر يصف لهم حالهم فركب في عساكره واشتد في قتال الافرنج

نخف على أهل البلد ما كانوا فيه وأقاموا كذلك ثلاثة أيام يقاتلون الجهتين وعجزوا
عن دفع الابراج ورموها بالنفط فلم يؤثر فيها وكان عندهم رجل من أهل دمشق يعانى
أحوال النفط فأخذ عقاقير وصنعها وحضر عند قراقوش حاكم البلد وأعطاه دواء
وقال ارم به في المنجنيق المقابل لاحدى الابراج فيحترق فجرد عليه ثم وافق ورمى به
فى قدر ثم رمى بعده بقدر أخرى مملوأة نارا فاضطرمت النار واحترق البرج بمن فيه
ثم فعل بالثانى والثالث كذلك وفرح أهل البلد وتخلصوا من تلك الورطة فأمر صلاح
الدين بالاحسان الى ذلك الرجل فلم يقبل وقال انما فعلته لله ولا أريد الجزاء الا منه
ثم بعث صلاح الدين الى ملوك الاطراف ليستنفرهم فجاء عماد الدين زنكى بن مودود
صاحب سنجار ثم علاء الدين بن طالب صاحب الموصل ثم عز الدين مسعود بن مودود
وبعثه أبوه بالعساكر ثم زين الدين صاحب اربل وكان كل واحد منهم اذا وصل يتقدم
بعسكره فيقاتلون الافرنج ثم يضربون أبنيتهم وجاء الخبر بوصول الاسطول من مصر
فجهز الافرنج أسطولا لقتاله وشغلهم صلاح الدين بالقتال ليتمكن الاسطول من دخول
عكا فلم يشغلوا عنه وقاتلوا الفريقين برا وبحرا ودخل الاسطول الى مرسى عكا سالما
والله تعالى أعلم بغيبه

(وصول ملك الالمان الى الشأم ومهلكه)

هؤلاء الالمان شعب من شعوب الافرنج كثير العدد موصوف بالبأس والشدة وهم
موطنون بجزيرة انكلطيرة فى الجهة الشمالية الغربية من البحر المحيط وهم
حديثو عهد بالنصرانية ولما سار القسس والرهبان بخبر بيت المقدس واستنفار
النصرانية لها قام ملكهم لها وقعد وجمع عساكره وسار للجهاد بزعمه وفسح
النصارى له الطريق وقصد القسطنطينية فعجز ملك الروم عن منعه بعد ان كان
يعد بذلك نفسه وكتب بها الى صلاح الدين لكنه منع عنهم الميرة فضاقت عليهم الاقوات
وعبروا خليج القسطنطينية ومروا بمملكة قليج ارسلان وتبعهم التركمان يحفون بهم
ويتخطفون منهم وكان الفصل شتاء والبلاد باردة فهلك أكثرهم من البرد والجوع
ومروا بقونية وبها قطب الدين ملكشاه بن قليج ارسلان قد غلب عليه أولاده وافترقوا
فى النواحى فخرج ليصدهم فلم يطق ذلك ورجع فساروا فى أثره الى قونية وبعثوا اليه
بهدية على أن يأذن لهم فى الميرة فاذن لهم واسترهنوا عشرين من أمرائه وتكاثر عليهم
اللصوص فقيدوا أولئك الامراء وحبسوهم وساروا الى بلاد الارمن وصاحبها
كافولى بن حطفاى بن اليون فأمدهم بالازواد والعلوفات وأظهر طاعتهم وسار الى

انطاكية ودخل ملكهم ليغتسل في نهر هناك فغرق ومات وملك بعده ابنه ولما بلغوا انطاكية اختلفوا فبعضهم مال الى تمليك أخيه وبعضهم مال الى العود فعادوا كلهم وسار ابن الملك فيمن ثبت معه يزيدون على أربعين ألفا وأصابهم الموتان وحبس اليهم صاحب انطاكية المسير الى الافرنج على عكا فساروا على جبلة واللاذقية ومرّوا بحلب وتخطف أهلها منهم خلقا وبلغوا طرابلس وقد أفناهم الموتان ولم يبق منهم الا نحو ألف رجل فركبوا البحر الى عكا ثم رأوا ما هم فيه من الوهن والخلاف فركبوا البحر الى بلدهم وغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحد وكان الملك قليج أرسلان يكاتب صلاح الدين بأخبارهم ويعده بمنعهم من العبور عليه فلما عبروا اعتذر بالعجز عنهم وافتراق أولاده واستبدادهم عليه وأما صلاح الدين فانه استشار أصحابه عند وصول خبرهم فأشار بعضهم الى لقائهم في طريقهم ومحاربتهم وأشار آخرون بالمقام لئلا يأخذ الافرنج عكا ومال صلاح الدين الى هذا الرأي وبعث العساكر من حلب واللاذقية وشيزر الى حلب ليحفظوها من عاديتهم والله تعالى ولي التوفيق

(واقعة المسلمين مع الافرنج على عكا)

ثم زحف الافرنج على عكا في عشر من جمادى الاخيرة من سنة ست وثمانين وخرجوا من خنادقهم الى عساكر صلاح الدين وقصد العادل أبو بكر بن أيوب في عساكر مصر فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كشفهم الافرنج عن الخيام وملكوها ثم كرّ عليهم المصريون فكشفوهم عن خيامهم وخالفهم بعض عساكر مصر الى الخنادق فقطعوا عنهم بعض مددأصحابهم فأخذتهم السيوف وقتل منهم ما يزيد على عشرين ألفا وكانت عساكر الموصل قريبا من عسكر مصر ومقدمهم علاء الدين خوارزم شاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل فعدمت حرتهم وأمر صلاح الدين عاجزتهم على هذا الحال وبلغه الخبر بموت الالمان وما أصاب قومه من الشتات فسر المسلمون بذلك وظنوا وهن الافرنج به ثم بعد يومين لحقت بالافرنج امداد في البحر مع كند من الكنود يقال له الكندهري ابن أخي الافرنسيس لابيه وابن أخي ملك انكلطيرة لامه ففرق في الافرنج أموالا وجند لهم أجنادا ووعدهم بوصول الامداد على أثره فاعتزموا على الخروج لقتال المسلمين فانتقل صلاح الدين من مكانه الى الخروبة لثلاث بقين من جمادى الاخيرة لضيق المجال ونتن المكان من جيف القتلى ثم نصب الكندهري على عكا مجانيق ودبابات فأخذها أهل عكا وقتلوا عندها جموعا من الافرنج فلم يتمكن من ذلك ولا من الستائر عليها لان أهل البلاد كانوا يصيبونها بنبل تلاعا بالنار من التراب ونصب المجانيق من ورائه وضاقت الاحوال وقلت الميرة

وأرسل صلاح الدين الى الاسكندرية ببعث الاقوات فى المراكب الى عكا وبعث الى بيروت بمثل ذلك فبعثوا مركبا ونصبوا فيها الصلبان يوهمون انه للافرنج حتى دخلوا الى المرسى وجاءت بعد الميرة من الاسكندرية ثم جاءت ملكة من الافرنج من وراء البحر فى نحو ألف مقاتل للجهاد بزعمها فأخذت بحر الاسكندرية هى وجميع ما معها ثم كتب البابا كبير الملة النصرانية من كنيسة برومة يأمرهم بالصبر والجهاد ويخبرهم بوصول الامداد وأنه راسل ملوك الافرنج يحثهم على امدادهم فازدادوا بذلك قوة واعتزموا على مناجزة المسلمين وجروا عسكر الحصار عكا وارتحلوا حادى عشر شوال من السنة فنقل صلاح الدين أثقال العسكر الى

على ثلاثة فراسخ من عكا ولقى الافرنج على التعبية وكان أولاده الافضل على والظاهر غازى والظافر خضر فى القلب وأخوه العادل أبو بكر فى الميمنة بعساكر مصر ومن انضم اليهم وعماد الدين صاحب سنجار وتقى الدين صاحب حماة ومعز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر فى الميسرة وصلاح الدين فى خيمة صغيرة على تل مشرف نصب له من أجل موضعه فلما وصل الافرنج وعاينوا كثرة المسلمين ندموا على مفارقة خنادقهم وباتوا ليلتهم وعادوا من الغد الى معسكرهم فاتبعوهم أهل المقدمة وتخطفوهم من كل ناحية وأجروهم وراء خنادقهم ثم ناوشوهم القتال فى الثالث والعشرين من شوال بعد ان أكمنوا لهم عسكرا فخرج لهم الافرنج فى نحو أربعمائة فارس واستطردلهم المسلمون الى أن وصلوا كمينهم فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم أحد واشتد الغلاء على الافرنج وبلغت الغرارة مائة دينار صورى مع ما كان يحمل اليهم من البلدان من بيروت على يد صاحبها أسامة ومن صيدا على يد نائبها سيف الدين على ابن أحمد المشطوب ومن عسقلان وغيرها ثم اشتد الحال عليهم عند هيجان البحر وانقطاع المراكب فى فصل الشتاء ثم هجم الشتاء وأرسى الافرنج مراكبهم بصور خوفا عليها على عادتهم فى صور فى فصل الشتاء ووجد الطريق الى عكا فى البحر فأرسل أهلها الى صلاح الدين يشكون ما نزل بهم وكان بها الامير حسام الدين أبو الهيجاء السمين فشكى من ضجره بطول المقام والحرب فأمر صلاح الدين بانفاذ نائب وعسكر اليها بدلا منهم وأمر أخاه العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر عند جبل حيفا وجمع المراكب والشوانى وبعث العساكر اليها شيأ فشيأ كلما دخلت طائفة خرج بدلها فدخل عشرون أميرا بدلا من ستين كانوا وأهملوا أهل الرجل وتعنت دواوين صاحب صلاح الدين وكانوا نصارى على الجند فى اثباتهم واطلاق نفقاتهم فبلغ الحامية بعكا وضعفت وعادت مراكب الافرنج بعد انحسار الشتاء فانقطعت

الاخبار عن عكا وعنها وكان من الامراء الذين دخلوا عكا سيف الدين على بن أحمد المشطوب و عز الدين ارسلان مقدم الاسدية وابن جاولى وغيرهم وكان دخولهم عكا آول سنة سبع وثمانين والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة زين الدين صاحب اربل وولاية أخيه كوكبرى)

كان زين الدين يوسف بن زين الدين قد دخل فى طاعة صلاح الدين وكانت له اربل كما مر لابيه وحران والرها لاخيه مظفر الدين كوكبرى وكان يعسكر مع صلاح الدين فى غزواته وحضر عنده على عكا فأصابه المرض وتوفى فى ثامن عشر رمضان سنة أربع وثمانين وقبض أخوه مظفر الدين كوكبرى على بلد أسير من أمرائه وبعث الى صلاح الدين يطلب اربل ويترك من حران والرها فأجابه وأقطعه اياهما وأضاف اليهما شهرزور وأعمالها ودار بند العرابلى وهى قفجاق وكاتب أهل اربل مجاهد الدين صاحب الموصل خوفا من صلاح الدين مع أن مجاهد الدين كان عز الدين قد حبسه كما مر ثم أطلقه وولاه نائبه وجعل بعض عماله عينا عليه فكان يناقضه فى كثير من الاحوال فقصد مجاهد الدين أن يفعل معه مثل ذلك فى اربل فامتنع منها وولاها مظفر الدين واستقل أمره فيها ولما نزل مظفر الدين عن حران والرها ولاها صلاح الدين لابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه مضافة الى ميافارقين بديار بكر وحماة وأعمالها بالشأم وتقدم له أن يقطع أعمالها للجند فيتقوى بهم على الافرنج فسار تقى الدين اليها وقرر أمورها ثم انتهى الى ميافارقين وتجدد له طمع فيما يجاورها من البلاد فقصد مدينة سال من ديار بكر وسار اليه سيف الدين بكتمر صاحب خلاط فى عساكره وقاتله فهزمه تقى الدين ووطئ بلاده وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين بن رشيق وزير سلطان شاكرين وحبسه فى قلعة هنالك فلما انهزم كتب الى والى القلعة بقتله فوافاه الكتاب وتقى الدين محاصر له فلما ملك القلعة أطلق ابن رشيق وسار الى خلاط وحاصرها فامتنعت عليه فعاد عنها الى ملاذكرد فضيق عليها حتى استأمنوا اليه وضرب لهم أجلا فى تسليم البلد ثم مرض ومات قبل ذلك الاجل بيومين وحمله ابنه الى ميافارقين فدفنه بها واستعملت دولة بكتمر فى خلاط والله تعالى أعلم

(وصول امداد الافرنج من الغرب الى عكا)

ثم تتابعت امداد الافرنج من وراء البحر لاخوانهم المحاصرين لعكا وأول من وصل منهم الملك ملك افرنسة وهو ذو نصب فيهم وملكه ليس بالقوى هكذا قال ابن الاثير وعنى انه كان مستقلا فى ذلك العصر لانه فى الحقيقة ملك الافرنج وهو فى ذلك

العصر أشد من كانوا قوة واستفتحا الافوصل ثانى عشر ربيع الاول سنة أربع وثمانين في ستة مراكب عظيمة مشحونة بالمقاتلة والسلاح فقوى الافرنج على عكا بمكانه وولى حرب المسلمين فيها وكان صلاح الدين على معسكر عمر قريبا من معسكر الافرنج فكان يصابحهم كل يوم عن مزاحفة البلد وتقدم الى أسامة في بيروت بتجهيز ماعنده من المراكب والشوانى الى مرسى عكا ليشغل الافرنج أيضا فبعثها ولقيت خمسة مراكب فى البحر وكان ملك الانكلطيرة أقدمها وأقام على جزيرة قبرص طامعا في ملكها فغنم أسطول المسلمين الخمسة مراكب بما فيها ونفذت كلمة صلاح الدين الى سائر النواب بأعماله بمثل ذلك فجهزوا الشوانى وملؤها مرسى عكا وواصل الافرنج قتال البلد ونصبوا عليها المنجنيقات رابع جمادى وتحول صلاح الدين لمعسكره قريبا منهم ليشغلهم عن البلد فخف قتالهم عن أهل البلد ثم فرغ ملك انكلطيرة من جزيرة قبرص وملكها وعزل صاحبها وبلغ الى عكا في خمس وعشرين مركبا مشحونة بالرجال والاموال ووصل منتصف رجب ولقى فى طريقه مركبا جهز من بيروت الى عكا وفيه سبعمائة مقاتل فقاتله فلما يئس المسلمون الذين به من الخلاص نزل مقدمهم وهو يعقوب الحلبى غلام ابن شفنين فخرق المركب خوفا من أن يظفر الافرنج برجاله وذخائره فغرق ثم عمل الافرنج ذبابات وكباشا وزحفوا بها فأحرق المسلمون بعضها وأخذوا بعضها فرجع الافرنج الى نصب التلال من التراب يقاتلون من ورائها فامتنعت من نفوذ الحيلة فيها وضاق حال أهل عكا

(استيلاء الافرنج على عكا)

ولما جهد المسلمين بعكا الحصار خرج الامير سيف الدين على بن أحمد الهكارى المشطوب من أكبر أمرائها الى ملك افرنسة يستأمنه لاهل عكا فلم يجبه وضعفت نفوس أهل البلد لذلك ووهنوا ثم هرب من الامراء عز الدين ارسل الاسدى وابن عز الدين جاولى وسنقر الارجانى فى جماعة منهم ولحقوا بالعسكر فازداد أهل عكا وهنا وبعث الافرنج الى صلاح الدين فى تسليمها فأجاب على أن يؤمنوا أهل البلد ويطلق لهم من أسراهم بعدد أهل البلد ويعطيهم الصليب الذى أخذه من القدس فلم يرضوا بما فعل فبعث الى المسلمين بعكا أن يخرجوا بجمعهم ويتركوا البلد ويسيروا مع البحر ويحملوا على العدو حملة مستميتين ويجىء المسلمون من وراء العدو فعساهم يخلصون بذلك فلما صحوا زحف الافرنج الى البلد ورفع المسلمون اعلامهم وارسل المشطوب من البلد الى الافرنج فصالحهم على الامان على أن يعطيهم مائتى ألف دينار ويطلق لهم خمسمائة أسير ويعيد لهم الصليب ويعطى للمركيش صاحب صور أربعة عشر ألف

دينار فاجابوا الى ذلك وضربوا المدة للمال والاسرى شهرين وسلموا البلد فلما ملكوه غدروا واستولوا على المسلمين وحبسوهم رهائن عندهم فى المال والاسرى والصليب ولم يكن لصلاح الدين ذخيرة من المال لكثرة انفاقه فى المصالح فشرع فى جمع المال حتى اجتمع مائة ألف دينار وبعث نائبا يستحلفهم على أن يضمن الفداوية من الحلف والضمان خوفا من غدر أصحابه وقال ملوكهم اذا سلمتم المال والاسرى والصليب تعطونا رهائن فى بقية المال ونطلق أصحابكم وطلب صلاح الدين أن يضمن الفداوية الرهن ويطلقوا فامتنعوا الجسار وقالوا ترسلون المائة ألف دينار والاسرى والصليب فنطلق من نراه ونبقى الباقى الى مجىء بقية المال فتبين المسلمون غدرهم وانهم يطلقون من لا يعبأ به ويمسكون الامراء والاعيان حتى يفادوهم فلم يجبهم صلاح الدين الى شئ ولما كان آخر رجب ركب الافرنج الى ظاهر البلد فى احتفال وركب المسلمون فشدوا عليهم وكشفوهم من مواقفهم فاذا المسلمون الذين كانوا عندهم قتلى بين الصفين قد استلموا مواضعهم وتمسكوا بالاعيان للمفاداة فسقط فى يد صلاح الدين وتمسك بالمال الذى جمعه لغيرها من المصالح والله تعالى أعلم

(تخريب صلاح الدين عسقلان)

ولما استولى الافرنج على عكا استوحش المركيش صاحب صور من ملك انكلطيرة وأحس منه بالغدر فلحق ببلده صور ثم سار الافرنج مستهل شعبان لقصد عسقلان وساروا مع ساحل البحر لا يفارقونه ونادى صلاح الدين باتباعهم مع ابنه الافضل وسيف الدين أبى ركوش وعز الدين جرديك فاتبعوهم يقاتلونهم ويتخطفونهم من كل ناحية فتمكنوا فيهم بالقتل والاسر وبعث الافضل الى أبيه يستمده فلم يجد العساكر مستعدة وسار ملك انكلطيرة فى ساقة الافرنج فحملهم وانتهوا الى يافا فأقاموا بها والمسلمون قبالتهم مقيمون ولحق بهم من عكا من احتاجوا اليه ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ويقاتلون من ظفروا به منهم وزاحموهم عند قيسارية فباتوا منهم وباتوا بها متيامنين واختطف المسلمون منهم بالليل فقتلوا وأسروا وساروا من الغد الى أرسوف وسبقهم المسلمون اليها فسبقوا الطريق فحملوا عليهم عند ما ساق اضطروهم الى البحر فحينئذ استمات الافرنج وحملوا على المسلمين فهزموهم وأثخنوا فى تابعهم وألحقوهم بالقلب وفيه صلاح الدين وتستر المسلمون المنهزمون بخمر الشعراء فرجع الافرنج عنهم وانفرج ما كانوا فيه من الضيق المذكور وساروا الى يافا فوجدوها خالية فملكوها وكان صلاح الدين قد سار من مكان الهزيمة الى الرملة وجمع مخلفه وأثقاله واعتزم على مسابقة الافرنج الى عسقلان فمنعه أصحابه وقالوا

نخشى أن تزاحمنا الافرنج عليها ويغلبونا على حصارها كما غلبونا على حصار عكا ويملكوها آخرا ويقووا بما فيها من الذخائر والاسلحة فندبهم الى المسير اليها وحمايتها من الافرنج فلجوا فى الامتناع من ذلك فسار وترك العساكر مع أخيه العادل قبالة الافرنج ووصل الى عسقلان وخربها تاسع عشر شعبان وألقت حجارتها فى البحر وبقى أثرها وهلك فيها من الاموال والذخائر ما لا يحصى فلما بلغ الافرنج ذلك أقاموا بيافا وبعث المركيش الى ملك انكلطيرة يعذله حيث لم يناجز صلاح الدين على عسقلان ويمنعه من تخريبها فاخربها حتى عجز عن حمايتها ثم رحل صلاح الدين من عسقلان ثانى شهر رمضان الى الرملة فخرب حصنها ثم سار الى القدس من شدة البرد والمطر لينظر فى مصالح القدس وترتيبهم فى الاستعداد للحصار وأذن للعساكر فى العود الى بلادهم للاراحة وعاد الى مخيمه ثامن رمضان وأقام الافرنج بيافا وشرعوا فى عمارتها فرحل صلاح الدين الى نطرون وخيم به منتصف رمضان وتردد الرسل بين ملك انكلطيرة وبين العادل على أن يتزوجه ملك انكلطيرة أخته ويكون القدس وبلاد المسلمين بالساحل للعادل وعكا وبلاد الافرنج بالساحل لها الى مملكتها وراء البحر بشرط رضا الفداوية وأجاب صلاح الدين الى ذلك ومنع الاقسة والرهبان أخت ملك انكلطيرة من ذلك ونكروا عليها فلم يتم وانما كان ملك انكلطيرة يخادع بذلك ثم اعتزم الافرنج على القدس ورحلوا من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة وسار صلاح الدين الى القدس وقدم عليه عسكر مصر مع أبى الهيجاء السمين فقويت به نفوس المسلمين وسار الافرنج من الرملة الى النطرون ثالث ذى الحجة والمسلمون يحاذونهم وكانت بينهم وقعات اسروا فى واحدة منها [illegible] وخمسين من مقاتلة الافرنج واهتم صلاح الدين بعمارة اسوار القدس ورم ما ثلم منها وضبط المكان الذى ملك القدس منه وسد فروجه وامر بحفر الخندق خارج الفصيل وقسم ولاية هذه الاعمال بين ولده وأصحابه ونقلت الحجارة للبنيان وكان صلاح الدين يركب الى الاماكن البعيدة وينقلها على مركوبه فيقتدى به العسكر ثم ان الافرنج ضاقت أحوالهم بالنطرون وقطع المسلمون عنهم الميرة من ساحلهم فلم يكن كما عهدوه بالرملة وسأل ملك انكلطيرة عن صورة القدس ليعلم كيفية ترتيب حصارها فصورت له ورأى الوادى محيطا بها الا قليلا من جهة الشمال مع عمقه ووعرة مسالكه فقال هذه لا يمكن حصارها الا انا اذا اجتمعنا عليها من جانب بقيت الجوانب الاخرى وان افترقنا على جانب الوادى والجانب الآخر كبس المسلمون احدى الطائفتين ولم تصل الاخرى لانجادهم خوفا من المسلمين على معسكرهم وان تركوا من أصحابه حامية المعسكر فالمدى بعيد لا يصلون للانجاد الا بعد الوفاة هذا الى ما يلحقنا من

بياض بالأصل

تعذر القوت بانقطاع الميرة فعلوا ما صدقه وارتحلوا عائدين الى الرملة ثم ارتحلوا في محرم
سنة ثمان وثمانين الى عسقلان وشرعوا في عمارتها وسار ملك انكلطيرة الى مسلح المسلمين
فواقعوهم وبعوث بينهم حروب شديدة وصلاح الدين يبعث سراياه من القدس الى
الافرنج للاغارة وقطع الميرة يغيرون ويعودون والله تعالى أعلم

(مقتل المركيش وملك الكندهري مكانه)

ثم ارتحل صلاح الدين الى سنان مقدم الاسماعيلية بالشأم في قتل ملك انكلطيرة
والمركيش وجعل له على ذلك عشرة آلاف دينار ولم يمكنهم قتل ملك انكلطيرة ولما رأوه
من المصلحة لئلا يتفرغ لهم صلاح الدين وبعث رجلين لقتل المركيش في زي الرهبان
واتصلا بصاحب صيدا وابن بارزان صاحب   واقاما عندهما بصور ستة
أشهر مقبلين على رهبانيتهما حتى أنس بهما المركيش ثم دعاه الاسقف بصور لدعوة
فوثبا عليه فجرحاه ولجأ أحدهما الى كنيسة واختفى فيها وحمل اليها المركيش لشدة
جراحه فأجهز عليه ذلك الباطني وقتله ونسب ذلك الى ملك انكلطيرة رجاء ان يتفرد
بملك الافرنج بالشأم ولما قتل المركيش ملك المدينة زعيم من الافرنج الواردين من
وراء البحر يعرف بالكندهري ابن أخت ملك افرنسة وابن أخي ملك انكلطيرة من أبيه
وتزوج بالملكة في ليلته وبنى بها وملك عكا وسائر البلاد بعد عود ملك انكلطيرة وعاش
الى سنة أربع وتسعين وسقط من سطح ولما رحل ملك انكلطيرة الى بلاده أرسل هذا
الكندهري الى صلاح الدين واستماله للصلح والتمس منه الخلعة فبعث اليه بها ولبسها
بعكا والله تعالى أعلم

بياض بالاصل

(مسير الافرنج الى القدس)

ولما قدم صلاح الدين القدس وكان قد بلغه مهلك تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه
وان ابنه ناصر الدين استولى على أعماله بالجزيرة وهي حران والرها وسميساط
وميافارقين وحاني وبعث الى صلاح الدين يسأل ابقاءها في يده مضافة الى ما كان
لابيه من الاعمال بالشأم فاستقصره صلاح الدين لصغره وطلب منه ابنه الافضل
أن يعطيها له وينزل عن دمشق فاجابه الى ذلك وأمره أن يسير اليها وكاتب ملوك
البلاد الشرقية بالموصل وسنجار والجزيرة واربل وسار لانجاده بالعساكر وعلم ناصر
الدين انه لا قبل له بذلك فبعث للملك العادل يستشفع له عند صلاح الدين على أن يبقى
بيده ما كان لابيه بالشأم فقط وينزل عن بلاد الجزيرة فأقطعها صلاح الدين أخاه
الملك العادل وبعثه يتسلمها ويرد ابنه الافضل فلحق بالافضل بحلب وأعاده وعبر

الفرات

الفرات وتسلم البلاد من ناصر الدين بن تقي الدين وأنزل بها عماله واستصحبه وساير
العساكر الجزرية الى صلاح الدين بالقدس ولما بلغ الافرنج أن صلاح الدين
بعث ابنه الافضل وأخاه العادل وفرق العساكر عليهما ولم يبق معه بالقدس الا بعض
الخاصة فطمعوا فيه وأغاروا على عسكر مصر وهو قاصد اليه ومقدمهم سليمان أخو
العادل لامه فأخذوه بنواحي الخليل وقتلوا وغنموا ونجا فلهم الى جبل الخليل وساروا
الى الداروم فخربوه ثم ساروا الى القدس وانتهوا الى بيت قوجة على فرسخين من
القدس تاسع جمادى الاولى من سنة ثمان وثمانين واستعد صلاح الدين للحصار وفرق
ابراج السور على أمرائه وسلط السرايا والبعوث عليهم فرأوا ما لا قبل لهم به فتأخروا
عن منازلتهم ثم يافا وأصبحت بقولهم وميرتهم غنائم للمسلمين وبلغهم أن العساكر
الشرقية التي مع العادل والافضل عادت الى دمشق فعادوا الى عكا وعزموا على
محاصرة بيروت فأمر صلاح الدين ابنه الافضل أن يسير في العساكر الشرقية اليها
فسار وانتهى الى مرج العيون فلم يبرح الافرنج من عكا واجتمع عند صلاح الدين
خلال ذلك العساكر من حلب وغيرها فسار الى يافا فحاصرها وملكها عنوة في عشرى
رجب من السنة ثم حاصر القلعة بقية يومه وأشرفوا على فتحها وكانوا ينتظرون المدد
من عكا فشغلوا المسلمين بطلب الامان الى الغد فأجابوهم اليه وجاءهم ملك انكلطيرة
ليلا وتبعه مدد عكا وبرز من الغد فلم يتقدم اليه أحد من المسلمين ثم نزل بين السماطين
وجلس للاكل وأمر صلاح الدين بالحملة عليهم فتقدم أخ المشطوب وكان يلقب بالجناح
وقال لصلاح الدين نحن نتقدم للقتال ومماليكك للغنيمة فغضب صلاح الدين وعاد عن
الافرنج الى خيامه حتى جاء ابنه الافضل وأخوه العادل فرحل الى الرملة ينتظر ما آل
أمره مع الافرنج وأقاموا بيافا والله تعالى أعلم

(الصلح بين صلاح الدين والافرنج ومسير ملك انكلطيرة الى بلاده)

كان ملك انكلطيرة الى هذه المدة قد طال مغيبه عن بلاده ويئس من بلاد الساحل لان
المسلمين استولوا عليه فأرسل الى صلاح الدين يسأله في الصلح وظن صلاح الدين أن
ذلك مكر فلم يجبه وطلب الحرب فألح ملك انكلطيرة في السؤال وظهر صدق ذلك منه فترك
ما كان فيه من عمارة عسقلان وغزة والداروم والرملة وبعث الى الملك العادل بأن
يتوسط في ذلك فأشار على صلاح الدين بالاجابة هو وسائر الامراء لما حدث عند العسكر
من الضجر ونفاد النفقات وهلاك الدواب والاسلحة وما بلغهم أن ملك انكلطيرة عائد
الى بلاده وان لم تقع الاجابة آخر فصل الشتاء امتنع ركوب البحر فيقيم الى قابل فلما
وعى ذلك صلاح الدين وعلم صحته أجاب الى الصلح وعقد الهدنة مع رسل الافرنج في

عشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين لمدة أربعة وأربعين شهرا فتحالفوا على ذلك
وأذن صلاح الدين للافرنج فى زيارة القدس وارتحل ملك انكلطيرة فى البحر عائدا الى
بلده وأقام الكندهرى صاحب صور بعد المركيش ملكا على الافرنج بسواحل الشأم
وتزوج الملكة التى كانت تملكهم قبله وقبل صلاح الدين كامرز وسار صلاح الدين الى
القدس فأصلح اسواره وأدخل كنيسة صهيون فى البلد وكانت خارج السور واختط
المدارس والربط والمارستان ووقف عليها الاوقاف واعتزم على الاحرام منه للحج
فاعترضته القواطع دون ذلك فسار الى دمشق خامس شوال واستخلف عليه الامير
جرديك من موالى نور الدين ومر بكمور المسلمين بنابلس وطبرية وصفد وبيروت ولما انتهى
الى بيروت أتاه بها سمند صاحب انطاكية وطرابلس وأعمالها فالتزم طاعة صلاح الدين
وعاد ودخل صلاح الدين دمشق فى الخامس والعشرين من شوال وسر الناس بقدومه
ووهن العدو والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة صلاح الدين وحال ولده وأخيه من بعده)

ولما وصل صلاح الدين الى دمشق وقد خف من شواغل الافرنج وهمهم وما عقد من
الهدنة فأراح قليلا ثم اعتزم على احداث الغزو فاستشار ابنه الافضل وأخاه العادل
فى مذهبه فأشار العادل بخلاط لانه كان وعده أن يقطعه اياها اذا ملكها
وأشار الافضل ببلاد الروم ايالة بنى قليج ارسلان لسهولة أمرها واعتراض الافرنج
فيها اذا قصدوا الشأم لانها طريقهم فقال لاخيه تذهب أنت لخلاط فى بعض ولدى
وبعض العسكر وأذهب أنا الى بلاد الروم فاذا فرغت منها لحقت بكم فسرنا
الى اذربيجان ثم الى بلاد العجم وأمره بالسير الى الكرك وهى من أقطاعه ليتجهز منها
ويعود لشأنه فسار الى الكرك ومرض صلاح الدين بعده ومات فى صفر سنة تسع
وثمانين وخمسمائة لخمس وعشرين سنة من ملكه مصر رحمه الله تعالى وكان معه
بدمشق ابنه الافضل نور الدين والعساكر عنده فملك دمشق والساحل وبعلبك
وصرخد وبصرى وبانياس وشوش وجميع الاعمال الى الداروم وكان بمصر ابنه
العزيز عثمان فاستولى عليها وكان بحلب ابنه الظاهر غازى فاستولى عليها
وعلى أعمالها مثل حارم وتل باشر وعزاز وبرزية ودربساك وغيرها وأطاعه
صاحب حماة ناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر بن شيركوه وله مع حماة سلمية والمعرة
ومنبج وابن محمد بن شيركوه وله مع الرحبة حمص وتدمر وبعلبك بهرام شاه بن فرخشاه
ابن شاهنشاه ولقبه الامجد وبصرى الظافر بن صلاح الدين ولقبه الامجد مع أخيه
الافضل وشيرز سابق الدين عثمان بن الداية وبالكرك والشوبك الملك العادل وبلغ الخبر

الى

الى العادل فأقام بالكرك واستدعاه الافضل من دمشق فلم يجبه لخوفه ابن أخيه العزيز صاحب مصر من عز الدين صاحب الموصل وقد كان سار من الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة فوعده بالنصر منه وأوهمه الرسول ان لم يسر الى الافضل بدمشق أنه متوجه الى العزيز بمصر ليحالفه عليه فحينئذ ارتاب العادل وسار الى الافضل بدمشق فتلقاه بالميرة وجهز له العساكر لمدافعة عز الدين صاحب الموصل عن بلاد الجزيرة وأرسل الى صاحب حمص وصاحب حماة يحضهم على انفاذ العساكر معه وعبر بها الفرات وأقام بنواحي الرها وكان عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل لما بلغه وفاة صلاح الدين اعتزم على المسير الى بلاد العادل بالجزيرة حران والرها وسائرها ليرتجعها من يده ومجاهد الدين قايماز اتابك دولته يثنيه عن ذلك ويعذله فيه فتبين حال العادل مع ابن أخيه وبينما هو فى ذلك اذ جاءت الاخبار بأن العادل بحران ثم وافاهم كتابه بأن الافضل ملك بعد أبيه صلاح الدين وأطاعه الناس فكاتب عز الدين جيرانه من الملوك مثل صاحب سنجار وصاحب ماردين يستنجدهم وجاء اليه أخوه على نصيبين وسار معه الى الرها فأصابه المرض فى طريقه ورجع الى الموصل فمات أول رجب من السنة واستقرت ايالة العادل فى ملكه من الجزيرة فلم يهجه منها أحد والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(مسير العزيز من مصر الى حصار الافضل بدمشق وما استقر بينهم فى الولايات)

كان العزيز عثمان بن صلاح الدين قد استقر بمصر كما ذكرناه وكان موالى أبيه منحرفين عن الافضل ورؤساؤهم يومئذ جهاركس وقراجا وقد استقر بهم عدو الافضل والاكراد وموالى شيركوه شيعة له فكان العدو يعدون العزيز بهؤلاء الشيع ويخوفونه من أخيه الافضل ويغرونه بانتزاع دمشق من يده فسار لذلك سنة تسعين وخمسمائة ونزل على دمشق واستنزل الافضل وهو بأعماله بالجزيرة وسار لعمه العادل بنفسه وسار معه الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه صاحب حماة وشيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص وعساكر الموصل من قبل عز الدين مسعود بن مودود وساروا كلهم الى الافضل بدمشق لانجاده فامتنع على العزيز مرامه وتراسلوا فى الصلح على أن يكون القدس وأعمال فلسطين للعزيز وجبلة واللاذقية للظاهر صاحب حلب وتبقى دمشق وطبرية والغور للافضل وأن يستقر العادل بمصر مدبرا دولة العزيز على اقطاعه الاول وانعقد الصلح على ذلك ورجع العزيز الى مصر وعاد كل الى بلده والله تعالى أعلم

(حصار العزيز ثانيا دمشق وهزيمته)

ولما عاد العزيز الى مصر عاد موالى صلاح الدين الى اغرائه بأخيه الافضل فتجهز لحصاره بدمشق سنة احدى وتسعين وسار الافضل من دمشق الى عمه العادل بقلعة جعبر ثم الى أخيه الظاهر غازى بحلب مستنجدا لهما وعاد الى دمشق فوجد العادل قد سبقه اليها واتفقا على أن تكون مصر للافضل ودمشق للعادل ووصل العزيز الى قرب دمشق وكان الاكراد وموالى شيركوه منحرفين عنه كما قدمناه وشيعة للافضل ومقدمهم سيف الدين ابو بكر كوش من الموالى وأبو الهيجاء السمين من الاكراد فدلسا للافضل بالخروج الى العزيز وواعداه الهزيمة عنه فخرجا فى العساكر وانحازا اليهما الموالى والاكراد وانهزم العزيز الى مصر وبعث الافضل العادل الى القدس فتسلمه من نائب العزيز وساروا فى اتباعه الى مصر والعساكر متفقة على الافضل فارتاب العادل وخشى أن لايبقى له الافضل بما اتفقا عليه ولا يمكنه من دمشق فراسل العزيز بالثبات وأن ينزل حامية ووعدمن نفسه المظاهرة على أخيه وتكفل له منعه من مقاتلته ليسير فنزل العزيز بها فخر الدين جهاركس فى عسكر من موالى أبيه وأراد الافضل مناجزتهم فمنعه العادل فأراد الرحيل الى مصر فمنعه أيضا وقال له ان أخذت مصر عنوة انخرقت الهيبة وطمع فيها الاعداء والمطاولة أولى ودس الى العزيز بارسال القاضى الفاضل وكان مطاعا فيهم لمنزلته عند صلاح الدين فجاء اليهما وعقد الصلح بينهم على أن يكون للافضل القدس وفلسطين وطبرية والاردن مضافة الى دمشق ويكون للعادل كما كان القديم ويقيم بمصر عند العزيز يدبر أمره وتحالفوا على ذلك وعاد الافضل الى دمشق وأقام العادل عند العزيز بمصر انتهى والله أعلم

(استيلاء العادل على دمشق)

ثم ان العزيز استمال العادل وأطمعه فى دمشق أن يأخذها من أخيه ويسلمها اليه وكان الظاهر صاحب حلب يعذل الافضل فى موالاة عمه العادل ويعرضه على ابعاده فيلج فى ذلك ثم ان العادل والعزيز ساروا من مصر وحاصروا دمشق واستمالوا من أمراء الافضل أبا غالب الحمصى على وثوق الافضل به واحسانه اليه ففتح لهم الباب الشرقى عشى السابع والعشرين من رجب سنة اثنتين وتسعين فدخل العادل منه الى دمشق ووقف العزيز بالميدان الاخضر وخرج اليه أخوه الافضل ثم دخل الافضل دار شيركوه وأظهروا مصالحة الافضل خشية من جموعه وأعادوه الى القلعة وأقاموا بظاهر البلد والافضل يغاديهم كل يوم ويراوحهم حتى استفحل أمرهم فأمروه بالخروج من دمشق وتسليم أعمالها وأعطوه قلعة صرخد وملك العزيز

القلعة ونقل للعادل أنّ العزيز يريد أن يتردّد الى دمشق فجاء اليه وحمله على تسليم القلعة فسلمها وخرج الافضل الى رستاق له خارج البلد فأقام به وسار منه الى صرخد وعاد العزيز الى مصر وأقام العادل بدمشق والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه وأحكم

(فتح العادل يافا من الافرنج واستيلاء الافرنج على بيروت وحصارهم تبنين)

ولما توفي صلاح الدين وملك أولاده بعده جدّد العزيز الهدنة مع الكندهري ملك الافرنج كما عقد أبوه معه وكان الامير أسامة يقطع بيروت فكان يبعث الشوانى للاغارة على الافرنج وشكوا ذلك الى العادل بدمشق والعزيز بمصر فلم يشكياهم فأرسلوا الى ملوكهم وراء البحر يستنجدونهم فأمدّوهم بالعساكر وأكثرهم من الالمان ونزلوا بعكا واستنجد العادل بالعزيز فبعث اليه بالعساكر وجاءته عساكر الجزيرة والموصل واجتمعوا بعين جالوت وأقاموا رمضان وبعض شوّال من سنة ثلاث وتسعين ثم ساروا الى يافا فملكوا المدينة أولا وخربوها وامتنع الحامية بالقلعة فحاصروها وفتحوها عنوة واستباحوها وجاء الافرنج من عكا لصريخ اخوانهم وانتهوا الى قيسارية فبلغهم خبر وفاتهم وخبر وفاة الكندهري ملكهم بعكا فرجعوا ثم اعتزموا على قصد بيروت فسار العادل لتخريبها حذرا عليها من الافرنج فتكفل له اسامة عاملها بحمايتها وعاد ووصل اليها الافرنج يوم عرفة من السنة وهرب منها اسامة وملكوها وفرّق العادل العساكر فخربوا ما كان بقي من صيدا بعد تخريب صلاح الدين وعاثوا في نواحي صور فعاد الافرنج الى صور ونزل المسلمون على قلعة هونين ثم نازل الافرنج حصن تبنين في صفر سنة أربع وتسعين وبعث العادل عسكرا لحمايته فلم يغنوا عنه ونقب الافرنج أسواره فبعث العادل بالصريخ الى العزيز صاحب مصر فأغذ السير بعساكره وانتهى الى عسقلان في ربيع من السنة وكان المسلمون في تبنين قد بعثوا الى الافرنج من يستأمن لهم ويسلون لهم فأنذرهم بعض الافرنج بأنهم يغدرون بهم فعادوا الى حصنهم وأصرّوا على الامتناع حتى وصل العزيز الى عسقلان فاضطرب الافرنج لوصوله ولم يكن لهم ملك وانما كان معهم الجنصكير القسيس من أصحاب ملك الالمان والمرأة زوجة الكندهري فاستدعوا ملك قبرص واسمه هيري وهو أخ الملك الذى أسر بحطين فجاءهم وزوجوه بملكتهم فلما جاء العزيز وسار من عسقلان الى جبل الخليل وأطل على الافرنج وناوشهم القتال رجع الافرنج الى صور ثم الى عكا ونزلت عساكر المسلمين باللجون فاضطرب أمراء العزيز واجتمع جماعة منهم منهم ميمون القصري وقراسنقر والحجاب وابن المشطوب على الغدر بالعزيز ومدبر دولته فخر الدين جهاركس فأغذ السير الى مصر وتراسل العادل والافرنج في

الصلح وانعقد بينهم فى شعبان من السنة ورجع العادل الى دمشق وسار منها الى ماردين كما يأتى خبره والله تعالى أعلم

(وفاة طغتكين بن أيوب باليمن وملك ابنه اسمعيل ثم سليمان بن تقى الدين شاهنشاه)

قد كان تقدم لنا أن سيف الاسلام طغتكين بن أيوب سار الى المدينة سنة ثمان وسبعين بعد وفاة أخيه شمس الدولة توران شاه واختلاف نوابه باليمن واستولى عليها ونزل زبيد وأقام بها الى أن توفى فى شوال سنة ثلاث وتسعين وكان سيئ السيرة كثير الظلم للرعية جماعا للاموال ولما استفحل بها أراد الاستيلاء على مكة فبعث الملك الناصر الى أخيه صلاح الدين يمنعه من ذلك فمنعه ولما توفى ملك مكانه ابنه اسمعيل وبلغ المعز وكان أهوج فانتسب فى بنى أمية وادعى الخلافة وتلقب بالهادى ولبس الخضرة وبعث اليه عمه العادل بالملامة والتوبيخ فلم يقبل وأساء السيرة فى رعيته وأهل دولته فوثبوا به وقتلوه وتولى ذلك سيف الدين سنقر مولى أبيه ونصب أخاه الناصر سنة ثمان وتسعين فأقام بأمره ثم هلك سنقر لاربع سنين من دولته وقام مكانه غازى بن جبريل من أمرائهم وتزوج أم الناصر ثم قتل الناصر مسموما وثار العرب منه بغازى المذكور وبقى أهل اليمن فوضى واستولى على ظفار وبلاد حضرموت محمد بن محمد الحميرى واستبدت ام الناصر وملكت زبيد وبعثت فى طلب أحد من بنى أيوب تملكه على اليمن وكان للمظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه وقيل لاخيه سعد الدين شاهنشاه ابن اسمه سليمان ترهب ولبس المسوح ولقيه بالموسم بعض عليانها وبانه فتزوجته وملكته اليمن والله سبحانه وتعالى أعلم

(مسير العادل الى الجزيرة وحصاره ماردين)

كان نور الدين ارسلان شاه مسعود صاحب الموصل قد وقع بينه وبين قطب الدين محمد ابن عمه عماد الدين زنكى صاحب نصيبين والخابور والرقة وبين أبيه عماد الدين قبله فتنة بسبب الحدود فى تخوم أعمالهم فسار نور الدين اليه فى عساكره وملك منه نصيبين ولحق قطب الدين بحران والرها بايالة العادل بن أيوب وبعث اليه بالصريخ وهو بدمشق وبذل له الاموال فى انجاده فسار العادل الى حران وارتحل نور الدين من نصيبين الى الموصل وسار قطب الدين اليها فملكها وسار العادل الى ماردين فى رمضان من السنة فحاصرها وكان صاحبها حسام الدين بولو ارسلان بن أبى الغازى بن ألبابا تمرتاش ابن الغازى بن ارتق وهو صبى وكافله مولى النظام برتقش مولى أبيه والحكم له ودام حصاره عليها وملك الربض وقطع الميرة عنها ثم رحل عنها فى العام القابل

كما تقدم فى أخبار دولة زنكى والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(وفاة العزيز صاحب مصر وولاية أخيه الافضل)

ثم توفى العزيز عثمان بن صلاح الدين آخر محرم سنة خمس وتسعين وكان فخر الدين اياس
جهاركس مولى أبيه مستبدا عليه فأرسل العادل بمكانه من حصار ماردين يستدعيه
للملك وكان جهاركس هذا مقدم موالى صلاح الدين وكانوا منحرفين عن الافضل وكان
موالى صلاح الدين شيركوه والاكراد شيعة له وجمعهم جهاركس لينظر فى الولاية وأشار
بتولية ابن العزيز فقال له سيف الدين اياز كوش مقدم موالى شيركوه لا يصلح لذلك
لصغره الا أن يكفله أحد من ولد صلاح الدين لان رياسة العساكر صنعة واتفقوا على
الافضل ثم مضوا الى القاضى الفاضل فأشار بذلك أيضا وأرسل اياز كوش يستدعيه
من صرخد فسار آخر صفر من السنة ولقيه الخبر فى طريقه بطاعة القدس له وخرج
أمراء مصر فلقوه ببلبيس وأضافه أخوه المؤيد مسعود وفخر الدين جهاركس ودولة
العزيز فقدم أخاه وارتاب جهاركس واستأذنه فى المسير ليصلح بين طائفتين من العرب
اقتتلا فأذنه فسار فخر الدين الى القدس وتملكه ولحقه جماعة من موالى صلاح الدين
منهم قراجا الدكرمس وقراسنقر وجاءهم ميمون القصرى فقويت شوكتهم به
واتفقوا على عصيان الافضل وأرسلوا الى الملك العادل يستدعونه فلم يجب لاجابتهم
لطمعه فى أخذ ماردين وارتاب الافضل بموالى صلاح الدين وهو شقيرة وايبك مطيش
والبكى ولحق جماعة منهم بأصحابهم بالقدس وأرسل الافضل اليهم فى العود على
ما يختارونه فامتنعوا وأقام هو بالقاهرة وقرر دولته وقدم فيها سيف الدين **اياز كوش**
والملك لابن أخيه العزيز عثمان وهو كافل له لصغره وانتظمت أمورهم على ذلك انتهى
والله سبحانه وتعالى أعلم

(حصار الافضل دمشق وعوده عنها)

ولما انتظمت الامور للافضل بعث اليه الظاهر غازى صاحب حلب وابن عمه شيركوه
ابن محمد بن شيركوه صاحب حمص يغريانه بملك دمشق لغيبة العادل عنها فى حصار
ماردين ويعدانه المظاهرة فسار من منتصف السنة ووصل الى دمشق منتصف شعبان
وسبقه العادل اليها وترك العساكر مع ابنه الكامل على ماردين ولما نزل الافضل على
دمشق وكان معه الامير مجد الدين أخو عيسى الهكارى فداخل قوما من الاجناد
فى دمشق فى أن يفتحوا له باب السلامة ودخل منه هو والافضل سرا وانتهوا الى باب
البريد ففطن عسكر العادل لقلتهم وانقطاع مددهم فتراجعوا وأخرجوهم ونزل

الافضل عبدان الحصار وضعف أمره واعصوصب الاكراد من عساكره فارتاب بهم الآخرون وانحازوا عنهم فى المعسكر ووصل شيركوه صاحب حمص ثم الظاهر صاحب حلب آخر شعبان وأول رمضان لمظاهرة الافضل وارسل العادل الى موالى صلاح الدين بالقدس فساروا اليه وقوى بهم ويئس الافضل وأصحابه وخرج عساكر دمشق ليبيتوهم فوجدوهم حذرين فرجعوا وجاء الخبر الى العادل بوصول ابنه محمد الكامل الى حران فاستدعاه ووصل منتصف صفر سنة ست وتسعين فمنذ ذلك رحلت العساكر عن دمشق وعاد كل منهم الى بلاده انتهى والله أعلم

(افراج الكامل عن ماردين)

قد كان تقدم لنا مسير العادل الى ماردين وسار معه صاحب الموصل وغيره من ملوك الجزيرة وديار بكر وفى نفوسهم غصص من تغلب العادل على ماردين وعليهم فلما عاد العادل الى دمشق لمدافعة الافضل وترك ابنه الكامل على حصار ماردين واجتمع ملوك الجزيرة وديار بكر على مدافعته عنها وسار نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وابن عمه قطب الدين محمد بن زنكى صاحب سنجار وابن عمه قطب الدين سنجارشاه بن غازى صاحب جزيرة ابن عمر واجتمعوا كلهم بدنيسر حتى قضوا عيد الفطر وارتحلوا سادس شوّال وقاربوا جبل ماردين وكان أهل ماردين قد اشتدّ عليهم الحصار وبعث النظام رتقش صاحبها الى الكامل بتسليم القلعة على شروط اشترطها الى أجل ضربه وأذن لهم الكامل فى ادخال الاقوات فى تلك المدّة ثم جاءه الخبر بوصول صاحب الموصل ومن معه فنزل القائم للقائهم وترك عسكرا بالربض وبعث قطب الدين صاحب سنجار الى الكامل ووعده بالانهزام فلم يغن ولما التقى الفريقان حمل صاحب الموصل عليهم مستميتا فانهزم الكامل وصعد الى الربض فوجد أهل ماردين قد غلبوا عسكره الذى هنالك ونهبوا مخلفهم فارتحل الكامل منتصف شوّال مجفلا ولحق بميافارقين وانتهب أهل ماردين مخلفه ونزل صاحبها فلقى صاحب الموصل وعاد الى قلعته وارتحل صاحب الموصل الى رأس عين لقصد حران والرها وبلاد الجزيرة من بلاد العادل فلقيه هنالك رسول الظاهر صاحب حلب يطلبه فى السكة والخطبة فارتاب لذلك وكان عازما على نصرتهم فقعد عنهم وعاد الى الموصل وأرسل الى الافضل والظاهر يعتذر بعرض طرقه وهم يومئذ على دمشق ووصل الكامل من ميافارقين الى حران فاستدعاه أبوه من دمشق وسار اليه فى العساكر وأفرج عنه الافضل والظاهر والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء العادل على مصر)

ولما رحل الافضل والظاهر الى بلادهم تجهز العادل الى مصر وأغراه موالى صلاح الدين بذلك واستحلفوه على أن يكون ابن العزيز معه كاوهو كافله وبلغت الاخبار بذلك الى الافضل وهو فى بلبيس فسار منها ولقيهم فانهزم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست وتسعين ودخل القاهرة ليلا وحضر الصلاة على القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى توفى تلك الليلة وسار العادل لحصار القاهرة وتخاذل أصحاب الافضل عنه فأرسل الى عمه فى الصلح وتسليم الديار المصرية له على أن يعوضه دمشق أو بلاد الجزيرة وهى حران والرها وسروج فلم يجبه وعوضه ميافارقين وجبال نور وتحالفوا على ذلك وخرج الافضل من القاهرة ثامن عشر ربيع واجتمع بالعادل وسار الى بلده صرخد ودخل العادل القاهرة من يومه ولما وصل الافضل صرخد بعث من يتسلم البلاد التى عوضه العادل وكان بها ابنه نجم الدين أيوب فامتنع من تسليم ميافارقين وسلم ماعداها وردد الافضل رسله فى ذلك الى العادل فزعم أن ابنه عصاه فعلم الافضل أنه أمره واستفحل العادل فى مصر وقطع خطبة المنصور بن العزيز وخطب لنفسه واعترض الجند وخصصهم بالمحو والاثبات فاستوحشوا لذلك وبعث العادل فخر الدين جهاركس مقدم الموالى صلاح الدين فى عسكر الى بانياس ليحاصرها ويملكها لنفسه فقصل من مصر للشأم فى جماعة الموالى الصلاحية وكان بها الامير بشارة من أمراء الترك ارتاب العادل بطاعته فبعث العساكر اليه مع جهاركس والله تعالى أعلم

(مسير الظاهر والافضل الى حصار دمشق)

ولما قطع العادل خطبة المنصور بن العزيز بمصر استوحش الامراء لذلك ولما كان منه فى اعتراض الجند فراسلوا الظاهر بحلب والافضل بصرخد ان يحاصرا دمشق فيسير اليهما الملك العادل فيتأخرون عنه بمصر ويقومون بدعوتهما ونمى الخبر الى العادل وكتب به اليه الامير عز الدين أسامة جاء من الحج ومر بصرخد فلقيه الافضل ودعاه الى أمرهم وأطلعه على ماعنده فكتب به الى العادل وأرسل العادل الى ابنه المعظم عيسى بدمشق يأمره بحصار الافضل بصرخد وكتب الى جهاركس بمكانه من حصار بانياس والى ميمون القصرى صاحب نابلس بالمسير معه الى صرخد ففر منهما الافضل الى أخيه الظاهر بحلب فوجده يتجهز لانه بعث أميرا من أمرائه الى العادل فرده من طريقه فسار الى منبج فملكها ثم قلعة نجم كذلك وذلك سلخ رجب من سنة سبع وتسعين وسار المعظم بقصد صرخد وانتهى الى بصرى وبعث عن جهاركس والذين معه على بانياس فغالطوه ولم يجيبوه فعاد الى دمشق وبعث اليهم الامير أسامة يستحثهم فأغلظوا له فى القول وتناوله البكامنهم وثاروا به جميعا فتذمم لميمون القصرى منهم فأمنه وعاد الى

دمشق ثم ساروا الى الظاهر بحصر بن صلاح الدين وأرسلوا من صرخد واستحثوا الظاهر
والافضل للوصول فتباطا الظاهر عنهم وسار من مصر الى حماة فحاصرها حتى صالحه
صاحبها ناصر الدين محمد على ثلاثين ألف دينار صورية فارتحل عنها تاسع رمضان الى
حمص وبعده أخوه الافضل ومنها الى بعلبك الى دمشق ووافاه هنالك الموالى
الصلاحية مع الظاهر بحصر بن مولاهم وكان الوفاق بينهم اذا ملكوا دمشق أن تكون
بيد الافضل فاذا ملكوا مصر سار اليها وبقيت للظاهر وأقطع الافضل صرخد لمولى
أبيه زين الدين قراجا وأخرج أهله منها الى حمص عند شيركوه بن محمد بن شيركوه
وكان العادل قد سار من مصر الى الشأم فانتهى الى نابلس وبعث عسكرا الى دمشق
ووصلوا قبل وصول هذه العساكر فلما وصلوها قاتلوها يوما وثانيه منتصف ذى القعدة
وأشرفوا على أخذها فبعث الظاهر الى الافضل بأن دمشق تكون له فاعتذر بأن أهله
فى ضرر مستقر ولعلهم يأوون الى دمشق فى خلال ما يملك مصر فلج الظاهر فى ذلك وكان
الموالى الصلاحية مشتملين على الافضل وشيعة له فخيرهم بين المقام والانصراف ولحق
فخر الدين جهاركس وقراجا بدمشق فامتنعت عليهم وعادوا الى تجديد الصلح مع العادل
على أن يكون للظاهر منبج وافامية وكفرطاب وبعض قرى المعرة والافضل له ميساط
وسروج ورأس عين وحملين وتم ذلك بينهم ورحلوا عن دمشق فى محرم سنة ثمان وتسعين
وسار الظاهر الى حلب والافضل الى حمص فأقام بها عند أهله ووصل العادل الى
دمشق فى تاسوعاء وجاءه الافضل فلقيه بظاهر دمشق وعاد الى بلاده فتسلمها وكان
الظاهر والافضل لما اصطلحا من منبج الى دمشق بعثا الى نور الدين صاحب الموصل
أن يقصد بلاد العادل بالجزيرة وكانت بينه وبينهما وبين صاحب ماردين يمين واتفاق
على العادل مسدملك مصر مخافة أن يطرق أعمالهم فسار نور الدين عن الموصل
فى شعبان ومعه ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار وعسكر ماردين ونزلوا رأس عين
وكان صران الفائز بن العادل فى عسكر يحفظ أعمالهم بالجزيرة فبعث الى نور الدين
فى الصلح ووصل الخبر بصلح العادل مع الظاهر والافضل فأجابهم نور الدين الى الصلح
واستحلفوا وبعث ارسلان من عنده الى العادل فاستحلفوه أيضا وصحت الحال والله
تعالى ولى التوفيق

* (حصار ماردين ثم الصلح بين العادل والاشرف) *

ثم بعث الملك العادل ابنه الاشرف موسى فى العساكر لحصار ماردين فسار اليها ومعه
عساكر الموصل وسنجار ونزلوا بالحريم تحت ماردين وسار عسكر من قلعة المازغية من
أعمال ماردين لقطع الميرة عن عسكر الاشرف فلقيهم جماعة من عسكر الاشرف

وهزموهم وأفسد التركمان السابلة في تلك النواحي وامتنع على الاشرف قصده فتوسط الظاهر غازي في الاصلاح بينهم على أن يحمل صاحب ماردين للعادل مائة وخمسين ألف دينار والدينار أحد عشر قيراطا من الاميري ويخطب له ببلاده ويضرب السكة باسمه وتعسكر طائفة من جنده معه متى دعاهم لذلك فأجاب العادل وتم الصلح بينهما ورحل الاشرف عن ماردين والله أعلم

(أخذ البلاد من يد الافضل)

قد كان تقدم أن الظاهر والافضل لما صالحا العادل سنة سبع وتسعين أخذ الافضل سميساط وسروج ورأس عين وحملين وكانت بيده معها قلعة نجم التي ملكها الظاهر بين يدي الحصار قبل الصلح ثم استرد العادل البلاد من يد الافضل سنة تسع وتسعين وأبقى له سميساط وقلعة نجم فطلب الظاهر قلعة نجم على أن يشفع له عند العادل في رد ما أخذ منه فلم يجب فتم ذدره ولم تزل الرسل تتردد بينهما حتى سلمها اليه في شعبان من السنة وبعث الافضل أمه الى العادل في رد سروج ورأس عين عليهم فلم يشفعها فبعث الافضل الى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم بطاعته وأن يخطب له فبعث اليه بالخلعة وخطب له الافضل في سميساط سنة ستمائة وسار من جملة نوابه في أعماله وفي سنة تسع وتسعين هذه خاف على مصر محمود بن العزيز صاحب مصر بعث العساكر الى الرها لانه لما اقطع خطبته من مصر سنة ست وتسعين خاف على مصر من شيعة أبيه فأخرجه سنة ثمان وتسعين الى دمشق ثم نقله في هذه السنة الى الرها ومعه اخوانه وأمه وأهله فأقاموا بها. والله أعلم

(واقعة الاشرف مع صاحب الموصل)

كانت الفتنة متصلة بين نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وبين ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار واستمال العادل بن أيوب قطب الدين فخطب له بأعماله وسار اليه نور الدين غيرة من ذلك فحاصر نصيبين في شعبان من سنة ستمائة وبعث قطب الدين يستمد الاشرف موسى بن العادل وهو بحران فسار الى رأس عين لامداده ومدافعة نور الدين عنه بعد أن اتفق على ذلك مع مظفر الدين صاحب اربل وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب كيفا وآمد ففارق نور الدين نصيبين وسار اليها الاشرف وجاء أخوه نجم الدين صاحب ميافارقين وصاحب كيفا وصاحب الجزيرة وسنجار واجتمعا الى بلد البقعا ونور الدين صاحب الموصل قد انصرف من تل اعفر وقد ملكها الى كفر زمان معتزما على مطاولتهم الى أن يفترقوا ثم أغراه بعض مواليه كان بعثه عينا عليهم فقللهم في عينه

وحرضه على معاجلتهم باللقاء فسار الى نوشرا ونزل قريبا منهم ثم ركب لقتالهم واقتتلوا
فانهزم نور الدين ولحق بالموصل ونزل الاشرف وأصحابه كفر زمان وعاثوا في البلاد
واكتسحوها وترددت الرسل بينهم في الصلح على أن يعيد نور الدين على قطب الدين قلعة
تل اعفر التي أخذها له وتم ذلك سنة احدى وستمائة وعاد الى بلده والله تعالى أعلم

(وصول الافرنج الى الشام والصلح معهم)

ولما ملك الافرنج القسطنطينية من يد الروم سنة احدى وستمائة تكالبوا على البلاد
ووصل جمع منهم الى الشام وأرسوا بعكا عازمين على ارتجاع القدس من المسلمين
ثم ساروا الى نواحي الاردن فاكتسحوها وكان العادل بدمشق استنفر العساكر من
الشام ومصر وسار ونزل بالطور قريبا من عكا لمدافعتهم وهم قبالته بمرج عكا وساروا
الى كفركنا فاستباحوه ثم انقضت سنة احدى وستمائة وتراسلوا في المهادنة على
أن ينزل لهم العادل عن كثير من مناصف الرملة وغيرها ويعطيهم   وغيرها
وتم ذلك بينهم وسار العادل الى مصر وقصد الافرنج حماة وقاتلهم صاحبها ناصر الدين
محمد فهزموه وأقاموا أياما عليها ثم رجعوا والله تعالى أعلم

(غارة ابن ليون على أعمال حلب)

قد تقدم لنا ذكر ابن ليون ملك الارمن وصاحب الدروب فأغار سنة ثنتين وستمائة على
أعمال حلب واكتسحها واتصل ذلك به فجمع الظاهر غازي صاحب حلب ونزل على
خمسة فراسخ من حلب وفي مقدمته ميمون القصري من موالي أبيه منسوبا الى قصر
الخلفاء بمصر ومنه كان أبوه وكان الطريق الى بلاد الارمن متعذرا من حلب لتوعر
الجبال وصعوبة المضايق وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده مما يلي حلب ومن
ثغورها قلعة دربساك فخشي الظاهر عليها منه وبعث اليها مددا وأمر ميمون القصري
أن يشيعه بطائفة من عسكره ففعل وبقي في خف من الجند ووصل خبره الى ابن ليون
فكبس القصري ونال منه ومن المسلمين وانهزموا أمامه فظفر بأثقالهم ورجع فلقي
في طريقه المدد الذي بعث الى دربساك فهزمهم وظفر بما كان معهم وعاد الارمن الى
بلادهم فاعتصموا بحصونهم والله تعالى أعلم

(استيلاء نجم الدين بن العادل على خلاط)

كان العادل قد استولى على ميافارقين وأنزل بها ابنه الاوحد نجم الدين ثم استولى
نجم الدين على حصون من أعمال خلاط وزحف اليها سنة ثلاث وستمائة وقد استولى
عليها بلبان مولى شاه أرمن فقاتله وهزمه وعاد الى ميافارقين مهزوما ثم دخلت سنة أربع

وستمائة وملك مدينة سوس وغيرها وأمده أبوه العادل بالعساكر فقصد خلاط وسار اليه بليان فهزمه نجم الدين وحاصره بخلاط وبعث بليان الى مغيث الدين طغرل شاه ابن قليج ارسلان صاحب ارزن الروم يستنجده فجاء في عساكره واجتمع مع بليان وانهزم نجم الدين ونزلا على مدينة تلبوس فحاصراها ثم غدر طغرل شاه بليان وقتله وسار الى خلاط ليملكها فطرده أهلها فسار الى ملازكرد فامتنعت عليه فعاد الى بلاده وأرسل أهل خلاط الى نجم الدين فملكوه خلاط وأعمالها وخافه الملوك المجاورون له وملك الكرك وتابعوا الغارات على بلاده فلم يخرج اليهم خشية على خلاط واعتزل جماعة من عسكر خلاط فاستولوا على حصن وان من أعظم الحصون وأمنعها فعصوا على نجم الدين واجتمع اليهم جمع كثير وملكوا مدينة ارجيش واستمد نجم الدين على خلاط وأعمالها وعاد أخوه الاشرف الى أعماله بحران والرها ثم سار الاوحد نجم الدين الى ملازكرد ليرتب أحوالها فوثب أهل خلاط على عسكره فأخرجوهم وحصروا أصحابه بالقلعة ونادوا بشعار بنى شاهرين وعاد نجم الدين اليهم وقد وافاه عسكر من الجزيرة فقوى بهم وحاصر خلاط واختلف أهلها فملكها واستلحم أهلها وحبس كثيرا من أعيانها كانوا فارين وذل أهل خلاط لبنى أيوب بعد هذه الوقعة الى آخر الدولة والله تعالى أعلم

(غارات الافرنج بالشأم)

كان الافرنج بالشأم قد أكثروا الغارات سنة أربع وستمائة بعد ثبات ما ملكوا القسطنطينية واستفحل ملكهم فيها فأغار أهل طرابلس وحصن الاكراد منهم على حمص وأعمالها وعجز صاحبها شيركوه بن محمد بن شيركوه عن دفاعهم واستنجد عليهم فأنجده الظاهر صاحب حلب بعسكر أقاموا عنده للمدافعة عنه وأغار أهل قبرص في البحر على اسطول مصر فظفروا منه بعدة قطع وأسروا من وجدوا فيها وبعث العادل الى صاحب عكا يحتج عليه بالصلح فاعتذر بأن أهل قبرص في طاعة الافرنج الذين بالقسطنطينية وأنه لا حكم له عليهم فخرج العادل في العساكر الى عكا حتى صالحه صاحبها على اطلاق أسرى من المسلمين ثم سار الى حمص ونازل القلعتين عند بحيرة قدس ففتحه وأطلق صاحبه وغنم مافيه وخربه وتقدم الى طرابلس فاكتسح نواحيها اثنى عشر يوما وعاد الى بحيرة قدس وراسله الافرنج في الصلح فلم يجبهم وأظله الشتاء فأذن لعساكر الجزيرة في العود الى بلادهم وترك عند صاحب حمص عسكرا أنجده بهم وعاد الى دمشق فشتى بها والله أعلم

(غارات الكرج على خلاط وأعمالها وملكهم ارجيش)

ولما ملك الاوحد نجم الدين خلاط كما ذكرنا ردد الكرج الغارات على أعمالها وعاثوا فيها ثم ساروا سنة خمس وستمائة الى مدينة ارجيش فحاصروها وملكوها عنوة واستباحوها وخربوها وسار نجم الدين عن لقائهم ومدافعتهم الى أن انتقض عليه أهل خلاط لما فارقها ووقع بينه وبينهم ما ذكرنا ثم سار الكرج سنة ست الى خلاط وحاصروها وحاربهم الاوحد وهزمهم وأسر ملكهم ثم فادى بمائة ألف دينار وخمسة آلاف أسير وعلى الهدنة مع المسلمين وأن يزوج بنته من الاوحد فانعقد ذلك والله تعالى أعلم بغيبه

(استيلاء العادل على الخابور ونصيبين من أعمال سنجار وحصارها)

قد تقدم لنا أن قطب الدين زنكي بن محمود بن مودود صاحب سنجار والخابور ونصيبين وما اليها كانت بينه وبين ابن عمه نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة وفتنة متصلة وزوج نور الدين صاحب الموصل بنته من ابن العادل بن أيوب سنة خمس وستمائة واتصل بهم ما ذلك فزين له وزراؤه وأهل دولته أن يستنجد بالعادل على جزيرة ابن عمر وأعمالها التى لابن عمه سنجر شاه ابن غازى ابن مودود فتكون الجزيرة بكمالها مضافة الى الموصل وملك العادل سنجار وما اليها وهي ولاية قطب الدين فتمكن له فأجاب العادل الى ذلك وأمد بعثه الى ملك الموصل وأطمع نور الدين فى ايالة قطب الدين اذا ملكها تكون لابنه الذى هو صهره على ابنته وتكون عنده بالموصل وسار العادل بعساكره سنة ست وستمائة وقصد الخابور فملكه ونصيبين فتبين لنور الدين صاحب الموصل حينئذ انه لا مانع منه وندم على ما فرط فى رأيه من وفادته ورجع الى الاستعداد للحصار وخوفه الوزراء والحاشية أن ينقض على العادل فسد رأيه وسار العادل من الخابور الى نصيبين فملكها وقام يدافعه عن قطب الدين وحماية البلد من الامير أحمد بن برتقش مولى أبيه وشرع نور الدين فى تجهيز العساكر مع ابنه القاهر مددا للعادل وبعث قطب الدين صاحب سنجار ابنه مظفر الدين يستشفع به الى العادل لمكانه منه وأثره فى موالاته فشفع ولم يشفعه العادل فراسل نور الدين صاحب الموصل فى الاتفاق على العادل فأجابه وسار بعساكره من الموصل واجتمع مع نور الدين بظاهرها واستنجد بصاحب حلب الظاهر وصاحب بلاد الروم كيخسرو ونداءوا الى الحركة الى بلاد العادل ان امتنع من الصلح والابقاء على صاحب سنجار وبعثوا الى الخليفة الناصر أن يأمر العادل فبعث اليه أستاذداره أبا نصر هبة الله بن المبارك بن الضحاك والامير اقباش من خواص مواليه فأجاب الى

ذلك ثم غالطهم وذهب الى المطاولة ثم صالحهم على سنجار فقط وله ما أخذوتحالفوا على ذلك وعاد كل الى بلده ثم قبض المعظم عيسى سنة عشر وستمائة على الامير أسامة بأمر أبيه العادل وأخذ منه حصن كوكب وعجلون وكانا من أعماله فخربهما وحصن اردن بالكوكب وبنى مكانه حصنا قرب عكا على جبل الطور وشحنه بالرجال والاقوات والله تعالى أعلم

(وفاة الظاهر صاحب حلب وولاية ابنه العزيز)

لما توفى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين بن أيوب صاحب حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام فى جمادى الاخيرة سنة ثلاث عشرة وكان مرهف الحد ضابطا جماعة للاموال شديد الانتقام محسنا للقضاة وعهد بالملك لابنه الصغير محمد بن الظاهر وهو ابن ثلاث سنين وعدل عن الكبير لان أمه بنت عمه العادل ولقبه العزيز غياث الدين وجعل أتابكه وكافله وخادمه طغرلبك ولقبه شهاب الدين وكان خيرا صاحب احسان ومعروف فأحسن كفالة الولد وعدل فى سيرته وضبط الايالة بجميل نظره والله أعلم

(ولاية مسعود بن الكامل على اليمن)

ولما ملك سليمان بن المظفر على اليمن سنة تسع وتسعين وخمسمائة أساء الى زوجته أم الناصر التى ملكته وضارها وأعرض عنها واستبد بملكه وملأ الدنيا ظلما وأقام على ذلك ثلاث عشرة سنة ثم انتقض على العادل وأساء معاملته وكتب اليه بعض الاحيان انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب العادل الى ابنه الكامل أن يبعث العساكر الى اليمن مع وال من قبله فبعث ابنه المسعود يوسف واسمه بالتركى اقسنس فى العساكر سنة ثنتى عشرة وستمائة فملك اليمن وقبض على سليمان شاه وبعث به معتقلا الى مصر فلم يزل بها الى أن استشهد فى حروب دمياط مع الافرنج أعوام تسع وأربعين وطالت أيام مسعود باليمن وحج سنة تسع عشرة وقدم أعلام أبيه على أعلام الخليفة الناصر فكتب الناصر يشكوه الى أبيه فكتب اليه أبوه الكامل برئت من العادل يا أخس ان لم أقطع عينك فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك ولا حول ولا قوة الا بالله فاستعتب الى أبيه وأعتبه ثم غلب سنة ست وعشرين على مكة من يد الحسن بن قتادة سيد بنى ادريس بن مطاعن من بنى حسن وولى عليها وعاد الى اليمن فهلك بقية السنة وغلب على أمر اليمن بعده على بن رسول أستاذداره ونصب للملك ابنه الاشرف موسى وكفله ثم هلك موسى واستبد ابن رسول باليمن وأورثه بنيه فكانت لهم دولة اتصلت لهذا العهد كما نذكره فى أخبارها ان شاء الله تعالى

وصول الافرنج من وراء البحر الى سواحل الشام ومسيرهم الى دمياط وحصارها واستيلاؤهم عليها

كان صاحب رومة أعظم ملوك الافرنج بالعدوة الشمالية من البحر الرومي وكانوا
كلهم يدينون بطاعته وبلغه اختلال أحوال الافرنج بساحل الشام وظهور المسلمين
عليهم فانتدب الى امدادهم وجهز اليهم العساكر فامتثلوا أمره من ايالته وتقدم الى
ملوك الافرنج أن يسيروا بأنفسهم أو يرسلوا العساكر فامتثلوا أمره وتوافت الامداد
الى عكا من سواحل الشام سنة أربع عشرة وسار العادل من مصر الى الرملة وبرز
الافرنج من عكا ليصدوه فسار الى نابلس يسابقهم الى أطراف البلاد ويدافعهم عنها
فسبقوه ونزل هو على بيسان من الاردن وزحف الافرنج لحربه في شعبان من السنة
وكان في خف من العساكر فأحجم عن لقائهم ورجع الى دمشق ونزل مرج الصفر
واستدعى العساكر ليجتمعوا بها وانتهب الفرنج مخلفه في بيسان واكتسحوا ما بينها وبين
بانياس ونازلوا بانياس ثلاثا ثم عادوا الى مرج عكا بعد أن خربوا تلك الاعمال
وامتلأت أيديهم من نهبها وسباياها ثم ساروا الى صور ونهبوا صيدا والشقيف على
فرسخين من بانياس وعادوا الى عكا بعد عيد الفطر ثم حاصروا حصن الطور على جبل
قريب من عكا كان العادل اختطها فحاصروها سبعة عشر يوما وقتل عليها بعض
ملوكهم فرجعوا عنها وبعث العادل ابنه المعظم عيسى الى حصن الطور فخربها
لئلا يملكها الافرنج ثم سار الافرنج من عكا في البحر الى دمياط وأرسوا ساحلها
في صفر والنيل بينهم وبينها وكان على النيل برج حصين تمر منه الى سور دمياط سلاسل
من حديد محكمة تمنع السفن من البحر الملح أن تصعد في النيل الى مصر فلما نزل الافرنج
ذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سورا بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط
واستكثروا من آلات الحصار وبعث العادل الى ابنه الكامل بمصر أن يخرج
في العساكر ويقف قبالتهم ففعل وخرج من مصر في عساكر المسلمين ونزل قريبا من
دمياط بالعادلية وألح الافرنج على قتال ذلك البرج أربعة أشهر حتى ملكوه
ووجدوا السبيل الى دخول النيل ليتمكنوا من النزول على دمياط فبنى الكامل عوض
السلاسل جسرا عظيما يمانع الداخلين الى النيل فقاتلوا عليه قتالا شديدا حتى قطعوه
وأمر الكامل بمراكب مملوأة بالحجارة وخرقوها وغرقوها وراء الجسر تمنع المراكب
من الدخول الى النيل فعدل الافرنج الى خليج الازرق وكان النيل يجري فيه قديما
فحفروه فوق الجسر وأجروا فيه الماء الى البحر وأصعدوا مراكبهم الى
قبالة معسكر المسلمين ليتمكنوا من قتالهم لان دمياط كانت حاجزة بينهم فاقتتلوا معهم

وهم

وهم فى مراكبهم فلم يظفروا والميرة والامداد متصلة الى دمياط والنيل حاجز بينهم وبين الافرنج فلا يحصل لهم من الحصار ضيق ثم بلغ الخبر بموت العادل فاختلف العسكر وسعى مقدم الامراء عماد الدين أحمد بن سيف الدين على بن المشطوب الهكارى فى خلع الكامل وولاية أخيه الاصغر الفائز ونمى الخبر الى الكامل فأسرى من ليلته الى اشمون طناح وتفقده المسلمون من الغد فأجفلوا ولحقوا بالكامل وخلفوا اسوادهم بما فيه فاستولى عليه الافرنج وعبروا النيل الى البر المتصل بدمياط وجالوا بينها وبين أرض مصر وفسدت السابلة بالاعراب وانقطعت الميرة عن دمياط واشتد الافرنج فى قتالها وهى فى قلة من الحامية لاجفال المسلمين عنها بغتة ولما جهدهم الحصار وتعذر عليهم القوت استأمنوا الى الافرنج فملكوها آخر شعبان سنة ست عشرة وبثوا سراياهم فيما جاورها فأقفروه ورجعوا الى عمارة دمياط وتحصينها وأقام الكامل قريبا منهم لحماية البلاد وبنى المنصورة بقرب مصر عند مفترق البحر من جهة دمياط والله تعالى أعلم

(وفاة العادل واقتسام الملك بين بنيه)

قد ذكرنا خبر العادل مع الافرنج الذين جاؤا من وراء البحر الى سواحل الشأم سنة أربع عشرة وما وقع بينه وبينهم بعكا وبيسان وانه عاد الى مرج الصفر قريبا من دمشق فأقام به فلما سار الافرنج الى دمياط انتقل هو الى خانقين فأقام بها ثم مرض وتوفى سابع جمادى الاخيرة سنة خمس عشرة وستمائة لثلاث وعشرين سنة من ملكه دمشق وخمس وسبعين من عمره وكان ابنه المعظم عيسى بنابلس فجاء ودفنه بدمشق وقام بملكها واستأثر بخزائنه من المال والسلاح وكان لا يعبر عنه يقال كان المال العين فى سترته سبعمائة ألف دينار وكان ملكا حليما صبورا مستبدا صاحب افادة وخديعة منجمة فى أحواله وكان قد قسم البلاد فى حياته بين بنيه فمصر للكامل ودمشق والقدس وطبرية والكرك وما اليها للمعظم عيسى وخلاط وما اليها وبلاد الجزيرة غير الرها ونصيبين وميافارقين للاشرف موسى والرها وميافارقين لشهاب الدين غازى وقلعة جعبر للخضر ارسلان شاه فلما توفى استقل كل منهم بعمله وبلغ الخبر بذلك الى الملك الكامل بمكانه قبالة الافرنج بدمياط فاضطرب عسكره وسعى المشطوب كما تقدم فى ولاية أخيه الفائز ووصل الخبر بذلك الى أخيه المعظم عيسى فأغذ السير من دمشق اليه بمصر وأخرج المشطوب الى الشأم فلحق بأخيهما الاشرف وصار فى جملته واستقام للكامل ملكه بمصر ورجع المعظم من مصر فقصد القدس فى ذى القعدة من السنة وخرب أسواره حذرا عليه من الافرنج وملك الافرنج دمياط كما ذكرناه وأقام

الكامل فسالتهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(وفاة المنصور صاحب حماة وولاية ابنه الناصر)

قد تقدم لنا أن صلاح الدين كان قد أقطع تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه مدينة حماة وأعمالها ثم بعثه الى الجزيرة سنة سبع وثمانين فملك حران والرها وسروج وميافارقين وما اليها من بلاد الجزيرة فأقطعه اياها صلاح الدين ثم سار الى بلاد ارمينية ليملكها وحاصر صاحب خلاط وحاصرها ثم انتقل الى حصار ملازكرد وهلك عليها تلك السنة وولي ابنه ناصر الدين محمد ويلقب المنصور على أعماله ثم انتزع صلاح الدين منه بلاد الجزيرة وأقطعها أخاه العادل وأبقى حماة وأعمالها بيد ناصر الدين محمد المذكور فلم تزل بيده الى أن توفي سنة سبع عشرة وستمائة لثمان وعشرين سنة من ولايته عليها بعهد ملك عم أبيه صلاح الدين والعادل وكان ابنه ولي عهده المظفر عند العادل بمصر وابنه الآخر قليج ارسلان عند المعظم عيسى بمكانه من حصاره فاستدعاه أهل دولته بحماة واشترط المعظم عليه مالا يحمله وأطلقه اليهم فملكها وتلقب الناصر وجاء أخوه ولي العهد من مصر فدافعه أهل حماة فرجع الى دمشق عند المعظم وكاتبهم واستمالهم فلم يجيبوه ورجع الى مصر والله تعالى أعلم

(مسير صاحب بلاد الروم الى حلب وانهزامه ودخولها في طاعة الأشرف)

قد كنا قدمنا وفاة الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب وسبع سنة ثلاث عشرة وولاية ابنه الاصغر محمد العزيز غياث الدين في كفالة طغرل الخادم مولى أبيه الظاهر وان شهاب الدين هذا الكافل أحسن السيرة وأفاض العدل وعف عن أموال الرعية ورد السعاية فيهم بعضهم على بعض وكان بحلب رجلان من الاشرار يكثران السعاية عند الظاهر ويغريان بالناس ولقي الناس منهما شدة فأبعدهما شهاب الدين فيمن أبعد من أهل الشر ورد عليهم السعاية فكسدت سوقهما وتناولهما الناس بالالسنة والوعيد فلحقا ببلاد الروم وأطمعا صاحبها كيكاوس في ملك حلب وما بعدها ثم رأى ان ذلك لا يتم الا أن يكون معه بعض بني أيوب لينقاد أهل البلاد اليه وكان الافضل بن صلاح الدين بسميساط وقد دخل في طاعة كيكاوس غضبا من أخيه الظاهر وعمه العادل بما انتزعا من أعماله فاستدعاه كيكاوس وطلبه في المسير على أن يكون ما يفتحه من حلب وأعمالها للافضل والخطبة والسكة لكيكاوس ثم يقصدون بلاد الاشرف بالجزيرة حران والرها وما اليهما على هذا الحكم وتحالفوا على ذلك وجمعوا العساكر وساروا سنة خمس عشرة فملكوا قلعة رعبان فتسلمها الافضل ثم قلعة تل باشر من صاحبها

ابن

ابن بدر الدين ارزم الياروقى بعد ان كانوا حاصروها وضيقوا عليها وملكها كيكاوس
لنفسه فاستوحش الافضل وأهل البلدان يفعل مثل ذلك فى حلب وكان شهاب الدين
كافل العزيز بن الظاهر مقيما بقلعة حلب لا يفارقها خشية عليها وطيرا الخبر الى الملك
الاشرف صاحب الجزيرة وخلاط لتكون طاعتهم وخطبتهم له والسكة باسمه ويأخذ
من أعمال حلب ما اختار فجمع العساكر وسار اليهم منه خمس عشرة ومعه
وأميرهم نافع من خدمه وغيرهم من العرب ونزل بظاهر حلب وتوجه كيكاوس
والافضل من تل باشر الى منبج وسار الاشرف نحوهم وفى مقدمته العرب فلقوا مقدمة
كيكاوس فهزموها فلما عادوا الى كيكاوس منهزمين أجفل الى بلاده وسار الاشرف
فملك رعبان وتل باشر وأخذ من كان بها من عساكر كيكاوس وأطلقهم فلحقوا
بكيكاوس فجمعهم فى دار وأحرقها عليهم فهلكوا ثم سلم الاشرف ما ملكه من قلاع
حلب لشهاب الدين الخادم كافل العزيز بحلب واعتزم على اتباع كيكاوس الى بلاده
فأدركه الخبر بوفاة أبيه العادل فرجع انتهى والله تعالى أعلم

(دخول الموصل فى طاعة الاشرف وملكه سنجار)

قد ذكرنا فى دولة بنى زنكى ان القاهر عز الدين مسعود صاحب الموصل توفى فى ربيع
سنة خمس عشرة وستمائة وولى ابنه نور الدين ارسلان شاه فى كفالة مولى أبيه نور الدين
لؤلؤ مولاه ومدبر دولته وكان أخوه عماد الدين زنكى فى قلعة العقر والسوس من
أعمال الموصل بوصية أبيه ما اليه بذلك وانه بعد وفاة أخيه عز الدين طلب الامر لنفسه
وملك العمادية وظاهره مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل على شأنه فبعث نور الدين
لؤلؤ الى الاشرف موسى بن العادل والجزيرة كلها وخلاط وأعمالها فى طاعته فأرسل
اليه بالطاعة وكان على حلب مدافعا لكيكاوس صاحب بلاد الروم كما نذكره بعد فأجابه
الاشرف بالقبول ووعده النصر على أعدائه وكتب الى مظفر الدين يقبح عليه ما وقع
من نكث العهد فى اليمين التى كانت بينهم جميعا ويأمره باعادة عماد الدين زنكى
ما أخذه من بلاد الموصل والا فيسير بنفسه ويسترجعها ممن أخذها ويدعوه الى
ترك الفتنة والاشتغال معه بما هو فيه من جهاد الافرنج فصمم مظفر الدين عن ندبته
ووافقه صاحب ماردين وصاحب كيفا وآمد فبرز الى الاشرف عسكرا الى نصيبين
للؤلؤ صاحب الموصل ثم جهز لؤلؤ العساكر الى عماد الدين فهزموه ولحق باربل عند
المظفر وجاءت الرسل من الخليفة الناصر والملك الاشرف فأصلحوا بينهما وتحالفا
ثم وثب عماد الدين زنكى الى قلعة كواشى فملكها وبعث لؤلؤ الى الاشرف وهو على
حلب يستنجده فعبر الفرات الى حران واستمال مظفر الدين ملوك الاطراف وجماعتهم

على طاعة كيكاوس والخطبة له وكان عدوّ الاشرف ومنازعاً له في ملكه كما ذكره وبعث
أيضاً الى الامراء الذين مع الاشرف واستمالهم فأجابه منهم أحمد بن علي المشطوب
صاحب الفعلة مع الكامل على دمياط وعز الدين محمد بن نور الدين الحميدي وفارقوا
الاشرف الى دنيسر تحت ماردين ليجتمعوا على منع الاشرف من العبور الى الموصل
ثم استمال الاشرف صاحب كيفا وآمد وأعطاه مدينة حاني وجبل الجودي ووعده
بدارا اذا ملكها ولحق به صاحب كيفا وفارق أصحابه الملوك واقتدى به بعضهم
في طاعة الاشرف والرجوع اليه فافترق ذلك الجمع وسار كل ملك الى عمله وسار ابن
المشطوب الى اربل ومرّ بنصيبين فقاتله عساكرها وهزموه وافترق جمعه ومضى منهزماً
واجتاز بسنجار وبها فروخ شاه عمر بن زنكي بن مودود فبعث اليه عسكراً فأخذوه
أسيراً وكان في طاعة الاشرف فحبس له ابن المشطوب (بياض بالاصل) فأطلقه وسار
في جماعة من المفسدين الى البقعاء من أعمال الموصل فاكتسحها وعاد الى سنجار ثم سار
ثانياً للاغارة على أعمال الموصل فأرصد له لؤلؤ عسكراً بتل اعفر من أعمال سنجار
فلما مرّ بهم قاتلوه وصعد الى تل اعفر منهزماً وجاء لؤلؤ من الموصل فحاصره بها شهراً
أو بعضه وملكها منتصف ربيع الآخر من سنة سبع عشرة وحبس ابن المشطوب
بالموصل ثم بعث به الى الاشرف فحبسه بحران الى أن توفي في ربيع الآخر من سنة
سبعة عشر ولما افترق جمع الملوك سار الاشرف من حران فحاصر ماردين ثم صالحه
على أن يردّ عليه رأس عين وكان الاشرف أقطعه له وعلى أن يأخذ منه ثلاثين ألف
دينار وعلى أن يعطي صاحب كيفا وآمد قلعة الموزر من بلده ورجع الاشرف من
دنيسر الى نصيبين يريد الموصل وكان عمر صاحب سنجار لما أخذ منه لؤلؤ تل اعفر تخاذل
عنه أصحابه وساءت ظنونهم بنفسه لما ساءه له في أخيه وفي غيره فاعتزم على الالقاء باليد
للاشرف وتسليم سنجار له والاعتياض عنها بالرقة وبعث رسله اليه بذلك فلقوه
في طريقه من دنيسر الى نصيبين فاجاب الى ذلك وسلم اليه الرقة وسلم سنجار في مستهل
جمادى الاولى سنة سبعة عشر وفارقها عمر فروخ شاه واخوته بأهليهم وأموالهم وسار
الاشرف من سنجار الى الموصل فوصلها تاسع عشر جمادى الاولى من السنة وجاءته
رسل الخليفة ومظفر الدين في الصلح وردّ ما أخذه عماد الدين من قلاع الموصل الى لؤلؤ
ماعدا العمادية وطال الحديث في ذلك ورحل الاشرف يريد اربل ثم شفع عنده
صاحب كيفا وغيره من بطانته وأنهوا اليه (بياض بالاصل) العساكر فأجاب الى
هذا الصلح وفسح لهم في تسليم القلاع الى مدة ضربوها وسار عماد الدين مع الاشرف
حتى يتم تسليم الباقي ورحل الاشرف عن الموصل ثاني رمضان وبعث لؤلؤ نوابه الى

القلاع فامتنع جندها من تسليمها اليهم وانقضى الاجل واستمال عماد الدين زنكى شهاب الدين غازى أخا الاشرف فاستعطف له أخاه فأطلقه ورد عليه قلعة العقر وسوس وسلم لؤلؤ قلعة تل اعفر كما كانت من أعمال سنجار والله تعالى أعلم

*(ارتجاع دمياط من يد الافرنج) *

ولما ملك الافرنج دمياط أقبلوا على تحصينها ورجع الكامل الى مصر وعسكر بأطراف الديار المصرية مسلحة عليها منهم وبنى المنصورة بعد المنزلة وأقام كذلك سنين وبلغ الافرنج وراء البحر فتحها واستيلاء اخوانهم عليها فلهجوا بذلك وتوالت امدادهم فى كل وقت اليها والكامل مقيم بمكانه وتواترت الاخبار بظهور التتر ووصولهم الى اذربيجان واران وأصبح المسلمون بمصر والشأم على تخوف من سائر جهاتهم واستنجد الكامل بأخيه المعظم صاحب دمشق وأخيه الاشرف صاحب الجزيرة وارمينية وسار المعظم الى الاشرف يستحثه للوصول فوجده فى شغل بالفتنة التى ذكرناها فعاد عنه الى أن انقضت تلك الفتنة ثم تقدم الافرنج من دمياط بعساكرهم الى جهة مصر وأعاد الكامل خطابه اليهما سنة ثمانى عشرة يستنجدهما وسار المعظم الى الاشرف يستحثه فجاء معه الى دمشق وسار منها الى مصر ومعه عساكر حلب والناصر صاحب حماة وشيركوه صاحب حمص والامجد صاحب بعلبك فوجدوا الكامل على بحر اشمون وقد سار الافرنج من دمياط بجموعهم ونزلوا قبالته بعدوة النيل وهم يرمون على معسكره بالمجانيق والناس قد أشفقوا من الافرنج على الديار المصرية فسار الكامل وبقى أخوه الاشرف بمصر وجاء المعظم بعد الاشرف وقصد دمياط يسابق الافرنج ونزل الكامل والاشرف وظفرت شوانى المسلمين بثلاث قطع من شوانى الافرنج فغنموها بما فيها ثم ترددت الرسل بينهم فى تسليم دمياط على أن يأخذوا القدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين غير الكرك فاشتطوا واشترطوا اعادة الكرك والشوبك وزيادة ثلثمائة ألف دينار لرم أسوار القدس التى خربها المعظم والكامل فرجع المسلمون الى قتالهم وافتقد الافرنج الأقوات لانهم لم يحملوها من دمياط ظنا بأنهم غالبون على السواد وميرته بأيديهم فبدا لهم مالم يحتسبوا ثم فجر المسلمون النيل الى العدوة التى كانوا عليها فركبها الماء ولم يبق لهم الامسلك ضيق ونصب الكامل الجسور عند اشمون فعبرت العساكر عليها وملكوا ذلك المسلك وحالوا بين الافرنج وبين دمياط ووصل اليهم مركب مشحون بالمدد من الميرة والسلاح ومعه حراقات فخرجت عليها شوانى المسلمين وهى فى تلك الحال فغنموها بما فيها واشتد الحال عليهم فى معسكرهم وأحاطت بهم عساكر المسلمين وهم فى تلك الحال يقاتلونهم

ويتخطفونهم من كل جانب وأحرقوا خيامهم وأثقالهم وأرادوا الاستغاثة في العود فرأوا ما حال بينهم وبينها من الوحل فاستأمنوا الى الكامل والاشرف على تسليم دمياط من غير عوض وبينما هم في ذلك وصل المعظم صاحب دمشق من جهة دمياط كما مر فازدادوا وهناً وخذلاناً وملكوا دمياط منتصف سنة ثمان عشرة وأعطوا عشرين ملكاً منهم رهناً عليها وأرسلوا الاقسة والرهبان منهم الى دمياط فسلموها للمسلمين وكان يوماً مشهوداً وصالحهم بعد تسليمها مدد من وراء البحر فلم يغن عنهم ودخلها المسلمون وقد حصنها الافرنج فأصبحت من أمنع حصون الاسلام والله تعالى أعلم

(وفاة الاوحد نجم الدين بن العادل صاحب خلاط وولاية أخيه الظاهر غازي عليها)

قد تقدم لنا أن الاوحد نجم الدين بن العادل ملك ميافارقين وبعدها خلاط وارمينية سنة ثلاث وستمائة ثم توفي سنة سبع فأقطع العادل ما كان بيده من الاعمال لاخيه الاشرف ثم أقطع العادل ابنه الظاهر غازي سنة ست عشرة سروج والرها وما اليها ولما توفي العادل واستقل ولده الاشرف بالبلاد الشرقية عقد لاخيه غازي على خلاط وميافارقين مضافاً الى ولايته من أبيه العادل وهو سروج والرها وجعله ولي عهده لانه كان عاقراً لا يولد له وأقام على ذلك الى أن انتقض على الاشرف عند ما حدثت الفتنة بين بني العادل فانتزع أكثر الاعمال منه كما نذكره ان شاء الله تعالى

(فتنة المعظم مع أخويه الكامل والاشرف وما دعت اليه من الاحوال)

كان بنو العادل الكامل والاشرف والمعظم لما توفي أبوهم قد اشتغل كل واحد منهم بأعماله التي عهد له أبوه وكان الاشرف والمعظم يرجعان الى الكامل وفي طاعته ثم تغلب المعظم عيسى على صاحب حماة الناصر بن المنصور بن المظفر وزحف سنة تسع عشرة الى حماة فحاصرها وامتنعت عليه فسار الى سلمية والمعرة من أعمالها فملكهما وبعث اليه الكامل صاحب مصر بالنكير والافراج عن البلد فامتثل وأضغن ذلك عليه وأقطع الكامل سلمية لنزيله المظفر بن المنصور أخي صاحب حماة وكشف المعظم قناعه في منابذة أخويه الكامل والاشرف وأرسل الى ملوك الشرق يدعوهم الى المظاهرة عليهما وكان جلال الدين منكبرني بن علاء الدين خوارزم شاه قد رجع من الهند بعد ما غلبه التتر على خوارزم وخراسان وغزنة وعراق العجم وجاز الى الهند ثم رجع سنة احدى وعشرين وستمائة فاستولى على فارس وغزنة وعراق العجم واذربيجان ونزل توريز وجاور بني أيوب في أعمالهم فراسله المعظم صاحب دمشق وصالحه واستنجده على أخويه فأجابه ودعا المعظم الظاهر أخا الاشرف وعامله على خلاط والمظفر كوكبري

صاحب الى ذلك فأجابوه كلهم وانتقض الظاهر غازى على أخيه الاشرف في خلاط وارمينية وأظهر عصيانه في ولايته التي بيده فسار اليه الاشرف سنة احدى وعشرين وغلبه على خلاط فملكها وولى عليها حسام الدين أباعلى الموصلي كان أصله من الموصل واستخدم للاشرف وترقى في خدمته الى أن ولاه خلاط وعفا الاشرف عن أخيه الظاهر غازى وأقره على ميافارقين وسار المظفر صاحب اربل ولؤلؤ صاحبها في طاعة الاشرف فحاصرها وامتنعت عليه ورجع عنها وسار المعظم بنفسه من دمشق الى حمص وصاحبها شيركوه بن محمد بن شيركوه في طاعة الكامل فحاصرها وامتنعت عليه ورجع الى دمشق ثم سار الاشرف الى المعظم طالبا للصلح فأمسكه عنده على أن ينحرف عن طاعة الكامل وانطلق الى بلده فاستمر على شأنه ثم زحف جلال الدين صاحب اذربيجان سنة أربع وعشرين الى خلاط فحاصرها مرة بعد مرة وأفرج عنها فسار حسام الدين نائبها الى بلاد جلال الدين وملك حصونها واضطرب الحال بينهم وخشى الكامل دغبة الامر مع المعظم بما لاءته لجلال الدين والخوارزمية فاستنجد هو بالافرنج وكاتب الانبراطور ملكهم من وراء البحر يستحثه للقدوم على عكا في صريخه على أن ينزل له عن القدس وبلغ ذلك الى المعظم فخشى العواقب وأقصر عن فتنته وكتب اليه يستعطفه والله تعالى أعلم

(وفاة المعظم صاحب دمشق وولاية ابنه الناصر ثم استيلاء الاشرف عليها واعتياض الناصر بالكرك)

ثم توفى المعظم بن العادل صاحب دمشق سنة أربع وعشرين وولى مكانه ابنه داود ولقب بالناصر وقام بتدبير ملكه عز الدين ايبك خادم أبيه وجرى على سنن المعظم أولا في طاعة الكامل والخطبة له ثم انتقض سنة خمس وعشرين عندما طالبه الكامل بالنزول له عن حصن الشوبك فامتنع وانتقض وسار الكامل اليه في العساكر فانتهى الى غزة وانتزع القدس ونابلس من أيديهم وولى عليها من قبله واستنجد الناصر عمه الاشرف فجاء الى دمشق وخرج منها الى نابلس ثم تقدم منها الى الكامل ليصلح أمر الناصر معه فدعاه الكامل الى انتزاع دمشق من الناصر له وأقطعه اياها فلم يجب الناصر الى ذلك وعاد الى دمشق فحاصره الاشرف ثم صالح الكامل ملك الافرنج ليفرغ لامر دمشق عن الشواغل وأمكنهم من القدس على أن يخرب سورها فاستولوا عليها كذلك وزحف الكامل الى دمشق سنة ست وعشرين فحاصرها مع الاشرف وخاف الحصار بالناصر فنزل لهما عنها على أن يستقل بالكرك والشوبك والبلقاء فسلموا له في ذلك وسار اليها واستولى الاشرف على دمشق ونزل للكامل عن أعماله وهي

بلغ بالاصل

بلغ بالاصل

حران والرها وما اليهما وعكا وماس حصار دمشق ووصل الخبر الى الكامل بوفاة ابنه المسعود صاحب اليمن وقدمر خبره والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(استيلاء المظفر بن المنصور على حماة من يد أخيه الناصر)

ولما ملك الكامل دمشق شرع في انجاد ربله المظفر محمود بن المنصور صاحب حماة وبها أخوه الناصر وقد كاتبه بعض أهل البلد يستدعونه لملكها فجهزه بالعساكر وسار اليها فحاصرها ودس لمن كاتبه من أهلها فأجابوه وواعدوه ليلا فطرقها وتسورها وملكها وكتب اليه الكامل أن يقطع الناصر قلعة ماردين فأقطعه اياها وانتزع الكامل منه سلمية وأقطعها لصاحب حمص شيركوه بن محمد بن شيركوه واستقل المظفر محمود بملك حماة وفوض أمور دولته لحسام الدين على بن أبي على الهدباني فقام بها ثم استوحش منه فلحق بأبيه نجم الدين أيوب ولم تزل ماردين بيد الناصر أخي المظفر الى سنة ثلاثين فهم الناصر بأن يملكها للافرنج وشكا المظفر بذلك للكامل فأمره بانتزاعها منه ثم اعتقله الكامل الى أن هلك سنة خمس وثلاثين انتهى والله أعلم

(استيلاء الاشرف على بعلبك من يد الامجد واقطاعها لاخيه اسمعيل بن العادل)

كان السلطان صلاح الدين قد أقطع الامجد بهرام شاه بن فرخنشاه أخي تقي الدين عمر ابن شاهنشاه بن أيوب قلعة بعلبك وكانت بصرى لخضر ثم صارت بعد وفاة العادل لابنه الاشرف وعليها أخوه اسمعيل بن العادل فجهزه سنة ست وعشرين الى بعلبك وحاصرها الامجد حتى تسلمها منه على اقطاع أقطعه اياه وسار اسمعيل الى دمشق فنزلها الى أن قتله مواليه والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتنة جلال الدين خوارزم شاه مع الاشرف واستيلاؤه على خلاط)

قد كنا قدمنا أن جلال الدين خوارزم شاه ملك اذربيجان وجاور أعمال بني أيوب وكان الاشرف قد ولى على خلاط لما انتزعها من يد أخيه غازى الدين سنة اثنتين وعشرين حسام الدين أبا على الموصلي ثم صالح المعظم جلال الدين خوارزم شاه ودعاه الى الفتنة مع أخويه كما قدمناه ورجع جلال الدين خوارزم شاه الى خلاط وحاصرها مرتين ورجع عنها فسار حسام الدين الى بلده وملك بعض حصونه وداخل زوجته التي كانت زوجة ازبك بن البهلوان وكانت مقيمة بخوى وهجرها جلال الدين وقطع عنها ما كانت تعتاده من التحكم في الدولة مع زوجها فسلمت الى حسام الدين نائب خلاط واستدعته هي وأهل خوى ليملكوه البلاد فسار وملك خوى وما فيها من الحصون ومدينة ترند وكاتبه أهل نقجوان وملكوه بلدهم وعاد الى خلاط ونقل معه

زوجة جلال الدين وهى بنت السلطان طغرل فامتعض جلال الدين لذلك ثم ارتاب الاشرف بحسام الدين نائب خلاط وأرسل أكبر أمرائه عز الدين ايبك فقبض على حسام الدين وكان عدواله وقتله غيلة وهرب مولاه فلحق بجلال الدين ثم زحف جلال الدين فى شوال سنة ست وعشرين الى خلاط فحاصرها ونصب عليها المجانيق وقطع عنها الميرة مدة ثمانية أشهر ثم ألح عليها بالقتال وملكها عنوة آخر جمادى الاولى من سنة سبع وعشرين وامتنع ايبك وحاميتها بالقلعة واستماتوا واستباح جلال الدين مدينة خلاط وعاث فيها عالم يسمع بمثله ثم تغلب على القلعة وأسر ايبك نائب خلاط فدفعه الى مولى حسام الدين نائبها قبله فقتله بيده والله تعالى أعلم

(مسير الكامل فى انجاد الاشرف وهزيمة جلال الدين أمام الاشرف)

ولما استولى جلال الدين على خلاط سار الاشرف من دمشق الى أخيه الكامل بمصر يستنجده فسار معه وولى على مصر ابنه العادل ولقيه فى طريقه صاحب الكرك الناصر بن المعظم وصاحب حماة المظفر بن المنصور وسائر بنى أيوب وانتهى الى سلمية وكلهم فى طاعته ثم سار الى آمد فملكها من يد مسعود بن محمد بن الصالح بن محمد بن قرا ارسلان بن سقمان بن ارتق وكان صلاح الدين أقطعه اياها عندما ملكها من ابن نعشان فلما نزل اليه اعتقله وملك آمد ثم انطلق بعد وفاة الكامل من الاعتقال ولحق بالتتر ثم استولى الكامل على البلاد الشرقية التى نزل له عنها الاشرف عوضا عن دمشق وهى حران والرها وما اليهما ولما تسلمها ولى عليها ابنه الصالح نجم الدين أيوب وكان جلال الدين لما ملك خلاط حضر معه صاحب ارزن الروم فاغتم لذلك علاء الدين كيقباد ملك بلاد الروم لما بينه وبين صاحب ارزن من العداوة والقرابة وخشيهما على ملكه فبعث الى الكامل والاشرف بحران يستنجدهما ويستحث الاشرف للوصول فجمع عساكر الجزيرة والشام وسار الى علاء الدين فاجتمع معه بسيواس وسار نحو خلاط وسار جلال الدين للقائهما والتقوا بأعمال ارزنكان وتقدم عسكر حلب للقتال ومقدمهم عز الدين عمر بن على الهكارى من أعظم الشجعان فلم يثبت لهم مصاف جلال الدين وانهزم الى خلاط فأخرج حاميته منها ولحق باذربيجان ووقف الاشرف على خلاط وهى خاوية وكان صاحب ارزن الروم مع جلال الدين فجئ به أسيرا الى ابن عمه علاء الدين صاحب بلاد الروم فسار به الى ارزن وسلمها له وما يتبعها من القلاع ثم ترددت الرسل بينهم وبين جلال الدين فى الصلح فاصطلحوا كل على ما بيده وتحالفوا وعاد الاشرف الى سنجار وسار أخوه غازى صاحب ميافارقين فحاصر مدينة ارزن من ديار بكر وكان حاضرا مع الاشرف فى هذه الحروب وأسره جلال الدين ثم أطلقه بعد

ان أخذ منه العهد فى طاعته فسار اليه شهاب الدين غازى وحاصره وملك منه إربل صلحا وأعطاه عمه مدينة حانى من ديار بكر وكان اسمه حسام الدين وكان من بيت عريق فى الملك يعرفون بنى الاحدب أقطعها لهم السلطان ملكشاه والله تعالى أعلم

(استيلاء العزيز صاحب حلب على شيزر ثم وفاته وولاية ابنه الناصر بعده)

كان سابق الدين عثمان بن الداية من أمراء الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى واعتقله ابنه الصالح اسمعيل فنكر عليه صلاح الدين ذلك وسار بسببه الى دمشق فملكها وأقطع سابق الدين شيزر فلم تزل له ولبنيه الى أن استقرت لشهاب الدين يوسف ابن مسعود بن ابق الدين فسار اليه صاحب حلب محمد بن العزيز بن الظاهر أمر الكامل سنة ثلاثين وستمائة وملكها من يده ثم هلك سنة أربع وثلاثين وملك فى حلب مكانه ابنه الناصر يوسف فى كفالة جدته لابيه صفية خاتون بنت العادل واستولى على الدولة شمس الدين لؤلؤ الارمنى وعز الدين المجلى واقبال الخاتونى وكلهم فى تصريفها والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(قصة كيقباد صاحب بلاد الروم واستيلاؤه على خلاط)

كان كيقباد بن كيكاوس صاحب بلاد الروم قد استفحل ملكه بها وتجاوزه الى ما يجاورها من البلاد وملك خلاط بعد ان دفع عنها مع الاشرف جلال الدين شاه كاقتماد ونازعه الاشرف فى ذلك واستنجد بأخيه الكامل فسار بالعساكر من مصر سنة احدى وثلاثين وسار معه الملوك من أهل بيته وانتهى الى النهر الازرق من تخوم الروم وبعث فى مقدمته المظفر صاحب حماة من أهل بيته فلقيه كيقباد وهزمه وحصره فى خرت برت وتخاذل عن الحرب ثم استأمن المظفر صاحب حماة الى كيقباد فأمنه وملك خرت برت وكان لبنى ارتق ورجع الكامل بالعساكر الى مصر سنة ثنتين وثلاثين وكيقباد فى اتباعهم ثم سار الى حران والرها فملكهما من يد نواب الكامل وولى عليها من قبله وسار الكامل سنة ثلاث وثلاثين والله أعلم

(وفاة الاشرف بن العادل واستيلاء الكامل على ممالكه)

كان الاشرف سنة أربع وثلاثين قد استوحش من أخيه الكامل ونقض طاعته ومالأه على ذلك أهل حلب وكيخسرو صاحب بلاد الروم وجميع ملوك الشام من قرابتهما غير الناصر بن المعظم صاحب الكرك فانه أقام على طاعة الكامل وسار اليه بمصر فتلقاه بالمبرة والتكرمة ثم هلك الاشرف خلال ذلك سنة خمس وثلاثين وعهد

•(مسير الصالح الى مصر واعتقال الناصر له بالكرك)•

لما ملك العادل بمصر بعد أبيه اضطرب عليه أهل الدولة وبلغهم استيلاء أخيه الصالح على دمشق فاستدعوه ليملكوه وبعث عن عمه الصالح اسمعيل من بعلبك ليسير معه فاعتذر عن الوصول وسار الصالح أيوب وولى على دمشق ابنه المغيث فتح الدين عمر ولما فصل عن دمشق خالفه اليها عمه الصالح اسمعيل فملكها ومعه شيركوه صاحب حمص وقبض على المغيث فتح الدين بن الصالح أيوب وبلغ الخبر اليه وهو بنابلس فانفضت عنه العساكر ودخل نابلس وجاء الناصر داود من الكرك فقبض عليه واعتقله وبعث فيه أخوه العادل فامتنع من تسليمه اليه ثم قصد داود القدس فملكها من يد الافرنج وخرب القلعة والله تعالى ولي التوفيق

•(وفاة شيركوه صاحب حمص وولاية ابنه ابراهيم المنصور)•

ثم توفي أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص سنة ست وثلاثين وكانت ولايته أول المائة السابعة وولي من بعده ابنه ابراهيم ويلقب بالمنصور والله أعلم

•(خلع العادل واعتقاله واستيلاء أخيه الصالح أيوب على مصر)•

ولما رجع الناصر داود من فتح القدس أطلق الصالح نجم الدين أيوب من الاعتقال فاجتمعت اليه مواليه واتصل اضطراب أهل الدولة بمصر على أخيه العادل فكاتبوا الصالح واستدعوه ليملكوه فسار معه الناصر داود وانتهى الى غزة وبرز العادل الى بلبيس وكتب الى عمه الصالح بدمشق يستنجده على أخيه أيوب فسار من دمشق وانتهى الى الغور ثم وثب بالعادل في معسكره مواليه ومقدمهم أيبك الاسمر وقبضوا عليه وبعثوا الى الملك الصالح فجاء ومعه الناصر داود صاحب الكرك فدخل القلعة سنة سبع وثلاثين واستقر في ملكه وارتاب منه الناصر داود فلحق بالكرك واستوحش من الامراء الذين وثبوا بأخيه فاعتقلهم وفيهم أيبك الاسمر وذلك سنة ثمان وثلاثين وحبس أخاه العادل الى أن هلك في محبسه سنة خمس وأربعين ثم اختط قلعة بين شعبي النيل ازاء المقياس واتخذها مسكنا وأنزل بها حامية من مواليه فكانوا يعرفون بالبحرية آخر أيامهم انتهى والله أعلم

•(فتنة الخوارزمية)•

ثم كان عيث الخوارزمية بالبلاد المشرقية وعبروا الفرات وقصدوا حلب فبرزت اليهم عساكرها مع المعظم توران شاه بن صلاح الدين فهزموه وأسروه وقتلوا الصالح بن

الافضل صاحب سميساط وكان فى جملته وملكوا منبج عنوة ورجعوا ثم ساروا من حران وعبروا من ناحية الرقة وعاثوا فى البلاد وجمع أهل حلب العساكر وأمدهم الصالح اسمعيل من دمشق بعسكر مع المنصور ابراهيم صاحب حمص وقصدوا الخوارزمية فانتقلوا الى حران ثم تواقعوا مع العساكر فانهزموا واستولى عسكر حلب على حران والرها وسروج والرقة ورأس عين وما اليها وخلص المعظم توران شاه فبعث به لؤلؤ صاحب الموصل الى عسكر حلب ثم سار عسكر حلب الى آمد وحاصروا المعظم توران شاه وغلبوه على آمد وأقام بحصن كيفا الى أن هلك أبوه بمصر واستدعى هو لملكها فسار لذلك وولى ابنه الموحد عبد الله بكيفا الى أن غلب التتر على بلاد الشأم ثم سار الخوارزمية سنة أربعين مع المظفر غازى صاحب ميافارقين من أقتال صاحب حلب ومعهم المنصور ابراهيم صاحب حمص فانهزموا وغنمت العساكر سوادهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(أخبار حلب)

قد كان تقدم لنا ولاية الظاهر غازى على حلب بعد وفاة أبيه ثم توفى سنة أربع وثلاثين ونصب أهل الدولة ابنه الناصر يوسف فى كفالة جدته أم العزيز صفية خاتون بنت العادل ولؤلؤ الارمنى واقبال الخاتونى وعز الدين بن مجلى قائمون بالدولة فى تصريفها ومازالت تجهز العساكر لدفاع الخوارزمية وتفتح البلاد الى أن توفيت سنة أربعين واستقل الناصر بتدبير ملكه وصرف النظر فى أموره لجمال الدين اقبال الخاتونى والله أعلم

(فتنة الصالح أيوب مع عمه الصالح اسمعيل على دمشق واستيلاء أيوب آخرا عليها)

قد كان تقدم لنا أن الصالح اسمعيل بن العادل خالف الصالح أيوب على دمشق عند مسيره الى مصر فملك دمشق سنة ست وثلاثين وكان بعد ذلك اعتقال الصالح بالكرك ثم استيلاؤه على مصر سنة سبع وثلاثين وبقيت الفتنة متصلة بينهما وطلب الصالح اسمعيل صاحب دمشق من الافرنج المظاهرة على أيوب صاحب مصر على أن يعطيهم حصن الشقيف وصفد فأمضى ذلك ونكره مشيخة العلماء بعصره وخرج من دمشق عز الدين بن عبد السلام الشافعى ولحق بمصر فولاه الصالح خطة القضاء بها ثم خرج بعده جمال الدين بن الحاجب المالكى الى الكرك ولحق بالاسكندرية فمات بها ثم تداعى ملوك الشأم لفتنة الصالح أيوب واتفق عليها اسمعيل الصالح صاحب دمشق والناصر يوسف صاحب حلب وجدته صفية خاتون وابراهيم المنصور بن شيركوه صاحب حمص وخالفهم المظفر صاحب حماة وجنح الى ولاية نجم الدين أيوب وأقام حالهم

في السنة على ذلك ثم جنحوا الى الصلح على أن يطلق صاحب دمشق فتح الدين عمر بن
نجم الدين أيوب الذي اعتقله بدمشق فلم يجب الى ذلك واستحكمت النفرة وسار الناصر
داود صاحب الكرك مع اسمعيل الصالح صاحب دمشق واستظهروا بالافرنج
وأعطاهم اسمعيل القدس على ذلك واستنجد بالخوارزمية أيضا فأجابوه واجتمعوا بغزة
وبعث نجم الدين العساكر مع مولاه بيبرس وكانت لديه باعتقاله معه فتلاقوا مع
الخوارزمية وجاءت عساكر مصر مع المنصور ابراهيم بن شيركوه ولاقوا الافرنج بين عكا
وكان الظفر لعساكر مصر والخوارزمية واتبعوهم الى دمشق وحاصروا بها الصالح
اسمعيل الى أن جهده الحصار وسأل في الصلح على أن يعوض عن دمشق ببعلبك
وبصرى والسواد فأجابه أيوب الى ذلك وخرج اسمعيل من دمشق الى بعلبك سنة
ثمان وأربعين وبعث نجم الدين الى حسام الدين علي بن أبي علي الهذباني وكان معتقلا
عند اسمعيل بدمشق وشرط نجم الدين اطلاقه في الصلح الاول فأطلقه وبعث اليه
بالنيابة عنه بدمشق فقام بها وانصرف ابراهيم المنصور الى حمص وانتزع صاحب
حماة منه سلمية فملكها واشتط الخوارزمية على الهذباني في دمشق في الولايات
والاقطاعات واستعصوا لذلك فسار بهم الصالح اسمعيل الى دمشق موصلا الكرة ومعه
الناصر صاحب الكرك فقام الهذباني في دفاعهم أحسن قيام وبعث نجم الدين
من مصر الى يوسف الناصر يستنجده على دفع الخوارزمية عن دمشق فسار في عسكره
ومعه ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص فهزموا الخوارزمية على دمشق سنة أربع
وأربعين وقتل مقدمهم حسام الدين بركت خان وذهب بقيتهم مع مقدمهم الآخر
كشلوخان فلحقوا بالتتر واندرجوا في جملتهم وذهب أثرهم من الشام واستجار
اسمعيل الصالح وكان معهم بالناصر صاحب حلب فأجاره من نجم الدين أيوب وسار
حسام الدين الهذباني بعساكر دمشق الى بعلبك وتسلمها بالامان وبعث بأولاد اسمعيل
ووزيره ناصر الدين يغمور الى نجم الدين أيوب فاعتقلهم بمصر وسارت عساكر
الناصر يوسف صاحب حلب الى الجزيرة فتراءوا مع لؤلؤ صاحب الموصل فانهزم
لؤلؤ وملك الناصر نصيبين ودارا وقرقيسيا وعاد عسكره الى حلب والله تعالى أعلم

مسير الصالح أيوب الى دمشق أولا وثانيا وحصار حمص وما كان مع ذلك من الاحداث

ثم بعث الصالح عن حسام الدين الهذباني من دمشق وولى مكانه عليها جمال الدين بن
مطروح ثم سار الى دمشق سنة خمس وأربعين واستخلف الهذباني على مصر ولما وصل
الى دمشق جهز فخر الدين بن الشيخ بالعساكر الى عسقلان وطبرية فحاصرهما

رفتحهما من يد الافرنج ووفد على الصالح بدمشق المنصور صاحب حماة وكان أبوه المظفر توفى سنة ثلاث وأربعين وولى المنصور ابنه هذا واسمه محمد ووفد أيضا الاشرف موسى صاحب حمص وقد كان أبوه ابراهيم المنصور توفى سنة أربع وأربعين قبلها بدمشق وهو ذاهب الى مصر وافدا على الصالح أيوب وأقام بحمص ابنه مظفر الدين موسى ولقب الاشرف وجاءت عساكر حلب سنة ست وأربعين مع لؤلؤ الارمنى وحصروا مصر شهرين وملكوها من يد موسى الاشرف وأعاضوه عنها تل باشر من قلاع حلب مضافة الى الرحبة وتدمر وكانتا بيده مع حمص وغضب لذلك الصالح فسار من مصر الى دمشق وجهز العساكر الى حصار حمص مع حسام الدين الهدبانى وفخر الدين بن الشيخ فحاصروا مصر مدة وجاء رسول الخليفة المستعصم الى الصالح أيوب شافعا فافرج العساكر عنها وولى على دمشق جمال الدين يغمور وعزل ابن مطروح والله تعالى أعلم

(استيلاء الافرنج على دمياط)

كانت افرنسة أمة عظيمة من الافرنج والظاهر أنهم أصل الافرنج وان افرنسة هى افرنجة انقلبت السين بها جيما عندما عربتها العرب وكان ملكها من أعظم ملوكهم لذلك العصر ويسمونه ريد الافرنس ومعنى ريد فى لغتهم ملك افرنس فاعتزم هذا الملك على سواحل الشأم وسار لذلك كما سار من قبله من ملوكهم وكان ملكه قد استفحل فركب البحر الى قبرس فى خمسين الف مقاتل وشتى بها ثم عبر سنة سبع وأربعين الى دمياط وبها بنو كنانة أنزلهم الصالح بها حامية فلما رأوا ما لا قبل لهم به اجفلوا عنها فملكها ريد افرنس وبلغ الخبر الى الصالح وهو بدمشق وعساكره نازلة بحمص فكر راجعا الى مصر وقدم فخر الدين ابن الشيخ أتابك عساكره ووصل بعده فنزل المنصورة وقد أصابه بالطريق وعك واشتد عليه والله تعالى أعلم

(استيلاء الصالح على الكرك)

كان بين الصالح أيوب وبين الناصر داود ابن عمه المعظم من العداوة ما تقدم وقد ذكرنا اعتقال الناصر له بالكرك فلما ملك الصالح دمشق بعث العساكر مع أتابكه فخر الدين يوسف ابن الشيخ لحصار الكرك وكان أخوه العادل اعتقله وأطلقه الصالح وألزمه بيته ثم جهزه لحصار الكرك فسار اليها سنة أربع وأربعين وحاصرها وملك سائر أعمالها وخرب نواحيها وسار الناصر من الكرك الى الناصر يوسف صاحب حلب مستجيرا به بعد أن بعث بذخيرته الى المستعصم وكتب له خطه بوصولها وكان

قد استولى على الكرك عندما سار الى حلب ابنه الاصغر عيسى ولقبه المعظم فغصب أخواه الأكبران الامجد حسن والظاهر شادى فقبضا على أخيهما عيسى ووفدا على الصالح سنة ست وأربعين وهو بالمنصورة قبالة الافرنج فملّكهما الكرك والشوبك بما زاد الصالح عليهما بادرا الصوافى واقطعهما بالديار المصرية والله سبحانه وتعالى أعلم

{ وفاة الصالح أيوب صاحب مصر والشام وسيد ملوك الترك }
{ بمصر وولاية ابنه تورانشاه وهزيمة الافرنج وأسر ملكهم }

ثم توفى الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل سنة سبع وأربعين بمكانه من المنصورة قبالة الافرنج وخشى أهل الدولة من الافرنج فكتموا موته وقامت أم ولده شجر الدر بالامر وجمعت الامراء وسيروا بالخبر الى حسام الدين الهدبانى بمصر فجمع الامراء وقوّى جاشهم واستحلفهم وارسل الاتابك فخر الدين بن الشيخ بالخبر الى المعظم تورانشاه بن الصالح واستدعاه من مكان امارته بحصن كيفا ثم انتشر خبر الوفاة وبلغ الافرنج فشرهوا الى قتال المسلمين وزحفوا الى المعسكر فانكشف المسلمون وقتل الاتابك فخر الدين ثم أتاح الله الكرة للمسلمين وانهزم الافرنج ووصل المعظم تورانشاه من مكانه بحصن كيفا لثلاثة أشهر وتزيد فبايعه المسلمون واجتمعوا عليه واشتدوا فى قتال الافرنج وغلبت أساطيلهم أساطيل العدو وسأل الافرنج فى الافراج عن دمياط على أن يعاضوا بالقدس فلم يجبهم المسلمون الى ذلك وصارت سرايا المسلمين من حولهم وفيما بين معسكرهم وبين دمياط فرحلوا راجعين اليها واتبعهم المسلمون فأدركهم الدهش فانهزموا وأسر ملكهم ريد افرنس وهو المعروف بالفرنسيس وقتل منهم أكثر من ثلاثين ألفا واعتقل الفرنسيس بالدار المعروفة بفخر الدين بن لقمان ووكل به الخادم صبيح المعظمى ثم رحل المعظم بعساكر المسلمين راجعا الى مصر والله تعالى أعلم

(مقتل المعظم تورانشاه وولاية شجر الدر وفداء الفرنسيس بدمياط)

ولما بويع المعظم تورانشاه وكانت له بطانة من المماليك جاؤا معه من كيفا فتسلطوا على موالى أبيه وتقسموهم بين النكبة والاهمال وكان للصالح جماعة من الموالى وهم البحرية الذين كان ينزلهم بالدار التى بناها ازاء المقياس وكانوا بطانته وخالصته وكان كبيرهم بيبرس وهو الذى كان الصالح بعثه بالعساكر لقتال الخوارزمية عندما زحفوا مع عمه الصالح اسمعيل صاحب دمشق وقد مر ذكر ذلك فصارت طاغيته معهم ثم استمالهم الصالح فصاروا اليه ورجع وامع عساكره الى عساكر دمشق والافرنج

فهزموهم وحاصروا دمشق وملكوها بدعوة الصالح كما مر واستوحش بيبرس حتى بعث اليه الصالح بالامان سنة أربع واربعين ولحقه بمصر فحبسه على ما كان منه ثم أطلقه وكان من خواص الصالح أيضا قلاون الصالحى كان من موالى علاء الدين قراسنقر مملوك العادل وتوفى سنة خمس وأربعين وورثه الصالح بحكم الولاء ومنهم اقطاى الجامدار وايبك التركمانى وغيرهم فأنفوا من استعلاء بطانة المعظم توران شاه عليهم وتحكمهم فيهم فاعصوصبوا واعتزموا على القتك بالمعظم ورحل من المنصورة بعد هزيمة الافرنج راجعا الى مصر فلما قربت له الحراقة عند البرج ليركب البحر كبسوه بمجلسه وتناوله بيبرس بالسيف فهرب الى البرج فاضرموه نارا فهرب الى البحر فرموه بالسهام فألقى نفسه فى الماء وهلك بين السيف والماء لشهرين من وصوله وملكه ثم اجتمع هؤلاء الامراء المتولون قتل توران شاه ونصبوا للملك أم خليل شجر الدر زوجة الصالح وأم ولده خليل المتوفى فى حياته وبه كانت تلقب وخطب لها على المنابر وضربت السكة باسمها ووضعت علامتها على المراسم وكان نص علامتها أم خليل وقدم أتابك على العساكر عز الدين الجاشنكير ايبك التركمانى فلما استقرت الدولة طالبهم الفرنسيس فى الفداء على تسليم دمياط للمسلمين فاستولوا عليها سنة ثمان وأربعين وركب الفرنسيس البحر الى عكا وعظم الفتح وأنشد الشعراء فى ذلك وتساجلوا ولجمال الدين بن مطروح نائب دمشق أبيات فى الواقعة يتداولها الناس لهذا العصر والله تعالى ولى التوفيق وهى

قل للفرنسيس اذا جئته * مقال صدق عن قوول فصيح
آجرك الله على ما جرى * من قتل عباد يسوع المسيح
أتيت مصرا تبتغى ملكها * تحسب أن الزمر بالطبل ريح
فساقك الحين الى ادهم * ضاق بهم فى ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أودعتهم * بسوء تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لا يرى منهم * الا قتيل أو أسير جريح
وفقك الله لامثالها * لعلنا من شركم نستريح
ان كان بابا كم بذا راضيا * فرب غش قد أتى من نصيح
أوصيكم خيرا به انه * لطف من الله اليكم أتيح
لو كان ذا رشد على زعمكم * ما كان يستحسن هذا القبيح
فقل لهم ان اضمروا عودة * لاخذ ثار أو لقصد قبيح
دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشى صبيح

والطواشي في لغة أهل المشرق نحو الخصي ويسمونه الخادم أيضا والله أعلم .

﴿ استيلاء الناصر صاحب حلب على دمشق وبيعة الترك بمصر لموسى الاشرف بن أطسز بن المسعود صاحب اليمن وتراجعهما ثم صلحهما ﴾

ولما قتل المعظم توران شاه ونصب الامراء بعده شجر الدر زوجة الصالح امتعض لذلك امراء بني أيوب بالشام وكان بدر الصوابي بالكرك والشوبك ولاه الصالح عليهما وحبس عنده فتح الدين عمر بن أخيه العادل فاطلقه من محبسه وبايع له وقام بتدبير دولته جمال الدين بن يغمور بدمشق واجتمع مع الامراء القصرية بها على استدعاء الناصر صاحب حلب وتمليكه فسار وملك دمشق واعتقل جماعة من موالي الصالح وبلغ الخبر الى مصر فخلعوا شجر الدر ونصبوا موسى الاشرف بن مسعود أخي الصالح بن الكامل وهو الذي ملك أخوه أطسز واسمه يوسف باليمن بعد أبيه مسعود وبايعوا له وأجلسوه على التخت وجعلوا أيبك أتابكه ثم انتقض الترك بغزة ونادوا بطاعة المغيث صاحب الكرك فنادى الترك بمصر بطاعة المستعصم وجددوا البيعة للاشرف واتابكه ثم سار الناصر يوسف بعسكره من دمشق الى مصر فجهز الامراء العساكر الى الشام مع اقطاي الجامدار كبير البحرية ويلقب فارس الدين فاجفلت عساكر الشام بين يديه ثم قبض الناصر يوسف صاحب دمشق على الناصر داود لشئ بلغه عنه وحبسه بحمص وبعث عن ملوك بني أيوب شاه موسى الاشرف صاحب حمص والرحبة وتدمر والصالح اسمعيل ابن العادل من بعلبك والمعظم توران شاه وأخوه نصر الدين ابنا صلاح الدين والامجد حسام الدين والظاهر شادي ابنا الناصر داود صاحب الكرك وتقي الدين عباس بن العادل واجتمعوا بدمشق وبعث في مقدمته مولاه لؤلؤ الارمني وخرج ايبك التركماني في العساكر من مصر للقائهم وأفرج عن ولدي الصالح اسمعيل المعتقلين منذ أخذهم الهذباني من بعلبك ليتهم الناس اباهم ويتربوا به والتقى الجمعان في العباسة فانكشفت عساكر مصر وسارت عساكر الشام في اتباعهم وثبت ايبك وهرب اليه جماعة من عساكر الناصر ثم صدق ايبك الحملة على الناصر وسار منهزما وجيء لايبك بلؤلؤ الارمني أسيرا فقتله وأسر اسمعيل الصالح وموسى الاشرف وتوران شاه المعظم وأخوه ولحق المهزمون من عسكر مصر بالبلد وشعر المتبعون لهم من عساكر الشام بهزيمة الناصر وراءهم فرجعوا ودخل ايبك الى القاهرة وحبس بني أيوب بالقلعة ثم قتل يغمور وزير الصالح اسمعيل المعتقل معه ببعلبك مع بنيه وقتل الصالح اسمعيل في محبسه ثم جهز الناصر العساكر من دمشق الى غزة فتراجعوا مع فارس الدين اقطاي مقدم عساكر فهزموهم واستولوا عليها وترددت الرسل

بين الناصر وبين الامراء بمصر واصطلحوا سنة خمسين وجعلوا التخم بينهم نهر الاردن ثم اطلق ايبك حسام الدين الهذباني فسار الى دمشق وسار فى خدمة الناصر وجاءت الى الناصر شفاعة المستعصم فى الناصر داود صاحب الكرك الذى حبسه بحمص فافرج عنه ولحق ببغداد ومعه ابناه الامجد والظاهر فمنعه الخليفة من دخولها فطالب وديعته فلم يسعف بها واقام فى أحياء عزية ثم رجع الى دمشق بشفاعة من المستعصم للناصر وسكن عنده والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(خلع الاشرف بن أطسز واستبداد ايبك وامراء الترك بمصر)

قد تقدم لنا آنفا بيعة امراء التركمان بمصر للاشرف موسى بن يوسف أطسز بن الكامل وانهم خطبوا له وأجلسوه على التخت بعد ان نصبوا للملك ايبك وكان طموحا الى الاستبداد وكان اقطاى الجامدار من أمراء البحرية يدافعه عن ذلك ويغض من عنانه منافسة وغيرة فارصد له ايبك ثلاثة من المماليك اغتالوه فى بعض سكك القصر وقتلوه سنة اثنتين وخمسين وكانت جماعة البحرية ملتفة عليه فانفضوا ولحقوا بالناصر فى دمشق واستبد ايبك بمصر وخلع الاشرف وقطع الخطبة له فكان آخر امراء بنى أيوب بمصر وخطب ايبك لنفسه ثم تزوج شجر الدر أم خليل الملكة قبله فلما وصل البحرية الى الناصر بدمشق أطمعوه فى ملك مصر واستحثوه فتجهز وسار الى غزة وبرز ايبك بعساكره الى العباسية فنزل بها وانتقض عليه فتوهموا بالثورة به فارتاب بهم ولحقوا بالناصر ثم ترددت الرسل بين الناصر وايبك فاصطلحوا على أن يكون التخم بينهم العريش وبعث الناصر الى المستعصم مع وزيره كمال الدين ابن العديم فى طلب الخلعة وكان ايبك قد بعث بالهدية والطاعة الى المستعصم فمطل المستعصم الناصر بالخلعة حتى بعثها اليه سنة خمس وخمسين ثم قتل المعز أيبك قتلته شجر الدر غيلة فى الحمام سنة خمس وخمسين غيرة من خطبته بنت لؤلؤ صاحب الموصل فنصبوا مكانه ابنه عليا ولقبوه المنصور وثار وابه من شجر الدر كما نذكره فى أخبارهم ان شاء الله تعالى

بياض بالاصل

(مسير المغيث بن العادل صاحب الكرك مع البحرية الى مصر وانهزامهم)

كان البحرية منذ لحقوا بالناصر بعد مقتل اقطاى الجامدار مقيمين عنده ثم ارتاب بهم وطردهم آخر سنة خمس وخمسين فلحقوا بغزة وكاتبوا المغيث فتح الدين عمر بن العادل بالكرك وقد كنا ذكرنا ان بدرا الصوافى أخرجه من محبسه بالكرك بعد مقتل توران شاه بمصر وولاه الملك وقام بتدبير دولته وبعث اليه الآن بيبرس البندقدارى

مقدم البحرية من غزة يدعوه الى الملك وبلغ الخبر الى الناصر بدمشق فجهز العساكر الى غزة فقاتلوهم وانهزموا الى الكرك فتلقاهم المغيث وقسم فيهم الاموال واستخدموه الملك مصر فسار معهم وبرزت عساكر مصر لقتالهم مع قطز وولى ايبك المعز ومواليه فالتقى الفريقان بالعباسة فانهزم المغيث والبحرية الى الكرك ورجعت العساكر الى مصر وفى خلال ذلك أخرج الناصر داود بن المعظم من دمشق حاجا ونادى فى الموسم بتوسله الى المستعصم فى وديعته وانصرف مع الحاج الى العراق فاكرهه المستعصم على براءته من وديعته فكتب وأشهد ولحق بالبرية وبعث الى الناصر يوسف يستعطفه فأذن له وسكن دمشق ثم رجع مع رسول المستعصم الذى جاء معه الى الناصر بالخلعة والتقليد فأقام بقرقيسيا حتى يستأذن له الرسول فلم يأذن له فأقام عند أحياء العرب فى التيه فقر وافى تقلبهم من الكرك فقبض عليه المغيث صاحب الكرك وحبسه حتى اذا زحف التتر ليغداد بعث عنه المستعصم ليبعثه مع العساكر لمدافعتهم وقد استولى التتر على بغداد فرجع ومات ببعض قرى دمشق بالطاعون سنة ست وخمسين انتهى والله تعالى أعلم

(زحف الناصر صاحب دمشق الى الكرك وحصارها والقبض على البحرية)

ولما كان من المغيث والبحرية ما قدمناه ورجعوا منهزمين الى الكرك بعث الناصر عساكر من دمشق الى البحرية فالتقوا بغزة وانهزمت عساكر الناصر وظفرت البحرية بهم واستفحل أمرهم بالكرك فسار الناصر بنفسه اليهم بالعساكر من دمشق سنة سبع وخمسين وسار معه صاحب حماه المنصور بن المظفر محمود فنزلوا على الكرك وحاصروها وأرسل المغيث الى الناصر فى الصلح فشرط عليه أن يحبس البحرية فأجاب ونمى الخبر الى بيبرس اميرهم البندقدارى فهرب فى جماعة منهم ولحق بالناصر وقبض المغيث على الباقين وبعثهم الى الناصر فى القيود ورجع [بياض بالاصل] الكرك ثم بعث الى الامراء بمصر وزيره كمال الدين بن العديم يدعوهم الى الاتفاق الى مدافعة التتر وفى أيام مقدم ابن العديم بمصر خلع الامراء على ابن المعز أيبك وقبض عليه أتابك عسكره ومولى أبيه وجلس على التخت وخطب لنفسه وقبض على الامراء الذين يرتاب منازعتهم كما نذكره فى أخبارهم وأعاد ابن العديم الى مرسله صاحب دمشق بالاجابة والوعد بالمظاهرة والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(استيلاء التتر على الشام وانقراض ملك بنى أيوب وهلاك من هلك منهم)

ثم زحف التتر وسلطانهم هلاكو الى بغداد واستولى على كرسى الخلافة وقتلوا المستعصم

وطمسوا

وطمسوا معالم الملة وكادت تكون من أشراط الساعة وقد شرحناها فى أخبار الخلفاء
ونذكرها فى أخبار التتر فبادر الناصر صاحب دمشق بمصانعته وبعث ابنه العزيز محمدا
الى السلطان هلاكو بالهدايا والالطاف فلم يغن ورده بالوعد ثم بعث هلاكو عساكره
الى ميافارقين وبها الكامل محمد بن المظفر شهاب الدين غازى بن العادل الكبير
فحاصروها سنتين ثم ملكوها عنوة سنة ثمان وخمسين وقتلوه وبعث العساكر الى اربل
فحاصروها ستة أشهر وفتحوها وسار ملوك بلاد الروم كيكاوس وقليج ارسلان ابنا
كيخسرو الى هلاكو اثر ما ملك بغداد فدخلوا فى طاعته ورجعوا الى بلادهم وسار
هلاكو الى بلاد اذربيجان ووفد عليه هنالك لؤلؤ صاحب الموصل سنة سبع وخمسين
ودخل فى طاعته ورده الى بلده وهلك اثر ذلك وملك الموصل مكانه ابنه الصالح وسنجار
ابنه علاء الدين ثم أوفد الناصر ابنه على هلاكو بالهدايا والتحف على سبيل المصانعة
واعتذر عن لقائه بالتخوف على سواحل الشام من الافرنج فتلقى ولده بالقبول وعذره
وارجعه الى بلده بالمهادنة والمواعدة الجميلة ثم سار هلاكو الى حران وبعث ابنه فى
العساكر الى حلب وبها المعظم تورانشاه ابن صلاح الدين نائبا عن الناصر يوسف
فخرج لقتالهم فى العساكر وأكمن له التتر واستجروهم ثم كروا عليهم فاثخنوا فيهم
ورحلوا الى عزاز فملكوها صلحا وبلغ الخبر الى الناصر وهو بدمشق فعسكر عن ثورة
سنة ثمان وخمسين وجاء الناصر بن المظفر صاحب حماة فأقام معه ينتظر أمرهم ثم بلغه
ان جماعة من مواليه اعتزموا على الثورة به فكر راجعا الى دمشق ولحق أولئك الموالى
بغزة ثم اطلع على خبثهم وان قصدهم تمليك أخيه الظاهر فاستوحش منهم ولحق
الظاهر بهم فنصبوه للامر واعصوصبوا عليه وكان معهم بيبرس البندقدارى وشعر
بتلاشى أحوالهم فكاتب المظفر صاحب مصر واستأمن اليه فأمنه وسار الى مصر
فتلقى بالكرامة وأنزل بدار الوزارة وأقطعه السلطان قطز قليوب باعمالها ثم هرب
هلاكو الى الفرات فملك وكان بها اسمعيل أخو الناصر معتقلا فأطلقه
وسرحه الى عمله بالصبينة وبانياس وولاه عليهما وقدم صاحب أرزن الى تورانشاه نائب
حلب يدعوه الى الطاعة فامتنع فسار اليها وملكها عنوة وأمنها واعتصم
تورانشاه والحامية بالقلعة وبعث أهل حماة بطاعتهم الى هلاكو وأن يبعث عليهم نائبا
من قبله ويسمى برطانيتهم الشحنة فأرسل اليهم قائدا يسمى خسروشاه وينسب فى العرب
الى خالد بن الوليد رضى الله عنه وبلغ الناصر أخذ حلب فاجفل عن دمشق واستخلف
عليها وسار الى غزة واجتمع عليه مواليه وأخوه وسار التتر الى نابلس فملكوها وقتلوا
من كان بها من العسكر وسار الناصر من غزة الى العريش وقدم رسله الى قطز تسأله
النصر من عدوهم واجتماع الايدى على المدافعة ثم تقدموا الى

بياض بالأصل

واستراب الناصر بأهل مصر فسار هو وأخوه الظاهر ومعهما الصالح بن الاشرف
موسى بن شيركوه الى التيه فدخلوا اليه وفارقهم المنصور صاحب حماة والعساكر الى
مصر فلقاهم السلطان قطز بالصالحية وآنسهم ورجع بهم الى مصر واستولى التتر على
دمشق وسائر بلاد الشام الى غزة وولوا على جميعها أمراءهم ثم امتنعت قلعة حلب
وكان بها جماعة من البحرية معتقلين منهم سنقر الاشقر وقدمهم هلاكو الى السلطان
جق من أكابر أمرائه وولى على حلب عماد الدين القزويني ووفد عليه بحلب الاشرف
موسى بن منصور بن ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص وكان الناصر قد أخذها منه كما
قدمناه فأعادها عليه هلاكو ورد جميع ولايته بالشام الى رأيه وسار الى قلعة حارم
فملكها واستباحها وأمر بتخريب أسوار حلب وقلعتها وكذلك حماة وحمص وحاصروا
قلعة دمشق طويلا ثم تسلموها بالامان ثم ملكوا بعلبك وهدموا قلعتها وساروا الى
الصبيبة وبها السعيد بن العزيز بن العادل فملكوها منه على الامان وسار معهم
ووفد على هلاكو محيي الدين بن الزكي من أهل دمشق فولاه القضاء بها ثم اعتزم
هلاكو على الرجوع الى العراق فعبروا الفرات وولى على الشام أجمع أميرا اسمه كتبغا
من أكابر أمرائه واحتمل عماد الدين القزويني من حلب وولى مكانه آخر وأما الناصر
فلما دخل في التيه هاله أمره وحسن له أصحابه قصد هلاكو فوصل الى كتبغا نائب
الشام يستأذنه ثم وصل فقبض عليه وسار به الى حتى سلمها اليه أهلها
وبعث به الى هلاكو فمر بدمشق ثم بحماة وبها الاشرف صاحب حمص وخسروشاه
بأنهما خرجا لتلقيه ثم مر بحلب ووصل الى هلاكو فأقبل عليه ووعده برده الى
ملكه ثم ثار المسلمون بدمشق بالنصارى أهل الذمة وخربوا كنيسة مريم من كنائسهم
وكانت من أعظم الكنائس في الجانب الذي فتحه خالد بن الوليد رحمه الله وكانت لهم
أخرى في الجانب الذي فتحه أبو عبيدة بالامان ولما ولي الوليد طالبهم في هذه الكنيسة
ليدخلها في جامع البلد وأعلى لهم في السوم فامتنعوا فهدمها وزادها في الجامع لانها
كانت لصقه فلما ولي عمر بن عبد العزيز استعاضوه فعوضهم بالكنيسة التي ملكها
المسلمون بالعنوة مع خالد بن الوليد رحمه الله وقد تقدم ذكر هذه القصة فلما ثار المسلمون
الآن بالنصارى أهل الذمة خربوا كنيسة مريم هذه ولم يبقوا لها أثرا ثم ان العساكر
الاسلامية اجتمعت بمصر وساروا الى الشام لقتال التتر صحبة السلطان قطز صاحب
ومعه المنصور صاحب حماة وأخوه الافضل فسار اليه كتبغا
نائب الشام ومعه الاشرف صاحب حمص والسعيد صاحب الصبيبة ابن العزيز بن
العادل والتقوا على عين جالوت بالغور فانهزم التتر وقتل أميرهم النائب كتبغا وأسر

السعيد صاحب الصبينة فقتله قطز واستولى على الشام أجمع وأقر المنصور صاحب حماة على بلده ورجع الى مصر فهلك فى طريقه قتله بيبرس البندقدارى وجلس على التخت مكانه وتلقب بالظاهر حسبما نذكر ذلك كله فى دولة الترك ثم جاءت عساكر التتر الى الشام وشغل هلا كو عنهم بالفتنة مع قومه وأسف على قتل كتبغا نائبه وهزيمة عساكره فأحضر الناصر ولامه على ما كان منه من تسهيله عليه أمر الشام وتجنى عليه بأنه غره بذلك فاعتذر له الناصر فلم يقبل فرماه بسهم فأنفذه ثم اتبعه بأخيه الظاهر وبالصالح بن الاشرف موسى صاحب حمص وشفعت زوجة هلا كو فى العزيز بن الناصر وكان مع ذلك يحبه فاستبقاه وانقرض ملك بنى ايوب من الشام كما انقرض قبلها من مصر واجتمعت مصر والشام فى مملكة الترك ولم يبق لبنى أيوب بهما ملك الا للمنصور بن المظفر صاحب حماة فان قطز أقره عليها والظاهر بيبرس من بعده وبقى فى امارته هو وبنوه مدة من دولة الترك وطاعتهم حتى أذن الله بانقراضهم وولى عليها غيرهم من أمرائهم كما نذكر فى أخبار دولتهم والله وارث الارض ومن عليها والعاقبة للمتقين

الاشرف موسى بن يوسف أطفر بن المسعود

الامجد عبد الله بن المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر

المؤيد داود بن يونس بن مودود

السلطان سلار شاه

الكامل محمد بن الظاهر غازي

الاشرف موسى

المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر

عيسى

الناصر داود بن المعظم عيسى

شادي بن الناصر

أحمد

الصالح اسمعيل

الفائز ابراهيم

الافضل محمد بن المؤيد اسمعيل بن الافضل بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن شادي

أحمد محمد ١٣

محمد

المعظم توران شاه

محمد العزيز بن الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي

المنصور بن المعز عثمان

الافضل علي

الصالح أحمد

الظاهر غازي

الصالح بن الاشرف موسى بن المنصور ابراهيم بن شيركوه بن محمد بن شيركوه

{ الخبر عن دولة الترك القائمين بالدولة العباسية بمصر والشام من }
{ بعد بني أيوب لهذا العهد ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم }

قد تقدم لنا ذكر الترك وأنسابهم أول الكتاب عند ذكر أمم العالم ثم في أخبار الامم السلجوقية وانهم من ولد يافث بن نوح باتفاق من أهل الخليقة فعند نسابة العرب انهم من عامور بن سويل بن يافث وعند نسابة الروم انهم من طيراش بن يافث هكذا وقع في التوراة والظاهر ان ما وقع لنسابة العرب غلط وان عامور هو مصحف كومر لان كافه تنقلب عند التعريب غينا معجمة فربما صحفت عينا مهملة أو بقيت بحالها وأما سويل فغلط بالزيادة وأما ما وقع للروم من نسبتهم الى طيراش فهو منقول في الاسرائيليات وهو رأي مرجوح عندهم لمخالفته لما في التوراة وأما شعوبهم واجناسهم فكثيرة وقد عددنا منهم أول الكتاب التغرغز وهم التتر والخطا وكانوا بأرض طمغاج وهي بلاد ملوكهم في الاسلام تركستان وكاشغر وعددنا منهم أيضا الخزلجية والغز الذين كان منهم السلجوقية والهياطلة الذين منهم الخلج وبلادهم الصغد قريبا من سمرقند ويسمون بها أيضا وعددنا منهم أيضا الغور والخزر والقفجاق ويقال الخفشاخ ويمك والعلان ويقال اللان وشركس واركش وقال صاحب كتاب زجار في الكلام على الجغرافيا اجناس من الترك كلهم وراء النهر الى البحر المظلم وهي العسسة والتغرغزية والخرخيرية والكيماكية والخزلجية والخزر والخاسان وتركش واركش وخفشاخ والخلج والغزية وبلغار وخيماكت وينالك وبرطاس وسنجرت وخرجان وانكر وذكر في موضع آخر انكر من شعوب الترك وانهم في بلاد البنادقة من أرض الروم وأما مواطنهم فانهم ملكوا الجانب الشمالي من المعمور في النصف الشرقي منه قبالة الهند والعراق في ثلاثة أقاليم هي السادس والسابع والخامس كما ملك العرب الجانب الجنوبي من المعمور أيضا في جزيرة العرب وما اليها من أطراف الشام والعراق وهم رحالة مثلهم وأهل حرب وافتراس ومعاش من التغلب والنهب الا في الاقل وقد ذكرنا انهم عند الفتح لم يذعنوا الا بعد طول حرب وممارسة أيام سائر دولة بني أمية وصدرا من دولة بني العباس وامتلأت أيدي العرب يومئذ من سبيهم فاتخذوهم خولا في المهن والصنائع ونساءهم فرشا للولادة كما فعلوه في سبي الفرس والروم وسائر الامم الذين قاتلوهم على الدين وكان شأنهم أن لا يستعينوا برقيقهم في شيء مما يعانونه من الغزو والفتوح ومحاربة الامم ومن أسلم منهم تركوه لسبيله التي هو عليها من أمر معاشه بعلى طاغية هواه لان عصبية العرب كانت

مستفحلة يومئذ وشوكتهم قائمة مرهفة بيدهم وبسلطانهم في الامر جميعا ومن ساهمهم
الى العز والمجد واحد وكانوا كاسنان المشط لتراحم الانساب وعضاضة الدين حتى اذا
ارهف الملك حده ونهج الى الاستبداد طريقه واحتاج السلطان في القيام بأمره الى
الاستظهار على المنازعين فيه من قومه بالعصبية المدافعة دونه والشوكة المعترض
شباها في اذياله حتى تجدع أنوفهم عن التطاول الى رتبته وتغض أعنتهم عن السير
في مضماره اتخذ بنو العباس من لدن المهدي والرشيد بطانة اصطنعوهم من
موالي الترك والروم والبربر ملؤا منهم المواكب في الاعياد والمشاهد والحروب
والصوائف   على السلطان وزينة في أيام السلم وأكنافا للعصابة
الملك حتى لقد اتخذ المعتصم مدينة سامرا لهم تحرجا من اضرار الرعية باصطدام
مراكبهم وتراكم القتام بجموعهم وضيق السكك على المارين بزحامهم وكان اسم الترك
غالبا على جميعهم فكانوا اتباعا لهم ومندرجين فيهم وكانت حروب المسلمين لذلك العهد
في القاصية ونحو صوامع الترك متصلة والشوح فيهم متعاقبة وامواج السبي من كل
وجه متداركة وربما رام الخلفاء عند استكمال بعثهم واستجماع عصابتهم اصطفاء
علية منهم للمخالصة وقواد العساكر ورؤساء المراكب فكانوا يأخذون في تدريجهم
لذلك بمذاهب الترشيح ينتقون من أجود السبي الغلمان كالدنانير والجوار كاللآلي
ويسلمونهم الى قهارمة القصور وقومة الدواوين يأخذونهم بحدود الاسلام
والشريعة وآداب الملك والسياسة ومراس الثقافة في المران على المناضلة بالسهام
والمسالحة بالسيوف والمطاعنة بالرماح والبصر بأمور الحرب والفروسية ومعاناة
الخيول والسلاح والوقوف على معاني السياسة حتى اذا تارعوا في الترشيح وانسلخوا
من جلدة الخشونة الى رقة الحاشية وملكة التهذيب اصطنعوا منهم للمخالصة
ورقوهم في المراتب واختاروا منهم لقيادة العساكر في الحروب ورياسة المواكب
أيام الزينة ورتق الفتوق الحادثة وسد الثغور القاصية كل على شاكلة غنائه وسابق
اصطناعه فلم يزل هذا دأب الخلفاء في اصطناعهم ودعامة سرير الملك بعمدهم وتمهيد
الخلافة بمقاماتهم حتى سموا الى درج الملك وامتلأت جوانحهم من العز وطمحت
أبصارهم الى الاستبداد فتغلبوا على الدولة وحجروا الخلفاء وقعدوا بدست الملك
ومدرج النهي والامر وقادوا الدولة بزمامهم واضافوا اسم السلطان الى مراتبهم
وكان مبدأ ذلك واقعة المتوكل وما حصل بعدها من تغلب الموالي واستبدادهم بالدولة
والسلطان ونهج السلف منهم في ذلك السبيل للخلف واقتدى الآخر بالاول فكانت
لهم دول في الاسلام متعددة تعقب عالسادولة أهل العصبية وشوكة النسب كمثل دولة

بنى سامان وراء النهر وبنى سبكتكين بعدهم وبنى طولون بمصر وبنى طغج وما كان بعد الدولة السلجوقية من دولتهم مثل بنى خوارزم شاه بما وراء النهر وبنى طغرلتكين بدمشق وبنى ارتق بماردين وبنى زنكى بالموصل والشام وغير ذلك من دولهم التى قصصناها عليك فى تصانيف الكتاب حتى اذا استغرقت الدولة فى الحضارة والترف ولبست اثواب البلاء والعجز ورميت الدولة بكفرة التتر الذين أزالوا كرسى الخلافة وطمسوا رونق البلاد وأدالوا بالكفر من الايمان بما أخذ أهلها عند الاستغراق فى التنعم والتشاغل فى اللذات والاسترسال فى الترف من تكاسل الهمم والقعود عن المناصرة والانسلاخ من جلدة البأس وشعار الرجولية فكان من لطف الله سبحانه ان تدارك الايمان باحياء رمقه وتلافى شمل المسلمين بالديار المصرية بحفظ نظامه وحماية سياجه بأن بعث لهم من هذه الطائفة التركية وقبائلها العزيزة المتوافرة أمراء حامية وانصارا متوافية يجلبون من دار الحرب الى دار الاسلام فى مقادة الرق الذى كمن اللطف فى طيه وتعرفوا العز والخير فى مغبته وتعرضوا للعناية الربانية بتلافيه يدخلون فى الدين بعزائم ايمانية واخلاق بدوية لم يدنسها لؤم الطباع ولا خالطتها اقذار اللذات ولا دنستها عوائد الحضارة ولا كسر من سورتها غزارة الترف ثم يخرج بهم التجار الى مصر ارسالا كالقطا نحو الموارد فيستعرضهم أهل الملك منهم ويتنافسون فى أثمانهم بما يخرج عن القيمة لا لقصد الاستعباد انما هو اكتناف للعصبية وتغليظ للشوكة ونزوع الى العصبية الحامية يصطفون من كل منهم بما يؤنسونه من شيم قومهم وعشائرهم ثم ينزلونهم فى غرف الملك ويأخذونهم بالمخالصة ومعاهدة التربية ومدارسة القرآن وممارسة التعليم حتى يشتدوا فى ذلك ثم يعرضونهم على الرمى والثقافة وركض الخيل فى الميادين والمطاعنة بالرماح والمماصعة بالسيوف حتى تشتد منهم السواعد وتستحكم الملكات ويستيقنوا منهم المدافعة عنهم والاستماتة دونهم فاذا بلغوا الى هذا الحد ضاعفوا أرزاقهم ووفروا من اقطاعهم وفرضوا عليهم استجادة السلاح وارتباط الخيول والاستكثار من أجناسهم لمثل هذا القصد وربما عمروا بهم خطط الملك ودرجوهم فى مراتب الدولة فيسترشح من يسترشح منهم لاقتعاد كرسى السلطان والقيام بأمور المسلمين عناية من الله تعالى سابقة ولطائف فى خلقه سارية فلا يزال نشؤ منهم يردف نشأ وجيل يعقب جيلا والاسلام يبتهج بما يحصل به من الغناء والدولة ترف أغصانها من نضرة الشباب وكان صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام وأخوه العادل أبو بكر من بعده ثم بنوهم من بعدهم قد تناغوا فى ذلك بما فوق الغاية واختص الصالح نجم الدين أيوب آخر ملوكهم بالمبالغة فى ذلك

والامعان فيه فكان عامة عسكره منهم فلما انتقص عشيره وخذله أنصاره وقعد عنه أولياؤه وجنوده لم يدع سبباً في استجلابهم الا أتاه من استجادة المترددين الى ناحيتهم ومن اضافة التجار في أثمانهم بأضعاف ثمنهم وكان رقيقهم قد بلغ الغاية من الكثرة لما كان الترف ددوحوا الجانب الغربى من ناحية الشمال وأوقعوا بسكانه من الترك وهم شعوب القفجاق والروس والعلان والولات وما جاورهم من قبائل جركس وكان ملك الترك بالشمال يومئذ دوشي خان بن جنكزخان قد أمانهم بالقتل والسبى فامتلأت أيدى أهل تلك النواحى برقيقهم وصاروا عند التجار من أنفس بضائعهم والله تعالى أعلم (ذكر بيبرس البندقدارى) فى تاريخه حكاية غريبة عن سبب دخول الترك لبلادهم بعد ان عد شعوبهم فقال ومن قبائلهم يعنى القفجاق قبيلة طغصبا وتناويرح اغلا والبولى وقنغرا على وأوعلى ودورت وقلابا على وجرثان وقد كاركلى وكنن هذه احدى عشرة قبيلة وليس فيها ذكر الشعوب العشرة القديمة الذكر التى عددها النسابة كما قدمناه أول الترجمة وهذه والله أعلم بطون متفرعة من القفجاق فقط وهى التى فى ناحية الغرب من بلادهم الشمالية فان سياق كلامه انما هو فى الترك المجلوبين من تلك الناحية لا من ناحية خوارزم ولا ما وراء النهر قال بيبرس ولما استولى التتر على بلادهم سنة ست وعشرين والملك يومئذ بكرسى جنكزخان لولده دوشي خان واتفق ان شخصاً من قبيلة دورت يسمى منقوش بن كتمرجح متصيداً فلقيه آخر من قبيلة طغصبا اسمه آقا كبك وبين القبيلتين عداوة مستحكمة فقتله وأبطأ خبره عن أهله فبعثوا طليعة لاستكشاف أمره اسمه جلنقر فرجع اليهم وأخبرهم وأنه قتل وسمى لهم قاتله فجمعوا العرب وتزاحفت القبيلتان فانهزمت قبيلة طغصبا وجرح آقا كبك القاتل وتفرق جمعه فأرسل أخاه اقصر الى ملكهم دوشي يستعلم على دوى قبيلة دورت القفجاقية وذكر ما فعل كتمر وقومه بأخيه وأغراهم وسهل له الشان فيهم وبعث دوشي خان جاسوسه لاستكشاف حالهم واختبار مراسهم وشكيمتهم فعاد اليه بتسهيل المرام فيهم وقال ان رأيت كلاباً تكبين على فريستهم متى طردتهم عنها تمكنت منها فأطمعه ذلك فى بلاد القفجاق واستحثه أقصر الذى جاء صريخاً وقال له ما معناه نحن ألف رأس تجمعنا ذنباً واحداً وأنتم رأس واحد تجمع ألف ذنب فراده ذلك اغراء ونهض بجموع التتر وأوقع بالقفجاق وأثخن فيهم قتلاً وسبياً وأسراً وفرقهم فى البقاع وامتلأت أيدى التجار وجلبوهم الى مصر فوضعه الله بالمنزول فى الاعيان والاستيلاء

على الملك والسلطان انتهى كلام بيبرس ومساق القصة يدل على أن قبيلة دورت من القفجاق وان قبيلة طغصبا من التتر فيقتضى ذلك أن هذه البطون التي عددت ليست من بطن واحد وكذلك يدل مساقها على ان أكثر هؤلاء الترك الذين بديار مصر من القفجاق والله تعالى أعلم

الخبر عن استبداد الترك بمصر وانفرادهم بها عن بنى أيوب ودولة المعز ايبك أول ملوكهم

قد تقدم لنا ان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل قد استكثر من المماليك الترك ومن فى معناهم من التركمان والارمن والروم وجركس وغيرهم الا أن اسم الترك غالب على جميعهم لكثرتهم ومزيتهم وكانوا طوائف متميزين بسمات من ينسبون اليه من نسب أو سلطان فمنهم العزيزية نسبة الى العزيز عثمان بن صلاح الدين ومنهم الصالحية نسبة الى هذا الصالح أيوب ومنهم البحرية نسبة الى القلعة التى بناها الصالح بين شعبتى النيل ازاء المقياس بما كانوا حاميتها وكان هؤلاء البحرية شوكة دولته وعصابة سلطانه وخواص داره وكان من كبرائهم عز الدين ايبك الجاشنكير التركمانى ورديفه فارس الدين اقطاى الجامدار وركن الدين بيبرس البندقدارى ولما كان ماقدمناه ووفاة الصالح بالمنصورة فى محاصرة الافرنج بدمياط فى سنة سبع وأربعين وكتمانهم موته ورجوعهم فى تدبير أمورهم الى شجر الدر زوجة الصالح وأم ولده خليل وبعثهم الى ابنه المعظم توران شاه وانتظاره وان الافرنج شعروا بموت الصالح فدلفوا الى معسكر المسلمين على حين غفلة فانكشف أوائل العسكر وقتل فخر الدين الاتابك ثم أفرغ الله الصبر وثبت اقدامهم وأبلى أمراء الترك فى ذلك اليوم بلاء حسنا ووقفوا مع شجر الدر زوج السلطان تحت الرايات ينوهون بمكانها فكانت لهم الكرة وهزم الله العدو ثم وصل المعظم توران شاه من كيفا فبايعوا له وأعطوه الصفقة وانتظم الحال واستطال المسلمون على الافرنج برا وبحرا فكان ماقدمناه من هزيمتهم والفتك بهم وأسر ملكهم الفرنسيس ثم رحل المعظم اثر هذا الفتح الى مصر لشهرين من وصوله ونزل بفارس كور بدمصر وكانت بطانته قد استطالوا على موالى أبيه وتقسموهم بين النكبة والاهمال فاتفق كبراء البحرية على قتله وهم ايبك واقطاى وبيبرس فقتلوه كما مر ونصبوا للملك شجر الدر أم خليل وخطب لها على المنابر ونقش اسمها على السكة ووضعت علامتها على المراسم ونصها أم خليل وقام ايبك التركمانى باتابكية العسكر ثم فودى الفرنسيس بالنزول عن دمياط وملكها المسلمون سنة ثمان وأربعين وسرحوه فى البحر الى بلاده بعد ان توثقوا منه باليمين أن لا يتعرض لبلاد المسلمين مابقى

واستقلت الدولة بمصر للترك وانقرضت مهاد دولة بنى أيوب وبلغ الخبر الى بنى أيوب بقتل المعظم وولاية المرأة وما كشف ذلك فاستعصوا له وكان فتح الدين عمر بن العادل قد حبسه عمه الصالح أيوب بالكرك لنظر بدر الصوابى خادمه الذى ولاه على الكرك والشوبك لما ملكهما كما مر فاطلق بدر الدين من محبسه وبايع له وقام بأمره واقسه المعيث واتصل الخبر بمصر وعلموا أن الناس قد نقموا عليهم ولاية المرأة فاتفقوا على ولاية زعيمهم ايبك لتقدمه عند الصالح وأخيه العادل قبله فبايعوه له وخلعوا أم خليل ولقبوه بالمعز فقام بالامر وانفرد بملك مصر وولى مولاه سيف الدين قطز نائبا وعمر المراتب والوظائف بأمراء الترك والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

زحوف الناصر صاحب دمشق من بنى أيوب الى مصر وولاية الاشرف موسى مكان أيبك

كان الملك الصالح أيوب قبل موته قد استخلف جمال الدين بن يغمور على دمشق مكان ابن مطروح وامراء الدولة الايوبية بها متوامرون فلما بلغهم استبداد الترك بمصر وولاية ايبك وبيعة المعيث بالكرك أجمعوا النظر فى تلافى أمورهم وكبراء بنى أيوب يومئذ بالشام الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وحمص وما اليها فاستدعوه وبايعوه له بدمشق وأغروه بطلب مصر واتصل الخبر للترك فى مصر فاعتزموا على أن ينصبوا بعض بنى أيوب فيكفوا به ألسنة النكير عنهم فبايعوا لموسى الذى كان أبوه يوسف صاحب اليمن وهو يوسف اطسز بن المسعود بن الكامل وهو يومئذ ابن ست سنين ولقبوه الاشرف وتزحزح له ايبك عن كرسى السلطان الى رتبة الاتابكية واستمر الناصر على غلوائه فى النهوض الى مصر واستدعى ملوك الشام من بنى أيوب فأقبل اليه موسى الاشرف الذى كان صاحب حمص واسمعيل الصالح بن العادل صاحب بعلبك والمعظم توران شاه بن صلاح الدين وأخوه نصر الدين وابنا داود الناصر صاحب الكرك وهما الامجد حسن والظاهر شادى وارتحل من دمشق سنة ثمان وأربعين وفى مقدمته اتابكه لؤلؤ الارمنى وبلغ الخبر الى مصر فاضطرب الامر ونادوا بشعار الخلافة والدعاء للمستعصم وجددوا البيعة على ذلك للاشرف وجهزوا العساكر وخرجوا للقائهم وسار فى المقدمة اقطاى الجامدار وجمهور البحرية وتبعهم ايبك ساقة فى العساكر والتقى الجمعان بالعباسية فانكشف عسكر مصر أولا وتبعهم أهل الشام وثبت المعز فى القلب ودارت عليه رحى الحرب وهرب اليه جماعة من عسكر الناصر فيهم أمراء العزيزية مثل جمال الدين لابدعون وشمس الدين أتسز البرلى وشمس الدين أتسز الحسامى عضوا من رياسة لؤلؤ عليهم

فهربوا وبقي لؤلؤ في ثم حمل المعز على الناصر وأصحابه فانهزموا وانتهت عساكرهم وجيء بلؤلؤ الاتابكي أسيرا فقتله صبرا وبأمراء بني أيوب نفسهم ورجع ايبك من الوقعة فوجد عساكر الناصر مجتمعين بالعباسة يظنون الغلب لهم فعدل الى بلبيس ثم الى القلعة ورجعت عساكر الشام من اتباع المنهزمين لما شعروا بهزيمة صاحبهم فلحقوا بالناصر بدمشق ودخل ايبك الى القاهرة وحبس بني أيوب بالقلعة ثم قتل منهم اسمعيل الصالح ووزيره ابن يغمور الذي كان معتقلا من قبل ولما وصل الناصر الى دمشق ازاح علل عساكره وحمل الكرة الى مصر ونزل غزة سنة خمسين وبرزت عساكره مر للقائه فتواقفوا مليا ثم وصل نجم الدين البادرائي رسول المستعصم فاصلح بين الطائفتين على أن يكون القدس والساحل الى نابلس للمعز والتخم بين المملكتين نهر الاردن وانعقد الامر على ذلك ورجع كل الى بلده وأخرج المعز عن أمراء بني أيوب الذين حبسهم يوم الوقعة والله سبحانه وتعالى أعلم

(واقعة العرب بالصعيد مع اقطاي)

لما شغل الصالح بالافرنج وما بعدهم عظم فساد العرب بالصعيد واجتمعوا على الشريف حصن الدين أبي ثعلب بن نجم الدين عمر بن فخر الدين اسمعيل بن حصن الدين ثعلب الجعفري من ولد جعفر بن أبي طالب الذين أجازوا من الحجاز لما غلبهم بنو عمهم بنواحي المدينة في الحروب التي كانت بينهم وأطاعه أعراب الصعيد كافة ولم يقدر على كفهم عن الرابة واتصل ذلك وهلك الصالح واستبد الترك بمصر وشغلوا عنهم بما كان من مطالبة بني أيوب لهم فلما فرغ المعز ايبك من أمر الناصر وعقد الصلح معه بعث لحربهم فارس الدين اقطاي وعز الدين ايبك الافرم أمير البحرية فساروا اليهم ولقوهم بنواحي اخميم فهزموهم وفر الشريف ناجيا بنفسه ثم قبض عليه بعد ذلك وقتل ورجعت العساكر الى القاهرة والله تعالى أعلم

(مقتل اقطاي الجامدار وفرار البحرية الى الناصر ورجوع ايبك الى كرسيه)

كان اقطاي الجامدار من أمراء البحرية وعظمائهم ويلقب فارس الدين وكان رديفا للمعز ايبك في سلطانه واتابكه وكان يغض من عنانه عن الطموح الى الكرسي وكان يخفض من جناحه للبحرية يتألفهم بذلك فيميلون له عن ايبك فاعتز في الدولة واستفحل أمره وأخذ من المعز الاسكندرية اقطاعا وتصرف في بيت المال وبعث فخر الدين محمد بن الناصر بهاء الدين بن حيا الى المظفر صاحب حماة في خطبة ابنته فتزوجها وأطلق يده في العطاء والاقطاع فعم الناس وكثر تابعه وغص به المعز ايبك واجمع

قتله فاستدعاه بعض الايام للعصر للشورى سنة ثنتين وخمسين وقد أكمن له ثلاثة من موالية في محرمقاعة الاعمدة وهم قطز وبهادر وسنجر فوثبوا عليه عند حضوره مهم وبادروه بالسيوف وقتلوه لحينه واتصلت الهيعة بالبحرية فركبوا وطافوا بالقلعة ورمى اليهم برأسه فانفضوا واستراب أمراؤهم فاجتمع ركن الدين بيبرس البندقدارى وسيف الدين قلاوون الصالحى وسيف الدين سنقر الاشقر وبدر الدين بيسرى الشمسي وسيف الدين بلبان الرشيدى وسيف الدين سكر واخوه سيف الدين موافق ولحقوا بالشام فيمن انضم اليهم من البحرية واختفى من تخلف منهم واستصفيت أموالهم وذخائرهم وارتجع ما أخذه اقطاى من بيت المال ورد ثغر الاسكندرية الى أعمال السلطان وانفرد المعز ايبك بتدبير الدولة وخلع موسى الاشرف وقطع خطبته وخطب لنفسه وتزوج شجر الدر زوجة الصالح التى كانوا ملكوها من قبل واستخلص علاء الدين ايدغدى العزيزى وجماعة العزيزية وأقطعه دمياط ولما وصل البحرية وأمراؤهم الى غزة كاتبوا الناصر يستأذنونه في القدوم وساروا اليه فاحتفل في مبرتهم وأغروه بملك مصر فاجابهم وجهز العساكر وكتب المعز فيهم الى الناصر وطلبوا منه القدس والبلاد الساحلية فاقطعها اليهم ثم سار الناصر الى العزيزية الى القاهرة في العزيزية ومن اليهم ونزل العباسية وتواقف الفريقان مدة ثم اصطلحوا ورجع كل الى بلده سنة أربع وخمسين وبعث ايبك رسوله الى المستعصم بطاعته وطلب الالوية والتقليد ولما رجع الى مصر قبض على علاء الدين ايدغدى لاسترابته به وأعاد دمياط الى أعمال السلطان واتصلت أحواله الى أن هلك فى الدولة والله تعالى أعلم

(فرار الاقرم الى الناصر بدمشق)

كان عز الدين ايبك الاقرم الصالحي والياً على قوص واخميم وأعمالها فقوى أمره وهم بالاستبداد وأراد المعز عزله فامتنع عليه فبعث بعض المرارزمية مدداً له ودس اليهم القتك به فلما وصلوا اليه استخدمهم وخالطهم بنفسه فاغتالوه وقبضوا عليه وترامو اليه العبيد فبطشوا بهم وقتلوهم وخلعوه ثم عزله بعد ذلك

الدين الصيرى فى خدمته واستدعاه الى مصر فأقام عنده ثم بعثه مع اقطاى الى الصعيد وخشى ومعه الشريف أبو ثعلب والعرب كامر وعاد اقطاى الى مكانه من الدولة وأوعز المعز ايبك الى الاقرم بالمقام لتمهيد بلاد الصعيد وأن يكون الصيرى فى خدمته وبلغه وهو هنالك أن المعز عدا على اقطاى وقتله وان أصحابه البحرية نزعوا الى الشام فاستوحش وأظهر العصيان واستدعى الشريف أبا ثعلب وتظاهر معه على العناد وجمعوا الاعراب من كل ناحية ثم بعث المعز سنة ثلاث وخمسين شمس الدين

البرلي في العساكر فهزمهم واعتقل الشريف فلم يزل في محبسه الى أن قتله الظاهر ونجا الافرم في قليل من مواليه الى الواحات ثم اعتزم على قصد الشام فرجع الى الصعيد مع جماعة من اعراب جذام مروا به على السويس والطور ورجع عنه مواليه الى مصر ولما انتهى الى غزة تولع به الناصر فأذنه بالقدوم عليه بدمشق وركب يوم وصوله فتلقاه بالكسوة وأعطاه خمسة آلاف دينار ولم يزل عنده بدمشق الى أن هرب البحرية من الكرك الى مصر كما ذكر فخشي أن يأخذه الناصر وكاتب الاتابك قطز بمصر وسار اليه فتقبله أولا ثم قبض عليه بعد ذلك واعتقله بالاسكندرية وكان الصيمري قد بقي بعد الافرم في ولاية الصعيد واستفحل فيه فسولت له نفسه الاستبداد ولم يتم له فهرب الى الناصر سنة أربع وخمسين انتهى والله تعالى أعلم

(مقتل المعز ايبك وولاية ابنه علي المنصور)

كان المعز ايبك عندما استفحل أمره ومهد سلطانه ودفع الاعداء عن حوزته طمعت نفسه الى مظاهرة المنصور صاحب حماة ولؤلؤ صاحب الموصل ليصل يده بهما وأرسل اليهما في الخطبة وأثار ذلك غيرة من زوجته شجر الدر وأغرت به جماعة من الخصيان منهم محسن الجزري ونهي العزيزي ويقال سنجر الخادمان فبيتوه في الحمام بقصره وقتلوه سنة خمس وخمسين لثلاث سنين من ولايته وسمع مواليه النابعة من جوف الليل فجاؤا مع سيف الدين قطز وسنجر الغتمي وبهادر وقد دخلوا القصر وقبضوا على الجوهري فقتلوه وفر سنجر العزيزي الى الشأم وهموا بقتل شجر الدر وقام الموالي الصالحية دونها فاعتقلوها ونصبوا للملك علي بن المعز ايبك ولقبوه المنصور وكان أتابكه علم الدين سنجر الحلبي واشتمل موالي المعز على ابنه المنصور فكبسوا علم الدين سنجر واعتقلوه وولوا مكانه اقطاي المعزي الصالحي مولى العزيز على الدولة في نقضها وابرامها سنة ست وخمسين وأغرته أم المنصور بالصاحب شرف الدين الغازي لان المعز كان يستودعه سراياه عنده فاستصفاه وقتله وفي هذه السنة توفي زهير ابن علي المهلبي وكان يكتب عن الصالح ويلازمه في سجنه بالكرك ثم صحبه الى مصر والله تعالى أعلم

(نهوض البحرية بالمغيث صاحب الكرك وانهزامهم)

قد ذكرنا فرار البحرية الى الناصر ونهوضهم به الى مصر وخروج ايبك الى العباسة وما كان بينهما من الصلح فلما انعقد الصلح ورجع الناصر الى دمشق ورجعوا عنه الى قلعتها ولم يرضوا الصلح فاسترابهم الناصر وصرفهم عنه فلحقوا بغزة ونابلس وبعثوا الى المغيث صاحب الكرك بطاعتهم فأرسل الناصر عساكره للايقاع

بهم فهزموهم فسار اليهم بنفسه فهزموه الى البلقاء ولحقوا بالكرك وأطمعوا المغيث في مصر واستمدوه فأمدهم بعسكره وقصدوا مصر وكبراؤهم بيبرس البندقداري وقلاوون الصالحي وبلبان الرشيدي وبرز الامير سيف الدين قطز بعساكر مصر الى الصالحية فهزمهم وقتل بلغار الاشرفي وأسر قلاوون الصالحي وبلبان الرشيدي وأطلق قلاوون بعد أيام في كفالة أستاذ الدار فاختفى ثم لحق بأصحابه واستحثوا المغيث الى مصر فنهض في عساكره سنة ست وخمسين ونزل الصالحية وقدم اليه عز الدين الرومي والكاوري والهواشمي كان يكاتبه من أمراء مصر وبرز سيف الدين قطز في عساكر مصر والتقى الجمعان فانهزم المغيث ولحق في الفل بالكرك وفرت البحرية الى الغور فوجدوا هنالك أحياء من الاكراد فروا من جبال شهرزور أمام التتر فاجتمعوا اليهم والتحموا بالصهر معهم وخشي الناصر غائلة اجتماعهم فجهز العساكر من دمشق اليهم والتقوا بالغور فانهزمت عساكره فجهز ثانيا بنفسه وسار اليهم فخاموا عن لقائه وافترقوا ولحق الاكراد بمصر واعترضهم التركمان في طريقهم بالعريش فأوقعوا بهم وخلصوا الى مصر ولحق البحرية بالكرك مع عسكر المغيث ووعدهم بالمصر وأرسل اليه من دمشق في اسلامهم اليه وتوعده فقبض عليهم واضطربوا وافترق بيبرس وقلاوون الى الصحراء وأقاموا بها ثم لحقوا بمصر وأكرمهم الاتابك قطز وأقطعهم وأقاموا عنده ولما افترق بيبرس وقلاوون من المغيث قبض على بقية أمراء البحرية سنقر الاشقر وسكز وبرامق وبعث بهم الى الناصر فحبسهم بقلعة حلب الى أن استولى التتر عليها ونقلهم هلاكو الى بلاده والله سبحانه وتعالى أعلم

(خلع المنصور علي بن ايبك واستبداد قطز بالملك)

ثم كان ما ذكرناه وبذكره من زحف هلاكو الى بغداد واستيلائه عليها وما بعدها الى الفرات وفتحه ميافارقين واربل وسير لؤلؤ صاحب الموصل اليه ودخوله في طاعته ووفادة ابن الناصر صاحب دمشق اليه رسولا عن أبيه بالهدايا والتحف على سبيل المصانعة والعذر عن الوصول بنفسه خوفا على سواحل الشام من الافرنج فارتاب الامراء بشأنهم واستصغروا سلطانهم المنصور علي بن المعز ايبك عن مدافعة هذا العدو لعدم ممارسته للحروب وقلة دربته بالوقائع واتفقوا على البيعة لسيف الدين قطز المعزي وكان معروفا بالصرامة والاقدام فبايعوه وأجلسوه على الكرسي سنة ست وخمسين ولقبوه المظفر وخلعوا المنصور لسنتين من ولايته وحبسوه وأشقوه بدمياطا ثم غربهما الظاهر بعد ذلك الى القسطنطينية وكان المتولون لذلك الصالحية والعزيزية

ونحن نرجع الى قطز من المعزية وكان بهادر وسنجر الغتمي غائبين فلما قدما استراب بهما قطز وخشي من نكيرهما ومزاحمتهما فقبض عليهما وحبسهما وأخذ في تمهيد الدولة فاستوثقت له وكان قطز من أولاد الملوك الخوارزمية يقال انه ابن أخت خوارزم شاه واسمه محمود بن مودود اسره التتر عند الحادثة عليهم وبيع واشتراه ابن الزعيم حكاه النووي عن جماعة من المؤرخين والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

{ استيلاء التتر على الشأم وانقراض أمر بني أيوب ثم مسير قطز بالعساكر }
{ وارتجاعه الشأم من أيدي التتر وهزيمتهم وحصول الشأم في ملك الترك }

ثم عبر هلاكو الفرات سنة ثمان وخمسين وفر الناصر وأخوه الظاهر الى التيه ولحق بمصر المنصور صاحب حماة وجماعة البحرية الذين كانوا باحياء العرب في القفر وملك هلاكو بلاد الشأم واحدة واحدة وهدم أسوارها وولى عليها وأطلق المعتقلين من البحرية بحلب مثل سنقر الاشقر وسكر وبرابق واستخدمهم ثم قفل الى العراق لاختلاف بين اخوته واستخلف على الشأم كسعا من أكبر أمرائه في اثني عشر ألفا من العساكر وتقدم اليه بطاعة الاشرف ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص بعد ان ولاه على مدينة دمشق وسائر مدن الشأم واحتمل معه الناصر وابنه العزيز بعد ان استشاره في تجهيز العساكر بالشأم لمدافعة أهل مصر عنها فهوّن عليه الامر وقللهم في عينه فجهز كسعا ومن معه ولما فصل سار كسعا الى قلعة دمشق وهي ممتنعة بعد محاصرها وافتتحها عنوة وقتل نائبها بدر الدين بربدك وخيم بمرج دمشق وجاءه من ملوك الافرنج بالساحل ووفد عليه الظاهر أخو الناصر صاحب صرخد فرده الى عمله وأوفد عليه المغيث صاحب الكرك ابنه العزيز بطاعته فقبله ورده الى أبيه واجتمعت عساكر مصر واحتشد المظفر العرب والتركمان وبعث اليهم بالعطايا وأزاح العلل وبعث كسعا الى المظفر قطز بأن يقيم طاعة هلاكو بمصر فضرب أعناق الرسل ونهض الى الشأم مصمما للقاء العدو ومعه المنصور صاحب حماة وأخوه الافضل وزحف كسعا وعساكر التتر ومعه الاشرف صاحب حمص والسعيد صاحب الضبينة ابن العزيز بن العادل وبعث اليهما قطز يستميلهما فوعده الاشرف بالانهزام يوم اللقاء وأساء العزيز الرد على رسوله وأوقع به والتقى الفريقان بالغور على عين جالوت وتحيز الاشرف عندما تناشبوا فانهزم التتر وقتل أميرهم كسعا في المعركة وجيء بالسعيد صاحب الضبينة أسيرا فوبخه ثم قتله وجيء بالعزيز بن المغيث وأسر يومئذ الذي ملك مصر بعد ذلك وافى العادل بيبرس المنهزمين في عسكر من الترك فأثخن فيهم وانتهى الى حمص فلقى مددا من التتر جاء لكسعا فاستأصلهم ورجع اليه الاشرف صاحب حمص من عسكر التتر فأقره

بياض بالاصل

على بلده وبعث المنصور على بلده حماة وأقره عليها ورد اليه المعرة وانتزع منه سلمية وأقطعها الامير العرب مهنا بن مانع بن حديثة وسار الى دمشق فهرب من كان بها من التتر وقتل من وجد من بقاياهم ورتب العساكر في البلاد وولى على دمشق علم الدين سنجر الحلبي الصالحي وهو الذي كان أتابك على بن ايبك ونجم الدين أبا الهيجاء ابن خشترين الكردي وولى على حلب السعيد ويقال المظفر علاء الدين بن لؤلؤ صاحب الموصل وكان وصل الى الناصر بمصر هاربا أمام التتر وسار معه فلما دخل الناصر منها لحق هو بمصر وأحسن اليه قطز ثم ولاه الناصر على حلب الآن ليتوصل الى أخبار التتر من أخيه الصالح بالموصل وولى على نابلس وغزة والسواحل شمس الدين دانشير البرلي من أمراء العزيز محمد وهو أبو الناصر وكان هرب معه عندما وصل الى مصر في جماعة من العزيزية ولحق باتابك ثم ارتاب بهم وقبض على بعضهم ورجع البرلي في الباقين الى الناصر فاعتقله بقلعة حلب حتى سار الى التتر فلما دخل اليها سار البرلي مع العساكر الى مصر فأكرمه المظفر وولاه الآن على السواحل وغزة وأقام المظفر بدمشق عشرين ليلة وأقبل الى مصر ولما بلغ الى هلاكو ما وقع بقومه في الشام واستيلاء الترك عليه اتهم صاحب دمشق بأنه خدعه في اشارته وقتله كما مر وانقرض ملك بني أيوب من الشام أجمع وصار لملوك مصر من الترك والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(مقتل المظفر وولاية الظاهر بيبرس)

كان البحرية من حين مقتل أميرهم اقطاي الجامدار يتصدون لاحداثه وكان قطز هو الذي تولى قتله فكان مستريبا بهم ولما سار الى التتر ذهل كل منهم عن شأنه وجاء البحرية من القفر هاربين من المغيث صاحب الكرك فوثقوا وانفسهم من السلطان قطز أحوج ما كان الى أمثالهم من المدافعة عن الاسلام وأهله أمنهم واشتمل عليهم وشهدوا معه واقعة التتر على عين جالوت وأبلوا فيها والمقدمون فيهم يومئذ بيبرس البندقداري وأنز الاصبهاني وبلبان الرشيدي وبكتوت الجوكندارى وبندوغار التركي فلما انهزم التتر من الشام واستولوا عليه وحسر ذلك المد وأفرج عن المسلمين الروع عادهؤلاء البحرية الى ديدنهم من الترصد لثار اقطاي فلما قفل قطز من دمشق سنة ثمان وخمسين أجمعوا أن يبرروا به في طريقهم فلما قارب مصر ذهب في بعض أيامه يتصيد وسارت الرواحل على الطريق فاتبعوه وتقدم اليه أنز شفيعا في بعض أصحابه فشفعه فأهوى يقبل يده وأمسكها وعلاه بيبرس بالسيف فخر صريعا لليدين والفم ورشقه الآخرون بالسهام فقتلوه وبادروا الى المخيم وقام دون فارس الدين اقطاي على

ابن المزايك وسأل من تولى قتله منكم فقالوا بيبرس فبايع له واتبعه أهل المعسكر ولقبوه الظاهر وبعثوا ايدمر الحلي بالخبر الى القلعة بمصر فأخذ له البيعة على من هنالك ووصل الظاهر منتصف ذي القعدة من السنة فجلس على كرسيه واستحلف الناس على طبقاتهم وكتب الى الاقطار بذلك ورتب الوظائف وولى الامراء وولى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الوزارة مع القضاء واقتدى بآثار أستاذه الصالح نجم الدين ومبدأ أمر هذا الظاهر بيبرس انه كان من موالى علاء الدين ايدكين البندقدارى مولى الصالح فسخط عليه واعتقله وانتزع ماله ومواليه وكان منهم بيبرس فصيره مع الجامدارية ومازال يترقى فى المراتب الى أن تقدم فى الحروب ورياسة المراكب ثم كان خبره بعد الصالح ما قصصناه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(انتقاض سنجر الحلبي بدمشق ثم أقوش البرلي بحلب)

ولما بلغ علم الدين سنجر بدمشق مقتل قطز وولاية الظاهر بيبرس انتقض ودعا لنفسه وجلس على التخت بدمشق وتلقب المجاهد وخطب لنفسه وضرب السكة باسمه وتمسك المنصور صاحب حماة بدعوة الظاهر وجاءت عساكر التتر الى الشأم فلما شارفوا البيرة جرد اليهم السعيد بن لؤلؤ من حلب عسكرا فهزمهم التتر وقتلوهم واتهم الامراء العزيزية والناصرية ابن لؤلؤ فى ذلك فاعتقلوه وقدموا عليهم حسام الدين الجوكندارى وأقره الظاهر وزحف التتر الى حلب فملكوها وهرب حسام الدين الى حماة ثم زحف اليها التتر فلحق صاحبها المنصور وأخوه على الافضل الى حمص وبها الأشرف ابن شيركوه واجتمعت اليه العزيزية والناصرية وقصدوا التتر سنة تسع وخمسين فهزموهم بعد هزيمتهم ونازلوا حماة وسار المنصور والاشرف صاحب حمص الى سنجر الحلبي بدمشق ولم يدخلا فى طاعته لضعفه وسار التتر من حماة الى [بياض بالأصل] فحاصروها يوما وعبروا الفرات الى بلادهم وبعث بيبرس الظاهر صاحب مصر أستاذه علاء الدين البندقدارى فى العساكر لقتال سنجر الحلبي بدمشق وقاتلهم فهزموه ولجأ الى القلعة ثم خرج منها ليلا الى بعلبك واتبعوه فقبضوا عليه وبعثوه الى الظاهر فاعتقله واستقر ايدكين بدمشق ورجع صاحب حمص وحماة الى بلديهما وبعث الظاهر الى ايدكين بالقبض على بهاء الدين بقرى وشمس الدين أقوش البرلي وغيرهما من العزيزية فقبض على بقرى وفر العزيزية والناصرية مع أقوش البرلي وطالبوا صاحب حمص وصاحب حماة فى الانتقاض فلم يجيباهم الى ذلك فقال لفخر الدين [بياض بالأصل] اطلب لى الظاهر المقدم معك فى خدمتك وبينما هو يسير لذلك خالفه البرلي الى حلب وثار بها وجمع العرب والتركمان ونصب للحرب فجاءت العساكر من مصر فقاتلوه

وغلبوه عليها ولحق بالبيرة فملكها واستقر بها حتى اذا جاء الظاهر عساكره سنة ستين الى
حلب مع سنقر الرومى سار معه صاحب حماة وصاحب حمص لاغارة على انطاكية
ولقيهم البرلى وأعطاهم طاعته وأقره الظاهر على البيرة ثم ارتاب به بعد ذلك واعتقله
ثم علاء الدين ايدكين البندقدارى مولى السلطان بدمشق وولى عليها بيبرس الوزيرى
ورجع والله ينصر من يشاء من عباده انتهى

(البيعة للخليفة بمصر ثم مقتله بالحديثة وغانة على يد التتر)
(والبيعة للآخر الذى استقرت الخلافة فى عقبه بمصر)

لما قتل الخليفة عبد الله المستعصم ببغداد بقى رسم الخلافة الاسلامية عطلا باقطار
الارض والظاهر متشوف الى تجديده وعمارة دسته ووصل الى مصر سنة تسع
وخمسين عم المستعصم وهو أبو العباس أحمد بن الظاهر كان بقصورهم ببغداد وخلص
يوم البيعة وأقام يتردد فى الاحياء الى أن لحق بمصر فسر الظاهر بقدومه وركب للقائه
ودعا الناس على طبقاتهم الى أبواب السلطان بالقلعة وأفرد بالمجلس أدبا معه وحضر
القاضى تاج الدين ابن بنت الاعز فحكم باتصال نسبه بالشجرة الكريمة بشهادة العرب
الواصلين به والخدم الناجين من قصورهم ثم بايع له الظاهر والناس على طبقاتهم
وكتب الى النواحى بأخذ البيعة له والخطبة على المنابر ونقش اسمه فى السكة ولقب
المستنصر وأشهد هو حينئذ بتفويض الامر للظاهر والخروج له عن العهدة
وكتب بذلك سجله وأنشأه فخر الدين بن لقمان كاتب الترسيل ثم ركب السلطان والناس
كافة الى خيمة بنيت خارج المدينة فقرئ التقليد على الناس وخلع على أهل المراتب
والخواص ونادى السلطان بمظاهرته واعادته الى دار خلافته ثم خطب هذا الخليفة
يوم الجمعة وخشع فى منبره فأبكى الناس وصلى وانصرفوا الى منازلهم ووصل على أثره
الصالح اسمعيل بن لؤلؤ صاحب الموصل وأخوه اسحق صاحب الجزيرة وقد كان أبوهما
لؤلؤ استخدم لهلاكو كما مر وأقره على الموصل وما اليها وتوفى فى سنة سبع وخمسين
وقد ولى ابنه اسمعيل على الموصل وابنه اسمعيل المجاهد على جزيرة ابن عمر وابنه السعيد
على سنجار وأقرهم هلاكو على أعمالهم ولحق السعيد بالناصر صاحب دمشق وسار
معه الى مصر وصار مع قطز وولاه حلب كما مر ثم اعتقل ثم ارتاب هلاكو بالآخرين
فأجفلا ولحقا بمصر وبالغ الظاهر فى اكرامهم وسألوه فى اطلاق أخيهم المعتقل فأطلقه
وكتب لهم بالولاية على أعمالهم وأعطاهم الالوية وشرع فى تجهيز الخليفة الى كرسيه
ببغداد فاستخدم له العساكر وأقام له الفساطيط والخيام ورتب له الوظائف وأزاح علل
الجميع بما يقال أنفق فى تلك النوبة نحوا من ألف ألف دينار ثم سار من مصر فى شوال من

السنة الى دمشق ليبعث من هنالك الخليفة وابني لؤلؤ الى ممالكهم ووصل الى دمشق ونزل بالقلعة وبعث بليمان الرشيدي وشمس الدين سنقر الى الفرات وصمم الخليفة لقصده وفارقهم وسار الصالح اسمعيل وأخواه الى الموصل وبلغ الخبر الى هلاكو فجرد العساكر الى الخليفة وكبسوه بغانة والحديثة فصابرهم قليلا ثم استشهد وبعث العساكر الى الموصل فحاصروها تسعة أشهر حتى جهدهم الحصار واستلموا فملكها التتر وقتلوا الصالح اسمعيل والظاهر خلال ذلك مقيم بدمشق وقد وفد عليه بنو أيوب من نواحي الشأم وأعطوه طاعتهم المنصور صاحب حماة والأشرف صاحب حمص فأكرم وصلهما وولاهما على أعمالهما وأذن لهما في اتخاذ الآلة   بلاد الاسماعيلية والى المنصور تل باشر الذي اعتاضه عن حمص لما أخذها منه الناصر صاحب حلب ووفد على الظاهر أيضا بدمشق الزاهد أسد الدين شيركوه صاحب

وصاحب بعلبك والمعز والسعيد ابنا الصالح اسمعيل بن العادل والامجد بن الناصر داود والأشرف بن مسعود والظاهر بن المعظم فأكرم وفادتهم وقابل بالاحسان والقبول طاعتهم وفرض لهم الارزاق وقرر الجرايات ثم قفل الى مصر وأفرج عن العزيز بن المغيث الذي كان اعتقله قطز وأطلقه   بالكرك وولى على احياء العرب بالشأم عيسى بن مهنا بن مانع بن جديلة من رجالاتهم ووفر لهم الاقطاع على حفظ السابلة الى حدود العراق ورجع الى مصر فقدم عليه رجل من عقب المسترشد من خلفاء بني العباس ببغداد اسمه أحمد فأثبت نسبه ابن بنت الاعز كالاول وجمع الظاهر الناس على مراتبهم وبايع له وفوض اليه هو الأمور وخرج اليه عن التدبير وكانت هذه البيعة سنة ستين ونسبه عند العباسيين في ادراج نسبهم الثابت أحمد بن أبي بكر على بن أبي بكر بن أحمد بن الامام المسترشد وعند نسابة مصر أحمد بن حسن بن أبي بكر بن الامير أبي على القبي بن الامير حسن بن الامام الراشد بن الامام المسترشد هكذا قال صاحب حماة في تاريخه وهو الذي استقرت الخلافة في عقبه بمصر لهذا العهد انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(فرار التركمان من الشأم الى بلاد الروم)

كان التركمان عند دخول التتر الى بلاد الشأم كلهم قد أجفلوا الى الساحل واجتمعت أحياؤهم بالجولان قريبا من صفد وكان الظاهر لما نهض الى الشأم اعترضه رسل الافرنج من يافا وبيروت وصفد يسألونه في الصلح على ما كان لعهد صلاح الدين فأجابهم وكتب به الى الانبرور ملكهم ببلاد افرنسة وراء البحر فيكانوا في ذمة من الظاهر وعهد ووقعت بين الافرنج بصفد وبين أحياء التركمان واقعة بقتال أغار فيها أهل صفد

عليهم ما وقع بهم التركمان وأسروا عدة من رؤسائهم وفادوهم بالمال ثم خشوا عاقبة ذلك من الظاهر فارتحلوا الى بلاد الروم وأقفر الشأم منهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(انتقاض الاشرفية والعزيزية واستيلاء البرلى على البيرة)

كان هؤلاء العزيزية والاشرفية من أعظم جموع هؤلاء الموالى وكان مقدم الاشرفية بهاء الدين بقرى ومقدم العزيزية شمس الدين أقوش وكان المظفر قطز قد أقطعه بانياس وعرة وسواحل الشأم ولما ولى الظاهر انتقض عليه سنجر الحلبى بدمشق وجهز أستاذه علاء الدين البندقدارى فى العساكر لقتاله وكان الاشرفية والعزيزية على وقد انتشروا على مانبها السعيدى اولو كما مر فقدم البندقدارى باستدعائهم معه الى دمشق ثم أصاف الظاهر بسان للبرلى زيادة على ما بيده فسار وملك دمشق ثم أوعز الظاهر الى البندقدارى بالقبض على العزيزية والاشرفية فلم يتمكن الامر بقرى مقدم الاشرفية وفارقه السادون وانتقضوا واستولى شرف الدين البرلى على البيرة وأقام بها وشن الغارات على التترشرقى الفرات فنالهم ثم جهز الظاهر عساكره اليه مع جمال الدين بامر الحرى فهزمهم وأطلقهم وأقام الظاهر على استمالته بالترغيب والترهيب حتى جنح الى الطاعة واستأذن فى القدوم وسار بكاس الفخرى للقائه فلقيه بدمشق سنة احدى وستين ثم وصل وأوسعه السلطان حباء وعطاء والاصحابه معه على مراتبهم واختصه بمراكبته ومشورته وسأله النزول عن البيرة فنزل عنها وقبلها الظاهر وأعاضه عنها والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء الظاهر على الكرك من يد المغيث وعلى حمص بعد وفاة صاحبها)

لما قفل السلطان من الشأم سنة ستين كما قدمناه جرد عسكرا الى الشوبك مع بدر الدين ايدمرى فملكها وولى عليها بدر الدين بليان الحمى ورجع الى مصر وكان عند المغيث بالكرك جماعة من الاكراد الذين أجفلوا من شهرزور أمام التتر الى الشأم وكان قد اتخذهم جندا لعسكرته فسرحهم للاغارة على الشوبك ونواحيه فاعتزم السلطان على الحركة الى الكرك لمنافرة المغيث وبعث بالطاعة واستأمن الاكراد فقبلهم الظاهر وأمن الاكراد فوصلوا اليه ثم سار سنة احدى وستين الى الكرك واستخلف على مصر سنجر الحلبى واستخلف على غزة ولقى هنالك أم المغيث تستعطفه وتستأمن منه لمنبوره ابنها فأجابها وسار الى بيسان فسار المغيث للقائه فلما وصل قبض عليه وبعثه من حينه الى القاهرة مع اقسنقر الفارقانى وقتل بعد ذلك به مرد وولى على الكرك عز الدين

ايدمر وأرسل نور الدين بيسري الشمسي ليؤمن أهل الكرك ويرتب الامور بها وأقام بالطور في انتظاره وأبلغ بيسري القصد من ذلك ورجع اليه فارتحل الى القدس وأمر بعمارة مسجده ورجع الى مصر وبلغه وفاة صاحب حمص موسى الاشرف بن ابراهيم المنصور بن شيركوه المجاهد بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه وكانت وراثة له من آبائه أقطعه نور الدين العادل لجده أسد الدين ولم تزل في أيديهم وأخذها الناصر يوسف صاحب حلب سنة ست وأربعين وعوضه عنها تل باشر وأعادها عليه هلاكو وأقره الظاهر ثم توفي سنة احدى وستين وصارت للظاهر وانقرض منهم ملك بني أيوب والله سبحانه وتعالى أعلم

(هزيمة التتر على البيرة وفتح قيسارية وارسوف بعدها)

ثم رجعت عساكر التتر الى البيرة مع ردمانة من أمراء المغل سنة ثلاث وستين فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق فجهز السلطان العساكر مع لوغان من أمراء الترك فساروا في ربيع من السنة وسار السلطان في اثرهم وانتهى الى غزة ولما وصلت العساكر الى البيرة وأشرفوا عليها والعدو يحاصرها أجفلت عساكر التتر وساروا منهزمين وخلفوا أسوادهم وأثقالهم فنهبتها العساكر وارتحل السلطان من غزة وقصد قيسارية وهي للافرنج فنزل عليها عاشر جمادى من السنة فنصب المجانيق ودعا أهلها للحرب واقتحمها عليهم فهربوا الى القلعة فحاصرها خمسا وملكها عنوة وفر الافرنج منها ثم رحل في خف من العساكر الى عملها فشن عليها الغارة وسرح عسكرا الى حيفا فملكها عنوة وخربوها وقلعتها في يوم أو بعض يوم ثم ارتحل الى ارسوف فنازلها مستهل جمادى الاخيرة فحاصرها وفتحها عنوة وأسر الافرنج الذين بها وبعث بهم الى الكرك وقسم أسوارها على الامراء فرموها وعمد الى ما ملك في هذه الغزاة من القرى والضياع والارضين فقسمها على الامراء الذين كانوا معه وكانوا اثنين وخمسين وكتب لهم بذلك وقفل الى مصر وبلغه الخبر بوفاة هلاكو ملك التتر في ربيع من السنة وولاية ابنه ابغا مكانه وما وقع بينه وبين بركة صاحب الشمال من الفتنة ولاول دخوله لمصر قبض على شمس الدين سنقر الرومي وحبسه وكانت الفتنة قبل غزاته بين عيسى بن مهنا ولحق زامل بعد ذلك بهلاكو ثم استأمن الى الظاهر فامنه وعاد الى احيائه والله تعالى أعلم

(غزو طرابلس وفتح صفد)

كانت طرابلس للافرنج وبها سمند بن البرنس الاشتر وله معها انطاكية وبلغ السلطان انه قد ... فلقيه النائب بها علم الدين سنجر الباشقرد وانهزم المسلمون

واستشهد كثير منهم فجهز السلطان للعزو وسار من مصر فى شعبان سنة أربع وستين
وترك ابنه السعيد عليا بالقلعة فى كفالة عز الدين ايدمر الحلى وقد كان عهد لابنه السعيد
بالملك سنة ثنتين وستين ولما انتهى الى غزة بعث العساكر صحبة سيف الدين قلاون
ايدغدى العزيزى فسار الى القليعات وحلب وعرقا من حصون طرابلس فاستأمنوا
اليه وزحفت العساكر وسار السلطان الى صفد فحاصرها عشرا ثم اقتحمها عليهم
فى عشرين من رمضان السنة وجمع الامير فخر الدين بها فاستلمهم أجمعين وأنزل بها
الحامية وفرض أرزاقهم فى ديوان العطاء ورجع الى دمشق والله تعالى أعلم

(مسير العساكر لغزو الارمن)

هؤلاء الارمن من ولد أخى ابراهيم عليه السلام من بنى قوميل بن ناحور وناحور بن
تارح وعبر عنه فى التنزيل بآزر وناحور أخو ابراهيم عليه السلام ويقال ان
الكرج اخوة الارمن وارمينية منسوبة اليهم وآخر مواطنهم الدروب المجاورة
لحلب وقاعدتها سيس ويلقب ملكهم التكفور وكان ملكهم صاحب هذه الدروب
لعهد الملك الكامل وصلاح الدين من بعده اسمه قليج بن اليون واستنجده العادل
وأقطع له وكان يعسكر معه وصالحه صلاح الدين على بلاده ثم كان ملكهم لعهد
هلاكو والتتر هيثوم بن قسطنطين ولعله من أعقاب قليج أو قرابته ولما ملك هلاكو
العراق والشأم دخل هيثوم فى طاعته فأقره على سلطانه ثم أمره بالاغارة على بلاد
الشأم وأمده صاحب بلاد الروم من التتر وسار سنة ثنتين وستين ومعه بنو كلاب من
أعراب حلب واتهوا الى   وجهز الظاهر عساكر حماة وحمص فساروا
اليهم وهزموهم ورجعوا الى بلادهم فلما رجع السلطان من غزاة طرابلس سنة أربع
وستين سرح العساكر لغزو سيس وبلاد الارمن وعليهم سيف الدين قلاون والمنصور
صاحب حماة فساروا لذلك وكان هيثوم ملكهم قد ترهب ونصب للملك ابنه كيقومن
فجمع كيقومن الارمن وسار لقائهم ومعه أخوه وعمه وأوقع بهم المسلمون قتلا وأسرا
وقتل أخوه وعمه فى جماعة من الارمن واكتسحت عساكر المسلمين بلادهم واقتحموا
مدينة سيس وخربوها ورجعوا وقد امتلأت أيديهم بالغنائم والسبى وتلقاهم الظاهر
من دمشق عند قارا فلما رآهم ازداد سرورا بما حصل لهم وشكا اليه هنالك الرعية
مالحقهم من عدوان الاحياء الرحالة وانهم ينهبون موجودهم ويبيعون ما يخطفونه
منهم من الافرنج بمكانا فأمر باستباحتهم وأصبحوا ما فى أيدى العساكر بين القتل
والاسر والسبى ثم سار الى مصر وأطلق كيقومن ملك الارمن وصالحه على بلده .
ولم يزل مقيما الى أن بعث أبوه فى فدائه وبذل فيه الاموال والقلاع فأبى الظاهر من ذلك

وشرط

وشرط عليه خلاص الامراء الذين أخذهم هلاكو من سجن حلب وهم سنقر الاشقر وأصحابه فبعث فيهم تكفر الى هلاكو فبعثهم اليه وبعث الظاهر بابنه منتصف شوال وتسلم القلاع التى بذلت فى فدائه وكانت من أعظم القلاع وأحصنها منها مرزبان ورعبان وقدم سنقر الاشقر على الظاهر بدمشق وأصبح معه فى الموكب ولم يكن أحد علم بأمره وأعظم اليه السلطان النعمة ورفع الرتبة ورعى له السابقة والصحبة وتوفى هيثوم سنة ستين بعدها والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(مسير الظاهر لغزو حصون الافرنج بالشأم وفتح يافا والشقيف ثم انطاكية)

كان الظاهر عندما رجع من غزاة طرابلس الى مصر أمر بتجديد الجامع الازهر واقامة الخطبة به وكان معطلا منها منذ مائة سنة وهو أول مسجد أسسه الشيعة بالقاهرة حين اختطوها ثم خرج الى دمشق لخبر بلغه عن التتر ولم يثبت فسار من هنالك الى صفد وكان أمر عند مسيره بعمارتها وبلغه اغارة أهل الشقيف على الثغور فقصدها وشن الغارة على عكا واكتسح بسائطها حتى سأل الافرنج منه الصلح على ما يرضيه فشرط المقاسمة فى صيدا وهدم الشقيف واطلاق تجار من المسلمين كانوا أسروهم ودية بعض القتلى الذى أصابوا دمه وعقد الصلح لعشر سنين ولم يوفوا بما شرط عليهم فنهض لغزوهم ونزل فلسطين فى جمادى سنة ست وستين وسرح العساكر لحصار الشقيف ثم بلغه مهلك صاحب يافا من الافرنج وملك ابنه مكانه وجاءت رسله اليه فى طلب الموادعة فحبسهم وصبح البلد فاقتحمها ولجأ أهلها الى القلعة فاستنزلهم بالامان وهدمها وكان أول من اختط مدينة يافا هذه صنكل من ملوك الافرنج عندما ملكوا سواحل الشأم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ثم مدنها وأتم عمارتها ريدافرنس المأسور على دمياط عندما خلص من محبسه بدار ابن لقمان ثم رجع الى حصن الشقيف فحاصره وافتتحه بالامان وبث العساكر فى نواحى طرابلس فاكتسحوها وخربوا عمرانها وكنائسها وبادر صاحب انطرسوس بطاعة

وبعث الى العساكر بالميرة وأطلق الاسرى الذين عنده ثلثمائة أو يزيدون ثم ارتحل السلطان الى حمص وحماة يريد انطاكية وقدم سيف الدين قلاون فى العساكر فنازل انطاكية فى شعبان فسار المنصور صاحب حماة وجماعة البحرية الذين كانوا بأحياء العرب فى القفر وكان صاحب انطاكية سمند بن تيمند وكانت قاعدة ملك الروم قبل الاسلام اختطها انطيخس من ملوك اليونانيين واليه تنسب ثم صارت للروم وملكها المسلمون عند الفتح ثم ملكها الافرنج عندما ساروا الى ساحل الشأم أعوام التسعين والاربعمائة ثم استطردها صلاح الدين من البرنس ارناط الذى

قتلهم في واقعة حطين كما مرّ ثم ارتجعها الافرنج بعد ذلك على يد الريدفرنس الاشتر وأملكه صنكل ثم صارت لابنه تيمند ثم لابنه تيمند وكان عندما حاصرها الظاهر بطرابلس وكان بها كندا صطبل عم بيمند وملك الارمن آملت من الواقعة عليه بالدربند واستقر بانطاكية عند بيمند فخرج في جموعه لقتال الظاهر فانهزم أصحابه وأسر على أن يحمل أهل انطاكية على الطاعة فلم يوافقوه ثم جهدهم الحصار واقتحمها المسلمون عنوة وأثخنوا فيهم وعاملهم الى القلعة فاستنزلوا على الامان وكتب الظاهر الى ملكهم بيمند وهو بطرابلس وأطلق كندا صطبل وأقاربه الى ملكهم بيمند ثم جمع الغنائم وقسمها وخرب قلعة انطاكية وأضرمها نارا واستأمن صاحب بغراس فبعث اليه سنقر الفارقي استاذداره فملكها وأرسل صاحب عكا الى الظاهر في الصلح وهو ابن أخت صاحب قبرس فعقد له السلطان الصلح لعشر سنين ثم عاد الى مصر فدخلها ثالث أيام التشريق من السنة والله تعالى أعلم

(الصلح مع التتر)

ثم سار السلطان من مصر سنة سبع وستين لغزو الافرنج بسواحل الشام وخلف على مصر عز الدين ايدمر الحلبي مع ابنه السعيد ولي عهده وانتهى الى ارسوف فبلغه أن رسلا جاؤا من عند ابغا بن هلاكو ومعهم رسل صاحب سيس فتبعث بهم الى فبعث أميرا من حلب لاحضارهم وقرأ كتاب ابغا يتكفر في الصلح ويتسأل فيما أذاعه من رسالته فأعاد رسله بجوابهم وأذن للامراء في الانطلاق الى مصر ورجع الى دمشق ثم سار منها في خف من العسكر الى القلاع وبلغه وفاة ايدمر الحلبي بمصر فهم بتجربة اللصوص وأغذ السير الى مصر متنكرا منتصف شعبان في خف من التركمان وقد طوى خبره عن معسكره وأوهمهم القعود في خيمته عليلا ووصل الى القلعة ليلة الثلاثاء رابعة سفره فنكره الحراس وطولع مقدم الطواشية فطلب منهم امارة على صدقهم فأعطوها ثم دخل فعرفوه وباكر الميدان يوم الخميس فسر به الناس ثم قضى حاجة نفسه وخرج ليلة الاثنين عائدا الى الشام كما جاء فوصل الى مخيمه ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان وفرح الامراء بقدومه ثم فرق البعوث في الجهات وأغاروا على صور وملكوا احدى ضياع وسارحوا الى بسيط كركو فاكتسحوها وامتلأت أيديهم بالغنائم ورجعوا والله تعالى أعلم

(استيلاء الظاهر على صهيون)

كان صلاح الدين بن أيوب قد أقطعها يوم فتحها وهي سنة أربع وثمانين وخمسمائة لناصر الدين منكبرس فلم تزل بيده الى أن هلك وولي فيها بعده ابنه مظفر الدين عثمان وبعده ابنه سيف الدين بن عثمان واستبد الترك بمصر وبعث سيف الدين أخاه عماد الدين سنة ستين بالهدايا الى الملك الظاهر بيبرس فقبلها وأحسن اليه ثم مات سيف الدين سنة تسع وستين وكان أوصى أولاده بالنزول للظاهر عن صهيون فوفد ابناه سابق الدين وفخر الدين على السلطان بمصر فأكرمهما وأقطعهما وولى سابق الدين منهما أميرا وولى على صهيون من قبله ولم يزل كذلك الى أن غلب عليها سنقر الاشقر عندما انتقض بدمشق أيام المنصور والله تعالى أعلم

(نهوض الظاهر الى الحج)

ثم بلغ الظاهر أن أبانمي بن أبي سعد بن قتادة غلب عمه ادريس بن قتادة على مكة واستبد بها وخطب للظاهر فكتب له بالامارة على مكة واعتزم على النهوض الى الحج وتجهز لذلك سنة سبع وستين وأزاح علل أصحابه وشيع العساكر مع اقسنقر الفارقاني استاذداره الى دمشق وسار الى الكرك موريا بالصيد وانتهى الى الشوبك ورحل منه لاحدى عشرة ليلة من ذي القعدة ومر بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم فأحرم من ميقاتها وقدم مكة لخمس من ذي الحجة وغسل الكعبة بيده وحمل لها الماء على كتفه واباح للمسلمين دخولها وأقام على بابها يأخذ بأيديهم ثم قضى حجه ومناسكه وولى نائبا على مكة شمس الدين مروان وأحسن الى الامير ابي نمي والى صاحب ينبع وخليص وسائر شرفاء الحجاز وكتب الى صاحب اليمن وقد وصلتها في سبع عشرة خطوة ثم قفل من مكة ثالث عشر ذي الحجة فوصل المدينة على سبعة أيام ووصل الى الكرك منسلخ السنة ثم وصل دمشق غرة ثمان وستين وسار الى زيارة القدس وقدم العساكر مع الامير اقسنقر الى مصر وعاد من الزيارة فأدركهم بتل العجول ووصل القلعة ثالث صفر من السنة والله تعالى أعلم

(اغارة الافرنج والتتر على حلب ونهوض السلطان اليهم)

كان صمغان من أمراء التتر مقيما ببلاد الروم وأميرا عليها فوقعت المراسلة بينه وبين الافرنج في الاغارة على بلاد الشأم وجاء صمغان في عسكره لموعدهم فأغار على أحياء العرب بنواحي حلب وبلغ الخبر الى الظاهر سنة ثمان وستين وهو يتصيد بنواحي الاسكندرية فنهض من وقته الى غزة ثم الى دمشق ورجع التتر على أعقابهم ثم سار الى

عكا ما كتسح نواحيها وأعن فيها وعمل كذلك حصن الاكراد ورجع الى دمشق آخر رجب ثم الى مصر ومر بعسقلان فخربها وطمس آثارها وجاء الخبر بمسير مالك الفرنسيس لويس بن لويس وملك الانكترة وملك اسكوسنا وملك نودل وملك برشلونة وهو ريدراكون وجماعة من ملوك الافرنج بأنواع الاساطيل الى صقلية وشرعوا في الاستكثار من الشواني وآلة الحرب ولم يعرف وجه مذهبهم فاهتم الظاهر بحفظ الثغور والسواحل واستكثر من الشواني والمراكب ثم جاء الخبر الصحيح بأنهم قاصدون تونس فكان من خبرهم ما ذكره في دولة السلطان أبي اسحق من بني أبي حفص والله تعالى أعلم

(فتح حصن الاكراد وعكا وحصون صور)

ثم سار السلطان سنة تسع وستين لغزو بلاد الافرنج وسرح ابنه السعيد في العساكر الى المرقب لنظر الامير قلاون وبعلبك الخزندار وسار هو الى طرابلس فاكتسحوا سائر تلك النواحي ونازلوا الحصن الاكراد عاشر شعبان من السنة فحاصره السلطان عشرا ثم اقتحمت أرباضه واعتصم الافرنج في قلعته واستأمنوا وخرجوا الى بلادهم وملك الظاهر الحصون وكتب الى صاحب الاسبتار بالفتح وهو بانطرطوس وأجاب بطلب الصلح فعقد له على انطرطوس والمرقب وارتحل السلطان عن حصن الاكراد بعد أن شحنه بالاقوات والحامية ونازل حصن عكا واشتد في حصاره واستأمن أهله اليه وملكه ثم ارتحل بعد الفطر الى طرابلس واشتد في قتالها وسأل صاحبها البرنس الصلح فعقد له على ذلك لعشر سنين ورجع الى دمشق ثم خرج آخر شوال الى

ومالك قلعته بالامان على أن يتركوا الاموال والسلاح واستولى عليه وهدمه وسار الى اللجون وبعث اليه صور في الصلح على أن ينزل له عن خمس من قلاعه فعقد له الصلح لعشر سنين وملكها ثم كتب الى نائبه بمصر أن يجهز عشرة من الشواني الى قبرس فجهزها ووصلت ليلا الى قبرس والله أعلم

(استيلاء الظاهر على حصون الاسماعيلية بالشام)

كان الاسماعيلية في حصون من الشام قد ملكوها وهي مصياف والعليقة والكهف والمينقة والقدموس وكان كبيرهم لعهد الظاهر نجم الدين الشعراني وكان قد جعل له الظاهر ولايتها ثم تأخر عن لقائه في بعض الاوقات فعزله وولى عليها صارم الدين بن الرضا على أن ينزل له عن حصن مصياف وأرسل معه العساكر فتسلموه منه ثم قدم عليه سنة ثمان وستين وهو على حصن الاكراد وكان نجم الدين الشعراني قد أسن وهرم فاستعتب وأعتبه الظاهر وعطف عليه وقسم الولاية بينه وبين ابن الرضا وفرض عليهما

مائة وعشرين ألف درهم يحملها اليه كل سنة ولما رجع سنة تسع وستين وفتح حصن الاكراد مر بحصن العليقة من حصونهم فملكه من يد ابن الرضى منتصف شوال من السنة وأنزل به حامية ثم سار لقتال التتر على البيرة كما يذكر ورجع الى مصر فوجد الاسماعيلية قد نزلوا على الحصون التي بقيت بأيديهم وسلموها لنواب الظاهر فملكوها وانتظمت قلاع الاسماعيلية في ملكة الظاهر وانقرضت منها دعوتهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(حصار التتر البيرة وهزيمتهم عليها)

ثم بعث ابغا بن هلاكو العساكر الى البيرة سنة احدى وسبعين مع درباى من مقدمي أمرائه فحاصرها ونصب عليها المجانيق وكان السلطان بدمشق فجمع العساكر من مصر والشأم وزحف الى الفرات وقد جهز العساكر على قاصيته فتقدم الامير قلاون وخالط التتر عليها في خيمهم فجالوا معه ثم انهزموا وقتل مقدمهم وخاض السلطان بعساكره بحر الفرات اليهم فأجفلوا وتركوا خيامهم بما فيها وخرج أهل البيرة فنهبوا سوادهم وأحرقوا آلات الحصار ووقف السلطان بساحتها قليلا وخلع على النائب بها ولحق درباى بسلطانه ابغا فلولا فسخطه ولم يعتبه والله تعالى ولي التوفيق

(غزوة سيس وتخريبها)

ثم نهض الظاهر من مصر لغزو سيس في شعبان سنة ثلاث وسبعين وانتهى الى دمشق في رمضان وسار منها وعلى مقدمته الامير قلاون وبدر الدين بيليك الخازندار فوصلوا الى المصيصة وافتتحوها عنوة وجاء السلطان على اثرهم وسار بجميع العساكر الى سيس بعد أن كنف الحامية بالبيرة خوفا عليها من التتر وبعث حسام الدين العنتابي ومهنا بن عيسى أمير العرب بالشأم للاغارة على بلاد التتر من ناحيتها وسار الى سيس فخربها وبث السرايا في نواحيها فانتهوا الى بانياس وأذنة واكتسحوا سائر الجهات ووصل الى دربند الروم وعاد الى المصيصة في التعبية فأحرقها ثم انتهى الى انطاكية فأقام عليها حتى قسم الغنائم ثم رحل الى القصير وكان للافرنج خالصا للتبركهم برومة الذي يسمونه البابا فافتتحه ولقيه هنالك حسام الدين العنتابي ومهنا بن عيسى راجعين من اغارتهم وراء الفرات ثم بلغه مهلك البرنس سمند بن تيمند صاحب طرابلس فبعث الظاهر بليان الدوادار لمقرر الصلح مع بنيه فقرره على عشرين ألف دينار وعشرين أسيرا كل سنة وحضر لذلك صاحب قبرس وكان جاء معزيا بالبني البرنس ورجع الدوادار الى الظاهر فقفل الى دمشق منتصف ذي الحجة والله تعالى ينصر من

(ايقاع الظاهر بالتتر في بلاد الروم ومقتل البرواناة عند احنة في ذلك)

كان علاء الدين البرواناة متغلبا على غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم من بني قليج ارسلان وقد غلب التتر على جميع ممالك بلاد الروم وأبقوا على كيخسرو اسم الملك في كفالة البرواناة وأقاموا أميرا من أمرائهم ومعه عسكر التتر حامية بالبلاد ويعرف بالشحنة وكان أول أمير من التتر ببلاد الروم بيكو وهو الذي افتتحها وبعده صمغار وبعده توقو وتدوان شريكين في أمرهما لعهد الملك الظاهر وكان البرواناة يتأفف من التتر لاستطالتهم عليه وسوء ملكتهم ولما استفحل أمر الظاهر بمصر والشام أمل البرواناة الظهور على التتر والكرة لبني قليج ارسلان بممالأة الظاهر فداخله في ذلك وكاتبه وزحف ابغا ملك التتر الى البيرة سنة أربع وسبعين وخرج الظاهر بالعساكر من دمشق وكاتبه البرواناة يستدعيه وأقام الظاهر على حمص وأرسل اليه البرواناة يستحثه للقاء التتر وعزم ابغا على البرواناة في الوصول فاعتذر ثم رحل متثاقلا وكتب اليه الامراء بعده بأن الظاهر قد نهض الى بلاد الروم بوصيته اليه بذلك فبعث الى ابغا واستمده فأمده بعساكر المغل وأمره بالرجوع لمدافعة الظاهر فرجع ووجد جماعة من الامراء قد كاتبوا الظاهر واستحثوه للقدوم فسقط في أيديهم وحيل بينهم وبين مرامهم ورجع الى مصر في رجب من السنة وأقام بها حولا ثم توقو وتدوان أمير التتر ببلاد الروم وسار الى الثغور بالشام وبلغ السلطان خبرهما فسار من مصر في رمضان سنة خمس وسبعين وقصد بلاد الروم وانتهى الى النهر الازرق فبعث شمس الدين سنقر الاشقر في مقدمة التتر فهزمهم ورجع الى السلطان وساروا جميعا فلقوا التتر على البلستين ومعهم علاء الدين البرواناة في عساكره فهزمهم وقتل الاميرين توقو وتدوان وفر البرواناة وسلطانه كيخسرو لما كان منفردا عنهم وأسر كثير من المغل منهم سلار ابن طغرل ومنهم قفجاق وساورصي وأسر علاء الدين بن معين الدين البرواناة وقتل كثير منهم ثم رحل السلطان الى قيسارية فملكها وأقام عليها ينتظر البرواناة لموعد كان بينهما وأبطأ عليه فقفل راجعا ورجع خبر الهزيمة الى ابغا ملك التتر واطلع من بعض عيونه على ما كان بين البرواناة والظاهر من المداخلة فتنكر للبرواناة وسار لوقته حتى وقف على موضع المعركة وارتاب لكثرة القتلى من المغل وان عسكر الروم لم يصب منهم أحد فرجع الى بلادهم بالقتل والتخريب والاكتساح وامتنع كثير من القلاع ثم أمنهم ورجع وسار معه البرواناة وحبسه أولا ثم رجع لتخليته لحفظ البلاد فاغتال

نساء القتلى من المغل عند بابه فرحم لبكائهن و بعث أميرا من المغل فقتله فى بعض الطريق والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه وأحكم

(وفاة الظاهر وولاية ابنه السعيد)

ولما رجع السلطان من واقعته بالتتر على البلستين وقيسارية طرقه المرض فى محرم سنة ست وسبعين وهلك من آخره وكان بيليك الخزندار مستوليا على دولته فكتم موته ودفنه ورجع بالعساكر الى مصر فلما وصل القلعة جمع الناس و بايع لبركة بن الملك الظاهر ولقبه السعيد وهلك بيليك اثر ذلك فقام بتدبير الدولة استاذداره شمس الدين الفارقانى وكان نائب مصر أيام مغيب الظاهر بالشأم واستقامت أموره ثم قبض على شمس الدين سنقر الاشقر و بدر الدين بيسرى من أمراء الظاهر بسعاية بطانته الذين جمعهم عليه لاول ولايته وكانوا من أوغاد الموالى وكان يرجع اليهم لمساعدتهم له على هواه وصارت شيبته ولما قبض على هذين الاميرين نكر ذلك عليه خاله محمد ابن بركة خان فاعتقله معهما فاستوحشت أمه لذلك فأطلق الجميع فارتاب الامراء وأجمعوا على معاتبته فاستعتب واستحلفوه ثم أغراه بطانته بشمس الدين الفارقانى مدبر دولته فقبض عليه واعتقله وهلك لايام من اعتقاله وولى مكانه شمس الدين سنقر الالفى ثم سعى أولئك البطانة به فعزله وولى مكانه سيف الدولة كونك الساقى صهر الامير سيف الدين قلاون على أخت زوجته بنت كرمون كان أبوها من أمراء التتر الى الظاهر واستقر عنده وزوج بنته من الامير قلاون و بنته الاخرى من كوزبك ثم حضر عند السعيد لاشين الربعى من حاشيته وغلب على هواه واستمال أهل الدولة بقضاء حاجاتهم واستمر معروفه لهم واستمر الحال على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

بياض بالاصل

(خلع السعيد وولاية أخيه شلامش)

ولما استقر السعيد بملكه فى مصر أجمع المسير الى الشأم للنظر فى مصالحه فسار لذلك سنة سبع وسبعين فاستقر بدمشق و بعث العساكر الى الجهات وسار قلاون الصالحى و بدر الدين بيسرى الى سيس زين له ذلك لاشين الربعى والبطانة الذين معه وأغروه بالقبض عليهم عند مرجعهم ثم حدث بين هؤلاء البطانة و بين النائب سيف الدين كونك وحشة وأسفوه بما يلقون فيه عند السلطان فغضب لذلك وسارت العساكر فأغاروا على سيس واكتسحوا نواحيها ورجعوا فلقيهم النائب كونك وأسر اليهم ما أضمر لهم السلطان فخيموا بالمرج وقعدوا عن لقاء السلطان و بعثوا اليه بالعذل فى بطانته

وأن يصرف نائبه منهم فأعرض عنهم ودس لموالي أبيه أن يعاودوهم اليه وأطمعهم
على كآبه فزادهم شماسا وصرحوا بالانتقاض فبعث اليهم سنقر الاشقر وسنقر التركيتي
استاذداره بالاستعطاف فردوهما فبعث أمه بنت بركة خان فلم يقبلوها وارتحلوا الى
القاهرة فوصلوها في محرم سنة ثمان وسبعين وبالقلعة عز الدين ايبك الافرم الصالحي
أمير جندار وعلاء الدين اقطوان الساقي وسيف الدين بلبان أستاذداره فضبطوا
أبواب القاهرة ومنعوهم من الدخول وترددت المراسلة بينهم وخرج ايبك الافرم
واقطوان ولاشين التركماني للحديث فقبضوا عليهم ودخلوا الى بيوتهم ثم باكروا القلعة
بالحصار ومنعوا عنها الماء وكان السعيد بعد منصرفهم من دمشق سار في بقية العساكر
واستنفر الاعراب وبث العطاء وانتهى الى غزة فتفرقت عنه الاعراب واتبعهم الناس
ثم انتهى الى بلبيس ورأى قلة العساكر فرد عسكر الشأم مع عز الدين ايدمر الظاهري الى
دمشق والنائب بها يومئذ اقوش فقبض عليه وبعث به الى الامراء بمصر ولما رحل
السعيد من بلبيس الى القلعة اعتزل عنه سنقر الاشقر وسار الامراء في العساكر
لاعتراضه دون القلعة وألقى الله عليه حجابا من الغيوم المتراكمة فلم يهتدوا الى طريقه
وخلص الى القلعة وأطلق علم الدين سنجر الحلبي من محبسه ليستعين به ثم اختلف عليه
بطانته وفارقه بعضهم فرجع الى مصانعة الامراء بأن يترك لهم الشأم أجمع فأبوا
الا حبسه فسألهم أن يعطوه الكرك فأجابوه وحلفهم على الامان وحلف لهم
أن لا ينتقض عليهم ولا يداخل أحدا من العساكر ولا يستميله فبعثوه من حينه الى
الكرك وكتبوا الى النائب بها علاء الدين ايدكز الفخري أن يمكنه منها ففعل واستقر
السعيد بالكرك وقام بدولته ايدكز الفخري واجتمع الامراء بمصر وعرضوا الملك على
الامير قلاون وكان أحق به فلم يقبل وأشار الى شلامش بن الظاهر وهو ابن ثمان سنين
فنصبوه للملك في ربيع سنة ثمان وسبعين ولقبوه بدر الدين وولى الامير قلاون أتابك
الجيوش وبعث مكان جمال الدين اقوش نائب دمشق تسلمها منه وسار اقوش الى
حلب نائبا وولى قلاون في الوزارة برهان الحضري السنجاري وجمع المماليك
الصالحية ووفر اقطاعاتهم ورقاهم مراتب الدولة وأبعد الظاهرية وأودعهم السجون
الفساد ولم يقطع عنهم رزقا الى أن بلغ العقاب فيهم أجله فأطلقهم تباعا
واستقام أمره والله تعالى أعلم

(خلع شلامش وولاية المنصور قلاون)

أصل هذا السلطان قلاون من القفجاق ثم من قبيلة منهم يعرفون برج أغلي وقد مر
ذكرهم وكان مولى لعلاء الدين اقسنقر الكاملي مولى الصالح نجم الدين أيوب فلما مات

علاء الدين صار من موالى الصالح وكان من نفرتهم واستقامتهم ما قدمناه ثم قدم الى مصر فى دولة المظفر قطز مع الظاهر بيبرس ولما ملك الظاهر قربه واختصه وأصهر اليه ثم بايع لابنه السعيد من بعده ولما استوحش الامراء من السعيد وخلعوه رغبوا من الامير قلاون فى الولاية عليهم كما قدمناه ونصب أخاه شلامش بن الظاهر فوافقه الامراء على ذلك طواعية له واتصلت رغبتهم فى ولايته مدة شهرين حتى أجابهم الى ذلك فبايعوه فى جمادى سنة ثمان وسبعين فقام بالامر ورفع كثيرا من المكوس والظلامات وقسم الوظائف بين الامراء وولى جماعة من مماليكه امرة الالوف وزادهم فى الاقطاعات وأفرج لوقته عن عز الدين ايبك الافرم الصالحى وولاه نائبا بمصر ثم استبقاه فأعفاه وولى مملوكه حسام الدين طرنطاى مكانه ومملوكه علم الدين سنجر الشجاعى

ناقص بالاصل

الدواوين وأقر الصاحب برهان الدين السنجارى فى الوزارة ثم عزله بفخر الدين ابراهيم ابن لقمان وبعث عز الدين ايدمر الظاهرى الذى كان اعتقله جمال الدين اقوش حين رجع بعساكر الشأم عن السعيد بن الظاهر من بلبيس فجئ به مقيدا واعتقله والله تعالى ولى التوفيق

(انتقاض السعيد بن الظاهر بالكرك ووفاته وولاية أخيه خسرو ومكانه)

ولما ملك السلطان قلاون شرع السعيد بالكرك وكاتب الامراء بمصر والشأم فى الانتقاض وخاطبه السلطان بالعتاب على نقض العهد فلم يستعتب وبعث عساكره مع حسام الدين لاشين الجامدار الى الشوبك فاستولى عليها فبعث السلطان نور الدين بيليك الايدمرى فى العساكر فارتدها فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وقارن ذلك وفاة السعيد بالكرك واجتمع الامراء الذين بها ومقدمهم نائبه ايدكين الفخرى وقال ان نائبه كان ايدغرى الحرانى فنصبوا أخاه خسرو ولقبوه المسعود

ناقص بالاصل

نجم الدين واستولى الموالى على رأيه وأفاضوا المال من غير تقدير ولا حساب حتى أنفقوا ما كان بالكرك من الذخيرة التى ادخرها الملك الظاهر و أمراء الشأم فى الخلاف وبعثوا العساكر فاستولوا على الصليب وحاصروا صرخد فامتنعت وكاتبوا اسنقر الاشقر المتظاهر على الخلاف فبعث السلطان ايبك الافرم فى العساكر له الى الكرك فحاصرها وضيق عليها ثم سأل المسعود فى الصلح على ما كان الناصر داود بن المعظم فأجابه السلطان قلاون وعقد له ذلك ثم انتقض ثانية ونزع عنه نائبه علاء الدين ايدغرى الحرانى ونزع عنه الى السلطان فصدق ما نقل عنه من ذلك ثم بعث السلطان سنة خمس وثمانين نائبه حسام الدين طرنطاى فى العساكر لحصار الكرك فحاصروها واستنزل المسعود وأخاه شلامش منها على الامان وملكها وجاءبهما الى

السلطان قلاون فأكرمهما وخلطهما بولده الى أن توفى فغرّبهما الاشرف الى القسطنطينية

(انتقاض سنقر الاشقر بدمشق وهزيمته ثم امتناعه بصهيون)

كان شمس الدين سنقر الاشقر لما استقرّ فى نيابة دمشق أجمع الانتقاض والاستبداد وتسلم القلاع من الظاهرية وولى فيها وطالب المنصور قلاون دخول الشام بأمر دامس العريش الى الفرات فى ولايته وزعم أنه عاهده على ذلك وولى السلطان على قلعة دمشق مولاه حسام الدين لاشين الصغير سلحدارا فى ذى الحجة سنة ثمان وسبعين فنكر ذلك سنقر واستدعى ودعا لنفسه ثم بلغه حبس قلاون وجلوسه على التخت فدعا الامراء وأشاع ان قلاون قتل واستحلفهم على منعته وحبس من امتنع من اليمين وتلقب الكامل وذلك فى ذى الحجة من السنة وقبض على لاشين نائب القلعة وجهز سيف الدين الى الممالك الشامية والقلاع للاستحلاف وولى فى وزارة الشام مجد الدين اسمعيل ابن كسيرات وسكن سنقر بالقلعة ثم بعث السلطان ايبك الافرم بالعساكر الى الكرك لما توفى السعيد صاحبها وانتهى الى غزة واجتمع اليه بيليك الايدمرى مقبلا من الشوبك بعد فتحه فحذرهم سنقر الاشقر وخاطب الافرم يتجنى على السلطان أنه لم يفرده بولاية الشام وولى فى قلعة دمشق وفى حلب وبعث الافرم بالكتاب الى السلطان قلاون فأجابه وتقدم الى الافرم أن يكاتبه بالعذل فيما فعله وارتكبه فلم يرجع عن شأنه وجمع العساكر من عمالات الشام واحتشد العربان وبعثهم مع قراسنقر المعرى الى غزة فلقيهم الافرم وأصحابه وهزموهم وأسروا جماعة من أمرائهم وبعثوا بهم الى السلطان قلاون فأطلقهم وخلع عليهم ولما وصلت العساكر منفلة الى دمشق عسكر سنقر الاشقر بالمرج وكاتب الامراء بغزة يستميلهم وبعث السلطان العساكر من مصر مع علم الدين سنجر لاشين المنصورى وبدر الدين بكتاش الفخرى السلحدار وسار والى دمشق فلقيهم الاشقر على الجسر بالكسرة فهزموه فى صفر سنة تسع وسبعين وتقدموا الى دمشق فملكوها وأطلق علم الدين سنجر لاشين المنصورى من الاعتقال وولاه نيابة دمشق وولى على القلعة سيف الدين سنجار المنصورى وكتب الى السلطان بالفتح وسار سنقر الى الرحبة فامتنع عليه نائبها فسار الى عيسى بن مهنا ورجع عنه الى الفل وكاتبوا أبغا ملك التتر واستحثوه لملك الشام يستميلونه فلم يجب وبعث اليه العساكر فأجفلوا الى صهيون وملكها سنقر وملك معها شيزر وبعث السلطان العساكر لحصار شيزر مع عز الدين الافرم فحاصرها وجاءت الاخبار بزحف ابغا ملك التتر الى الشام فى مواعدة سنقر وابن مهنا واستدعى صمغار صاحب بلاد الروم فجمع معه من المغل وانه بعث بيدوا ابن

أخيه طرخان وصاحب ماردين وصاحب سيس من ناحية اذربيجان وجاء هو على طريق الشأم وفى مقدمته أخوه منوكتمر فلما تواترت الاخبار بذلك أفرج الافرم عن حصار شيزر ودعا الاشقر الى مدافعة عدو المسلمين فأجابه ورفع عن موالاة ابغا وسار من صهيون للاجتماع بعساكر المسلمين وجمع السلطان العساكر بمصر وسار الى الشأم واستخلف على مصر ابنه أبا الفتح عليا بعد ان ولاه عهده وقرأ كتابه بذلك على الناس وخرج لجمع العساكر فى جمادى سنة تسع وسبعين وانتهى الى غزة ووصل التتر الى حلب وقد أجفل عنها أهلها وأقفرت منازلها فأضرموا النار فى بيوتها ومساجدها وتولى كبر ذلك صاحب سيس والارمن وبلغهم وصول السلطان الى غزة فأجفلوا راجعين الى بلادهم وعاد السلطان الى مصر بعد ان جرد العساكر الى حمص وبلاد السواحل بحمايتها من الافرنج ورجع سنقر الاشقر الى صهيون وفارقه كثير من عسكره الى فلحقوا بالشأم وأقام معه سنجر الدوادار وعز الدين اردين والامراء الذين مكنوه من قلاع الشأم عند انتقاضه والله سبحانه وتعالى أعلم

مسير السلطان لحصار المرقب ثم الصلح معهم ومع سنقر الاشقر بصهيون ومع بنى الظاهر بالكرك

كان الافرنج الذين بحصن المرقب عندما بلغهم هجوم التتر على الشأم شنوا الغارات فى بلاد المسلمين من سائر النواحى فلما رجع التتر عن الشأم استأذن بلبان الطباخى صاحب حصن الاكراد فى غزوهم وسار اليهم فى جامية الحصون بنواحيه وجمع التركمان وبلغ حصن المرقب ووقف أسفله واستطرد له أهل الحصن حتى تورط فى أوعار الجبل ثم هجموا عليه دفعة فانهزم ونالوا من المسلمين وبلغ الخبر الى السلطان فخرج من مصر لغزوهم آخر سنة تسع وسبعين واستخلف ابنه مكانه وانتهى الى الروحاء فوصله هنالك رسل الافرنج فى تقرير الهدنة مع أهل المرقب على أن يطلقوا من أسروه من المسلمين فى واقعة بلبان فعقد لهم فى المحرم سنة ثمانين وعقد لصاحب بيت الاسبتار وابنه وصاحب طرابلس سمند بن تيمند ولصاحب عكا على بلادهم وعلى قلاع الاسماعيلية وعلى جميع البلاد المستجدة الفتح وما سيفتحه على أن يسكن عمال المسلمين باللاذقية وأن لا يستجدوا اسم قلعة ولا غيرها ولا يداخلوا التتر فى فتنة ولا يعبروا عليهم الى بلاد المسلمين ان أطاقوا ذلك وعقد معهم ذلك لاحدى عشرة سنة وبعث السلطان من أمرائه من يستحلف الافرنج على ذلك وبلغه الخبر بأن جماعة من أمرائه أجمعوا الفتك به وداخلوا الافرنج فى ذلك وكان كبيرهم كوندك فلما وصل الى بيسان قبض عليه وعليهم وقتلهم واستراب من داخلهم فى ذلك ولحقوا بسنقر فى صهيون ودخل السلطان

فى الاصل

دمشق وبعث العساكر لحصار شيزر ثم ترددت الرسل بينه وبين الاشقر فى الصلح على أن ينزل عن شيزر ويعوض عنها بالشغر وبكاس وعلى أن يقتصر فى حامية الحصون التى لقطره على ستمائة من الفرسان فقط ويطرد عنه الامراء الذين لحقوا به فتم الصلح على ذلك وكتب له التقليد بتلك الاعمال ورجع من عنده سنجر الدوادار فأسعن اليه السلطان وولى على نيابة شيزر بلبان الطباخى وكان بنو الظاهر بالكرك يسألون السلطان فى الصلح بالزيادة على الكرك كما كان السلطان داود فلما تم الصلح مع سنقر رجعوا الى القنوع بالكرك وبعث اليهم السلطان بأقاربهم من القاهرة وأتم لهم العقد على ذلك وبعث الامير سلحدار والقاضى تاج الدين بن الاثير لاستحلافهم والله تعالى أعلم

(واقعة التتر بحمص ومهلك ابغا سلطانهم بأثرها)

ثم زحف التتر سنة ثمانين الى الشأم من كل ناحية متظاهرين فسار ابغا فى عساكر المغل وجموع التتر وانتهى الى الرحبة فحاصرها ومعه صاحب ماردين وقدم أخوه منكوتمر فى العساكر الى الشأم وجاء صاحب الشمال منكوتمر بن طغان بن دوشى خان من كرسيهم بصراى مظاهرا لابغا بن هلاكو على الشأم مر بالقسطنطينية ثم نزل بين قيسارية وتفليس ثم سار الى منكوتمر بن هلاكو وتقدم معه الى الشأم وخرج السلطان من دمشق فى عساكر المسلمين وسابقهم الى حمص ولقيه هنالك سنقر الاشقر فيمن معه من أمراء الظاهرية وزحف التتر ومن معهم من عساكر الروم والافرنج والارمن والكرج ثمانون ألفا أو يزيدون والتقى الفريقان على حمص وجعل السلطان فى ميمنته صاحب حماة محمد بن المظفر ونائب دمشق لاشين السلحدار وعيسى بن مهنا فيمن اليه من العرب وفى الميسرة سنقر الاشقر فى الظاهرية مع جموع التركمان ومن اليهم جماعة من أمرائه وفى القلب نائبه حسام الدين طرنطاى والحاجب ركن الدين اباجى وجمهور العساكر والمماليك ووقف السلطان تحت الرايات فى مواليه وحاشيته ووقفت عساكر التتر كراديس وذلك منتصف رجب سنة ثمانين واقتتلوا ونزل الصبر ثم انفضت ميسرة المسلمين واتبعهم التتر وانفضت ميسرة التتر ورجعوا على ملكهم منكوتمر فى القلب فانهزم ورجع التتر من اتباع ميسرة المسلمين فمروا بالسلطان وهو ثابت فى مقامه لم يبرح ورجع أهل الميرة ونزل السلطان فى خيامه ورحل من الغد فى اتباع العدو وأوعز الى الحصون التى فى ناحية الفرات باعتراضهم على المقابر فعدلوا عنها وخاضوا الفرات فى المجاهل فغرقوا ومر بعضهم بسلمية فهلكوا وانتهى الخبر الى ابغا وهو على الرحبة فأجفل الى بغداد وصرف السلطان العساكر الى أماكنهم وسار سنقر

الاشقر الى مكانه بصهيون وتخلف عنه كثير من العساكر بعد ذلك السلطان وعاد السلطان الى دمشق ثم الى مصر آخر شعبان من السنة وبلغه الخبر بمهلك منكوتمر بن هلاكو بهمذان ومنكوتمر صاحب الشمال بصراى فكان ذلك تتمة لما اتفق ثم هلك ابغا بن هلاكو سنة احدى وثمانين وكان سبب مهلكه فيما يقال انه اتهم شمس الدين الجوينى وزيره باغتيال أخيه منكوتمر منصرفه من واقعة حمص فقبض عليه وامتحنه واستصفاه فدس له الجوينى من سمه ومات وكان ابغا اتهم بأخيه أيضا أميرا من المغل كان شحنة بالجزيرة ففر منها وأقام بشركاو بعث السلطان قلاون بعثا الى ناحية الموصل للاغارة عليها وانتهوا الى سنجر فصادفوا هذا الامير وجاؤا به الى السلطان فحبسه ثم أطلقه وأثبت اسمه فى الديوان وكان يحدث بكثير من أخبار التتر وكتب بعضها عنه وبعث السلطان فى هذه السنة بعوثا أخرى الى نواحى سيس من بلاد الروم جزاء بما كان من الارمن فى حلب ومساجدها فاكتسحوا تلك النواحى ولقيهم بعض أمراء التتر بمكان هنالك فهزموه ووصلوا الى جبال بلغار ورجعوا غانمين وبعث السلطان شمس الدين قراسنقر المنصورى الى حلب لاصلاح ماخرب التتر من قلعتها وجامعها فأعاد ذلك الى أحسن ما كان عليه ثم أسلم ملوك التتر فبعث أولا بكدار بن هلاكو صاحب العراق باسلامه وأنه تسمى أحمد وجاءت رسله بذلك الى السلطان وهم شمس الدين أتابك ومسعود ابن كيكاوس صاحب بلاد الروم وقطب الدين محمود الشيرازى قاضى شيواس وشمس الدين محمد بن الصاحب من حاشية صاحب ماردين وكان كتابه مؤرخا بجمادى سنة احدى وثمانين وحملوا على الكرامة وأجيب سلطانهم بما ناسبه ثم وصل رسول قودان بن طقان المتولى بكرسى الشمال بعد أخيه منكوتمر سنة ثنتين وثمانين يخبر بولايته ودخوله فى دين الاسلام ويطلب تقليد الخليفة واللقب منه والراية للجهاد فيمن يليه من الكفار فأسعف بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء السلطان قلاون على الكرك وعلى صهيون ووفاة صاحب حماة)

ثم توفى المنصور محمد بن المظفر صاحب حماة فى شوال سنة ثنتين وثمانين وولى السلطان ابنه المظفر وبعث بالخلع له ولأقاربه وسار السلطان قلاون الى الشأم فى ربيع سنة ثلاث وثمانين لمحاصرة المرقب بما فعلوه من ممالأة العدو فحاصره حتى استأمنوا اليه وملك الحصن من أيديهم وانتظر وصول سنقر الاشقر من صهيون فلم يصل فرجع الى مصر وجهز النائب حسام الدين طرنطاى فى العساكر لحصار الكرك بما وقع من شلامش وخسرو من الانتقاض فسار سنة خمس وثمانين وحاصرهم حتى استأمنوا وجاء بهم الى السلطان فركب للقائهم وبالغ فى اكرامهم ثم ساءت سيرتهم فاستراب بهم

واعتقلهم وعرسهم الى القسطنطينية وولى على الكرك عز الدين المنصورى وبعده بيبرس الدويدار مؤلف أخبار الترك ثم جهز السلطان ثانيا النائب طرنطاى بالعساكر لحصار سنقر الاشقر بصهيون لانتقاضه واغارته على بلاد السلطان فسار لذلك سنة ست وثمانين وحاصره حتى استأمن هو ومن معه وجاء به الى السلطان وأنزله بالقلعة ولم يزل عنده الى أن هلك السلطان فقبض عليه وتولى ابنه الاشرف من بعده كما نذكره ان شاء الله تعالى

(وفاة ميخائيل ملك القسطنطينية)

قد تقدم لنا كيف تغلب الافرنج على القسطنطينية من يد الروم سنة ستمائة وكان ميخائيل هذا من بطارقتهم أقام في بعض الحصون نواحيها فلما أمكنته الفرصة بيتها وقتل من كان بها من الافرنج وحرق الساقوري في مراكبهم واجتمع الروم الى ميخائيل هذا وملكوه عليهم وقتل الملك الذي قبله وكان بينه وبين صاحب مصر والناصر قلاون من بعده اتصال ومهاداة ونزل بنو الظاهر عليه عندما غربوا من مصر ثم مات ميخائيل سنة احدى وثمانين وولى ابنه ماندرو ويلقب الراوس وميخائيل هذا يعرف بالاشكرى وبنوه من بعده بنو الاشكرى وهم ملوك القسطنطينية الى هذا العهد والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(أخبار النوبة)

كان الملك الظاهر وفد عليه أعوام سنة خمس وسبعين ملك النوبة من تشكيل مستنجدا به على ابن أخيه داود لما كان تغلب عليه وانتزع الملك من يده فوعده السلطان وأقام منتظرا واستفحل ملك داود وتجاوز حدود مملكته الى قرب اسوان من آخر الصعيد فجهز السلطان العساكر اليه مع اقسنقر الفارقاني وايبك الافرم أستاددار وأطلق معهم مرتشكين ملك النوبة فساروا لذلك واستنفروا العرب وانتهوا الى رأس الجنادل واستولوا على تلك البلاد وأمنوا أهلها وساروا في البلاد فلقيهم داود الملك فهزموه وأثخنوا في عساكره وأسروا أخاه وأخته وأمه وسار الى مملكة السودان بالابواب ورآء تلك المملكة فأوقع به ملكها وقبض عليه وأسره وبعث به مقيدا الى السلطان فاعتقل بالقلعة الى أن مات واستقر مرتشكين في سلطان النوبة على جزية مفروضة وهدايا معلومة في كل سنة وعلى أن تكون الحصون المجاورة لاسوان خالصة للسلطان وعلى أن يمكن ابن أخيه داود وجميع أصحابه من كل ما لهم في بلادهم فوفى بذلك ثم مات الظاهر وانقرضت دولته ودولة بنيه وانتقل الملك الى المنصور قلاون فبعث سنة ست وثمانين

العساكر الى النوبة مع علم الدين سنجر الخياط وعز الدين الكوراني وسار معهم نائب قوص عز الدين ايدمر السيفي بعد ان استنفر العربان أولاد أبي بكر وأولاد عمر وأولاد شريف وأولاد شيبان وأولاد كنز الدولة وجماعة من الغرب وبني هلال وساروا على العدوة الغربية والشرقية في دنقلة وملكهم بيتمامون هكذا اسماه النووي وأظنه أخا مرتشكين وبرز للعساكر فهزمتهم واتبعتهم خمسة عشر يوما وراء دنقلة ورتب ابن أخت بيتمامون في الملك ورجعت العساكر الى مصر فجاء بيتمامون الى دنقلة فاستولى على البلاد ولحق ابن أخته بمصر صريخا بالسلطان فبعث معه عز الدين ايبك الافرم في العساكر ومعه ثلاثة من الامراء وعز الدين نائب قوص وذلك سنة ثمان وثمانين وبعثوا المراكب في البحر بالازودة والسلاح ومات ملك النوبة باسوان ودفن بها وجاء نائبه صريخا الى السلطان فبعث معه داود بن أخي مرتشكين الذي كان أسيرا بالقلعة وتقدم جريس بين يدي العساكر فهرب بيتمامون وامتنع بجزيرة وسط النيل على خمس عشرة مرحلة وراء دنقلة ووقفت العساكر على ساحل البحر وتعذر وصول المراكب الى الجزيرة من كثرة الجر وخرج بيتمامون منها فلحق بالابواب ورجع عنه أصحابه ورجعت العساكر الى دنقلة فملكوا داود ورجعوا الى مصر سنة تسع وثمانين لتسعة أشهر من مسيرهم بعد ان تركوا أميرا منهم مع الملك داود ورجعوا الى مصر ورجع بيتمامون الى دنقلة وقتل داود وبعث الامير الذي كان معهم الى السلطان وحمله رغبة في الصلح على أن يؤدي الضريبة المعلومة فأسعف لذلك واستقر في ملكه انتهى والله تعالى أعلم.

(فتح طرابلس)

كان الافرنج الذين بها قد نقضوا الصلح وأغاروا على الجهات فاستنفر السلطان العساكر من مصر والشأم وازاح عللهم وجهز آلات الحصار وسار اليها في محرم سنة ثمان وثمانين فحاصرها ونصب عليها المجانيق وفتحها عنوة لاربعة وثلاثين يوما من حصارها واستباحها وركب بعضهم الشواني للنجاة فردتهم الريح الى السواحل فقتلوا وأسروا وأمر السلطان بتخريبها فخربت وأحرقت وفتح السلطان ما اليها من الحصون والمعاقل وأنزل حاميتها وعاملها بحصن الاكراد ثم اتخذ حصنا آخر انزل النائب والحامية في العمل وسمي باسم المدينة وهو الموجود لهذا العهد وكان من خبر هذه المدينة من لدن الفتح أن معاوية أيام ولايته الشأم لعهد عثمان بن عفان رضي الله عنه بعث اليها سفيان بن مختنف الازدي فحاصرها وبنى عليها حصنا حتى جهد أهلها الحصار وهربوا منها في البحر وكتب

سفيان الى معاوية بالفتح وكان يبعث العساكر كل سنة للمرابطة بها ثم جاء الى عبد الملك
ابن مروان بطريق من الروم وسأله فى عمارتها والنزول بها بمعاعلى أن يعطيه الخراج
فأجابه وأقام قليلا ثم غدر بمن عنده من المسلمين وذهب الى بلاد الروم فحطفته ثم ولى
المسلمين فى البحر وقتله عبد الملك ويقال الوليد وملكها المسلمون وبقى الولاة يملكونها من
دمشق الى أن جاءت دولة العبيديين فافردوها بالولاية ووليها ريان الخادم ثم سر الدولة
ثم أبو السعادة على بن عبد الرحمن بن جبارة ثم ريال ثم مختار الدولة بن ريال وهؤلاء كلهم
من أهل دولتهم ثم تغلب قاضيها أمين الدولة ابو طالب الحسن بن عمار وتوفى سنة أربع
وستين وأربعمائة وكان من فقهاء الشيعة وهو الذى صنف الكتاب الملقب بحراب الدولة
ابن منقذ بن كود فقام بولاية أخيه أبى الحسن بن محمد بن عمار ولقبه جلال الدين وتوفى
سنة اثنتين وتسعين صنجيل من ملوكهم واسمه ميمنت ومعناه ميمون وصنجيل اسم مدينة
عرف بها وأقام صنجيل يحاصرها طويلا وعجز ابن عمار عن دفاعه ثم قصد سلطان
السلجوقية بالعراق محمد بن ملكشاه مستنجدا به واستخلف بالمناقب ابن عمه على طرابلس
ومعه سعد الدولة فتيان بن الاغر فقتله أبو المناقب ودعا للافضل بن أمير الجيوش المستبد
على خلفاء العبيديين بمصر لذلك العهد ثم هلك صنجيل وهو محاصر لها وولى مكانه
السرداني من زعمائهم وبعث الافضل قائدا الى طرابلس فأقام بها وشغل عن مدافعة
العدو بجمع الاموال ونمى عنه الى الافضل أنه يروم الاستبداد فبعث آخر مكانه وثار
أهل البلد لسوء سيرته فتبين وصول المراكب من مصر بالمدد وقبض على اعيانهم وعلى
مخلف فخر الملك بن عمار من أهله وولده وبعث بهم الى مصر وجاء فخر الملك بن عمار بعد ان
قطع حبل الرجاء فى يده من انجاد السلجوقية لما كانوا فيه من الشغل بالفتنة وربما
علله بعضهم بولاية الوزارة له ثم رجع الى دمشق سنة اثنتين وخمسمائة ونزل على
طغتكين الاتابك ثم ملكها السرداني سنة ثلاث وخمسمائة بعد حصارها سبع سنين
وجاء ابن صنجيل من بلاد الافرنج فملكها منه واقامت فى ملكته وملك بنيه ثلاثين
سنة ثم ثار عليه بعض الزعماء وقتله   بطرس الاعور واستخلف فى طرابلس

بياض بالاصل

القومس بطرا ثم كانت الواقعة بين صاحب القدس ملك الافرنج وبين زنكى الاتابك
صاحب الموصل وانهزم الافرنج وأسر القومس فى تلك الوقعة وبجا ملك الافرنج الى
بعرين فتحصن بها وحصره زنكى حتى اصطلحا على أن يعطى بعرين ويطلق زنكى
الاسرى فى الواقعة فانطلق القومس الى طرابلس فأقام بها مدة ووثب الاسماعيلية به
فقتلوه وولى بعده رهيد صبيا وحضر مع الافرنج سنة سبع وخمسين وقعة حارم التى
هزمهم فيها العادل وأسر رهيد وبقى فى اعتقاله الى أن ملك صلاح الدين يوسف

ابن أيوب فاطلقه سنة سبعين وخمسمائة ولحق بطرابلس ولم تزل في ملكه وملك ولده الى أن فتحها المنصور سنة ثمان وثمانين كما مر والله تعالى أعلم

(انشاء المدرسة والمارستان بمصر)

كان المنصور قلاون قد اعتزم على انشاء المارستان بالقاهرة لذلك الاماكن حتى وقف نظره على الدار القطبية من قصور العبيديين وما يجاورها من القصرين واعتمد انشاءه هنالك وجعل الدار أصل المارستان وبنى بازائه مدرسة لتدريس العلم وقبة لدفنه وجعل النظر في ذلك لعلم الدين الشجاعي فقام بانشاء ذلك لاقرب وقت وكملت العمارة سنة اثنتين وثمانين وستمائة ووقف عليها املاكا وضياعا بمصر والشأم وجلس بالمارستان في يوم مشهود وتناول قدحا من الاشربة الطبية وقال وقفت هذا المارستان على مثلي فمن دوني من أصناف الخلق فكان ذلك من صالح آثاره والله أعلم

(وفاة المنصور قلاون وولاية ابنه خليل الاشرف)

كان المنصور قلاون قد عهد لابنه علاء الدين ولقبه الصالح وتوفي سنة سبع وثمانين فولى العهد مكانه ابنه الآخر خليل ثم انتقض الافرنج بعكا وأغاروا على النواحي ومرت بهم رفقة من التجار برقيق من الروم والترك جلبوهم للسلطان فنهبوهم وأسروهم فاجمع السلطان غزوهم وخرج في العساكر بعد الفطر من سنة تسع وثمانين واستخلف ابنه خليلا على القاهرة ومعه زين الدين سيف وعلم الدين الشجاعي الوزير وعسكر بظاهر البلد فطرقه المرض ورجع الى قصره فمرض وتوفي في ذى القعدة من السنة فبويع ابنه خليل ولقب الاشرف وكان حسام الدين طرنطاى نائب المنصور اليه فاقره وأشرك معه زين الدين سيف في نيابة العتبة وأقر علم الدين الشجاعي على الوزارة وبدر الدين بيدو استاذداره وعز الدين ايبك خزندارا وكان حسام الدين لاشين السلحدار نائبا بدمشق وشمس الدين قراسنقر الجوكندار نائبا بحلب فاقرهما وجميع ما كان بالشأم من ولاة أبيه ثم قبض على النائب حسام الدين طرنطاى لايام قلائل وقتله واستولى على مخلفه وكان لا يعبر عنه كان الناض منها ستمائة ألف دينار وحملت كلها لخزانته واستقل بدر الدين بالنيابة وبعث الى محمد بن عثمان بن السلعوس من الحجاز فولاه الوزارة وكان تاجرا من تجار الشأم وتقرب له أيام أبيه واستخدم له فاستعمله في بعض اقطاعه بالشأم ووفر جبايته فولاه ديوانه بمصر فاسرف في الظلم وأنهى أمره الى طرنطاى النائب فصادره المنصور وامتحنه ونفاه عن الشأم وحج في هذه السنة

نسخة: في الاصل

وولى الاشرف فكان أول أعماله المحن عنه وولاه الوزارة فبلغ المبالغ فى الظهور
وعلو الكلمة واستخدم الخواص له وترفع على الناس واستقل بالرتب وقبض الاشرف
على شمس الدين سنقر وحبسه وكان قد قبض مع طرنطاى النائب عن عز الدين سيف
البابلية انه يدبر عليه مع طرنطاى ثم ثبتت عنده براءته فاطلقه والله تعالى أعلم

(فتح عكا وتخريبها)

ثم سار الاشرف أول سنة تسعين وستمائة لحصار عكا متمما عزم أبيه فيها فجهز العساكر
واستنفر أهل الشأم وخرج من القاهرة فاغذ السير الى عكا ووافاه أمراء الشأم
والمظفر بن المنصور صاحب حماة فحاصرها ورماها بالمجانيق فهدم كثيرا من أبراجها وتلاها
المقاتلة لاقتحامها فرشقوهم بالسهام فا [illegible] من اللبود وزحفوا فى كنها وردموا
الخندق بالتراب فحمل كل واحد منهم ما قدر عليه حتى طموه وانتهوا الى
الابراج المتهدمة فالصقوها بالارض واقتحموا البلد من ناحيتها واستلحموا من كان
فيها وأكثروا القتل والنهب وفر الفل من العدو الى ابراجها الكبار التى بقيت ماثلة
فحاصرها عشرا أخر ثم اقتحمها عليهم فاستوعبهم السيف وكان الفتح منتصف جمادى
سنة تسعين لمائة وثلاث سنين من ارتجاع الكفار لها من يد صلاح الدين سنة سبع
وثمانين وخمسمائة وأمر الاشرف بتخريبها فخربت وبلغ الخبر الى الافرنج بصور
وصيدا وعتليت وحيفا فاجفلوا عنها وتركوها خاوية ومر السلطان بها وأمر بهدمها
فهدمت جميعا وانكفأ راجعا الى دمشق وقبض فى طريقه على لاشين نائب دمشق
لان بعض الشياطين أوحى اليه ان السلطان يروم الفتك به فركب للفرار واتبعه علم
الدين سنجر الشجاعى وسار الى بيروت ففتحها ومر السلطان بالكرك فاستعفى نائبها ركن
الدين بيبرس الدوادار وهو المؤرخ وولى مكانه جمال الدين اقش الاشرفى ورجع
السلطان الى القاهرة فبعث سلامش وخضر ولدى الظاهر من محبسهما بالاسكندرية
الى القسطنطينية ومات سلامش هنالك وأفرج عن شمس الدين سنقر الاشقر وحسام
الدين لاشين المنصورى اللذين اعتقلهما كما قدمناه وقبض على علم الدين سنجر نائب
دمشق وسيق الى مصر معتقلا وأمر السلطان ببناء الرفرف بالقلعة على أرفع
ما يكون وارفعه وبنى القبة بازائه لجلوس السلطان أيام الزينة والفرح فجاءت مشرفة
على سوق الخيل والميدان والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتح قلعة الروم)

ثم سار السلطان سنة احدى وتسعين فى عساكره الى الشأم بعد ان أفرج عن حسام

الدين

الدين لاشين ورده الى امارته وانتهى الى دمشق ثم سار الى حلب ثم دخل منها الى قلعة الروم فحاصرها فى جمادى من السنة وملكها عنوة بعد ثلاثين يوما من الحصار وقاتل المقاتلة الذريعة وخرب القلعة وأخذ فيها بترك الارمن أسيرا وانكفأ السلطان راجعا الى حلب فأقام بها شعبان وولى عليها سيف الدين الطباخى نائبا مكان قراسنقر الظاهرى لانه ولاه مقدم المماليك ورحل الى دمشق فقضى بها عيد الفطر واستراب لاشين النائب فهرب ليلة الفطر وأركب السلطان فى طلبه وتقبض عليه بعض العرب فى حيه وجاء به الى السلطان فبعثه مقيدا الى القاهرة وولى على نيابة دمشق عز الدين ايبك الحميدى عوضا عن علم الدين سنجر الشجاعى ورجع الى مصر فأفرج عن علم الدين سنجر الشجاعى وتوفى لسنة بعد اطلاقه ثم قبض على سنقر الاشقر وقتله وسمع نائبه بيدو ببراءة لاشين فاطلقه وتوفى ابن الاثير بعد شهر فولى مكانه ابنه عماد الدين أيوب وكان أيوب قد اعتقله المنصور لاول ولايته فأطلقه الاشرف هذه السنة لثلاث عشرة سنة من اعتقاله واستخلصه للمجالسة والشورى وتوفى القاضى فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر كاتب السر وصاحب ديوان الانشاء وله التقدم عنده وعند أبيه فولى مكانه فتح الدين أحمد بن الاثير الحلبى وترك ابن عبد الظاهر ابنه علاء الدين عليا فالقى عليه النعمة منتظما فى جملة الكتاب ثم سار السلطان الى الصعيد يتصيد واستخلف بيدو النائب على دار ملكه وانتهى الى قوص وكان ابن السلعوس قد دس اليه بان بيدو احتجن بالصعيد من الزرع مالا يحصى فوقف هنالك على مخازنها واستكثرها وارتاب بيدو لذلك ولما رجع الاشرف الى مصر ارتجع منه بعض اقطاعه وبقى بيدو مرتابا من ذلك وأتحف السلطان بالهدايا من الخيام والهجن وغيرهما والله تعالى أعلم

(مسير السلطان الى الشأم وصلح الارمن وتمكنه فى مصيا وهدم الشوبك)

ثم تجهز السلطان سنة ثنتين وتسعين الى الشأم وقدم بيدو النائب بالعساكر وعاج على الكرك على الهجن فوقف عليها وأصلح من أمورها ورجع ووصل الى الشأم فوافاه رسول صاحب سيس ملك الارمن راغبا فى الصلح على أن يعطى تهسنا ومرعش وتل حمدون فعقد لهم على ذلك وملك هذه القلاع وهى فى فم الدرب من ضياع حلب وكانت تهسنا للمسلمين ولما ملك هلاكو حلب باعها النائب من ملك الارمن سيس ثم سار السلطان الى حمص ووصل اليها فى رجب من السنة ومعه المظفر صاحب حماة ونزل سلمية ولقيه مهنا بن عيسى أمير العرب فقبض عليه وعلى أخويه محمد وفضل وابنه موسى وبعثهم معتقلين مع لاشين الى دمشق ومن هنالك الى مصر فحبسوا بها وولى على

العرب مكانهم محمد بن أبي بكر ... على بن جديلة وأو ... وهو يحمص الى نائب الكرك يهدم قلعة الشوبك فهدمت وانكف راجعا الى مصر وقدم العساكر مع بيدو وجاء في الساقة على الهجن مع خواصه ولما دخل على مصر أفرج عن لاشين المنصوري والله تعالى أعلم

(مقتل الاشرف وولاية أخيه محمد الناصر في كفالة كيبغا)

كان النائب بيدو مستوليا على الاشرف والاشرف مستريب به حتى كأنه مستبد وكان مستوحشا من الاشرف واعتزم الاشرف سنة ثلاث وتسعين على الصيد في البحيرة فخرج اليها وبعث وزيره ابن السلعوس للاسكندرية لتحصيل الاموال والاقمشة فوجد ... بيدو قد سبقوا اليها واستصفوا ما هنالك فكاتب السلطان بذلك فغضب واستدعى بيدو ووبخه وتوعده ولم يزل هو يلاطفه حتى كسر من سورة غضبه ثم خلص الى أصحابه ورد اخلهم في التوثب به وتولى كبر ذلك منهم لاشين المنصوري نائب دمشق وقراسنقر المنصوري نائب حلب وكان الامراء كلهم حاقدين على الاشرف لتقديمه حاشيته عليهم ولما كتب اليه السلعوس بقلة المال صرف مواليه الى القلعة تخفيفا من النفقة وبقي في القليل وركب بعض أيامه يتصيد وهو مقيم على تروجة فاتبعوه وأدركوه في صيده فأوجس في نفسه الشر منهم فعاجلوه وعلوه بالسيوف ضربه أولا بيدو وثنى عليه لاشين وتركوه بجندلا بمصرعه منتصف محرم من السنة ورجعوا الى المخيم وقد أبرموا أن يولوا بيدو وتولوه ولقبوه القاهر وتقبض على بيسري الشمسي وسيف الدين بكتمر السلحدار واحتملوهما وساروا الى قلعة الملك وكان زين الدين سيف قد ركب للصيد فبلغه الخبر في صيده فسار في اتباعهم ومعه سوس الجاشنكير وحسام الدين استاددار وركن الدين سوس وطقجي في طائفة من الجاشنكيرية وادركوا القوم على الطرانة ولما عاينهم بيدو وبيسري وبكتمر المعتقلين في المخيم رجعوا الى كيبغا وأصحابه وفزع بيدو بمن كان معه من العربان والجند وقاتل قليلا ثم قتل ودجع برأسه على القناة وافترق أصحابه قراسنقر ولاشين بالقاهرة ويقال ان لاشين كان مختفيا في مأذنة جامع ابن طولون ووصل كيبغا وأصحابه الى القلعة وبها علم الدين الشجاعي واستدعوا محمد بن قلاون أخا الاشرف وبايعوه ولقبوه الناصر وقام بالنيابة كيبغا وبالاتابكية حسام الدين وبالوزارة علم الدين سنجر وبالاستاذدارية ركن الدين سوس الجاشنكير واستبدوا بالدولة فلم يكن الناصر يملك معهم شيأ من أمره وجدوا في طلب الامراء الذين داخلوا بيدو في قتل الاشرف فاستوعبوهم بالقتل والصلب والقطع وكان بهادر رأس نوبة وأقوش الموصلي قتلا وأحرقت

أشلاوهما وشفع كيبغا في لاشين وقراسنقر المتولين كبر ذلك فظهرا من الاختفاء وعادا الى محلهما من الدولة ثم تقبض على الوزير محمد بن السلعوس عند وصوله من الاسكندرية وصادره الوزير الشجاعى وامتحنه فمات تحت الامتحان وأفرج عن عز الدين ايبك الافرم الصالحى وكان الاشرف اعتقله سنة ثنتين وتسعين والله سبحانه وتعالى أعلم

(وحشة كيبغا ومقتل الشجاعى)

ثم ان الشجاعى لطف محله من الناصر واختصه بالمداخلة وأشار عليه بالقبض على جماعة من الامراء فاعتقلهم وفيهم سيف الدين كرجى وسيف الدين طوغجى وطوى ذلك عن كيبغا وبلغه الخبر وهو فى موكب بساحة القلعة وكان الامراء يركبون فى خدمته فاستوحش وارتاب بالشجاعى وبالناصر ثم جاء بعض مماليك الشجاعى الى كيبغا فى الموكب وجرد سيفه لقتله فقتله مماليكه وتأخر هو ومن كان معه من الامراء عن دخول القلعة وتقبضوا على سوس الجاشنكير استاذ دار وبعثوا به الى الاسكندرية ونادوا فى العسكر فاجتمعوا وحاصروا القلعة وبعث اليهم السلطان أميرا فشرطوا عليه أن يمكنهم من الشجاعى فامتنع وحاصروه سبعا واشتد القتال ونزمن كان بقى فى القلعة من العسكر الى كيبغا وخرج الشجاعى لمدافعتهم فلم يغن شيأ ورجع الى السلطان وقد خامره الرعب فطلب أن يحبس نفسه فمضى به المماليك الى السجن وقتلوه فى طريقهم وبلغ الخبر الى كيبغا ومن كان معه فذهبت عنهم الهواجس واستأمنوا للسلطان فأمنهم واستحلفوه فحلف لهم ودخلوا الى القلعة وافاض كيبغا العطاء فى الناس وأخرج من كان فى الطباق من المماليك بمداخلة الشجاعى فأنزلهم الى البلد بقناطر الكبش ودار الوزارة والجوار وكانوا نحوا من تسعة آلاف فأقاموا بها ولما كان المحرم فاتح سنة أربع وتسعين اتعدوا الليلة وركبوا فيها جميعا وأخرجوا من كان فى السجون ونهبوا بيوت الامراء وعاجلهم الصبح عن تمام قصدهم وباكرهم الحاجب بهادر ببعض العساكر فهزمهم وافترقوا وتقبض على كثير منهم فأخذ منهم العقاب مأخذه قتلا وضربا وعزلا وأفرج عن عز الدين ايبك الافرم وأعيد الى وظيفته أمير   ثم هلك قريبا واستحكم أمر السلطان ونائبه كيبغا وهو مستبد عليه واستمر الحال على ذلك الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى ولى التوفيق

(خلع الناصر وولاية كيبغا العادل)

بياض فى الاصل

ولما وقعت الوحشة بين كيبغا والشجاعي وقتلها هذه القصة استوحش كيبغا في ظاهر أمره وانقطع عن دار النيابة مختارضا وتردد السلطان لعيادته ثم حمل بطانته على الاستبداد بالملك والجلوس على التخت وكان طموحا لذلك من أول أمره فجمع الامراء ودعاهم الى بيعته فبايعوه وخلع الناصر وركب الى دار السلطان فجلس على التخت وتلقب بالعادل وأخرج السلطان من قصور الملك وكان مع أمه ببعض الحجر وولى حسام الدين لاشين نائبا والصاحب فخر الدين عمر بن عبد العزيز الحليلي الدار وزيرا ونقله اليها من النظر في الديوان لعلاء الدين ولي العهد ابن قلاون وعز الدين ايبك الافرم الصالحي أمير جندار وبهادر الحلبي أمير حاجب وسيف الدين تماص استاذدار وقسم امارة الدولة بين مماليكه وكتب الى نواب الشأم بأخذ البيعة فاجابوا بالسمع والطاعة وقبض على عز الدين ايبك الخازندار نائب طرابلس وولى مكانه فخر الدين ايبك الموصلي وكان الخازندار ينزل بحصن الاكراد ونزل الموصلي بطرابلس وعادت دار امارة ثم وفد سنة خمس وتسعين على العادل كيبغا طائفة من التتر يعرفون بالاردانية ومقدمهم طرنطاي كان مداخلا لبيدو في كجاب ابن عمه ملك التتر فلما سار الملك الى غازان خافه طرنطاي وكانت احياؤه بين غازان والموصل وأوعز غازان الى التتر الذين من ماردين بأخذ الطرق عليهم وبعث قطلو شاه من أمرائه للقبض على طرنطاي ومن معه من أكابر قبيله وسار اليه في ثمانين فارسا فقتله طرنطاي وأصحابه وعبروا الفرات الى الشأم واتبعهم التتر من ديار بكر وكروا عليهم فهزموهم وأمر العادل سنقر الدوادار أن يتلقاهم بالرحب واحتمل نائب دمشق لقدومهم ثم ساروا الى مصر فتلقاهم شمس الدين قراسنقر وكانوا يجلسون مع الامراء بباب القلعة فانفوا لذلك وكان سبب خلع العادل كما نذكر ووصل على اثرهم بقية قومهم بعد أن مات منهم كثير ثم رغبوا في الدولة وخالطهم الترك بأنفسهم وأساؤوا واستخدموا أولادهم وخالطوهم بالصهر والولاء والله سبحانه وتعالى اعلم

(خلع العادل كيبغا وولاية لاشين المنصور)

كان أهل الدولة نقموا على السلطان كيبغا العادل تقديم مماليكه عليهم ومساواة الاردانية من التتر بهم فتفاوضوا على خلعه وسار الى الشأم في شوال سنة خمس وتسعين فعزل عز الدين ايبك الحموي نائب دمشق واستصفاه وولى مكانه سيف الدين غرلو من مواليه ثم سار الى حمص متصيدا ولقيه المظفر صاحب حماة فأكرمه ورده الى بلده وسار الى مصر والامراء مجمعون خلعه والفتك بمماليكه وانتهى الى

العرباء من أرض فلسطين وبلغه عن بيسرى الشمسى انه كاتب التتر فنكر عليه وأغلظ له فى الوعيد وارتاب الامراء من ذلك وغشت رجالاتهم واتفقوا وركب حسام الدين لاشين وبدر الدين بيسرى وشمس الدين قراسنقر وسيف الدين قفجاق وبهادر الحلبى الحاجب وبكاش الفخرى وبيليك الخازندار واقوش الموصلى وبكتمر السلحدار وسلار وطغجى وكرجى ومعطاى ومن انضاف اليهم بعد ان بايعوا الاشين وقصدوا شجم بكتوت الازرق فقتلوه وبيليك فهم مجاص فقتلوه أيضا وركب السلطان كتبغا فى اقفه فحملوا عليه فانهزم الى دمشق وبايع القوم لاشين ولقبوه المنصور وشرطوا عليه أن لا ينفرد عنهم برأى فقبل وسار الى مصر ودخل القلعة ولما وصل كتبغا الى دمشق لقيه نائبه سيف الدين غرلو وأدخله القلعة واحتاط على حواصل لاشين والامراء الذين معه وأمن جماعة من مواليه ووصلت العساكر التى كانت مجردة بالرحبة ومقدمهم جاغان وكانوا قد داخلوا الاشين فى شأنه ونزلوا ظاهر دمشق واتفقوا على بيعة لاشين وأعانوا بدعوته وانحل أمر العادل وسأل ولاية صرخد وألقى بيده فحبس بالقلعة لسنتين من ولايته وبعث الامراء ببيعتهم للاشين ودخل سيف الدين جاغان الى القلعة ثم وصل كتاب لاشين ببعثه الى مصر وبعث الى كتبغا بولاية صرخد كما سأل ووصل قفجق المنصورى نائبا عن دمشق وأفرج لاشين بمصر عن ركن الدين بيبرس الجاشنكير وغيره من المماليك وولى قراسنقر نائبا وسيف الدين سلار استاذدار وسيف الدين بكتمر السلحدار أمير جاندار وبهادر الحلبى صاحب وأقر فخر الدين الخليلى على وزارته ثم عزله وولى مكانه شمس الدين سنقر الاشقر وقبض على قراسنقر النائب وسيف الدين سلار استاذدار آخر سنة ست وتسعين وولى مكانه سيف الدين منكوتمر الحسامى مولاه واستعمل سيف الدين قفجق المنصورى نائبا ثم أمر بتجديد عمارة جامع ابن طولون وندب لذلك علم الدين سنجر الدوادار وأخرج للنفقة فيه من خاص ماله عشرين ألف دينار ووقف عليه املاكا وضياعا ثم بعث سنة تسع وسبعين بالناصر محمد بن قلاون الى الكرك مع سيف الدين سلار استاذدار وقال زين الدين ابن مخلوف فقيه بيته هو ابن استاذى وأنا نائبه فى الامر ولو علمت أنه يقوم بالامر لاقمته وقد خشيت عليه فى الوقت فبعثته الى الكرك فوصلها فى ربيع وقال النووى انه بعث معه جمال الدين بن أقوش ثم قبض السلطان فى هذه السنة على بدر الدين بيسرى الشمسى بسعاية منكوتمر نائبه لان لاشين أراد أن يعهد اليه بالامر فرده بيسرى عن ذلك وقبحه عليه فدس منكوتمر بعض مماليك بيسرى وانهوا الى السلطان أنه يريد الثورة فقبض عليه آخر ربيع الثانى من السنة وأودعه السجن فمات فى محبسه وقبض فى

هذه السنة على بهادر الحلبي وعلى عز الدين أيبك الحموي ثم أمر في هذه السنة بردّ الاقطاعات في النواحي وبعث الامراء والكتاب لذلك وتولى ذلك عبد الرحمن الطويل مستوفي الدولة وقال مؤرخ حماة المؤيد كانت مصر منقسمة على أربعة وعشرين قيراطا أربعة منها للسلطان والكلف والرواتب وعشرة للامراء والاطلاقات والزيادات وعشرة للاجناد الحلقة فصيروها عشرة للامراء والاطلاقات والزيادات والاجناد وأربعة عشر للسلطان فضعف الجيش وقال النووي قرر العامل في الروك الجيزة واطفيح ودمياط ومنفلوط والكوم الأحمر وتولت السنة الخراجية من سبعمائة وتسعين وهذا أي العدد انما هو بعد انقضاء ثلاثة وثلاثين سنة واحدة وهي تفاوت ما بين السنين الشمسية والقمرية وهو حجة ديوان الجيش في انقضاء التفاوت الجيشي وهو تحويل بالاقلام فقط وليس فيه نقص شيء ثم أقطعت البلاد بعد الروك واستثنيت المراتب الجسرية والرزق الاحباسية انتهى كلام النووي رحمه الله والله تعالى أعلم

(فتح حصون سيس)

ولما ولي سيف الدين منكوتمر النيابة وكانت محنة بالسلطان استولى على الدولة وطلب من السلطان أن يعهد له بالملك فتنكر ذلك الامراء وشواعته السلطان فتنكر لهم منكوتمر وأكثر السعاية فيهم حتى قبض على بعضهم وتفرق الآخرون في النواحي وبعث السلطان جماعة منهم سنة سبع وتسعين لغزو سيس وبلاد الارمن كان منهم بكتاش أمير سلاح وقراسنقر وبكتمر السلحدار وتدلار وتمراز ومعهم الالبكي نائب صفد في العساكر ونائب طرابلس ونائب حماة ثم أردفهم بعلم الدين سنجر الدوادار وجاءت رسل صاحب تبسر وأغاروا عليها ثلاثة أيام واكتسحوها ثم مروا بتغراس ثم عرجوا انطاكية وأقاموا بها ثلاثا ومروا بجسر الحديد بلاد الروم ثم قصدوا تل حمدون فوجدوها خاوية وقد انتقل الارمن الذين بها الى قلعة النجيمة وفتحوا قلعة مرعش وحاصروا قلعة النجيمة أربعين يوما وافتتحوها صلحا وأخذوا احدى عشر حصنا منها المنصة وحموص وغيرهما واضطرب أهلها من الخوف فأعطوا طاعتهم ورجع العساكر الى حلب وبلغ السلطان لاشين أن التتر قاصدون الشام فجهز العساكر الى دمشق مع جمال الدين أقوش الافرم وأمره أن يخرج العساكر من دمشق الى حلب مع قفجق النائب فسار الى حمص وأقام بها ثم بلغهم الخبر برجوع التتر ووصل أمر السلطان الى سيف الدين الطباخي نائب حلب بالقبض على بكتمر السلحدار والالبكي نائب صفد وجماعة من الامراء بحلب بسعاية منكوتمر وحاول الطباخي ذلك فتعذر عليه وبرز تدلار الى بيار فنزل بها وأقام الآخرون وشعروا بذلك فلحقوا بقفجق النائب على حمص

فأمنهم وكتب الى السلطان يشفع فيهم فأبطأ جوابه وعزله سيف الدين كرجي وغلاء الدين ايدغدي من اجارتهم فاستراب وولى السلطان مكانه على دمشق جاغان فكتب الى قفجق يطلبهم فنفروا وافترق عسكره وعبر الفرات الى العراق ومعه أصحابه بعد ان قبضوا على نائب حمص واحتملوه ولحقهم الخبر بقتل السلطان لاشين وقد تورطوا في بلاد العدو فلم يمكنهم الرجوع ووفدوا على غازان بنواحي واسط وكان قفجق من جند التتر وأبوه من جند غازان خصوصا ولما وقعت الفتنة بين لاشين وغازان وكان فيروز أتابك غازان مستوحشا من سلطانه فكاتب لاشين في اللحاق به واطلع سلطانه على كتبه فأرسل الى قطلوشاه نائب حران فقبض على فيروز وقتله وقتل غازان أخويه في بغداد والله تعالى أعلم

(مقتل لاشين وعود الناصر محمد بن قلاون الى ملكه)

كان السلطان لاشين قد فوض امر دولته الى مولاه منكوتمر فاستطال وطمع في الاستبداد ونكره الامراء كما قدمناه فأغرى السلطان بهم وشردهم كل مشرد بالنكبة والابعاد وكان سيف الدين كرجي من الجاشنكير ومقدما عليهم كما كان قراسنقر مع الاشرف وكان جماعة المماليك معصوصبين عليه وسعى منكوتمر في نيابته على القلاع التي افتتحت من الارمن ببلاد سيس فاستعفى من ذلك وأسرها في نفسه وأخذ في السعاية على منكوتمر وظاهره على أمره قفجي من كبار الجاشنكيرية وكان لطقجي صهر من كبار الجاشنكيرية اسمه طنطاي أغلظ له منكوتمر يوما في المخاطبة فامتعض وفزع الى كرجي وطقجي فاتفقوا على اغتيال السلطان وقصدوه ليلا وهو يلعب بالشطرنج وعنده حسام الدين قاضي الحنفية فأخبره كرجي بغلق الابواب على المماليك فنكره ولم يزل يتصرف أمامه حتى ستر سيفه بمنديل طرحه عليه فلما قام السلطان لصلاة العتمة تحاماه عنه وعلاه بالسيف وافتقد السلطان سيفه فتعاوروه بسيوفهم حتى قتلوه وهموا بقتل القاضي ثم تركوه وخرج كرجي الى طقجي بمكان انتظاره وقصدوا منكوتمر وهو بدار النيابة فاستجار بطقجي فأجاره وحبسه بالجب ثم راجعوا رأيهم واتفقوا على قتله فقتلوه وكان مقتل لاشين في ربيع سنة ثمان وتسعين وكان من موالي على بن المعز ايبك فلما غرب للقسطنطينية تركه بالقاهرة واشتراه المنصور قلاون من القاضي بحكم البيع على الغائب بألف درهم وكان يعرف بلاشين الصغير لانه كان هنالك لاشين آخر أكبر منه وكان نائبا بحمص ولما قتل اجتمع الامراء وفيهم ركن الدين بيبرس الجاشنكير وسيف الدين سلار استاذدار وحسام الدين لاشين الرومي وقد وصل على البريد من بلاد سيس جمال الدين أقوش الافرم وقد عاد من

دمشق بعد ان أخرج النائب والعساكر الى حمص وعز الدين ايبك الجزندار وبدر الدين السلحدار فضبطوا القلعة وبعثوا الى الناصر محمد بن قلاون بالكرك يستدعونه للملك فاعتزم طقجي على الجلوس على التخت واتفق وصول الامراء الذين كانوا بحلب منصرفين من غزاة سيس وفيهم سيف الدين كرجي وشمس الدين سنقر شاه ومقدمهم بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح فأشار الامراء على طقجي بالركوب للقائهم فأنف أولا ثم ركب ولقيهم وسألوه عن السلطان فقال قتل فقتلوه وكان كرجي عند القلعة فركب هاربا وأدرك عند القرافة وقتل ودخل بكتاش والامراء القلعة سلول من غزاة سيس ثم اجتمعوا بمصر وكان الامر دائرا بين سلار وبيبرس وايبك الجامدار وأقوش الافرم وبكتمر أمير جندار وكرت الحاجب وهم ينتظرون وصول الناصر من الكرك وكتبوا الى الامراء بدمشق بما فعلوه فوافقوا عليه ثم قبضوا على نائبها جاغان الحساى وتولى ذلك بهاء الدين قرا ارسلان السيفي فاعتقل ومات لايام قلائل فبعث الامراء بمصر مكانه سيف الدين قطلوبك المنصوري ثم وصل الناصر محمد بن قلاون الى مصر في جمادى سنة ثمان وتسعين فبايعوا له وولى سلار نائبا وبيبرس استادار وبكتمر الجوكندار أمير جندار وشمس الدين الاعسر وزيرا وعزل فخر الدين بن الخليلي بعد ان كان أقره وبعث على دمشق جمال الدين أقوش الافرم عوضا عن سيف الدين قطلوبك واستدعاه الى مصر وولاه حاجبا وبعث على طرابلس سيف الدين كرت وعلى الحصون سيف الدين كراي وأقر بلبان الطباخي على حلب وأفرج عن قراسنقر المنصوري وبعثه على الصبيبة ثم نقله الى حماة عندما وصله وفاة صاحبها المظفر آخر السنة وخلع على الامراء وبث العطايا والارزاق واستقر في ملكه وبيبرس وسلار مستوليان عليه والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(الفتنة مع التتر)

قد كنا قدمنا ما كان من فرار قفجق نائب دمشق الى غازان وحدوث الوحشة بين الملكين فشرع غازان في تجهيز العساكر الى الشأم وبعث شلامش بن امال بن بكو في خمسة وعشرين ألفا في عساكر المغل ومعه أخوه قطقطو وأمره المسير من جهة سيس فسار لذلك ثم حدثته نفسه بالملك فخالع وطلب الملك لنفسه وكاتب ابن قرمان أمير التركمان فسار اليه في عشرة آلاف فارس وسار في ستين ألف فارس وسار الى سيواس فامتنعت عليه وكتب الى صاحب مصر مع مخلص الرومي يستنجده فبعث الى نائب دمشق بانجاده وبلغ الخبر غازان فبعث لقتاله مولاي من أمراء التتر في خمسة وثلاثين ألف فارس ولحقه الى سيواس فانفض عليه العسكر ورجع التتر الى مولاي

ولحق التركمان بالجبال ولحق هو ببيبرس في فل من العسكر وسار الى دمشق ثم الى مصر وسأل من السلطان لاشين أن يمده بعسكر ينقل به عياله الى الشأم فأمر السلطان نائب حلب أن يمده على ذلك فبعث معه عسكرا عليهم بكتمر الحلبي وساروا الى سوس فاعترضهم التتر وهزموهم وقتل الحلبي ونجا شلامش الى بعض القلاع فاستنزله غازان وقتله واستقر أخوه قطقطو وتخلص بمصر وأقطع لهما واتنظما في عسكر مصر والله تعالى أعلم

(واقعة التتر على الناصر واستيلاء غازان على الشأم ثم ارتجاعه منه)

قد كنا قدمنا ما حدث من الوحشة بين التتر وبين الترك بمصر وقدمنا من أسبابها ما قدمناه فلما بويع الناصر بلغه أن غازان زاحف الى الشأم فتجهز وقدم العساكر مع قطلبك الكبير وسيف الدين وسار على أثرهم آخر سنة ثمان وسبعين وانتهى الى غزة فنمى اليه أن بعض المماليك يجمعون التوثب عليه وأن الاربدانية الذين وفدوا من التتر على كيبغا داخلوهم في ذلك وبينما هو يستكشف الخبر اذ بمملوك من أولئك قد شهر سيفه واخترق صفوف العساكر وهم مصطفون بظاهر غزة فقتل لحينه وتتبع أمرهم من هذه البادرة حتى ظهرت حليتها فسبق الاربدانية ومقدمهم طرنطاى وقتل بعض المماليك وحبس الباقون بالكرك ورحل السلطان الى عسقلان ثم الى دمشق ثم ساروا فلقي غازان ما بين سلمية وحمص بجمع المروج ومعه الكرج والارمن وفي مقدمته أمراء الترك الذين هربوا من الشأم وهم قفجق المنصوري وبكتمر السلحدار وفارس الدين البكي وسيف الدين غزار فكانت الجولة منتصف ربيع فانهزمت ميمنة التتر وثبت غازان ثم حمل على القلب فانهزم الناصر واستشهد كثير من الامراء وفقد حسام الدين قاضي الحنفية وعماد الدين اسمعيل ابن الامير وسار غازان الى حمص فاستولى على الذخائر السلطانية وطار الخبر الى دمشق فاضطرب العامة وثار الغوغاء وخرج المشيخة الى غازان يقدمهم بدر الدين بن جماعة وتقي الدين بن تيمية وجلال الدين القزويني وبنى الولد فوضى وخاطب المشيخة غازان في الامان فقال قد سبقكم الى بلدكم كتاب الامان ووصل جماعة من أمرائه فيهم اسمعيل بن الامير والشريف الرضى وقرأ كتاب الامان ويسمونه بلغاتهم الفومان وترحل الامراء بالبساتين خارج البلد وامتنع علم الدين سلحدار بالقلعة فبعث اليه اسمعيل يستنزله بالامان فامتنع فبعث اليه المشيخة من أهل دمشق فزاد امتناعا ودس اليه الناصر بالتحفظ وأن المدد على غزة ووصل قفجق بكتمر فنزلوا الميدان وبعثوا الى سنجر صاحب القلعة

وأبادوهم وأصابوا أموالهم ونعمهم وتجمعوا واستأذن بيبرس في قضاء فرصه فرجع
سالما وكان أبو نمي أمير مكة قد توفي وقام بأمره في مكة ابناه رميثة وحميضة واعتقلا
أخويهما عطيفة وأبا الغيث فقصا السجن وجاآ الى بيبرس مستعديين على أخويهما
فقبض عليهما بيبرس وجاء بهما الى القاهرة وفي سنة ثنتين وسبعمائة بعدها خرجت
الشواني مشحونة بالمقاتلة الى جزيرة أرواد في البحر قبالة انطرطوس وبها جماعة من الافرنج
قد حصنوها وسكنوها فملكوها وأسروا أهلها وخربوها وأذهبوا آثارها والله تعالى
ولي التوفيق

(تقرير العهد لأهل الذمة)

حضر في سنة سبعمائة وزير من المغرب في غرض الرسالة فرأى حال أهل الذمة
وترفههم وتصرفهم في أهل الدولة فنكره وقبح ذلك واتصل بالسلطان نكيره فأمر
بجمع الفقهاء للنظر في الحدود التي تقف عندها أهل الذمة فتقضى عهود المسلمين لهم
عبد الفتح وأجمع الملأ فيهم على ما نذكره وهو أن يميز بين أهل الذمة بشعار يخصهم
فالنصارى بالعمائم السود واليهود بالصفر والنساء منهن بعلامات تناسبهن وأن
لا يركبوا فرسا ولا يحملوا سلاحا واذا ركبوا الحمير ركبوها عرضا ويتنحون وسط الطريق
ولا يرفعوا أصواتهم فوق صوت المسلمين ولا يعلوا بناءهم على بناء المسلمين ولا يظهروا
شعائرهم ولا يضربوا بالنواقيس ولا ينصروا مسلما ولا يهودوه ولا يشتروا من الرقيق
مسلما ولا من سباه مسلم ولا من جرت عليه سهام المسلمين ومن دخل منهم الحمام يجعل
في عنقه جرسا يتميز به ولا ينقشوا فص الخاتم بالعربي ولا يعلموا أولادهم القرآن
ولا يستخدموا في أعمالهم الشاقة مسلما ولا يرفعوا النيران ومن زنا منهم بمسلمة قتل
وقال البترك بحضرة العدول حرمت على أهل ملتي وأصحابي مخالفة ذلك والعدول
عنه وقال رئيس اليهود أوقعت الكلمة على أهل ملتي وطائفتي وكتب بذلك الى
الأعمال *(ولنذكر)* في هذا الموضع نسخة كتاب عمر بالعهد لأهل الذمة بعد كتاب
نصارى الشام ومصر اليه ونصه هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى أهل
الشام ومصر لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا
وشرطنا على أنفسنا أن لا نحدث في مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا علية
ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان في خطط وأن نوسع أبوابنا للمارة
ولبني السبيل وأن ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوي في كنائسنا
ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شركا

ولا نمنع أحدا من ذوي قرابتنا الدخول في دين الاسلام ان أرادوه وان نوقر المسلمين ونقوم لهم في مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شئ من ملابسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتسمى بأسمائهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتيمنا بالعربية وان نجز مقدم رؤسنا ونكرم نزيلنا حيث كنا وان نشد الزنانير على أوساطنا ولا نظهر صلباننا ولا نفتح كتبنا في طريق المسلمين ولا أسواقهم ولا نضرب بنواقيسنا في شئ من حضرة المسلمين ولا نخرج سعانيننا ولا طواغيتنا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نوقد النيران في طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع في منازلهم ولا نعلي منازلنا فلما أتى عمر بالكتاب زاد فيه ولا نضرب أحدا من المسلمين شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا في شئ مما شرطنا لكم علينا وضمناه على أنفسنا وأهل ملتنا فلا ذمة لنا عليكم وقد حل بنا ما حل بغيرنا من أهل المعاندة والشقاق فكتب عمر رضي الله عنه أمض ما سألوه وألحق فيه حرفا اشترطه عليهم مع ما اشترطوه من ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده وعلى أحكام هذا الكتاب جرت فتاوى الفقهاء في أهل الذمة نصا وقياسا وأما كنائسهم فقال أبو هريرة أمر عمر بهدم كل كنيسة استحدثت بعد الهجرة ولم يبق الا ما كان قبل الاسلام وسير عروة بن محمد فهدم الكنائس بصنعاء وصالح القبط على كنائسهم وهدم بعضها ولم يبق من الكنائس الا ما كان قبل الهجرة وفي اباحة رمها واصلاحها لهم خلاف معروف بين الفقهاء والله تعالى ولي التوفيق

(ايقاع الناصر بالتتر على شقحب)

ثم تواترت الاخبار سنة ثنتين وسبعمائة بحركة التتر وان قطلوشاه وصل الى جهة الفرات وأنه قدم كتابه الى نائب حلب بأن بلادهم محلة وأنهم يرتادون المراعي بنواحي الفرات فخادع بذلك عن قصده ويوهم الرعية أن يجفلوا من البسائط ثم وصلت الاخبار باجازتهم الفرات فأجفل الناس أمامهم من كل ناحية ونزل التتر مرعش وبعث العساكر من مصر مددا لاهل الشام فوصلوا الى دمشق وبلغهم هنالك ان السلطان قازان وصل في جيوش التتر الى مدينة الرحبة ونازلها فقدم نائبها قرى وعلوفة واعتذر له بأنه في طاعته الى أن يرد الشام فان ظفر به فالرحبة أهون شئ وأعطاه ولده رهينة على ذلك فأمسك عنه ولم يلبث ان عبر الفرات راجعا الى بلاده وكتب الى أهل

الشأم كما مطر ولا ينذرهم به أن يستمدوا عسكر السلطان أو يستغيثوه ويخادعهم
بلين القول وملاطفته وتقدم قطلوشاه وجوبان الى الشأم بعساكر التتر يقال في تسعين
ألفا أو يزيدون وبلغ الخبر الى السلطان فقدم العساكر من مصر وتقدم بيبرس كافل
المملكة الى الشأم والسلطان وسلار على اثره ومعهم الخليفة أبو الربيع وساروا
في التعبية ودخل بيبرس دمشق وكان النائب بحلب قراسنقر المنصوري وقد اجتمع
اليه كتبغا العادل نائب حماة وأسد الدين كرجي نائب طرابلس بمن معهم من العساكر
وأغار التتر على القريتين وبها أحياء من التركمان كانوا أجفلوا أمامهم من
الفرات فاستاقوا أحياءهم بما فيها واتبعهم العساكر من حلب فأوقعوا بهم
واستخلصوا أحياء التركمان من أيديهم وزحف قطلوشاه وجوبان بجموعهما الى
دمشق يظنان أن السلطان لم يخرج من مصر والعساكر والمسلمون مقيمون بمرج الصفر
وهو المسمى بشقحب مع ركن الدين بيبرس ونائب دمشق أقوش الافرم ينتظرون
وصول السلطان فارتابوا بزحف التتر وتأخروا عن مراكزهم قليلا وارتاعت الرعايا
من تأخرهم وأجفلوا الى نواحي مصر وبينما هم كذلك اذ وصل السلطان في عساكره
وجموعه غرة رمضان من السنة فرتب مصافه وخرج لقصدهم فالتقى الجمعان بمرج
الصفر وحمل التتر على ميمنة السلطان فثبت الله أقدامهم وصابروهم الى أن عشيهم
الليل واستشهد جماعة في الجولة ثم انهزم التتر ولجأوا الى الجبل يعتصمون به واتبعهم
السلطان وأحاط بالجبل الى أن أظل الصباح وشعر المسلمون باستماتتهم فأفرجوا لهم من
بعض الجوانب وتسلل معظمهم مع قطلوشاه وجوبان وحملت العساكر الشامية على
من بقي منهم فاستلحموهم وأبادوهم واتبعت الخيول آثار المنهزمين وقد اعترضتهم
الاوحال بما كان السلطان تقدم الى أهل الانهار بين أيديهم يبثقوها ووحلت خيولهم
فيها فاستوعبوهم قتلا وأسرا وكتب السلطان الى قازان بما يجدد عليه الحسرة ويملأ
قلبه رعبا وبعث البشائر الى مصر ثم دخل الى دمشق وأقام بها عيد الفطر وخرج
لثالثه منها الى مصر فدخلها آخر شوال في موكب حفل ومشهد عظيم وقر الاسلام
بنصره وتبين نقيب نوابه وأنشد الشعراء في ذلك وفي هذه السنة توفي كتبغا العادل
نائب حماة وهو الذي كان ولي الملك بمصر كما تقدم ذكره فدفن بدمشق وتوفي أيضا بلبان
الجوكندار نائب حمص وتوفي أيضا القاضي تقي الدين بن دقيق العيد بمصر لولايته
ست سنين بها وولي مكانه بدر الدين بن جماعة وهلك قازان ملك التتر يقال أصابته
حمى حادة للهزيمة التي بلغته فهلك وولي أخوه خربندا وفيها أفرج السلطان عن رميثة
وحميضة ولدى الشريف أبي نمي وولاهما بدلا من أخويهما عطيفة وأبي الغيث والله
تعالى أعلم

(اخبار

﴿أخبار الارمن وغزو بلادهم وادعاؤهم الصلح ﴾
﴿ثم مقتل ملكهم صاحب سيس على يد التتر﴾

قد كان تقدم لنا ذكر هؤلاء الارمن وانهم واخوتهم الكرج من ولد قويل بن ناحور
ابن آزر وناحور أخو ابراهيم عليه السلام وكانوا أخذوا بدين النصرانية قبل الملة
وكانت مواطنهم ارمينية وهي منسوبة اليهم وقاعدتها خلاط وهي كرسي ملكهم
ويسمى ملكهم التكفور ثم ملك المسلمون بلادهم وضربوا الجزية على من بقي منهم
واختلف عليهم الولاة ونزلت بهم الفتن وخربت خلاط فانتقل ملكهم الى سيس عند
الدروب المجاورة لحلب وانزووا اليها وكانوا يؤدون الضريبة للمسلمين وكان ملكهم
لعهد نور الدين العادل قليج بن اليون وهو صاحب ملك الدروب واستخدم للعادل
وأقطع له وملك المصيصة واردن وطرسوس من يد الروم وأبقاه صلاح الدين بعد العادل
نور الدين على ما كان عليه من الخدمة وغدر في بعض السنين بالتركمان فغزاهم صلاح
الدين وأثخن عليهم حتى أذعنوا ورجع الى حاله من أداء الجزية والطاعة وحسن
الجوار بثغور حلب ثم ملكهم لعهد الظاهر هيثوم بن قسطنطين بن يانس ويظهر أنه من
أعقاب قليج أو من أهل بيته ولما ملك هلاكو العراق والشأم دخل هيثوم في طاعته
وأقره على سلطانه وأجلب مع التتر في غزواتهم على الشأم وغزا سنة ثنتين وستين
صاحب بلاد الروم من التتر واستنفر معه بني كلاب من اعراب حلب وعاثوا في نواحي
عنتاب ثم ترهب هيثوم بن قسطنطين ونصب ابنه ليعون للملك وبعث الظاهر العساكر
سنة اربع وستين ومعه قلاون المنصور صاحب حماة الى بلادهم فلقيهم ليعون
في جموعه قبل الدربند فانهزم وأسر وخرب العساكر مدينة سيس وبذل هيثوم الاموال
والقلاع في فداء ابنه ليعون فشرط عليه الظاهر أن يستوهب سنقر الاشقر وأصحابه من
ابغا بن هلاكو وكان هلاكو أخذهم من سجن حلب فاستوهبهم وبعث بهم وأعطى
خمسا من القلاع منها درغبات ومرزبان لما توفي هيثوم سنة تسع وستين وملك بعده ابنه
ليعون وبقي الملك في عقبه وكان بينهم وبين الترك نفرة واستقامة لقرب جوارهم من حلب
والترك يرددون العساكر الى بلادهم حتى أجابوا الى الصلح على الطاعة والجزية وشحنة التتر
مقيم عندهم بالعساكر من قبل شحنة بلاد الروم ولما توفي ليعون ملك بعده ابنه هيثوم
ووثب عليه أخوه سنباط فخلعه وحبسه بعد ان سمل عينه الواحدة وقتل أخاهما الاصغر
يروس ونازلت عساكر الترك لعهده قلعة حموص من قبل العادل كتبغا فاستضعف
الارمن سنباط وهموا به فلحق بالقسطنطينية وقدموا عليهم أخاه دندين فصالح المسلمين
وأعطاهم مرعش وجميع القلاع على جيحان وجعلوهم تخما ورجعت العساكر عنهم

ثم أفرج ريدين عن أخيه هيثوم الأعور سنة تسع وستين فأقام معه قليلا ثم وثب بريدين
دفر الى القسطنطينية وأقام هيثوم بسيس فى ملك الارمن وقدم ابن أخيه تروس
معتول أتابكا واستقامت دولته بهم وسار مع قازان فى وقعته مع الملك الناصر فعاث
الارمن فى البلاد واستردوا بعض قلاعهم وهربوا تل حمدون ولما هزم الناصر التتر سنة
ثنتين وسبعمائة بعث العساكر الى بلادهم فاسترجعوا القلاع وملكوا حص
وانكسروا بسائط سيس وما اليها مع الضريبة المقررة عليهم فأنفذ نائب حلب
قراسنقر المنصورى سنة سبع وستمائة العساكر اليهم مع أربعة من الامراء فعاثوا
فى بلادهم واعترضهم شحنة التتر بسيس فهزموهم وقتل أميرهم وأسر الباقون وجهز
العساكر من مصر مع تكاش الفخرى أمير سلاح من بقية الحربية وانتهوا الى غزة وخشى
هيثوم مغبة هذه الحادثة فبعث الى نائب حلب بالجزية التى عليهم لسنة خمس وقبلها
وتوسل بشفاعته الى السلطان فشفعه وأمنه وكان شحنة التتر ببلاد الروم لهذا العهد
اروكى وكان قد أسلم لما أسلم ابغا وبنى مدرسة بأدنة وشيد فيها مئذنة ثم حدث بينه وبين
هيثوم صاحب سيس وحشة فسعى به هيثوم عند خربندا ملك التتر بأنه مداخل لأهل
الشام وقد واطأهم على ملك سيس وما اليها واستشهد له بالمدرسة والمئذنة وكتب بذلك
الى اروكى بعض قرابته وأسرها فى نفسه واغتاله فى صنيع دعاه اليه وقبض على واحد من
مماليك الترك كان عند هيثوم من قبل نائب حلب يطلب الجزية المقررة عليه وهو
ايدغدى الشهرزورى ولم يزل فى حبس التتر الى أن فر من محبسه بتوريز سنة عشر
وسبعمائة ونصب الملك بسيس أوشين بن ليعون وسار اروكى الى خربندا فسابقه الشاكى
أخو هيثوم بشانه وولده مستعدين عليه فجمع لهم خربندا وسط اروكى
وقتله واقر أوشين أخاه فى ملكه لسيس فبادر الى مراسلة الناصر عصره وتقرير الجزية
عليه كما كانت ومازال يبعثها مع الاحيان والله تعالى أعلم

(مراسلة ملك المغرب ومهاداته)

كان ملك المغرب الاقصى من بنى مرين المتولين أمره من بعد الموحدين وهو يوسف
ابن يعقوب بن عبد الحق قد بعث الى السلطان الناصر سنة أربع وسبعمائة رسوله علاء
الدين ايدغدى الشهرزورى من الشهرزورية المقربين هنالك أيام الظاهر بيبرس ومعه
هدية حافلة من الخيل والبغال والابل وكثير من ماعون المغرب وسائر طرفه وجملة من
الذهب العين فى ركب عظيم من المغاربة ذاهبين لقضاء فرضهم فقابلهم السلطان بأبلغ
وجوه التكرمة وبعث معهم أميرا لاكرامهم وقراهم فى طريقهم حتى قضوا فرضهم
وعاد الرسول ايدغدى المذكور من حجه سنة خمس فبعث السلطان معه مكافأة هديتهم

بما يليق بهما من النفاسة وعين لذلك أميرين من بابه ايدغدى البابلى وايدغدى الخوارزمى كل منهما الملقب علاء الدين فانتهوا الى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان كما هو فى ربيع الآخر سنة ست فقابلهم بما يجب لهم ولمرسلهم وأوسع لهم فى الكرامة والحباء وبعثهم الى ممالكه بفاس ومراكش ليتطوفا فيها ويعاينا مسرتها وهلك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان وانطلق الرسولان المذكوران من فاس راجعين من رسالتهما فى رجب سنة سبع فى ركب عظيم من أهل المغرب اجتمعوا عليهم لقصد الحج واتوا السلطان أبا ثابت البزولى من بعد يوسف بن يعقوب فى طريقهم فبالغ فى التكرمة والاحسان اليهم و بعث الى مرسلهم الملك الناصر بهدية أخرى من الخيل والبغال والابل ثم مروا بتلمسان وبها أبو زيان وأبو حمو ابنا عثمان بن يغمراسن فلم ينصرفا اليهما وجهاً من القبول وطلبا منهما خفيرا يخفرهما الى تخوم بلادهما لما كانت نواحى تلمسان قد اضطربت بعد مهلك يوسف بن يعقوب وما كان من شأنه فبعث معهما بعض العرب فلم يغن عنهم واعترضهم فى طريقهم أشرار حصين من زغبة بنواحى المدية فبالغوا فى الدفاع فلم يغن عنهم واستولى الاشرار على الركب بما فيه ونهبوا جميع الحجاج ورسل الملك الناصر معهم وخلصوا الى الشيخ بكر بن زغلى شيخ بنى يزيد بن زغبة بوطن حمزة بنواحى بجاية فأوصلهم الى السلطان ببجاية أبى البقاء خالد من ولد الامير أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ملوك افريقية فكساهم وحملهم الى حضرة تونس وبها السلطان أبو عصيدة محمد بن يحيى الواثق من بنى عمه فبالغ فى تكرمتهم وسافر معهم ابراهيم بن عيسى من بنى وسنار أحد أمراء بنى مرين كان أميرا على الغزاة بالاندلس وخرج لقضاء فرضه فمر بتونس واستنهضه سلطانها على الافرنج بجزيرة جربة فسار اليها بقومه ومعه عبد الحق بن عمر بن رحو من أعيان بنى مرين وكان الشيخ أبو يحيى زكريا بن أحمد اللحيانى يحاصرها فى عسكر تونس فأقام معهم مدة ثم استوحش أبو يحيى اللحيانى من سلطانه بتونس فلحق بطرابلس وسار وا جميعا الى مصر وتقدم السلطان باكرامهم حتى قضوا فرضهم وعادوا الى المغرب واستمد أبو يحيى اللحيانى السلطان الناصر فأمده بالاموال والمماليك وكان سببا لاستيلائه على الملك بتونس كما نذكره فى أخباره ان شاء الله تعالى

(وحشة الناصر من كافليه بيبرس وسلار ولحاقه بالكرك وخلعه والبيعة لبيبرس)

ثم عرضت وحشة بين السلطان الناصر و بين كافليه بيبرس وسلار سنة سبع فامتنع من العلامة على المراسم وترددت بينه وبينهم السعاة بالعتاب وركب بعض الامراء فى ساحة القلعة من جوف الليل وذا قعهم الاوحامية فى جوف الليل وافترقوا واشتعض

السلطان لذلك وازداد وحشة ثم سعى بكتمر الجوكندار فى اصلاح الحال وحمل
السلطان على تغريب بعض الخواص من مماليكه الى القدس وكان بيبرس ينسب اليهم
هذه الفتنة ونشأتها من أجلهم ففرقهم السلطان وأعتب الاميرين ثم أعيد الموالى من
القدس الى محلهم من خدمتهم واتهم السلطان الجوكندار فى سعايته فسخطه وأبعده
وبعثه نائبا على صفد ثم غص بما هو فيه من الحجر والاستبداد وطلب الحج فجهزه
بيبرس وسلار وسار الى الكرك سنة ثمان وودعه الامراء واستصحب بعضهم فلما مر
بالكرك دخل القلعة وأخرج النائب جمال الدين أقوش الاشرفى الى مصر وبعث
عن أهله وولده كانوا مع المحمل الحجازى فعادوا اليه من العقبة وصرف الامراء الذين
توجهوا معه وأظهر الانقطاع بالكرك للعبادة وأذن لهم فى اقامة من يصلح لامرهم
فاجتمعوا بدار النيابة وتشاوروا واتفقوا على أن يكون بيبرس سلطانا عليهم وسلار على
نيابته وبايعوا بيبرس فى شوال سنة ثمان ولقبوه المظفر وقلده الخليفة أبو الربيع وكتب
للناصر بنيابة الكرك وعين له اقطاع يختص بها وقام سيف الدين سلار بالنيابة على
عادة من قبله وأقر أهل الوظائف والرتب على مراتبهم وبعث أهل الشأم بطاعتهم
واستقر بيبرس فى سلطانه والله تعالى أعلم

(انتقاض الامير بيبرس وعود الناصر الى ملكه)

ولما دخلت سنة تسع هرب بعض موالى الناصر فلحقوا بالكرك وقلق الظاهر بيبرس
المظفر وبعث فى اثرهم فلم يدركوهم واتهم آخرون فقبض عليهم ونشأت الوحشة لذلك
واتصلت المكاتبة من الامراء الذين بالشأم الى السلطان بالكرك وخرج من مكانه
يريد النهوض اليهم ثم رجع ووصل كتاب نائب دمشق أقوش الافرم فشكى الحال
وبعث الجاشنكير بيبرس الى السلطان برسالة مع الامير علاء الدين مغلطاى ايدغلى
وقطلوبغا تتضمن الارجاف فثارت لها حفائظه وعاقب الرسولين وكاتب أمراء الشأم
يتظلم من بيبرس وأصحابه بمصر ويقول سلمت لهم فى الملك ورضيت بالضنك رجاء الراحة
فلم يرجعوا عنى وبعثوا الى بالوعيد وانهم فعلوا ما فعلوا بأولاد المعز ايبك وبيبرس الظاهر
ومثل ذلك من القول ويستنجدهم ويمت اليهم بوسائل التربية والعتق فى دفاع هؤلاء
عنه والا لحقت ببلاد التتر وبعث بهذه الرسالة مع بعض الجند كان مستخدما بالكرك من
عهد أقوش الاشرفى وأقام هنالك وكان مولعا بالصيد فاتصل بالسلطان فى مصايده
وبث اليه ذات يوم شكواه فقال أنا أكون رسولك الى أمراء الشأم فبعثه اليهم بهذه
الرسالة فاستعضوا وأجابوه بالطاعة كما يجب منهم وسار السلطان الى البلقاء وأرسل
جمال الدين أقوش الافرم نائب دمشق الى مصر فأخبر الجاشنكير بيبرس بالحال

واستمده

واستنفد العساكر للدفاع فبعث اليه بأربعة آلاف من العساكر مع كبار الامراء وأزاح عللهم وأنفق في سائر العساكر بمصر وكثر الارجاف وشغبت العامة وتعين مماليك السلطان للخروج الى الدرجي استرابة بمكانهم ووصل الخبر برجوع السلطان من البلقاء الى الكرك لرأى رآه واستراب لرجعته سائر أصحابه وحاشيته وخاف أن تجمعهم عساكر مصر بما كان يشاع عندهم من اعتزام بيبرس على ذلك ثم دس السلطان الى مماليكه وشيعه اليهم فأجابوه وأعاد الكتاب الى نواب الشأم مثل شمس الدين اقسنقر نائب حلب وسيف الدين نائب حمص فأجابوه بالسمع والطاعة وبعث نائب حلب ولده اليه واستنهضه للوصول فخرج من الكرك في شعبان سنة تسع ولحق به طائفة من أمراء دمشق وبعث النائب أقوش أميرين لحفظ الطرقات فلحقا بالسلطان وكتب بيبرس الجاشنكير الى نواب الشأم بالوقوف مع جمال الدين أقوش نائب دمشق والاجتماع على السلطان الناصر عن دمشق فأعرضوا ولحقوا بالسلطان وسار أقوش الى البقاع والشقيف واستأمن الى السلطان فبعث اليه بالامان مع أميرين من أكابر أمرائه وسار الى دمشق فدخلها وهي خالصة يومئذ لسيف الدين بكتمر أمير جاندار جاء من صفد وهاجر الى خدمته فتلقاه وجازاه أحسن الجزاء ثم وصل أقوش الافرم فتلقاه السلطان بالمبرة والتكرمة وأقره على نيابة دمشق واضطربت أمور الجاشنكير بمصر وخرجت طائفة من مماليك السلطان هاربين الى الشأم فسرح في اثرهم العساكر فأدركوهم ونال الهاربون منهم قتلا وجراحة ورجعوا وتجمعت وثاب العامة والغوغاء وأحاطوا بالقلعة وجاهروا بالخلعان وقبض على بعضهم وعوقب فلم يزدهم الاعتوا وتحاملا وارتاب الجاشنكير لحاله واجتمع الناس للحلف وحضر الخليفة وجدد عليه وعليهم الحلف وبعث نسخة البيعة لتقرأ بالجامع يوم الجمعة فصاح الناس بهم وهموا أن يحصبوهم على المنبر فرجع الى النفقة وبذل المال واعتزم على المسير الى الشأم وقدم أكابر الامراء فلحقوا بالسلطان وزاد اضطراب بيبرس وخرج السلطان من دمشق منتصف رمضان وقدم بين يديه أميرين من أمراء غزة فوصلاها واجتمعت اليه العرب والتركمان وبلغ الخبر الى الجاشنكير فجمع اليه شمس الدين سلار وبدر الدين بكتوت الجوكندار وسيف الدين السلحدار وفاوضهم في الامر فرأوا أن الخرق قد اتسع ولم يبق الا البدار بالرغبة الى السلطان أن يقطعه الكرك أو حماة أو صهيون وتسلم السلطان ملكه فأجمعوا على ذلك وبعثوا بيبرس الدوادار وسيف الدين بهادر بعد ان أشهد الجاشنكير بالخلع وخرج من القلعة الى اطفيح بمماليكه فلم يستقر بها وتقدم قاصدا اسوان واحتمل ماشاء من المال والذخيرة وخيول

الاصطبل وقام عمط القلعة صاحبة سيف الدين سلار وكاتب السلطان يطالعه بذلك وخطب للسلطان على المنابر ودعى باسمه على المآذن وهتف باسمه العامة فى الطرقات وبعث سلار بما رشعار السلطنة ووصلت رسل الجاشنكير الى السلطان بما طلب فأسعفه بصهيون وردهم اليه بالامان والولاية ووافى السلطان عيد الفطر بالبركة ولقيه هنالك سيف الدين سلار وأعطاه الطاعة ودخل السلطان الى القلعة وجلس بانى العيد بالايوان جلوسا عاما واستحلف الناس عامة وسأله سلار فى الخروج الى اقطاعه فأذن له بعد أن خلع عليه فخرج ثالث شوال وأقام ولده بباب السلطان ثم بعث السلطان الامراء الى الخيم فانتزعوا من الجاشنكير ما كان احتمله من المال والذخيرة وأوصلوها الى الخزائن ووصل معهم جماعة من مماليكه كانوا أمراء واختاروا الرجوع الى السلطان وولى السلطان سيف الدين تكتمر الجوكندار أميرجاندار نائبا بمصر وقراسنقر المنصورى نائبا بدمشق وبعث نائبها الافرم نائبا بصرخد وسيف الدين قفجق نائبا بحلب وسيف الدين بهادر نائبا بطرابلس وخرجوا جميعا الى الشأم وقبض السلطان على جماعة من الامراء ارتاب بهم وولى على وزارته فخر الدين عمر بن الخليلى عوضا عن ضياء الدين أبى بكر ثم انصرف بيبرس الجاشنكير متوجها الى صهيون وبها بهادر ها الاتجى موكل به الى حيث قصد ورجع عنه الامراء الذين كانوا عده الى السلطان فاستضاف بعضهم الى مماليكه واعتقل بعضهم ثم بدا للسلطان فى أمره وبعث الى قراسنقر وبهادر وهما مقيمان بغزة ولم ينفصلا الى الشأم أن يقبضا عليه فقبضا عليه وبعثا به الى القلعة آخر ذى القعدة فاعتقل ومات هنالك والله تعالى ولى التوفيق

(خبر سلار ومآل أمره)

لما انتقل السلطان الناصر الى ملكه بمصر وكان لسلار من السعى فى أمره وتمكين سلطانه ما ذكرناه وكانت له سوابق عند السلطان يعتنى برعيها له وكانت الشوبك من اقطاعه فرغب الى السلطان فى المسير اليها والتخلى فيها فأذن له وخلع عليه وزاده فى إقطاعه واقطاع مماليكه أربعمائة من الطواشية باقطاعهم وسار من مصر الى الشوبك فى شوال سنة ثمان وسبعمائة ثم بعث له داود المنسوب بالكرك مضافا الى الشوبك باللواء وبخلعة مذهبة ومركب ثقيل ومنطقة مجوهرة وأقام هنالك فلما كانت سنة عشر بعدها سعى الى السلطان عن جماعة من الامراء انهم معتزمون على الثورة وفيهم أخو سلار وقبض عليهم جميعا وعلى شيع سلار وحاشيته الذين بمصر وبعث علم الدين الجوالى لاستقدامه من الكرك تأنيساله وتسكينا فقدم فى ربيع من السنة

واعتقل الى أن هلك فى معتقله واستصفيت أمواله وذخائره بمصر والكرك وكانت شيأ لا يعبر عنه من الاموال والفصوص واللآلى والاقمشة والدروع والكراع والابل ويقال انه كان يغل كل يوم من اقطاعه وضياعه ألف دينار وأما أوليته فانه لما خلص من أسر التتر صار مولى لعلاء الدين على بن المنصور قلاون ولما مات صار لابيه قلاون ثم لابنه الاشرف ثم لاخيه محمد بن الناصر وظهر فى دولهم كلها وكان بينه وبين لاشين مودة فاستخدم له وعظم فى دولته متقربا فى المراكب متحريا لمحبة السلطان الى أن انقرض أمره ويقال انه لما احتضر فى محبسه قيل له قد رضى عنك السلطان فوثب قائما ومشى خطوات ثم مات والله أعلم

(انتقاض النواب بالشأم ومسيرهم الى التتر وولاية تنكز على الشأم)

كان قفجق نائب حلب قد توفى بعد أن ولاه السلطان فنقل مكانه الى حلب الكرجى من حماة سنة عشر فتظلم الناس منه فقبض عليه ونقل اليها قراسنقر المنصورى من نيابة دمشق وولى مكانه بدمشق سيف الدين كراى المنصورى سنة احدى عشرة ثم سخطه واعتقله وولى مكانه بدمشق جمال الدين أقوش الاشرفى نقله اليها من الكرك وتوفى بها أسد ... نائب طرابلس فنقل اليها أقوش الافرم من صرخد ثم قبض على بكتمر الجوكندار نائب مصر وحبسه بالكرك وجعل مكانه فى النيابة بيبرس الدوادار ثم ارتاب قراسنقر نائب حلب فهرب الى البرية واجتمع مع مهنا بن عيسى ويقال انه استأذن السلطان فى الحج فأذن له فلما توسط البرية استوعرها فرجع فمنعه الامراء الذين بحلب من دخولها الا باذن السلطان فرجع الى الفرات وبعث مهنا بن عيسى شافعا له عند السلطان فقبله ورده الى نيابة حلب ثم بلغ السلطان أن خربندا ملك التتر زاحف الى الشأم فجهز العساكر من مصر وتقدم الى عساكر الشأم بأن يجتمعوا معهم بحمص فارتاب قراسنقر وخرج من حلب وعبر الفرات ثم راجع نفسه واستأمن السلطان على أن يقيم بالفرات فأقطعه السلطان الشوبك يقيم بها فلم يشتغل وبقى بمكان من الفرات مع مهنا بن عيسى ثم ارتاب جماعة من الامراء فلحقوا به وفيهم أقوش الافرم نائب طرابلس وأمضوا عزمهم على اللحاق بخربندا فوصلوا الى ماردين فتلقاهم صاحبها بالكرامة وحمل اليهم تسعين ألف درهم ورتب لهم الاتاوات ثم ساروا الى خلاط الى أن جاءهم اذن خربندا فساروا اليه واستحثوه للشأم وبلغ الخبر الى السلطان فاتهم الامراء الذين فى خدمته بالشأم بمداخلة قراسنقر وأصحابه فاستدعاهم وعساكرهم وبعث على حلب سيف الدين ... مكان قراسنقر وعلى طرابلس بكتمر الساقى مكان أقوش وبعث على العرب فضل بن

عيسى مكان أخيه مهنا ووصل الامراء الى مصر فقبض عليهم جميعا وعلى أقوش الاشرفي نائب دمشق وولى مكانه تنكز الناصرى سنة ثنتي عشرة وجعل له الولاية على سائر الممالك الاسلامية وقبض على نائبه بمصر بيبرس الدوادار وحبسه بالكرك وولى مكانه ارغون الدوادار وعسكر بظاهر القلعة وارتحل بعد عيد الفطر من السنة فلقيه الخبر أثناء طريقه بأن خربندا وصل الى الرحبة ونازلها وانصرف عنها راجعا فاسكفأ السلطان الى دمشق وفرق العساكر بالشأم ثم سار الى الكرك واعتزم على قضاء فرضه تلك السنة وخرج حاجا من الكرك ورجع سنة ثلاث عشرة الى الشأم وبعث الى مهنا بن عيسى يستميله وعاد الرسول بامتناعه ثم لحق سنة ست عشرة بخربندا وأقطعه بالعراق وأقام هنالك فلم يرجع الا بعد مهلك خربندا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿رجوع حماة الى بنى المظفر شاهنشاه بن أيوب﴾
﴿ثم لبنى الافضل منهم وانقراض أمرهم﴾

قد كان تقدم لنا أن حماة كانت من اقطاع تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب أقطعه اياها عمه صلاح الدين بن أيوب سنة أربع وسبعين وخمسمائة ولم تزل بيده الى أن توفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة فأقطعها ابنه ناصر الدين محمدا ولقبه المنصور وتوفى سنة سبع عشرة وستمائة بعد عمه صلاح الدين والعادل فوليها ابنه قليج ارسلان ويلقب الناصر سنة ست وعشرين وكان أخوه المظفر ولى عهد أبيه عند الكامل بن العادل بالعساكر من دمشق وملكها من يد أخيه وأقام بها الى أن هلك سنة ثلاث وأربعين وولى ابنه محمد ويلقب المنصور ولم يزل فى ولايتها الى أن سار يوسف بن العزيز ملك الشأم من بنى أيوب هاربا الى مصر أيام التتر فسار معه المنصور الافضل ثم خشى من الترك بمصر فرجع الى هلاكو واستمر المنصور الى مصر وملك هلاكو الشأم وقتل الناصر وسائر بنى أيوب كامر ثم سار قطز الى مارجيع هلاكو عنه عندما شغل عنه بفتنة قومه فارتجع من ملكه التتر وولى على قواعده وأمصاره ورد المنصور الى حماة ولم يزل واليا عليها وحضر واقعة قلاون على التتر بحمص سنة ثلاثين وكان يتردد الى مصر سائر أيامه ويخرج مع البعوث الى بلاد الارمن وغيرها ويعسكر مع ملوك مصر متى طلبوه لذلك ثم توفى سنة ثلاث وثمانين وأقر ابنه المظفر على ما كان أبوه وجرى هو معهم على سننه الى أن توفى سنة ثمان وتسعين عندما بويع الناصر محمد بن قلاون بعد لاشين واقتطع عقب المنصور فولى ... عليها قرا سنقر من أمراء الترك نقله اليها من الضبية وأمره باستمرار بنى أيوب وسائر الناس على اقطاعاتهم ثم كان استيلاء قازان على الشأم ورجوعه سنة تسع وتسعين

ومسير بيبرس وسلار وانتزاع الشأم من التتر وكان كيبغا العادل الذى ملك مصر وخلعه لاشين نائبا بصرخد بخلاف فى هذه الوقائع وتنصح لبيبرس وسلار وحضر معهم بدمشق فولوه على حماة وغزا بالعساكر بلاد الارمن وحضر هزيمة التتر مع الناصر سنة ثنتين وسبعمائة فرجع الى حماة فمات بها وولى السلطان بعده سيف الدين قفجق استدعاه اليها من اقطاعه بالشوبك وكان الافضل علاء الدين أخو المنصور صاحب حماة توفى أيام أخيه المنصور وخلف ولدا اسمه اسمعيل ولقبه عماد الدين ونشأ فى دولتهم عاكفا على العلم والادب حتى توفرت ماخطه وله كتاب فى التاريخ مشهور ولما رجع السلطان الناصر من الكرك الى كرسيه وسطا ببيبرس وسلار راجع نظره فى الاحسان الى أهل هذا البيت واختار منهم عماد الدين اسمعيل هذا وولاه على حماة مكان قومه ست عشرة وسبعمائة وكان عند رجوعه الى ملكه قد ولى نيابة حلب سيف الدين قفجق وجعل مكانه بحماة ايدمر الكرجى وتوفى قفجق فنقل ايدمر من حماة الى حلب مكانه وولى اسمعيل على حماة كما قلناه ولقبه المؤيد ولم يزل عليها الى أن توفى سنة ثنتين وثلاثين وولى الناصر ابنه الافضل محمد برغبة أبيه الى السلطان فى ذلك ثم مات الملك الناصر فى ذى الحجة سنة احدى وأربعين وقام بعده بالامر مولاه قوص ونصب ابنه أبا بكر محمدا فكان أول شئ أحدثه عزل الافضل من حماة وبعث عليها مكانه صقردمول النائب وسار الافضل الى دمشق فمات بها سنة اثنتين وأربعين وانقرضت امارة بنى أيوب من حماة والبقاء لله وحده لا رب غيره ولا معبود سواه

(غزو العرب بالصعيد وفتح ملطية وآمد)

ثم خرج السلطان سنة ثلاث عشرة فعسكر بالاهرام موريا بالنزهة وقد بلغه ما نزل بالصعيد من عيث العرب وفسادهم فى نواحيه واضرارهم بالسابلة فسرح العساكر فى كل ناحية منه وأخذ الهلاك منهم مأخذه الى   واستباحهم من كل ناحية وشردهم من خلفهم ثم سرح العساكر سنة أربع عشرة بعدها الى ملطية رشى للارمن وملكها   وسار لذلك تنكز نائب دمشق بعساكر الشأم وستة من أمراء مصر ونازلوها فى محرم سنة خمس عشرة وبها جموع من نصارى الارمن والعربان وقليل من المسلمين تحت الجزية فقاتلوهم حتى ألقوا باليد واقتحموها عنوة واستباحوها وجاؤا بملكها مع الاسرى فأبقاه السلطان وأنعم عليه ثم نمى عنه انه يكاتب ملوك العراق فحبسه ثم بعث السلطان العساكر من حلب سنة خمس عشرة الى عرقية من أعمال آمد فافتتحوها وجاءت العساكر سنة سبع عشرة ثانية الى آمد ففتحوها واستباحوها وغنموا منها [illegible] والاجمة والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

البياض فى الموضعين بالاصل

(الولايات)

وفى سنة خمس عشرة حط السلطان سيف الدين عن نائب طرابلس الذى وليها بعد أقوش الافرم وأمد به وسيق معتقلا الى مصر وولى مكانه سيف الدين كستاى ثم هلك فولى مكانه شهاب الدين قرطاى نقله اليها من نيابة حمص وولى نيابة حمص سيف الدين اقطاى ثم قبض سنة ثمان عشرة على طغاى الحسامى من الجاشنكيرية وسرف نائبا الى صفد مكان بكتمر الحاجب ثم حطه وأحضر معتقلا وحبسه بالاسكندرية وبعث على صفد سيف الدين اقطاى نقله اليها من حمص وبعث على حمص بدر الدين بكتوت القرمانى والله تعالى أعلم

(العمائر)

بدأ السلطان سنة احدى عشرة وسبعمائة بناء الجامع الجديد بمصر وأكمله ووقف عليه الاوقاف المغلة ثم أمر سنة أربع عشرة ببناء القصر الابلق من قصور الملك فجاء من أفخر المصانع الملوكية وفى سنة ثمان عشرة أمر بتوسعة جامع القلعة فهدم ما حوله من المساكن وزيد فيه الى الحد الذى هو عليه بهذا العهد ثم أمر فى سنة ثلاث وعشرين بعمارة القصور لمباركه بسرياقوس وبنى بازائها الخانقاه الكبيرة المنسوبة اليه وفى سنة ثلاثين أمر بعمارة الايوان الضخم بالقلعة وجعله مجلس ملكه وبيت كرسيه ودعاه دار العدل والله تعالى أعلم

(حجات السلطان)

وحج الملك الناصر محمد بن قلاون فى أيام دولته ثلاث حجات أولا سنة ثلاث عشرة عرض قراسنقر نائب حلب واقوش الافرم نائب طرابلس ومهنا بن عيسى أمير العرب ولحاقهم بالتتر بعثه الى الشأم ورجع من الرحبة فسار السلطان من مصر الى ... بلغه رجوع حربنداء فسار من هنالك حاجا وقضى فرضه سنة ثلاث عشرة ورجع الى الشأم ثم حج الثانية سنة تسع عشرة ركب اليها من مصر فى أواخر ذى القعدة ومعه المؤيد صاحب حماة والامير محمد ابن أخت علاء الدين ملك الهند صاحب دلى ولما قضى حجه انطلق الامير محمد ابن أخت علاء الدين من هنالك الى الهند على اليمن ورجع الى مصر فأفرج عن رميثة أمير مكة من بنى حسن وعن العتقلين بمحبسه ووصله ووصلهم ثم حج الثالثة سنة اثنتين وثلاثين ومعه الافضل بن المؤيد صاحب حماة على عادة أبيه فى مراكبة السلطان وقفل من حجه سنة ثلاث وثلاثين وأمر بعمل باب الكعبة مصفحا بالفضة أنفق فيه خمسة وثلاثين ألف درهم وفى منصرفه من هذه الحجة مات بكتمر الساقى

من أعظم أمرائه وخواصه ويقال انه عمه وهو من مماليك بيبرس الجاشنكير وانتقل الى الناصر فجعله أمير السقاة وعظمت منزلته عنده واطفت خلته حتى كانا الايفترقان امّا فى بيت السلطان وامّا فى بيته وكان حسن السياسة فى الغاية وخلف بعد وفاته من الاموال والجواهر والذخائر ما يفوت الحصر والله تعالى ولىّ التوفيق بمنه وكرمه

(أخبار النوبة واسلامهم)

قد تقدّم لنا غزو الترك الى النوبة أيام الظاهر بيبرس والمنصور قلاون لما كان عليهم من الجزية التى فرضها عمرو بن العاصى عليهم وقررها الملوك بعد ذلك وربما كانوا يماطلون بها أو يمتنعون من أدائها فتغزوهم عساكر المسلمين من مصر حتى يستقيموا وكان ملكهم بدنقلة أيام سارت العساكر من عند قلاون اليها سنة ثمانين وستمائة واسمه سمامون ثم كان ملكهم لهذا العهد اسمه آى لا أدرى أكان معاقبا لسمامون أو توسط بينهما متوسط وتوفى آى سنة ست عشرة وسبعمائة وملك بعده فى دنقلة أخوه كربيس ثم نزع من بيت ملوكهم رجل الى مصر اسمه نشلى وأسلم فحسن اسلامه وأجرى له رزقا وأقام عنده فلما كانت سنة ست عشرة امتنع كربيس من أداء الجزية فجهز السلطان اليه العساكر وبعث معها عبد الله نشلى المهاجر الى الاسلام من بيت ملكهم فخام كربيس عن لقائهم وفرّ الى بلد الابواب ورجعت العساكر الى مصر واستقر نشلى فى ملك النوبة على حاله من الاسلام وبعث السلطان الى ملك الابواب فى كربيس فبعث به اليه وأقام بباب السلطان ثم انّ أهل النوبة اجتمعوا على نشلى وقتلوه بممالأة جماعة من العرب سنة تسع وبعثوا عن كربيس ببلد الابواب فألفوه بمصر وبلغ الخبر الى السلطان فبعثه الى النوبة فملكها وانقطعت الجزية باسلامهم ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة فى بلادهم واستوطنوها وملكوها وملؤها عيثا وفسادا وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم فعجزوا ثم ساروا الى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم على عادة الاعاجم فى تمليك الاخت وابن الاخت فتمزق ملكهم واستولى اعراب جهينة على بلادهم وليس فى طريقه شئ من السياسة الملوكية للآفة التى تمنع من انقياد بعضهم الى بعض فصاروا شيعا لهذا العهد ولم يبق لبلادهم رسم للملك وانما هم الآن رحالة بادية يتبعون مواقع القطر شأن بوادى الاعراب ولم يبق فى بلادهم رسم للملك لما أحالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة والالتحام والله غالب على أمره والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(بقية أخبار الارمن الى فتح اياس ثم فتح سيس وانقراض أمرهم)

قد كنا قدمنا أخبار الارمن الى قتل ملكهم هيثوم على يد ايدغدى شحنة التتر ببلاد الروم سنة سبع واستقرار الملك بسيس لاخيه أوشين بن ليعون وكان بينه وبين قرمان ملك التركمان مصاف سنة تسع عشرة فهزمه قرمان ولم يزل أوشين بن ليعون ملكا عليهم الى سنة اثنتين وسبعين فهلك ونصبوا للملك بعده ابنه ليعون صغيرا ابن ثنتى عشرة سنة وكان الناصر قد طلب أوشين أن ينزل له عن القلاع التى تلى الشأم فامتنع وجهز اليه عساكر الشأم فاكتسحوا بلاده وخربوها وهلك أوشين على اثر ذلك ثم أمر الناصر كيتغا نائب حلب بعد سنين فدخل اليها بالعساكر سنة ست وثلاثين واكتسح جهاتها وحصر قلعة النقير وافتتحها وأسر من الارمن عدة يقال بلغوا ثلثمائة وبلغ خبرهم الى النصارى باياس فثاروا بمن عندهم من المسلمين وأحرقوهم غضبا للارمن لمشاركتهم فى دين النصرانية ولم يثبت أن بعث الى السلطان دمرداش بن جوبان شحنة المغل ببلاد الروم يعرّفه بدخوله فى الاسلام ويستنفر عساكره لجهاد نصارى الارمن فأسعفه بذلك وجهز اليه عساكر الشأم من دمشق وحلب وحماة سنة سبع وثلاثين ونازلوا مدينة اياس فقصروها وخربوها وتجافلهم الى الجبال فاتبعتهم عساكر حلب وعادوا الى بلادهم ثم سار سنة احدى وستين بندمر الخوارزمى نائب حلب لعروسيس ففتح أذنة وطرسوس والمصيصة ثم قلعق كلال والجريدة وسنباط كلا وعرور وولى نائبين فى أذنة وطرسوس وعاد الى حلب وولى بعده على حلب عشقتمر المارى فسار سنة ست وسبعين وحصر سيس وقلعتها شهرين الى أن نفدت أقواتهم وجهدهم الحصار فاستأمنوا ونزلوا على حكمه وخرج ملكهم التكفور وأمراؤه وعساكره الى عشقتمر فبعث بهم الى مصر واستولى المسلمون على سيس وسائر قلاعها وانقرضت منها دولة الارمن والبقاء لله وحده انتهى

(الصلح مع ملوك التتر وصهر الناصر مع ملوك الشمال منهم)

كان للتتر دولتان مستفحلتان احداهما دولة بنى هلاكو آخذ بغداد والمستولى على كرسى الاسلام بالعراق وأصارها هو وبنوه كرسيا لهم ولهم مع ذلك عراق العجم وفارس وخراسان وما وراء النهر ودولة بنى دوشى خان بن جنكزخان بالشمال متصلة الى خوارزم بالمشرق الى القرم وحدود القسطنطينية بالجنوب والى أرض بلغار بالمغرب وكان بين الدولتين فتن وحروب كما تحدث بين الدول المتجاورة وكانت دولة الترك بمصر والشأم مجاورة لدولة بنى هلاكو وكان يطمعون فى ملك الشأم ويرددون الغزو اليه مرة بعد أخرى ويستميلون أولياءهم وأشياعهم من العرب والتركمان فيستظهرون بهم عليهم كما رأيت ذلك فى أخبارهم وكانت بين ملوكهم من الجانبين وقائع متعددة

وحروبهم فيها سجال وربما غلبوا من الفتنة بين دولة دوشي وبني هلاكو ولبعدهم عن فتنة بني دوشي خان لتوسط الممالك بين مملكتهم ومملكة مصر والشأم فتتبع لهم الصاغية اليهم وتجدد بينهم المراسلة والمهاداة في كل وقت ويبعث ملك الترك ملك صراي من بني دوشي خان لفتنة بني هلاكو والاجلاب عليهم في خراسان وما اليها من حدود مملكتهم ليشغلوهم عن الشأم ويأخذوا بحجزتهم عن النهوض اليه ومازال ذلك دأبهم من أول دولة الترك وكانت رغبة بني دوشي خان في ذلك أعظام يفتخرون به على بني هلاكو ولما ولى صراي ازبك من بني دوشي خان سنة ثلاث عشرة وكان نائبا ببلاد الروم قطلغمير وفدت عليه الرسل من مصر على العادة تعرض لهم قطلغمير بالصهر مع السلطان الناصر ببعض نساء ذلك البيت على شريطة الرغبة من السلطان في ظاهر الامر والتمويل منهم في امضاء ذلك وزعموا ان هذه عادة الملوك منهم ففعل السلطان ذلك وردد الرسل والهدايا أعواما ستة الى أن استحكم ذلك بينهم وبعثوا اليه بمخطوبته طلبناش بنت طغاجي بن هندو ابن بكر بن دوشي سنة عشرين مع كبير المغل وكان مقلدا يحمل على الاعناق ومعهم جماعة من أمرائهم وبرهان الدين امام ازبك ومرّوا بالقسطنطينية فبالغ لشكري في كرامتهم يقال انه أنفق عليهم ستين ألف دينار وركبوا البحر من هنالك الى الاسكندرية ثم ساروا بها الى مصر محمولة على عجلة وراء ستور من الذهب والحرير يجرها كديش يقوده اثنان من مواليها في مظهر عظيم من الوقار والتجلة ولما قاربوا مصر ركب للقائهم النائبان ارغون وبكتمر الساقي في العساكر وكريم الدين وكيل السلطان وأدخلت الخاتون الى القصر واستدعى ثالث وصولها القضاة والفقهاء وسائر الناس على طبقاتهم الى الجامع بالقلعة وحضر الرسل الوافدون عندهم بعد ان خلع عليهم وانعقد النكاح بين وكيل السلطان ووكيل ازبك وانفض ذلك المجمع وكان يوما مشهودا ووصلت رسل أبي سعيد صاحب بغداد والعراق سنة ثنتين وعشرين وفيهم قاضي توريز يسألون الصلح وانتظام الكلمة واجتماع اليد على اقامة معالم الاسلام من الحج واصلاح السابلة وجهاد العدو فأجاب السلطان الى ذلك وبعث سيف الدين ايتمش المحمدي لاحكام العقد معهم واستضاء ايمانهم فتوجه لذلك بهدية سنية وعاد سنة ثلاث وعشرين ومعه رسل أبي سعيد ومعه جوبان لمثل ذلك فتم ذلك وانعقد بينهم وقد كانت قبل ذلك تجددت الفتنة بين أبي سعيد وصاحب صراي نفرة من ازبك صاحب صراي من تغلب جوبان على أبي سعيد وتحكمه في المغل وكانت بين جوبان وبين سبول صاحب خوارزم وماوراء النهر فتنة ظهر فيها ازبك وأمده بالعساكر فاستولى ازبك على أكثر بلاد خراسان وطلب من

الناصر بعد الالتحام بالصهر المظاهرة على أبي سعيد وجوبان فأجابه الى ذلك ثم بعث اليه أبو سعيد فى الصلح كما قلناه فأثره وعقده وبلغ الخبر الى ازبك ورسل الناصر عنده فأغلظ فى القول وبعث بالعتاب واعتذر له الناصر بأنهم اعادعوه لاقامة شعائر الاسلام ولا يسع التخلف عن ذلك فقبل ثم وقعت بينه وبين أبى سعيد مراوضة فى الصلح بعد ان استرد جوبان ما ملكه ازبك من خراسان فتوادع كل هؤلاء الملوك واصطلحوا ووضعوا أوزار الحرب حينا من الدهر الى أن تقلبت الاحوال وتبدلت الامور والله مقلب الليل والنهار.

(مقتل أولاد بنى نمى أمراء مكة من بنى حسن)

قد تقدم لنا استيلاء قتادة على مكة والحجاز من يد الهواشم واستقرارها بنيه الى أن استولى منهم أبو نمى وهو محمد بن أبى سعد على بن قتادة ثم توفى سنة ثنتين وسبعمائة وولى مكانه ابناه رميثة وحميضة واعتقلا أخويهما عطيفة وأبا الغيث ولما حج الامراء كافلا المملكة بيبرس وسلار هربا اليهما من مكان اعتقالهما وشكيا ما نالهما من رميثة وحميضة فأشكاهما الاميران واعتقلا رميثة وحميضة وأوصلاهما الى مصر وولّيا عطيفة وأبا الغيث وبعثابهما الى السلطان صحبة الامير ايدمر الكوكبي الذى جاء بالعساكر معهما ثم رضى السلطان عنهما وولاهما مكان رميثة وحميضة وبعث معهما العساكر ثانيا سنة ثلاث عشرة وفر رميثة وحميضة عن البلاد ورجع العسكر وأقام أبو الغيث وعطيفة فرجع اليهما رميثة وحميضة وتلاقوا فانهزم ابو الغيث وعطيفة فسارا الى المدينة فى جوار منصور بن حماد فأمدهما بنى عقبة وبنى مهدى ورجع الى حرب رميثة وحميضة فاقتتلوا ثانيا ببطن مرو فانهزم أبو الغيث وقتل واستقر رميثة وحميضة ولحق بهما أخوهما عطيفة وسار معهما ثم تشاجروا سنة خمس عشرة ولحق رميثة بالسلطان مستعديا على أخويه فبعث معه العساكر ففر حميضة بعد ان استصفى أهل مكة وهرب الى السعدين ولحقته العساكر فاستلحق أهل تلك المدن ولقيهم فانهزموا ونجا حميضة بنفسه ثم رجعت العساكر فرجع وبعث رميثة يستنجد السلطان فبعث اليه العساكر ففر حميضة ثم رجع واتفق مع أخويه رميثة وعطيفة ثم لحق عطيفة بالسلطان سنة ثمان عشرة وبعث معه العساكر فقبضوا على رميثة وأوصلوه معتقلا فسجن بالقلعة واستقر عطيفة بمكة وبقى حميضة شريدا ثم لحق بملك التتر ملك العراق خربندا واستنجده على ملك الحجاز فأنجده بالعساكر وشاع بين الناس أنه داخل الروافض الذين عند خربندا فى اخراج الشيخين من قبريهما وعظم ذلك على الناس ولقيه محمد بن عيسى أخو مهنا حميضة وامتعاضا للدين وكان عند

خرنبدا فاتبعه واعترضه وهزمه ويقال انه أخذ منه المعاول والفوس التي أعدوها لذلك وكان سبا راضيا السلطان عنه وجاء خميصة الى مكة سنة ثمانى عشرة وبعث الناصر العساكر اليه فهرب وتركها ثم أطلق رميثة سنة تسع عشرة فهرب الى الحجاز وعقبه وزيره على بن هنبص فرد من طريقه واعتقل وأفرج عنه السلطان بعد مرجعه من الحج سنة عشرين ثم ان خميصة استأمن السلطان سنة عشرين وكان معه جماعة من المماليك هربوا اليه فخاموا أن يحضروا معه الى السلطان فاغتالوه وحضروا وكان السلطان قد أطلق رميثة من الاعتقال فامكنه منهم فثأر من المباشر قتل أخيه وعفا عن الباقين ثم صرف السلطان رميثة الى مكة وولاه مع أخيه عطيفة واستمرت حالهما ووفد عطيفة سنة احدى وعشرين على الابواب ومعه قتادة صاحب الينبع يطلب النصر على ابن عمه تقيل قاتل ولده فأجابه السلطان وجهز العساكر لصريخه وقويل كل منهما بالاكرام وانصرفوا وفى سنة احدى وثلاثين وقعت الفتنة بمكة وقتل العبيد جماعة من الامراء والترك فبعث السلطان ايدغمش ومعه العساكر فهرب الشرفاء والعبيد وحضر رميثة وبذل الطاعة وحلف متبرئا مما وقع فقبل منه السلطان وعفا الله عنها واستمرت حاله على ذلك الى أن هلك سنة وتداولت الامارة بين ابنيه عجلان وبقية ثم استبد عجلان كما نذكره فى أخبارهم وورثها بنوه لهذا العهد كما نذكره مرتبا فى أخبارهم ان شاء الله تعالى

(خبر ملك التكرور)

كان ملك السودان بصحراء المغرب فى الاقليم الاول والثانى منقسما بين أمم من السودان أولهم مما يلى البحر المحيط امة صوصو وكانوا مستولين على غانة ودخلوا فى الاسلام أيام الفتح وذكر صاحب كتاب رجار فى الجغرافيا ان بنى صالح من بنى عبد الله بن الحسن بن الحسن كانت لهم بها دولة وملك عظيم ولم يقع لنا فى تحقيق هذا الخبر أكثر من هذا وصالح من بنى حسن مجهول وأهل غانة منكرون أن يكون عليهم ملك لاحد غير صوصو ثم يلى أمة صوصو أمة مالى من شرقيهم وكرسى ملكهم بمدينة بنى ثم من بعدهم شرقا عنهم أمة كوكو ثم التكرور بعدهم وفيما بينهم وبين النوبة أمة كانم وغيرها وتحولت الاحوال باستمرار العصور فاستولى أهل مالى على ماوراءهم وبين أيديهم من بلاد صوصو وكوكو وآخرا استولوا عليه بلاد التكرور واستفحل ملكهم الى الغاية وأصبحت مدينتهم بنى حاضرة بلاد السودان بالمغرب ودخلوا فى دين الاسلام منذ حين من السنين وحج جماعة من ملوكهم وأول من حج منهم برمندار وسمعت فى ضبطه من بعض فضلائهم برمندانه وسبيله فى الحج هى التى اقتفاها ملوكهم من بعده

ثم حج منهم منسا ولى بن مارى جاطة أيام الظاهر بيبرس وحج بعده منهم مولاهم صاكوره وكان تغلب على ملكهم وهو الذى افتتح مدينة كوكو ثم حج أيام الناصر وحج من بعده منهم منسا موسى حسبما ذلك مذكور فى أخبارهم عند دول البربر عند ذكر صنهاجة ودولة لمتونة من شعوبهم ولما خرج منسا موسى من بلاد المغرب للحج سلك على طريق الصحراء وخرج عند الاهرام بمصر وأهدى الى الناصر هدية حفلة يقال ان فيها خمسين ألف دينار وأنزله بقصره عند القرافة الكبرى وأقطعه اياها ولقيه السلطان بمجلسه وحدثه ووصله وزوده وقرب اليه الخيل والهجن وبعث معه الامراء يقومون بخدمته الى أن قضى فرضه سنة أربع وعشرين ورجع فأصابته فى طريقه بالحجاز نكبة تخلصه منها أجله وذلك أنه ضل فى الطريق عن المحمل والركب وانفرد بقومه عن العرب وهى كلها مجاهل لهم فلم يهتدوا الى عمران ولا وقفوا على مورد وساروا على السمت الى أن نفذوا عند السويس وهم يأكلون لحم الحيتان اذا وجدوها والاعراب تخطفهم من اطرافهم الى أن خلصوا ثم جدد السلطان له الكرامة ووسع له فى الحباء وكان أعدّ لنفقته من بلاده فيما يقال مائة حمل من التبر فى كل حمل ثلاثة قناطير فنفدت كلها وأعوزته النفقة فاقترض من أعيان التجار وكان فى صحبته منهم بنو الكويك فاقرضوه خمسين ألف دينار وابتاع منهم القصر الذى أقطعه السلطان وأمضى له ذلك وبعث سراج الدين بن الكويك معه وزيره يرد له منه ما أقرضه من المال فهلك هنالك وأتبعه سراج الدين آخر بابنه فمات هنالك وجاء ابنه فخر الدين أبو جعفر بالبعض وهلك منسا موسى قبل وفاته فلم يظفروا منه بشئ انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(اخبار المجاهد ملك اليمن)

قد تقدم لنا استبداد على بن رسول ذلك بعد مهلك سيده يوسف اتسز بن الكامل بن العادل بن ايوب ويلقب المسعود وكان على بن رسول استاذداره ومستوليا على دولته فلما هلك سنة ست وعشرين وستمائة نصب ابن رسول ابنه موسى الأشرف لملكه وكفله قريبا واستولى ابن رسول وأورث ملكه باليمن لبنيه لهذا العهد وانتقل الامر للمجاهد منهم على ابن داود بن المؤيد بن يوسف المظفر بن عمر بن المنصور بن على بن رسول سنة احدى وعشرين وانتقض عليه جلال الدين ابن عمه الاشرف فظهر عليه المجاهد واعتقله ثم انتقض عليه عمه المنصور سنة ثلاث وعشرين وحبسه وأطلق من محبسه واعتقل عمه المنصور وكان عبد الله الظاهر بن المنصور قائما بأمر أبيه ومنازلة المجاهد سنة أربع وعشرين بالمصريح الى الناصر سلمان الترك بمصر وكان هو وقومه

يعطونهم الطاعة ويبعثون اليهم الاتاوة من الاموال والهدايا وطرف اليمن وماعونه فجهز لهم الناصر عسكرا مع بيبرس الحاجب وطينال من أعظم أمرائه فساروا الى اليمن ولقيهم المجاهد بعدن فأصلحوا بين الفريقين على أن تكون ويستقر المجاهد فى سلطانه باليمن ومالوا على كل من كان سببا فى الفتنة فقتلوهم ودوخوا اليمن وحملوا أهله على طاعة المجاهد ورجعوا الى محلهم من الابواب السلطانية والله تعالى ولى التوفيق

بياض بالاصل

(ولاية أحمد بن الملك الناصر على الكرك)

ولما استفحل ملك السلطان الناصر واستمر وكثر ولده طمحت نفسه الى ترشيح ولده لتقر عينه بملكهم فبعث كبيرهم أحمد الى قلعة الكرك سنة ست وعشرين ورتب الامراء المقيمين بوظائف السلطان فسار الى الكرك وأقام بها أربع سنين ممتعا بالملك والدولة وأبوه قرير العين بامارته فى حياته ثم استقدمه سنة ثلاثين وأقام فيه سنة الختان واحتفل فى الصنيع له وختن معه من أبناء الامراء والخواص جماعة انتقاهم ووقع اختياره عليهم ثم صرفه الى مكان امارته بالكرك فأقام بها الى أن توفى الملك الناصر وكان ما نذكره والله تعالى أعلم

(وفاة دمرداش بن جوبان شحنة بلاد الروم ومقتله)

كان جوبان نائب مملكة التتر مستوليا على سلطانه أبى سعيد بن خربندا الصغره وكانت حاله مع أبيه خربندا قريبا من الاستيلاء فولى على مملكة بلاد الروم دمرداش ثم وقعت الفتنة بينهم وبين ملك الشمال أزبك من بنى دوشى خان على خراسان وسار جوبان من بغداد سنة تسع وعشرين لمدافعته كما يأتى فى أخبارهم وترك عند السلطان أبى سعيد ببغداد ابنه خواجا دمشق فسعى به أعداؤه وانهوا عنه قبائح من الافعال لم يحتملها له فسطا به وقتله وبلغ الخبر الى أبيه جوبان فانتقض وعاجله أبو سعيد بالمسير الى خراسان فتفرقت عنه أصحابه وفر فأدركه بهراة وقتل وأذن السلطان أبو سعيد لاهله أن ينقلوه الى التربة التى اختطها بالمدينة النبوية لدفنه فاحتملوه ولم يتوقفوا على اذن صاحب مصر فمنعهم صاحب المدينة ودفنوه بالبقيع ولما بلغ الخبر بقتله الى ابنه دمرداش فى امارته ببلاد الروم خشى على نفسه فهرب الى مصر وترك مولاه ارتق مقيما بالبلد وأنزله بسيواس ولما وصل الى دمشق وركب النائب لتلقيه وسار معه الى مصر فأقبل عليه السلطان وأحله محل الكرامة وكان معه سبعة من الامراء ومن العسكر نحو ألف فارس فأكرمهم السلطان وأجرى عليهم الارزاق وأقاموا عنده

وجاءت على اثره رسل السلطان أبي سعيد وطلبه بذمة الصلح الذي عقده مع الملك
الناصر وأوعز العلم السلطان من فساد طويته وطوية أبيه جوبان وسعيهم في الارض
بالفساد ما أوجب اعطاءه باليد وشرط السلطان عليهم امضاء حكم الله تعالى في
قراسنقر نائب حلب الذي كان فر سنة ثنتي عشرة مع أقوش الافرم الى خربندا وأغروه
بملك الشأم ولم يتم ذلك وأقاموا عند خربندا وولي أقوش الافرم على همذان فمات بها
سنة ست عشرة وولي صاحبه قراسنقر مكانه بهمذان فلما شرط عليهم السلطان قتله كما
قتل دمرداش أمضوا فيه حكم الله تعالى وقتلوه جزاء بما كان عليه من الفساد في
الارض والله متولي جزائهم ثم وصل على اثر ذلك ابن السلطان أبي سعيد ومعه جماعة
من قومه في تأكيد الصلح والاصهار من السلطان فقوبلوا بالكرامة التي تليق
بهم واتصلت المراسلة والمهاداة بين هذين السلطانين الى أن توفيا والله وارث الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين

(وفاة مهنا بن عيسى أمير العرب بالشأم وأخبار قومه)

هذا الحي من العرب يعرفون بآل فضل رحالة ما بين الشأم والجزيرة وتربة نجد من
أرض الحجاز يتقلبون بينها في الرحلتين وينتسبون في طيء ومعهم أحياء من زبيد
وكلب وهذيل ومذحج احلاف لهم ويناهضهم في الغلب والعدد آل مراد ويزعمون أن
فضلا ومرادا أبناء ربيعة ويزعمون أيضا أن فضلا ينقسم ولده بين آل مهنا وآل علي
وان آل فضل كلهم بأرض حوران فغلبهم عليها آل مراد وأخرجوهم منها فنزلوا حمص
ونواحيها وأقامت زبيد من احلافهم بحوران فهم بها حتى الآن لا يفارقونها قالوا
ثم اتصل آل فضل بالدول السلطانية وولوهم على أحياء العرب وأقطعوهم على اصلاح
السابلة بين الشأم والعراق فاستظهروا برياستهم على آل مراد وغلبوهم على المشاتي
وصار عامة رحلتهم في حدود الشأم قريبا من التلول والقرى لا ينجعون الى البرية الا
في الاقل وكانت معهم أحياء من افاريق العرب مندرجون في لفيفهم وحلفهم من
مذحج وعامر وزبيد كما كان آل فضل الآن أكثر من كان مع آل مراد من أولئك
الاحياء وأوفرهم عددا بنو حارثة بن سنبس احدى شعوب طيء هكذا ذكر لي الثقة
عندي من رحالتهم وبنو حارثة هؤلاء متغلبون لهذا العهد في تلول الشأم لا يجاوزونها
الى العمران ورياسة آل فضل لهذا العهد لبني مهنا وينسبونه هكذا مهنا بن مانع
ابن حديثة بن فضل بن بدر بن ربيعة بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم ابن جصة بن بدر بن
سميع ويقفون عند سميع ويقول زعماؤهم ان سميعا هذا هو الذي ولدته العباسة أخت
الرشيد من جعفر بن يحيى البرمكي وحاشى لله من هذه المقالة في الرشيد وأخته وفي

انساب

انتساب كبراء العرب من طيئ الى بنى والى العجم من بنى برمك وانسابهم ثم ان الوجدان يحيل رياسة هؤلاء على هذا الحى ان لم يكونوا من نسبتهم وقد تقدم مثل ذلك فى مقدمة الكتاب وكان مبدأ رياستهم من أول دولة بنى أيوب قال العماد الاصبهانى فى كتاب البرق السامى نزل العادل بمرج دمشق ومعه عيسى بن محمد بن ربيعة شيخ الاعراب فى جموع كثيرة انتهى وكانت الرياسة قبلهم لعهد الفاطميين لبنى جراح من طيئ وكان كبيرهم مفرج بن دغفل بن جراح وكان من اقطاعه الرملة وهو الذى قبض على افتكين مولى بنى بويه لما انهزم مع مولاه بختيار بالعراق وجاء به الى المعز فأكرمه ورقاه فى دولته ولم يزل شان مفرج هكذا وتوفى سنة أربع وأربعمائة وكان من ولده حسان ومحمود وعلى وجرار وولى حسان بعده وعظم صيته وكان بينه وبين خلفاء الفاطميين نفرة واستجاشة وهو الذى هدم الرملة وهزم قائدهم هاروق التركى وقتله وسبى نساءه وهو الذى مدحه التهامى وقد ذكر المسبحى وغيره من مؤرخى دولة العبيديين فى قرابة حسان بن مفرج فضل بن ربيعة بن حازم بن جراح وأخاه بدر بن ربيعة ولعل فضلا هذا هو جد آل فضل وقال ابن الاثير وفضل بن ربيعة بن حازم كان آباؤه أصحاب البلقاء والبيت المقدس وكان فضل تارة مع الافرنج وتارة مع خلفاء مصر ونكره لذلك طغركين اتابك دمشق وكافل بنى تتش وطرده من الشأم فنزل على صدقة بن مزيد وحالفه ووصله حين قدم من دمشق بتسعة آلاف دينار فلما خالف صدقة بن مزيد على السلطان محمد بن ملك شاه سنة خمسمائة وما بعدها ووقعت بينهما الفتنة اجتمع فضل هذا وقرواش بن شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل وبعض أمراء التركمان كانوا أولياء صدقة فساروا فى الطلائع بين يدى الحرب وهربوا الى السلطان فأكرمهم وخلع عليهم وأنزل فضل بن ربيعة بدار صدقة بن مزيد ببغداد حتى اذا سار السلطان لقتال صدقة استأذنه فضل فى الخروج الى البرية ليأخذ بحجزة صدقة فأذن له وعبر الى الانبار ولم يرجع للسلطان بعدها انتهى كلام ابن الاثير ويظهر من كلامه وكلام المسبحى ان فضلا هذا وبدرا من آل جراح من غير شك ويظهر من سياقة هؤلاء نسبهم ان فضلا هذا هو جدهم لانهم ينسبونه فضل بن على بن مفرج وهو عند الآخرين فضل بن على بن جراح فلعل هؤلاء نسبوا ربيعة الى مفرج الذى هو كبير بنى الجراح لطول العهد وقلة المحافظة على مثل هذا من البادية الغفل وأما نسبة هذا الحى فى طيئ فبعضهم يقول ان الرياسة فى طيئ كانت لاياس بن قبيصة من بنى سنبس بن عمرو بن الغوث بن طيئ واياس هو الذى ملكه كسرى على الحيرة بعد آل المنذر عندما قتل النعمان بن المنذر وهو الذى صالح خالد بن الوليد على الحيرة ولم تزل الرياسة على طيئ

في بني قسمة هؤلاء صدرا من دولة الاسلام فلعل آل فضل هؤلاء وآل الجراح من
أعقابهم وان كان اندرض أعقابهم فهم من أقرب الحي اليه لان الرياسة في الاحياء
والشعوب انما تتصل في أهل العصبية والنسب كما مر أول الكتاب وقال ابن حزم عند
ما ذكر أنساب طيئ انهم لما خرجوا من اليمن نزلوا أجأ وسلمى وأوطنوهما وما بينهما
ونزلوا أسد ما بينهما وبين العراق وفضل كثير منهم وهم بنو خارجة بن سعد بن
من طيئ ويقال لهم حديلة نسبة الى أمهم بنت تيم الله وحبيش والاسعد اخوتهم رحلوا
عن الجبلين في حرب الفساد فلحقوا بحلب وحاضر طيئ وأوطنوا تلك البلاد الا بني رمان
ابن جندب بن خارجة بن سعد فانهم أقاموا بالجبلين فكان يقال لاهل الجبلين الجبليون
ولاهل حلب وحاضر طيئ من بني خارجة السهليون انتهى فلعل هذه الاحياء الذين
بالشام من بني الجراح وآل فضل من بني خارجة هؤلاء الذين ذكر ابن حزم انهم انتقلوا
الى حلب وحاضر طيئ لان هذا الموطن أقرب الى مواطنهم لهذا العهد من مواطن بني
الجراح بفلسطين من جبل أجا وسلمى اللذين هما موطن الآخرين والله أعلم أي ذلك
يصح من انسابهم ولنرجع الآن الى سرد الخبر عن رياسة آل فضل أهل هذا البيت منذ
دولة بني أيوب فنقول كان الامير منهم لعهد بني أيوب عيسى بن محمد بن ربيعة أيام
العادل كما قلناه ونقلناه عن العماد الاصبهاني الكاتب ثم كان بعده حسام الدين مانع
ابن حديثة بن عصية بن فضل وتوفي سنة ثلاثين وستمائة وولي عليهم بعده ابنه مهنا
ولما ارتجع قطز ثالث ملوك الترك بمصر ملك الشام من يد التتر وهزم عسكرهم بعين
جالوت أقطع سلمية لمهنا بن مانع وانتزعها من عمل المنصور بن المظفر بن شاهنشاه
صاحب حماة ولم أقف على تاريخ وفاة مهنا ثم ولى الظاهر على أحياء العرب بالشام
عندما استفحل أمر الترك وسار الى دمشق لتشييع الخليفة الحاكم عم المستعصم
لبغداد فولى على العرب عيسى بن مهنا بن مانع ووفر له الاقطاعات على حفظ السابلة
وحبس ابن عمه زامل بن علي بن ربيعة من آل علي لاعناته واعراضه ولم يزل أميرا على
أحياء العرب وصلحوا في أيامه لانه خالف أباه في الشدة عليهم وهرب اليه سنقر الاشقر
سنة تسع وتسعين وكاتبوا أبغا واستحثوه لملك الشام وتوفي عيسى بن مهنا سنة أربع
وثمانين فولى المنصور قلاون بعده ابنه مهنا ثم سار الاشرف بن قلاون الى الشام ونزل
حمص ووفد عليه مهنا بن عيسى في جماعة من قومه فقبض عليه وعلى ابنه موسى
واخويه محمد وفضل ابني عيسى بن مهنا وبعث بهم الى مصر فحبسوا بها حتى أفرج
عنهم العادل كتبغا عندما جلس على التخت سنة أربع وتسعين ورجع الى امارته ثم كان
له في أيام الناصر نفرة واستيحاش وميل الى ملوك التتر بالعراق ولم يحضر شيئا من وقائع

غازان

غازان ولما انتقض سنقر وأقوش الافرم وأصحابهما سنة ثنتى عشرة وسبعمائة لحقوا به وساروا من عنده الى خربندا واستوحش هو من السلطان وأقام فى أحيائه منقبضا عن الوفادة ووفد أخوه فضل سنة ثنتى عشرة فرعى له حق وفادته وولاه على العرب مكان أخيه مهنا وبقى مهنا مشردا ثم لحق سنة ست عشرة بخربندا ملك التتر فأكرمه وأقطعه بالعراق وهلك خربندا فى تلك السنة فرجع الى أحيائه وأوفد ابنيه أحمد وموسى وأخاه محمد بن عيسى مستعتبين للناصر ومتطارحين عليه فأكرم وفادتهم وأنزلهم بالقصر الابلق وشملهم بالاحسان وأعتب مهنا ورده على امارته واقطاعه وذلك سنة سبع عشرة وحج هذه السنة ابنه عيسى وأخوه محمد وجماعة من آل فضل اثنا عشر ألف راحلة ثم رجع مهنا الى ديدنه فى ممالأة التتر والاجلاب على الشأم واتصل ذلك منه فنقم السلطان عليه وسخطه قومه أجمع وكتب الى نواب الشأم سنة عشرين بعد مرجعه من الحج فطرد آل فضل عن البلاد وأدال منهم آل على عديدتهم ونسبهم وولى منهم على أحياء العرب محمد بن أبى بكر وصرف اقطاع مهنا وولده الى محمد وولده فأقام مهنا على ذلك مدة ثم وفد سنة احدى وثلاثين مع الافضل بن المؤيد صاحب حماة متوسلا به ومتطارحا على السلطان فاقبل عليه ورد عليه اقطاعه وامارته وذكر لى بعض أكابر الامراء بمصر ممن ادرك وفادته أو حدث عنها أنه تجافى فى هذه الوفادة عن قبول شئ من السلطان حتى انه ساق من النياق المحلوبة واستقاها وانه لم يغش باب أحد من أرباب الدولة ولا سألهم شيأ من حاجته ثم رجع الى أحيائه وتوفى سنة أربع وثلاثين فولى ابنه مظفر الدين موسى وتوفى سنة اثنين وأربعين عقب مهلك الناصر وولى مكانه أخوه سليمان ثم هلك سليمان سنة ثلاث وأربعين فولى مكانه شرف الدين عيسى ابن عمه فضل بن عيسى ثم توفى سنة أربع وأربعين بالقدس ودفن عند قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه وولى مكانه أخوه سيف بن فضل ثم عزله السلطان بمصر الكامل بن الناصر سنة ست وأربعين وولى مكانه مهنا بن عيسى ثم جمع سيف بن مهنا ولقيه فياض بن مهنا فانهزم سيف ثم ولى السلطان حسين بن الناصر فى دولته الاولى وهو فى كفالة بيقاروس أحمد بن مهنا فسكنت الفتنة بينهم ثم توفى سنة تسع وأربعين فولى مكانه أخوه فياض وهلك سنة اثنتين وستين فولى مكانه أخوه خيار بن مهنا ولاه حسين بن الناصر فى دولته الثانية ثم انتقض سنة خمس وستين وأقام سنتين بالقفر ضاحيا الى أن شفع فيه نائب حماة فأعيد الى امارته ثم انتقض سنة سبعين فولى السلطان الاشرف مكانه ابن عمه زامل بن موسى بن عيسى وجاء الى نواحى حلب واجتمع اليه بنو كلاب وغيرهم وعاثوا فى البلاد وعلى حلب يومئذ قشتمر المنصورى فبرز اليهم وانتهى الى مخيمهم واستاق نعمهم

وتحطى الى الخيام فاستماتوا دونها وهزموا عساكره وقتل قشمر وابنه في المعركة وتولى بيده وذهب الى القفر مستقصيا فولى مكانه معيقل بن فضل بن عيسى ثم بعث معيقل صاحبه سنة احدى وسبعين يستأمن لجبار فأمنه ثم وفد جبار بن مهنا سنة خمس وسبعين فرضي عنه السلطان فأعاده الى امارته ثم توفي سنة سبع وسبعين وولى أخوه قارة الى أن توفي سنة احدى وثمانين وولى مكانه معيقل بن فضل بن عيسى ورامل بن موسى بن مهنا شريكين في امارتهما ثم عزلا لسنة من ولايتهما وولى نصير بن جبار بن مهنا واسمه محمد وهو لهذا العهد أمير على آل فضل وجميع أحياء طيئ والله تعالى أعلم

(وفاة أبي سعيد ملك العراق وانقراض أمر بني هلاكو)

ثم توفي أبو سعيد ملك العراق من التتر ابن خربندا ابن ارغون بن ابغا بن هلاكو بن طولي خان بن جنكزخان سنة ست وثلاثين وسبعمائة لعشرين سنة من ملكه ولم يعقب فانقرض بموته ملك بني هلاكو وصار الامر بالعراق لسواهم وافترق ملك التتر في سائر عمالكهم كما ذكر في أخبارهم ولما استبد ببغداد الشيخ حسن من أسباطهم كثر عليه المنازعون فبعث رسله الى الناصر قبل وفاته يستجده على أن يسلم له بغداد ويعطي الرهن في العساكر حتى يقضي من شأن أعدائه فأجابه الناصر الى ذلك ثم توفي قريبا ولم يتم والامر لله وحده

(وصول هدية ملك المغرب الاقصى مع رسله وكريمته صحبة الحاج)

كان ملك بني مرين بالمغرب الاقصى قد استفحل لهذه العصور وصار للسلطان أبي الحسن علي ابن السلطان أبي سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق جد ملوكهم وأسف الى ملك جيرانهم من الدول فزحف الى المغرب الاوسط وهو في ملكة بني عبد الواد أعداء قومه من زناتة وملكهم أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى ابن أبي سعيد عثمان بن السلطان يغمراسن بن زيان جد ملوكهم أيضا وكرسيه تلمسان سبعة وعشرين شهرا ونصب عليها المجانيق وأدار بالاسوار سياجا منع وصول المرة والاقوات اليها وتقرى أعمالها بلدا بلدا فملك جميعها ثم اقتحمها عنوة آخر رمضان سنة سبع وثلاثين بعض جموعها وقتل سلطانها عند باب قصره كما ذكره في أخبارهم ثم كتب للملك الناصر صاحب مصر بخبره بفتحها وزوال العائق عن وفادة الحاج وانه ناظر في ذلك بما يسهل سبيلهم ويزيل عللهم وكانت كريمة من كرائم ابيه السلطان أبي سعيد ومن أهل قرابته قد اقتضت منه الوعد بالحج عند ما ملك تلمسان فلما انتظمها

وأذهب عدوه منها جهز تلك المرأة للحج بما يناسب قرابتها منه وجهز معها للملك الناصر صاحب مصر هدية فخمة مشتملة على خمسمائة من الجياد المغربيات بعدتها وعدة فرسانها من السروج واللجم والسيوف وظرف المغرب وماعونه من شتى أصنافه ومن ثياب الحرير والصوف والكتان وصنائع الجلد حتى ليزعموا أنه كان فيها من أواني الخزف وأصناف الدر والياقوت ومايشبههما في سبيل التودد وعرض أحوال المغرب على سلطان المشرق ولعظم قدر هذه الوافدة عند الناصر أوفد معها من عظماء قومه ووزرائه وأهل مجلسه فوفدوا على الناصر سنة ثمان وثلاثين وأحلهم بأشرف محل من التكرمة وبعث من اصطبلاته ثلاثين خطلا من البغال يحملون الهدية من بحر النيل سوى ما تبعها من البخاتي والجمال وجلس لهم في يوم مشهود ودخلوا عليه وعرضوا الهدية فعم بها أهل دولته احسانا في ذلك المجلس واستأثر منها على مازعموا بالدر والياقوت فقط ثم فرقهم في منازله وأنزلهم دار كرامته وقد هيئت بالفرش والماعون ووفر لهم الجرايات واستكثر لهم من الازودة وبعث أمراء في خدمتهم الى الحجاز حتى قضوا فرضهم في تلك السنة وانقلبوا الى سلطانهم فجهز الناصر معهم هدية الى ملك المغرب تشتمل على ثياب الحرير المصنوعة بالاسكندرية وعين منها الحمل المتعارف في كل سنة لخزانة السلطان وقيمته لذلك العهد خمسون ألف دينار وعلى خيمة من خيم السلطان المصنوعة بالشام فيها أمثال البيوت والقباب والكنات مرساة أطرافها في الارض بأوتاد الحديد والخشب كأنها قباب ماثلة وعلى خيمة مؤزر باطنها من ثياب الحرير العراقية وظاهرها من ثياب القطن الصرافية مستجادة الصنعة بين الحلل والاوتاد أحسن مايراه من البيوت وعلى صوان من الحرير مربع الشكل يقام بالحلل الحافظ ظله من الشمس وعلى عشرة من الجياد المقربات الملوكية بسروج ولجم ملوكية مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة باللآلي والفصوص وبعث مع تلك الجياد خدم يقومون بشأنها المتعارف فيها ووصلت الهدية الى سلطان المغرب فوقعت منه أحسن المواقع وأعاد الكتب والرسل بالشكر واستحكمت المودة بين هذين السلطانين واتصلت المهاداة الى أن مضيا لسبيلهما والله تعالى ولي التوفيق

* (وفاة الخليفة أبي الربيع وولاية ابنه) *

قد ذكرنا أيام الظاهر وانه أقام خليفة بمصر من ولد الراشد وصل يومئذ من بغداد واسمه أحمد بن محمد وذكرنا نسبه هنالك الى الراشد وأنه بويع له بالخلافة سنة ستين وستمائة ولقبه الحاكم فلم يزل في خلافته الى أن توفي سنة احدى وسبعمائة وقد عهد لابنه سليمان فبايع له أهل دولة الناصر الكافلون لها ولقبوه المستكفي فبقي خليفة سائر أيام

الناصر ثم تنكر له السلطان سنة ست وثلاثين لشيء نمي له عن ابنه فأسكنه بالقلعة ومنعه من لقاء الناس حتى حولا كذلك ثم ترك سبيله ونزل الى بيته ثم كثرت السعاية فيه فغربه سنة ثمان وثلاثين الى قوص هو وبنوه وسائر أقاربه وأقام هنالك الى أن هلك سنة أربعين قبل مهلك الناصر وقد عهد بالخلافة لابنه أحمد ولقبه الحاكم فلم يمض الناصر عهده في ذلك لان أكثر السعاية المشار اليها كانت فيه ونصب للخلافة بعد المستكفي ابن عمه ابراهيم بن محمد ولقبه الواثق وهلك لاشهر قريبة فاتفق الامراء بعده على امضاء عهد المستكفي في ابنه أحمد فبايعوه سنة احدى وأربعين وأقام في الخلافة الى سنة ثلاث وخمسين فتوفي وولي أخوه أبو بكر ولقب المعتضد ثم هلك سنة ثلاث وستين لعشرة أشهر من خلافته ونصب بعده ابنه محمد ولقب المتوكل ونورد من أخباره في أماكنها ما يعرض ذكره والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه

(نكبة تنكز ومقتله)

كان تنكز مولى من موالي لاشين اصطفاه الناصر وقربه وشهد معه وقائع التتر وسار معه الى الكرك وأقام في خدمته مدة خلعه ولما رجع الى كرسيه ومهد أمر ملكه ورتب الولاية لمن يرضاه من أمرائه بعث تنكز الى الشأم وجعله نائبا بدمشق ومشارفا لسائر بلاد الروم ففتح ملطية ودوخ بلاد الارمن وكان يتردد بالوفادة على السلطان يشاوره وربما استدعاه للمفاوضة في المهمات واستعمل في دفاع التتر وكيادهم ولما توفي أبو سعيد وانقرض ملك بني هلاكو وافترق أمر بغداد وتوريز وكانا مما يجاورانه ويستجدانه وخطبه بعضهم فراسل السلطان بعثه وأذهانه في طاعته ومالاة أعدائه وشرع السلطان في استكشاف حاله وكان قد عقد له على بنته فبعث دواداره باجار يستقدمه للاعراس بها وكان عدوا له للمنافسة والغيرة فأشار على تنكز بالامتناع وخيله من السلطان وغشه في النصيحة وحذر السلطان منه فبعث الملك الناصر الى طشتمر نائب صفد ان يتوجه الى دمشق ويقبض عليه فقبض عليه سنة أربعين لثمان وعشرين سنة لولايته دمشق وبعث الملك الناصر مولاه لشمك الى دمشق في العساكر فاحتاط على موجوده وكان شيأ لا يعبر عنه من أصناف المتملكات وجاء به مقيدا فاعتقل بالاسكندرية ثم قتل في محبسه والله تعالى أعلم

(وفاة الملك الناصر وابنه أنوك قبله وولاية ابنه أبي بكر ثم كجك)

ثم توفي الملك الناصر محمد بن المنصور قلاون أمجد ما كان ملكا وأعظم استبدادا توفي على فراشه في ذي الحجة آخر احدى وأربعين وسبعمائة بعد ان توفي قبله بقليل ابنه أنوك

فاحتسبه وكانت وفاته لثمان وأربعين سنة من ولايته الاولى فى كفالة طبغا ولثنتين وثلاثين من حين استبداده بأمره بعد بيبرس وصفا الملك له وولى النيابة فى هذه ثلاثة من أمرائه بيبرس الدوادار المؤرخ ثم بكتمر الجوكندار ثم أرغون الدوادار ولم يول أحد النيابة بعده وبقيت الوظيفة عطلا آخر أيامه وأما دواداريته فأيدمر ثم سلار ثم الحلى ثم يوسف بن الاسعد ثم بغا ثم طاجار وكتب عنه شرف الدين بن فضل الله ثم علاء الدين بن الامير ثم محيي الدين بن فضل الله ثم ابنه شهاب الدين ثم ابنه الآخر علاء الدين وولى القضاء فى دولته تقي الدين بن دقيق العيد ثم بدر الدين بن جماعة وانما ذكرت هذه الوظائف وان كان ذلك ليس من شرط الكتاب لعظم دولة الناصر وطول أمدها واستفحال دولة الترك عندها وقدمت الكتاب على القضاة وان كانوا أحق بالتقديم لان الكتاب أمس بالدولة فانهم من أعوان الملك ولما اشتد المرض بالسلطان وكان قوصون أحظى عظيم من أمرائه فبادر القصر فى مماليكه متسلحين وكان بشتك يضاهيه فارتاب وسلح أصحابه وبدا بينهما التنافس ودس بشتك الشكوى الى السلطان فاستدعاهما وأصلح بينهما وأراد ان يعهد بالملك الى قوصون فامتنع فعهد لابنه أبى بكر ومات فمال من عماله بشتك الى ولاية أحمد صاحب الكرك وأبى قوصون الا الوفاء بعهد السلطان ثم رجع اليه بشتك بعد مراوضة فبويع أبو بكر ولقب المنصور وقام بأمر الدولة قوصون وردفه قطلوبغا الفخرى فولوا على نيابة السلطان طقردمر وبعثوا على حلب طشتمر وعلى حمص أخضر عوضا عن طغراى وأقروا كيبغا الصالحى على دمشق ثم استوحش بشتك من استبداد قوصون وقطلوبغا دونه فطلب نيابة دمشق وكان يعجب بها من يوم دخلها للعوطة على تنكز فاستعفوه فلما جاء للوداع قبض عليه قطلوبغا الفخرى وبعث به الى الاسكندرية فاعتقل بها ثم أقبل السلطان أبو بكر على لذاته ونزع عن الملك وصار يمشى فى سكك المدينة فى الليل متنكرا مخالطا للسوقة فنكر ذلك الامراء وخلعه قوصون وقطلوبغا لسبعة وخمسين يوما من بيعته وبعثوا به الى قوص فحبس بها وولوا أخاه كجك ولقبوه الاشرف وعزلوا طقردمر عن النيابة وقام بها قوصون وبعثوا طقردمر نائبا على حماة وأدالوا به من الافضل بن المؤيد فكان آخر من وليها من بنى المظفر وقبضوا على طاجار الدويدار وبعثوا به الى الاسكندرية فغرق فى البحر وبعثوا بقتل بشتك فى محبسه بالاسكندرية والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(مقتل قوصون ودولة أحمد بن الملك الناصر)

لما بلغ الخبر الى الامراء بالشأم باستبداد قوصون على الدولة غصوا من مكانه واعتزموا

على البيعة لاحمد بن الملك الناصر وكان يومئذ بالكرك مقيما منذ ولاه أبوه امارتها كما
قدمناه فكاتبه طشتمر نائب حمص وأخضر نائب حلب واستدعاه الى الملك وبلغ
الخبر الى مصر فخرج قطلوبغا في العساكر لحصار الكرك وبعثوا الى طبيعا الصالحي
نائب دمشق بالمسير في العساكر الى حلب للقبض على طشتمر نائب حمص وأخضر وكان
قطلوبغا الفخري قد استوحش من صاحبه قوصون وغص باستبداده عليه فلما اتصل
بالجسد من مصر بعث بيعته الى أحمد بن الملك الناصر بالكرك وسار الى الشأم وأقام
دعوته في دمشق ودعا اليها الطنبغا المارداني نائب حماة فأجابه وقدم عليه وانتهى الخبر الى
طنبغا نائب دمشق وهو يحاصر حلب فافرج عنها ودعاه قطلوبغا الى بيعة أحمد فأبى
فانتقض عليه أصحابه وسار الى مصر واستولى قطلوبغا الفخري على الشأم أجمع
بدعوة أحمد وبعث الى الامراء بمصر فأجابوا اليها واجتمع ايدغمش وأقسنقر السلارى
وغازى ومن تبعهم من الامراء على البيعة لاحمد واستراب بهم قوصون كافل المملكة
وهم بالقبض عليهم وشاور طنبغا اليحياوى من عنده من أصحابه في ذلك فمشوه وخذلوه
وركب القوم ليلا وكان ايدغمش عنده بالاصطبل وهو أمير الماصورية وهتم
قوصون بالركوب فخذله وثنى عزمه ثم ركب معهم واتصلت الهيعة ونادى في الغوغاء
بنهب بيوت قوصون فنهبوها وخربوها وخربوا الحمامات التي بناها بالقرافة تحت
القلعة ونهب شيخها شمس الدين الاصبهاني فسلبوه ثيابه وانطلقت أيدي الغوغاء
في البلد ولحقت الناس منهم مضرات في بيوتهم واقتحموا بيت حسام الدين الغورى
قاضي الحنفية فنهبوه وسبوا عياله وقادهم اليه بعض من كان يحنق عليه من
الخصوم فخرت عليه معرة من ذلك ثم اقتحم ايدغمش وأصحابه القلعة وقبضوا على
قوصون وبعثوا به الى الاسكندرية فمات في محبسه وكان قوصون قد أخرج
جماعة من الامراء للقاء طنبغا الصالحي فسار قراسنقر السلارى في أثرهم وقبض
عليهم وعلى الصالحي وبعث بهم جميعا الى الاسكندرية فهلكوا بعد سنة خمس وأربعين
وبعث لاحمد بن الملك الناصر وطير اليه بالخبر وقبض على جماعة من الامراء واعتقلهم
ثم قدم السلطان أحمد من الكرك في رمضان سنة ثنتين وأربعين ومعه طشتمر نائب
حمص وأخضر نائب حلب وقطلوبغا الفخري فولى طشتمر نائبا بمصر وقطلوبغا الفخري
بعثه الى دمشق نائبا ثم قبض على أخضر لشهر أو نحوه وقبض على ايدغمش وأقسنقر
السلارى ثم ولى ايدغمش على حلب وبلغ الخبر الى قطلوبغا الفخري قبل وصوله الى
دمشق فعدل الى حلب واتبعته العساكر فلم يدركوه وتقبض على ايدغمش بحلب
وبعث به الى مصر فاعتقل مع طشتمر وارتاب الامراء بأنفسهم واستوحش السلطان

منهم انتهى والله أعلم.

(مسير السلطان أحمد الى الكرك واتفاق الامراء على خلعه والبيعة لاخيه الصالح)

ولما استوحش الامراء من السلطان وارتاب بهم ارتحل الى الكرك لثلاثة أشهر من بيعته واحتمل معه طشتمر وايدغمش معتقلين واستصحب الخليفة الحاكم واستوحش نائب صفد بيبرس الاحمدى وسار الى دمشق وهى يومئذ فوضى فتلقاه العسكر وأنزلوه وبعث السلطان فى القبض عليه فأبى من اعطاء يده وقال انما الطاعة لسلطان مصر وأما صاحب الكرك فلا وطالت غيبة السلطان أحمد بالكرك واضطرب الشأم فبعث اليه الامراء بمصر فى الرجوع الى دار ملكه فامتنع وقال هذه مملكتى أنزل من بلادها حيث شئت وعمد الى طشتمر وايدغمش الفخرى فقتلهما فاجتمع الامراء بمصر وكبيرهم بيبرس العلائى وارغون الكاملى وخلعوه وبايعوا الاخيه اسمعيل فى محرم سنة ثلاث وأربعين ولقبوه الصالح فولى أقسنقر السلارى ونقل ايدغمش الناصرى من نيابة حلب الى نيابة دمشق وولى مكانه بحلب طقردمر ثم عزل ايدغمش من دمشق ونقل اليها طقردمر وولى بحلب طنبغا الماردانى ثم هلك الماردانى فولى مكانه طنبغا اليحياوى واستقامت أموره والله تعالى ولى التوفيق

(ثورة رمضان بن الناصر ومقتله وحصار الكرك ومقتل السلطان أحمد)

ثم ان بعض المماليك داخل رمضان بن الملك الناصر فى الثورة بأخيه وواعدوه قبة النصر فركب اليهم وأخلفوه فوقف فى مماليكه ساعة يهتفون بدعوته ثم استمر هاربا الى الكرك واتبعه العسكر بمحمد بن السير فى الطريق وجاؤا به فقتل بمصر وارتاب السلطان بالكثير من الامراء وتقبض على نائبه أقسنقر السلارى وبعث به الى الاسكندرية فقتل هنالك وولى مكانه انجاح الملك ثم سرح العساكر سنة أربع وأربعين لحصار الكرك مترادفة ونزع بعض العساكر عن السلطان أحمد من الكرك فلحقوا بمصر وكان آخر من سار من الامراء لحصار الكرك قمارى وسار سنة خمس وأربعين فأخذوا بمخنقه ثم اقتحموا عليه وملكوه وقتلوه فكان لبثه بالملك فى مصر ثلاثة أشهر وأياما وانتقل الى الكرك فى محرم سنة ثلاث وأربعين الى أن حوصر ومثل به وتوفى فى أيامه طنبغا الماردانى نائب حلب فولى مكانه طنبغا اليحياوى وسيف الدين طراى الجاشنكير نائب طرابلس فولى مكانه اقسنقر الناصرى والله تعالى أعلم

(وفاة الصالح بن الناصر وولاية أخيه الكامل)

ثم توفي الملك الصالح اسمعيل بن الملك الناصر حتف أنفه سنة ست وأربعين لثلاث سنين وثلاثة أشهر من ولايته وبويع بعده أخوه زين الدين شعبان ولقب الكامل وقام أمراء ارغون العلاوي وولي نيابة مصر وعرض اخراج الملك الى صفد ثم رده من طريقه معتقلا الى دمشق وبعث الى القماري الكبير فبعثه الى حبس الاسكندرية واستدعى طقتمر من نائب دمشق وكحل الاشرف المخلوع بن الناصر الذي ولاه قوصون وهلك اخراج الملك الجركندار في محبسه بدمشق انتهى والله أعلم

(مقتل الكامل وبيعة أخيه المظفر حاجي)

كان السلطان الكامل قد أرهف حده في الاستبداد على أهل دولته فرارا عما توهم فيهم من الحجر عليه فتراسل الامراء بمصر والشأم وأجمعوا الادالة منهم وانتقض طنبغا اليحياوي ومن معه بدمشق سنة سبع وأربعين وبرز في العساكر يريد مصر وبعث الكامل منجو اليوسفي يستطلع أخبارهم فحبسه اليحياوي واتصل الخبر بالكامل فجرد العساكر الى الشأم واعتقل حاجي وأمير حسين بالقلعة واجتمع الامراء بمصر للثورة وركبوا الى قبة النصر مع ايدمر الحجازي وأقسنقر الناصري وأرغون شاه وركب اليهم الكامل في مواليه ومعه ارغون العلاوي نائبه فكانت بينهما جولة هلك فيها ارغون العلاوي ورجع الكامل الى القلعة منهزما ودخل من باب السر مختفيا وقصد محبس أخويه ليقتلهما فحال الخدام دونهما وغلقوا الابواب وجمع الذخيرة ليحملها فعاجلوه عنها ودخلوا القلعة وقصدوا حاجي بن الناصر وأخرجوه من معتقله وجاؤا به فبايعوه ولقبوه المظفر وافتقدوا الكامل وتهددوا جواريه بالقتل فدلوا عليه واعتقل مكان حاجي بالدهشة وقتل في اليوم الثاني وأطلق حسين وقام بأمر المظفر حاجي ارغون شاه والحجازي وولوا طقتمر الاحمدي نائبا بحلب والصلاحي نائبا بحمص وحبس جميع موالي الكامل وأخرج صندوق من بيت الكامل قيل ان فيه السحر فأحرق بمحضر الامراء ونزع المظفر حاجي الى الاستبداد كما نزع أخوه فقبض على الحجازي والناصري وقتلهما الاربعين يوما من ولايته وعلى ارغون شاه وبعثه نائبا الى صفد وجعل مكان طقتمر الاحمدي في حلب تدمر البدري وولى على نيابة الحاجب ارقطاي وأرهف حده في الاستبداد وارتاب الامراء بمصر والشأم وانتقض اليحياوي بدمشق سنة ثمان وأربعين وداخله نواب الشأم في الخلاف ووصل الخبر الى مصر فاجتمع الامراء وتواعدوا الوثوب ونمي الخبر الى المظفر فأركب مواليه من جوف الليل وطافوا بالقلعة وتداعى الامراء الى الركوب واستدعاهم من الغد الى القصر وقبض على كل من اتهمه

منهم بالخلاف وضرب بعضهم فأذن في سياسة البلد واعتدلوا جميعا وتحللوا من تلك الليلة وبعث بعضهم الى الشأم فقتلوا بالطريق وولى من الغد مكانهم خمسة عشر اميرا ووصل الخبر الى دمشق فلاذ اليحياوى بالمغالطة يتشانع بها وقبض على جماعة من الامراء وكان السلطان المظفر قد بعث الامير الجيبقا من خاصته الى الشأم عندما بلغه انتقاض طنيبغا اليحياوى يستطلع أخباره فحمل الناس على طاعة المظفر وأغراهم باليحياوى حتى قتلوه وبعثوا برأسه الى مصر وسكنت الفتنة واستوسق الملك للمظفر والله سبحانه وتعالى أعلم

(مقتل المظفر حاجى بن الناصر وبيعة أخيه حسن الناصر ودولته الاولى)

قد كنا قدمنا أن السلطان بعث جبقا الى الشأم حتى مهده ومحا أثر الخلاف منه ورجع الى السلطان سنة ثمان وأربعين وقد استوسق أمره فوجد الامراء مستوحشين من السلطان ومنكرين عليه اللعب بالحمام فتنصح له بذلك يريد اقلاعه عنه فسخط ذلك منه وأمر بالحمام فذبحت كلها وقال لجبقا أنا أذبح خياركم كما ذبحت هذه فاستوحش جبقا وغدا على الامراء والنائب بيقاروس

وثاروا بالسلطان وخرجوا الى قبة النصر وركب المظفر في مواليه والامراء الذين معه قد داخلوا الآخرين في الثورة ورأيهم واحد في خلعه فبعث اليهم الامير شيخوا يتلطف لهم فأبوا الا خلعه فجاءهم بالخبر ثم رجع اليهم وزحف معهم ولحق بهم الامراء الذين مع المظفر عندما تورط في اللقاء وحمل عليه بيقاروس فأسلمه أصحابه وأمسكه باليد فذبحه في تربة أمه خارج القلعة ودفن هنالك ودخلوا القلعة في رمضان من السنة وأقاموا عامة يومهم يتشاورون فيمن يولونه حتى هم أكثر الموالى بالثورة والركوب الى قبة النصر فحينئذ بايعوا حسن بن الملك الناصر ولقبوه الناصر بلقب أبيه فوكل بأخيه حسين ومواليه لنفسه ونقل المال الذى بالحوش فوضعه بالخزانة وقام بالدولة ستة من الامراء وهم شيخوا وطاز والجبقا وأحمد شادى والشربخاناه وأرغون الاسماعيلى والمستبد عليهم جميعا بيقاروس ويعرف بالقاسمى فقتل الحجازى وأقسنقر القائمين بدولة المظفر بحبسهما بالقلعة وولى بيقاروس نائبا بمصر فكان ارقطاى وأرغون شاه نائبا بحلب مكان تدمر البدرى ثم نقله الى دمشق منذ مقتل اليحياوى وولى مكانه بحلب اياس الناصر ثم تقبض بيقاروس على رفيقه أحمد شادى الشربخاناه وغربه الى صفد وأبعد الجبقا من رفقته وبعثه نائبا على طرابلس وبعث ارغون الاسماعيلى منهم نائبا على حلب وفي هذه السنة وقعت الفتنة بينه وبين مهنا بن عيسى والقيه فهزمه ووفد أحمد أخوه على السلطان فولاه امارة العرب وهدأت الفتنة

الساقط في المواضع بياض بالاصل

بجم ثم هلك سنة تسع وأربعين بعدها وولى أخوه فياض كما مر فى أخبارهم والله تعالى أعلم

(مقتل ارغون شاه نائب دمشق)

كان خبر هذه الواقعة الغريبة أن الجقا بغدوه نائبا على طرابلس وسار مع اياس الحاجب نائبا على حلب سنة خمسين وانتهوا الى دمشق ونما الى الجقا عن ارغون شاه أنه تعرض لبعض حرمه بضيع جمع فيه سوان أهل الدولة بدمشق فكتب اليه ليلا وطرقه فى بيته فلما خرج اليه قبض عليه وذبحه فى بيع وصنع مرسوما سلطانيا دافع به الناس والامراء واستصفى أمواله ولحق بطرابلس وجاء الامر من مصر بانكاره وانكار المرسوم الذى أظهره فزحفت العساكر من دمشق وقبضوا على الجقا واياس الحاجب بطرابلس وجاؤا بهما الى مصر فقتلا وولى الشمس الناصرى نيابة دمشق مع ارغون شاه وسلب ارغون الكاملى وذلك فى جمادى سنة خمسين واصل ارغون شاه من بلاد الصين جلب الى السلطان أبى سعيد ملك التتر سعيد ادفاعطاه للامير خواجا نائب جوبان وأهداه خواجا للملك الناصر فحظى عنده وقدمه رأس نوبة وزوجه بنت عبد الواحد ثم ولاه الكامل استاذدار ثم عظمت مرتبته أيام المظفر وجعل نائبا فى صفد ثم فى حلب ولما حبس طبغا اليحياوى على دمشق بسعاية الجقا كما مر ولى ارغون شاه دمشق والله سبحانه وتعالى أعلم

(نكبة بيقاروس)

ثم ان السلطان حسن شرع فى الاستبداد وقبض على منجك اليوسفى استاذداره وعلى السلحدار واعتقلهما من غير مشورة بيقاروس وأصحابه وكان اجلك اختصاص بيقاروس وأخوه معه فارتاب واستأذن السلطان فى الحج هو وطاز فأذن لهما ودس الى طاز بالقبض على بيقاروس وسار الشأن ماماترلابالينبع قبض طاز على بيقاروس خرج ورغب اليه فى أن يتركه يحج مقيدا فتركه فلما انقضى نسكه ورجعوا حبسه طاز بالكرك بأمر السلطان وأفرج عنه بعد ذلك وولى نيابة حلب وانتقض بها كما نذكر بعد ان شاء الله تعالى وبلغ خبر اعتقاله الى أحمد شادى الشرنجاناه بصفد فانتقض وجهز السلطان اليه العساكر فقبض عليه وجىء به الى مصر فاعتقل بالاسكندرية وقام بالدولة مغلطاى من أمرائها والله تعالى أعلم

(واقعة الظاهر ملك اليمن بمكة واعتقاله ثم اطلاقه)

كان ملك اليمن وهو المجاهد على بن داود المؤيد قد جاء الى مكة حاجا سنة احدى وخمسين وهى السنة التى حج فيها طاز وشاع فى الناس عنه أنه يروم كسوة الكعبة فتنكر وفد المصريين لوفد اليمنيين ووقعت فى بعض الايام هيعة فى ركب الحاج فتحاربوا وانهزم المجاهد وكان بيقاروس مقيدا فأطلقه وأركبه ليستعين به فجلا فى تلك الهيعة وأعيد الى اعتقاله ونهب حاج اليمن وقيد المجاهد الى مصر فاعتقل بها حتى أطلق فى دولة الصالح سنة اثنتين وخمسين وتوجه معه قشتمر المنصورى ليعيده الى بلاده فلما انتهى الى الينبع أشيع عنه أنه هم بالهرب فقبض عليه قشتمر المنصورى وحبسه بالكرك ثم أطلق بعد ذلك وأعيد الى ملكه والله أعلم

(خلع حسن الناصر وولاية أخيه الصالح)

لما قبض السلطان حسن على بيقاروس وحبسه وتنكر لاهل دولته ورفع عليهم مغلطاى واختصه واستوحشوا لذلك وتفاوضوا وداخل طاز وهو كبيرهم جماعة من الامراء فى الثورة وأجابه الى ذلك بيقو والشمسى فى آخرين واجتمعوا الخلعه وركبوا فى جمادى سنة ثنتين وخمسين فلم يمانعهم أحد وملكوا أمرهم ودخلوا القلعة وقبض طاز على حسن الناصر واعتقله وأخرج أخاه حسينا من اعتقاله فبايعه ولقبه الصالح وقام بحمل الدولة وأخرج بيقو الشمسى الى دمشق وبيقر الى حلب أسيرين وانفرد بالامر ثم نافسه أهل الدولة واجتمعوا على الثورة وتولى كبر ذلك مغلطاى ومنكلى وبيقا القمرى وركبوا فيمن اجتمع اليهم الى قبة النصر للحرب فركب طاز وسلطانه الصالح فى جموعه وحمل عليهم ففض جمعهم وأثخن فيهم وقبض على مغلطاى ومنكلى فحبسهما بالاسكندرية وأفرج عن منجك وعن شيخو وجعله أتابكه على العساكر وأشركه فى سلطانه وولى سيف الدين ملاى نيابته واختص صرغتمش ورقاه فى الدولة وقبض على الشمسى المحمدى نائب دمشق ونقل اليها مكانه ارغون الكاملى من حلب وأفرج عن بيقاروس بالكرك وبعثه مكانه الى حلب ثم تغير منجك واختفى بالقاهرة والله تعالى أعلم

(انتقاض بيقاروس واستيلاؤه على الشأم ومسير السلطان اليه ومقتله)

قد تقدم لنا ذكر بيقاروس وقيامه بدولة حسن الاولى ونكبته فى طريقه الى الحج بالكرك ولما أطلقه طاز وولاه على حلب أدركته المنافسة والغيرة من طاز واستبداده بالدولة فحدثته نفسه بالخلاف وداخل نواب الشأم ووافقه فى ذلك بكتمش نائب طرابلس وأحمد شادى الشرفخاناه نائب صفد وخالفه ارغون الكاملى نائب دمشق وتمسك بالطاعة وتعاقد هؤلاء على الخلاف مع شيخو وصرغتمش فى رجب سنة ثلاث

وحبس ثم دعا بيقاروس العرب والتركمان الى الموافقة فأجابه جبار بن مهنا من العرب وقراجا بن العادل من التركمان فى جموعهما وبرز من حلب قاصدا دمشق فأجفل عنها ارغون النائب الى غزة واستولى عليها الجيغا العادلى ووصل بيقاروس فى ذلكها وامتنعت القلعة فحاصرها وكثر العيث من عساكره فى القرى وسار السلطان الصالح وأمراء الدولة من مصر فى العساكر فى شعبان من السنة وأخرج معه الخليفة المعتضد أبا الفتح أبا بكر بن المستكفى وعثر بين يدى خروجه على منجل بعض البيوت لسنة من اختفائه فبعث به مع عمش الى الاسكندرية وبلغ بيقاروس خروج السلطان من مصر فاجفل عن دمشق وثار العوام بالتركمان فأثخنوا فيهم ووصل السلطان الى دمشق ونزل بالقلعة وجهز العساكر فى اتباع بيقاروس فجاؤا بجماعة من الامراء الذين كانوا معه فقتل السلطان بعضهم ثانى الفطر وحبس الباقين وولى على دمشق الامير عليا المارداني وبقل منها ارغون الكاملى الى حلب وسرح العساكر فى طلب بيقاروس مع مغلطاى الدوادار وعاد الى مصر فدخلها فى ذى القعدة من السنة وسار مغلطاى فى طلب بيقاروس وأصحابه فأوقع بهم وتقبض على بيقاروس وأحمد وقطلش وقتلهم وبعث برؤسهم الى مصر أوائل سنة أربع وخمسين وأوعز السلطان الى ارغون الكاملى نائب حلب بأن يخرج فى العساكر لطلب قراجا بن العادل مقدم التركمان فسار الى بلده البلستين فوجدها مقفرة وقد أجفل عنها فهدمها ارغون واتبعه الى بلاد الروم فلما أحس بهم أجفل ولحق بابن ارتنا قائد المغل فى سيواس ونهب العساكر أحياءه واستاقوا مواشيه ثم قبض عليه ابن ارتنا قائد المغل وبعث به الى مصر فقتل بها وسكنت الفتنة وأطلق المعتقلون بالاسكندرية وتأخر منهم مغلطاى ومنجك أياما ثم أطلقا وغربا الى الشام والله تعالى أعلم

(واقعة العرب بالصعيد)

وفى أثناء هذه الفتن كثر فساد العرب بالصعيد وعيثهم وانتهبوا الزروع والاموال وتولى كبر ذلك الاحدب وكثرت جموعه فخرج السلطان فى العساكر سنة أربع وخمسين ومعه طاز وسار شيخو فى المقدمة فهزم العرب واستلحم جموعهم وامتلأت أيدى العساكر بغنائمهم وخلص السلطان من الظهر والسلاح ما لا يعبر عنه وأسر جماعة منهم فقتلوا وهرب الاحدب حتى استأمن بعد رجوع السلطان فأمنه على أن يقعدوا عن ركوب الخيل وحمل السلاح ويقبلوا على الفلاحة والله تعالى أعلم

(خلع الصالح وولاية حسن الناصر الثانية)

كان شيخو أتابك العساكر قد ارتاب بصاحبه طاز وداخل الامراء لثورة بالدولة وتربص بهم الى أن خرج طاز سنة خمس وخمسين الى البحيرة متصيدا وركب الى القلعة فخلع الصالح ابن بنت تنكز وقبض عليه وألزمه بيته لثلاث سنين كوامل من دولته وبايع لحسن الناصر أخيه وأعاده الى كرسيه وقبض على طاز فاستدعاه من البحيرة فبعثه الى حلب نائبا وعزل ارغون الكاملي فلحق بدمشق حتى تقبض عليه سنة ست وخمسين وسيق الى الاسكندرية فحبس بها وبلغ الخبر بوفاة الشمسي الاحمدى نائب طرابلس وولى مكانه منجك واستبد شيخو بالدولة وتصرف بالامر والنهى وولى على مكة عجلان بن رميثة وأفرده بامارتها وكانت له الولاية والعزل والحل والعقد سائر أيامه واعتمده الملوك من النواحى شرقا وغربا بالمخاطبات وكان رديفه فى حمل الدولة صرغتمش من موالى السلطان والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده بمنه

(مهلك شيخو ثم صرغتمش بعده واستبداد السلطان بأمره)

لم يزل شيخو مستبدا بالدولة وكافلا للسلطان حتى وثب عليه يوما بعض الموالى بمجلس السلطان فى دار العدل فى شعبان سنة ثمان وخمسين اعتمده فى دخوله من باب الايوان وضربه بالسيف ثلاثا أصاب بها وجهه ورأسه وذراعه فخر لليدين ودخل السلطان بيته وانفض المجلس واتصلت الهيعة بالعسكر خارج القلعة فاضطربوا واقتحم موالى شيخو القلعة الى الايوان يقدمهم خليل بن قوصون وكان ربيبه لان شيخو تزوج بأمه فاحتمل شيخو الى منزله وأمر الناصر بقتل المملوك الذى ضربه فقتل ليومه وعاده الناصر من الغد وتوجل من الوثبة أن تكون بأمره وأقام شيخو عليلا الى أن هلك فى ذى القعدة من السنة وهو أول من سمى الامير الكبير بمصر واستقل صرغتمش رديفه بحمل الدولة وبعث عن طاز فأمسكه بحلب وحبسه بالاسكندرية وولى مكانه الامير عليا الماردانى نقله اليها من دمشق وولى مكانه بدمشق منجك اليوسفى ثم تقبض السلطان على صرغتمش فى رمضان سنة تسع وخمسين وعلى جماعة من الامراء معه مثل مغلطاى الدوادار وطشتمر القاسمى الحاجب وطنبغا الماجارى وخليل بن قوصون ومحا السلحدار وغيرهم وركب مواليه وقاتلوا مماليك السلطان فى ساحة القلعة صدر نهار ثم انهزموا وقتلوا واعتقل صرغتمش وجماعته المنكوبون بالاسكندرية وقتل بمحبسه لسبعين يوما من اعتقاله وتخطت النكبة الى شيعته وأصحابه من الامراء والقضاة والعمال وكان الذى تولى نكبة هؤلاء كلهم بأمر السلطان منكلى بيبغا الشمسى ثم استبد السلطان بملكه واستولى على أمره وقدم مملوكه بيبغا العمرى وجعله أمير ألف وأقام فى الحجابة الجاى اليوسفى ثم بعثه الى دمشق نائبا واستقدم منجك نائب دمشق فلما وصل

الى غزة فاستتر واختفى فولى الناصر مكانه بدمشق الامير عليا الماردانى فنقله من حلب وولى على حلب سيف الدين بكتمر المؤمنى ثم أدال من على الماردانى فى دمشق باستدمر ومن المؤمنى فى حلب بمندمر الخوارزمى وأمره السلطان سنة احدى وستين بغزو سيس وفتح أذنة وطرسوس والمصيصة فى حصون أخرى وولى عليها ورجع فولاه السلطان نيابة دمشق مكان استدمر وولى على حلب أحمد بن القتمرى ثم عثر بدمشق سنة احدى وستين على محل بعدان نال العقاب بسببه جماعة من الناس فلما حضر عفا عنه السلطان وأمده وخيره فى النزول حيث شاء من بلاد الشأم وأقام السلطان بقية دولته مستبدا على وكان يأنس بالعلماء والقضاة ويجمعهم فى بيته متبذلا ويفاوضهم فى مسائل العلم ويصلهم ويحسن اليهم ويخالطهم أكثر ممن سواهم الى أن انقرضت دولته والبقاء لله وحده

(ثورة يبقا ومقتل السلطان حسن وولاية منصور بن المعظم حاجى فى كفالة يبقا)

كان يبقا هذا من موالى السلطان حسن وأعلاهم منزلة عنده وكان يعرف بالخاصكى نسبة الى خواص السلطان وكان الناصر قد رقاه فى مراتب الدولة وولاه الامارة ثم رفعه الى الاتابكية وكان بجموحه الى الاستبداد كثيرا ما يبوح بشكاية مثل ذلك فأحضره بعض الليالى بين حرمه وصرفه فى جملة من الخدمة لبعض مواليه وقادها فأسرها يبقا فى نفسه واستوحش وخرج السلطان سنة ثنتين وستين الى كوم برى وضرب بها خيامه وأذن للخاصكى فى مخيمه قريبا منه ثم نمى عنه خبر الانتقاض وأجمع القبض عليه واستدعاه فامتنع من الوصول ورعى أشعره داعيه بالاسترابة فركب اليه الناصر بنفسه فيمن حضره من مماليكه وخواص أمرائه تاسع جمادى من السنة وبرز اليه يبقا وقد أنذر به واعتدله فصدقه القتال فى ساحة مخيمه وانهزم أصحاب السلطان عنه ومضى الى القلعة ويبقا فى اتباعه فامتنع الحراس بالقلعة من اثارة طارقة جوف الليل فتسرب فى المدينة واختفى فى بيت الامير ابن الازكشى بالحسينية وركب الامراء من القاهرة مثل ناصر الدين الحسنى وقشتمر المنصورى وغيرهما للمدافعة يبقا فلقيهم سولاق وهزمهم واجتمع ثانية وثالثة وهزمهم وتنكر الناصر مع ايدمر الدوادار يحاولان النجاة الى الشأم واطلع عليهما بعض المماليك فوشى بهما الى يبقا فبعث من أحضره فكان آخر العهد به ويقال انه امتحنه قبل القتل فدله على أموال السلطان وذخائره وذلك لست سنين ونصف من تملكه ثم نصب يبقا للملك محمد بن المظفر حاجى ولقبه المنصور وقام بكفالته وتدبير دولته وجعل طشتمر الطويل رديفه وولى قشتمر المنصورى نائبا وعشتمر أمير مجلس وموسى الازكشى أستاذدار وأفرج عن القاسمى

وبعثه نائبا بالكرك وأفرج عن طاز وقد كان عمى فبعثه الى القدس بسؤاله ثم الى دمشق ومات بها فى السنة بعدها وأقر عجلان فى ولاية مكة وولى على عرب الشأم جبار ابن مهنا وأمسك جماعة من الامراء فحبسهم والله تعالى أعلم

(انتقاض استدمر بدمشق)

ولما اتصل بالشأم ما فعله يبيقا وأنه استبد بالدولة وكان استدمر نائبا بدمشق كما قدمناه امتعض لذلك وأجمع الانتقاض وداخله فى ذلك منددمر والبرى ومنجك اليوسفى واستولى على قلعة دمشق وسار فى العساكر ومعه السلطان المنصور ووصل الى دمشق واعتصم القوم بالقلعة وترددت بينهما القضاة بالشأم حتى نزلوا على الامان بعد ان حلف بيبقا فلما نزلوا اليه بعث بهم الى الاسكندرية فحبسوا بها وولى الامير الماردانى نائبا بدمشق وقطلوبغا الاحمدى نائبا بحلب مكان أحمد بن القمرى بصفد وعاد السلطان المنصور ويبقا الى مصر والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة الخليفة المعتضد بن المستكفى وولاية ابنه المتوكل)

قد تقدم لنا أن الخليفة المستكفى لما توفى قبل وفاة الملك الناصر عهد لابنه أحمد ولقبه الحاكم وأن الناصر عدل عنه الى ابراهيم بن محمد عم المستكفى ولقبه الواثق فلما توفى الناصر آخر سنة احدى وأربعين أغاروا لامراء القائمون بالدولة والامير أحمد الحاكم ابن المستكفى ولى عهده فلم يزل فى خلافته الى أن هلك سنة ثلاث وخمسين لاول دولة الصالح سبط تنكز وولى بعده أخوه أبو الفتح أبو بكر بن المستكفى ولقب المعتضد ثم توفى سنة ثلاث وستين لعشرة أعوام من خلافته وعهد الى ابنه أحمد فولى مكانه ولقب المستكفى والله تعالى أعلم

(خلع المنصور وولاية الاشرف)

ثم بدا لليبقا الخاصكى فى أمر المنصور محمد بن حاجى فخلعه استرابة به فى شعبان سنة أربع وستين لسبعة وعشرين شهرا من ولايته ونصب مكانه شعبان بن الناصر حسن بن الملك الناصر وكان أبوه قد توفى فى ربيع الآخر من تلك السنة وكان آخر بنى الملك الناصر فمات فولى ابنه شعبان ابن عشر سنين ولقبه الاشرف وتولى كفالته وفى سنة خمس وستين عزل الماردانى من دمشق وولى مكانه منكلى بغا نقله من حلب وولى مكانه قطلوبغا الاحمدى وتوفى قطلوبغا فولى مكانه غشقتمر الماردانى ثم عزل غشقتمر سنة ست وستين فولى مكانه سيف الدين قرجى وأوعز اليه سنة سبع وستين أن يسير فى العساكر لطلب خليل بن قراجا بن العادل أمير التركمان فيحضره معتقلا فسار اليه وامتنع

فى شرت برت خاصره أربعة أشهر واستأمن خليل بعدها وجاء الى مصر فأمنه السلطان وخلع عليه وولاه ورجع الى بلده وقومه والله تعالى أعلم

(واقعة الاسكندرية)

كان أهل جزيرة قبرص من أمم النصرانية وهم من بقايا الروم وانما يتسمون لهذا العهد الى الافرنج لظهور الافرنج على سائر أمم النصرانية والا فقد نسبهم هروشيوش الى كيتم وهم الروم عندهم ونسب أهل رودس الى دودانم وجعلهم اخوة كيتم ونسبهما معا الى رومان وكانت على أهل قبرص جزية معلومة يؤدونها لصاحب مصر ومازالت مقررة عليهم من لدن فتحها على يد معاوية أمير الشأم أيام عمر وكانوا اذا منعوا الجزية يسلط صاحب الشام عليهم أساطيل المسلمين فيفسدون مراسيها ويعيثون فى سواحلها حتى يستقيموا الاداء الجزية وتقدم لنا آنفا فى دولة الترك أن الظاهر بيبرس بعث اليها سنة تسع وستين وستمائة اسطولا من الشوانى وطرقت مرساها بالليل فتكسرت لكثرة الحجارة المحيطة بها فى كل ناحية ثم غلب لهذه العصور أهل جنوة من الافرنج على جزيرة رودس حازتها من يد لشكرى صاحب القسطنطينية سنة ثمان وسبعمائة وأخذوا عنقها وأقام أهل قبرص معهم بين فتنة وصلح وسلم وحرب آخر أيامهم وجزيرة قبرص هذه على مسافة يوم وليلة فى البحر قبالة طرابلس منصوبة على سواحل الشأم ومصر واطلعوا بعض الايام على غرة فى الاسكندرية وأخبروا صاحبهم وعزم على انتهاز الفرصة فيها فنهض فى أساطيله واستنفر من سائر الافرنج ووافى مرساها سابع عشر من المحرم سنة سبع وستين فى اسطول عظيم يقال بلغ سبعين مركبا مشحونة بالعدة والعدد ومعه الفرسان المقاتلة بخيولهم فلما أرسى بها تقدمهم الى السواحل وعبى صفوفه وزحف وقد غص الساحل بالنظارة من رعاع البلد على سبيل النزهة لا يلقون بالا لما هو فيه ولا يتطيرون بمغبة أمره لبعد عهدهم بالحرب وحاميتهم يومئذ قليلة وأسوارهم من الرماة المناضلين دون الحصون خالية وبابها القائم عنها لها فى الحرب والسلم وهو يومئذ خليل بن عوام غائب فى قضاء فرضه فما هو الا أن زحفت تلك الصفوف على التعبية ونضحوا العوام بالنبل فأجفلوا متسابقين الى المدينة وأغلقوا أبوابها وصعدوا الى الاسوار ينظرون ووصل القوم الى الباب فأحرقوه واقتحموا المدينة واضطرب أهلها وماج بعضهم فى بعض ثم أجفلوا الى جهة البر بما أمكنهم من عيالهم وولدهم وما قدروا عليه من أموالهم وسالت بهم الطرق والاباطح ذاهبين فى غير وجهة حيرة ودهشة وشعر بهم الاعراب أهل الضاحية فتخطفوا الكثير منهم وتوسط الافرنج المدينة ونهبوا ما مروا عليه من الدور وأسواق البرود ودكاكين الصيارفة ومودعات التجار وملؤا

سفنهم من المتاع والبضائع والذخيرة والصامت واحتملوا ما استولوا عليه من السبي والاسرى وأكثر ما فيهم الصبيان والنساء ثم تعايل اليهم الصريخ من العرب وغيرهم فانكفأ الافرنج الى أساطيلهم وانكمشوا فيها بقية يومهم وأقلعوا من الغد وطار الخبر الى كافل الدولة بمصر الامير بيبغا فقام فى ركائبه وخرج لوقته بسلطانه وعساكره ومعه ابن عوام نائب الاسكندرية منصرفه من الحج وفى مقدمته خليل بن قوصون وقطلوبغا الفخرى من أمرائه وعزائمهم مرهفة ونياتهم فى الجهاد صادقة حتى بلغهم الخبر فى طريقهم باقلاع العدو فلم يثنه ذلك واستمر الى الاسكندرية وشاهد ما وقع بها من معرّة الخراب وآثار الفساد فأمر بهدم ذلك واصلاحه ورجع ادراجه الى دار الملك وقد امتلأت جوانحه غيظا وحنقا على أهل قبرص فأمر بانشاء مائة اسطول من الاساطيل التى يسمونها القربان معتزما على غزو قبرص فيها بجميع من معه من عساكر المسلمين بالديار المصرية واحتفل فى الاستعداد لذلك واستكثر من السلاح وآلات الحصار وكمل غرضه من ذلك كله فى رمضان من السنة لثمانية أشهر من الشروع فيه فلم يقدر على تمام غرضه من الجهاد لما وقع من العوائق كما نقصه والله تعالى ولى التوفيق

(ثورة الطويل ونكبته)

كان طنبغا الطويل من موالى السلطان حسن وكانت وظيفته فى الدولة أمير سلاح وهو مع ذلك رديف بيبغا فى أمره وكان يؤمّل الاستبداد ثم حدثت له المنافسة والغيرة من بيبغا كما حدثت لسائر أهل الدولة عندما استكمل أمره واستفحل سلطانه وداخلوا الطويل فى الثورة وكان دوادار السلطان ارغون الاشقرى وأستاذدار المحمدى وبيناهم فى ذلك خرج الطويل للسرحة بالعباسية فى جمادى سنة سبع وستين وفشا الامر بين أهل الدولة فنمى الى بيبغا واعتزم على اخراج الطويل الى الشأم وأصدر له المرسوم السلطانى بنيابة دمشق وبعث به اليه وبالخلعة على العادة مع ارغون الاشقرى الدوادار وروس المحمدى أستاذدار من المداخلين له ومعه ارغون الارقى وطنبغا العلائى من أصحاب بيبغا فردّهم الطويل وأساء عليهم وواعد بيبغا قبة النصر فهزمهم وقبض على الطويل والاشقرى والمحمدى وحبسوا بالاسكندرية ثم شفع للسلطان فى الطويل فى شهر شعبان من السنة وبعثه الى القدس ثم أطلق الاشقرى والمحمدى وبعث بهما الى الشأم وولى مكان الطويل طيدمر الباسلى ومكان الاشقرى فى الدويدارية طنبغا الابى بكرى ثم عزله بيبغا العلائى وولى مكانه روس العادل المحمدى وكان جماعة من الامراء أهل وظائف فى الدولة قد خرجوا مع الطويل وحبسوا فولى فى وظائفهم أمراء آخرين ممن لم تكن له وظيفة واستدعى منكلى بيبغا

النمسى نائب دمشق الى مصر بطلبه فتقدم نائبا بحلب مكان سيف الدين برجى وأذن له في الاستكثار من العساكر وجعلت رتبته فوق نائب دمشق وولى مكانه بدمشق اقطمر عبد العزيز انتهى والله تعالى أعلم

(ثورة المماليك بيبغا ومقتله واستبداد استدمر)

كان طنبغا قد طال استبداده على السلطان وثقلت وطأته على الامراء وأهل الدولة وخصوصا على مماليكه وكان قد استكثر من المماليك وأرهف حدّه لهم في التأديب وتجاوز الضرب فيهم بالعصا الى جدع الانوف واصطلام الآذان

فضاقوا لذلك وطووا على الغش وكان كبير خواصه استدمر واقتفان الاحمدى ووقع في بعض الايام بمثل هذه العقوبة في أخي استدمر فاستوحش له وارتاب وداخل سائر الامراء في الثورة يرون فيها نجاتهم منهم وخلصوا النجوى مع السلطان فيه واقتضوا منه الاذن وسرح السلطان بيبغا الى البحيرة في عام ثمان وسبعين وانعقد هؤلاء المماليك المتفاوضون في الثورة بمرحل الطرانة وبيتوا له فيها ونمى اليه خبرهم ورأى العلامات التي قد أعطيها من أمرهم فركب مكرا في بعض خواصه وخاض النيل الى القاهرة وتقدم الى نواتية البحر أن يرسوا سفنهم عند العدوة الشرقية ويمنعوا العبور كل من يرومه من العدوة الغربية وخالفه استدمر واقتفان الى السلطان في ليلتهم وبايعوه على مقاطعة بيبغا وبكبته ولما وصل بيبغا الى القاهرة جمع من كان بها من الامراء والحجاب من مماليكه وغيرهم وكان بها ايبك البدرى أميرا ماخورية فاجتمعوا عليه وكان بقتمر النظامى وارغون ططر بالعباسية سارحين فاجتمعوا اليه وخلع الاشرف ونصب أخاه انوك ولقبه المنصور وأحضر الخليفة فولاه واستعد للحرب وضرب مخيمه بالجزيرة الوسطى على عدوة البحر ولحق به من كانت له معه طاعية من الامراء الذين مع السلطان بعصابة أو أمرأ وولاية مثل بيبغا العلائى الدوادار ويونس الرمام وكشبغا الحموى وخليل بن قوصون ويعقوب شاه وقرابغا البدرى وابنغا الجوهرى ووصل السلطان الاشرف من الطرانة صبيحة ذلك اليوم على التعبية قاصدا دار ملكه وانتهى الى عدوة البحر فوجدها متفرقة من السفن فخيم هنالك وأقام ثلاثا وبيبغا وأصحابه قبالتهم بالجزيرة الوسطى يبخعونهم بالنبل ويرسلون عليهم الحجارة من المجانيق وصواعق الانفاط وعوالم الطيارة في السفن الى أن توسط فركبوها ويحركونها بالمجاذيف الى ناحية السلطان حتى كملت منها عدة وأكثرها من القربان التى أنشأها بيبغا وأجاز فيها السلطان وأصحابه الى جزيرة الفيل وسار على التعبية وقد ملأت عساكره وتابعه بسيط الارض وتراكم القتام بالجو وغشيت سحابه موكب بيبغا

وأصحابه فتقدموا اللدفاع وصدقتهم عساكر السلطان القتال فانفضوا عن يبقا وتركوه أوحش من وتد فى قلاع فولى منهزما ومر بالميدان فصلى ركعتين عند بابه واستتر الى بيته والعوام ترجمه فى طريقه وسار السلطان فى تعبيته الى القلعة ودخل قصره وبعث عن يبقا فجىء به واعتقل بحبس القلعة سائر يومه فلما غشى الليل ارتاب المماليك بحياته وجاؤا الى السلطان يطلبونه وقد أضمروا الفتك به وأحضره السلطان وبينما هو مقبل على التضرع للسلطان ضربه بعضهم فأبان رأسه وارتاب من كان منهم خارج القصر فى قتله فطلبوا معاينته ولم يزالوا يتناولون رأسه من واحد الى واحد حتى رماه آخرهم فى مشعل كان بإزائه ثم دفن وفرغ من أمره وقام بأمر الدولة استدمر الناصرى ورديفه يبقا الاحمدى ومعهما بجماس الطازى وقرابقا الصرغتمشى وتغرى بدمشق المتولون كبر هذه الفعلة وتقبضوا على الامراء الذين عدلوا عنهم الى يبقا فحبسوهم بالاسكندرية وقد مر ذكرهم وعزل خليل بن قوصون وألزم بيته وولوا أمراء مكان المحبوسين وأهل وظائف من كانت له واستقر أمر الدولة على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(واقعة الاجلاب ثم نكبتهم ومهلك استدمر وذهاب دولته)

ثم تنافس هؤلاء القائمون بالدولة وحبسوا قرابقا السرغتمشى صاحبهم وامتعض له تغرى بدمشق وداخل بعض الامراء فى الثورة ووافقه ايبك البدرى وجماعة معه وركب منتصف رجب سنة ثمان وستين للحرب فركب له استدمر وأصحابه فتقبضوا عليهم وحبسوهم بالاسكندرية وعظم طغيان هؤلاء الاجلاب وكثر عيثهم فى البلد وتجاوزهم حدود الشريعة والملك وفاوض السلطان أمراءه فى شأنهم فأشاروا بمعاجلتهم وحسم دائهم فنبذ السلطان اليهم العهد وجلس على كرسيه بالاساطيل وتقدم الى الامراء بالركوب فركب الجاى اليوسفى وطغتمر النظامى وسائر أمراء السلطان ومن استخدموه من مماليك يبقا وتحيز اليهم ايبقا الجلب وبجماس الطازى عن صاحبهما استدمر وركب لقتالهم استدمر وأصحابه وسائر الاجلاب وحاصروا القلعة الى أن خرج عند الطلحساه السلطانية فاختل مركز الامراء وفارقهم المستخدمون عندهم من مماليك يبقا فانفض جمعهم وانهزموا وثبت الجاى اليوسفى وارغون التترى فى سبعين من مماليكهم فوقفوا قليلا ثم انهزموا الى قبة النصر وقتل دروط ابن أخى الحاج الملك وقبض على ايبقا الجلب جريحا وعلى طغتمر النظامى وعلى بجماس الطازى والجاى اليوسفى وارغون التتر وكثير من امراء الالوف ومن دونهم واستولى

استدمر وأصحابه الاجلاب على السلطان كما كانوا وولى مكان الخوشي من الامراء
وأهل الوظائف وعاد خليل بن قوصون على امريته وعزل قشتمر عن طرابلس وحبس
بالاسكندرية واستبدل بكثير من أمراء الشام واستقر الحال على ذلك بقية السنة
والاجلاب على حالهم في الاستبداد بالسلطان والرعية فلما كان محرم سنة تسع وستين
عادوا الى الاجلاب على الدولة بركب أمراء السلطان الى استدمر يشكونهم
ويعاتبونهم في شأنهم فقبض على جماعة منهم كبيرهم الصنة وذلك يوم الاربعاء سادس
صفر فلما كان يوم السبت عاودوا الركوب ونادوا بخلع السلطان فركب السلطان
في مماليكه ونحو المائتين واتبعه عليهم العوام وقد حنقوا على الاجلاب بشر اشرهم فيهم
وركب استدمر في الاجلاب على التعبية وهم ألف وخمسمائة وجاؤا من وراء القلعة
على عادتهم حتى شارفوا القوم فأحجموا ونفروا وأدركتهم الحجارة من أيدي العوام
بالمقاليع وحملت عليهم العساكر فانهزموا وقبض على ابقا السرغتمشي وجماعة معه
وخضروا بالخزانة ثم جيء باستدمر أسيرا وشفع فيه الامراء فشفعهم السلطان وأطلقه
باقيا على أتابكيته ونزل الى بيته بقصر الكبش وكان خليل بن قوصون تولى أتابكا
في تلك الفترة وأمر السلطان أن يباكر به لشسه من الغد فركب خليل الى بيته وحمله
على الانتقاض على أن يكون الكرسي لخليل بعلاقة ابنته الى الملك الناصر من أمه
فاجتمع معهم جماعة من الاجلاب وركبوا بالرملة فركب اليهم السلطان والامراء
في العساكر فانهزموا وقتل كثير منهم وبعثوا بهم الى الاسكندرية فحبسوا بها وقتل
كثير ممن أسر في تلك الواقعة منهم وطيف بهم على الجمال في أقطار المدينة ثم تتبع بقية
الاجلاب بالقتل والحبس بالثغور القاصية وكان ممن حبس منهم بالكرك لبرقوق
العثماني الذي ولي الملك بعد ذلك بمصر وبركة الجولاني وطبقا الدوباني وجركس الجلبي
ونعمو وأقاموا كلهم متلففين بين السجن والنفي الى أن اجتمع شملهم بعد ذلك كما نذكره
واستبد السلطان بأمره بعض الشيء وأفرج عن الجاي اليوسفي وطغتمر النظامي
وجماعة من المسجونين من أمرائه وولى الجاي أمير سلاح وولى يسقا المنصوري
ومكتمر المحمدي من أمراء الاجلاب في الاتابكية شريكين ثم نمي عنهما أنهما
يرومان الثورة واطلاق المسجونين من الاجلاب والاستبداد على السلطان فقبض
عليهما وبعث عن منكلي بغا الشمسي من حلب وأقامه في الاتابكية واستدعى أمير على
الماردانى من دمشق وولاه النيابة وولى في جميع الوظائف استبد الاول ثانيا بنظره
واختياره وكان منهم مولاه ازدمر الاشرفي ومازال يرقيه في الوظائف الى أن جعله
أتابك دولته وكان خالصته كما نذكر وولى على حلب مكان منكلي بغا طيبغا الطويل

وعلى دمشق مكان الماردانى بندمر الخوارزمى ثم اعتقله وصادره على مائة ألف دينار ونفاه الى طرسوس وولى مكانه منجك اليوسفى نقله اليها من طرابلس وأعاد اليها اقشتمر الماردانى كما كان قبله ثم توفى طنبغا الطويل بحلب آخر سنة تسع وستين بعد ان كان يروم الانتقاض فولى مكانه استبغا الابوبكرى ثم عزله سنة سبعين وولى مكانه قشتمر المنصورى والله تعالى ولى التوفيق بمنه وفضله

(مقتل قشتمر المنصورى بحلب فى واقعة العرب)

كان جبار بن مهنا أمير العرب من آل فضل قد انتقض وولى السلطان مكانه ابن عمه زامل بن موسى بن عيسى واستمر جبار على خلافه ووطئ بلاد حلب أيام المصيف واجتمع اليه بنو كلاب وامتدت أيديهم على السابلة فخرج اليهم نائب حلب قشتمر المنصورى فى عساكره فأغار على أحيائه واستاق نعمهم ومواشيهم وشره الى اصطلامهم فتذامروا دون احيائهم وكانت بينه وبينهم جولة أجلت عن قشتمر المنصورى وابنه محمد قتيلين ويقال قتلهما نعير بن جبار ورجعت عساكر الترك منهزمين الى حلب وذهب جبار الى القفر ناجيا به وولى السلطان على العرب معيقل بن فضل ثم استأمن له جبار بن مهنا وعاود الطاعة فأعاده السلطان الى امارته والله تعالى أعلم

(استبداد الجائى اليوسفى ثم انتقاضه ومقتله)

لما أذهب السلطان الاشرف أثر الاجلاب من دولته وقام بعض الشئ بأمره فاستدعى منكلى بغا من حلب وجعله أتابكا وأمير على الماردانى من دمشق وجعله نائبا وولى الجائى اليوسفى أمير سلاح وولى اصبغا عبد الله دوادارا بعد ان كان الاجلاب ولوا فى الدوادارية منهم واحدا بعد واحد ثم سخطه وولى مكانه اقطمر الصباحى وعمر سائر الخطط السلطانية بمن وقع عليه اختياره ورقى ولاة ارغون شاه فى المراتب من واحدة الى أخرى الى أن أربى به على الاتابكية كما يأتى وولى بهادر الجمالى أستاذدار ثم أمير الماخورية ترددبينهما ثم استقر آخرا فى الماخورية وولى محمد بن اسقلاص استاذدارا وولى بيبقا الناصرى الحجابة بعد وظائف أخرى نقله منها وزوج أمه الجائى اليوسفى فعلت رتبته بذلك فى الدولة واستغلظ أمره وأغلظ له الدوادار يوما فى القول فنفى وولى مكانه منكوتمر عبد الغنى ثم عزل سنة ثنتين وسبعين لسنة من ولايته وولى السلطان مكانه طشتمر العلائى الذى كان دوادارا لبيبقا واستقرت الدولة على هذا النمط والجائى اليوسفى مستبد فيها ووصل قود منجك من الشام سنة أربع وسبعين بما لا يعبر عنه اشتمل على الخيل والبخاتى المجللة والجمال والهجن والقماش والحلاوات

والملي والطرف والمراعين حتى كان فيها من الكلاب الصائدة والسباع والابل مالم ير
مثله فى أمثاله ثم وصل قود قشتمر الماردانى من حلب على نسبة ذلك والله تعالى أعلم

(انتقاض الخاصكى اليوسفى ومهلكه واستبداد الاشرف بملكه من بعده)

لم تزل الدولة مستقرة على ما وصفناه الى أن هلك الامير سكلى بغا الاتابك منتصف سنة
أربع وسبعين واستضاف الخاصكى اليوسفى الاتابكية الى ما كان بيده ورتبته أشد
من ذلك كله وهو القائم المستبد بها ثم توفيت أم السلطان وهى فى عصمته فاستحق منها
ميراثا نادعا بلوم الاخلاق فيه الى المماحكة فى الحلف وتجافى السلطان له عن ذلك الا أنه
كان ضيق الصدر شرس الاخلاق فكان يغلظ القول بما يحشن الصدور فأظلم الجو
بينه وبين السلطان وتمكنت فيه السعاية وذكرت هذه انتقاضه الاول وذلك أنه كان
سخط فى بعض النزعات على بعض العوام من البلد فأمر بالركوب الى العامة وقتلهم
فقتل منهم كثير ونمى الخبر الى السلطان على ألسنة أهل البصائر من دولته وعذلوه عنده
فاستشاط السلطان وزجره وأغلظ له فغضب وركب الى قبة النصر منتقضا وذهب
السلطان فى مداراة أمره الى الملاطفة واللين وكان الاتابك سيكلى بغا يومئذ النحيا
فأوعز السلطان اليه فرجع وخلع عليه وأعاده الى أحسن ما كان فلما بدرت هذه الثانية
حذر السلطان بطانته من شأنه وخرج هو مستقضا وركب فى مماليكه بساحة القلعة
وجلس السلطان وترددت الرسل بينهما بالملاطفة فأصر واستكبر ثم أذن السلطان
لمماليكه فى قتاله وكان أكثرهم من الاجلاب مماليك يبقا وقد جمعهم السلطان
واستخدمهم فى جملة ابنه أمير على ولى عهده فقاتلوه فى محرم سنة خمس وتسعين وكان
موقفه فى ذلك المعترك الى حائط الميدان المتصل بالاسطبل فنفذت له المقاتلة من داخل
الاسطبل ونضحوه بالسهام فتنحى عن الحائط حتى اذا اختل مركزه ركبوا خيولهم
وخرجوا من باب الاسطبل وصدقوا عليه الحملة فانهزم الى بركة الحبش ورجع من وراء
الجبل الى قبة النصر فأقام بها ثلاثا والسلطان يراوضه وهو يشتط وشيعه يتسللون
عنه ثم بعث اليه السلطان لمة من العسكر ففر أمامهم الى قليوب واتبعوه فخاض البحر
وكان آخر العهد به ثم أخرج شلوه ودفن وأسف السلطان لمهلكه وتقبل أولاده
الى قصره ورتب لهم ولحاشيته الارزاق فى ديوانه وقبض على من اتهمه بمداخلته
وأرباب وظائفه فصودروا كلهم وعزلوا وغربوا الى الشأم واستبد السلطان بأمره
واستدعى ايدمر القرى الدوادار وكان نائبا بطرابلس فولاه اتابكا مكان الخاصكى ورفع
رتبته وولى أرغون شاه وجعله أمير مجلس وولى سرغتمش من مواليه أمير سلاح واختص
بالسلطان طشتمر الدوادار وناصر الدين محمد بن اسقلاص استاذدار فكانت أمور

الدولة منقسمة بينهما وتدار بيدهما تجرى بسياستهما الى ان كان ما نذكره والله تعالى ولى التوفيق

(استقدام منجك للنيابة)

كان أمير على الماردانى قد توفى سنة اثنتين وسبعين وبقيت وظيفته خلوا المكان الجائى اليوسفى وأحكامه ولما هلك سنة خمس وسبعين ولى السلطان اقطمر عبد الغنى نائبا ثم بدا له أن يولى فى النيابة منجك اليوسفى لما رآه فيه من الاهلية لذلك والقيام به ولتقلبه فى الامارة منذ عهد الناصر حسن وأنه كان من موالية أخا بيبغاروس وطاز وسرغتمش فهو بقية المناجب فلما وقع نظره عليه بعث فى استقدامه بيبقا الناصرى من أمراء دولته وولى مكانه بندمر الخوارزمى وأعاد عشقتمر الى حلب مكانه ووصل منجك الى مصر آخر سنة خمس وسبعين ومعه مماليكه وحاشيته وصهر روس المحمدى فاحتفل السلطان فى تكرمته وأمر أهل الدولة بالركوب لتلقيه فتلقاه الامراء والعساكر وأرباب الوظائف من القضاة والفقهاء والدواوين وأذن له فى الدخول من باب السر راكبا وخاصة السلطان مشاة بين يديه حتى نزل عند مقاعد الطواشية بباب القصر حيث يجلس مقدم المماليك ثم استدعى الى السلطان فدخل وأقبل عليه السلطان وشافهه بالنيابة المطلقة وفوض اليه الولاية والعزل فى سائر المراتب السلطانية من الوزراء والخواص والقضاة والاوقاف وغيرها وخلع عليه وخرج ثم قرئ تقليده بذلك فى الايوان ثانى يوم وصوله فكان يوما مشهودا وولى الاشرف فى ذلك اليوم بيبقا الناصرى الذى قدم به حاجبا ثم سافر عشقتمر نائب حلب آخر سنة ست وسبعين بعدها بالعساكر الى بلاد الارمن ففتح سائر أعمالها واستولى على ملكها التكفور بالامان فوصل بأهله وولده الى الابواب السلطانية ورتب لهم الارزاق وولى السلطان على سيس وانقرض منها ملك الارمن وتوفى منجك آخر هذه السنة فولى السلطان اقتمر الصاحبى المعروف بالحلى ثم عزله ورفع مجلسه وولى مكانه اقتمر الالقى ثم توفى جبار بن مهنا أمير العرب بالشأم فولى السلطان ابنه يعبر امكانه ثم توفى أمير مكة من بنى حسن فولى الاشرف مكانه واستقرت الامور على ذلك والله أعلم

(الخبر عن مماليك بيبقا وترشحهم فى الدولة)

كان السلطان الاشرف بعد أن سطا بمماليك بيبقا تلك السطوة وقسمهم بين القتل والنفى وأسكنهم السجون وأذهب أثرهم من الدولة بالجملة أرجع جملة منهم بعد ذلك وعاتبه سنكلى ابغا فى شأنهم وأن فى اتلافهم قص جناح الدولة وانهم ناشئة من الجند

بعثها الملك لنا فلهم فندم على من قتل منهم وأطلق من بقي من المحبوسين بعد خمس من
السنين وسرحهم الى الشام يستخدمون عند الامراء وكان فيمن أطلق الجماعة بحبس
الكرك وهم برقوق العثماني وبركة الجوباني وطنبغا الجوباني وجركس الخليلي ونعنع
فانطلقوا الى الشام ودعا منجك صاحب الشام كبراءهم الى تعليم المماليك ثقافة الرمح
وكانوا يبصرونها فأقاموا عنده مدة أخبرني بذلك الطنبغا الجوباني أيام اتصالي به
قال وأقاما عنده حتى الى ان استدعاه السلطان الاشرف وكتب اليه الجاي اليوسفي
بمثل ذلك فاضطرب في أيهما يجيبه ثم أراد أن يخرج من العهدة ويرد الامر اليها
فأبيا الا امتثال أمره فتحير ثم اهتدى الى أن يبعث الى الجاي اليوسفي ويدس الى
قرطاي كافل الامير علي ابن السلطان وكان صديقه بطلبنا من الجاي خدمة ولي
العهد وصانع الجهتين بذلك قال وصرنا الى ولي العهد فعرضنا على السلطان أبيه
واختصنا عنده بتعليم الثقافة لمماليكه الى أن دعانا السلطان يوم واقعة الجاي وهو
بالبر بالاصطبل فسدنا الحربة وذكرنا حقوقه وأراح علينا بالجياد والاسلحة
فحاربنا قتله الى ان انهزم وما زال السلطان بعدها يرعى لنا ذلك وقد مر انتهى خبر
الجوباني وكان طشتمر الدوادار قد لطف محله عند الاشرف وخلاله وجهه وكان هواه
في اجتماع مماليك يبقا في الدولة يستكثر بهم فيما يؤمله من الاستبداد على السلطان
وكان يشير في كل وقت على الاشرف باستقدامهم من كل ناحية واجتماعهم عصابة
للدولة يخادع بذلك عن قصده وكان محمد بن اسقلاص استاذ دار ينافسه في
الدولة ويزاحمه في مخالصة الاشرف ولطف المحل عنده ينهي السلطان عن ذلك
ويحذره مغبة اجتماعهم بنقض طشتمر بذلك وكان عند السلطان مماليك دونه من
مماليكه الخاصكية شبابا قد اصطفاهم وهذبهم وخالصهم بالمحبة والصهر ورشحهم
للمراتب وولى بعضهم وكان الاكابر من أهل الدولة يفضون اليهم بحاجاتهم ويتوسلون
بمساعيهم فصرف طشتمر اليهم وجه السعاية وغشي مجالسهم وأغراهم بابن اسقلاص
وانه يصد السلطان أكثر الاوقات عن اغراضهم منه ويسد أبواب الانعام والصلات
منه وصدق ذلك عندهم كثرة حاجاتهم في وظيفته وتقرر الكثير منها عليهم عنده فوغرت
صدورهم منه وأغروا به السلطان باطباق اغراء طشتمر ظاهرا حتى تمت عليه نكبته
وجمعت الكلمة وقبض عليه منتصف جمادى سنة سبع وثمانين ونفاه الى القدس فخلا
لطشتمر وجه السلطان وانفرد بالتدبير واجتمع المماليك اليبقاوية من كل ناحية حتى
كثروا أهل الدولة وغمروا مراتبها ووظائفها واحتازوها من جوانبها الى أن كان
ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(حج السلطان الاشرف وانتقاض المماليك عليه بالعقبة وما كان مع ذلك من ثورة قرطاى بالقاهرة وبيعة الامير على ولى العهد ومقتل السلطان اثر ذلك)

لما استقر السلطان فى دولته على أكمل حالات الاستبداد والظهور واذعان الناس لطاعته فى كل ناحية وأكمل الله له الامتاع بملكه ودنياه سمت نفسه الى قضاء فرضه فأجمع الحج سنة ثمان وسبعين وتجهز لذلك واستكثر من الرواحل المستجادة والازودة المنقلة من سائر الاصناف واستعد للسفر واحتفل فى الابهة بما لم يعهد مثله واستخلف ابنه ولى العهد فى ملكه وأوصى النائب اكتمر عبد الغنى بمباكرة بابه والانتهاء الى مراسمه وأخرج بنى الملك الناصر المحجوبين بالقلعة مع سرد الشيخونى الى الكرك يقيمون به الى منصرفه وتجهز الخليفة العباسى محمد المتوكل بن المعتضد والقضاة للحج معه وجهز جماعة من الامراء أهل دولته وأزاح عللهم وملأ بمعروفه حقائبهم وخرج ثانى عشر شوال فى المراكب والقطارات يروق الناظرين كثرة وشارة وزينة والخليفة والقضاة والامراء محتفون به وبرز النظارة حتى العواتق من خدورهن وتجللت بمركبهم البسيطة وماجت الارض بهم موجا وخيم بالبركة منزل الحاج وأقام بها أياما حتى فرغ الناس من حاجاتهم وارتحل فمازال يتنقل فى المنازل الى العقبة ثم أقام فيها على عادة الحاج وكان فى نفوس المماليك وخصوصا البيبقاوية وهم الاكثر شجى يتشوفون به الى الاستبداد من الدولة فتنكروا واشتطوا فى اقتضاء أرزاقهم والمباشرون يعللونهم وانتهى [بياض بالاصل] الى الفساد ثم طلبوا العلوفة المستقبلة الى دار الازلم فاعتذر المباشرون بأن الاقوات جاءت الى أمام فلم يقبلوا وكشفوا القناع فى الانتقاض وباتوا ليلتهم على تعبية واستدعى الاشرف طشتمر الدوادار وكان كبيرهم ففاوضه فى الامر ليفك من عزمهم فأجمل العذر عنهم وخرج اليهم فخرجوا ثم ركبوا من الغد واصطفوا وأركبوا طشتمر معهم ومنعوه من معاودة السلطان وتولى كبر ذلك منهم مبارك الطازى وسراى تمر المحمدى وبطلقمر العلائى وركب السلطان فى خاصته يظن أنهم يرعوون أو يجنح اليه بعضهم فأبوا الا الاحفاف على قتاله ونضحوا مركبه بالنبل لما عاينوه فرجع الى خيامه منهزما ثم ركب البحر فى لفيف من خواصه ومعه ارغون شاه الاتابك ويبغا الناصرى ومحمد بن عيسى صاحب الدرك من لفائف الاعراب أهل الضاحية وفى ركابه جماعة الشباب الذين أنشأهم فى مخالصته ورشحهم للوظائف فى دولته كما مر وخام الفل الى القاهرة وقد كان السلطان عندما سافر عن القاهرة ترك بها جماعة من الامراء والمماليك مقيمين فى وظائفهم فكان منهم قرطاى الطازى كافل امير على ولى العهد واقتمر الحلبى وقشتمر واسندمر السرغتمشى

وأيبك البدري وكان شيطان من المفردة قد أوحى الى قرطاى بأنه يكون صاحب الدولة عمر فكان يتشوف لذلك ويترصده وزعاوقع بينه وبين وزير الدولة منازعة فى جراية مماليك مكموله ولى العهد وعاوقاتهم أغلظ له فيها الوزير فوبخهم وأخذ فى أسباب الانتقاص وداخل فى ذلك بعض أصحابه وواعدهم ثالث القعدة وتقدم الى دايه ولى العهد ليلة ذلك اليوم بأن يصلح من شأنه ويفرغ عليه ملابس السلطان وهيئته لجلوس التخت وركب هو صبيحة ذلك اليوم ووقف بالرميلة عنده مملى العهد وتناول قطعة من ثوب فنصبها لواء وكان صبيان المدينة قد شرعوا فى اتخاذ الدبادب والطبلات للعيد فأمر بتناول بعضها منهم وقرعت بين يديه وتسايل الناس اليه من كل أوب ونزل من كان بطباق القصر وغرفه وبالقاهرة من المماليك واجتمعوا اليه حتى كظ ذلك الفضاء وجاؤا تعادى بهم الخيل فاستغلظ لفيفهم ثم اقتحم القلعة فى جمعه من باب الاصطبل الى بيت مكفوله ولى العهد أمير على عند باب الستارة يطلبونه وقبضوا على زمام الدود وكانوا عدة حتى أحضروا ولى العهد وجاؤا به على الاكتاف الى الايوان فأجلسوه على التخت وأحضروا البدمر نائب القلعة فبايع له ثم أنزلوه الى باب الاصطبل وأجلسوه هنالك على الكرسى واستدعى الامراء القاطنين بالقاهرة فبايعوه وحبس بعضهم بالقلعة وبعث أكثر الحلى الى الصعيد يتكشف أحواله واختص منهم أيبك فعله رديفا فى دولته وباتوا كذلك وأصبحوا يسائلون الركبان ويستكشفون خبر السلطان وكان السلطان لما انهزم من العقبة سار ليلتين وجاء الى البركة آخر الثانية وجاءه الخبر بواقعة القاهرة وما فعله قرطاى وتشاوروا فأشار محمد بن عيسى بقصد الشام وأشار آخرون بالوصول الى القاهرة وسار السلطان اليها واستمروا الى قبة النصر وتهافتوا عن رواحلهم بالطلاح وقد أنهكهم التعب وأضناهم السير فاهو الأأن وقعوا لمناكبهم وجنوبهم وغشيهم النعاس وجاء الناصرى الى السلطان الاشرف من بينهم فنصح له بأن ينسل من أصحابه ويتسرب فى بعض البيوت بالقاهرة حتى يتبين له وجه مذهبه وانطلق بين يديه فقصد بعض النساء ممن كان قد تاب قصده واحتفى فطن أصحابه فى ذلك وفارقه الناصرى يطلب نفقا فى الارض وقد كانوا بعثوا من قبة النصر بعض المماليك عنهم روائد يستوضحون الخبر فأصبحوا بالرميلة أمام القلعة وتعرف الناس أنه من الحاج فرفعوه الى صاحب الدولة وعرض عليه العذاب حتى أخبره عن السلطان وأنه وأصحابه بقبة النصر مصرعين من غشى النوم فطار اليهم شرار العسكر مع استدمر السرغتمشى والجهور فى ساداتهم حتى وقفوا عليهم فى مضاجعهم وافتقدوا السلطان من بينهم وقتلوهم جميعا وجاؤا برؤسهم

ووجوا الانقياد السلطان ونادوا بطلبه وعرضوا العذاب والقتل على محمد بن عيسى صاحب الدرك فتبرأ وحبس رهينة من ثقاته ثم جاءت امرأة الى ايبك فدلته عليه فى بيت جارتها فاستخرجوه من ذلك البيت ودفعوه الى ايبك فامتحنه حتى دلهم على الذخيرة والاموال ثم قتلوه خنقا وجددوا البيعة لابنه الامير على ولقبوه المنصور واستقل بدولته كافله من قبل الامير قرطاى ورديفه ايبك البدرى واستقر الامر على ذلك

﴿مجىء طشتمر من العقبة وانهزامه ثم مسيره الى الشأم وتجديد البيعة للمنصور باذن الخليفة وتقديمه﴾

لما انهزم السلطان من العقبة ومضى الى القاهرة اجتمع أهل الثورة على قشتمر وألقوا اليه القياد ودعوا الخليفة الى البيعة له فتفادى من ذلك ومضى الحاج من مكة مع أمير المحمل بهادر الجمالى على العادة ورجع القضاة والفقهاء الى القدس وتوجه طشتمر والامراء الى مصر لتلافى السلطان أو تلفه فلقيهم خبر مهلكه بمجرود وما كان من بيعة ابنه واستقلال قرطاى بالملك فثاب لهم رأى آخر فى حرب أهل الدولة وساروا على التعبية وبعثوا فى مقدمتهم قطلقتمر ولقى طلائع مصر فهزمهم وسار فى اتباعهم الى ساحة القلعة فلم يشعر الا وقد تورط فى جمهور العسكر فتقبضوا عليه وكان قرطاى قد بعث عن اقتمر الصاحبى الحنبلى من الصعيد ورجع فى العساكر لحرب قشتمر وأصحابه فبرز اليهم والتقوا فى ساحة القلعة وانهزم قشتمر الى الكيمان بناحية مصر ثم استأمن فأمنوه واعتقلوه ثم جمع الناس ليوم مشهود وحضر الخليفة والامراء والقضاة والعلماء وعقد الخليفة للمنصور بن الاشرف وفوض اليه وقام قرطاى بالدولة وقسم الوظائف فولى قشتمر اللفاف واستأمر الصرغتمشى أمير سلاح وقطلوبغا البدرى أمير مجلس وقرطاى الطازى رأس نوبة واياس الصرغتمشى دوادارا وايبك البدرى أمير الماخورية وسردون جركس استاذدار واقتمر الحنبلى نائبا وجعل له الاقطاع للاجناد والامراء والنواب وأفرج عن طشتمر العلائى الدوادار الاسكندرية وأحضر بنى الملك الناصر من الكرك مع حافظهم سردون الشيخونى وولاه حاجبا وكذلك قلوط الصرغتمشى وأصاب الناس فى آخر السنة طاعون الى أول سنة تسع وسبعين فهلك طشتمر اللفاف الاتابك وولى مكانه قرطاى الطازى فى وظيفته واستدعى بيبقا الناصرى من الشأم فاختصه الامير الكبير قرطاى بالمخالصة والمشاورة

البياض فى الموضعين بالاصل

(نكبة قرطاى واستقلال ايبك بالدولة ثم مهلكه)

كان ايبك العزى هذا قد ردف قرطاى فى حمل الدولة من أول ثورتهم وقيامهم على السلطان عالمه وخلطه نفسه فى الاصهار اليه وكان ايبك يروم الاستبداد بشأن أصحابه وكان يعرف من قرطاى عكوفه على لذاته وانقيامه مع ندمائه فعمل قرطاى فى صفر سنة تسع وسبعين صنيعا فى بيته وجمع ندماءه مثل سودون جركس ومبارك الطازى وغيرهم واهدى له ايبك نبيذا أذيب فيه بعض المرقدات فلما تعاطوه حتى غلبهم السكر على أنفسهم ولم يفيقوا فركب ايبك من ليلته وأركب السلطان المنصور معه واختار الامر لنفسه واجتمع اليه الناس وأفاق قرطاى بعد ثلاث وقد اعلت عنه العقدة واجتمع الناس على ايبك فبعث اليه قرطاى يستأمن فأمنه ثم قبض عليه فسيره الى صفد واستقل ايبك بالملك والدولة ثم بلغه منتصف صفر من السنة انتقاض طشتمر بالشأم وانتقاض الامراء هنالك فى سائر الممالك على الخلاف معه فنادى فى الناس بالمسير الى الشأم فتجهزوا وسرح المقدمة آخر صفر مع ابنه أحمد وأخيه قطلوبغا وفيها من مماليكه ومماليك السلطان وجماعة من الامراء كان منهم الاميران برقوق وبركة المستبدان بعد ذلك ثم خرج ايبك ثانى ربيع فى الساقة بالسلطان والامراء والعساكر وانتهوا الى بلبيس وثار الامراء الذين كانوا مع أخيه فى المقدمة ورجع اليه منهزما فاجفل راجعا الى القلعة بالسلطان والعساكر وخرج عليه ساعة وصوله يوم الاثنين جماعة من الامراء وهم قطلقتمر العلائى الطويل والطنبغا السلطانى والعنانى وواعدوه قبة النصر فسرح اليهم العساكر مع أخيه قطلوبغا فأوقعوا به وقبضوا عليه وبلغ الخبر الى ايبك فسرح من حضره من الامراء للقائهم وهم أيدمر الشمسى واقطمر عبد الغنى وبهادر الجمالى ومبارك الطازى فى آخرين ولما تواروا عنه ركب هاربا الى كيمان مصر واتبعه ايدمر القنائى فلم يقف له على خبر ودخل الامراء من قبة النصر الى الاصطبل وأمضوا الامراء الى قطلقتمر العلائى وهم يحاذرونه وأشير عليه بخلع المنصور والبيعة لمن يقوم على   من أبناء السلطان فأبى ثم وصل صبيحة الثلاثاء الامراء الذين ثاروا وجاء أخو ايبك فى مقدمة العسكر وفيهم يبقا الناطرى ودمرداش اليوسفى وبلاط من أمراء الالوف وبرقوق وبركة وغيرهما من الطبلخانات فنازعوهم الامر وغلبوهم عليه وبعثوا بهم الى الاسكندرية معتقلين وفوض الامراء الى يبقا الناطرى فقام بأمرهم وهو شجاع وآراؤهم مختلفة ثم حضر يوم الاحد التاسع من ربيع ايبك صاحب الدولة وظهر من الاختفاء وجاء الى بلاط منهم وأحضره عند يبقا الناطرى فبعث به الى الاسكندرية فحبسه بها وكان يبقا الناطرى يختص برقوق وبركة بالمفاوضة استرابة بالآخرين فاتفق

رأيهم على أن يستدعى طشتمر من الشأم وينصبوه للامارة فبعثوا اليه بذلك وانتظروه

استبداد الاميرين أبى سعيد برقوق وبركة بالدولة من بعد ايبك ووصول طشتمر من الشأم وقيامه بالدولة ثم نكبته

لما تغلب هؤلاء الامراء على الدولة ونصبوا بيبقا الناظرى ولم يعضوا له الطاعة بقى أمرهم مضطربا وآراؤهم مختلفة وكان برقوق وبركة أبصر القوم بالسياسة وطرق التدبير وكان الناظرى يخالصهما كما مر فتفاوضوا فى القبض على هؤلاء المتصدين للمنازعة وكبح شكائمهم وهم دمرداش اليوسفى وترباى الحسينى وافتقلاص السلدوقى واستدمر بن العثمانى فى آخرين من نظرائهم وركبوا منتصف صفر وقبضوا عليهم أجمعين وبعثوا بهم الى الاسكندرية فحبسوهم بها واصطفوا ابلاطا منهم وولوه الامارة وخلطوه بأنفسهم وأبقوا بيبقا الناظرى على اتابكيته كما كان وأنزلوه من القلعة فسكن بيت شيخو قبالته وولى برقوق أمير الماخورية ونزل باب الاصطبل وولى بركة الجوبانى أمير مجلس واستقرت الدولة على ذلك وكان طشتمر نائب الشأم قد انتقض واستبد بأمره وجمع عساكر الشأم وامراءه واستنفر العرب والتركمان وخيم بظاهر دمشق يريد السير الى مصر وبرز ايبك من مصر بالسلطان والعساكر يريد الشأم لمحاربته فكان ما قدمناه من نكبته وخروج الامراء عليه ومصيرهم الى جماعة البيبقاوية الطائرين بايبك ومقدمهم بيبقا الناظرى ثم تفاوض بيبقا الناظرى مع برقوق وبركة فى استدعاء طشتمر فوافقاه ونظراه رأيا وفيه من الذين معه وحسم الداء منه بكونهم فى مصر فكتبوا اليه بالوصول الى مصر للاتابكية وتدبير الدولة وانه شيخ البيبقاوية وكبيرهم فسكنت نفسه لذلك ووضع أوزار الفتنة وسار الى مصر فلما وصلها اختلفوا فى أمره وتعظيمه وأركبوا السلطان الى الزيدانية لتلقيه ودفعوا الامراء اليه وأشاروا له الى الاتابكية ووضعوا زمام الدولة فى يده فصار اليه التولية والعزل والحل والعقد وولى بيبقا الناظرى أمير سلاح مكان سباطا وبعثوا بلاطا الى الكرك لاستقلال طشتمر بمكانه وولى بندمر الخوارزمى نائبا بدمشق على سائر وظائف الدولة وممالك الشأم كما اقتضاه نظره ووافق عليه استاذدار برقوق وبركة وولى ايبك اليوسفى فرتب برقوق رأس نوبة مكان الناصرى واستمر الحال على ذلك وبرقوق وبركة اثناء هذه الامور يستكثران من المماليك استغلاظا لشوكتهما واكتنافا لعصبيتهما ان عمد الامراء الى مراتبهما فيبذلان الجاه لتابعهما ويوفران الاقطاع لمن يستخدم لهما ويختصان بالامرة من يجنح من أهل الدولة اليهما والى ابوابهما وانصرفت الوجوه عن سواهما وارتاب طشتمر بنفسه فى ذلك وأغراه أصحابه بالتوثب بهذين الاميرين فلما

بياض بالاصل

كان ذوالحجة سنة تسع وسبعين استعجل أصحابه على غدره به وبعثوا اليه بأنهم يقعد
عن الركوب بأجمعهم برقوق وبركة بالاصطبل   اليه وقاتل مماليك طشتمر
بالرميلة ساعة من نهار ثم انهزموا وافترقوا واستأمن طشتمر فأمنوه واستدعوه الى
القلعة وقبضوا عليه وعلى جماعة من أصحابه منهم اطلمش الارغونى ومدلان الناصرى
وأمير حاج بن مغلطاى ودواداره أرغون وبعثهم الى الاسكندرية فحبسوا بها وبعث
معهم بيبغا الناصرى كذلك ثم أفرج عنه لايام وبعثه نائبا على طرابلس ثم أفرج عن
طشتمر بعد ذلك الى دمياط ثم الى القدس الى ان مات سنة سبع وثمانين واستقامت
الدولة للاميرين بعد اعتقالهما وخلت لهما من المنازعين وولى الامير برقوق اتابكا
وولى المأخورية الجاى الشمسى وولى قريبه اينال أمير سلاح مكان بيبغا الناصرى
وولى أيتمر العثمانى دوادارا مكان اطلمش الارغونى وولى الطنبغا الجوبانى رأس نوبة
نائبا ودمرداش أمير مجلس وتوفى بيبغا السلطانى نائب حلب وولى مكانه عشقتمر
المارداني ثم استأذن   فأذن له وحبس بالاسكندرية وولى مكانه
بحلب تمرتاش الحسنى الدمرداشى ثم أفرج عنه وأقام بالقدس قليلا ثم استدعاه
بركة وأكرم نزله وبعثه نائبا الى حلب

بياض بالاصل

بياض بالاصل

(ثورة اينال ونكبته)

كان اينال هذا أمير سلاح وكان له مقام فى الدولة وهو قريب الامير برقوق وكان
شديد الانحراف على الامير بركة ويحمل قريبه على منافرته ولا يجيبه الى ذلك فاعتزم
على الثورة وتعين لها سفر الامير بركة الى البحيرة يتصيد فركب الامير برقوق فى بعض
تلك الايام متصيدا بساحة البلد فرأى ان قد خلا له الجو فركب وعمد الى باب الاصطبل
ملكه ومعه جماعة من مماليكه ومماليك الامير برقوق وتقبضوا على أمير المأخورية
جركس الخليلى واستدعوا السلطان المنصور ليظهروه للناس فمنعه المقدمون من باب
الستارة وجاء الامير برقوق من صيده ومعه الاتابك الشمسى فوصلوا الى منزله خارج
القلعة وأفرغوا السلاح على سائر مماليكهم وركبوا الى ساحة الاصطبل ثم قصدوا
الى الباب فأحرقوه وتسلق الامير قرطاى المنصورى من جهة باب السر وفتحه لهم
فدخلوا منه ودافعوا اينال وانتقض عليه المماليك الذين كانوا معه من مماليك الامير
برقوق ورموه بالسهام فانهزم ونزل الى بيته جريحا وأحضر الى الامير برقوق فاعتذر له
بانه لم يقصد بفعلته الا التغلب على بركة فبعث به الى الاسكندرية معتقلا وأعاد بيبغا
الناصرى أمير سلاح كما كان واستدعى لهما نيابة طرابلس ووصل الخبر الى بركة
فأسرع الكر من البحيرة وانتظم الحال وتظاهروا فى الوظائف التى خلت فى هذه الفتنة

فعمروها بن يقوم بها واختصوا بها من حبس عناؤه في هذه الواقعة مثل قردم وقرط وذلك سنة احدى وثمانين واقام اينال معتقلا بالاسكندرية ثم أفرج عنه في صفر سنة اثنتين وثمانين وولي على طرابلس ثم توفي منكلي بغا الاحمدي نائب حلب فولي اينال مكانه ثم تقبض عليه آخر السنة وحبس بالكرك وولي مكانه يبقا الجمدي نائب دمشق فولي مكانه بندمر الخوارزمي ثم توفي سنة احدى وثمانين جبار بن المهنا أمير العرب بالشأم فولي مكانه معيقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن عيسى شمر يكين ثم عزلا وولي نعير بن جبار

﴿ ثورة بركة ونكبته واستقلال الامير برقوق بالدولة ﴾

كان هذا الامير بركة يعادل الامير برقوق في حمل الدولة كما ذكرناه وكان أصحابه يفوضون اليه الاستبداد في الاموال وكان الامير برقوق كثير التثبت في الامور والميل الي المصالح فيعارضهم في الغالب ويضرب على أيديهم في الكثير من الاحوال فغصوا بمكانه وأغروا بركة بالتوثب والاستقلال بالامر وسعوا عنده بأشمس من كبار أصحاب الامير برقوق وأنه يحمل برقوق على مقاطعة بركة ويفسد ذات بينهما وأنه يطلب الأمر لنفسه وقد اعتزم على الوثوب عليهما فجاء بركة بذلك الى الامير برقوق وأراد القبض على اشمس فمنعه الامير برقوق ودفع عنه وعظم انحراف بركة على أشمس ثم عن الامير برقوق وسعى في الاصلاح بينهما الاكابر حتى كمال الدين شيخ التكية والجلدي شيخ الصوفية من أهل خراسان وجاؤا بأشمس الى بركة مستعتبا فأعتبه وخلع عليه ثم عاود انحرافه ثانية فسح أعطافه وسكن وهو مجمع الثورة والفتك ثم عاود حاله تلك ثالثة واتفق أن صنع في بيت الامير برقوق لسرور وليمة في بعض أيام الجمعة في شهر ربيع سنة ثنتين وثمانين وحضر عنده أصحاب بركة كلهم وأهل شوكته وقد جاءه النصيح بأن بركة قد أجمع الثورة غداة يومه فقبض الامير برقوق على من كان عنده من أصحاب بركة اقص جناحه منهم وأركب حاشيته للقبض عليه واصعد يلان الناصري على مأذنة مدرسة حسن فنضحه بالنبل في اصطبله وركب بركة الى قبة النصر وخيم بها ونودى في العامة بنهب بيوته فنهبوها للوقت وخربوها وتحيز اليه يبقا الناصري فخرج معه وجلس الامير برقوق بباب القلعة من ناحية الاصطبل وسرح الفرسان للقتال واقتتلوا عامة يومهم فزحف بركة على تعبيتين احداهما ليبقا الناصري وخرج الاق الشعباني للقائه وأشمس للقاء يبقا الناصري فانهزم أصحاب بركة ورجع الي قبة النصر وقد اثخنوا بالجراح وتسلل أكثرهم الى بيته وأقام الليل ثم دخل الي جامع وبات به ونمي الى الامير برقوق خبره فأركب اليه الطنبقا الجوباني

بلغ مقابلة على الأصل

ونيابة الى القلعة وبعث به الامير برقوق الى الاسكندرية فحبس بها الى ان قتله النائب
بها صلاح الدين بن عرام وقتل به فى خبر يأتى شرحه ان شاء الله تعالى وتقبض على
بيبقا الناصرى وسائر شيعته من الامراء وأودعهم السجون الى ان استمالت
الاحوال وولى وظائفهم من أوقع عليه نظره من امراء الدولة وأفرج عن اينال الثائر
قبله وبعثه نائبا على طرابلس واستقل بحمل الدولة واستلمت به أحوالها واستراب
سودون مرانب دمشق لعصابته مع بركة فتقبض عليه وعلى أصحابه بدمشق وولى نيابة
دمشق عشقتمر ونيابة حلب اينال وولى اينمر الاتابكية مكان بركة والاق الشعبانى
أمير سلاح والطنبغا الجوبانى أمير مجلس وابقا العثمانى دوادار وجركس الخليلى
أمير الماخورية والله تعالى ولى التوفيق

(انتقاض أهل البحيرة وواقعة العساكر)

كان هؤلاء الظواعن الذين عمروا الدولة من بقايا هوارة ومزاتة وزناتة يعمرونها
بمن تحت أيديهم من هذه القبائل وغيرهم ويقومون بخراج السلطان كل سنة فى ابانه
وكانت الرياسة عليهم حتى فى اداء الخراج لبدر بن سلام وآبائه من قبله وهو من زناتة
احدى شعوب لواتة وكان للبادية المتبدين مثل أبى ذئب شيخ أحياء مهراتة وعمرة
ومثل بنى التركية امراء العرب بعقبة الاسكندرية اتصال بهم لاحتياجهم الى الميرة
من البحيرة ثم استعملوا الامراء الترك فى مقاصدهم وأموالهم واعتزوا بجاههم وأسفوا
على نظائرهم من هوارة وغيرهم ثم حدثت الزيادة فى وظائف الجباية كما هى طبيعة
الدول فاستثقلوها وحدثتهم أنفسهم بالامتناع منها لما عندهم من الاعتزاز وأرهقوا
فى الطلب وحبس سلام بالقاهرة وأجفل ابنه بدر الى الصعيد بالقبلية واعترضته هنالك
عساكر السلطان فقاتلهم وقتل الكاشف فى حربه وسارت اليه العساكر سنة ثمانين
مع الاق الشعبانى وأحمد بن بيقا وايال قبل ثورته فهربوا وعاثت العساكر
فى مخلفهم ورجعوا وعاد بدر الى البحيرة وشغلت الدولة عنهم بما كان من ثورة اينال وبركة
بعده واتصل فساد بدر وامتناعه فخرجت اليه العساكر مع الاتابك اينمش والامير سلاح
والجوبانى أمير مجلس وغيرهم من الامراء العربية ونزلت العساكر البحيرة واعتزم
بدر على قتالهم فخاطبهم المدبر بذلك فانتبذوا عن الخيام وتركوها خاوية ووقفوا على
مراكزهم حتى توسط القوم الخيم وشغلوا بنهبه فكرت عليهم العساكر فكانوا
يستلحمونهم ولم يفلت منهم الا الاقل وبعث بدر بالطاعة واعتذر بالخوف وقام بالخراج
ورجعت العساكر وولى نكتمر الشريف على البحيرة ثم استبدل منه بقرط بن عمر ثم عاد
بدر الى حاله فخرجت العساكر فهرب أمامها وعاث القرط فيهم وقتل الكثير من رجالهم

وبابه الى القلعة وبعث به الامير [illegible]

نهاب صلاح الدين بن عرام وقتل به في حين يأتي شرحه ان شاء الله تعـ
بغا الناصري وسائر شيعته من الامراء وأودعهم السجون الى
الاحوال وولى وظائفهم من أوقع عليه نظره من أمراء الدولة وأور
قبله وبعثه نائبا على طرابلس واستقل بحمل الدولة واستقامت به أمو
سودون نائب دمشق لصحابته مع بركة فقبض عليه وعلى أصحابه بد
دمشق عشقتمر ونيابة حلب ايسال وولى اشقتمر الاتابكية مكان بركة
أمير سلاح والطنبغا الجوباني أمير مجلس وابقا العثماني دوادارا وبجرد
أمير الماخورية والله تعالى ولى التوفيق

(انتقاض أهل البحيرة و واقعة العساكر)

كان هؤلاء الظواعن الذين عمروا الدولة من بقايا هوارة ومراتة و
عن تحت أيديهم من هذه القبائل وغيرهم و يقومون بخراج السلـ
وكانت الرياسة عليهم حتى في اداء الخراج لبدر بن سلام وآ
احدى شعوب لواتة وكان للسادة المتبدين مثل أبي ذئب
ومثل بني التركية أمراء العرب بعقبة الاسكندرية اتصال
من البحيرة ثم اصطنعوا الامراء الترك في مقاصدهم وأموالهم
على نظائرهم من هوارة وغيرهم ثم حدثت الزيادة في وظا
الدول فاستثقلوها وحدثتهم أنفسهم بالامتناع منها لما عند
في الطلب وحبس سلام بالقاهرة وأصحى ابنه بدر الى الصعيد
عساكر السلطان فقاتلهم وقتل الكاشف في حربه وسارت
مع الاق الشعباني وأحمد بن بيقا وايسال فتمل نورته فهر
في مخالفهم ورجعوا وعاد بدر الى البحيرة وشغلت الدولة عنهم ع
عنده واتصل فساد بدر واشاعه فخرجت اليه العساكر مع ال
والجوباني أمير مجلس وغيرهم من الامراء العربية وركـ
بدر على قتالهم فخاطهم المدبر بذلك فانتبذوا عن الخيام و
مراكزهم حتى توسط القوم الخيم وشغلوا بنهبه فكرت ع
يستلحمونهم ولم يفلت منهم الا الاقل وبعث بدر بالطاعة وا
ورجعت العساكر وولى نكبتمر الشريف على البحيرة ثم استـ
بدر الى حاله فخرجت العساكر فهرب أمامها وعاث القرظـ

كان ذو الحجة سنة تسع وسبعين استعجل أصحابه على غير رويّة وبعثوا اليه بأجمعهم وقعد عن الركوب واجتمع برقوق وبركة بالاصطبل   اليه وقاتل مماليك طشتمر بالرميلة ساعة من نهار ثم انهزموا وافترقوا واستأمن طشتمر فأمنوه واستدعوه الى القلعة فقبضوا عليه وعلى جماعة من أصحابه منهم اطلمش الارغونى ومدلان الناصرى وأمير حاج بن مغلطاى ودوادار أرغون وبعث بهم الى الاسكندرية فحبسوا بها وبعث معهم بيبقا الناصرى كذلك ثم أفرج عنه لايام وبعثه نائبا على طرابلس ثم أفرج عن طشتمر بعد ذلك الى دمياط ثم الى القدس الى ان مات سنة سبع وثمانين واستقامت الدولة للاميرين بعد اعتقالهما وتثلث لهما من المنازعين وولى الامير برقوق اتابكا وولى الماخورية الجاى الشمسى وولى قريبه ايبال أمير سلاح مكان بيبقا الناصرى وولى أيتمر العثمانى دوادار مكان اطلمش الارغونى وولى الطنبغا الجوبانى رأس نوبة نائبا ودمرداش أمير مجلس   وتوفى بيبقا النظامى نائب حلب وولى مكانه عشقتمر الماردانى ثم استأذن   فأذن له وحبس بالاسكندرية وولى مكانه بحلب تمرتاش الحسينى الدمرداشى ثم أفرج عنه وأقام بالقدس قليلا ثم استدعاه بركة وأكرم نزله وبعثه نائبا الى حلب

(ثورة ايبال ونكبته)

كان ايبال هذا أمير سلاح وكان له مقام فى الدولة وهو قريب الامير برقوق وكان شديد الانحراف على الامير بركة ويحمل قريبه على منابذته ولا يجيبه الى ذلك فاعتزم على الثورة وتحين لها سفر الامير بركة الى البحيرة متصيدا فركب الامير برقوق فى بعض تلك الايام متصيدا بساحة البلد فرأى ان قد خلا له الجو فركب وعمد الى باب الاصطبل ملكه ومعه جماعة من مماليكه ومماليك الامير برقوق وتقبضوا على أمير الماخورية جركس الخليلى واستدعوا السلطان المنصور ليظهروه للناس فمنعه المقدمون من باب الستارة وجاء الامير برقوق من صيده ومعه الاتابك الشمسى فوصلوا الى منزله خارج القلعة وأفرغوا السلاح على سائر مماليكهم وركبوا الى ساحة الاصطبل ثم قصدوا الى الباب فأحرقوه وتسلق الامير قرطاى المنصورى من جهة باب السر وفتحه لهم فدخلوا اليه وداخلوا ايبال وانفض عليه المماليك الذين كانوا معه من مماليك الامير برقوق ورموه بالسهام فانهزم ونزل الى بيته جريحا وأحضر الى الامير برقوق فاعتذر له بأنه لم يقصد بفعله الا التغلب على بركة فبعث به الى الاسكندرية معتقلا وأعاد بيبقا الناصرى أمير سلاح كما كان واستدعى له من نيابة طرابلس ووصل الخبر الى بركة فأسرع الكر من البحيرة واستفحل الحال وتناكروا فى الوظائف التى خانت فى هذه القصة

مصر [illegible] ثم ولي [illegible] من [illegible] ثم ولي صفد بعدها [illegible] مثل قردم وقرمه
[illegible] ثم [illegible] بالاسكندرية ثم أخرج عنه في صفر سنة
[illegible] ثم ولي مكانه [illegible] الاحمدي نائب حلب فولي ابن ال
[illegible] آخر سنة [illegible] وولي مكانه سيفا المهدي نائب دمشق
وولي مكانه [illegible] ثم ولي سنة احدى [illegible] جبار بن المهنا أمير العرب
بالشام فولي مكانه معيقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن عيسى شريكين ثم عزلا
وولي نعير بن جبار

(ثورة بركة ونكبته واستقلال الأمير برقوق بالدولة)

[illegible] الأمير بركة يعادل الامير برقوق في حمل الدولة كما ذكرناه وكان أصحابه يغرونه بالاستبداد في الاحوال وكان الامير برقوق كثير التثبت في الامور والميل الى الخير فيعارضهم في الغالب ويضرب على أيديهم في الكثير من الاحوال فغصوا بمكانه وأغروا بركة بالتوثب والاستقلال بالامر وسعوا عنده بأيتمش من كبار أصحاب الامير برقوق وأنه يحمل برقوق على مقاطعة بركة ويفسد ذات بينهما وأنه يطالب الأمر لنفسه وقد اعتزم على الوثوب عليهما فجاء بركة بذلك الى الامير برقوق وأراد القبض على أيتمش فمنعه الامير برقوق ودفع عنه وعلم انحراف بركة على أيتمش ثم عن الامير برقوق وسعى في الاصلاح بينهما الاكابر مثل كمال الدين شيخ التكية والملطي شيخ الصوفية من أهل خراسان وجاؤا بأيتمش الى بركة مستعتبا فأعتبه وخلع عليه ثم عاود الانحراف ثانية فجمع أعطافه وسكن ودس جمع الثورة والفتك ثم عاود حاله ثالثة واتفق أن صنع في بيت الامير برقوق لمرور وليمة في بعض أيام الجمعة في شهر ربيع سنة ثنتين وثمانين وحضر عنده أصحاب بركة كلهم وأهل شوكته وقد جاءه النصيح بأن بركة قد أجمع الثورة غداة يومه فقبض الامير برقوق على من كان عنده من أصحاب بركة لحضور جماعتهم وأركب حاشيته للقبض عليه واصعد بلان الناصري على مأذنة مدرسة حسن فنضحه بالنبل في اصطبله وركب بركة الى قبة النصر وخيم بها وتوثق في العامة بنهب بيوته فنهبوها للوقت وخربوها وتحيز اليه بيبغا الناصري وخرج معه وجلس الامير برقوق بباب القلعة من ناحية الاصطبل وسرح الفرسان بتاب والقتال عنه يومهم فزحف بركة على تعبيتين احداهما البيبغا الناصري وخرج [illegible] التيمياني [illegible] وأيتمش لقتال يبغا الناصري فانهزم أصحاب بركة ورجع الى قبة النصر وقد اثخنوا بالجراح وتسلل أكثرهم الى بيته وأقام الليل ثم دخل الى جامع [illegible] ونمى الى الامير برقوق خبره فأركب اليه الطنبغا الجوباني

بياض بالاصل

ونيابته الى القلعة وبعث به الامير برقوق الى الاسكندرية فحبس بها الى ان قتله الناصر
شهاب الدين بن عرام وقتل به في خبر يأتي شرحه ان شاء الله تعالى وتقبض على
بيبقا الناصري وسائر شيعته من الامراء وأودعهم السجون الى ان استقامت
الاحوال وولى وظائفهم من أوقع عليه نظره من امراء الدولة وأفرج عن ايبال الشامي
قبله وبعثه نائبا على طرابلس واستقل بحمل الدولة واستقامت به أحوالها واستراب
بسيدمر نائب دمشق لصحابته مع بركة فتقبض عليه وعلى أصحابه بدمشق وولى نيابة
دمشق عشقتمر ونيابة حلب ايبال وولى اشمس الاتابكية مكان بركة والاق الشعباني
أمير سلاح والطنبغا الجوبانى أمير مجلس وابقا العثمانى دوادارو بركس الخليلي
أمير الماخور به والله تعالى ولى التوفيق

(انتقاض أهل البحيرة وواقعة العساكر)

كان هؤلاء الطواعن الذين عمروا الدولة من بقايا هوارة ومراتة وزنارة يعمرونها
من تحت أيديهم من هذه القبائل وغيرهم ويقومون بخراج السلطان كل سنة في ابانه
وكانت الرياسة عليهم حتى في اداء الخراج لبدر بن سلام وآبائه من قبله وهو من زنارة
احدى شعوب لواتة وكان للسادية المتبدين مثل أبي ذئب شيخ أحياء مهراتة وعمرة
ومثل بني التركية امراء العرب بعقبة الاسكندرية اتصال بهم لاحتياجهم الى الميرة
من البحيرة ثم استخدموا الامراء الترك في مقاصدهم وأموالهم واعتروا بجاههم وأسفوا
على نظائرهم من هوارة وغيرهم ثم حدثت الزيادة في وظائف الجباية كما هي طبيعة
الدول فاستثقلوها وحدثتهم أنفسهم بالامتناع منها لما عندهم من الاعتزاز وأرهقوا
في الطلب وحبس سلام بالقاهرة وأجفل ابنه بدر الى الصعيد بالقبلية واعترضته هنالك
عساكر السلطان فقاتلهم وقتل الكاشف في حربه وسارت اليه العساكر سنة ثمانين
مع الاق الشعباني وأحمد بن بيبقا وايبال قبل ثورته فهربوا وعاثت العساكر
في مخلفهم ورجعوا وعاد بدر الى البحيرة وشغلت الدولة عنهم بما كان من ثورة ايبال وركه
بعده واتصل فساد بدر وامتناعه فخرجت اليه العساكر مع الاتابك اشمس والامير سلام
والجوباني أمير مجلس وغيرهم من الامراء الغربية ونزلت العساكر البحيرة واعتزم
بدر على قتالهم فجاءهم النذير بذلك فانتبذوا عن الخيام وتركوها خاوية ووقفوا على
مراكزهم حتى توسط القوم الخيم وشغلوا بنهبه فكرت عليهم العساكر فكادوا
يستلحمونهم ولم يفلت منهم الا الاقل وبعث بدر بالطاعة واعتذر بالخوف وقام بالخراج
ورجعت العساكر وولى تكتمر الشريف على البحيرة ثم استبدل منه بقرط بن عمر ثم عاد
بدر الى حاله فخرجت العساكر فهرب أمامها وعاث القرط فيهم وقتل الكثير من رجالهم

وحبس آخرين ورجع عن بدر أصحابه مع ابن عمه ومات ابن شادي وطلب الباقي الامان فأمنوا وحبس رجال منهم وضمن الباقون القيام بالخراج واستأمن بدر فلم يقبل فلحق بناحية الصعيد واتبعته العساكر فهرب واستبيح مخلفه واحياؤه ولحق ببرقة ونزل على أبي ذئب فأجاره واستقام أمر البحيرة وعكن قرط من جباياتها وقتل رحاب وأولاد شادي وكان قرطاي يستوعب رجالتهم بالقتل وأقام بدر عند أبي ذئب يتردد ما بين احيائه وبين الواحات حتى لقيه بعض أهل الثأر عنده فثأروا منه سنة تسع وثمانين وذهب مثلا في الآخرين والله تعالى أعلم

(مقتل بركة في محبسه وقتل ابن عزام بثأره)

كان الامير بركة استعمل أيام امارته خليل بن عزام استاندداره ثم اتهمه في ماله وسخطه ونكبه وصادره على مال امتحنه عليه ثم أطلقه فكان يطوى له على النكث ثم صار بركة الى ما صار اليه من الاعتقال بالاسكندرية وتولى ابن عزام نيابتها فحاول على حاجة نفسه في قتل بركة ووصل الى القاهرة متبرئا من أمره متخوفا من مغبته ورجع وقد طوى من ذلك على الدغل ثم حمله الحقد الكامن في نفسه على اغتياله في جنح الليل فأدخل عليه جماعة متسلحين فقتلوه وزعم انه أذن له في ذلك وبلغ الخبر الى كافل الدولة الامير برقوق وصرح مماليكه بالشكوى اليه فأنكر ذلك وأغلظ على ابن عزام وبعث دوداره الامير يونس يكشف عن سببه واحضار ابن عزام فجاء به مقيدا وأوقفه على شنيع مرتكبه في بركة فخلف الامير لقادن منه به وأحضر الى القلعة في منتصف رجب من سنة اثنتين وثمانين فضرب بباب القلعة اسواطا ثم حمل على جمل مشتهرا وأنزل الى سوق الخيل فتلقاه مماليك بركة فتناولوه بالسيوف الى أن تواقعت اشلاؤه بكل ناحية وكان فيه عظة لمن يتعظ أعاذنا الله من درك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء انتهى

(وفاة السلطان المنصور على بن الاشرف وولاية الصالح أمير حاج)

كان هذا السلطان على بن الاشرف قد نصبه الامير قرطاي في ثورته على أبيه الاشرف وهو ابن ثنتي عشرة سنة فلم يزل منصورا والامر ينتقل من دولة الى دولة كما ذكرناه الى أن هلك لخمس سنين من ولايته في صفر سنة ثلاث وثمانين فحضر الامير برقوق واستدعى الامراء واتفقوا على نصب أخيه أمير حاج ولقبوه الصالح وأركبوه الى الايوان فأجلسوه على التخت وقلده الخليفة على العادة وجعل الامير برقوق كافله في الولاية والنظر للمسلمين لصغره حينئذ عن القيام بهذه العهدة وأفتى العلماء يومئذ بذلك وجعلوه

من مضمون البيعة وقرئ كتاب التقليد على الأمراء والقضاة والخاصة والعامة في يوم مشهود وانفض الجمع وانعقد أمر السلطان وبيعته وضرب فيها للامير برقوق بسهم والله تعالى مالك الأمور

(وصول أنس الغسانى والد الامير برقوق وانتظامه في الامراء)

اصل هذا الامير برقوق من قبيلة جركس الموطنين ببلاد الشمال في الجبال المحيطة بوطء القفجاق والروس واللان من شرقيها المطلة على بسائطهم ويقال انهم من غسان الداخلين الى بلاد الروم مع أميرهم جبلة بن الايهم عندما أجفل هرقل الى الشأم وسار الى القسطنطينية وخبر مسيره من أرض الشأم وقصته مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه متناقلة معروفة بين المؤرخين وأما هذا الرأى فليس على ظاهره وقبيلة جركس من الترك معروفة بين النسابين وحلولهم بتلك المواطن قبل دخول غسان وتحقيق هذا الرأى ان غسان لما دخلوا مع جبلة الى هرقل أقاموا عنده ويئسوا من الرجوع لبلادهم وهلك هرقل واضطرب ملك الروم وانتشرت الفتنة هنالك في ممالكهم واحتاجت غسان الى الملجأ للمدافعة في الفتن وحالفوا قبائل جركس ونزلوا في بسيط جبلهم من جانبه الشرقى مما يلى القسطنطينية وخالطوهم بالنسب والصهر واندرجوا فيهم حتى تلاشت احياؤهم وصاروا الى وأووا من البسائط الى الجبال مع جركس فلا يبعد مع هذا أن تكون أنسابهم تداخلت معهم ممن انتسب الى غسان من جركس وهو مصدق في نسبه ويستأنس له بما ذكرناه ونسبة قوية في صحته والله تعالى أعلم وجلب هذا الامير برقوق على عهد الامير يبقا عثمان قراجا من التجار المعروفين يومئذ بتلك الجهات فلكه يبقا ورئي في اطباق بيته واوى من قصده ورشد في الرماية والثقافة وتعلم آداب الملك واسلم من جلدة الخشونة وترشح للرياسة والامارة والسعادة تشير اليه والعناية الربانية تحوم عليه ثم كان ما ذكرناه من شأن مماليك يبقا وهلاك كبيرهم يومئذ استدمر وكيف تقسموا بين الجلاء والسجن وكان الامير برقوق أعزه الله تعالى ممن أدركه التمحيص فلبث في سجن الكرك خمس سنين بين أصحابه منهم فكانت تهيئة لما يلقى من توالفه وتذكرة له بالرجوع الى الله ليتم ما قدره الله فيه من حمل امانته واسترعاء عباده ثم خلص من ذلك الحبس مع أصحابه وخلى سبيله فانطلقوا الى الشأم واستخلصهم الامير منجك نائب الشأم يومئذ وكان بصيرا مجربا فألقى محبته وعنايته على هذا الامير لما رأى عليه من علامات القبول والسعادة ولم يزل هنالك في خالصته الى أن هجس في نفس السلطان

الاشرف استدعاء المرشحين من مماليكه وهذا الامير يقدمهم وأفاض فيهم الاحسان واستضافهم لولده الامير على ولم يكن الا أيام وقد انتقض الجاى القائم بالدولة وركب على السلطان فأحضرهم السلطان الاشرف وأطلق أيديهم فى خيوله المغربية وأسلحته المستجادة فامتاز منهم ما اختاروه وركبوا فى مدافعة الجاى وصدقوه القتال حتى دافعوه على الرملة ثم اتبعوه حتى ألقى نفسه فى البحر فكان آخر العهد به واحتلوا بمكان من أثرة السلطان واختصاصه فسوغ لهم الاقطاعات وأطلق لهم الجرايات ولهذا الامير بين يديه من بينهم مزيد مكانة ورفيع محل الى أن خرج السلطان الاشرف الى الحج وكان ماقدمناه من انتقاض قرطاى واستبداده ثم استبداد ايبك من بعده وقد عظم محل هذا الامير من الدولة وغاعزه وسمت رتبته ثم فسد أمر ايبك وتغلب على الامر جماعة من الامراء مفترقى الاهواء وخشى العقلاء انتقاض الامر وسوء المغبة فبادر هذا الامير وتناول الحبل بيده وجعل طرفه فى يد بركة رديفه فأمسك معه برهة من الايام ثم اضطرب وانتقض وصار الى ما صار اليه من الهلاك واستقل الامير برقوق بحمل الدولة والعناية الربانية تكفله والسعادة تواخيه وكان من جميل الصنع الربانى له أن كيف الله غريبة فى اجتماع شمل أبيه به فقدم وفد التجار بأبيه من قاصية بلادهم بعد أن أعملوا الحيلة فى استخلاصه وتلطفوا فى استخراجه وكان اسمه أنس فاحتفل ابنه الامير برقوق من مبرته وأركب العساكر وسائر الناس على طبقاتهم لتلقيه واعد الخيام بسرياقوس لنزوله فحضروا هنالك جميعا فى ثانى ذى الحجة سنة ثنتين وثمانين وجلس الامير أنس الوافد صدر المجلس وهم جميعا حفافيه من القضاة والامراء ونصب السماط فطعم الناس وانتشروا ثم ركبوا الى البلد وقد زينت الاسواق وأوقدت الشموع وماجت السكك بالنظارة من عالم لا يحصيهم الا خالقهم وكان يوما مشهودا وأنزله بالاصطبل تحت المدينة الناصرية ونظمه السلطان فى أقربائه وبنى عمه وبنى اخوانه واجتمع شملهم به وفرض لهم الارزاق وقررهم فى الوظائف ثم مات هذا الاب الوافد وهو الامير أنس رحمه الله فى أواسط [بياض] وثمانين بعد أن أوصى بحجة اسلامه وشرفت مراتب الامارة بمقامه ودفنه السلطان بتربة الدوادار يونس ثم نقله الى المدفن بجوار المدرسة التى أنشاها بين القصرين سنة ثمان وثمانين والله يؤتى الملك من يشاء

بياض بالاصل

(خلع الصالح أمير حاج وجلوس الامير برقوق على التخت واستبداده بالسلطان)

كان أهل الدولة من البيبغاوية من ولى منهم هذا الامير برقوق قد طمعوا فى الاستبداد وظفروا بلذة الملك والسلطان ورتعوا فى ظل الدولة والامان ثم سمت أحوالهم الى أن

يستقل أمرهم بالدولة ويستبدون دون الاصاغر من المنتصبين بالملك وربما أشار
بذلك بعض أهل الفتيا يوم بيعة أمير حاج وقال لابد أن يشرك معه في تفويض الخليفة
الامير القائم بالدولة لتنشد الناس الى عقدة محكمة وأمضى الامر على ذلك وقام
الامير بالدولة فآنس الرعية بحسن سياسته وجميل سيرته واتفق أن جماعة من الامراء
المختصين بهذا الصبي المنصوب عموا بمكان هذا الامير وتفاوضوا في الغدر به وكان
متولي ذلك منهم ايقا العثماني دوادار السلطان ونمى الخبر اليه بذلك فتقبض عليهم
وبعث ايقا الى دمشق على امارته وغرب الآخرين الى قوص فاعتقلوا هنالك حتى
أنفذ الله فيهم حكمه واتفق الامراء من تدبر مثل هؤلاء عليهم وتفاوضوا في محو
الاصاغر من الدست وقيامه بأمرهم مستقلا فجمعهم لذلك في تاسع عشر رمضان سنة
أربع وثمانين وحضر الخاصة والعامة من الجند والقضاة والعلماء وأرباب الشورى
والفتيا وأطبقوا على بيعته وعزل السلطان أمير حاج فبعث اليه أميرين من الامراء
فادخلوه الى بيته وتناولوا السيف من يده فأحضروها ثم ركب هذا السلطان من
مجلسه بباب الاصطبل وقد لبس شعار السلطنة وخلعة الخلافة فتخلل الى القصور
السلطانية وجلس بالقصر الابلق على التخت وأتاه الناس ببيعتهم أرسالا وانعقد أمره
يومئذ ولقب الملك الظاهر وقرعت الطبول وانتشرت البشائر وخلع على أمراء الدولة
مثل أيتمش الاتابك والطنبغا الجوباني أمير مجلس وجركس الخليلي أمير الماخورية
وسودون الشيخوني نائبا والطنبغا المعلم أمير سلاح ويونس النوروزي دوادار وقردم
الحسني رأس نوبة وعلى كاتبه أوحد الدين بن ياسين كاتب سره أدال به من بدر الدين بن
فضل الله كاتب سر السلطان من قبل وعلى جميع أرباب الوظائف من وزير وكاتب
وقاض ومحتسب وعلى مشاهير العلم والفتيا والصوفية واستقامت الدولة أحسن انتظام
وسر الناس بتحولهم في ايالة السلطان يقدر للامور قدرها ويحكم أواخيها واستأذنه
الطنبغا الجوباني أمير مجلس في الحج تلك السنة وأذن له فانطلق لقضاء فرضه وعاد
انتهى والله تعالى أعلم

(مقتل قرط وخلع الخليفة ونصب ابن عمه الواثق للخلافة)

كان قرط بن عمر من التركمان المستخدمين في الدولة وكان له اقدام وصرامة رقاه بهما الى
محل من مرادفة الامراء في وجوههم ومذاهبهم ودفع الى ولاية الصعيد ومحاربة
أولاد الكنز من العرب الجائلين في نواحي اسوان فكان له في ذلك غناء وأحسن
في تشريدهم عن تلك الناحية ثم بعث الى البحيرة واليا عندما انتقض بدر بن سلام
وفراره ومرجع العساكر من تمهيدها فقام بولايتها وتتبع آثار أولئك المنافقين

وحسم عللهم وحضر فى ثورة اينال بخلاف ذلك اليوم لشهامته واقدامه وكان هو المتولى تسور الحائط واحراق الباب الظهرانى الذى ولجوا عليه وامسكوه فكان يمت بهذه الوسائل اجمع والسلطان يرعى له الا انه كان ظلوما غشوما فكثرت شكايات الرعايا والمتظلمين به فقبض عليه لاول بيعته وأودعه السجن ثم عفا عنه وأطلقه وبقى مباكرا باب السلطان مع الخواص والاولياء وطوى على الغش وتربص بالدولة ونمى عنه أنه فاوض الخليفة المتوكل بن المعتضد فى الانتقاض والاجلاب على الدولة بالعرب المخالفين بنواحى برقة من أهل البحيرة وأصحاب بدر بن سلام وأن يفوض الخليفة الامر الى سوى هذا السلطان القائم بالدولة وانه داخل فى ذلك بعض ضعفاء العقول من امراء الترك ممن لا يؤبه له فاحضرهم من غدائه وعرض عليهم الحديث فوجموا وتناكروا وأقر بعضهم واعتقل الخليفة بالقلعة وأخرج قرط هذا الوقته فطيف به على الجمل مسمرا ابلاغا فى عقابه ثم سيق الى مصرعه خارج البلد وقد بالسيف نصفين وضم الباقون الى السجون وولى السلطان الخلافة عمر بن ابراهيم الواثق من أقاربه وهو الذى كان الملك الناصر ولى أباه ابراهيم بعد الخليفة أبى الربيع وعزل عن ابنه أحمد كما مر وكان هذا كله فى ربيع سنة خمس وثمانين وولى مكانه أخوه زكريا ولقب المعتصم واستقرت الاحوال الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(نكبة الناصرى واعتقاله)

كان هذا الناصرى من مماليك يبقا وأرباب الوظائف فى أيامه وكان له مع السلطان الظاهر ذمة وداد وخلة من لدن المربى والعشيرة فقد كانوا أترابا بها وكانت لهم يد الله عليه لعلو سنه وقد ذكرنا كيف استبدوا بعد أيبك ونصبوا الناصرى أتابكا ولم يحسن القيام عليها وجاء طشتمر بعد ذلك فكان معه حتى فى النكبة والحبس ثم أشخص الى الشأم وولى على طرابلس ثم كانت ثورة اينال ونكبته فى جمادى سنة احدى وثمانين فاستقدمهم من طرابلس وولى أميرسلاح مكان اينال واستخلصه الامير بركة وخلطه بنفسه وكانت نكبته فحبس معه ثم أشخص الى الشأم وكان اينال قد أطلق من اعتقاله وولى على حلب سنة ثنتين وثمانين مكان منكلى بغا الاحمدى فاقام بها سنة أو نحوها ثم نمى عنه خبر الانتقاض فقبض عليه وحبس بالكرك وولى مكانه على حلب يلبغا الناصرى فى شوال سنة ثلاث وثمانين وقعد الظاهر على التخت اسنة بعدها واستبد على مصر وكان الناصرى لما عنده من الدالة يتوقف فى انفاذ أوامره لما يراه من المصالح بزعمه والسلطان ينكر ذلك ويحقده عليه وكان له مع

الطنبغا الجوباني أمير مجلس أحد اركان الدولة سلف لم يعن عمه وأمر السلطان بالقبض على مولى بن بلقادر حين وفد عليه بحلب تأبى من ذلك صوبا لوفائه رعيه ودين بذلك الى مولى مهرب وعامين السكبة ووفد على السلطان سنة خمس وثمانين وجدد حلفه مع الجوباني ومع أيتمس الاتابك ورجع الى حلب ثم خرج بالعساكر الى التركمان آخر سنة خمس وثمانين دون اذن السلطان فانهزم وفسدت العساكر ونجا بعد ثالثة جريحا وأحقد عليه السلطان هذه كلها ثم استقدمه سنة سبع وثمانين فلما انتهى الى سرياقوس تلقاه بها استاذدار فقبض عليه وطير به الى الاسكندرية فحبس بها مدة عامين وولى مكانه بحلب الحاجب سودون المظفر وكان عينة نصح للسلطان وعينا على الناصري فيما يأتيه ويذره لانه من وظائف الحاجب للسلطان فى دولة الترك جملة البريد المعروفة فى الدول القديمة فهو بطانة السلطان بما يحدث فى عمله ويعترض شجا فى صدر من يروم الانتقاض من ولاته وكان هذا الحاجب سودون هو الذى ينمى أخباره الى السلطان ويطلعه على مكامن مكره فلما حبس الناصري بالاسكندرية ولاه مكانه بحلب وارتاب الجوباني من نكبة الناصري لما كان بينهما من الوصلة والحلف فوجم واضطرب وتبين السلطان منه النكر فنكبه كما نذكره بعد ان شاء الله تعالى وأقصاه والله أعلم

* (اقصاء الجوباني الى الكرك ثم ولايته على الشأم بعد واقعة بندمر) *

أصل هذا الامير الجوباني من قبائل الترك واسمه الطبغا وكان من موالى يبغا الخاصكى المستولى على السلطان الاشرف وقد مر ذكره فى قصره وجوعره ولقى الخلال والآداب فى كنفه وكانت بينه وبين السلطان خلة ومصافاة اكسبتها له تلك الكفالة عما كانا رضيعى ثديها وكوكبى أفقها وتربى مرقاها وقد كان متصلا بما قبله بينهما من لدن المربى فى بلادهم واشتمل بعضهم على بعض واستحكم الاتحاد حتى بالعشرة أيام التمحيص والاغتراب كما مر ولقد كان معتقلا معه بالكرك أيام المحنة حسامين السببين أدال الله لهذا السلطان حرثهما المسرة والعوضة بالسعادة والسجن بالملك وقسمت للجوباني بما اسلفه من رحمة الله وعنايته فى خدمة السلطان بدار الغربة والمحنة والفته به فى المنزل الخشن لتعظم له الوسائل وتكرم الاذمة والعهود

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ثم كان انطلاقهما الى الشأم ومقامهما جميعا واستدعاؤهما الى دار الملك ورقيهما فى درج العز والتغريب كذلك وكان للسلطان أصحاب سراة يمتون اليه بمثل هذه الوسائل وينتظمون فى سلكها وكان متميز الرتبة عنهم سابقا فى مرقى درجات العز أمامهم مجليا

في الحلبة التي فيها اطلقهم الى أن ظفر بالملك واستولى على الدولة وهو يستتبعهم في مقاماته ويوطئهم عقبه ويذلل لهم الصعاب فيقتحمونها ويحوزلهم الرتب فيستهونون عليها ثم اقتعد منبر الملك والسلطان واستولى على كرسيه وقسم مراتب الدولة ووظائفها بين هؤلاء الاصحاب وآثر الجوباني منهم بالصفاء والمرباع فجعله أمير مجلسه ومعناه صاحب الشورى في الدولة وهو ثاني الاتابك وتلو رتبته فكانت له القدم العالية من أمرائه وخلصائه والحظ الوافر من رضاه وايثاره وأصبح أحد الاركان التي بها اعمد دولته وأرسى ملكه بقواعدها الى أن دبت عقارب الحسد الى مهاده وحومت شباة باساطينها وأعمل الحزم على امهاله فقبض عليه يوم السعاية على قرطاسه وارتاب السلطان بمكانه وأودعه بعض حجر القصر عامة يومه ثم أقصاه الاثنين لسبع بقين من سنة سبع وثمانين وأرسله الى الكرك وعواطف الرحمة تنازعه وسجايا الكرم والوفاء تقض من سخطه ثم سمح وهو بالخير أسمح وجنح وهو الى الادنى من الله أجنح فسرح اليه من الغد برسوم النيابة على تلك الاعمال فكانت غريبة لم يسمع بمثلها من حلم هذا السلطان واناته وحسن نيته وبصيرته وكرم عهده وجميل وفائه وانطلقت الالسن بالدعاء له وامتلأت القلوب بالمحبة وعلم الاولياء والخاصة والشيع والكافة انهم في كفالة أمن ولطف وملكة احسان وعدل ثم مكث حولا يتعقب أحواله ويتتبع سيره وأخباره طاويا شأنه في ذلك عن سائر الاولياء الى أن وقف على الصحيح من أمره وعلم خلوص مصادقته وجميل خلوصه فاخفق سعي الداعين ونابت ظنون الكاشحين وأداله العتبى من العتاب والرضا من النكرى واعتقد ان يحو عنه هواجس الاسترابة والاستيحاش ويرده الى أرفع الامارة وبينما هو يطوي على ذلك ضميره ويناجي سره اذ حدثت واقعة بندمر بالشام فكانت ميقاتا للبدر السعادة وعلما على فوزه بذلك الحظ كما نذكر ان شاء الله تعالى وخبر هذه الواقعة أن بندمر الخوارزمي كان نائبا بدمشق وقد مر ذكره غير مرة وأصله من الخوارزمية اتباع خوارزم شاه صاحب العراق عند استيلاء التتر وافتراقوا عند مهلكه على يد جنكزخان في ممالك الشأم واستخدموا لبني أيوب والترك أول استبدادهم بمصر وكان هذا الرجل من أعقاب أصلهم وكان له نجابة جذبت بضبعه ونصب عند الامراء من سوقه فاستخدم بها الى أن ترشح للولاية في الاعمال وتداول امارة دمشق مع منجك اليوسفي وعشقتمر الناصري وكان له انتقاض بدمشق عند تغلب الخاصكي وحاصره واستنزله بامانه ثم أعيد الى ولايته ثم تصرمت تلك الدول وتغلب هذا السلطان على الامر وردفه فولوه على دمشق وكانت صاغيته مع بركة فلما حدث انتقاض بركة كتب اليه والى بقرى بدمشق أولياؤه هنالك بالاستيلاء

على القلعة وكتب برقوق الى نائب القلعة بحذرهم فركب جنتمر اخو طاز وابن برجى
ومحمد بك وقاتلوا ثلاثا ثم أمسكوا وقيدوا ومعه بقرى بن برقش وجبريل مرتبه وسيقوا
الى الاسكندرية فحبسوا بها ولما قتل بركة أطلق سندمر ومن كان حبس من أصحاب بركة
مثل بيبغا السابرى ودمرداش الاحمدى ثم استخلصه السلطان برقوق ورده الى عمله
الاول بعد جلوسه على التخت والشأم له وكان جماعا للاموال شديد الظلامة فيها متعللا
على استخلاصها من أيدى أهلها بما يطرق لهم من أسباب العقاب مصانعة الحاشية
غالبة من حاشيته الى أن سئم الناس ايالته وزجمت القلوب منه وكان بدمشق جماعة
من الموسوسين المتسامرين لطلب العلم بزعمهم منتمون فى عقيدتهم بين مجسم ورافضى
وحلولى جمعت بينهم انساب الضلال والحرمان وقعدوا عن نيل الرتب بما هم فيه
تلبسوا باظهار الزهد والنكير على الخلق حتى على الدولة فى توسعة بطلان الاحكام
والجباية عن الشرع الى السياسة التى تداولها الخلفاء وأرخص فيها العلماء وأرباب
الفتيا وحملة الشريعة بما تمس اليه الحاجة من الوازع السلطانى والمعونة على الدفاع
وقديما نصبت الشرطة الصغرى والكبرى ووظيفة المظالم ببغداد دار السلام ومقر
الخلافة وايوان الدين والعلم وتكلم الناس فيها بما هو معروف وفرضت ارزاق العساكر
فى أثمان البياعات عند حاجة الدولة الاموية فليس ذلك من المنكر الذى يعتد بتغييره
فلبس هؤلاء الحمق على الناس بامثال هذه الكلمات وداخلوا من فى قلبه مرض من
الدولة وأوهموا ان قد وثقوا من الحل والعقد فى الانتقاض فربما اتصلوا وجعلوا يوم
نهايته وعدوا على كافل القلعة بدمشق وساموه ايالتهم الدخول معهم فى ذلك
لصحابة كانت بين بعضهم وبينه فاعتقلهم وطالع السلطان بأمرهم وتحدث الناس أنهم
داخلوا فى ذلك بيندمر النائب بمداخلة بعضهم كابنه محمد شاه ونمى الخبر بذلك الى
السلطان فارتاب به وعاجله بالقبض والتوثق منه ومن حاشيته ثم أخرج مستوفى
الاموال بالحضرة لاستخلاص ما احتازه من أموال الرعايا واستأثر به على الدولة
وأحضر هؤلاء الحمق ومن تسور سيرتهم مقيدين الى الابواب العالية فقذفوا فى السجون
وكانوا أحق بغير ذلك من أنواع العذاب والنكال وبعث السلطان لعشقتمر الناصرى
وكان مقيما بالقدس أن يخرج نائبا على دمشق فتوجه اليها وأقام رسم الامارة بها
أياما ظهر فيها عجزه وبعد عن تلك الرتبة قعوده بما أصابه من وهن الكبر وطوارق الزمانة
والضعف حتى زعم وانه كان يحمل على الفراش فى بيته الى منعقد حكمه فعندها بعث
السلطان عن هذا الامير الجوبانى وقد خلص من المحنة ابريزه وأينع بنفحات الرضا
والقبول عوده وأبرح بمطالعة الانس والقرب روعه فجاء من الكرك على البريد وقلده

أعدت له أنواع الكرامة وهيئ له المنزل والركاب والفرش والثياب والآنية والخوان والمرافق والصوان واحتفل السلطان لقدومه وتلقيه بما لم يكن في أمله وقضى الناس العجب من حلم هذا السلطان وكرم عهده وجميل وفائه وتحدث به الركبان ثم ولاه نيابة دمشق وبعثه اكريسهامًا الى البدماني الحكم عزيز الولاية وعسكر بالزيدانية بظاهر القاهرة ثالث ربيع الأول من سنة سبع وثمانين وارتحل من الغد وسعادة السلطان تقدمه ورضاه ينقله الى أن قارب دمشق والناس يتلقونه أرسالا ثم دخل المدينة غرة ربيع الثاني وقد احتفل الناس لقدومه وغصت السكك بالمتنزهين وتطاول الى دولته أرباب الحدود وتحدث الناس بجمال هذا المشهد الحفيل وتناقلوا خبره واستقل بولاية دمشق وعناية السلطان تلاحظه ومذاهب الطاعة والخلوص تهديه بحسن ذكره وأفاض الناس الثناء في حسن اختياره وجمال مذهبه وأقام السلطان في وظيفته أحمد ابن الامير بيبغا فكان أمير مجلس والله غالب على أمره

(هدية صاحب افريقية)

كان السلطان لهذا العهد بافريقية من الموحدين ومن أعقاب الامير أبي زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي المستبد بافريقية على بني عبد المؤمن ملوك مراكش أعوام خمس وعشرين وستمائة وهو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن ابراهيم أبي زكريا سلسلة ملوك كلهم ولم تزل ملوك المغرب على القدم ولهذا العهد يعرفون للملوك الترك بمصر حقهم ويوجبون لهم الفضل والمزية بما خصهم الله من ضخامة الملك وشرف الولاية بالمساجد المعظمة وخدمة الحرمين وكانت المهاداة بينهم تتصل بعض الاحيان ثم تنقطع بما يعرض في الدولتين من الاحوال وكان لي اختصاص بذلك السلطان ومكان من مجلسه ولما رحلت الى هذا القطر سنة أربع وثمانين واتصلت بهذا السلطان بمصر الملك الظاهر سألني عنه لأول لقيه فذكرته له بأوصافه الحميدة وما عنده من الحب والثناء ومعرفة حقه على المسلمين أجمع وعلى الملوك خصوصا في تسهيل سبيل الحج وحماية البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود أحسن الله جزاءه ومثوبته ثم بلغني أن السلطان بافريقية صد أهلي وولدي عن اللحاق بي اغتباطا بمكاني وطلبا لفيئتي الى بابه ورجوعي فتطارحت على هذا السلطان في وسيلة شفاعة تسهل منه الاذن فاسعفني بذلك وخاطبت ذلك السلطان كان الله له أغبطه بمودة هذا السلطان والعمل على مواصلته ومهاداته كما كان بين سلفهم في الدولتين فقبل مني وبادر الى اتحافه بعقربات افليس عندنا في المغرب تحفة تطرف بها ملوك الشرق الا الجياد العرب

وأما ما سوى ذلك من أنواع الطرف والتحف بالمغرب فكثير لديهم أمثاله ويقبح أن
يطرف عظماء الملوك بالتافه المطروح لديهم واختار لتلك سفينته التي أعدها لذلك
وأنزل بها أهلي وولدي بوسيلة هذا السلطان أيده الله لتهون سبيل البحر وتقرب
مسافته فلما قاربوا مرسى الاسكندرية عاقتهم عواصف الرياح عن احتلال السفينة
وغرق معظم ما فيها من الحيوان والبضائع وهلك أهلي وولدي فيمن هلك ونفقت تلك
الجياد وكانت رائعة الحسن صافية النسب وسلم من ذلك المهلك رسول جاء من ذلك
السلطان لتأكيد العهد وتقرير المودة فتلقي بالقبول والكرامة وأوسع النزل والقرى ثم
اعتزم على العودة الى مرسله فانتقى السلطان ثيابا من الوشي المرقوم من عمل العراق
والاسكندرية يفوت القيمة واستكثر منها واختص بها السلطان ملك افريقية على يد هذا
الرسول على عادة عظماء الملوك في اتحافهم وهداياهم وخاطبت ذلك السلطان معه
بحسن الثناء على قصده وجميل موقع هديته من السلطان واستحكام مودته له وأجابني
بالعذر من الموقع وأنه مستأنف من الاتحاف للسلطان واستحكام مودته بما يسره
الحال فلما قدم الحاج من المغرب سنة ثمان وثمانين وصل فيهم من كبار العرب بدولته
وأبناء الاعاظم المستقين على سلفه عبد بن القائد أبي عبد الله محمد بن ابا الحكيم
بهدية من المقربات رائقة الحلى رائعة الاوصاف منتخبة الاجناس والانساب غريبة
الالوان والاشكال فاعترضها السلطان وقابلها بالقبول وحسن الموقع وحضر الرسول
بكتابه فقرئ وأكرم حامله وأنعم عليه بالزاد لسفر الحج وأوصى أمراء العمل بقضاء
فرضه على أكمل الاحوال وكانت أهم أمنيته ثم انقلب ظافرا بقصده واعاده
السلطان الى مرسله بهدية نحو من الاولى من أجناس تلك الثياب ومستجادها بما
يجاوز الكثرة ويفوت واستحكمت عقدة المودة بين هذين السلطانين وشكرت الله
على ما كان فيهما من أثر مسعاي ولو قل وكان وصل في جملة الحاج من المغرب كبير
العرب من هلال وهو يعقوب بن علي بن أحمد أمير رياح الموطنين بضواحي قسنطينة
وبجاية والزاب في وفد من بنيه وأقربائه ووصل في جملتهم أيضا عون بن يحيى بن طالب
ابن مهلهل من الكعوب أحد شعوب سليم الموطنين بضواحي تونس والقيروان والجريد
وسوأبيه فقضوا فرضهم أجمعين وانقلبوا الى مواطنهم أواسط شهر ربيع الآخر من
سنة تسع وثمانين واطردت أحوال هذه الدولة على أحسن ما يكون والله متولي أمرها
بمنه وكرمه انتهى

(حوادث مكة وأمرائها)

قد تقدم لنا أن ملك مكة صار في هذه الاعصار لبني قتادة من بني مطاعن الهواشم بني

حسن وذلك منذ دولة الترك وكان ملكهم بها بدويا وهم يعطون الطاعة لملك مصر
ويقيمون مع ذلك الدولة العباسية للخليفة الذي ينصبه الترك بمصر الى أن استقر
أمرها آخر الوقت لاحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي أعوام سنة ستين وسبعمائة
بعد أبيه عجلان فأظهر في سلطانه عدلا وتعففا عن أموال الناس وقبض أيدي أهل
العيث والظلم من حاشيتهم وعبيدهم وخصوصا عن المجاورين وأعانه على ذلك ما كان له من
الشوكة بكثرة أخواله ويعرفون بني عمر من اتباع هؤلاء السادة ومواليهم فاستقام أمره
وشاع بالعدل ذكره وحسنت سيرته وامتلأت مكة بالمجاورين والتجار حتى غصت
بيوتها بهم وكان عنان ابن عمه مقامس بن رميثة ومحمد ابن عمه ابن رميثة
ينفسون عليه ما آتاه الله من الخير ويجدون في أنفسهم اذ ليس يقسم لهم برضاهم
في أموال جبايته فتنكروا له وهموا بالانتقاض فتقبض عليهم وكان لهم حلف مع
أخيه محمد بن عجلان فراوده على تركهم أو حبسهم فحبسوا ولبثوا في محبسهم ذلك حولا
أو نحوه ثم نقبوا السجن ليلا وفروا فأدركوا من ليلتهم وأعيدوا الى محبسهم وأفلت
منهم عنان بن مقامس ونجا الى مصر سنة ثمان وثمانين صريخا بالسلطان وعن قليل
وصل الخبر بوفاة أحمد بن عجلان على فراشه وأن أخاه كبيش بن عجلان نصب ابنه محمدا
مكانه وقام بأمره وانه عمد الى هؤلاء المعتقلين فسملهم صونا للامر عنهم لمكان ترشحهم
فنكر السلطان ذلك وسخطه من فعلاتهم وافتياتهم ونسب الى كبيش وأنه يفسد مكة
بالفساد بين هؤلاء الاقارب ولما خرج الحاج سنة ثمان وثمانين أوصى أميرحاج بعزل
الصبي المنصوب والاستبدال عنه بابن عنان بن مقامس والقبض على كبيش ولما وصل
الحاج الى مكة وخرج الصبي لتلقي المحمل الخلافي وقد أرصد الرجال خفافيه للبطش
بكبيش وأميره المنصوب فقعد كبيش عن الحضور وجاء الصبي وترجل عن فرسه لتقبيل
الخف من راحلة المحمل على العادة فوثب به أولئك المرصدون طعنا بالخناجر يظنونه
كبيشا ثم غابوا فلم يوقف لهم على خبر وتركوه طريحا بالبطحاء ودخل الامير الى الحرم
فطاف وسعى وخلع على عنان بن مقامس الامارة على عادة من سلف من قومه ونجا
كبيش الى جدة من سواحل مكة ثم لحق بأحياء العرب المتبدين بقاع الحجاز صريخا
فتقعدوا عن نصرته وفاء بطاعة السلطان وافترق أمره وخذله عشيره وانقلب الامير
بالحاج الى مصر فعنفه السلطان على قتل الصبي فاعتذر بافتيات أولئك الرجال عليه
فعذره وجاء كبيش بعد منصرف الحاج وقد انضم اليه أوباش من العرب فقعد
بالمرصد يخيف السابلة والركاب والمسافرين ثم زحف الى مكة وحاصرها أول
سنة تسع وثمانين وخرج عنان بن مقامس بعض الايام وبارزه فقتله واضطرب الامر

بياض بالأصل

بمكة واستدت أيدى عنان والاشرار معه الى أموال المجاورين فتسلطوا عليها ونهبوا
زرع الامراء هنالك وزرع السلطان للصدقة وولى السلطان على بن عجلان واعتقله
حسما للمادة لطوارق الفساد عن مكة واستقر الحال على ذلك الى أن كانت فتنة الناصري
كما نذكر ان شاء الله تعالى انتهى

(انتقاض منطاش بملطية ولحاقه بسيواس ومسير العساكر فى طلبه)

كان منطاش هذا وتمرباى الدمرداشي الذى مر ذكره أخوين لتمراز الناصرى من
موالى الملك الناصر محمد بن قلاون وربيا فى كفالة أمهما وكان اسم تمرباى محمدا وهو
الاكبر واسم منطاش أحمد وهو الاصغر واتصل تمرباى بالسلطان الاشرف وترقى فى
دولته فى الوظائف الى أن ولى بحلب سنة ثمانين وكانت واقعته مع التركمان وذلك انه
وفد عليه أمراؤهم فقبض عليهم لما كان من عيثهم فى النواحى واجتمعوا ثائرا اليهم
وأمده السلطان بعساكر الشأم وحماة وانهزموا أمامهم الى الدربند ثم كروا على
العساكر فهزموها ونهبوها فى المضايق وتوفى تمرباى سنة اثنتين وثمانين وكان السلطان
الظاهر يرعى له ما هذا الولاء فولى منطاش على ملطية ولما قعد على الكرسى
واستبد السلطان بدت من منطاش علامات الخلاف فهم به ثم راجع ووفد متنصلا
للسلطان وكان سودون باق من أمراء الالوف خالصة للسلطان ومن أهل عصبيته
وكان من قبل ذلك فى جملة الامير تمرباى فرعى لمنطاش حق أخيه وشفع له عند السلطان
وتكفل حسن الطاعة منه وانه يخرج على التركمان المخالفين ويحسم علل
فسادهم وانطلق الى قاعدة عمله بملطية ثم لم تزل آثار العصيان بادية عليه وربما داخل
أمراء التركمان فى ذلك ورقى الخبر الى السلطان فطوى له على شعره وبذلك مراسل صاحب
سيواس قاعدة بلاد الروم وبها قاض مستبد على صبى من أعقاب بنى ارتنا ملوكها
من عهد هلاكو وقد اعصوصب عليه بقية من احياء التتر الذين كانوا حامية هنالك الشيع
الشيعة فيما كما ذكره ولما وصلت رسل منطاش وكتبه الى هذا القاضى بادر باجابته
وبعث رسلا ووفدا من أصحابه فى اتمام الحديث معه فخرج منطاش الى لقائهم واستخلف
على ملطية دواداره وكان مغفلا فخشى مغبة ما يرومه صاحبه من الانتقاض
فلاذ بالطاعة وتبرأ من منطاش وأقام دعوة السلطان فى البلد وبلغ الخبر الى منطاش
فاضطرب ثم استمر وسار مع وفد القاضى الى سيواس فلما قدم عليه وقد انقطع الحبل
فى يده أعرض عنه وصار الى مماطلة السلطان عما أتاه من مداخلة منطاش وقبض
عليه وحبسه وسرح السلطان سنة تسع وثلاثين عساكره مع يونس الدوادار وقردم
رأس نوبة والطنبغا الرماح أمير سلاح وسودون باق من أمراء الالوف وأوعز الى

الناصرى فأتى وطلب أن يخرج معهم بعساكره والى ابنال اليوسفى من أمراء الالوف بدمشق وساروا جميعا وكان يومئذ ملك التتر بما وراء النهر وخراسان تمر من نسب جنكزخان قد زحف الى العراقين واذربيجان وملك توريز عنوة واستباحها وهو يحاول ملك بغداد فسارت هذه العساكر نورزى بغزوه ودفاعه حتى اذا بلغوا حلب أتى اليهم الخبر بأن تمر رجع بعساكره لخارج خرج عليه بناحية ماوراء النهر فرجعت عساكر السلطان الى جهة سيواس واقتحموا تخومها على حين غفلة من أهلها فبادر القاضى الى اطلاق منطاش لوقته وقد كان أيام حبسه يوسوس اليه بالرجوع عن الاقامة الى الذروة والغارب حتى جنح الى قوله فبعث مرالاة السلطان وعمالاته ولم يزل يفتل له فى الذروة والغارب حتى جنح الى قوله فبعث لأحياء التتر الذين كانوا ببلاد الروم فيئة ابن اريتا ابن أول فسار اليهم واستجاشهم على عسكر السلطان وحذرهم استئصال شأفتهم باستئصال ملك ابن اريتا وبلده ووصلت العساكر خلال ذلك الى سيواس فحاصروها أياما وضيقوا عليها وكادت أن تلقى باليد ووصل منطاش اثر ذلك بأحياء التتر فقاتلهم العساكر ودافعوهم ونالوا منهم وجلا الناصرى فى هذه الوقائع وأدرك العساكر الملل والضجر من طول المقام وبطء الظفر وانقطاع الميرة وتوغلهم فى البلاد وبعد الشقة فتداعوا الى الرجوع ودعوا الامراء اليه فخذلهم بعضهم فانكفؤا على تعبيتهم وسار بعض التتر فى اتباعهم فكروا عليهم واستلحموهم وخلصوا الى بلاد الشام على أحسن حالات الظهور ونية العود ليحسموا علل العدو ويمحوا أثر الفتنة والله تعالى أعلم

(نكبة الجوبانى واعتقاله بالاسكندرية)

كان الامراء الذين حاصروا سيواس قد لحقهم الضجر والسآمة من طول المقام وفزع قردم والطنبغا المعلم منهم الى الناصرى مقدم العساكر بالشكوى من السلطان فيما دعاهم اليه من هذا الارتكاب وتفاوضوا فى ذلك مليا وتداعوا الى الافراج عن البلد بعد أن بعثوا الى القاضى بها واتخذوا عنده يدا بذلك وأوصوه بمنطاش والابقاء عليه ليكون لهم وزرا للفتنة وعلم يونس الدوادار أنهم فى الطاعة فلم يسعه خلافهم ففوض لهم ولما انتهى الى حلب غدا عليه دمرداش من أمرائها فنصح له بأن الجوبانى نائب دمشق مداخل للناصرى فى تمريضه فى الطاعة وأنهما مصران على الخلاف وقفل يونس الى مصر فقص على السلطان نصيحته واستدعى دمرداش فشافه السلطان بذلك واطلع منه على جلى الخبر فى شأنهما وكان للجوبانى مماليك أوغاد قد أبطرتهم النعمة واستهواهم الجاه وشرهوا الى التوثب وهو يزجرهم فصاروا الى اغرائه بالحاجب يومئذ طرنطاى

حتى أطلت مقدمتهم على بلبيس ثم تقدموا الى بركة الحاج وخيموا ام السبع من
جمادى الاخيرة من السنة و برز السلطان في مماليكه ووقف أمام القلعة بقية يومه
والناس يتسايلون الى الناصري من العساكر ومن العامة حتى غصت بهم بسائط
البركة واستأمن أكثر الامراء مع السلطان الى الناصري فأمنهم واطلع السلطان
على ذلك منهم وسارت طائفة من العسكر وناوشوهم القتال وعادوا منهزمين الى السلطان
وارتاب السلطان بأمره وعاين اختلال عقدته ودس الى الناصري بالصلح وبعث اليه
بالملاطفة وأن يستمر على ملكه ويقوم بدولته خدمه وأعوانه وأشار بأن يتوارى
بشخصه أن يصيبه أحد من عسكر البيغاوية بسوء فلما غشيه الليل أذن لمن بقى معه من
مماليكه في الانطلاق ودخل الى بيته ثم خرج متنكرا وسرى في عيابات المدينة
وبادر كرهم الناصري وأصحابه القلعة فاستولوا عليها ودعوا أمير حاج ابن الاشرف
فأعادوه الى التخت كما كان ونصبوه للملك ولقبوه المنصور وبادروا باستدعاء الجوباني
والامراء المعتقلين بالاسكندرية فأغذوا السير ووصلوا ثاني يومهم وركب الناصري
وأصحابه للقائهم وأنزل الجوباني عنده بالاصطبل وأشركه في أمره وأصبحوا ينادون
بطلب السلطان الظاهر بقية يومهم ذلك ومن الغد حتى دل عليه بعض مماليك
الجوباني وحين رآه قبل الارض وبالغ في الادب معه وحلف له على الامان وجاء به الى
القلعة فأنزله بقاعة الفضة واشتوروا في أمره وكان حرص منطاش ويلبغا الزيني على قتله
أكثر من سواهما وأبى الناصري والجوباني الا الوفاء بما اعتقدوه معه واستقر الجوباني
أتابك والناصري رأس النوبة الكبرى ودمرداش الاحمدي أمير سلاح وأحمد بن
يلبغا أمير مجلس والابقا العثماني دوادار وايبغا الجوهري استاذدار ووفرت الوظائف
والمراتب ثم بعثوا الزيني نائبا على دمشق وأخرجوه اليها وبعثوا كمشبغا اليبقاوي
على حلب وكان السلطان قد عزله عن طرابلس واعتقله بدمشق فلما جاء في جملة
الناصري بعثه على حلب مكانه وقبضوا على جماعة من الامراء فيهم النائب سودون
باق وسودون الطرنطاي فحبسوا بعضهم بالاسكندرية وبعثوا آخرين الى الشام
فحبسوا هنالك وتتبعوا مماليك السلطان فحبسوا أكثرهم وأشخصوا بقيتهم الى
الشام يستخدمون عند الامراء وقبضوا على استاذداره محمود قهرمان الدولة وقارون
القصري فصادروه على ألف ألف درهم ثم أودعوه السجن وهم مع ذلك يتشاورون في
مستقر السلطان بين الكرك وقوص والاسكندرية حتى اجمعوا على الكرك ووروا
بالاسكندرية حذرا عليه من منطاش فلما أزف مسيره قعد له منطاش عند البحر
رصدا وبات عامة ليله وركب الجوباني مع السلطان من القلعة وأركب معه
صاحب الكرك موسى بن عيسى في لمة من قومه يوصلونه الى الكرك وسار معه برهة

من قبل منبعا ثم رجع وشعر منطاش من أمره وعزت [illegible]
الثورة [illegible] وخرج السلطان الى الكرك في قل من غلمانه ومع [illegible]
[illegible] الكشكي من خواصه وولاه على الكرك وأوصاه [illegible]
[illegible] بتقدمه الى الكرك وأزاح القلعة وحيأة النزول [illegible]
هنالك حتى وقع من لطائف الله في أمره ما نذكر بعد ان شاء [illegible]
جماعة من مماليك الظاهر كانوا مختفين منذ الوقعة فعزموا على الثورة [illegible]
فثاروا بهم وحبسوا جميعا ومنهم أيتمش الصغير والله تعالى أعلم

ثورة منطاش واستيلاؤه على الامر ونكبة الجوباني وحبس الناصري والامراء اليبقاوية بالاسكندرية

كان منطاش منذ دخل مع الناصري الى مصر متربصا بالدولة طاويا جوانحه على الغدر لانهم لم يوفروا حظه من الاقطاع ولم يجعلوا له اسما في الوظائف حين اقتسموها ولا راعى له الناصري حق خدمته ومقارعته الاعداء وكان ينقم عليه مع ذلك ايثاره الجوباني واختصاصه فاستوحش وأجمع الثورة وكان مماليك الجوباني لما حبس أميرهم وانتقض الناصري بحلب لحقوا به وجاؤا في جملته واشتملوا على منطاش فكان له بهم في ذلك السفر أنس ولهم اليه صغو فداخل جماعة منهم في الثورة وحملهم على صاحبهم وتطفل على الجوباني في المخالصة بغشيان مجلسه وملابسة ندمائه وحضور مائدته وكان اليبقاوية جميعا ينقمون على الناصري ويرون أنه مقصر في الرواتب والاقطاع وطووا من ذلك على النكث ودعاهم منطاش الى التوثب فكانوا اليه أسرع ووعدوه وقعدوا عنه عند الحاجة ونمى الخبر الى الناصري والجوباني فعزموا على اشخاص منطاش الى الشأم فتمارض وتخلف في بيته أياما يطاولهم ليحكم التدبير عليهم ثم عاده الجوباني يوم الاثنين وقد أكمن في بيته رجالا للثورة فقبضوا على الجوباني وقتلوه لحينه وركب منطاش الى الرميلة فنهب مراكب الامراء بباب الاصطبل ووقف عند مأذنة المدرسة الناصرية وقد شحنها ناشبة ومقاتلة مع أمير من أصحابه ووقف في حمايتهم واجتمع اليه من داخله في الثورة من الاشرفية وغيرهم واجتمع اليه من كان بقي من مماليك الظاهر واتصلت الهيعة فركب الامراء اليبقاوية من بيوتهم ولما أفضوا الى الرميلة وقفوا ينتظرون مآل الحال وبرز الناصري من الاصطبل فيمن حضر وأمر الامراء بالحملة عليهم فوقفوا وأحجموا عن الحملة وتخاذل أصحابه وأصحاب منطاش ومال الى الناصري مماليك الجوباني لنكبة صاحبهم فهددهم منطاش بقتله فافترقوا وتحاجز الفريقان آخر النهار وباكروا شأنهم من الغد وحمل

الناصري فانهزم وأقاموا على ذلك ثلاثا وجرح منطاش فتراايد أمره وانفض الناس عن الناصري عشية الاربعاء السبعين يوما من دخول القلعة وتقحمها عليه منطاش ونهب بيوته وخزائنه وذهب الناصري حيران وأصحابه يرجعون عنه ونادى بالبيقا وبه جلس منطاش من الغد فقبض عليهم وسيق من تخلف منهم عن الناصري أفرادا وبعث بهم جميعا الى الاسكندرية وبعث جماعة ممن حبسهم الناصري الى قوص ودمياط ثم جدد البيعة لامير حاج المنصور ثم نادى فى مماليك السلطان بالعرض وقبض على جماعة منهم وفر الباقون وبعث بالبعض وسبى منهم الى قوص وصادر جماعة من أهل الاموال وأفرج عن محمود استادار وخلع عليه ليوليه فى وظيفته ثم بداله فى أمره وعاود مصادرته وامتحانه واستصفى منه أموالا عظيمة يقال ستين قنطارا من الذهب ولما استقل بتدبير الدولة عمر الوظائف والمراتب وولى فيما بنظره وبعث عن الاشقتمري من الشأم وكان أخوه تمرتاي قد آخى بينهما فولاه

الكبرى وعين استدمر بن يعقوب شاه ـ ه أمير سلاح وعن انبقا الصفوي وولاه صاحب الحجاب واختص الثلاثة بالمشورة وأقامهم أركانا للدولة وكان ابراهيم بن بطلقتمر أمير جندار قد داخله فى الثورة فرعى له ذلك وقدمه فى أمراء الالوف ثم بلغه أنه تفاوض مع الامراء فى الثورة به واستبداد السلطان فقبض عليه ثم أشخصه الى حلب على امارة ... وكان قد اتخذ من ارغون السمدار وألقى عليه محبته وعنايته فقشيه الناس وباكروا بابه وعظم فى الدولة صيته ثم نمى عنه أنه من المداخلين لابراهيم أمير جندار فسطا به وامتحنه أن له على هؤلاء المداخليين لابراهيم فلاذ بالانكار وأقام فى محبسه وأفرج عن سودون النائب فجاء الى مصر فالزمه بيته واستقر الحال على ذلك انتهى

(ثورة بدلار بدمشق)

ولما بلغ الخبر الى بدلار بدمشق باستقلال منطاش بالدولة أنف من ذلك وارتاب وداخلته الغيرة فجمع الانتقاض وكاتب نواب الممالك بالشأم فى حلب وغيرها يدعوهم الى الوفاق فأعرضوا عنه وتمسكوا بطاعتهم وكان الامير الكبير بدمشق جنتمر أخو طاز يداخل الامراء هنالك فى التوثب به ووثق منهم للدولة وبلغ الخبر الى بدلار فركب فى مماليكه وشيعته يروم القبض عليه فلم يتمكن من ذلك واجتمعوا وظاهرهم عامة دمشق عليه فقاتلوه ساعة من نهار ثم أيقن بالغلب والهلكة فألقى بيده وقبضوا عليه وطيروا بالخبر الى منطاش وهو صاحب الدولة فأمر باعتقاله وهلك من بعد فى محبسه وولى منطاش جنتمر نيابة دمشق واستقرت الاحوال على ذلك والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء

يشاء من عباده

(خروج السلطان من الكرك وظفره بعساكر الشأم وحصاره دمشق)

ولما بلغ الخبر الى السلطان الظاهر بالكرك بان منطاش استقل بالدولة وحبس البقاء بعيجا وأدال منهم بأصحابه أهمته نفسه وخشى غائلته ولم يكن عند منطاش لاول استقلاله أهم من شانه وشأن السلطان فكتب الى حسن الكشكى نائب الكرك يقتله وقد كان الناصرى أوصاه فى وصيته حسين وكاه به أن لا يمكنه ممن يرومه بسوء فتجافى عن ذلك واستدعى البريدى وفاوض أصحابه وقاضى البلد وكاتب السر فأشاروا باالتحرز من دمه جهد الطاقة فكتب الى منطاش معتذرا بالخطار الذى فى ارتكابه دون اذن السلطان والخليفة فأعاد عليه الكتاب مع كتاب السلطان والخليفة بالاذن فيه واستحثه فى الاجهاز عليه فأنزل البريدى وعلله بالوعد ذوطا وله يرجو الخلاص من ذلك وكانوا يطوون الامر عن السلطان شفقة واجلالا فشعر بذلك وأخلص اللجأ الى الله والتوسل بابراهيم الخليل لانه كان يراقب مدفنه من شباك فى بيته وانطلق غلمانه فى المدينة حتى ظفروا برجال داخلوهم فى حسن الدفاع عن السلطان وأفاضوا فيهم فأجابوا وصدقوا ما عاهدوا عليه واتعدوا لقتال البريدى وكان منزله بازاء السلطان فتوافوا ببابه ليلة العاشر من رمضان وهجموا عليه فقتلوه ودخلوا برأسه الى السلطان وشفار سيوفهم دامية وكان النائب حسن الكشكى يفطر على سماط السلطان تأنيسا لهم فلما رآهم دهش وهموا بقتله فأجاره السلطان وملك السلطان أمره بالقلعة وبايعه النائب وصعد اليه أهل المدينة من الغد فبايعوه ووفد عليه عرب الضاحية من بنى عقبة وغيرهم فأعطوه طاعتهم وفشا الخبر فى النواحى فتساقط اليه مماليكه من كل جهة وبلغت أخباره الى منطاش فأوعز الى ابن باكيش نائب غزة أن يسير فى العساكر الى الكرك وتردد السلطان بين لقائه او النهوض الى الشأم ثم أجمع المسير الى دمشق فبرز من الكرك منتصف شوال فعسكر بالقبة وجمع جموعه من العرب وسار فى ألف أو يزيدون من العرب والترك وطوى المراحل الى الشأم وسرح جنتمر نائب دمشق العساكر لدفاعه فيهم أمراء الشأم وأولاد بندمر فالتقوا بشقحب وكانت بينهم واقعة عظيمة أجلت عن هزيمة أهل دمشق وقتل الكثير منهم وظفر السلطان بهم واتبعهم الى دمشق ونجا الكثير منهم الى مصر ثم أحس السلطان بأن ابن باكيش وعساكره فى اتباعه فكر اليهم وأسرى ليلته وصبحهم على غفلة فى عشر ذى القعدة فانهزموا ونهب السلطان وقومه جميع ما معهم وامتلأت أيديهم واستفحل أمره ورجع الى دمشق ونزل بالميدان وثار العوام وأهل القبيبات ونواحيها

بالسلطان وقصدوه بالميدان فركب ناجيا وترك أثقاله فنهبها الدوام وطلبوا من لقوه من مماليكه ولحق بقية ملطافأقام نهارا وأغلقوا الابواب دونه وأقام يحاصرهم الى محرم سنة ثنتين وتسعين وكان كمشبغا الحموى نائب حلب قد أظهر دعوته فى عمله وكاتبه بذلك عندما نهض من الكرك الى الشأم كما ذكره ولما بلغه حصاره لدمشق تجهز للقائه واحتمل معه ما يزيح علل السلطان من كل صنف وأقام له ابهة وروصل اينال اليوسفى وبخماس ابن عم السلطان وجماعة من الامراء كانوا محبوسين بصفد وكان مع نائبها جماعة من مماليك السلطان يستخدمون فعبدروا به وأطلقوا من كان من الامراء فى حبس صفد كما ذكر ولحقوا بالسلطان وتقدمهم اينال وهو محاصر لدمشق فأقاموا معه والله تعالى أعلم

(ثورة المعتقلين بقوص وسير العساكر اليهم واعتقالهم)

ولما بلغ الخبر الى الامراء المحبوسين بقوص بخلاص السلطان من الاعتقال واستيلائه على الكرك واجتماع الناس اليه فثاروا بقوص أوائل شوال من السنة وقبضوا على الوالى بها وأخذوا من مودع القاضى ما كان فيه من المال وبلغ خبرهم الى مصر فسرح اليهم العساكر ثم بلغه أنهم ساروا الى اسوان وشايعوا الوالى بها حسين بن قرط فلبس لهم بالوعد وعرض بالوفاق فطمعوا واعتزموا أن يسيروا من وادى القصب من الجهة الشرقية الى السويس ويسيروا من هنالك الى الكرك ولما وصل خبر ابن قرط أخرج منطاش سندمر بن يعقوب شاه ثامن عشرين من السنة وانكفأ بجموعه وسار على العدوة الشرقية فى جموعه لاعتراضهم فوصل الى قوص وبادر ابن قرط مخالفه الى منطاش بطاعته فأكرمه ورده على عمله فوافى ابن يعقوب شاه بقوص وقد استولى على النواحى واسترل الامراء المخالفين ثم قبض عليهم وقتل جميع من كان معهم من مماليك السلطان الظاهر ومماليك ولاة الصعيد وجاء بالامراء الى مصر فدخل بهم منتصف ذى الحجة من السنة فأفرج عن أربعة منهم سودى الذى وحبس الباقين والله تعالى أعلم

(ثورة كمشبغا بحلب وقيامه بدعوة السلطان)

قد كنا قدمنا أن الناصرى ولى كمشبغا رأس نوبة نيابة حلب ولما استقل منطاش بالدولة ارتاب ودعاه بدلار لما ثار بدمشق الى الوفاق فامتنع ثم بلغه الخبر بخلاص السلطان من الاعتقال بالكرك فأظهر الانتقاض وقام بدعوة السلطان وخالفه ابراهيم بن أمير جندار واعصوصب عليه أهل باقوسا من أرباض حلب فقاتلهم كمشبغا

جمعا وهزمهم وقتل القاضي ابن أبي الرضا وكان معه في ذلك الخلاف واستقل بأمر حلب وذلك في شوال من السنة ثم بلغه أن السلطان هزم عساكر دمشق وابن باكيش وانه مقيم بقبة بلبغا محاصر الدمشق بعد ان نهبوا أثقاله وأخرجوه من الميدان فتجهز من حلب اليه في العساكر والحشود وجهز له جميع ما يحتاج اليه من المال والاقمشة والسلاح والخيل والابل وخيام الملك بفرشها وماعونها وآلات الحصار وتلقاه السلطان وبالغ في تكرمته وفوض اليه في الاتابكية والمشورة وقام معه محاصرا لدمشق واشتد الحصار على أهل دمشق بعد وصوله واستكثار السلطان من المقاتلة وآلات الحصار وخرب كثيرا من جوانبها بحجارة المجانيق وتصدعت حيطانها وأضرم كثيرا من البيوت على أربابها فاحترقت واستولى الخراب والحريق على القبيبات أجمع وتفاحش فيها واشتد أهل القتال والدفاع من فوق الاسوار وتولى كبر ذلك منهم قاضي الشافعية أحمد بن القرشي بما أشار عليهم وفاه أهل العلم والدين بالنكير فيه وكان منطاش لما بلغه حصار دمشق بعث طنبغا الحلبي دوادار الاشرف بمدد من المال يمد به العساكر هنالك وأقام معهم ثم بعث جنتمر الى أمير آل فضل يعبر بن جبار يستحديه لجاء القتالهم وسار كشبغا نائب حلب فلقيه وفض جوعه وأسر خادمه وجاء به أسيرا فمن عليه السلطان وأطلقه وكساه وحمله ورده الى صاحبه واستمر حصار دمشق الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ثورة اينال بصفد بدعوة السلطان)

كان اينال لما انهزم يوم واقعة دمشق فر الى مصر ومر بغزة فاعتقله ابن باكيش وحبس بالكرك فلما استولى الناصري أشخصه الى صفد فحبس بها مع جماعة من الامراء وولى على صفد قطلبك النظامي فاستخدم جماعة من مماليك برقوق واتخذ منهم بلبغا السالمي دوادارا فلما بلغه خلاص السلطان من الاعتقال ومسيره الى الشام داخل بلبغا مماليك استاذه قطلوبغا في الخلاف واللحاق بالسلطان وهرب منهم جماعة فركب قطلوبغا في اتباعهم وأبقى بلبغا السالمي دوادار وحاجب صفد فاطلقوا اينال وسائر المحبوسين من السلطان فملك اينال القلعة ورجع قطلوبغا من اتباع الهاربين فوجدهم قد استولوا وامتنعوا وارتاب من مماليكه فسار عن صفد ونهب بيته ومخلفه ولحق بالشام فلقي الامراء المنهزمين أمام السلطان بشقحب قاصدين مصر فسار معهم ولحق اينال بالسلطان من صفد بعد ان ضبطها واستخلف عليها وأقام مع السلطان والله تعالى أعلم

{مسير منطاش وسلطانه أمير حاجي الى الشام وانهزامهم ودخول منطاش الى دمشق وظفر السلطان الظاهر بأمير حاجي والخليفة والقضاة وعوده لملكه}

ولما تواترت الاخبار بهزيمة عساكر الشام وحصار السلطان الظاهر بدمشق
وظهور دعوته فى حلب وصفد وسائر بلاد الشام ثم وصلت العساكر المهزومون وأولاد
بندمر ونائب صفد واستصرخوه وتواترت كتب جنتمر نائب دمشق وصريخه أجمع
منطاش أمره حينئذ على المسير الى الشام فتجهز ونادى فى العساكر وأخرج السلطان
والخليفة والقضاة والعلماء سابع عشر ذى الحجة سنة احدى وتسعين وخيموا بالريدانية
من ناحية القاهرة حتى أزاح العلل واستخلف على القاهرة دواداره صراى تمر وأطلق
يده فى الحل والعقد والتولية والعزل واستخلف على القلعة بكا الاشرفى وعمد الى
خزائنه من الذخيرة بالقلعة مستقبلها ونقبها من أعلاها حتى صارت كهيئة الجب
ونقل اليها من كان فى حبسه من أهل دولة السلطان ونقل سودون النائب الى القلعة
فأنزله بها وأمر بالقبض على من بقى من مماليك السلطان حيث كانوا انتشروا
فى غيابات المدينة ولاذوا بالاختفاء وأوعز بسد كثير من أبواب الدروب بالقاهرة
فسدت ورحل فى الثانى والعشرين من الشهر بالسلطان وعساكره على التعبية
وطووا المراحل ونمى اليه أثناء طريقه أن بعض مماليك السلطان المستخدمين عند
الامراء مجمعون على التوثب ومداخلون لغيرهم فأجمع السطوة بهم فنذروا ولحقوا
بالسلطان ولما بلغ خبر مسيرهم السلطان وهو محاصر دمشق ارتحل فى عساكره الى
لقائهم ونزل قريبا من شقحب وأصبحوا على التعبية وكشفوا بعساكر حلب فى ميمنة
السلطان ومنطاش قد عبى جيشه وجعل السلطان أمير حاجى والخليفة والقضاة
والرماة من ورائهم ووقف معهم تمارتمر راس نوبة وسندمر بن يعقوب شاه أمير سلاح
ووقف هو فى طائفة من مماليكه وأصحابه فى مقدمة المعترك فلما تراءى الجمعان حمل
هو وأصحابه على ميمنة السلطان فهزموها وانهزم كمشبغا الى حلب ومر وافى اتباعهم ثم
عطفوا على مخيم السلطان فنهبوه وأسروا قجماس ابن عمه كان هنالك جريحا ثم حطم
السلطان على الذى فيه أمير حاجى والخليفة والقضاة فدخلوا فى حكمه ووكل بهم
واختلط الفريقان وصار واقف عنى من أمرهم والسلطان فى قلة من فرسانه يخترق
جوانب المعترك ويعلم الفرسان ويشردهم فى كل ناحية وشرد مماليكه وأمراءه
يتساقطون اليه حتى كثف جمعه ثم حمل على بقية العسكر وهم ملتفون على الصفدى
فهزمهم ولحقوا بدمشق وضرب خيامه بشقحب ولما وصل منطاش الى دمشق
أوهم النائب جنتمر أن الغلب له وأن السلطان أمير حاجى على الاثر ونادى فى العساكر
بالخروج فى السلاح لتلقيه وخرج من الغد موريا بذلك فركب اليهم السلطان فى
العساكر فهزمهم وأثخن فيهم واستلحم كثيرا من عامة دمشق ورجع السلطان

الى خدامه وبعث أمير حاجى بالتبرى من الملك والعجز عنه والخروج اليه من عهدته فأحضر الخليفة والقضاة فشهدوا عليه بالخلع وعلى الخليفة بالتفويض الى السلطان بالبيعة له والعود الى كرسيه وأقام السلطان بشقحب تسعا واشتد كلب البرد وافتقدت الاقوات لقلة الميرة فأجمع العود الى مصر ورحل يقصدها وبلغ الخبر الى منطاش فركب لاتباعه فلما أطل عليه أحجم ورجع واستمر السلطان لقصده وقدم حاجب غزة للقبض على ابن باكيش فقبض عليه ولما وافى السلطان غزة ولى عليها مكانه وحمله معتقلا وسار وهو مستطلع أخبار الديار المصرية وكان مانذكره ان شاء الله تعالى

﴿ثورة بكا والمعتقلين بالقلعة واستيلاؤهم عليها بدعوة السلطان الظاهر وعوده الى كرسيه بمصر وانتظام أمره﴾

كان منطاش لما فصل الى الشام بسلطانه وعساكره كما مر واستخلف على القاهرة دواداره سراى تمر وأنزله بالاصطبل وعلى القلعة بكا الاشرفى ووكله بالمعتقلين هنالك فأخذوا أنفسهم بالحزم والشدة وبعد أيام نمى اليهم أن جماعة من مماليك السلطان يجتمعون للثورة وقد داخلوا مماليكهم فبيتوهم وقبضوا عليهم بعد جولة دافع فيها المماليك عن أنفسهم ثم تقبضوا على من داخلهم من مماليكهم وكانوا جماعة كثيرة وحدثت لهم بذلك ريبة واشتداد فى الحزم فنادوا بالوعيد لمن وجد عنده أحد من مماليك السلطان ونقلوا ابن أخت السلطان من بيت أمه الى القلعة وحبسوه وأوعزوا بقتل الامراء المعتقلين بالفيوم فقتلوا رعيت عليهم أنباء منطاش والعساكر وبعثوا من يقتص لهم الطريق ويسائل الركبان واعتزموا على قتل المسجونين بالقلعة ثم تلاوموا فى ذلك ورجعوا الى التضييق عليهم ومنع المترددين بأقواتهم فضاقت أحوالهم وضجروا وأهمتهم أنفسهم وفى خلال ذلك عثر بعضهم على منفذ الى سرب تحت الارض يفضى الى حائط الاصطبل ففرحوا بذلك وتنسموا ريح الفرج ولما أظلتهم ليلة الاربعاء غرة صفر سنة ثنتين وتسعين مروا فى ذلك السرب فوجدوا فيه آلة النقب فنقبوا الحائط وأفضوا الى أعلى الاصطبل وتقدم بهم خاصكى من أكابر الخاصكية وهجموا على الحراس فثاروا اليهم فقتلوا بعضهم بالقيود من أرجلهم وهرب الباقون ونادوا بشعبان بكا نائب القلعة يوهمون أنه انتقض ثم كسروا باب الاصطبل الاعلى والاسفل وأفضوا الى منزل سراى تمر فأيقظه لغطهم وهلع من شأن بكا فأرمى نفسه من السور ناجيا ونزل بالحاجب قطلوبغا ولحق بمدرسة حسن وقد كان منطاش أنزل بها ناشئة من التركمان لحماية الاصطبل وأجرى لهم الارزاق وجعلهم لنظر تنكز رأس نوبة ثم هجم أصحاب بكا على بيت سراى تمر فنهبوا ماله وقماشه وسلاحه وركبوا خيله واستولوا على الاصطبل

ودعوا الطبول ليلتهم وقاتلهم بكامن العمد وسرب الرجال الى الطبلخانات يملكها م
أزعجوه عنها وزحف مسراى تمر وتطلوبغا الحاجب الى الاسطبل لقتالهم و بردوا اليوم
فقاتلوهم واعتصموا بالمدرسة واستولى بكا على أمره وبعث الى باب السر من المدرسة
لخرقه فاستأمن اليه التركمان الذين به فأنزلهم على الامان ورتب أصحابه فى البلد
لنهب بيوت منطاش وأصحابه فعاثوا فيها وتسلل اليه مماليك السلطان المختفون
بالقاهرة وبلغوا ألفا أو يزيدون ثم استأمن بكامن من العدد فأمنه سودون النائب
وبابه أمير سلاح ودمرداش وكان عنده فيهما تمام وقف
سودون على مدرسة حسن والارض تموج بعوالم النظارة فاستنزل منها اسراى تمر
وتطلوبغا الحاجب فنزلا على أمانه وهذه العوالم بهما فحال دونهما وبانهما الى بكا
فحبسهما وركب سودون يوم الجمعة فى القاهرة ونادى بالامان والخطبة للسلطان
فخطب له من يومه وأمر بكا بفتح السجون واخراج من كان فيها من حبس منطاش
وحكام تلك الدولة وهرب الوالى حسن بن الكوراني خوفا على نفسه لما كان شيعة
لمنطاش على مماليك السلطان ثم عثر عليه بكا وحبسه مع سائر شيعة منطاش وأطلق
جميع الامراء الذين حبسهم بمصر ودمياط والفيوم ثم بعث الشريف عنان بن
مقامس أمير بنى حسن بمكة وكان محبوسا وخرج معهم فبعثه مع أخيه ايقا على الهجن
لاستكشاف خبر السلطان ووصل يوم الاحد بعدها كتاب السلطان مع ابن صاحب
الدرك سيف بن محمد بن عيسى العائدى باعداد الميرة والعلوفة فى منازل السلطان على
العادة وقص خبر الواقعة وأن السلطان توجه الى مصر وانتهى الى الرملة ثم وصل
ايقا أخو بكا يوم الاربعاء ثامن صفر بمثل ذلك وتتابع الواصلون من عسكر السلطان
ثم نزل بالصالحية وخرج السلطان لتلقيه بالعكرشة ثم أصبح يوم الثلاثاء رابع صفر فى
ساحة القلعة وقلده الخليفة وعاد الى سريره ثم بعث عن الامراء الذين كان حبسهم
منطاش بالاسكندرية وفيهم الناصرى والجوبانى وابن بيقا وقرادمرداش وابقا
الجوهرى وسودون باق وسودون الطرنطاى وقردمر المعلم فى آخرين متعددين
واستعتبوا للسلطان فأعتبهم وأعادهم الى مراتبهم وولى ايال اليوسفى اتابكا
والناصرى أمير سلاح والجوبانى رأس نوبة وسودون نائبا وبكا داودار وقرقماش
استاذدار وكمشبغا الخاصكى أمير مجلس وتطلمش أمير الملخورية وعلاء الدين
كاتب سر الكرك كاتب سره بمصر وعمر سائر المراتب والوظائف وتوفى قرقماش
فولى محمود استاذداره الاول ورعى له سوابق خدمته ومحنة العدولة فى محبته واستقام
أمر دولته واستوثق ملكه وصرف نظره الى الشام وتلافيه من غائلة العدو وفساده

والله تعالى أعلم

ولاية الجوباني على دمشق واستيلاؤه عليها من يد منطاش ثم هزيمته ومقتله وولاية الناصري مكانه

لما استقر السلطان على كرسيه بالقاهرة واستغلمت أمور دولته صرف نظره الى الشأم وشرع في تجهيز العساكر لازعاج العدو منه وعين الجوباني لنيابة دمشق ورياسة العساكر والناصري لحلب لان السلطان كان عاهد كشبغا على اتابكية مصر وعين قرادمرداش لطرابلس ومأمونا القلمطاوي لحماة فولى في جميع ممالك الشأم ووظائفه وامرهم بالتجهيز ونودي في العساكر بذلك وخرجوا ثامن جمادي الاولى من سنة ثنتين وتسعين وكان منطاش قد اجتهد جهده في طي خبر السلطان بمصر عن أمرائه وسائر عساكره ومازال يفشو حتى شاع وظهر بين الناس فانصرف هواهم الى السلطان وبعث في أثناء ذلك الامير عيازعرنائبا على حلب فاجتمع اليه أهل كانقوسا وحاصر كشبغا بالقلعة نحوا من خمسة أشهر وشد حصارها وأحرق باب القلعة والجسر ونقب سورها من ثلاثة مواضع واتصل القتال بين الفريقين في احد الانقاب لشهرين على ضوء الشموع ثم بعث العساكر الى طرابلس مع ابن ايماز التركماني فحاصرها وملكوها من يدسندمر حاجب حجابها وكان مستوليا عليها بدعوة الظاهر ولما ملكها ولى عليها قشتمر الاشرفي ثم بعث العساكر الى بعلبك مع محمد بن سندمر في نفر من قرابته وجنده فقتلهم منطاش بدمشق أجمعين ثم أوعز الى قشتمر الاشرفي نائب طرابلس بالمسير الى حصار صفد فسار اليها وبرز اليه جندها فقاتلوه وهزموه فجهز اليها العساكر مع ابقا الصفدي كبير دولته فسار اليها في سبعمائة من العساكر وقد كان لما تيقن عنده استيلاء السلطان على كرسيه بمصر جنح الى الطاعة والاعتصام بالجماعة وكاتب السلطان بعزائمه ووعده فلما وصل الى صفد بعث الى نائبها بطاعته وفارق أصحاب منطاش ومن له هوى فيه وصفوا اليه وبات ليلته بظاهر صفد وارتحل من الغد الى مصر فوصلها منتصف جمادي الاخيرة وأمراء الشأم معسكرون مع الجوباني بظاهر القلعة فأقبل السلطان عليه وجعله من أمراء الالوف ولما رجع أصحابه من صفد الى دمشق اضطرب منطاش وتبين له نكر الناس وارتاب بأصحابه وقبض على جماعة من الامراء وعلى جنتمر نائب دمشق وابن جرجي من أمراء الالوف وابن قفجق الحاجب وقتله والقاضي محمد بن القرشي في جملة من الاعيان واستوحش الناس ونفروا عنه واستأمنوا الى السلطان مثل محمد بن سندمر وغيره وهرب كاتب السر بدر الدين ابن فضل الله وناظر الجيش وقد كان يوم الواقعة على شقحب لحقوا بدمشق يظنون

أن السلطان يملكها وبه ذلك وبقوا في ملك منطاش وأجمعوا الفرار مرة بعد
أخرى فلم يتهيأ لهم وشرع منطاش في القتل بالمتهمين الى السلطان من المماليك
المحبوسين بالقلعة وغيرهم وذبح جماعة من الجراكسة وهم بقتل اينمش فدفعه الله
عنه وارتحل الامراء من مصر في العساكر السلطانية الى الشأم مع الجوباني يطوون
المراحل والامراء من دمشق يلقونهم في كل منزلة هاربين اليهم حتى كان آخر من لقيهم
ابن نصير أمير العرب بطاعة أبيه ودخلوا حدود الشأم ثم ارتاب منطاش في أمره
واستشعر الخوف والهلع والاسترابة بمن معه فخرج منتصف جمادى الاخيرة هاربا من
دمشق في خواصه وأصحابه ومعه سبعون حملا من المال والاقمشة واحتمل معه محمد بن
اينال وانتقض عليه جماعة من المماليك ورجعوا به الى أبيه وكان نعير بن حيار أمير آل
فضل مقيما في أحيائه ومعه أحياء آل مرا وأميرهم عنقا فلحق بهم هنالك منطاش
مستجيرا فأجاروه ونزل معهم ولما انفصل منطاش عن دمشق خرج اينمش من محبسه
وملك القلعة ومعه مماليك السلطان محبوسين عليه وأرسل الى الجوباني بالخبر
فأغذ السير الى دمشق وجلس بموضع نيابته وقبض على من بقي من أصحاب منطاش
وخدمه مع من كان محبوسا معهم ووصل الطنبغا الحلبي ودمرداش اليوسفي من
طرابلس وكان منطاش استقدمهم وهرب قبل وصولهم وبلغ الخبر الى ابن باكيش
وهو يحاصر حلب وأهل بانقوسا معه ومصرون عليه فأجفل ولحق بمنطاش وركب
كمشبغا من القلعة اليهم بعد أن أصلح الجسر وأركب معه الحجاب وقاتل أهل بانقوسا
ومن معهم من أشياع منطاش ثلاثة أيام ثم هزمهم وقتل كمشبغا منهم أكثر من ثمانمائة
وخرب بانقوسا فأصبحت خرابا وعمر القلعة وحصنها وشحنها بالاقوات وبعث الجوباني
العساكر الى طرابلس وملكوها من يد قشتمر الاشرفي نائب منطاش من غير قتال
وكذلك حماة وحمص ثم بعث الجوباني نائب دمشق وكافل الممالك الشامية الى نعير
ابن حيار أمير العرب باسلام منطاش واخراجه من أحيائه فامتنع واعتذر فبرز من
دمشق بالعساكر ومعه الناصري وسائر الامراء ونهض الى مصر فلما انتهوا الى حمص
أقاموا بها وبعثوا الى نعير يعتذرون اليه فلج واستكبر وحال دونه وبعث اليه اينمش
خلال ذلك من دمشق بأن جماعة شيعة بندمر وجنتمر يرومون الثورة فركب الناصري
الى دمشق وكبسهم وأثخن فيهم ورجع الى العسكر وارتحلوا الى سلمية واستمر نعير في
علوائه وترددت الرسل بينهما فلم تغن ثم كانت بين الفريقين حرب شديدة وحملت
العساكر على منطاش والعرب فهزموهم الى الخيام واتبع دمرداش منطاش حتى جاوز
به الحي وارتحلت العرب وحملوا بطانتهم على العسكر فلم يثبتوا لحملتهم وكان معهم آل

على بجموعهم فنهبوهم من ورائهم وانهزموا وأفرد الجوبانى مماليكه فأسره العرب وسيق الى يعبر فقتله ولحق الناصرى بدمشق وأسر جماعة من الامراء وقتل منهم ايبقا الجوهرى ومأمون المعلم فى عدد آخرين ونهب العرب مخيمهم وأثقالهم ودخل الناصرى الى دمشق فبات ليلته وباكر من الغد آل على فى أحيائهم فكبسهم واستلحم منهم جماعة فثأر منهم بما فعلوه فى الواقعة ثم بعث اليه السلطان بنيابة دمشق منتصف شعبان من السنة فقام بأمرها وأحكم التصريف فى حمايتها والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(اعادة محمود الى استاذية الدار واستقلاله فى الدولة)

هذا الرجل من ناشئة الترك وولدانهم ومن أعقاب كراى المنصورى منهم شب فى ظل الدولة ومرعى نعمتها ونهض بنفسه الى الاضطلاع والكفاية وباشر كثيرا من أعمال الامراء والوزراء حتى أوفى على ثنية النجابة وعرضته الشهرة على اختيار السلطان فعجم عوده ونقد جوهره ثم الحق به اغراض الخدمة ببابه فأصاب شاكلة الرمية ومضى قدما فى مذاهب السلطان مرهف الحد قوى الشكيمة فصدق ظنه وشكر اختياره ثم دفعه الى معاينة الحبس وشد الدواوين من وظائف الدولة فجلا فيهما وهلك خلال ذلك استاذ الدار بهادر المنجكى سنة تسعين فأقامه السلطان مكانه قهرمانا لداره ودولته وانتصاره على دواوين الجباية من قراب اختياره ونقده جماعة للاموال غواصا على استخراج الحقوق السلطانية قارونا للكنوز اكسيرا للنقود مغناطيسا للقنية يسابق أقلام الكتاب ويستوفى تفاصيل الحساب بمدارك الهامه وتصور صحيح وحدس ثاقب لا يرجع الى حذاقة الكتاب ولا الاعمال بل يتناول الصعاب فيذللها ويحوم على الاغراض البعيدة فيقربها وربما يحاضر بذكائه فى العلوم فينفذ فى مسائلها ويفهم جهابذتها موهبة من الله اختصه بها ونعمة أسبغ عليه لبوسها فقام بما دفع اليه السلطان من ذلك وأدر خروج الجباية فضاقت افنية الحواصل والخزائن بما تحصل وتسرب اليها وكفى السلطان مهمه فى دولته ومماليكه ورجاله بما يسوغ لهم من نعمه ويوسع من أرزاقه وعطائه حتى أزاح عللهم بشوالى انفاقه وقرت عين السلطان باصطناعه وغص به الدواوين والحاشية ففوقوا اليه سهام السعاية وسلطوا عليه السنة المتظلمين فخاص من ذلك خلوص الابريز ولم تعلق به ظنة ولا حامت عليه ريبة ثم طرق الدولة ماطرقها من النكبة والاعتقال واودعته المحنة غيابات السجون وحفت به أنواع المكاره واضطلمت نعمته واستصفيت أمواله فى المصادرة والامتحان حتى زعموا أن الناصرى المتغلب يومئذ استأثر منه بخمسة قناطير من دنانير الذهب ومنطاش بعده بخمسة

بياض بالاصل

وخمس ثم خلص ابرين من ذلك البلد وأهل قريه بعد اللحاق وابتقل السلطان من سكينة وطلع باوق مصره وتعهد أريكة ملكه ودفعه لما كان بسبيله فأحسن الكرة فى الكفاية لمهمه وتوسيع عطاياه وأرزاقه وتمكين أحوال دولته وتسريت الجباية من غير حساب ولا تقرير الى حرائبه وأحسن النظر فى المصرف والخارج بحرمه وكفايته حتى عادت الامور الى أحسن معهودها بين تمثيته وسديد رأيه وصلابة عوده وقوة صرامته مع بذل معروفه وجاهه لمن تحت يده وناشئته وكفايته لحاشيته وحسن الكرامة لمنتابه ومقالة اليه بكرم مقاصده وأصمع طرار الدولة وتماما للمراس وقذفه المناسون بعطا السعايات فزلت فى جهات حلم السلطان وجميل اغتباطه وتثبته حتى أعيتهم المذاهب وانسدت عليهم الطرق ورسخت قدمه فى الدولة واحتل من السلطان بكرم العهد والذمة ووثق بغنائه واصطلاعه فرمى اليه مقالد الامور وأوطأ عقبه أعيان الخاصة والجمهور وأفرده فى الدولة بالنظر فى الامور حسبانا وتقديرا وجمعا وتقريرا وكبر امورا وصرفا لا يعرف تدبيرا ونظرا وفى الانتهاء بالعزل والاهانة مشهور ورامع مايمتاز به من الامر والشان وعجز من تنبه على مر الازمان وهو على ذلك لهذا العهد عند سفر السلطان الى الشأم لمدافعة سلطان المغل كما مر ذكره والله متولى الامور لارب غيره

{مسير منطاش ويعبر الى نواحى حلب وحصارها
ثم مفارقة يعبر وحصاره عنتاب ثم رجوعه}

ولما انهزمت العساكر بسلمية كما قلنا ارتحل يعبر فى أحيائه ومعه منطاش وأصحابه الى نواحى حلب وسار يعبر الى المسرمين من اقطاعه ليقتضيها قومه على عادتهم وكان كمشبغا نائب حلب قد أقطعها الجند من التركمان فى خدمته فلما وافاها يعبر هربوا الى حلب فلقوا فى طريقهم احمد بن المهمدار فى العساكر وقد نهض الى يعبر فرجعوا عنه ولقيهم على بن يعبر دمانا لوه وهزموه وقتلوا بعض أصحابه صبرا ورجع يعبر الى أحيائه وارتحلوا الى حلب فحاصروها وضيقوا عليها أيام رمضان ثم راجع يعبر نفسه وراسل كمشبغا نائب حلب فى الطاعة واعتذر عما وقع منه وطوق الذنب بالجوبانى وأصحابه أهل الواقعة وسأل الامان مع حاجبه عبد الرحمن فأرسله كمشبغا الى السلطان وأخبره عما اشترط يعبر فأجابه السلطان الى سؤاله وشعر بذلك منطاش فكايدهم من حصار حلب فارتاب وخادع يعبرا الى الغارة على التركمان فقربهم فأذن للعرب فى المسير معه وسار معه منهم سبعمائة فلما جاوز الدربند ارجلهم عن الخيل وأخذها ولحق بالتركمان ونزل بمرعش بلد أميرهم سولى ورجع العرب مشاة الى يعبر فارتحل الى سلمية راجعا وسار

منطاش الى عنتاب من قلاع حلب ونائبها محمد بن شهرى فملكها واعتصم نائبها بالقلعة أياما ثم ثبت منطاش وأثخن فى أصحابه وقتل جماعة من أمرائه وكانت العساكر قد جاءت من حلب وحماة وصمد لقتاله فهرب الى مرعش وسار منها الى بلاد الروم واضمحل أمره وفارقه جماعة من أصحابه الى العساكر وراجعوا طاعة السلطان آخر ذى العقدة من سنة ثنتين وسبعين وبعث سولى بن دلقادر أمير التركمان فى عشر ذى الحجة يستأمن الى السلطان فأمنه وولاه على البلستين كما كان والله سبحانه وتعالى أعلم

(قدوم كمشبغا من حلب)

قد كان تقدم لنا أن كمشبغا الحموى رأس نوبة بيبغا كان نائبا بطرابلس وان السلطان عزله وحبسه بدمشق فلما استولى الناصرى على دمشق أطلقه من الاعتقال وجاء فى جملته الى مصر فلما ولى على ممالك الشأم وأعمالها ولاه على حلب مكانه منتصف احدى وسبعين ولما استقل السلطان من النكبة وقصد دمشق كما مر أرسل كمشبغا اليه بطاعته ومشايعته على أمره وأظهر دعوته فى حلب وما اليها من أعمالها ثم سار السلطان الى دمشق وحاصرها وامده كمشبغا بجميع ما يحتاج اليه ثم جاءه بنفسه فى عساكر حلب صريخا وحمل اليه جميع حاجاته وازاح عاله وأقام له رسوم ملكه وشكر السلطان أفعاله فى ذلك وعاهده على اتابكية مصر ثم كانت الواقعة على شقحب فانهزم كمشبغا الى حلب فامتنع بها وحاصره عنقاء تابك منطاش أشهرا كما مر ثم هرب منطاش من دمشق الى العرب فأفرج عنقاء عن حلب ثم كانت واقعة الجوبانى ومقتله وزحف منطاش ويعير الى حلب فحاصروها مدة ثم وقع الخلاف بينهما وهرب منطاش الى بلاد التركمان ورجع يعير الى بلده سلمية واستأمن الى السلطان ورجع الى طاعته منتصف شوال ولما أفرجوا عن حلب نزل كمشبغا من القلعة ورمّ خرابها وخرب بانقوسا واستلحم أهلها وأخذ فى اصلاح اسوار حلب ورمّ ما ثلم منها وكانت خرابا من عهد هلاكو وجمع له أهل حلب ألف ألف درهم للنفقة فيه وفرغ منه لثلاثة أشهر ولما استوسق أمر السلطان وانتظمت دولته بعث اليه يستدعيه فى شهر ذى الحجة سنة ثنتين وتسعين وولى مكانه فى حلب قرادمرداش نقله اليها من طرابلس وولى مكانه اينال الصغير فسار كمشبغا من حلب ووصل مصر تاسع صفر سنة ثلاث وتسعين فاهتز له السلطان وأركب الامراء للقائه مع النائب ثم دخل الى السلطان فحياه وبالغ فى تكرمته وتلقاه بالرحب ورفع مجلسه فوق الاتابك اينال وأنزله ببيت منجك وقد هيأ فيه من الفرش والماعون والخرثى ما فيه للمنزل ثم بعث اليه بالاقمشة وقرب اليه

الجباد بالمراكب المقبلة وتقدم للامراء أن يتعقوه بهدايا هم فتساغوا في ذلك وبالغوا من وراء الغاية وحصر في ركابه من أمراء الشأم الطنبغا الاشرفي وحسن الكشكي فأكرمهما السلطان واستقر كشبغا بمصر في أعلى مراتب الدولة الى أن توفي ايال الاتابك في جمادى أربع وتسعين وولاه السلطان مكانه كما عاهده عليه بشقحب ووصل اليه نظر المارستان على عادة الاتابكية واستمر على ذلك لهذا العهد والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه

(استقدام ايتمش)

كان ايتمش البجاسي اتابك الدولة قد تركه السلطان وسار في العساكر الى الشأم منتصف ربيع احدى وتسعين لقتال الناصري وأصحابه لما انتقض عليه وكانت الواقعة بينهم بالمرج من نواحي دمشق وانهزمت العساكر وجاء ايتمش الى قلعة دمشق ومعه كتب السلطان في دخولها متى اضطر اليه فامتنع بها وملكها الناصري من الغد بطاعة نائبها ابن الحمصي فوكل بايتمش وأقام حبيساً وسعا عليه ثم سار الناصري الى مصر وملكها وعاد السلطان الى كرسيه في صفر سنة ثنتين وتسعين كما فصل ذلك من قبل وايتمش في أثناء ذلك كله محبوس بالقلعة ثم زحف الجوباني في جمادى الآخرة وخلص ايتمش من اعتقاله وفتق مماليك السلطان المحبوسين الذين كانوا فيه بقلعة دمشق وخرجوا واعصوصبوا على ايتمش قبل مجيء الجوباني وبعث اليه بالخبر وبعث الجوباني الى السلطان بمثل ذلك فتقدم اليه السلطان بالمقام بالقلعة حتى يفرغ من أمر عدوه ثم كان بعد ذلك واقعة الجوباني مع منطاش والعرب ومقتله وولاية الناصري على دمشق مكانه ثم افترق العرب وفارقهم منطاش الى التركمان واستقامت ممالك الشأم في ملكة السلطان واستوسق ملكه واستفحلت دولته فاستدعى الامير ايتمش من قلعة دمشق وسار لاستدعائه قنوباي من مماليك السلطان ثامن ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين ووصل الى مصر رابع جمادى الاولى من السنة ووصل في ركابه حاجب الحجاب بدمشق ومعه الامراء الذين حبسوا بالشأم منهم جنتمر نائب دمشق وابنه وابن أخته واستادار طيبغا ودمرداش اليوسفي نائب طرابلس والطنبغا الحلبي والقاضي أحمد بن القريشي وفتح الدين بن الرشيد وكاتب السر في ست وثلاثين نفراً من الامراء وغيرهم ولما وصل ايتمش قابله السلطان بالتكرمة والرحب وعرض الحاجب المساجين الذين معه ووبخ السلطان بعضهم ثم حبسوا بالقلعة حتى نفذ فيهم قضاء الله وقتلوا مع غيرهم ممن أوجبت السياسة قتلهم والله تعالى مالك الامر ولا رب سواه انتهى

(هدية افريقية)

كان السلطان قد حصل بينه وبين سلطان افريقية أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن أبى حفص الموحدى مودة والتئام وكانت كثيرا ما تجددها الهدايا من الجانبين ونذكرها ان شاء الله تعالى ولما بلغ الخبر الى تونس بما كان من نكبة السلطان وما كان من أمره امتعض له هذا السلطان بتونس وتفجع لشأنه وأقام يستطلع خبره ويستكشف من التجار التى تحضر الى مصر من أهل تونس أنباءه حتى وقف على الجلى من أمره وما كيف الله من أسباب السعادة فى خلاصه وعوده الى كرسيه فملا السرور جوانحه وأوفد عليه بالتهنئة رسوله بهدية من المقربات على سبيل الوداد مع خالصة من كبراء الموحدين محمد بن على بن أبى هلال فوصل فى العشر الاواخر من رمضان سنة ثنتين وتسعين فتلقاه السلطان بالكرامة وركب محمود استاذداره ليتلقاه عند نزوله من البحر بساحل بولاق وأنزل ببيت طشتمر بالرملة قبالة الاصطبل وأجريت عليه النفقة بما لم يجر لامثاله ورغب من السلطان فى الحج فحج وأصحب هدية الى مرسله من ثياب الوشى والديباج والسلاح بما لم يعهد مثلها وانصرف آخر ربيع سنة ثلاث وتسعين والله تعالى أعلم بغيبه

(حصار منطاش دمشق ومسير السلطان من مصر اليه وفراره ومقتل الناصرى)

لم يزل منطاش شريدا عند التركمان منذ فارق العرب ولما كان منتصف سنة ثلاث وتسعين اعتزم على قصد دمشق ويقال ان ذلك كان باغراء الناصرى يخادعه بذلك ليقبض عليه فسار منطاش من مرعش على نواحى حلب وتقدم خبره الى حماة فهرب نائبها الى طرابلس ودخل منطاش حماة ونادى فيها بالامان ثم سار منها الى حمص كذلك ثم الى بعلبك وهرب نائبها الى دمشق فخرج الناصرى نائب دمشق فى العساكر لمدافعته وسار على طريق الزبدانى فخالفه منطاش الى دمشق وقدم اليها أحمد شكار بن أبى بندمر فنار شيعة الخوارزمية والبندمرية وفتحوا له أبواب البلد ومر باصطبلات ففاد منها نحوا من ثمانمائة فرس وجاء منطاش من الغد على أثره فنزل بالقصر الابلق وأنزل الامراء الذين معه فى البيوت حوالى القصر وفى جامع شكن وجامع بيبغا وشرع فى مصادرة الناس والفريضة عليهم وأقام يومه فى ذلك واذا بالناصرى قد وصل فى عساكره فاقتتلوا عشية ذلك اليوم مرات ومن الغد كذلك وأقام كل واحد منهما فى حومته والقتال متصل بينهما سائر رجب وشعبان ولما بلغ الخبر الى السلطان ارتاب بالناصرى واتهمه بالمداهنة فى أمر

منطاش وتجهز لقصد الشام ونادى في العساكر بذلك عاشر شعبان وتسلل أهل
الخلاف من الامراء المحبوسين وأشخص الطالبين من الامراء الى الاسكندرية
ودمياط وخرج يوم عشرى شعبان فخيم بالريدانية حتى أزاح علل العساكر وقضوا
حاجاتهم واستخلف على القاهرة الاتابك كمشبغا الحموى وأنزله الاصطبل وجعل له
التصرف في التولية والعزل وترك بالقاهرة من الامراء جماعة لنظر الاتابك وتحت
أمره وأنزل النائب سودون بالقلعة وترك بها خمسمائة من مماليكه الاصاغر وأخرج معه
القضاة الاربعة والمفتين وارتحل غرة رمضان من السنة يقصد الشام وجاء الخبر رابع
الشهر بأن منطاش لما سمع بمسيرة السلطان من مصر هرب من دمشق منتصف شعبان
مع عنقاء بن   أمير آل مرا الى صرخد منطاش فكانت بينهما وقعة انهزم فيها
الناصري وقتل جماعة من أمراء الشام نحو خمسة عشر منهم ابراهيم بن منجك وغيره
ثم خرج الناصري من الغد في اتباع منطاش وقد ذكر له أن الفلاحين تجمعوا من نواحي
دمشق واحتاطوا به فركب اليه منطاش ليقاتله ففارقه أتابكه بيازتمر الى الناصري
في أكثر العساكر وولى هاربا ورجع الناصري الى دمشق وأكرم بيازتمر وأجمل له
الوعد وجاء الخبر بأن السلطان قد دخل حدود الشام فسار للقائه فلقيه بقانون وبالغ
السلطان في تكرمته وترجل حين نزوله وعانقه وأركبه بقربه ورده الى دمشق ثم سار
في أثره الى أن وصل دمشق وخرج الناصري ثانية ودخل الى القلعة ثانى عشر رمضان
من السنة والامراء مشاة بين يديه والناصري راكب معه يحمل الجتر على رأسه وبعث
بغرق كاتب نائب حماة بالعذر عما وقع منه وانه اتهم الناصري في أمر منطاش فقصد
حسم الفتنة في ذلك واستأمن السلطان وضمن له احضار منطاش من حيث كان
فأمنه وكتب اليه باجابة سؤاله ولما انقضى عيد الفطر برز من دمشق سابع شوال
الى حلب في طلب منطاش ولقيه أثناء طريقه رسول سولى بن دلغادر أمير التركمان
بهديته واستمالته وعذره عن تعرضه لسيس وانه يسلمها لنائب حلب فقبل السلطان
منه وأمنه ووعده بالجميل ثم وفد عليه أمراء آل مهنا وآل عيسى في الطاعة ومظاهرة
السلطان على منطاش ونعير وأنهما نازلان بالرحبة من تخوم الشام فأكرم السلطان
وفادتهم وتقبل طاعتهم وسار الى حلب ونزل بالقلعة منها ثانى شوال ثم وصل الخبر الى
السلطان بأن منطاش فارق نعيرا ومر ببلاد ماردين فواقعته عساكرها وقبضوا على
جماعة من أصحابه وخلص هو من الواقعة الى سالم الرودكاري من أمراء
التركمان فقبض عليه وأرسل الى السلطان يطالعه بشأنه ويطلب بعض أمراء السلطان
قرادمرداش نائب حلب في عساكره الى سالم الرودكاري لاحضار منطاش وأتبعه

بياض بالاصل

بالناصري

الاشرفي أمير مجلس وولي مكان كمشبغا أمير شيخ الحاجكي انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(مقتل منطاش)

كان منطاش قد رجع مع سالم الرودكاري الى سنجار وأقام معه أياما ثم فارقه ولحق بنعير فأقام في أحيائه وأصهر اليه بعض أهل الحي بابنته فتزوجها وأقام معهم ثم سار أول رمضان سنة أربع وتسعين وعبر الفرات الى نواحي حلب وأوقعت به العساكر هنالك وهزموهم وأسروا جماعة من أصحابه ثم طال على نعير أمر الخلاف وضجر قومه من افتقاد الميرة من التلول فأرسل صاحبه يسأل الامان وأنه يمكن من منطاش على أن يقطع أربع بلاد من المعرة فكتب له الدوادار أبو يزيد على لسانه بالاجابة الى ذلك ثم وفد محمد بن سنة خمس وتسعين فأخبر أنه كان مقيما بسلمية في أحيائه ومعه التركمان المقيمون بشيزر فركبوا اليهم وهزموهم وضرب بعض الفرسان منطاش فأكبه وجرحه ولم يعرف في المعركة لتغير صورته بما أصابه من الشظف والجفاء فأردفه ابن نعير ونجا به وقتل منهم جماعة منهم ابن بردعان وابن اينال ونجا نعير وقومهما الى دمشق وأوعز السلطان الى أمراء الشام أن يخرجوا بالعساكر ويتفرقوا الى أطراف البلاد لحمايتها حتى يرتع الناس زروعهم ثم زحف نعير ومنطاش في العساكر أول جمادى الاخيرة من السنة الى سلمية فلقيهم نائب حلب ونائب حماة فهزموهما ونهبوا حماة وخالفهم نائب حلب الى أحياء نعير فأغار عليها ونهب سوادها وأموالها واستاق نعمها ومواشيها وأضرم النار فيما بقي وأكمن لهم ينتظر رجوعهم وبلغهم الخبر بحماة فأسرعوا الكر الى أحيائهم فخرج عليهم الكمناء وأثخنوا فيهم وهلك بين الفريقين خلق من العرب والامراء والمماليك ثم وفد على السلطان أواخر شعبان عامر بن طاهر بن جبار طائعا للسلطان ومنابذا لعمه ودكوان بن نعير على طاعة السلطان وانهم يمكنون من منطاش متى طلب منهم فأقبل عليه السلطان وأثقل كاهله بالاحسان والمواعيد ودس معه الى بني نعير بامضاء ذلك ولهم ما يختارونه ولما رجع عامر ابن عمهم طاهر بمواعيد السلطان تفاوضوا مع آل مهنا جميعا وزعموهم فيما عند السلطان ماهم فيه من الضنك وسوء العيش بالخلاف والانحراف عن الطاعة وعرضوا على نعير بأن يجيبهم الى احدى الحسنيين من امساك منطاش أو تخلية سبيلهم الى طاعة السلطان ويفارقهم هو الى حيث شاء من البلاد فجزع لذلك ولم يسعه خلافهم وأذن لهم في القبض على منطاش وتسليمه الى نواب السلطان فقبضوا عليه وبعثوا الى نائب حلب

فيمن

فين يتسلمه واستحلفوه على مقاصدهم من السلطان لهم ولايهم يعبر خلف لهم وبعث اليهم بعض أمرائه فامكنوه منه وبعثوا معه الفرسان والرجالة حتى أوصلوه ودخل الى حلب في يوم مشهود وحبس بالقلعة وبعث السلطان أميرا من أمراء القاهرة فاقتحمه وقتله وحمل رأسه وطاف به في ممالك الشأم وجاء به الى القاهرة حادى عشر رمضان سنة خمس وتسعين فعلقت على باب القلعة ثم طيف بها مصر والقاهرة وعلقت على باب زويلة ثم دفعت الى أهله فدفنوها آخر رمضان من السنة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(حوادث مكة)

قد كان تقدم لنا أن عنان بن مقامس ولاه السلطان على مكة بعد مقتل محمد بن أحمد بن عجلان في موسم سنة ثمان وثمانين وان كبيش بن عجلان أقام على خلافه وحاصره بمكة فقتل في حومة الحرب سنة تسع بعدها وساء أثر عنان وعجز عن مغالبة الاشراف من بنى عمه وسواهم وامتدت أيديهم الى أموال المجاورين وصادروهم عليها ونهبوا الزرع الواصل في الشوانى من مصر الى جدة للسلطان والامراء والتجار ونهبوا تجار اليمن وساءت أحوال مكة بهم وبتابعهم وطلب الناس من السلطان اعادة بنى عجلان لامارة مكة ووفد على السلطان بمصر سنة تسع وثمانين صبى من بنى عجلان اسمه على فولاه على امارة مكة وبعثه مع أمير الحاج وأوصاه بالاصلاح بين الشرفاء ولما وصل الامير الى مكة يومئذ قرقماس خشى الاشراف منه واضطرب عنان وركب للقائه ثم توجس الخيفة وكر راجعا واتبع الاشراف واجتمعوا على منابذة على بن عجلان وشيعته من القواد والعبيد ووفد عنان بن مقامس على السلطان سنة تسعين فقبض عليه وحبسه ولم يزل محبوسا الى أن خرج مع بطا عند ثورته بالقلعة في صفر سنة ثنتين وتسعين وبعثه مع أخيه ايقا يستكشف خبر السلطان كما مر وانتظم أمر السلطان بسعاية بطا في العود الى امارته رعيا لما كان بينهما من العشرة في البحر وأسعفه السلطان بذلك وولاه شريكا لعلى بن عجلان في الامارة فأقاما كذلك سنتين وأمرهما مضطرب والاشراف معصوصبون على عنان وهو عاجز عن الضرب على أيديهم وعلى بن عجلان مع القواد والعبيد كذلك وأهل مكة على وجل من أمرهم في ضنك من اختلاف الايدى عليهم ثم استقدمهم السلطان سنة أربع وتسعين فقدموا أول شعبان من السنة فأكرمهما ورفع مجلسهما ورفع مجلس على على سائرهم ولما انقضى الفطر ولى على بن عجلان مستقلا واستبلغ في الاحسان اليه بأصناف الاقمشة والخيول والمماليك والحبوب وأذن له في الجراية والعلوفة فوق الكفاية ثم ظهر عليه بعد شهر وقد أعتد

الرواحل ليلحق بمكة هاربا فقبض عليه وحبسه بالطلعة وسار على بن عجلان الى مكة وقبض على الاشراف لتستقيم امارته ثم خودع عنهم فأطلقهم فمروا عنه ولم يعاودوا طاعته فاضطرب أمره وفسد رأيه وهو مقيم على ذلك لهذا العهد والله غالب على أمره انه على كل شئ قدير

وصول أحيامن التتروسلطانهم الى صاحب بغداد واستيلاؤه عليها ومسير السلطان بالعساكر اليه

كان هؤلاء التترمن شعوب الترك وقد ملكوا جوانب المشرق من تخوم الصين الى ماوراء النهر ثم خوارزم وخراسان وجانبيها الى سجستان وكرمان جنوبا وبلاد القفجاق وبلغار شمالا ثم عراق العجم وبلاد فارس واذربيجان وعراق العرب والجزيرة وبلاد الروم الى ان طمعوا حدود الفرات واستولوا على الشأم مرة بعد أخرى كما تقدم فى أخبارهم ويأتى ان شاء الله تعالى وكان أول من خرج منهم ملكهم جنكزخان أعوام عشر وستمائة واستقلوا بهذه الممالك كلها ثم انقسمت دولته بين بنيه فيها فكان لبنى دوشى خان منهم بلاد القفجاق وجانب الشمال بأسره ولبنى هلاكو بن طولى خان خراسان والعراق وفارس واذربيجان والجزيرة والروم ولبنى جغطاى خوارزم وما اليها واستمرت هذه الدول الثلاث الى هذا العهد فى مائة وخمسين سنة انقرض فيها ملك بنى هلاكو فى سنة أربعين من هذه المائة بوفاة أبى سعيد آخرهم ولم يعقب وافترق ملكه بين جماعة من أهل دولته فى خراسان واصبهان وفارس وعراق العرب واذربيجان وتوريز وبلاد الروم فكانت خراسان للشيخ ولى واصبهان وفارس وسجستان للمظفر الاردى وبنيه وخوارزم واعمالها الى تركستان لبنى جغطاى وبلاد الروم لبنى ارتنا مولى من موالى دمرداش بن جوبان وبغداد واذربيجان والجزيرة للشيخ حسن بن حسين بن أيبغا بن ايكان وايكان سبط ارغو بن ابغا بن هلاكو ولبنيه وهو من كبار المغل فى نسبه ولم يزل ملكهم المفترق فى هذه الدول متناقلا بين أعقابهم الى أن تلاشى واضمحل واستقر ملك بغداد واذربيجان والجزيرة لهذا العهد لاحمد بن أويس ابن الشيخ حسن سبط ارغو كما فى أخباره يأتى شرحها فى دول التتر بعد ولما كان فى هذه العصور ظهر بتركستان وبخارى فيما وراء النهر أمير اسمه تمر فى جموع من المغل والتتر ينسب هو وقومه الى جغطاى لا أدرى هو جغطاى بن جنكزخان أو جغطاى آخر من شعوب المغل والاول أقرب لما قدمته من ولاية جغطاى بن جنكزخان على بلاد ماوراء النهر لعهد أبيه وان اعترض معترض بكثرة هذا الشعب الذى مع تمر وقصر المدة أن هذه المدة من لدن جغطاى تقارب مائتى سنة لان جغطاى كان لعهد أبيه جنكزخان

يقارب الاربعين فهذه المدة أزيد من خمسة من العصور لان العصر أربعون سنة وأقل ما يتناسل من الرجل فى العصر عشرة من الولد فاذا ضوعفت العشرة بالضرب خمس مراتب كانت مائة ألف وان فرضنا أن المتناسلين تسعة لكل عصر بلغوا فى الخمسة عصور الى نحو من سبعين ألفا وان جعلناها ثمانية بلغوا فوق الاثنين وثلاثين وان جعلناهم سبعة بلغوا ستة عشر ألفا والسبعة أقل ما يمكن من الرجل الواحد لاسيما البداوة المقتضية لكثرة النسل والستة عشر ألفا عصابة كافية فى استتباع غيرها من العصائب حتى تنتهى الى غاية العساكر ولما ظهر هذا فيما وراء النهر عبر الى خراسان فملكها من يد الشيخ ولى صاحبها أعوام أربعة وثمانين بعد مراجفات وحروب وهرب الشيخ ولى الى توريز فعمد اليه تمر فى جموعه سنة سبع وثمانين وملك توريز واذربيجان وخربها وقتل الشيخ ولى فى حروبه ومر باصبهان فأعطوه طاعة معروفة واطل بعد توريز على نواحى بغداد فأرجفوا منه وواقعت عساكره باذربيجان جموع الترك أهل الجزيرة والموصل وكانت الحروب بينهم سجالا ثم تأخر الى ناحية اصبهان وجاءه الخبر بخارج خرج عليه من قومه يعرف بقمر الدين تطمش ملك الشمال من بنى دوشى خان ابن جنكزخان وهو صاحب كرسى صراى أمده بأمواله وعساكره فكر راجعا الى بلده وغيبت أنباؤه الى سنة خمس وتسعين ثم جاءت الاخبار بأنه غلب قمر الدين الخارج عليه ومحا أثر فساده واستولى على كرسى صراى فكر تمر راجعا وملكها ثم خطى الى اصبهان وعراق العجم وفارس وكرمان فملك جميعها من يد بنى المظفر اليزدى بعد حروب هلك فيها ملوكهم وبددت جموعهم وراسله صاحب بغداد احمد بن أويس وصانعه بالهدايا والتحف فلم يغن عنه وما زال يخادعه بالملاطفة والمراسلة الى ان فتر عزم أحمد وافترقت عساكره فصمد اليه يغذ السير حتى انتهى الى دجلة وسبق النذير الى أحمد فأسرى من ليله ومر بجسر الحلة فقطعه وصبح مشهد على ووافى تمر وعساكره دجلة يوم الحادى والعشرين من شوال سنة خمس وتسعين وأجازوا دجلة سبحا ودخلوا بغداد واستولوا عليها وبعث العساكر فى اتباع أحمد فلحقوا باعقابه وخاضوا اليه النهر عند الجسر المقطوع وأدركوه بالمشهد فكر عليهم فى جموعه وقتل الامير الذى كان فى أتباعه ورجعوا عنه بعد أن كانوا استولوا على جميع أثقاله ورواحله بما فيها من الاموال والذخيرة فرجعوا بها ونجا أحمد الى الرحبة من تخوم الشأم فأراح بها وطالع نائبها السلطان بأمره فأخرج اليه بعض خواصه بالنفقات والازواد ليستقدمه فقدم به الى حلب آخر ذى القعدة فأراح بها وطرقه مرض أبطأ به عن مصر وجاءت الاخبار بأن تمر عاث فى مخلفه واستصفى ذخائره واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لاغنيائهم

وبقرابتهم حتى يستتم الطاعة واقترنت بجواب بغداد من العيث ثم قدم أحمد بن أويس
على السلطان بمصر في شهر ربيع سنة ست وتسعين مستصرخا به على طلب ملكه
والانتقام من عدوه فأجاب السلطان صريخه ونادى في عساكره بالتجهز الى الشام وقد
كان تمر بعد ما استولى على بغداد زحف في عساكره الى تكريت مأوى المنافقين وعش
الحرابة ورصد السابلة وأناخ عليها بجموعه أربعين يوما فحاصرها حتى نزلوا على
حكمه وقتل من قتل منهم ثم خربها وأسرها ثم انتشرت عساكره في ديار بكر الى الرها
ووقفوا عليها ساعة من نهار فملكوها واكتسحوا نعمتها وافترق أهلها وطير الخبر الى
السلطان فخيم بالريدانية أياما أزاح فيها علل عسكره وأفاض العطاء في مماليكه
واستوعب الحشد من سائر أصناف الجند واستخلف على القاهرة النائب مودود
وارتحل الى الشام على التعبية ومعه أحمد بن أويس صاحب بغداد بعد أن كفاه مهمه
وسرب النفقات في تابعه وجنده ودخل دمشق آخر جمادى الاولى وقد كان أوعز الى
جلبان نائب حلب بالخروج الى الفرات واستنفار العرب والتركمان للاقامة هنالك
رصدا للعدو فلما وصل الى دمشق وفد عليه جلبان وطالعه بمهماته وما عنده من أخبار
القوم ورجع لانفاذ أوامره والفصل فيما طالعه فيه وبعث السلطان على أثره
العساكر مددا له مع كمشبغا الاتابك وتلكتمر أمير سلاح وأحمد بن بيبغا وكان العدو
قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهرا ثم ملكها وعاثت عساكره فيها وامتنعت عليه
قلعتها فارتحل عنها الى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الاكراد فأغارت عساكره عليها
واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد وهو شعبان سنة ست وتسعين مقيم بدمشق
مستجمع للوثبة به متى استقبل جهته والله ولي الامور وهذا آخر ما انتهت اليه دولة
الترك بانتهاء الايام وما نعلم أحدا ما في غد والله مقدر الامور وخالقها

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق مولى الأشرف بن شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاون ... وليحفظ الدين أيوب

الصالح أمير حاج

الصالح حاجي

أحمد

الكامل شعبان

قطز

السعيد بركة بن الظاهر بيبرس

شلامش

الصالح إسماعيل

المنصور محمد بن المظفر حاجي

الأشرف خليل

علي بن المعز أيبك

الخبر عن دولة بني رسول موالي بني أيوب الملوك باليمن بعدهم ومبدأ أمرهم وتصاريف أحوالهم

قد كان تقدم لنا كيف استولى بنو أيوب على اليمن واختلف عليها الولاة منهم الى أن ملكها من بني المظفر شاهنشاه بن أيوب حافده سليمان بن ... ابن المظفر ... واستقص أيام العادل سنة اثنتي عشرة وستمائة فأمر العادل ابنه الكامل خليفته على مصر أن يبعث ابنه يوسف المسعود الى اليمن وهو أخو الصالح ويلقب بالتركي اطسز ويقال اقسيس وقد تقدم ذكر هذا اللقب فملكها المسعود من يد سليمان وبعثه معتقلا الى مصر وهلك في جهاد الافرنج بدمياط سنة سبع وأربعين وهلك العادل أخو المسعود سنة خمس عشرة وستمائة وولي بعده ابنه الكامل وجدد العهد المسعود على اليمن وحج المسعود سنة تسع عشرة وكان من خبره في تأخير أعلام الخليفة عن اعلامه ما مر في أخبار دولتهم ثم جاء سنة عشرين الى مكة وأميرها حسن بن قتادة من بني مطاعن احدى بطون بني حسن فجمع لقتاله وهزمه المسعود وملك مكة وولى عليها ورجع الى اليمن فأقام به ثم طرقه المرض سنة ست وعشرين فارتحل الى مكة واستخلف على اليمن علي بن رسول التركماني أستاذداره ثم هلك المسعود بمكة لاربع عشرة سنة من ملكه وبلغ خبر وفاته الى أبيه وهو محاصر دمشق ورجع ابن قتادة الى مكة ونصب علي بن رسول على اليمن موسى بن المسعود ولقبه الاشرف وأقام ملكا على اليمن الى أن خلع وخلف المسعود ولدا آخر اسمه يوسف ومات وخلفه ابنه واسمه موسى وهو الذي نصبه الترك بعد ايبك ثم خلعوه ثم خلع علي بن رسول موسى الاشرف بن المسعود واستبد بملك اليمن وأخذ بدعوة الكامل بمصر وبعث أخويه رهنا على الطاعة ثم هلك سنة تسع وعشرين وولي ابنه المنصور عمر بن علي بن رسول ولما هلك علي بن منصور وولي بعده الكامل ابنه عمر ثم توفي الكامل سنة خمس وثلاثين وشغل بنو أيوب بالفتنة بينهم فاستغلظ سلطان عمر باليمن وتلقب المنصور ومنع الاتاوة التي كان يبعث بها الى مصر فأطلق صاحب مصر العادل بن الكامل عمومته الذين كان أبوه رهنهم على الطاعة لينازعوه في الامر فغلبهم وحبسهم وكان أمر الزيدية بصعدة قد خرج من بني الرسي وصار لبني سليمان بن داود كما مر في اخبارهم ثم بويع من بني الرسي أحمد ابن الحسين من بني الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بايع له الزيدية بحصن ثلا وكانوا من يوم أخرجهم السليمانيون من صعدة قد أووا الى جبل مكانه فلما بويع أحمد بن الحسين هذا لقبوه الموطئ وكان بحصن ثلا وكان الحديث شائعا بين الزيدية بأن الامر يرجع الى بني الرسي وكان أحمد فقيها أديبا عالما بمذهب الزيدية

بياض في الموضعين بالاصل

مجتهدا

مجتهدا فی العبادة وبویع سنة خمس وأربعین وستمائة وأهم عمر بن رسول شأنه فشمر
لحربه وحاصره بحصن ملامدة ثم أفرج عنه وجهز العساكر لحصاره من الحصون
المجاورة له ولم يزل قائما بأمره الى أن وثب عليه سنة ثمان وأربعين جماعة من مماليكه
بممالأة بنی أخيه حسن فقتلوه لثمان عشرة سنة من ولايته المظفر يوسف بن عمر ولما هلك
المنصور علی بن رسول كما قلناه قام بالامر مكانه ابنه المظفر شمس الدين يوسف وكان
عادلا محسنا وفرض الاتاوة عليه لملوك مصر من الترك لما استقلوا بالملك ومازال
يصانعهم بها ويعطيهم اياها وكان لاول ملكه امتنع عليه حصن الدملوة فشغل بحصاره
وتمكن أحمد الموطئ الثائر بحصن ملا من الزيدية من أعقاب بنی الرسی فملك عشرين
حصنا من حصون الزيدية وزحف الى صعدة فملكها من يد السليمانيين ونزل له أحمد
المتوكل امام الزيدية منهم فبايعه وأمنه ولما كانوا فی خطابه لم يزل فی كل عصر منهم
امام كما ذكرناه فی اخبارهم قبل ولم يزل المظفر واليا على اليمن الى أن هلك بغتة سنة أربع
وتسعين لست وأربعين سنة من ملكه الاشرف عمر بن المظفر يوسف ولما هلك المظفر
يوسف كما قلناه وولی بعده ابنه الاشرف ممهد الدين عمر وكان أخوه داود واليا على
الشحر فدعا لنفسه ونازعه الامر فبعث الاشرف عساكره وقاتلوه وهزموه وقبضوا
عليه وحبسه واستقر الاشرف فی ملكه الى أن سمته جاريته فمات سنة ست وتسعين
لعشرين شهرا من ولايته

ناقص بالاصل

أخوه داود بن المظفر المؤيد يوسف ولما هلك
الاشرف بن عمر بن المظفر يوسف أخرج أخاه مؤيد الدين داود من معتقله وولوه عليهم
ولقبوه المؤيد وافتتح أمره بقتل الجارية التی سمت أخاه ومازال يواصل ملوك الترك
بهداياه وصلاته وتحفه والضريبة التی قررها سلفه وانتهت هديته سنة احدی عشرة
وسبعمائة الى مائتی وقر بعير بالثياب والتحف وطرف اليمن ومائتين من الجمال والخيل
ثم بعث سنة خمس عشرة بمثل ذلك وفسد ما بينه وبين ملوك الترك بمصر وبعث بهديته
سنة ثمان عشرة فردوها عليه ثم هلك سنة احدی وعشرين وسبعمائة لخمس وعشرين
سنة من ملكه وكان فاضلا شافعی المذهب وجمع الكتب من سائر الامصار فاشتملت
خزانته على مائة ألف مجلد وكان يتفقد العلماء بصلاته ويبعث لابن دقيق العيد فقيه
الشافعية بمصر جوائزه ولما توفی المؤيد داود سنة احدی وعشرين كما قلناه قام بملكه
ابنه المجاهد سيف الدين علی ابن ثنتی عشرة سنة والله وارث الارض ومن عليها

(ثورة جلال الدين بن عمر الاشرف وحبسه)

ولما ملك المجاهد علی شغل بلذاته وأساء السيرة فی أهل المناصب الدينية بالعزل
والاستبدال بغير حق فنكره أهل الدولة وانتقض عليه جلال الدين ابن عمه عمر

الاشرف وزحف اليه وكانت بينهما حروب ووقائع كان النصر فيها للمجاهد وغلب على جلال الدين وحبسه والله تعالى أعلم

• (ثورة جلال الدين ثانيا وحبس المجاهد وبيعة المنصور أيوب بن المظفر يوسف) •

وبعد أن قبض المجاهد على جلال الدين ابن عمه الاشرف وحبسه لم يزل مشتغلا بلهوه عاكفا على لذاته وضجرته أهل الدولة وداخلهم جلال الدين في خلعه فوافقوه فرحل الى ... سنة ثنتين وعشرين فخرج جلال الدين من محبسه وهجم عليه في بعض البساتين وقتل حرمه وقبض عليه وبايع لعمه المنصور أيوب بن المظفر يوسف واعتقل المجاهد عنده في تعز وأطلق جلال الدين ابن عمه والله تعالى أعلم بغيبه

{خلع المنصور أيوب ومقتله وعود المجاهد الى ملكه ومنازعة الظاهر بن المنصور أيوب له}

ولما حبس المجاهد بقلعة تعز واستقل المنصور بالملك اجتمع شيعة المجاهد وهجموا على المنصور في بيته بتعز وحبسوه وأخرجوا المجاهد وأعادوه الى ملكه ورجع أهل اليمن لطاعته وكان أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب بالدملوة فعصى عليه وامتنع بها وكتب اليه المجاهد يهدده بقتل أبيه فلج واتسع الخرق بينهما وعظمت الفتنة وافترق عليهما العرب وكثر عيثهم وكثر الفساد وبعث المنصور من محبسه الى ابنه عبد الله ان يسلم الدملوة خوفا على نفسه من القتل فأبى عبد الله من ذلك وأساء الرد على أبيه ولما يئس المجاهد منه قتل أباه المنصور أيوب بن المظفر في محبسه واجتمع أهل الدملوة وكبيرهم الشريف ابن حمزة وبايعوا أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب وبعث عسكرا مع الشهاب الصفوي الى زبيد فحاصروها وفتحوها وجهز المجاهد عساكره اليها مع قائده على بن الدوادار ولما قاربوا زبيد أصابهم سيل وبيتهم أهل زبيد فمالوا عليهم وأسروا أمراءهم واتهم المجاهد قائده على بن الدوادار بمداخلة عدوه وكتب اليه أن يسير الى عدن لتحصيل مواليها وكتب الى والى عدن بالقبض عليه ووقع الكتاب بيد الظاهر فبعث به الى الدوادار فرجع الى عدن وحاصرها وفتحها وخطب بها للظاهر سنة ثلاث وعشرين وملك عدن بعدها ثم استمال صاحب صنعاء وحرض فقاموا بدعوة الظاهر وبعث المجاهد الى مذحج والاكراد يستنجدهم فلم ينجدوه وهو بحصن المعدية وكتب الظاهر الى أشراف مكة وقاضيها نجم الدين الطبري بأن الامر قد استقر له باليمن والله تعالى ولى التوفيق لا رب سواه •

• (وصول العساكر من مصر مددا للمجاهد واستيلاؤه على امره وصلحه مع الظاهر) •

ولما غلب الظاهر بن المنصور أيوب على قلاع اليمن وانتزعها من المجاهد وحاصره بقلعة

المعدية بعث المجاهد سنة أربع وعشرين بصريخه الى السلطان بمصر من الترك الناصر محمد بن قلاون سنة خمس وعشرين فبعث اليه العساكر مع بيبرس الحاجب وانيال من أمراء دولته ووصلوا اليه سنة خمس وعشرين فساروا اليهم المجاهد من حصن المعدية بنواحي عدن الى تعز فاستأمن اليه أهلها فأمنهم وراسلوا الظاهر في الصلح فأباب على أن تكون له الدملوة وتحالفوا على ذلك وطلب أمراء الترك الشهاب الصفوي الذي أنشأ الفتنة بين المجاهد والظاهر فامتنع من اجابتهم فركب بيبرس وهجم عليه في خيمته وقتله بسوق الخيل بتعز وأثخنوا في العصاة على المجاهد في كل ناحية حتى أطاعوا وتمهد له الملك ورجعت العساكر الى مصر سنة ست وعشرين والله سبحانه وتعالى أعلم

(نزول الظاهر للمجاهد عن الدملوة ومقتله)

ولما استقام الامر للمجاهد باليمن واستخلفه الظاهر على الدملوة أخذ المجاهد في تأنيسه واحكام الوصلة به حتى اطمأن وهو يفتل له في الذروة والغارب حتى نزل له عن الدملوة وولى عليها من قبله وصار الظاهر في جملته ثم قبض عليه وحبسه بقلعة تعز ثم قتله في محبسه سنة أربع وثلاثين والله تعالى أعلم

حج المجاهد على بن المؤيد داود وواقعته مع أمراء مصر واعتقاله بالكرك ثم اطلاقه ورجوعه الى ملكه

ثم حج المجاهد سنة احدى وخمسين أيام حسن الناصري الاولى وهي السنة التي حج فيها طاز كافل المملكة أميرا وحج بيبقاروس الكافل الآخر مقيدا لان السلطان أمر طاز بالقبض عليه في طريقه فلما قبض عليه رغب منه أن يخلي سبيله لاداء فرضه فأجابه وحج مقيدا وجاء المجاهد ملك اليمن للحج وشاع عنه أنه يروم كسوة الكعبة فتنكر أمراء مصر وعساكرها لاهل اليمن ووقعت في بعض الايام هيعة في ركب اليمن فتحاربوا وانهزم وذهب سواده وركب أهل اليمن كافة وأطلق بيبقاروس للقتال فخلا في تلك الوقعة وأعيد الى اعتقاله وحمل المجاهد الى مصر معتقلا فحبس ثم أطلق سنة ثنتين وخمسين في دولة الصالح وبعثوا معه قشتمر المنصوري الى بلاده فلما انتهى الى الينبع ظهر عليه قشتمر بأنه يروم الهرب فرده وحبسه بالكرك ثم أطلق بعد ذلك وأعيد الى ملكه وأقام على مهاداة صاحب مصر ومصانعته الى أن توفي سنة ست وستين لثنتين وأربعين سنة من ملكه .

(ولاية الافضل عباس بن المجاهد على)

ولما توفى المجاهد سنة ست وستين ولى بعده ابنه عباس واستقام له ملك اليمن الى أن هلك سنة ثمان وسبعين لبقى عشرة سنة من ملكه والله تعالى أعلم

(ولاية المنصور محمد بن الافضل عباس)

ولما توفى الافضل عباس بن المجاهد سنة ثمان وسبعين ولى بعده ابنه المنصور محمد واستولى على أمره واجتمع جماعة من مماليكه سنة ثنتين وغابوا للثورة به وقتله واطلع على شأنهم فهربوا الى الدملوة وأخذهم العرب فى طريقهم وجاؤا بهم وعفا عنهم واستمر فى ملكه الى أن هلك والله تعالى أعلم

(ولاية أخيه الاشرف بن الاعضل عماس)

ولما توفى المنصور محمد بن الافضل سنة   ولى أخوه الاشرف اسمعيل واستقام أمره وهو صاحب اليمن لهذا العهد لسنة ست وتسعين والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الأشرف اسمعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول التركماني

الظاهر عبد الله بن المنصور أيوب

الخبر عن دولة التتر من شعوب الترك وكيف تغلبوا على الممالك الاسلامية وانتزوا على كرسي الخلافة ببغداد وما كان لهم من الدول المفترقة وكيف أسلموا بعد ذلك ومبدأ أمورهم وتصاريف أحوالهم

قد تقدم لنا ذكر التتر وأنهم من شعوب الترك وأن الترك كلهم ولد كومر بن يافث على

الصحيح وهو الذى وقع فى التوراة وتقدم لنا ذكر أجناس الترك وشعوبهم وعدد منهم الغز الذين منهم السلجوقية والهياطلة الذين منهم الخلج وبلاد الصغد قريبا من سمرقند ويسمون بها أيضا وعدد منهم الخطا والطغرغز وهم التتر وكانت مساكن هاتين الامتين بارض طمغاج ويقال انها بلاد تركستان وكاشغر وما اليها من وراء النهر وهى بلاد ملوكهم فى الاسلام وعدد منهم الخزلجية والغور والخزر والخفشاخ وهم القفجاق ويمك والعلان ويقال الان وجركس واركش وعد صاحب زجار فى كتابه على الجغرافيا العسه والتغرغرية والخرخيرية والكيماكية والخزلجية والخزر والخلج وبلغار ويمانك وبرطاس وسخرت وخرجان وانكر وذكر مساكن انكر فى بلاد البنادقة من أرض الروم وجمهور هذه الامم من الترك فيما وراء النهر شرقا الى البحر المحيط بين الجنوب والشمال من الاقليم الاول الى السابع والصين فى وسط بلادهم وكان الصين أولا لبنى صينى اخوانهم من بنى يافث ثم صار لهم واستولوا على معظمه الا قليلا من أطرافه على ساحل البحر وهم رحالة كما مر فى ذكرهم أول الكتاب وفى دولة السلجوقية وأكثرهم فى المفازة التى بين الصين وبلاد تركستان وكان لهم قبل الاسلام دولة ولهم مع الفرس حروب مذكورة وملكهم لذلك العهد فى بنى فراسياب وكان بينهم وبين العرب لاول الفتح حروب طويلة قاتلوهم على الاسلام فلم يجيبوا فأثخنوا فيهم وغلبوهم على أطراف بلادهم وأسلم ملوكهم على بلادهم وذلك من بعد القرن الاول وكانت لهم فى الاسلام دولة ببلاد تركستان وكاشغر ولا أدرى من أى شعوبهم كان هؤلاء الملوك وقد قيل فيهم انهم من ولد فراسياب ولا يعرف شعب فراسياب فيهم وكان هؤلاء الملوك يلقبون بالخاقان بالخاء والقاف سمة لكل من يملك منهم مثل كسرى للفرس وقيصر للروم وأسلم ملوكهم بعد صدر من الملة على بلادهم وملكهم فأقاموا بها وكان بينهم وبين بنى سامان الملوك القائمين فيما وراء النهر بدولة بنى العباس حرب وسلم اتصلت حالهم عليها الى أن تلاشت دولتهم ودولة بنى سامان جميعا وقام محمود بن سبكتكين من موالى بنى سامان بدولتهم وملكهم فيما وراء النهر وخراسان وقد ظهر لذلك العهد بنو سلجوق وغلبوا ملوك الترك على أمرهم وأصبحوا فى عداد ولاتهم شأن الدول البادية الجديدة مع الدول القديمة الحاضرة ثم نازعوا بنى سبكتكين وغلبوهم على ملكهم فيما بعد المائة الرابعة واستولوا على ممالك الاسلام بأسرها وملكوا ما بين الهند ونهاية المعمور فى الشمال وما بين الصين وخليج القسطنطينية فى الغرب وعلى اليمن والحجاز والشام وقضوا كثيرا من بلاد الروم واستفحلت دولتهم بما لم تنته اليه دولة بعد العرب والخلفاء فى الملة

ثم تلاشت دولتهم وانقرضت بعد مائتين من السنين شأن الدول وسنة الله في العباد وكانوا بعد خروج السلجوقية الى خراسان قد خلفتهم في بلاد بضواحي تركستان وكاشغر من أمم الترك أمة الخطا ومن ورائهم أمة التتر ما الى تركستان وحدود الصين ولم يقدر ملوك الخانية بتركستان على دفاعهم لعجزهم عن ذلك فكان ارسلان خان بن محمد ابن سليمان ينزلهم مسالح على الدروب ما بينه وبين الصين ويقطعهم على ذلك ويوقع بهم على الفساد والعيث ثم زحف من الصين ملك الترك الاعظم كوخان سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ولحقت به أمم الخطا ولقيهم الخان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بن بقراخان صاحب تركستان وما وراء النهر من الخانية وهو ابن أخت السلطان سنجر ابن ملك شاه صاحب خراسان من ملوك السلجوقية فهزموه وبعث بالصريخ الى خاله سنجر فاستنفر ملوك خراسان وعساكر المسلمين وعبر جيحون للقائهم وسارت اليه أمم الترك والخطا وتواقعوا في صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة وانهزم سنجر وأسرت زوجته ثم أطلقها كوخان ملك الترك واستولى على ما وراء النهر ثم مات كوخان سنة سبع وثلاثين وملكت بعده بنته ثم ماتت فلكت بعدها أمها زوجة كوخان وابنه محمد ثم انقرض ملكهم واستولى الخطا على ما وراء النهر ثم غلب على خوارزم علاء الدين محمد بن تكش كما قدمناه ويلقب هو وأبوه بخوارزم شاه وكان ملوك الخانية ببلادهم فيما وراء النهر فاستصرخوا به على الخطا لما كثر من عيثهم وفسادهم فأجاب صريخهم وعبر النهر سنة ست وستمائة وملكهم يومئذ كبير السن بصير في الحرب فلقيهم فهزموه وأسر خوارزم شاه ملكهم طاينكوه وحبسه بخوارزم وملك سائر بلاد الخطا الى أوركند وأنزل بها نوابه وزوج أخته من الخان صاحب سمرقند وأنزل معه شحنة كما كانت للخطا وعاد الى بلاده وثار ملك الخانية بالشحنة بعد رجوعه بسنة وقتلهم وهم بقتل زوجته أخت خوارزم شاه وحاصره بسمرقند واقتحمها عليه عنوة وقتله في جماعة من أقاربه ومحا أثر الخانية وملكهم مما وراء النهر وأنزل في سائر البلاد نوابه وكانت أمة التتر من وراء الخطا هؤلاء قد نزلوا في حدود الصين ما بينها وبين تركستان وكان ملكهم كشلي خان ووقع بينهم وبين الخطا من العداوة والحروب ما يقع بين الامم المتجاورة فلما بلغهم ما فعله خوارزم شاه بالخطا أرادوا الانتقام منهم وزحف كشلي خان في أمم التتر الى الخطا لينتهزوا الفرصة فيهم فبعث الخطا الى خوارزم شاه يستلطفون له ويسألونه النصر من عدوهم قبل أن يستحكم أمره وتضيق عنه قدرتهم وقدرته وبعث اليه كشلي ملك التتر بمثل ذلك فتجهز يوهم كل واحد من الفريقين أنه له وأقام متنبذا عنهما وقد تواقعوا وانهزم الخطا فمال مع التتر عليهم واستلحموهم في كل

وجه ولم يبق منهم الا القليل تحصنوا بين جبال في نواحي تركستان وقليل آخرون لحقوا بخوارزم شاه فكانوا معه وبعث خوارزم شاه الى كشلى خان ملك التتر يعتد عليه بهزيمة الخطا وأنها انما كانت بمظاهرته فأظهر له الاعتراف وشكره ثم نازعه في بلادهم وأملاكهم وبعث خوارزم شاه بحربهم ثم علم أنه لا طاقة له بهم فكف براوفهم عن اللقاء وكشلى خان يعذله في ذلك وهو يغالطه واستولى كشلى خان خلال ذلك على كاشغر وبلاد تركستان وساغون ثم عمد خوارزم شاه الى الشاش وفرغانة واسبيجاب وقاشان وما حولها من المدن التي لم يكن في بلاد الله أنزه منها ولا أحسن عمارة فجلا أهلها الى بلاد المسلمين وخرب جميعها خوفا أن يملكها التتر بعد ذلك وخرج على كشلى خان طائفة أخرى يعرفون بالمغل وملكهم جنكزخان فشغل كشلى خان بحربهم عن خوارزم شاه وعبر النهر الى خراسان ونزل خوارزم الى أن كان من أمره ما نذكره والله سبحانه وتعالى أعلم

استيلاء التتر على ممالك خوارزم شاه فيما وراء النهر وخراسان ومهلك خوارزم شاه وتولية محمد بن تكش

ولما رحل السلطان الى خراسان استولى على الممالك ما بينه وبين بغداد من خراسان ومازندران وباميان وغزنة الى بلاد الهند وغلب الغورية على ما بأيديهم ثم ملك الري واصبهان وسائر بلاد الجبل وسار الى العراق وبعث الى الخليفة في الخطبة كما كانت للملوك بني سلجوق فامتنع الخليفة من ذلك كما مر ذلك كله في أخبار دولتهم ثم عاد من العراق سنة ست عشرة وستمائة واستقر بنيسابور فوفدت عليه رسل جنكزخان بهدية من نقرة المعدن ونوافج المسك وحجر اليشم والثياب الخطائية المنسوجة من وبر الابل البيض ويخبر أنه ملك الصين وما بينهما من بلاد الترك ويطلب المواعدة والاذن للتجار بالتردد لمتاجرهم من الجانبين وكان في خطابه اطراء السلطان خوارزم شاه بأنه مثل أعز أولاده فاستنكف السلطان من ذلك وامتعض له وأجمع عداوته واستدعى محمودا الخوارزمي من رسل جنكزخان واصطنعه ليكون عينا له على صاحبه واستخبره عما قاله في كتابه من أنه ملك الصين واستولى على مدينة طوغاج فصدق له ذلك وسأله عن مقدار العساكر فقللها وغشه في ذلك ثم نكر عليه الخطاب بالولد ثم صرف الرسل بما طلبوه من الموادعة والاذن للتجار ووصل على اثر ذلك بعض التجار من بلادهم الى اطرار وبها اينال خان ابن خال السلطان خوارزم شاه فعثر على أموالهم ورفع الى السلطان أنهم عيون على البلاد وليسوا بتجار فأمره بالاحتياط عليهم ففعل وأخذ أموالهم وقتلهم خفية وفشا الخبر الى جنكزخان فبعث بالنكير على السلطان في ذلك

وقال

وقال له ان كان فعله اينال خان فابعثه الى وتم تدده على ذلك فى كتبه فانزعج السلطان لها وقتل الرسل وبلغ الخبر الى جنكزخان فسار فى العساكر الى بلاده وجبى السلطان من سمرقند خراج سنتين حصن به أسوار سمرقند وجبى ثالثة استخدم بها الفرسان لحمايتها ثم سار للقاء جنكزخان فكانت بينهما واقعة عظيمة هلك فيها كثير من الفريقين فكبسهم وهو غائب عنهم ورجع خوارزم شاه الى جيحون وأقام عليه وفرق عساكره فى أعمال ماوراء النهر بخارى وسمرقند وترمذ وأنزل آبنانج من أكبر أمرائه وأصحاب دولته فى بخارى وجعلهم لنظره ثم جاء جنكزخان اليه فعبر النهر محفلا وقصد جنكزخان اطرار فحاصرها وملكها غلابا وأسر أميرها اينال خان الذى قتل التجار فأذاب الفضة فى أذنيه وعينيه ثم حاصر بخارى وملكها على الامان وقاتلوا معه القلعة حتى خربها ثم غدر بهم فقتلهم وسباهم وفعل مثل ذلك فى سمرقند سنة تسع عشرة ثم كتب كتبا الى أمراء خوارزم شاه قرابة أمه كأنها أجوبة عن كتبهم اليه باستدعائه والبراءة من خوارزم شاه وذمه بعقوق أمه فبسط آمالهم فى كتبه ووعد تركان خان أم السلطان وكانت فى خوارزم فوعدها بزيادة خراسان وأن تبعث من يستحلفه على ذلك وبعث بالكتب من يعترض بها السلطان فلما قرأها ارتاب بأمه وبقرابتها فاستوحشوا ووقع التقاطع والنفرة ولما استولى جنكزخان على ماوراء النهر ونجا نائب بخارى فى الفل أجفل السلطان وعبر جيحون ورجع عنه طوائف الخطا الذين كانوا معه وتخاذل الناس وسرح جنكزخان العساكر فى اثره نحوا من عشرين ألفا كانوا يسمونهم التتر المغربة لتوغلهم فى البلاد غربى خراسان الى بلاد القفجاق ووصل السلطان الى نيسابور فلم يلبث بها وارتحل الى مازندان والتتر فى أثره ثم انتهى الى همذان فكبسوه هنالك وفرقوا جموعه ونجا الى جبال طبرستان فأقام بقرية بساحل البحر فى فل من قومه ثم كبسه التتر أخرى فركب البحر الى جزيرة فى بحيرة طبرستان وخاضوا فى اثره فغلبهم الماء ورجعوا وأقام خوارزم شاه بالجزيرة ومرض بها ومات سنة سبع عشرة وستمائة وعهد لابنه جلال الدين سكرى ولما بلغ خبر اجفاله الى أمه تركان خاتون بخوارزم خرجت سارية واعتصمت بقلعة ايلاز من مازندان ورجع التتر عن اتباع خوارزم شاه فافتتحوا قلاع مازندان وملكوها وملكوا قلعة ايلاز صلحا وأسروا أم السلطان وبناته وتزوجهن التتر وتزوج دوشى خان ابن جنكزخان واحدة وبقيت تركان خاتون أسيرة عندهم فى ذل وخمول والله سبحانه وتعالى أعلم

مسير التتر المغربة بعد خوارزم شاه الى العراق واذربيجان واستيلاؤهم عليها الى بلاد قفجاق والروس وبلاد الخزر

ولما رجع التتر المغربة من اتباع خوارزم شاه سنة سبع عشرة عادوا الى همذان
واستقروا امامه وأعليه وصانعهم أهل همذان بعلولة ثم ساروا الى سجار كنثر ثم
الى قومس فامتنعوا منهم وحاصروها وملكوها غلابا وقتلوا أكثر من أربعين ألفا ثم
ساروا الى اذربيجان وصانعهم صاحب تبريز وانصرفوا الى موقان ومروا ببلاد
الكرج فاكتسحوها وجمعوا لهم فهزموهم وأثخنوا فيهم وذلك آخر سنة سبع عشرة ثم
عادوا الى مراغة فملكوها عنوة في صفر سنة ثمان عشرة واستباحوها ورحلوا عنها
الى اربل وبها مظفر الدين كوكبرى واستمد صاحب الموصل فأمده بالعساكر ثم
استدعاهم الخليفة الناصر الى دقوقا للمدافعة عن العراق مع عساكره وولى عليهم
مظفر الدين صاحب اربل فخام عن لقائهم وخاموا عن لقائه وساروا الى همذان وبها
شحنتهم فامتنعوا من مصانعتهم وقاتلوهم فملكوها عنوة واستباحوها واستلحموا
أهلها ورجعوا الى اذربيجان فملكوا أردبيل واستباحوها وخربوها وساروا الى تبريز
وقد فارقها أزبك بن البهلوان الى نقجوان فصانعوهم بالاموال وساروا الى بيلقان
وملكوها عنوة وأفحشوا في القتل والمثلة واكتسحوا جميع الضاحية ثم ساروا الى
كنجة قاعدة اران فصانعهم أهلها فساروا الى بلاد الكرج فهزموهم وحاصروهم
بقاعدتهم تفليس وردهم كثرة الاوعار عن التوغل فيها ثم قصدوا دربند شروان
وحاصروا مدينة شماخي ودخلوها عنوة وملكوها واستباحوها وأعجزهم الدربند عن
المسير فراسلوا شروان في الصلح فبعث اليهم رجالا من أصحابه فقتلوا بعضهم وقتلوا
الباقين أدلاء وأنفذوا من الدربند الى ارض فسيحة وبها من القفجاق واللان والترك
وطوائف من الترك مسلمون وكفار أمم لا تحصى ولم يطيقوا مغالبتهم لكثرتهم
فرجعوا الى التضريب بينهم حتى استولوا على بلادهم ثم اكتسحوها وأوسعوهم قتلا
وسبيا وفر أكثرهم الى بلاد الروس وراءهم واعتصم الباقون بالجبال والغياض
وانتهى التتر الى مدينتهم الكبرى سرداق على بحر نيطش المتصل بخليج القسطنطينية
وهي مادتهم وبها تجارتهم فملكها التتر وافترق أهلها في الجبال وركب أهلها البحر الى
بلاد الروم في ايالة بنى قلج ارسلان ثم سار التتر سنة عشرين وستمائة من بلاد قفجاق الى
بلاد الروس المجاورة لها وهي بلاد فسيحة وأهلها يدينون بالنصرانية فساروا الى
مدافعتهم في تخوم بلادهم ومعهم جموع من القفجاق أياما ثم انهزموا وأثخن فيهم التتر
قتلا وسبيا ونهبا وركبوا السفن هاربين الى بلاد الاسلام وتركوا بلادهم فاكتسحها
التتر ثم عادوا عنها وقصدوا بلغار آخر السنة واجتمع أهلها وساروا للقائهم بعد
ان أكمنوا لهم ثم استطردوا أمامهم وخرج عليهم الكمناء من خلفهم فلم ينج منهم

الا القليل وارتحلوا عائدين الى جنكزخان بأرض الطالقان ورجع القفجاق الى بلادهم واستقروا فيها والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

(مسير جنكزخان الى خراسان وتغلبه على أعمالها وعلى خوارزم شاه)

كان جنكزخان بعد أن أجفل خوارزم شاه من جيحون ومسير التتر المغربة فى طلبه سمرقند فبعث عسكرا الى ترمذ وعسكرا الى فرغانة وعسكرا الى خوارزم وعسكرا الى خراسان وكان عسكر خوارزم أعظمها لانها كرسى الملك ومأوى العساكر وبعث مع العساكر ابنه جغطاى واركطاى فحاصروها خمسة أشهر وامتنعت فأمدهم جنكزخان بالعساكر متلاحقة وملكوها ناحية ناحية الى أن استوعبوا ثم نقبوا السد الذى يمنع ماء جيحون عنها فسال اليها جيحون فغرقها وتقسم أهلها بين السند والعراق هكذا قال ابن الاثير وقال النسائى كاتب جلال الدين ان دوشى خان عرض عليهم الامان وخرجوا اليه فقتلهم أجمعين وذلك فى محرم سنة سبع عشرة وعاد دوشى خان والعساكر الى جنكزخان فوجدوه بالطالقان وأما عسكر ترمذ فساروا اليها وملكوها وتقدموا الى كلابة من قلاع جيحون فملكوها وخربوها وعسكر فرغانة كذلك وأما عسكر خوارزم فعبروا الى بلخ وملكوها على الامان سنة سبع عشرة وأنزلوا بها شحنة ثم ساروا الى الزوزان وايدخور ومازندران فملكوها وولوا عليها ثم ساروا الى الطالقان وحاصروا قلعة صاركوه وكانت منيعة وجاءهم جنكزخان بنفسه بعد امتناعها ستة أشهر فحاصروها أربعة أشهر أخرى ثم أمر بنقل الخشب والتراب ليجتمع به تل يتعالى به البلاد فلما استيقنوا الهلكة فتحوا الباب وصدقوا الحملة فنجا الخيالة وتفرقوا فى البلاد والشعاب وقتل الرجالة ودخل التتر فاستباحوها وبعث جنكزخان عسكرا الى نسا مع صهره قفجاقانون فقتل فى حصارها ثم ملكوها فاستباحوها وخربوها ويقال قتل فيها أكثر من سبعين ألفا ثم بعث جنكزخان فى العساكر الى

وقد كان الناجون من هذه الوقائع انزووا اليها فاجتمعوا بظاهرها أكثر من مائتى ألف لا يشكون فى الظفر فلما زحف اليهم التتر ولوا منهزمين وأثخنوا فيهم ثم حاصروا البلد خمسة أشهر واستنزلوا أميرها على الامان ثم قتلوهم جميعا وحضر جنكزخان قتلهم يقال قتل فيها سبعمائة ألف ثم ساروا الى نيسابور فاقتحموها عنوة وقتلوا وعاثوا ثم الى طرابلس كذلك ثم ساروا الى هراة فملكوها على الامان وأنزلوا عندهم الشحنة وعادوا الى جنكزخان بالطالقان وهو يرسل العساكر والسرايا فى نواحى خراسان حتى أتوا عليها تخريبا وذلك كله سنة سبع عشرة والله تعالى اعلم

(اجفال جلال الدين ومسير التتر فى اتباعه وفراره الى الهند)

بياض بالاصل

ثم بعث العساكر في طلب جلال الدين وقد كان بعد مهلك أبيه وخروج تركان خاتون من خوارزم سار اليها وملكها واجتمع اليه الناس ثم نمى اليه أن قرابة تركان خاتون وهم البياروتية مالوا الى أخيه يولغ شاه وابن أختهم وانهم يريدون الوثوب بجلال الدين ففر ولحق بنيسابور وجاءت عساكر التتر الى خوارزم فأجفل يولغ شاه وأخواه ليلحقوا به بنيسابور فأدركهم التتر وهم محاصرون قلعة قندهار فاستلحموهم ثم سار الى غزنة فملكها من يد التوار الذين استولوا عليها أيام هذه الفتنة وذلك سنة ثمان عشرة ولحق به أمراء أبيه الذين تغلبوا على نواحي خراسان في هذه الفتنة وأزعجهم التتر عنها فصاروا مع جلال الدين كبسة التتر بقلعة قندهار ولحق فلهم بجنكزخان وبعث ابنه طولي خان لقتال جلال الدين فهزمه جلال الدين وقتله ولحق الفل من عساكره بجنكزخان فسار في أمم التتر ولقي جلال الدين فانهزم ولم يفلت من التتر الا الأقل ورجع جلال الدين فنزل على نهر السند وقد كان جماعة من أمرائه انعزلوا عنه يوم الواقعة الاولى بسبب الغنائم فبعث اليهم يستألفهم فعاجله جنكزخان وقاتله ثلاثة أيام هزمه واعترضه نهر السند فاقتحمه وخلص الى السند بعد أن قتل حرمه أجمعين وذلك سنة ثمان عشرة والله تعالى أعلم

(أخبار غياث الدين بن خوارزم شاه مع التتر)

كان خوارزم شاه قد قسم الملك بين ولده فجعل العراق لغورنشاه وكرمان لغياث الدين تمرشاه فلم يتعد اليها أيام أبيه فلما فر خوارزم شاه الى ناحية الري لقيه ابنه غورنشاه صاحب العراق ثم كانت واقعة التتر به على حدوى ولحق خوارزم شاه بجزيرة طبرستان ولحق غورنشاه بكرمان ثم رجع واستولى على اصبهان وعلى الري ثم زحف التتر اليه وحاصروه بقلعة اوند وقتلوه وكان أخوه غياث الدين بكرمان وملكه بينه وبين بقا طرايلسي اتابكه وفر الى ناحية اذربيجان واستولى غياث الدين على العراق ومازندران وخورستان وأقطع بقا طرايلسي همذان ثم سار غياث الدين الى اذربيجان فصانعه صاحبها ازبك بن البهلوان ولحق به من كان متغلبا من أمراء أبيه بجرامان وكان اينانج خان نائب بخارا قد تغلب بعد الواقعة على فسا ونواحيها وجرجان وعلى شيروان وعامة خراسان وكان تكين بهلوان متغلبا على مرو وعبر جيحون سنة سبع عشرة وكبس شحنة التتر واتبعوه الى شيروان ولقوا اينانج خان على جرجان فهزموه ونجا فلهم الى غياث الدين على العراق والري وما وراءها الى الجنوب من موكان واذربيجان وبقيت خوارزم طوائف وفي كل ناحية منها متغلب وعساكر التتر في كل وقت تدوخ بلاد العراق وغياث الدين منهمك في لذاته والله تعالى أعلم

رجوع جلال الدين من الهند واستيلاؤه على العراق وكرمان واذربيجان ثم زحف التتر اليه

ثم رجع جلال الدين من الهند سنة احدى وعشرين واستولى على ملك أخيه غياث الدين بالعراق وكرمان وبعث الى الخليفة يطلب الخطبة فلم يسعف فاستعد لحاربته وقد كانت بلاد الري من بعد تخريب التتر المغربة لها عاد اليها بعض أهلها وعمروها فبعث اليها جنكزخان عسكرا من التتر خربوها ثانية وخربوا ساوة وقم وقاشان وأجفل امامهم عسكر خوارزم شاه من همذان فخربوها واتبعوهم فكبسوهم في حدود اذربيجان ولحق بعضهم بتبريز والتتر في اتباعهم فصانعهم صاحبها أزبك بن البهلوان وبعث بهم الى التتر الذين في اتباعهم بعد أن قتل جماعة منهم وبعث برؤسهم وبالاموال على سبيل المصانعة فرجعوا عن بلاده وسار جلال الدين الى اذربيجان سنة ثنتين وعشرين فملكها وكانت له فيها أخبار ذكرناها في دولته ثم بلغ السلطان جلال الدين أن التتر زحفوا من بلادهم وراء النهر الى العراق فنهض من تبريز للقائهم في رمضان سنة خمس وعشرين ولقيهم على اصبهان وانفض عنه أخوه غياث الدين في طائفة من العساكر وانهزمت ميسرة التتر وسار السلطان في اتباعهم وقد أكمنوا له وأحاطوا به واستشهد جماعة ثم صدق عليهم الحملة فأفرجوا له ومضى لوجهه وانهزمت العساكر الى فارس وكرمان واذربيجان ورجع المتبعون للتتر من قاشان فوجدوه قد انهزم فافترقوا أشتاتا ولحق السلطان باصبهان بعد ثمانية أيام فوجد التتر يحاصرون اصبهان فبرز اليهم في عساكرها وهزمهم واتبعهم الى الري وبعث العساكر في اتباعهم الى خراسان ورجع الى اذربيجان وأقام بها وكانت له فيها أخبار مذكورة في دولته والله سبحانه وتعالى أعلم

مسير التتر الى اذربيجان واستيلاؤهم على تبريز ثم واقعتهم على جلال الدين بآمد ومقتله

كان التتر لما استقروا فيما وراء النهر عمروا تلك البلاد واختطوا قرب خوارزم مدينة عظيمة تعوض منها وبقيت خراسان خاوية واستبد بالمدن فيها طوائف من الامراء أشباه الملوك يعطون الطاعة للسلطان جلال الدين منذ جاء من الهند وانفرد جلال الدين بملك العراق وفارس وكرمان واذربيجان وأران وما الى ذلك وبقيت خراسان مجالا للغزاة التتر وعساكرهم وسارت طائفة منهم سنة خمس وعشرين الى اصبهان وكانت بينهم وبين جلال الدين الواقعة كما مر ثم زحف جلال الدين الى خلاط

وملكها وزحف اليه صاحبها الاشرف بن العادل من الشام وعلاء الدين كيقباد
صاحب بلاد الروم وأوقعوا به كما مرّ في أخباره سنة سبع وعشرين الواقعة التي
أوهنت منه وحلت عرا ملكه وكان علاء الدين مقدم الاسماعيلية بقلعة الموت عدوا
لجلال الدين بما أثخن في بلاده وقرر عليه وظائف الاموال فبعث الى التتر يخبرهم أن
الهزيمة أوهنته ويحثهم على قصده فساروا الى اذربيجان أول سنة ثلاث وعشرين
وبلغ الخبر الى السلطان عنهم فرحل من تبريز الى موقان وأقام بها في انتظار شحنة
خراسان وماردان وشغل بالصيد فكبسه التتر وهو بمواقع عسكره ولحق الى نهر ارس
من اران ثم رجع الى اذربيجان وشتى بماهان ثم جاءه الخبر بمسير التتر اليه فرحل الى
أران وتحصن بها وثار أهل تبريز لما بلغهم خبر الوقعة الاولى على عسكرهم من عساكر
الخوارزمية وقتلوهم ومعهم رئيسهم الطغرائي من طاعة التتر ووصل السلطان
ثم هلك قريبا فأووا بلادهم للتتر وكذا فعل أهل كنجة وأهل سلماس
ثم سار السلطان الى كنجة وارتجعها وقتل المتعرضين للثورة فيها وسار الى خلاط واستمد
الاشرف بن العادل صاحب الشام فعلله بالمواعيد وسار الى مصر ويئس من انجاده
فبعث الى جيرانه من الملوك يستنجدهم مثل صاحب حلب وآمد وماردين وجرد عسكرا
الى بلاد الروم في خرت برت وملطية واذربيجان فاقتسموها بما بين صاحبها كيقباد
وبين الاشرف من الموالاة فاستوحش جميع الملوك من ذلك وقعدوا عن نصرته وجاءه
الخبر وهو بخلاط أن التتر زحفوا اليه فاضطرب في رحله وبعث أتابكه أورخان في
أربعة آلاف فارس طليعة فرجع وأخبره أن التتر رجعوا من حدود ملازكرد وأشار
عليه قومه بالمسير الى اصبهان وزين له صاحب آمد قصد بلاد الروم وأطمعه في
الاستيلاء عليها والتصل بالقفجاق ويستظهر بهم على التتر ووعده الامداد بنفسه
يروم من صاحب الروم لما ملك من قلاعه فجنح الى رأيه وعدل عن
اصبهان ونزل بآمد وبعث اليه التركمان بالنذير بأنهم رأوا نيران التتر فاتهم خبرهم
وصبحه التتر على آمد منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وأحاطوا بخيمته وحمل عليهم
اتابكه أورخان وكشفهم عن الخيمة وركب السلطان وأسلم أهله وسواده ورد أورخان
العساكر واستدل لينزوي عن عين العدو وسار أورخان الى اصبهان واستولى عليها
الى أن ملكها التتر من يده سنة تسع وثلاثين وذهب السلطان منفلا وقد ملأت
الدربندات والمضايق بالمفسدين من عبر صنوفهم بالقتل والنهب فأشار عليه أورخان
بالرجوع فرجع الى قرية من قرى ميافارقين ونزل في بيدرها وفارقه اورخان الى حلب
وهجم التتر على السلطان بالبيدر وقتلوا من كان معه وهرب فصعد جبل الاكراد

بياض بالاصل

وهم

وهم يترصدون الفارق لنهب أسلابه وهموا بقتله وشعر بعضهم أنه السلطان فمضى به
الى بيته ليخلصه الى بعض النواحى ودخل البيت فى مغيبه بعض سفلتهم وهو يريد الثار
من الخوارزمية باخ له قتل بخلاط فقتله ولم يغن عنه أهل البيت ثم انتشر التتر بعد هذه
الواقعة فى وادآمد وارزن وميافارقين وسائر ديار بكر فاكتسحوها وخربوها
وملكوا مدينة اسعرد عنوة فاستباحوها بعد حصار خمسة أيام ومروا بميافارقين
فامتنعت ثم وصلوا الى نصيبين فاكتسحوا نواحيها ثم الى سنجار وجبالها والخابور ثم
ساروا الى بدليس فأحرقوها ثم الى أعمال خلاط فاستباحوا باكرى وارجيش وجاءت
طائفة أخرى من اذربيجان الى أعمال اربل ومروا فى طريقهم بالتركمان الايوبية
والاكراد الجوزقان فنهبوا وقتلوا وخرج اليهم والى اربل مستمدا أهلها وعساكر
الموصل فلم يدركوهم فعادوا وبقيت البلاد قاعا صفصفا والله وارث الارض ومن
عليها وهو خير الوارثين

التعريف بجنكزخان وقسمة الاعمال بين ولده وانفراده بالكرسى فى قراقوم وبلاد الصين

هذا السلطان جنكزخان هو سلطان التتر لعهده وهم من المغل احد شعوبهم وفى كتاب
لشهاب الدين بن فضل الله أنه من قبيلة من أشهر قبائل المغل وأكبرهم وزايه
التى بين الكاف والخاء ليست صريحة وانما هى مشمة بالصاد فينطق بها بين الصاد
والزاى وكان اسمه تمرجين ثم أصار وجنكز وخان تمام الاسم وهو بمعنى الملك عندهم
وأما نسبته فهى هكذا جنكز بن بيسوكى بن بهادر بن تومان بن برتيل خان بن تومبنيه
ابن باسنقر بن تيدوان ديوم بن بقا بن مودنجه احد عشر اسما أعجميا صعب الضبط
وهذا منتهاها وفى كتاب ابن فضل الله فيما نقله عن شمس الدين الاصبهانى امام
المعقولات بالمشرق أخذها عن أصحاب نصير الدين الطوسى قال ان مودنجه اسم امرأة
وهى جدتهم من غراب قالوا وكانت متزوجة وولدت ولدين اسم أحدهما
بكنوت والآخر بلكنوت ويقال لولدها بنو الدلوكية ثم مات زوجها وتأيمت وحملت
وهى أيم فنكر عليها اقرباؤها فذكرت أنها رأت بعض الايام نورا دخل فى فرجها
ثلاث مرات وطرأ عليها الحمل بعده وقالت لهم ان فى حملها ثلاثة ذكور فان صدق ذلك
عند الوضع والا فافعلوا ما بدا لكم فوضعت ثلاثة توائم من ذلك الحمل فظهرت براءتها
بزعمهم اسم أحدهم برقد والآخر قونا والثالث بجعو وهو جد جنكزخان الذى
فى عمود نسبه كما مر وكانوا يسمونهم النورانيين نسبة الى النور الذى ادعته ولذلك
يقولون جنكزخان بن الشمس وأما أوليته فقال يحيى بن أحمد بن على النسائى كاتب

قراقوم بف
والراء المهمـ
وقاف
وواو ساكـ
معناه الرمل
بالتركية
سعيد و
كانت فا
وفى جهات
المغل وهم
التتر ومنها
من تقويم ا
لابى الفدا

جلال الدين خوارزم شاه في تاريخ دولته ان مملكة الصين متسعة ودورها مسيرة تسعة
اشهر وهي منقسمة من قديم الزمان على تسعة اجزاء كل جزء منها مسيرة شهر
ويتولى ملك كل جزء منها ملك يسمى بلغتهم خان ويكون نائبا عن الخان الاعظم قال
وكان الاعظم الذي عاصر خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش يقال له طرخان توارثها
من آبائه وكان مقيما بطوغاج وهي وسط الصين وكان جنكزخان من أولئك الخانات
الستة وكان من سكان البدو ومن أهل الشدة والشر وكان مشتاه قاروون من
بلاد الصين وكان من خاناتهم أيضا ملك آخر اسمه دوشي خان وكان متزوجا بزوجة
جنكزخان واتفقت وفاته فحضر جنكزخان يوم وفاته زوجها دوشي خان وولته مكانه
وحملت قومها على طاعته وبلغ الخبر الى الخان الاعظم طرخان فنكر
ذلك وزحف اليهم فقاتلوه وهزموه وغلبوه على اثر بلاده ثم صالحهم عليها وأقام متغلبا
ثم مات بقية الخانات الستة وانفرد جنكزخان بأمرهم جميعا وأصبح ملكهم وكان بينه
وبين خوارزم شاه من الحروب ما قدمناه وفي كتاب ابن فضل الله عن كتاب الصاحب
علاء الدين عطاء وحدثه به قال كان ملك عظيم من الترك قبيلة عظيمة من قبائلهم يدعى
ازبك خان وكان مطاعا في قومه فاتصل به جنكزخان فقربه واستخلصه ونافسه قرابة
السلطان وسعوا به عنده حتى استفسده عليه وطوى له وتربص به وسخط ازبك خان
على مملوكين عنده فاستجارا بجنكزخان فأجارهما وضمن لهما أمانه وأطلعاه على رأي
السلطان فيه فاستوحش وحذر وشة السلطان فأجفل أمامه واتبعه السلطان في
عساكره فلما أدركه كر عليه جنكزخان فهزمه وغنم سواده وما معه ثم استمرت العداوة
واستدعى السلطان واستألف العساكر والاتباع وأفاض فيهم الاحسان فاشتدت
شوكته ودخل في طاعته قبيلتان عظيمتان من المغل وهما أورات ومنغورات فعظمت
جموعه وأحسن الى المملوكين اللذين حذراه من ازبك خان ورفع رتبتهما وكتب لهما
العهود بما اختاراه وكتب فيها أن يستمر ذلك لهما الى تسعة بطون من أعقابهما ثم جهز
العساكر لحرب ازبك خان فهزمه وقتله واستولى على مملكة التتر بأسرها ولما توطأ
أمره تسمى جنكزخان وكان اسمه تمرجين كما مر وكتب لهم كتابا في السياسة سماه السياسة
الكبيرة ذكر فيه أحكام السياسة في الملك والحروب والاحكام العامة شبه أحكام
الشرائع وأمر أن يوضع في خزانته وان تختص بقرابته ولم يكن يدين بملة وانما كان
دينه ودين آبائه وقومه المجوسية حتى ملكوا الارض واستفحلت دولتهم بالعراق
والشمال وما وراء النهر وأسلم من ملوكهم من هداه الله للاسلام كما نذكره ان شاء الله
تعالى ودخلوا في عدد ملوك الاسلام الى أن انقرضت دولهم وانقضت أيامهم والبقاء

انه وحده وأما ولده فكثير وهو الذي يقتضيه حال بداوته وعصبيته الأدنى المشهور منهم أربعة أولهم دوشي خان ويقال جرجي وثانيهم جغطاي ويقال كداي وثالثهم أوكداي ويقال أوكتاي ورابعهم طولي بين التاء والطاء والثلاثة الاول لام واحدة وهي أوبولي بنت بيكي من كبار المغل وعد شمس الدين الاصبهاني الاربعة فقال جرجي وكداي وطولي وأوكداي وقال نظام الدين يحيي بن الحليم نور الدين عبد الرحمن السيادي كاتب السلطان أبي سعيد فيما نقله عنه شهاب الدين بن فضل الله ان كداي هو جغطاي وجرجي هو طوشي فلما ملك جنكزخان البلاد قسم الممالك فكان لولده طوشي بلاد قبلاق الى بلغار وهي دست القفجاق وأضاف اليه أران وهمذان وتبريز ومراغة وعيرلان وكاى حدود آمد وقوباق وما أدري تفسير هذه وجعله ولي عهده وعين لجغطاي من الايقور الى سمرقند وبخارا وما وراء النهر ولم يعين لطولي شيأ وعين لاخيه أوتكين نوين بلاد الخطا ولا أدري معنى هذا الاسم ولما استفحل ملكه واستولى على هذه الممالك جلس على التخت وانتقل الى وطنه القديم بين الخطا والايقور وهي تركستان وكاشغر وفي ذلك الوطن مدينة قراقورم وبها كان كرسيه ومكانه بين أعمال ولده مكان المركز من الدائرة وكان كبير ولده طوشي ويقال دوشي ومات في حياته وخلف من الولد باطو وبركة ودا وردة وطوغل هكذا قال ابن الحكيم وقال شمس الدين باطو وبركة فقط ومات طولي أيضا في حياته في حربه مع جلال الدين خوارزم شاه بنواحي غزنة وخلف من الولد منكوقبلاي وهلاكو وازبيك و والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم

(مرتی)

اوکدای

طولی ـ (صاحب الدعوة)

دوتی خان بن ـــــ جنکزخان بن یسوکی بن بهادر بن تومان بن برتیل خان بن تومنیه بن بادسنقر بن تید وان دیوم

جغتای

(کدای)

(عرمین)

(الـــــانیر)

دبقا بــــن مودنجه

بنو الدولکیة

یونس ساجی

مرتو بانی

وهی امرأة ولدت بزعمهم من غير زوج

(ملوك التخت بقراقوم من بعد جنكزخان)

قال ابن فضل الله ولما هلك جنكزخان استقل أوكداى بالتخت وبلاد القبجاق وقراباق الى ومامعه وكان أصغر ولده وانتقل الى قراقوم بمكانهم الاصلى كانت بيده لابنه كيوك ولم يتمكن كداى وهو جغطاى من مملكة ماوراء النهر وتاز ناطو بن دوشى خان فى اران وهمذان وتبريز ومراغة وبعث أميرا من أمرائه الى أموالها والقبض على عماله بها وقد كان ناطو كتب اليهم بالقبض على ذلك الامير فتبعوا عليه وحملوه الى ناطو فقتله وبلغ ذلك الى كيوك فسار الى ناطو فى ستمائة الف من العساكر وهلك قبل أن يصل اليه بعشر مراحل فبعث القوم الى ناطو أن يكون صاحب التخت فأبى وجعله لأخيه منكوقان بن طولى وبعثه اليه وأخويه معه قبلاى وهلاكو وبعث معهم أخاه بركة بن طولى فى مائة ألف من العساكر ليجلسه على التخت فلما عاد من بخارا لقى الشيخ شمس الدين الباخورى من أصحاب نجم الدين كبير الصوفية فأسلم على يده وتأكدت صحبته معه وحرضه على التمسك بطاعة الخليفة ومكاتبته المعتصم ومبايعته ومهاداته وترددت الرسل بينه وبين المعتصم وتأكدت الموالاة واستقل منكوقان بالتخت وولى أولاد جغطاى عمه على ماوراء النهر امضاء لوصية جنكزخان لابيهم التى مات دونها ووفد عليه جماعة من أهل قزوين وبلاد الجبل يشكون مانزل بهم من ضرر الاسماعيلية وفسادهم فجهز أخاه هلاكو لقتالهم واستئصال قلاعهم فمضى لذلك وحسن لأخيه منكوقان الاستيلاء على أعمال الخليفة فأذن له فيه وبلغ ذلك بركة فنكره على أخيه ناطو الذى ولى منكوقان لما كان بين بركة والمعتصم من الولاية والوصلة بوصية الشيخ الباخورى فبعث ناطو الى أخيه هلاكو بالنهى عن ذلك وأن لا يتعدى مكانه وبلغته رسل ناطو بذلك وهو فيما وراء النهر قبل أن يتصل بالعساكر فأقام سنين امتثالا للامر حتى مات ناطو وتولى بركة مكانه فاستأذن أخاه منكوقان ثانية وسار لقصد الملاحدة وأعمال الخليفة فأوقع بالملاحدة وفتح قلاعهم واستلحمهم وأوقع بأهل همذان واستباحهم لميلهم الى بركة وأخيه ناطو ثم سار الى بركة بدست القفجاق فزحف اليه بركة فى جموع لاتحصى والتقيا واستمر القتل فى أصحاب هلاكو وهم بالهزيمة ثم حال نهر الكر بين الفريقين وعاد هلاكو فى البلاد واستحكمت العداوة بينهما وسار هلاكو الى بغداد فكانت له الواقعة المشهورة كما مر ويأتى فى أخبار دولته انشاء الله تعالى وفى كتاب ابن فضل الله فيما نقله عن شمس الدين الاصبهانى أن هلاكو لم يكن مستقلا بالملك وانما كان نائبا عن أخيه منكوقان ولاضربت السكة باسمه ولا ابنه ابغا وانما ضرب باسمهم ارغو حين استقل فجعل اسمه

فى السكة مع اسم صاحب التخت قال وكان نصبه صاحب التخت لا يزال يعتد الى
أن ملك ازان فطرد الشحنة وأفرد اسمه فى السكة وقال ما ملكت البلاد الا بسيفى
وبيت جنكزخان يرون أن بنى هلاكو انما كانوا نوابا وجنكزخان لم يملك طولى شيئا
وان أباه منكوقان الذى ولاه عليها انما بعثه نائبا مع أن منكوقان انما ولاه نائبا عن
ابن دوشى خان كما مر قال ونقل عن ثقاة أنه لم يبق هلاكو من يعتق نسبه لكثرة ما وقع
فيهم من القتل غيرة على الملك ومن عجائب الاختفاء شخصه خفى نسبه الا ما قيل
فى حمل المنسوب الى بخرجى قال شمس الدين الاصبهانى ونقله عن أمير كبير منهم
ان أول من استقل بالتخت جنكزخان ثم ابنه اوكداى ثم ابنه كفود بن اوكداى
ثم منكوقان بن طولى ثم أخوه اربكان ثم أخوهما قبلاى ثم دمرقاى ويقال تمرقاى
ثم زبى كيزى ثم كيزقان ثم سدمرقان بن طرمالا بن جنكمر بن قبلاى بن
طولى انتهى كلام ابن فضل الله ومن غيره أن منكوقان جهز عساكر التتر أيام
ملكه على التخت الى بلاد الروم سنة مع أمير من أمراء المغل اسمه بيكو وملكها
من يد بنى قليج ارسلان كما هو مذكور فى أخبارهم فاقامت فى طاعة القان الى
أن انقرض أمر المغل منها ثم بعث منكوقان العساكر لغزو بلاد الطامع أخيه قبلاى
بعدان عهد له بالخانية ثم سار على اثره بنفسه واستخلف أخاه الاصغر ازبك على كرسى
قراقوم وهلك منكوقان فى طريقه ذلك على نهر الطاى من بلاد الغور سنة ثمان
وخمسين فجلس ازبك على التخت وعاد قبلاى من بلاد الخطا فزحف اليه ازبك فهزمه الى
بعض النواحى واستأثر بالغنائم عن اخوته وقومه فمالوا الى طاعة قبلاى واستدعوه
ثانيا وقاتل أخاه ازبك فغلبه وتقبض عليه وحبسه واستقر فى الخانية وبايع الحرالى
هلاكو وهو فى الشأم عند ما استولى عليه فرجع لما كان يؤمله من الخانية ولما انتهى الى
جيحون بلغه استقلال أخيه قبلاى فى الخانية وتبين له عجزه عنه فساله وقنع بما فى يده
ورجع الى العراق ثم نازع قبلاى فى الخانية لآخر دولته سنة سبع وخمسين بعض بنى
أوكداى صاحب التخت الاول وهو قيدو بن قاشى بن كفود بن أوكداى ونزع اليه
بعض أمراء قبلاى وزينوا له ذلك فسار له وبعث قبلاى العساكر للقائه مع ابنه تمغان
فهزمه قيدو ورجع منهزما الى أبيه فسخطه وطرده الى بلاد الخطا ومات هنالك وسلط
قبلاى على قيدو وكان غالب على ما وراء النهر براق بن سنتف بن منكوقان بن جغطاى
من بنى جغطاى ملوك ما وراء النهر بوصية أبيهم جنكزخان فغلبه براق واستولى على
ما وراء النهر ثم هلك قبلاى صاحب التخت سنة ثمان وخمسين وملك ابنه سرتموق هذا
ما انتهى الينا من أخبار ملوك التخت بقراقوم من بنى جنكزخان ولم نقف على غيرها

بياض بالاصل

والله

والله تعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه

قيدو بن قاشي بن كفود بن اوكداي بن جنكزخان

عقان بن قبلان بن طولى

(ملوك بني جغطاي بن جنكزخان بتركستان وكاشغر وماوراء النهر)

هذا الاقليم هو مملكة الترك الاولى قبل الاسلام وأسلم ملوكهم على تركستان وكاشغر فأقاموا بها وملك بنو سامان نواحي بخارا وسمرقند واستبدوا ومنها كان ظهور السلجوقية والترمن بعدهم ولما استولى جنكزخان على البلاد أوصى بهذه المملكة لابنه جغطاي ولم يتم ذلك في حياته ومات جغطاي دونه فلما ولى منكوقان بن طولى على التخت ولى أولاد جغطاي عمه على ماوراء النهر امضاء لوصية جنكزخان لابيهم التي مات دونها وولى منكوقان فلما هلك ولى أخوه هلاكو ابنه مبارك شاه ثم غلب عليهم قيدو ابن قاشي بن كفود بن اوكداي بن جنكزخان وانتزع ماوراء النهر من أيديهم وكان جده كفوك صاحب التخت وبعده ولى منكوقان فلما ولى قيدو نازع صاحب التخت يومئذ وهو قبلاي وكانت بينهما حروب وأعان قبلاي في خلالها بني جغطاي على استرجاع ملكهم وولى منهم براق بن سنتف بن منكوقان بن جغطاي وأمده بالعساكر والاموال فغلب قيدو بن قاشي بن كفود بن اوكداي بن جنكزخان وانتزع من صاحب التخت يومئذ واستبد بملك آبائه ثم هلك فولى من بعده دوا ثم من بعد دوا بنون له أربعة واحدا بعد واحد وهم بكك ثم اسعانم كبك ثم انجكداي ثم ولى بعد

الاربعة دواتمر ثم ترماشين ثم توزون بن ابوما كان بن　　　　وتخلل هؤلاء من
توثب على الملك ولم ينتظم له مثل سياور بن اركتمر بن بعاتمر بن براق ولم يزل ملكهم بعد
ترماشين مضطربا الى أن ملك منهم جنقصور بن دواتمر بن حلو بن براق بن سنف كانوا
كلهم على دين المجوسية وخصوصا دين جنكزخان وعبادة الشمس وكان فيما يقال على
دين الحشيشة وكان بنو جغطاي يعضون عليه بالنواجذ ويتبعون سياسته مثل أصحاب
التخت فلما صار الملك الى ترماشين منهم أسلم رحمه الله سنة ست وعشرين وسبعمائة
وجاهد وأكرم التجار المترددين وكانت تجار مصر ممنوعين من بلاده فلما بلغهم ذلك
قصدوها فحمدوها ولما انقرضت دول بني جنكزخان وتلاشت في جميع النواحي
ظهر في أعقاب دولة بني جغطاي هؤلاء بسمرقند وما وراء النهر ملك اسمه تمر
ولا أدري كيف كان يتصل نسبه بهم ويقال انه من غير نسبهم وانما هو متغلب على
صبي من أعقاب ملوكهم اسمه طغتمش أو محمود درج اسمه بعده بهلك أبيه واستبد عليه
وانه من أمرائهم وأخبرني من لقيته من أهل الصين أن أباه أيضا كان في مثل مكانه من
الامارة والاستبداد وما أدري أهو طارئة في نسب جغطاي أو من أحلافهم وأتباعهم
وأخبرني الفقيه برهان الدين الخوارزمي وهو من علماء خوارزم وأعيانها قال كان
لعصره وأول ظهوره بخارا رجل يعرف بحسين من أمراء المغل وآخر بخوارزم
من ملوك أمراء أهل التخت يعرف بالحاج حسن الصوفي　　　　. وزحف الى بخارا
فملكها من يد حسين ثم الى خوارزم وطالت حروبه مع الحاج حسن الصوفي وحاصرها
مرارا وهلك حسين خلال ذلك وولي أخوه يوسف فملكها تمر من يده وخربها في حصار
طويل ثم كلف بعمارتها وبناء ما خرب منها واستقام له الملك بما وراء النهر ونزل بخارى
ثم زحف الى خراسان فملك هراة من يد صاحبها وأظنه من بقايا ملوك الغورية ثم زحف
الى مازندران وطال تمرسه وحروبه مع صاحبها الشيخ ولي الى أن ملكها عليه سنة أربع
وثمانين ولحق الشيخ ولي بتوريز الى أن ملكها تمر سنة ثمان وثمانين فهلك في حروبه
معها ثم زحف الى اصبهان فأتوه طاعة ممرضة وخالفه في قومه كبير من أهل نسبه
يعرف بقمر الدين وأمده طغطمش صاحب التخت بصراي فكر راجعا وشغل بحربه
الى أن غلبه ومحا أثره وغلب طغطمش على ما بيده من البلاد ثم زحف الى بغداد
سنة خمس وتسعين فأجفل عنها ملكها أحمد بن أويس بن الشيخ حسن المتغلب عليه بعد
بني هلاكو ولحق أحمد بالشأم سنة ست وتسعين واستولى تمر على بغداد والجزيرة وديار
بكر الى الفرات واستعد ملك مصر للقائه ونزل الفرات فأحجم عنه وتأخر عنه الى قلاع
الاكراد وأطراف بلاد الروم وأناخ على قراباغ ما بين اذربيجان والابواب ورجع

باكو من مدن شروان وعندها باب الحديد ويسمونه دمرقبو ومن حدود هذه المملكة في الجنوب الى حدود القسطنطينية وهي قليلة المدن كثيرة العمارة والله تعالى أعلم

(دوشي خان بن جنكزخان)

وأول من وليها من التتر دوشي خان فلم يزل ملكا عليها الى أن هلك في حياة أبيه كما مرّ سنة

(باطوخان بن دوشي خان)

ولما هلك دوشي خان ولي مكانه ابنه باطوخان ويقال صامرخان ومعناه الملك المعمر فلم يزل ملكا عليها الى أن هلك سنة خمسين وستمائة

(طرطو بن دوشي خان)

ولما هلك باطو ولي أخوه طرطو فأقام ملكا سنتين وهلك سنة ثنتين وخمسين ولما هلك ولي مكانه أخوه بركه هكذا نقل ابن فضل الله عن ابن الحكيم وقال المؤيد صاحب حماة في تاريخه انه لما هلك طرطو هلك عن غير عقب وكان لأخيه باطوخان ولدان وهما تداان وبركه وكان مرشحا للملك فعدل عنه أهل الدولة وملكوا أخاه بركه وسارت أم تداان الى هلاكو عندما ملك العراق تستمده للملك قومها فردوها من الطريق وقتلوها واستقر بركه في سلطانه انتهى فنسب المؤيد بركه الى باطوخان بن دوشي خان وابن الحكيم على ما نقل ابن فضل الله جعله ابن دوشي خان نفسه وذكر المؤيد قصة اسلامه على يد شمس الدين الباخرزي من أصحاب نجم الدين وان الباخرزي كان مقيما ببخارا وبعث الى بركه يدعوه الى الاسلام فأسلم وبعث اليه كتابه باطلاق يده في سائر أعماله عاشا فرده عليه وأعمل بركه الرحلة الى لقائه ولم يأذن له في الدخول حتى تطارح عليه أصحابه وسألوا الاذن لبركه فدخل وجدد الاسلام وعاهده الشيخ على اظهار الاسلام وان يحمل عليه سائر قومه فحملهم واتخذ المساجد والمدارس في جميع بلاده وقرب العلماء والفقهاء ووصلهم وسياق القصة على ما ذكره المؤيد يدل على أن اسلامه كان أيام ملكه وعلى ما ذكر ابن الحكيم أن اسلامه كان أيام أخيه باطو ولم يذكر ابن الحكيم طرطو واعاد ذكر بعد باطو أخاه بركه ولم نقف على تاريخ لدولتهم حتى يرجع اليه وهذا ما أدى اليه الاجتهاد وما بعدها مأخوذ من تاريخ المؤيد صاحب حماة من بني المظفر بن شاهنشاه بن أيوب قال ثم بعث بركه أيام سلطانه أخاه باطو الى ناحية الغرب للجهاد وقاتل ملك الألمان من الافرنج فانهزم ورجع ومات أسفا ثم حدثت الفتنة بين بركه وبين قبلاي صاحب التخت وانتزع بركه الخاقانية من أعمال قبلاي وولى عليها مرخادا بن

أخيه

أخيه ناطو وكان على دين النصرانية وداخله هلاكو فى الانتقاض على عمه بركة الى أخيه قبلاى صاحب التخت و يقطعه الخاقانية وما يشاء معها وشعر بركة بشأنه وأن تمرخاد يحاول قتله بالسم فقتله وولى الخاقانية أخاه مكانه وأقام هلاكو طالبا بثأر تمرخاد ووقعت الحرب بينه وبين بركة على نهر آمد سنة ستين ثم هلك هلاكو سنة ثلاث وستين وولى ابنه ابغا فسار الى حربه وسرح بركة للقائه سنتاى بن بايتغان بن جغطاى ونوغية بن تتر بن مغل بن دوشى خان فلما التقى الجمعان أحجم سنتاى ورجع منهزما وانهزم ابغا أمام نوغية وأثخن فى عساكره وعظمت منزلة نوغية عند بركة وسخط بركة سنتاى وساءت منزلته عنده الى أن هلك بركة سنة خمس وستين والله سبحانه وتعالى أعلم

(منكوتمر بن طغان بن ناطوخان)

ولما هلك بركة ملك الدست بالشمال ملك مكانه منكوتمر بن طغان ابن ناطوخان ابن دوشى خان وطالت أيامه وزحف سنة سبعين الى القسطنطينية لحدة وجدها على الاشكرى ملكها فتلقاه بالخضوع والرغبة ورجع عنه ثم زحف سنة ثمانين الى الشأم فى مظاهرة ابغا بن هلاكو ونزل بين قيسارية وابلستين من بلاد الروم ثم أجاز الدربند ومر بابغا وهو منازل الرحبة وتقدم مع أخيه منكوتمر بن هلاكو الى حماة فنازلوها وزحف اليهم المنصور قلاوون ملك مصر والشأم من دمشق ولقيهم بظاهر حمص وكانت الدائرة على ملوك التتر وهلك خلق من عساكرهم وأسر آخرون وأجفل ابغا من منازلة الرحبة ورجعوا الى بلادهم منهزمين وهلك على اثر ذلك منكوتمر ملك الشمال ومنكوتمر بن هلاكو سنة احدى وثمانين ولما هلك منكوتمر ملك مكانه ابنه تدان وجلس على كرسى ملكهم بصراى فأقام خمس سنين ثم ترهب وخرج عن الملك سنة ست وثمانين وانقطع الى صحبة المشايخ الفقراء ولما ترهب تدان بن منكوتمر وخرج عن الملك ملك مكانه اخوه قلابغا وأجمع على غزو بلاد الكرك واستنفر نوغية بن تتر ابن مغل بن دوشى خان وكان حاكما على طائفة من بلاد الشمال وله استبداد على ملوك بنى دوشى خان فنفر معه فى عساكره وكانت عظيمة ودخلوا جميعا بلاد الكرك وأغاروا عليها وعاثوا فى نواحيها وفصلوا منها وقد تمكن فصل الشتاء وسلك السلطان مسافة اعتسف فيها البيداء وهلك أكثر عساكره من البرد والجوع وأكلوا دوابهم وسار نوغية من أقرب المسالك فنجا الى بلاده سالما من تلك الشدة فاتهمه السلطان قلابغا بالادهان فى أمره وكان ينقم عليه استبداده حتى انه قتل امرأة كنجك وكانت متحكمة فى أيام أبيه وأخيه وشكيت الى نوغية فأمر بقتلها خنقا وقتل أميرا كان فى خدمتها معه بيطرا فتنكر له قلابغا وأجمع الفتك به وأرسل يستدعيه لما طوى له

عليه وتحى الخبر بذلك الى نوغية فبالغ فى اظهار النصيحة والاشفاق على السلطان
وخاطب أمه بأن عنده نصائح بوتلوا القاها الى السلطان فى خلوة وتحت ابها عن رأيه
فيه وأشارت عليه باستدعائه والاطلاع على ما عنده وجاء نوغية وقد بيت من جماعة
من اخوة السلطان قلابغا كانوا يميلون اليه ومنهم طغطاى وبولك وصراى وتدان
بنو منكوتمر بن طغان فجاؤا معه وقد   هجم السلطان قلابغا وركب للقاء
نوغية فى قلة من عسكره وجاء نوغية وقد أكمن له طائفة من العسكر فلما التقيا عاد ثم
مليًا وخرج الكمناء وأحاطوا بالسلطان وقتلوه سنة تسعين وستمائة   طغطاى
ابن منكوتمر ولما قتل قلابغا ولوا مكانه طغطاى لوقته ورجع نوغية الى بلاده وبعث
الى طغطاى فى قتل الامراء الذين داخلوا قلابغا فى قتله فقتلهم طغطاى أجمعين ثم تنكر
طغطاى لنوغية لما كان عليه من الاستبداد وأنف طغطاى منه وأظلم الجو بينهما
واجتمع أعيان الدولة الى نوغية فكان   على طغطاى واصهر الى طاز بن منغل
منهم بابنته فسار اليه طغطاى ولقيه نوغية فهزمه واعترضه نهر فغرق كثير من
عسكره ورجع نوغية عن اتباعه واستولى على بلاد الشمال وأقطع سبطه قراجا بن
طشتمر سنة ثمان وتسعين مدينة القرم وسار اليها لقبض أموالها فأضافوه وبيتوه وقتلوه
من ليلته وبعث نوغية العساكر الى القرم فاستباحوها وما جاورها من القرى
والضياع وخرب سائرها وكان نوغية كثير الايثار لاصحابه فلما استبد بأمره آثر ولده
على الامراء الذين معه وحسدوا عليهم وكان رديفهم من ملك المغل اباجى بن قرمش
وأخوه قراجا فلما آثر ولده عليهما نزعا الى طغطاى فى قومهما وسار ولد نوغية
فى اتباعهما فرجع بعضهم واستمر الباقون وقتل ولد نوغية من رجع معه من أصحاب
اباجى وقراجا وولدهم فامتعض لذلك أمراء المغل الذين معه ولحقوا بطغطاى
واستنفروه لحرب نوغية فجمع وسار اليه سنة تسع وتسعين بكوكانلك فانهزمت
عساكر نوغية وولده وقتل فى المعركة وحمل رأسه الى طغطاى فقتل قاتله وقال السوقة
لا تقتل الملوك واستبيح معسكر نوغية وبيع سباياهم وأسراهم فى الاقطار وكان بمصر
منهم جماعة استرقوا بها وانتظموا فى ديوان جندها ولما هلك نوغية خلفه فى أعماله ابنه
جكك وانتقض عليه أخوه فقتله فاستوحش لذلك أصحابه وأجمعوا الفتك به وتولى
ذلك نائبه طرو   وصهره على أخته طاز بن منغل وتحى الخبر بذلك اليه وهو
فى بلاد اللار والروس غازيا فهرب ولحق ببلاده ثم لحق به عسكره فعاد الى حربهم وغلبهم
على البلاد ثم أمدهما طغطاى على جكك بن نوغية فانهزم ولحق ببلاد أولاق وحاول
الامتناع ببعض القلاع من بلاد أولاق وفيها صهره فقبض عليه صاحب القلعة

واستخدم

واستخدم بهم الطغطاى فأمر بقتله سنة احدى وسبعمائة ونجا أخوه طراى وابنه قراكسك شريدين وخلا الجو لطغطاى من المنازعين والمخالفين واستقرت فى الدولة قدمه وقسم أعماله بين أخيه صراى بغا وبين ابنيه وأنزل منكلى بغا من ابنيه فى عمل نهر طنا عما يلى باب الحديد ثم رجع صراى بن نوغينة من مفره واستذم بصراى بغا أخى طغطاى فأذمه وأقام عنده فلما أنس به كشف له القناع عما فى صدره واستهواه للانتقاض على أخيه طغطاى وكان أخوهما أكبر منه وكان مقيما عند طغطاى فركب اليه صراى بغا ليفاوضه فى الشأن فاستعظمه واطلع عليه أخاهما طغطاى فأمر لوقته باحضار أخيه صراى بغا وصراى بن نوغينة وقتلهما واستضاف عمل أخيه صراى بغا الابنه ايل بهادر ثم بعث فى طلب قراكسك بن نوغينة فأبعد فى ناحية الشمال واستذم ببعض الملوك هنالك ثم هلك سنة تسع وسبعمائة أخوه بذلك وابنه ايل بهادر وهلك طغطاى بعدهما سنة ثنتى عشرة والله تعالى أعلم

(أزبك بن طغرلجاى بن منكوتمر)

ولما هلك طغطاى بايع نائبه قطلتمر لازبك ابن أخيه طغرلجاى باشارة الخاتون تنوفالون زوج أبيه طغرلجاى وعاهده على الاسلام فأسلم واتخذ مسجدا للصلاة وأنكر عليه بعض أمرائه فقتله وتزوج الخاتون بنالون وكانت المواصلة بين طغطاى وبين ملوك مصر ومات طغطاى ورسله عند الملك الناصر محمد بن قلاون فرجعوا الى ازبك مكرمين وجددا ازبك الولاية معه و قطلتمر فى بعض كرائمهم يرغبه وعين له بنت بذلك أخى طغطاى وتكررت الرسالة فى ذلك الى أن تم الامر وبعثوا بكريتهم المخطوبة الى مصر فعقد عليها الناصر وبنى بها كما مر فى أخباره ثم حدثت الفتنة بين ازبك وبين ابى سعيد ملك التتر بالعراق من بنى هلاكو وبعث ازبك عساكره الى اذربيجان وكان بنو دوشى يدعون أن توريز ومراغة لهم وأن القان لما بعث هلاكو لغزو بلاد الاسماعيلية وفتح بغداد استكثر من العساكر وسار معه عسكر أهل الشمال هؤلاء وقررت لهم العلوفة بتوريز ولما مات هلاكو طلب بركة من ابنه ابغا أن يأذن له فى بناء جامع تبريز ودار لنسج الثياب والطرز فأذن له فبناهما بذلك ثم اصطلحوا وأعيدت فادعى بنو دوشى خان أن توريز ومراغة من اعمالهم ولم يزالوا طالبين بهذه الدعوة فلما وقعت هذه الفتنة بين ازبك وأبى سعيد افتتح أمره بغزو موقان فبعث العساكر اليها سنة تسعة عشر فاكتسحوا نواحيها ورجعوا وجمع جوبان على دولته وتحكمه فى بنى جنكزخان وأنه يأنف أن يكون براق بن سنتف بن منكوقان بن جغطاى ملكا أعلى خوارزم فأغراه ازبك بغلب خراسان وأمده بالعساكر مع نائبه

السابض فى هذه المواضع البلاغة بالاصل

قطلتمر وسار سيول لذلك وبعث أبو سعيد نائبه جوبان لما اعتماد المغل وغلب سيول على كثير من خراسان وصالحه جوبان عليها وهلك سيول سنة عشرين ثم عزل اربك نائبه قطلتمر سنة احدى وعشرين وولى مكانه عيسى كوكر ثم ردّه سنة أربع وعشرين الى نيابته ولم تزل الحرب متصلة بين أزبك وأبى سعيد الى أن هلك أبو سعيد سنة ست وثلاثين ثم هلك القان في هذه السنة ولما هلك ازبك بن طغرلجاى ولى مكانه ابنه جانى بك وكان أبو سعيد قد هلك نسله كما قدمناه ولم يعقب وولى مكانه على العراق الشيخ حسن من أسباط ابغا بن هلاكو وافترق الملك فى عمالاتهم طوائف وردد جانى بك العساكر الى خراسان الى أن ملكها سنة ثمان وخمسين ثم زحف الى اذربيجان وتوريز وكان قد غلب عليها الشيخ الصغير ابن دمرداش بن جوبان وأخوه الاشرف من بعده كما يذكر فى أخبارهم ان شاء الله تعالى فزحف جانى بك فى العساكر الى اذربيجان تلك المطالبة التى كان سلفه يدعون بها فقتل الاشرف واستولى على توريز واذربيجان وانكفأ راجعا الى خوارزم بعد أن ولى على توريز ابنه رديك واعتل جانى بك فى طريقه ومات

(رديك بن جانى)

ولما اعتل جانى فى ذهابه من توريز الى خراسان طير أهل الدولة الخبر الى ابنه رديك وقد استخلفه فى توريز وولى عليها أميرا من قبله وأغذ السير الى قومه ووصل الى صراى وقد هلك أبوه جانى اولو مكانه واستقل بالدولة وهلك لثلاث سنين من ملكه .

(ماماى المتغلب على مملكة صراى)

ولما هلك برديك خلف ابنه طغطمش غلاما صغيرا وكانت أخته بنت برديك تحت كبير من أمراء المغل اسمه ماماى وكان متحكما فى دولته وكانت مدينة القرم من ولايته وكان يومئذ غائبا بها وكان جماعة من أمراء المغل متفرقين فى ولايات الاعمال بنواحى صراى فتفرقوا الكلمة واستبدوا بأعمالهم فتغلب حاجى شركس على ناحية حج طرخان وتغلب أهل خان على عمله وايبك خان كذلك وكانوا كلهم يسمون أمراء الميسرة فلما هلك برديك وافترقت الدولة واستبد هؤلاء فى النواحى نزح ماماى الى القرم ونصب صبيا من ولد أزبك القان اسمه عبد الله وزحف به الى صراى فهرب منها طغطمش ولحق بمملكة أرض خان فى ناحية جبال خوارزم الى مملكة بنى جغطاى بن جنكزخان فى سمرقند وما وراء النهر والمتغلب عليها يومئذ السلطان تمر من أمراء المغل وقد نصب صبيا منهم اسمه محمود وطغطمش وتزوج أمه واستبد عليه فأقام طغطمش هنالك ثم تنافس الامراء المتغلبون على أعمال صراى وزحف حاجى

شركس صاحب عمل منج طرخان الى ماماى نغلبه على سراى فملكها من يده وسار ماماى الى القرم فاستبدّ بها ولما زحف حاجى شركس من عمله بعث أرض خان عساكره من نواحى خوارزم فحاصروا منج طرخان وبعث حاجى العساكر اليهم مع بعض أمرائه فأعمل الحيلة حتى هزمهم عن منج طرخان وقتلهم وبالامير الذى يقودهم وشغل حاجى شركس بتلك الفتنة فزحف اليه ايك خان وملك سراى من يده واستبدّ بها أياما ثم هلك وولى بعده بسراى ابنه قاريخان ثم زحف اليه أرض خان من جبال خوارزم فغلبه على سراى وهرب قاريخان بن ايك خان وعادوا الى عملهم الاوّل واستقرّ أرض خان بصراى وماماى بالقرم ما بينه وبين صراى فى مملكته وكان هذا فى حدود أعوام سنة ست وسبعين وطغطمش فى خلال ذلك مقيم عند السلطان تمر فيما وراء النهر ثم طمعت نفس طغطمش الى ملك آبائه بصراى فجهز معه السلطان تمر العساكر وسار بها فلما بلغ جبال خوارزم اعترضه هنالك عساكر أرض خان فقاتلوه وانهزم ورجع الى تمر ثم هلك أرض خان قريبا من منتصف تلك السنة فخرج السلطان تمر بالعساكر مع طغطمش مددا له الى حدود عمله ورجع واستمر طغطمش فاستولى على أعمال أرض خان بجبال خوارزم ثم سار الى صراى وبها عمال أرض خان فملكها من أيديهم واسترجع ما تغلب عليه ماماى من ضواحيها وملك أعمال حاجى شركس فى منج طرخان واستنزع جميع ما كان بأيدى المتغلبين ومحا أثرهم وسار الى ماماى بالقرم فهرب أمامه ولم نوقف على خبره ثم صح الخبر بهلكه من بعد ذلك واستوسق الملك بصراى وأعمالها لطغطمش ابن بردبيك كما كان لقومه

(حروب السلطان تمر مع طغطمش صاحب صراى)

قد ذكرنا فيما مرّ ظهور هذا السلطان تمر فى دولة بنى جغطاى وكيف أجاز من بخارى وسمرقند الى خراسان أعوام أربعة وثمانين وسبعمائة فنزل على هراة وبها ملك من بقايا الغورية فحاصرها وملكها من يده ثم زحف الى مازندران وبها الشيخ ولى تغلب عليها بعد بنى هلاكو فطالت حروبه معه الى أن غلبه عليها ولحق الشيخ ولى بتوريز فى فل من أهل دولته ثم طوى تمر الممالك طيا وزحف الى اصبهان فأتاه ابن المظفر بها طاعته ثم الى توريز سنة سبع وثمانين فملكها وخربها وكان قد زحف قبلها الى دست القفجاق بصراى فملكها من يد طغطمش وأخرجه عنها فأقام بأطراف الاعمال حتى أجاز تمر الى اصبهان فرجع الى كرسيه وكان للسلطان تمر قريب فى قومه يعرف بقمر الدين فراسله طغطمش صاحب صراى وأغراه بالانتقاض على تمر وأمدّه بالاموال والعساكر نعاث فى تلك البلاد وبلغ خبره الى تمر فصرفه من فتحه فكرّ راجعا وعظمت حروبه مع قمر

الزحف الى طغطمش وسار طغطمش للقائه ومعه اغلان بلاط من أهل بيته وقد داخلوا تمر وجماعة الامراء معه واستراب بهم طغطمش وقد حان اللقاء وتصافوا للحرب فصدم ناحية من عسكر تمر وصدم من لقي فيها وشدد عياله وافترق الامراء الذين داخلوا تمر وساروا الى الثغور فاستولوا عليها وجاء طغطمش الى صراي فاسترجعها وهرب اعلان بلاط الى القرم فملكها وزحف اليه طغطمش في العساكر فحاصرها وخالفه ارض خان الى صراي فملكها فرجع طغطمش وانتزعها من يده ولم تزل عساكره تختلف الى القرم وتعاهدها بالحصار الى أن ملكها وظفر باعلان بلاط فقتله وكان السلطان تمر بعد فراغه من حروبه مع طغطمش سار الى اصبهان فملكها أيضا واستوعب ملوك بني المظفر بالقتل واستلم له أعمالهم جميعا في مملكته ثم زحف الى بغداد فملكها من يد أحمد بن أويس سنة خمس وتسعين كما مر ذكره ولحق أحمد بالسلطان الظاهر صاحب مصر مستصرخا به فخرج معه في العساكر وانتهى الى الفرات وقد سار تمر عن بغداد الى ماردين فحاصرها وملكها وامتنعت عليه قلعتها فعاج من هنالك الى حصون الاكراد ثم الى بلاد الارمن ثم الى بلاد الروم وبعث السلطان الظاهر صاحب مصر العساكر مددا لابن أويس فسار الى بغداد وبها شرذمة من عسكر تمر فملكها من أيديهم ورجع الملك الظاهر الى مصر وقد أطل الشتاء ورجع تمر الى نواحي أعماله فأقام في عمل قراباق ما بين اذربيجان وهمذان والابواب ثم بلغ الخبر الى تمر فسار من مكانه ذلك الى محاربة طغطمش وعميت أنباؤه مدة ثم بلغ الخبر آخر سنة سبع وتسعين الى السلطان بأن تمر ظفر بطغطمش وقتله واستولى على سائر أعماله والله غالب على أمره انتهى

(ملوك غزنة وباميان من بني دوشي خان)

كانت اعمال غزنة وباميان هذه قد صارت لدوشي خان وهي من اعمال ماوراء النهر من جانب الجنوب وتتاخم سجستان وبلاد الهند وكانت في مملكة بني خوارزم شاه فملكها التتر لاول خروجهم من أيديهم وملكها جنكزخان لابنه دوشي خان وصارت لابنه أردو ثم لابنه انجي بن أردو وهلك على رأس المائة السابعة وخلف من الولد بيان وكبك ومنغطاي واقتسمت الاعمال بينهم وكان كبيرهم بيان في غزنة وقام بالملك بعد انجي ابنه كبك وانتقض عليه أخوه بيان واستمد بلغطاي صاحب صراي فأمده بأحمد بالك واستمد كبك بقيدو فأمده ولم يغن عنه وانهزم ومات سنة تسع وسبعمائة واستولى بيان على الاعمال وأقام بغزنة وزحف اليه قوشناي ابن أخيه كبك واستمد بقيدو وغلب عمه على غزنة ولحق بيان بطغطاي واستقر قوشناي بغزنة

ويقال ان الذى غلب عليهم الغادر أخوه طغطاى ولم نقف بعد على شئ من أخبارهم
والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم

(ملوك التتر بسراى)

دولة بني هلاكو ملوك التتر بالعراقين وخراسان ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم

قد تقدم لنا أن جنكزخان عهد بالتخت وهو كرسي الملك بقراقوم لابنه أوكداي ثم ورثه من بعده كيورك بن أوكداي وان الفتنة وقعت بينه وبين صاحب الشمال من بني جنكزخان وهو باطو بن دوشي خان صاحب التخت بصراي وسار اليه في جموع المغل والتتر وهلك في طريقه وسلم المغل الذين معه التخت لباطو فامتنع من مباشرته بنفسه وبعث اليه أخاه منكوقان وبعث معه بالعساكر أخويه الآخرين قبلاي وهلاكو ومعهما أخوهما بركه ليجلسه على التخت وأجلسه سنة خمسين وذكرنا سبب اسلام بركه عند مرجعه وأن منكوقان استقل بالتخت وولى بني جغطاي بن جنكزخان على بلاد ماوراء النهر امضاء لوصية جنكزخان وبعث أخاه هلاكو لتدويخ عراق العجم وقلاع الاسماعيلية ويسمون الملاحدة والاستيلاء على ممالك الخليفة

(هلاكو بن طولي)

ولما بعث منكوقان أخاه الى العراق فسار لذلك سنة ثنتين وخمسين وستمائة وفتح الكثير من قلاعهم وضيق بالحصار مخنقهم وولي خلال ذلك في كرسي صراي بالشمال بركه بن باطو بن دوشي خان فحدثت الفتنة بينه وبين هلاكو ونشأت من الفتنة الحرب وسار بركه ومعه نوغان بن ططر بن مغل بن دوشي خان والتقوا على نهر زول وقد جمد ماؤه لشدة البرد وانخسف من تحته فانهزم هلاكو وهلك عامة عسكره وقد ذكرنا أسباب الفتنة بينهما ثم رجع هلاكو الى بلاد الاسماعيلية وقصد قلعة الموت وبها صاحبها علاء الدين فلعه في طريقه وصية من ابن العلقمي وزير المستعصم ببغداد في كتاب ابن الصلايا صاحب اربل يستحثه للمسير الى بغداد ويسهل عليه أمرها لما كان ابن العلقمي رافضيا هو وأهل محلته بالكرخ وتعصب عليهم أهل السنة وتمسكوا بأن الخليفة والدوادار يظاهرونهم وأوقعوا بأهل الكرخ وغضب لذلك ابن العلقمي ودس الى ابن الصلايا باربل وكان صديقا له بأن يستحث التتر لملك بغداد وأسقط عامة الجند يموه بأنه يصانع التتر بعطائهم وسار هلاكو والتتر الى بغداد واستنفر نحو مقدم التتر ببلاد الروم فيمن كان معه من العساكر فامتنع أولا ثم أجاب وسار اليه ولما أطل هلاكو على بغداد في عساكره برز للقائه ايبك الدوادار في عساكر المسلمين فهزموا عساكر التتر ثم تراجع التتر فهزموهم واعترضهم دون بغداد بثوق

انبثقت فى ليلتهم تلك من دجلة فحالت دونهم فقتلوا أجمعين وهلك ايبك الدوادار وأسر الامراء الذين معه ورجعوا الى البلد فحاصروها مدة ثم استأمن ابن العلقمى للمستعصم ولنفسه بأن هلاكو يستبقيه فخرج اليه فى موكب من الاعيان وذلك فى محرم سنة ست وخمسين وتقبض على المستعصم فشدخ بالمعاول فى عدل تجافيا عن سفك دمه بزعمهم ويقال ان الذى أحصى فيها من القتلى ألف ألف وثلثمائة ألف واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على مالا يحصره العدد والضبط وألقيت كتب العلم التى كانت فى خزائنهم بدجلة معاملة بزعمهم لما فعله المسلمون بكتب الفرس عند فتح المدائن واعتزم هلاكو على اضرام بيوتها نارا فلم يوافقه أهل مملكته واستبقى ابن العلقمى على الوزارة والرتبة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره الا الكلام فى الدخل والخرج متصرفا من تحت آخر أقرب الى هلاكو منه فبقى على ذلك مدة ثم اضطرب وقتله هلاكو ثم بعث هلاكو بعد فتح بغداد بالعساكر الى ميافارقين وبها الكامل محمد بن غازى بن العادل فحاصروها سنين حتى جهد الحصار أهلها ثم اقتحموها عنوة واستلحموا حاميتها ثم بعث اليه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ابنه ركن الدين اسمعيل بالطاعة والهدية فتقبله وبعثه الى القان الاعظم منكوقان بقراقوم وأبطأ على لؤلؤ خبره فبعث بالولدين الآخرين شمس الدين اسحق وعلاء الدين بهدية أخرى ورجعوا اليه بخبرابنه وقرب ايابه فتوجه لؤلؤ بنفسه الى هلاكو ولقيه باذربيجان وحضر حصار ميافارقين وجاءه ابنه ركن الدين من عند منكوقان بولاية الموصل وأعمالها ثم هلك سنة سبع وخمسين وولى ابنه ركن الدين اسمعيل ويلقب الصالح وبعث هلاكو عسكرا الى اربل فحاصرها ستة أشهر وامتنعت فأفرجت عنها العساكر فاغتنم ابن الصلايا الفرصة ونزل عنها لشرف الدين الكردى ولحق بهلاكو فقتله وكان صاحب الشأم يومئذ الناصر بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين فلما بلغه استيلاء هلاكو على بغداد بعث اليه ابنه بالهدايا والمصانعة والعذر عن الوصول بنفسه لمكان الافرنج من سواحل الشأم فقبل هديته وعذره ورجع ابنه بالمواعيد ولم يتم لهلاكو الاستيلاء على الجزيرة وديار بكر وديار ربيعة وانتهى ملكه الى الفرات وتاخم الشام وعبر الفرات سنة ثمان وخمسين فملك البيرة ووجد بها السعيد أخا الناصر بن العزيز معتقلا فأطلقه ورده الى عمله بالصبينة وبانياس ثم سار الى حلب فحاصرها مدة ثم ملكها ومن عليه وأطلقه ووجد بها المعتقلين من البحرية مماليك الصالح أيوب الذين حبسهم الناصر وهم سنقر الأشقر وتنكز فأطلقهم وكان معهم أمير من أكابر القفجاق لحق به واستخدم له فجعلهم معه وولى على البلاد

التي ملكها من الشأم ثم جهز العساكر الى دمشق وارتحل الناصر الى مصر ورجع عنه
الصالح بن الاشرف صاحب حمص الى هلاكو وولاه دمشق وجعل نوابه بها المغل (كذا)
وبلغ الناصر الى   ثم استوحش الخليفة من قطز سلطان مصر لما كان

بياض بالاصل

بينهما من الفتنة فخرج الى هلاكو فأقبل عليه واستشاره في ازالة الكتائب بالشأم
فسهل له الامر في عساكر مصر ورجع الى رأيه في ذلك وترك نائبه كيبغا من أمراء
التتر في خف من الجنود فبعث كيبغا الى سلطان مصر وأساء رسله بمجلس السلطان
في الخطاب بطلب الطاعة فقتلهم وسار الى الشأم ولقي كيبغا بعين جالوت فانهزمت
عساكر التتر وقتل كيبغا أميرهم والسعيد صاحب الصبيبة أخو الناصر كان مستأمنا
مع التتر فقبض عليه وقتل صبرا ثم بعث هلاكو العساكر الى البيرة والسعيد بن لؤلؤ
على حلب ومعه طائفة من العساكر فبعث بعضهم لمدافعة التتر فانهزموا وحنق
الامراء على السعيد بسبب ذلك وحبسوه وولوا عليهم حسام الدين الجوكندار
وزحف التتر الى حلب فأجفل عنها واجتمع مع صاحبها المنصور على حمص وزحفوا
الى التتر فهزموهم وسار التتر الى افامية فحاصروها وهابوا ما وراءها وارتحلوا الى
بلادهم وبلغ الخبر الى هلاكو فقتل الناصر صاحب دمشق لاتهامه اياه فيما أشار به
من الاستهانة بأهل مصر وكان هلاكو لما فتح الشام سنة ثمان وخمسين بلغه مهلك
أخيه القان الاعظم منكوفان في مسيره الى غزو بلاد الخطا فطمع في القانية وبادر
لذلك ووجد أخاه قبلاي قد استقل بها بعد حروب بينه وبين أخيه اريك تقدم
ذكرها في أخبار القان الاعظم فشغل بذلك عن أمر الشأم ثم لما يئس من القانية
قنع بما حصل عنده من الاقاليم والاعمال ورجع الى بلاده والاقاليم التي حصلت بيده
اقليم خراسان كرسيه نيسابور ومن مدنه طوس وهراة وترمذ وبلخ وهمدان وتوابعه
وكلمة عراق العجم كرسيه اصبهان ومن مدنه قزوين وقم وقاشان وشهرزور وسجستان
وطبرستان وطيلان وبلاد الاسماعيلية عراق العرب كرسيه بغداد ومن مدنه الدينور
والكوفة والبصرة اذربيجان وكرسيه توريز ومن مدنه خوران وسلماس وقفجاق
خورستان كرسيه تستر ومن مدنها الاهواز وغيرها فارس كرسيها شيراز ومن مدنها كش
ونعمان وجزيرة كيش والبحرين ديار بكر كرسيها الموصل ومن مدنها ميافارقين ونصيبين
وسنجار واسعرد ودنيسر وحران والرها وجزيرة ابن عمر بلاد الروم كرسيها قونية ومن
مدنها ملطية واقصرا وأقسرا وأرزنكان وسيواس وانطاكية والعلايا ثم اجلاء احمد الحاكم
خليفة مصر فزحف الى بغداد وهذا الحاكم هو عم المستعصم لحق بمصر بعد الواقعة
ومعه الصالح بن لؤلؤ بعد أن ازاله التتر من الموصل فنصب الظاهر بيبرس أحمد هذا

فى الخلافة سنة تسع وخمسين وبعثه لاسترجاع بغداد ومعه الصالح بن لؤلؤ على الموصل فلما أجازوا الفرات وقاربوا بغداد كبسهم التتر ما بين هيت وغانة فكبسوا الخليفة وفرّ ابن لؤلؤ وأخوه الى الموصل فنازلهم التتر سبعة أشهر ثم اقتحموها عليهم عنوة وقتلوا الصالح وخشى الظاهر بيبرس غائلة هلاكو ثم ان بركة صاحب الشمال قد بعث الى الظاهر سنة باسلامه فجعلها الظاهر وسيلة للوصلة معه والانجاد وأغراه بهلاكو لما بينهما من الفتنة فسار بركة لحربه وأخذ بحجزته عن الشأم ثم بعث هلاكو عساكر التتر لحصار البيرة ومعه درباى من أكابر أمراء المغل وأردفه بابنه ابغا وبعث الظاهر عساكره لانجاد أهلها فلما أطلوا على عسكر درباى وعاينهم أجفل وترك الخيم والآلة ولحق بابغا منهزما فاعتقله وسخطه ثم هلك هلاكو سنة ثنتين وستين لعشر سنين من ولايته العراق والله أعلم

(ابغا بن هلاكو)

ولما هلك هلاكو ولى مكانه ابنه ابغا وسار لاول ولايته لحرب بركة صاحب الشمال فسرح اليه بركة العساكر مع قريبه نوغاى بن ططر بن مغل بن دوشى خان ومع سنتغ بن منكوفان بن جغطاى بن جنكزخان وخام سنتغ عن اللقاء ورجع منهزما وأقام نوغاى فهزم ابغا وأثخن فى عساكره وعظمت منزلته بذلك عند بركة ثم بعث سنة احدى وسبعين عساكره مع درباى لحصار البيرة وعبر الظاهر اليهم الفرات وهزمهم وقتل أميرين مع درباى ولحق درباى بابغا منهزما فسخطه وأدال منه باباطاى وفى سنة ثنتين وسبعين زحف ابغا الى تكدار بن موجى بن جغطاى بن جنكزخان وكان صاحبه فاستنجد بابن عمه براق بن سنتغ بن منكوفان بن جغطاى فأمده بنفسه وعساكره واستنفر ابغا عساكر الروم وأميرهم طمقان والبرواناة والتقى الجمعان ببلاد الكرج فانهزم تكدار ولجأ الى جبل هنالك حتى استأمن ابغا فأمنه وعهد ان لا يركب فرسا فارها ولا يمس قوسا ثم نمى الى ابغا ان الظاهر صاحب مصر سار الى بلاد الروم فبعث العساكر اليها مع قائدين من قواد المغل وهما تدوان وتغو افسارا وملك الظاهر قيسارية من تخوم بلادهم وبلغ الخبر الى ابغا فجاء بنفسه الى موضع الهزيمة وعاين مصارع قومه ولم يسمع ذكر الاحد من عسكر البرواناة انه صرع فاتهمه وبعث عنه بعد مرجعه فقتله ثم سار ابغا سنة ثمانين وعبر الفرات ونازل الرحبة وبعث الى صاحب ماردين فنزل معه هنالك وكان منكوتمر ابن أخى بركة ملك صراى فسار بعساكره من المغل وحشود الكرج والارمن والروم وفرّ بقيسارية وابلستين وأجاز الدربند الى فنازلها وبعث ابغا

اليه بالعساكر مع أخيه منكوتمر بن هلاكو وأقام هو على الرحبة وزحف الظاهر من مصر في عساكر المسلمين فلقيهم على حمص وانهزم التتر هزيمة شنعاء هلك فيها عامة عساكرهم وأجفل ابغا من حصار الرحبة وهلك أخوه منكوتمر بن هلاكو مرجعه من تلك الواقعة يقال مسموما وانه مر ببعض أمرائه بجزيرة تسمى مومواغا كان يصطنع له بعض الفعلات فسقاه سما عند مروره به وهرب الى مصر فلم يدركوه وانهم قتلوا ابناءه ونساءه ثم هلك ابغا سنة احدى بعدها ويقال مسموما أيضا على يد وزيره الصاحب شمس الدين الجويني مشيد دولته وكبرها حمله الخوف على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(تكدار بن هلاكو ويسمى أحمد)

ولما توفي ابغا كما ذكرناه وكان ابنه أرغو غائبا بخراسان فبايع المغل لاخيه تكدار وأسلم وتسمى أحمد وخاطب بذلك الملوك لعصره وأرسل الى مصر يخبرهم ويطلب المساعدة وجاء بذلك قاضي سيواس قطب الدين الشيرازي وأتابك بلاد الروم وابن الصاحب من وراء ماردين وكان أخوه قنقرطاي مع صمغان الشحنة فبعث تكدار عن أخيه فامتنع من الاجابة وأجاره غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم فتوعده تكدار فخاف منه وسار هو وقنقرطاي الى تكدار فقتل أخاه وحبس غياث الدين وولى مكانه أخاه عز الدين وأدال من صمغان الشحنة بأولاطو من أمراء المغل ثم جهز العساكر الى خراسان لقتال أخيه أرغو فسار اليهم أرغو وكبسهم وهزمهم وفتك فيهم فسار تكدار بنفسه فهزم أرغو وأسره وأثخن في عساكره وقتل اثنى عشر أميرا من المغل فاستوحش أهل معسكره وكانوا ينقمون عليه اسلامه فثاروا عليه وقتلوا نائبه ثم قتلوه سنة ثلاث وثمانين وبعثوا الى أرغو بن ابغا بطاعتهم والله تعالى أعلم

(أرغو بن ابغا)

ولما ثار المغل على تكدار وقتلوه وبعثوا بطاعتهم الى أرغو جاء وولوه أمرهم فقام بسلطانه وقتل غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم في محبسه اتهمه بمداهنته في قتل عمه قنقرطاي وتقبض لاول ولايته على الوزير شمس الدين الجويني وكان متهما بأبيه وعمه فقتله وولى على وزارته سعد اليهودي الموصلي ولقبه سعد الدولة وكان عالما بالحكمة وولى ابنيه قازان وخربندا على خراسان لنظر نيروز أتابكه وللمدافع من أمور ملكه وكان قد عدل عن دين الاسلام واحب دين البراهمة من عبادة الاصنام وانتحال السحر والرياضة له ووفد عليه بعض سحرة الهند فركب له دواء لحفظ الصحة واستدامتها

فأصابه
١٩

أو أصابه منه صرع فمات سنة سبعين والله سبحانه وتعالى أعلم

(كيخاتو بن ابغا)

ولما هلك أرغو بن ابغا وابناه قازان وخربندا غائبان بخراسان اجتمع المغل على أخيه كيخاتو فبايعوه وقدموه للملك ثم ساءت سيرته وأفحش في المناكر واباحة المحرمات والتعرض للغلمان من أبنائهم وكان في عسكره بيدو بن عمه طرغاي بن هلاكو فاجتمع اليه أمراء المغل وبايعوه سرا وشعر بهم كيخاتو ففر من معسكره الى جهة كرمان وساروا في اثره فأدركوه بأعمال غان وقتلوه سنة ثلاث وتسعين لثلاث سنين وأشهر من ولايته والله تعالى أعلم

(بيدو بن طرغاي بن هلاكو)

ولما قتل أمراء المغل كيخاتو بن ابغا بايعوا مكانه لابن عمه بيدو بن طرغاي بن هلاكو وكان قازان بن أرغو بخراسان فسار لحرب بيدو ومعه الاتابك نيروز فلما تقاربا للقاء تردد الناس بينهما في الصلح على أن يقيم نيروز الاتابك عند بيدو واصطلحا وعاد قازان ثم أرسل نيروز الاتابك الى قازان يستحثه فسار من خراسان ولما بلغ الخبر الى بيدو فاوض فيه نيروز الاتابك فقال انا أكفيكه فصبر حتى أتى اليه فسرحه ولما وصل الى قازان أطلعه على شأن أمراء بيدو وانهم راغبون عنه وحرضه على المسير فامتعض لذلك بيدو وسار للقائهم فلما التقى الجمعان انتقض عليه أمراؤه بمداخلة نيروز فانهزم ولحق بنواحي همذان فأدرك هنالك وقتل سنة خمس وتسعين لثمانية أشهر من ملكه والله سبحانه وتعالى أعلم

(قازان بن أرغو)

ولما انهزم بيدو وقتل ملك على المغل مكانه قازان بن أرغو وجعل أخاه خربندا واليا على خراسان وجعل نيروز الاتابك مدبر المملكة وسعى لاول أمره في التدبير على طرغاي من أمرائه وسواليه من المغل الذي داخل بيدو في قتل كيخاتو الذي تولى كبر ذلك فخافه طرغاي على نفسه وكان نازلا بين بغداد والموصل فبعث الى كيبغا العادل صاحب مصر والشأم يستأذنه في اللحاق به ثم ولى قازان على ديار بكر أميرا من أشياعه اسمه مولان فهزمه وقتل الكثير من أصحابه ونجا الى الشأم وبعث كيبغا من تلقاه وجاء به الى مصر ودخل مجلس الملك ورفع مجلسه فيها قبل ان يسلم واستقر هو وقومه الاويراتية بمصر وأقطع لهم وكان ذلك داعيا الى الفتنة بين الدولتين ثم قتل قازان الاتابك نيروز وذلك أنه استوحش من قازان وكاتب لاشين سلطان مصر والشأم

المتولى بعد كيبغا وأحس نيروز بذلك فلحق بهراة مستجيرا بصاحبها وهو فخر الدين
ابن شمس الدين كرت صاحب سجستان فقبض عليه فخر الدين وأسلمه الى قطلوشاه
فقتله وقتل قازان بعد ذلك أخويه ببغداد وهما حاجى ولكرى وتقبل السفير اليه
بالكتاب من مصر ثم كان بعد ذلك مفر سلامش بن ابال بن مجير الى مصر وكان أميرا
فى بلاد الروم على التومان المجبر فيها والتومان عندهم عبارة عن مائة ألف من العساكر
عن قازان فارتاب به وأرسل الى لاشين يستأذنه فى اللحاق به وبعث قازان العساكر
اليه فقاتلوه وانحص عنه أكثر أصحابه ففر الى مصر وترك أهله وولده وبعث معه صاحب
مصر العساكر لتلقى أهله ومروا بسيس فاعترضهم عساكر الترك فهزموه وقتلوا أمير
مصر الذى معه واعتصم هو ببعض القلاع فاستنزلوه منها وبعثوا به الى قازان
وأقام أخوه قطقطو بمصر فى جملة عسكرها ونشأت بهذه كلها الفتنة بين قازان وأهل
مصر ونزع اليه أمراء الشام فلحق نائب وبكتمر
والبكى الظاهرى وعز الصالحين واستراب بالسلطان الناصر محمد بن قلاون فلحقوا به
واستحثوه الى الشأم وسار سنة تسع وتسعين فى عساكر المغل والارمن ومعه
قطلوشاه ومولى وسار الملك الناصر من مصر فى عساكر المسلمين ولما انتهى الى غزة اطلع
على تدبير بعض المماليك عليه من أصحاب كيبغا ومداخلة الامراء الذين هاجروا
من المغل الى مملكة مصر لهم فى ذلك فتقبض جميعهم وارتحل الى حمص للقاء الترك
فسبقهم جرح المروج والتقى الجمعان وكانت الدبرة على المسلمين وا
وعاد السلطان الى مصر وسار قازان على التعبية فتح حمص واستولى على خف السلطان
بها ثم تقدم الى دمشق فملك المدينة وتقدم الى قبجاق بجباية أموالها ولحصار القلعة
وبها علاء الدين سنجر المنصورى فامتنع وهدم ما حولها من العمران وفيها دار السعادة
التى بها ايوان الملك وسار قازان الى حلب فملكها وامتنعت عليه القلعة وبثت
عساكره فى البلاد وانتهت غاراتهم الى غزة ولما امتنعت عليه القلاع ارتحل عائدا
الى بلده وخلف قطلوشاه فى عساكر لجباية البلد وحصار القلعة ويحيى بن جلال الدين
لجباية الاموال وترك قبجاق على نيابة دمشق وبكتمر على نيابة حلب وحمص وحماة وكر
الناصر راجعا الى الشأم بعد ان جمع العساكر وبث العطاء وأزاح العلل وعلى مقدمته
بيبرس الجاشنكير وسلار كافلا مملكته فتقدموا الى حدود الشأم وأقام هو بالصالحية
واستأمن اليهما قبجاق وبكتمر الناس بان بدمشق وحلب ورجعا لطاعة السلطان واستولى
بيبرس وسلار على الشأم ورجع قطلوشاه الى العراق ثم عاود قازان
ثنتين وسبعين وعبر الفرات ونزل على الرحبة وكاتب أهل الشأم يعدهم وقدم قطلو

كمن تقاتلوا دونا الواحة ووقفوا هنالك وسار الناصر

[illegible] اسماء التتر [illegible] قطلوشاه بمرج الصفر فهزمه بعد حرب شديدة

من [illegible] شعبان [illegible] وبات المسلمون يحرسونهم

[illegible] الى الليل فاقتحموا الجبل فى طريقهم

[illegible] كل ما أخذوا واعترضهم الوحل من أمامهم من شوق بثقت اهم

منهم أحد وقدم الفل على قازان بنواحى

[illegible] ثم [illegible] ومات فى ذى الحجة من السنة ويقال انه مات أسفا والله تعالى أعلم

بالصواب

(خربندا بن أرغو)

ولما مات قازان ولى بعده أخوه خربندا وابتدأ أمره بالدخول فى دين الاسلام وتسمى محمد وتلقب غياث الدين وأقر قطلوشاه على نيابته ثم جهزه لقتال الكرد فى جبال كيلان وقاتلهم فهزموه وقتلوه وولى مكانه جوبان بن تدوان وأقام فى سلطانه حسن الدين معظما للخلفاء وكتب أسماءهم على سكته ثم صحب الروافض فساء اعتقاده وحذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش أسماء الأئمة الاثنى عشر على سكته ثم أنشأ مدينة بين قزوين وهمذان وسماها السلطانية ونزلها واتخذ بها بيتا طبقا بلبن الذهب والفضة وأنشأ ازاءه بستانا جعل فيه أشجار الذهب بثمر اللؤلؤ والفصوص وأجرى اللبن والعسل أنهارا وأسكن به الغلمان والجوارى تشبيها له بالجنة وأخذ فى التعرض للحرمات ثم سار الى الشأم سنة ثلاث عشرة وعبر الفرات ونزل الرحبة ورجع ثم هلك ويقال مات مسموما على يد بعض أمرائه سنة ست عشرة والله تعالى أعلم

(أبو سعيد بن خربندا)

ولما هلك خربندا خلف ابنه ابا سعيد طفلا صغيرا ابن ثلاث عشرة سنة فاستصغره جوبان وأرسل الى أزبك ملك الشمال بصراى يستدعيه الملك العراقين فحذره نائبه قطلقتمر من ذلك وبايع جوبان لابى سعيد بن خربندا على صغره وبدأ أمره بقتل أبى الطيب رشيد الدولة فضل الله بن يحيى الهمذانى المتهم بقتل أبيه فقتله وكان مقدما فى العلوم ومربيا فى الغاية وله تاريخ جمع فيه أخبار التتر وأنسابهم وقبائلهم وكتبه مشجرا كما فى كتابنا هذا وكان جوبان يومئذ بخراسان يقاتل قليها سول بن براق بن سنتف بن ماسان بن جفطاى صاحب خوارزم أغراه أزبك صاحب الشمال

جوبان الى الاردن ومعه ابنه تمرتاش والعسكر والتهم وانتهى الى أبي سعيد فنزل أمرائه فقتل منهم أربعين ورجع جوبان الى خراسان سنة ثمان عشرة وقد استولى سيول عليها وعلى طائفة من عراق العجم وبعث اليه أزبك صاحب الشمال نائبه قطلقتمر مددا في العساكر فلقيهم جوبان وكانت بينهم حروب وانتزع جوبان ما ملكه سيول من بلاد خراسان وصالحه على ما بقي ورجع ثم سار أزبك ملك الشمال الى مراغة فأغار عليها وغنم ورجع واتبعه جوبان في العساكر فلم يدركه وهلك سيول سنة عشرين وارتجع أبو سعيد ما كان بيده من خراسان وكان أزبك صاحب الشمال ينقم على أبي سعيد استبداد جوبان عليه وتحكمه في بني جنكزخان ويحرض أهل النواحي على جوبان ويتوقع له المهالك وأوصل الملوك في النواحي للمظاهرة على جوبان وسلطانه أبي سعيد حتى لقد صاهر صاحب مصر على مثل ذلك ولم يتم الصلح لابي سعيد معه كما مر في أخبارهم وجهز أزبك العساكر سنة عشرين لحرب جوبان فحاصرهم المدنيين بركوزل الذي في حدود ملكهم فرجعوا ثم جهز جيشا آخر مع قطلقتمر نائبه وكان جوبان نائب أبي سعيد قد ولى على بلاد الروم ابنه دمرداش فزحف سنة احدى وعشرين الى بلاد سيس وافتتح منها قلاعا ثلاثا وخربها وبعث الى الملك الناصر يطلب المظاهرة في جهاد الارمن بسيس فبعث السلطان عساكره سنة ثنتين وعشرين ومعهم من المتطوعة عدد وحاصروا سيس ثم انعقد الصلح سنة ثلاث وعشرين بعدها بين الملك الناصر وبين أبي سعيد واستقامت الاحوال وحج أكابر المغل من قرابة أبي سعيد ملك التتر بالعراقين واتصلت المهاداة بينهما وسار نائبه جوبان سنة خمس وعشرين الى خراسان في العساكر وقد زحف اليه كبك بن سيول فجرت بينهما حروب وانهزم جوبان واستولى كبك على خراسان ثم كبسه جوبان فهزمه وأثخن في عساكره وغلبه على خراسان فعادت الى ملكة أبي سعيد وبينما جوبان مشتغل بتلك الفتنة والحروب في نواحي خراسان اذ بلغه الخبر بأن السلطان أبا سعيد تقبض على ابنه خواجا دمشق فلما بلغه الخبر بذلك انتقض وزحف اليه أبو سعيد فافترق عنه أصحابه ولحق بهراة فقتل بها سنة ست وعشرين وأذن أبو سعيد لولده أن ينقلوا شلوه الى تربته التي بناها بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ونقلوه فلم يقدر دفنه بها وتوقف أمير المدينة على اذن السلطان بمصر في ذلك فدفن بالبقيع ولما بلغ خبر جوبان لابنه دمرداش وهو أمير بلاد الروم ارتاع لذلك ولحق بمصر فيمن معه من الامراء والعساكر وأقبل السلطان الملك الناصر عليه وأحله محل التكرمة وجاءت على أثره رسل أبي سعيد يطلب حكم الله فيه لسعيه في الفساد والفتنة وأجابه السلطان الى ذلك على أن يفعل مثل ذلك في قراسنقر المازع

يبعث

اليهم

اليهم من أمراء الشأم فأمضى ذلك فيهما جزاء بما قدمت أيديهما ثم تأكدت أسباب المواصلة والالتحام بين هذين السلطانين بالاصهار والمهاداة واتصل ذلك وانقطع زبون العرب وفسادهم بين المملكتين وهلك السلطان أبو سعيد سنة ست وثلاثين ولم يعقب ودفن بالسلطانية واختلف أهل دولته وانقرض الملك من بنى هلاكو وافترقت الاعمال التى كانت فى ملكهم وأصبحت طوائف فى خراسان وفى عراق العجم وفارس وفى اذربيجان كله فى عراق العرب وفى بلاد الروم كما نذكر ذلك والله وارث الارض ومن عليها واليه يرجعون

أبو سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن طولى خان بن جنكزخان

قازان

كنخاتو

بيدو بن طرغاى

تنقرطاى

كبك بن سيول بن براق بن سنتف بن ماسان بن جغطاى (صاحب خراسان)

اضطراب دولة بنى هلاكو وانقسام الملك طوائف فى أعمالهم وانفراد الشيخ حسن ببغداد واستيلاء بنيه معها على توريز وما كان لهم فيها من الملك والدولة وابتدائها ومصايرها

لما هلك أبو سعيد بن خربندا ملك التتر بكرسى بغداد سنة ست وثلاثين ولم يعقب نصب امراء المغل الوزير غياث الدين وخلع اورخان ونصب للملك موسى خان من اسباطهم وقام بدولته الشيخ حسن بن حسين بن بيبغا بن املكان وهو ابن عمة السلطان أبى سعيد سبط ارغو بن ابغا انزله أبو سعيد بقلعة كانج من بلاد الروم ووكل به فلما هلك أبو سعيد

واشتغل عقاله وذهب أبو نورين ماس عن عليها وطمعه شأن أهل الدولة ببغداد ولم يرضه ولم ضن اليها فقتل على ماسا القائم بالدولة وعزل موسى خان الملك ونصب مكانه محمد بن عمرجى وهو الذى تقدم فى ملوك التخت صحة نسبه الى هلاكو واستولى الشيخ حسن على بغداد وتوريز ثم سار اليه حسن بن دمرداش من مكان امارته وامارة أبيه ببلاد الروم وغلبه على توريز وقتل سلطانه محمد بن عمرجى ولحق الشيخ حسن ببغداد واستقر حسن بن دمرداش فى توريز ونصب للملك أخت السلطان أبى سعيد اسمها صالبك وزوجها سليمان خان من أسباط هلاكو واستقل بملك توريز وكان يعرف بالشيخ حسن الصغير لأن صاحب بغداد كان يشاركه فى اسمه وهو أسن وأدخل فى نسب الملك ... بالكبير ومن هذا بالصغير ولما استقل حسن الصغير بالملك والمال عنده عجز عنه الشيخ حسن الكبير وغلبته أمم التركمان بنواحى الموصل الى سائر بلاد الجزيرة فيقال انه أرسل الى الملك الناصر صاحب مصر بأن يملكه بغداد ويلحق به فيقيم عنده و .. منه أن يبعث عساكره لذلك على أن يرهن فيهم ابنه فلم يتم ذلك لما اعترضه من الاحوال وافترقت مملكة بنى هلاكو فكان هو ببغداد والصغير بتوريز وابن المظفر بعراق العجم وفارس والملك حسين بخراسان واستولى على أكثرها ملك الشمال أز .. صاحب التخت بصراى من بنى دوشى خان بن جنكزخان ثم استوحش الشيخ حسن من سلطانه سليمان خان فقتله واستبد ثم هلك الشيخ حسن الصغير بن دمرداش بتوريز سنة أربع وأربعين وملك مكانه أخوه الاشرف ثم هلك الشيخ حسن الكبير ببغداد سنة سبع وخمسين والله تعالى أعلم

(أويس بن الشيخ حسن)

ولما هلك الشيخ حسن الكبير ببغداد ولى مكانه ابنه أويس وكان بتوريز الاشرف بن دمرداش فزحف اليه ملك الشمال جانى بك بن أزبك سنة ثمان وخمسين وملكها من يده ورجع الى خراسان بعد أن استخلف عليها ابنه واعتقل فى طريقه فكتب أهل الدولة الى ابنه بردبيك يستحثونه للملك فأغذ السير اليهم وترك توريز عاملها أخجوخ فسار اليه أويس صاحب بغداد وغلبه عليها وملكها ثم ارتجعها منه أخجوخ وأقام بها فزحف اليه ابن المظفر صاحب أصبهان وملكها من يده وقتله واصطلم فى ملكه عراق العجم وتوريز وتستر وخوزستان ثم سار أويس فانتزعها من يد ابن .. واستقرت فى ملكه ورجع الى بغداد وجلس على التخت واستفحل أمره ثم هلك سنة ست وسبعين حسين بن أويس وقد خلف بنين جمة وهم الشيخ حسن وحسين والشيخ على وأبو يزيد وأحمد وكان وزيره زكريا وكبير دولته الامير عادل كان كافلا لجميع

اقطاعه السلطانية فاجتمع أهل الدولة وبايعوا لابنه حسين بتوريز وقتلوا الشيخ
حسن وزعموا أن أباهم أويسا أوصاهم بقتله وكان الشيخ علي بن أويس ببغداد فأقام في
طاعة أخيه حسين وكان قنبر علي بادك من أمرائهم نائبا بتستر وخوزستان فبايع
لحسين وبعث إليه بطاعته واستولى على دولته بتوريز زكريا وزير أبيه وكان اسمعيل
ابن الوزير زكريا بالشام هاربا أمام أويس فتقدم على أبيه زكريا وبعثه الى بغداد
ليقوم بخدمة الشيخ علي فاستخلصه واستبد عليه فتغلب شجاع بن المظفر على توريز
وارتجعها منه ولما استقل حسين بتوريز كان بنو المظفر طامعين في ولايتها وقد ملكوها
من قبل كما مر وانتزعها أويس منهم فلما توفي أويس سار شجاع الى توريز في عساكره
فأجفل عنها حسين بن أويس الى بغداد واستولى عليها شجاع ولحق حسين بأخيه
الشيخ علي ووزيره اسمعيل ببغداد مستجيشا بهما فسرحوا معه العساكر ورجع
ادراجه اليها فهرب عنها شجاع وحسين ملكها واستقر بها

(مقتل اسمعيل واستيلاء حسين على بغداد ثم ارتجاعها منه)

كان اسمعيل مستبدا على الشيخ علي ببغداد كما قدمناه فتوثب به جماعة من أمراء الدولة
منهم مبارك شاه وقنبر وقراأحمد فقتلوه وعمه أمير أحمد سنة اثنتين وثمانين
واستدعوا قنبر علي بادك من تستر فولوه مكان اسمعيل واستبد على الشيخ علي ببغداد
ونكر حسين عليهم ما أتوه وسار في عساكره من توريز الى بغداد ففارقها الشيخ علي
وقنبر علي بادك الى تستر واستولى حسين على بغداد وأقام [illegible] أخيه
الشيخ علي ولم يمده ونهض الشيخ علي من تستر الى واسط وجمع العرب من عبادة
والجزيرة فأجفل أحمد من واسط الى بغداد وسار الشيخ علي في أثره فأجفل حسين الى
توريز واستوسق ملك بغداد للشيخ علي واستقر كرسيه والله تعالى أعلم

(انتقاض أحمد واستيلاؤه على توريز ومقتل حسين)

ولما رجع حسين من بغداد الى توريز عكف على لذاته وشغل بلهوه واستوحش منه
أخوه أحمد فلحق بأردبيل وبها الشيخ صدر الدين واجتمع اليه من العساكر
ثلاثة آلاف أو يزيدون فسار الى توريز وطرقها على حين غفلة فملكها واختفى حسين
أياما ثم قبض عليه أحمد وقتله والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(انتقاض عادل ومسيره لقتال أحمد)

كان الأمير عادل واليا على السلطانية [illegible]
امتعض له وكان عنده أبو يزيد بن أويس [illegible]

فارس يستصرخانه على الامير أحمد بن أويس فبعث العساكر لصريخهما وورد الامير
أحمد لقتالهم ثم تحاربوا واتفقوا أن يستقر أبو يزيد في السلطانية أميرا ويخرج الامير
عادل عن عساكرهم ويقيم عند شجاع بفارس واصطلحوا على ذلك وعاد أبو يزيد الى
السلطانية فأقام بها وأساء السيرة وخاصة بالرعايا فدسوا بالصريخ الى أحمد بتوريز
فسار في العساكر اليه وقبض عليه وكحله وتوفي بعد ذلك ببغداد

(مقتل الشيخ علي واستيلاء أحمد على بغداد)

لما قتل أحمد أخاه حسينا جمع الشيخ علي العساكر واستنفر قرا محمد أمير التركمان
بالجزيرة وسار من بغداد يريد توريز وبرز أحمد لقتاله واستمد له لما كان معه فسالم
في اتباعه الى أن خفت عساكره فكر منهزما وكانت جولة أصيب فيها الشيخ علي بسهم
مات وأسر قرا محمد فقتل ورجع أحمد الى توريز واستوسق له ملكها ونهض اليه عادل
الى السلطان   يروم فرصة فيه فهزمه ثم سار أحمد الى بغداد وقد كان
استبد بها بعد مهلك الشيخ علي خواجا عبد الملك من صنائعهم بدعوة أحمد ثم قام الامير
عادل في السلطانية بدعوة أبي يزيد وبعث الى بغداد قائدا اسمه برسق ليقيم بها دعوته
فأطاعه عبد الملك وأدخله الى بغداد ثم قتله برسق ثاني يوم دخوله واضطرب البلد شهرا
ثم وصل أحمد من توريز وخرج برسق لقتاله فانهزم وجيء به الى أحمد أسيرا
فحبسه ثم قتله وقتل عادل بعد ذلك وكفي أحمد شره واستقامت في ملكه توريز وبغداد
وتستر والسلطانية وما اليها واستوسق أمره فيها ثم انتقض عليه أهل دولته سنة ست
وثمانين وسار بعضهم الى تمر سلطان بني جغطاي بعد أن خرج من وراء النهر وملكه
يومئذ واستولى على خراسان فاستصرخه على أحمد فأجاب صريخه وبعث معه
العساكر الى توريز فأجفل عنها أحمد الى بغداد واستقر بها ذلك الثائر ورجع تمر الى
مملكته الاولى وطمع طقطمش ملك الشمال من بني دوشي خان في انتزاع توريز من يد
ذلك الثائر فسار اليها وملكها وزحف تمر في عساكره سنة سبع وثمانين الى اصبهان
وبعث العساكر الى توريز فاستباحها وخربها واستولى على تستر والسلطانية
واستضافها الى أعماله واستبد أحمد ببغداد وأقام بها

(استيلاء تمر على بغداد ولحاق أحمد بالشام)

كان تمر سلطان المغل بعد أن استولى على توريز خرج عليه خارج من قومه في بلاده
يعرف بقمر الدين فشغله أمره عنه وأن طقطمش صاحب كرسي صراي في الشمال
أمده بأمواله وعساكره فكر راجعا من اصبهان الى بلاده وعيث أثناءه الى سنة خمس

وسبعين ثم جاءت الاخبار بأنه غلب تمر الدين الخارج عليه وشدأ أثر فساده ثم استولى
على كرسي تبريز وأعمالها ثم خطى الى اصبهان وعراق العجم والرى وفارس وكرمان
فملك جميعها من بنى المظفر اليزدى بعد حروب هلك فيها ملوكهم وبادت جموعهم
وشد أحمد ببغداد عزائمه وجمع عساكره وأخذ في الاستعداد ثم عدل الى مصانعته
ومهاداته فلم يغن ذلك عنه ومازال تمر يخادعه بالملاطفة والمراسلة الى أن فتر عزمه
وافترقت عساكره فنهض اليه يغذ السير في غفلة منه حتى انتهى الى دجلة وسبق
النذير الى أحمد فأسرى بغلس ليله وحمل ما أقلته الرواحل من أمواله وذخائره وخرق
سفن دجلة ومر بنهر الحلة فقطعه وصبح مشهد على ووافى تمر وعساكره دجلة في حادى
عشر شوال سنة خمس وتسعين ولم يجد السفن فاقتحم بعساكره النهر ودخل بغداد
واستولى عليها وبعث العساكر في اتباع أحمد فساروا الى الحلة وقد قطع جسرها
فخاضوا النهر عندها وأدركوا أحمد بمشهد على واستولوا على أثقاله ورواحله فكر
عليهم في جموعه واستماتوا وقتل الامير الذى كان في اتباعه ورجع بقية التتر عنهم ونجا
أحمد الى الرحبة من تخوم الشأم فأراح بها وطالع نائبها السلطان بأمره فسرح بعض
خواصه لتلقيه بالنفقات والازواد وليستقدمه فقدم به الى حلب وأراح بها وطرقه
مرض أبطأ به عن مصر وجاءت الاخبار بأن تمر عاث في مخلفه واستصفى ذخائره
واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لاغنيائهم وفقرائهم حتى مستهم الحاجة
وأقفرت جوانب بغداد من العيث ثم قدم أحمد بن أويس على السلطان بمصر في شهر
ربيع سنة ست وتسعين مستصرخا به على طلب ملكه والانتقام من عدوه فأجاب
السلطان صريخه ونادى في عسكره بالتجهز الى الشأم وقد كان تمر بعد ما استولى على
بغداد زحف في عساكره الى تكريت مأوى المخالفين وعش الحرابة ورصد السابلة
وأناخ عليها بجموعه أربعين يوما فحاصرها حتى نزلوا على حكمه وقتل من قتل منهم
ثم خربها وأقفرها وانتشرت عساكره في ديار بكر الى الرها ووقفوا عليها ساعة من نهار
فملكوها وانتسفوا نعمها وافترق أهلها وبلغ الخبر الى السلطان فخيم بالزيدانية أياما
أزاح فيها علل عساكره وأفاض العطاء في مماليكه واستوعب الحشد من سائر أصناف
الجند واستخلف على القاهرة النائب سودون وارتحل الى الشأم على التعبية ومعه
أحمد بن أويس بعد ان كفاه مهمه وسرب النفقات في تابعه وجنده ودخل دمشق آخر
جمادى الاولى وقد كان أوعز الى جلبان صاحب حلب بالخروج الى الفرات واستنفار
العرب والتركمان للاقامة هنالك رصدا للعدو فلما وصل الى دمشق وفد عليه
جلبان وطالعه بمهماته وما عنده من أخبار القوم ورجع لانفاذ أوامره والفصل

فيما يطالعه منه وبعث السلطان على أثره العساكر مدداً له مع كمشبغا الاتابك وتكلمش أمير سلاح وأحمد بن بيبغا وكان العدو تمر قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهرا وملكها وعاثت عساكره فيها واكتسحت نواحيها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها الى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الاكراد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد وهو شعبان سنة   ونسعين مقيم بدمشق مستجمع لطاعته والوثبة به متى استقبل جهته والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

ابن ...

أحمد بن أويس ابن الشيخ حسن بن اقبغا بن ايلكان سبط ارغون بن ابغا

الشيخ حسن أبو يزيد

{الخبر عن بنى المظفر اليزدى المتغلبين على اصفهان وفارس}
{بعد انقراض دولة بنى هلاكو وابتداء أمورهم ومصايرها}

كان أحمد المظفر من أهل يزد وكان شجاعا واتصل بالدولة أيام أبى سعيد فولوه حفظ السابلة بفارس وكان منها مبدأ أمرهم وذلك أنه لما توفى أبو سعيد سنة ست وثلاثين وسبعمائة ولم يعقب اضطربت الدولة ومرج أمر الناس وافترق الملك طوائف وغلب ازبك صاحب الشمال على طائفة من خراسان فملكها واستبد بهراة الملك حسين والان محمود شاه من أهل دولة السلطان أبى سعيد عاملا على اصبهان وفارس فاستبد بأمره واتخذ الكرسى بشيراز الى أن هلك وولى بعده ابنه أبو اسحق أمير شيخ   سالكا سبيله فى الاستبداد وكانت له آثار جميلة وله صنف الشيخ عضد الدين كتاب المواقف والشيخ عماد الدين الكاشى شرح كتاب المفتاح وسموهما باسمه وتغلب أيضا محمد بن المظفر على كرمان ونواحيها فصارت بيده وطمع فى الاستيلاء على فارس وكان أبو اسحق أمير شيخ قد قتل شريفا من أعيان شيراز فنادى بالنكير عليه ليتوصل الى غرض انتزاع الملك من يده وسار فى جموعه الى شيراز ومال اليه أهل البلد لنفرتهم عن أمير شيخ لفعلته فيهم وأمكنوه من البلد وملكها واستولى على كرسيها وهرب أبو اسحق أمير شيخ الى اصبهان واتبعه فحاصره أيضا وملك اصبهان وبث الطلب فى الجهات حتى قبض عليه وقتله قصاصا بالشريف الذى قتله بشيراز وكان له من الولد أربعة شاه ولى ومحمود وشجاع وأحمد وتوفى شاه ولى أيام أبيه وترك ابنيه منصورا ويحيى وملك ابنه محمود اصبهان وابنه

شجاع شيراز وكرمان واستبد عليه محمود وشجاع وخلفناه في ملكه سنة ستين وكلاه
وتولى ذلك شجاع وسار اليه محمود من اصبهان بعد ان استجاش باويس بن حسن الكبير
فامده بالعساكر سنة خمس وستين وملك شيراز ولحق شجاع بكرمان من أعماله وأقام
بها واختلف عليه عماله ثم استقاموا على طاعته ثم جمع بعد ثلاث سنين ورجع الى
شيراز ففارقها أخوه محمود الى اصبهان وأقام بها الى أن هلك سنة ست وسبعين فاستضافها
شجاع الى أعماله وأقطعها لابنه زين العابدين وزوجه بابنة أويس التي كانت تحت
محمود وولى على مردي ابن أخيه شاه ولي ثم هلك شجاع سنة سبع وثمانين واستقل ابنه
زين العابدين باصبهان وخلفه في شيراز وفارس منصور ابن أخيه شاه ولي وكان عادل
كبير دولة بني أويس بالسلطانية كما مر ولحق به منصور بن شاه ولي هاربا من شيراز أمام
عمه زين العابدين فحبس ثم فر من محبسه ولحق بأحمد بن أويس مستصرخا به فصارخه
وأنزله بتستر من أعماله ثم سار منها الى شيراز ففارقها عمه زين العابدين الى اصبهان
وأخوه يحيى بيزد وعمهما أحمد بن محمد بن المظفر بكرمان ثم زحف تمر سلطان التتر من بني
جغطاي بن جنكزخان سنة ثمان وثمانين وملك توريز وخربها كما مر في أخباره
فأطاعه يحيى صاحب يزد وأحمد صاحب كرمان وهرب زين العابدين من اصبهان
وملكها عليه تمر فلحق بشيراز ورجع تمر الى بلاده فيما وراء النهر وعميت أنباؤه الى سنة
خمس وتسعين فزحف الى بلاد فارس وجمع منصور بن شاه ولي العساكر لحربه فخادعه
تمر بولايته وانكفأ راجعا الى هراة فافترقت عساكر منصور بن شاه ولي وجاءت عيون
تمر بخبر افتراقها اليه فأغذ السير وكبس منصور بن شاه ولي بظاهر شيراز وهو في قل من
العساكر لا يجاوزون ألفين فهرب الكثير من أصحابه الى تمر واستمات هو والباقون
وقاتلوا أشد قتال وفقد هو في المعركة فلم يوقف له على خبر وملك تمر شيراز واستضافها الى
اصبهان وولى عليها من قبله وقتل أحمد بن محمد صاحب كرمان وابنيه وولى على كرمان
من قبله وقتل يحيى بن شاه ولي صاحب يزد وابنيه وولى على يزد من قبله واستلحم بني
المظفر واستصفى زين العابدين وهرب ابنه فلحق بخاله أحمد بن أويس
وهو لهذا العهد مقيم معه بمصر والله وارث الارض ومن عليها واليه يرجعون

بلغ بالاصل

منصور بن شاه ولي صاحب شيراز وفارس

صاحب كرمان

زين العابدين بن شجاع بن محمود بن محمد بن المظفر اليزدي

السلطان على أثره العساكر مددا له مع كيبغا الاتابك وتكلمش أمير سلاح وأحمد بن يبقا وكان العدو قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهر ملكها وعاثت عساكره فيها واكتسحت نواحيها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل الى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الاكراد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد وهو شعبان سنة ونسعين مقيم بدمشق مستجمع لمطالبه الوثبة متى استقل جهته والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

أحمد بن أويس ابن الشيخ حسن بن اقبغا بن ايلكان سبط ارغو بن ابغا

الشيخ حسن أويس

{المظفر بني المظفر اليزدي المتغلبين على اصبهان وفارس
بعد انقراض دولة بني هلاكو وابتداء أمورهم ومصايرها}

كان أحمد المظفر من أهل يزد وكان شجاعا واتصل بالدولة أيام أبي سعيد السلطان بفارس وكان منها امير أمرهم وذلك أنه لما توفي أبو سعيد سنة ست وثلاثين وسبعمائة ولم يعقب اضطربت الدولة ومرج أمر الناس وافترق الملك طوائف وغلب صاحب الشمال على طائفة من خراسان فملكها واستبد هراة الملك حسين وآل محمود فرشجه من أهل دولة السلطان أبي سعيد عاملا على اصبهان وفارس فاستبد بأمر إينجو الكرمي بشيراز الى أن هلك وولي بعده ابنه أبو اسحق أمير شيخ سالكا سبيله في الاستبداد وكانت له آثار جميلة وله صنف الشيخ عضد الدين كتاب المواقف والشيخ عماد الدين الكاشي شرح كتاب المصابيح وسموهما باسمه وتغلب أيضا محمد بن المظفر على كرمان ونواحيها فصارت بيده وطمع في الاستيلاء على فارس وكان أبو اسحق أمير شيخ قد قتل شريفا من أعيان شيراز فنادى بالنكير عليه ليتوصل الى غرض انتزاع الملك منه وسار في جموعه الى شيراز ومال اليه أهل البلد لنفرتهم عن أمير شيخ فأمكنوه من البلد وملكها واستولى على كرسيها وهرب أبو اسحق أمير شيخ الى اصبهان واتبعه فقتله وملك اصبهان وبث الطلب في الجهات حتى تقبض عليه فقتله قصاصا بالشريف الذي قتله بشيراز وكان له من الولد أربعة شاه ولي ومحمود وشجاع وأحمد وتوفي شاه ولي أيام أبيه وترك ابنيه منصورا ويحيى وملك ابنه محمود اصبهان وابنه

شجاع شيراز وكرمان واستبد عليه محمود وشجاع وخلفاه فى ملكه سنة ستين وكلاه
وتولى ذلك شجاع وسار اليه محمود من اصبهان بعد ان استجاش باويس بن حسن الكبير
فامده بالعساكر سنة خمس وستين وملك شيراز ولحق شجاع بكرمان من أعماله وأقام
بها وانتقض عليه عماله ثم استقاموا على طاعته ثم جمع بعد ثلاث سنين ورجع الى
شيراز فسار عنها أخوه محمد الى اصبهان وأقام بها الى أن هلك سنة ست وسبعين فاستضافها
شجاع الى أعماله وأقطعها لابنه زين العابدين وزوجه بابنة أويس التى كانت تحت
محمود وولى على مردى ابن أخيه شاه ولى ثم هلك شجاع سنة سبع وثمانين واستقل ابنه
زين العابدين باصبهان وخلفه فى شيراز وفارس منصور ابن أخيه شاه ولى وكان عادل
كبير دولة بنى أويس بالسلطانية كما مر ولحق به منصور بن شاه ولى هاربا من شيراز أمام
عمه زين العابدين فحبس ثم فر من محبسه ولحق بأحمد بن أويس مستصرخا به فصارخه
وأنزله بتستر من أعماله ثم سار منها الى شيراز ففارقها عمه زين العابدين الى اصبهان
وأخوه يحيى بيزد وعمهما أحمد بن محمد بن المظفر بكرمان ثم زحف تمر سلطان التتر من بنى
جغطاى بن جنكزخان سنة ثمان وثمانين وملك توريز وخربها كما مر فى أخباره
فأطاعه يحيى صاحب يزد وأحمد صاحب كرمان وهرب زين العابدين من اصبهان
وملكها عليه تمر فلحق بشيراز ورجع تمر الى بلاده فيما وراء النهر وعميت أنباؤه الى سنة
خمس وتسعين فزحف الى بلاد فارس وجمع منصور بن شاه ولى العساكر لحربه فخادعه
تمر ولاينه وانكفأ راجعا الى هراة فافترقت عساكر منصور بن شاه ولى وجاءت عيون
تمر بخبر افتراقها اليه فأغذ السير وكبس منصور بن شاه ولى بظاهر شيراز وهو فى قل من
العساكر لا يجاوزون ألفين فهرب الكثير من أصحابه الى تمر واستمات هو والباقون
وقاتلوا أشد قتال وفقد هو فى المعركة فلم يوقف له على خبر وملك تمر شيراز واستضافها الى
اصبهان وولى عليها من قبله وقتل أحمد بن محمد صاحب كرمان وابنيه وولى على كرمان
من قبله وقتل يحيى بن شاه ولى صاحب يزد وابنيه وولى على يزد من قبله واستلحم بنى
المظفر واستصفى زين العابدين وهرب ابنه فلحق بخاله أحمد بن أويس
وهو لهذا العهد مقيم معه بمصر والله وارث الارض ومن عليها واليه يرجعون

صاحب شيراز وفارس

منصور بن شاه ولى

صاحب كرمان

زين العابدين بن شجاع بن محمود بن محمد بن المظفر اليزدى

ناظر بالأصل

الخبر عن ارتنا ملوك بلاد الروم من المغل بعد بنى هلاكو والالمام بمبادى أمورهم ومصايرها

قد سبق لنا أن هذه المملكة كانت لبنى قلج ارسلان من ملوك السلجوقية وهم الذين أقاموا فيها دعوة الاسلام وانتزعوها من يد ملوك الروم أهل قسطنطينية واستضافوا اليها كثيرا من أعمال الارمن ومن ديار بكر فاتسعت أعمالهم وعظمت ممالكهم وكان كرسيهم قونية ومن أعمالها اقصرا وانطاكية والعلايا وطغرل ودمرلو وقراحصار ومن ممالكهم اذربيجان ومن أعمالها اقشهر وكانخ وقلعة كعونية ومن ممالكهم قيسارية ومن أعمالها نكدة وعداقلية ومنال ومن ممالكهم أيضا سيواس وأعمالها ملكوها من يد الدانشمند كما مر فى أخبارهم ومن أعمالها نكسار واماسية وتوقات وقمات وكمكرة كورية وسامسول وصعرى وكدرنية وطرخلوا وبرلوا ومما استضافوه من بلاد الارمن خلاط وارمينية الكبرى وانى وسلطان وارجيش وأعمالها ومن ديار بكر حرتبرت وملطية وسميساط ومسارة وكانت لهم هذه الاعمال وما يتصل بها من الشمال الى مدينة برصة ثم الى خليج القسطنطينية واستفحل ملكهم فيها وعظمت دولتهم ثم طرقها الهرم والفشل كما يطرق الدول ولما استولى التتر على ممالك الاسلام وورثوا الدول فى سائر النواحى واستقر التخت الاعظم لمنكوقان أخى هلاكو وجه عساكر المغل سنة أربع وخمسين وستمائة الى هذه البلاد وعليهم بيكو من أكابر أمرائهم وعلى بلاد الروم يومئذ غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد وهو الثانى عشر من ملوكهم من ولد قطلمش فنزلوا على ارزن الروم وبها سنان الدين ياقوت مولى علاء الدين فملكوها بعد حصار شهرين واستباحوها وتقدموا أمامهم ولقيهم غياث الدين بالصحراء على اقشهر وزنجان وانهزم غياث الدين واحتمل ذخيرته وعياله ولحق بقونية واستولى بيكو على مخلفه ثم سار الى قيسارية فملكوها وهلك غياث الدين اثر ذلك وملك بعده بعهده ابنه علاء الدين كيقباد واشرك معه أخويه فى أمره وهما عز الدين كيكاوس وركن الدين قلج ارسلان وعاثت عساكر التتر فى البلاد وسار علاء الدين كيقباد الى منكوقان صاحب التخت واختلف أخواه من بعده وغلب عز الدين كيكاوس واعتقل أخاه ركن الدين بقونية وبعث فى اثر أخيه علاء الدين من يستفسد له منكوقان فلم يحصل من ذلك على طائل وهلك علاء الدين فى طريقه وكتب منكوقان بتشريك الملك بين عز الدين وركن الدين والبلاد بينهما مقسومة فلعز الدين من سيواس الى تخوم القسطنطينية ولركن الدين من سيواس الى ارزن الروم متصلا من جهة الشرق ببلاد التتر وأفرج عز الدين عن ركن الدين واستقر فى طاعة

التتروسار بيكو فى بلاد الروم قبل أن يرجع عز الدين فلقيه ارسلان دغمس من أمراء
عز الدين فهزمه بيكو الى قونية فاجفل عنها عز الدين الى العلايا وحاصرها بيكو فملكها
على يد خليم او خرج الى بيكو فاسلمت زوجته على يده ومنع التترمن دخولها
الاوحدانا وأن لا يتعرضوا الاحد واستقر عز الدين وركن الدين فى طاعة التتر ولهما
اسم الملك والحكم للشحنة بيكو ولما زحف هلاكو الى بغداد سنة ست وخمسين استنفر
بيكو وعساكره فامتنع واعتذر بمن فى طريقه من طوائف الاكراد الفراسلية
والبار وتية فبعث اليه هلاكو العساكر ومر وا باذربيجان وقد أجفل أهلها
الاكراد فملكوها وسار وامع بيكو الى هلاكو وحضروا معه فتح بغداد ومابعدها
ولما نازل هلاكو حلب استدعى عز الدين وركن الدين فحضرا معه فتحها وحضر معهما
وزيرهما معين الدين سليمان البروانا واستحسنه هلاكو وتقدم الى ركن الدين بأن
يكون السفير اليه عنه فلم يزل على ذلك ثم هلك بيكو مقدم التتر ببلاد الروم وولى مكانه
صمقار من أمراء المغل ثم اختلف الاميران عز الدين وغياث الدين سنة تسع وخمسين
واستولى عز الدين على أعمال ركن الدين فسار ومعه البروانا الى هلاكو صريخا
فأمده بالعساكر وسار الى عز الدين فهزمهم واستمده ثانيا فأمده هلاكو وانهزم
عز الدين فلحق بالقسطنطينية وأقام عند صاحبها الشكرى واستولى ركن الدين قليج
ارسلان على بلاد الروم وامتنع التركمان الذين بتلك الاعمال بأطراف الاعمال والثغور
والسواحل وطلبوا الولاية من هلاكو فولاهم وأعطاهم الله الملك فهم الملوك بها من
يومئذ كما يأتى فى أخبارهم ان شاء الله تعالى وأقام عز الدين بالقسطنطينية وأراد
التوثب بصاحبها الشكرى ووشى به أخواله من الروم فاعتقله الشكرى فى بعض
قلاعه ثم هلك ويقال ان ملك الشمال منكوتمر صاحب التخت بصراى حدثت بينه
وبين صاحب القسطنطينية فتنة فغزاه واكتسح بلاده ومر بالقلعة التى بها عز الدين
معتقلا فاحتمله معه الى صراى وهلك عنده ولحق ابنه مسعود بعد ذلك بابغا بن هلاكو
فأكرمه وولاه على بعض القلاع ببلاد الروم ثم ان معين الدين سليمان البروانا ارتاب
بركن الدين فقتله غيلة سنة ست وستين ونصب ابنه كيخسرو للملك ولقبه غياث
الدين وكان متغلبا عليه مقيما مع ذلك على طاعة التتر وربما كان يستوحش منهم
فكاتب سلطان مصر بالدخول فى طاعته واطلع ابغا على كتابه بذلك الى الظاهر بيبرس
فنكره وهلك صمغار الشحنة فبعث ابغا مكانه أميرين من أمراء المغل وهما تدوان
وتوقو فتقدما سنة خمس وسبعين الى بلاد الشام ونزلا ... ومعهما غياث الدين
كيخسرو وكافله البروانا فى العساكر وسار الظاهر من دمشق فلقيهم بالبلستين

بياض بالاصل

بياض بالاصل

وقد قعد البرواناة ملكاً كان تواعد مع الظاهر عليه وهزمهم الظاهر جميعاً وقتل
الاميرين تدوان وتوقو في جماعة من التتر ونجا البرواناة وسلطانه فلم يصب منهم أحد
واستراب السلطان بالبرواناة لذلك وملك الظاهر قيسارية كرسي بلاد الروم وعاد الى
مصر وجاء ابغا ووقف على مكان الملحمة ورأى مصارع قومه فصدق الريبة بممالأة
الظاهر والبرواناة وأصحابه ما كتم البلاد وخربها ورجع ثم استدعى البرواناة الى
معسكره فقتله وأقام مكانه في كفالة كيخسرو أخاه عز الدين محمدا ولم يزل غياث الدين
والياً على بلاد الروم والشحنة من المغل حاكم في البلاد الى أن ولي تكدار بن هلاكو
وكان أخوه قنغرطاي مقيما ببلاد الروم مع صمغار فبعث عنه وامتنع من الوصول فأوعز
الى غياث الدين واعتقله بارزنكان وولي على بلاد الروم على الشحنة أولاكو من
أمراء المغل وذلك سنة احدى وثمانين ويقال ان ارغون بن ابغا هو الذي ولى أولاكو
شحنة ببلاد الروم بعد صمغار وان تدوان وتوقوا بعثهما ابغا لقتال الظاهر
ولم يرسلهما شحنة ثم أقام مسعود بن عز الدين كيكاوس في سلطانه ببلاد الروم والحكم
لشحنة التتر وليس له من الملك الا اسمه الى أن انقرض واضمحل أمره وبقي أمراء المغل
يتعاقبون في الشحنة ببلاد الروم وكان منهم أول المائة الثامنة الامير علي وهو الذي قتل
ملك الارمن هيثوم بن ليعون صاحب سيس واستعدى أخوه عليه بخربندا فأعداه
وقتله كما مر في أخبار الارمن في دولة الترك وكان منهم سنة عشرين وسبعمائة الامير
ايشغاي وولي السلطان أبو سعيد على بلاد الروم دمرداش بن جوبان سنة ثلاث وعشرين
واستفحل بها ملكه وجاهد الارمن بسيس واستمد الناصر محمد بن قلاون صاحب
مصر عليهم فأمده بالعساكر وافتتحوا اياس عنوة ورجعوا ثم نكب السلطان أبو سعيد
نائبه جوبان بن روات وقتله كما مر في أخبارهم وبلغ الخبر الى دمرداش ابنه ببلاد
الروم فاضطرب لذلك ولحق بمصر في عساكره وأمرائه فأقبل السلطان عليه وتلقاه
بالتكرمة والايثار وجاءت رسل أبي سعيد في اتباعه تطلب حكم الله تعالى فيه بسعيه
في الفساد واثارة الفتنة على أن يفعل مثل ذلك في قراسنقر النازع اليهم من أمراء
الشام فقتلوه وقتل دمرداش بمصر [illegible] كسبا وكان دمرداش لما هرب من بلاد
الروم الى مصر ترك من أمرائه ارتنا وكان يسمى النوير اسم أبناء الملوك فبعث الى
أبي سعيد بطاعته فولاه على البلاد فملكها ونزل سيواس واتخذها كرسي ملكه ثم استبد
حسن بن دمرداش بتوريز وبايع له ارتنا ثم انتقض وكاتب الملك الناصر صاحب مصر
ودخل في طاعته وبعث اليه بالولاية والخلع فجمع له حسن بن دمرداش وسار اليه
بسيواس وسار ارتنا للقائه بصحراء كينوك فهزمه وأسر جماعة من أمرائه

وذلك

سنة أربع وأربعين واستقل منذ ارتنا من يومئذ وعجز جوبان وحسن بن دمرداش عن طلبه الى أن توفى سنة ثلاث وخمسين وأقام بنوه من بعده فلا أدرى من ملك منهم ولا ترتيب ولايتهم الا أنه وقع فى أخبار الترك ان السلطان أوعز سنة ست وستين الى نائب حلب أن يسرّى العساكر لانجاد محمد بك بن ارتنا فمضوا وظفروا وما زال ارتنا وبنوه مستبدين ببلاد الروم وأعمالها واقتطع لهم التركمان منها بلاد الارمن سيس وما اليها فاستولى عليها ابن دلقادر على خلافه وزحف اليه وهى فى أيديهم لهذا العهد ولما خالف سعار رس من أمراء الترك سنة ثنتين وخمسين ظاهره قراجا ابن دلقادر على خلافه وزحف اليه السلطان من مصر فافترقت جموعه واتبعته العساكر فقتل وبعث السلطان سنة أربع وخمسين عسكرا فى طلب قراجا فسار والى البلسين وابن دلقادر منها انهم افنهبوا أحياءه ولحق هو بابن ارتنا بسيواس فقبض عليه وبعث به الى السلطان بمصر فقتله واقتطع التركمان ناحية الشمال من أعمالهم الى القسطنطينية وأثخنوا فى أمم النصرانية وراءهم واستولوا على كثير من تلك الممالك وراء القسطنطينية وأميرهم لهذا العهد فى عداد الملوك الاعاظم ودولتهم ناشئة متجددة وكان صاحب سيواس منذ أعوام الثمانين وهو من أعقاب بنى ارتنا فاستبد عليه قاضى البلد لما كان كافلا له بوصية أبيه ثم قتل القاضى ذلك الصبى أعوام ثنتين وتسعين واستبد بذلك الملك وكانت هنالك أحياء التتر يناهزون ثلاثين ألفا أونحوها مقيمين بتلك النواحى منذ دمرداش بن جوبان ومن قبله من أمراء المغل فكانوا شيعة لبنى ارتنا وعصابة لهم وهم الذين استنجد بهم القاضى حين وجهت اليه عساكر مصر فى طلب منطاش الثائر ثم لحق به وسارت عساكر مصر فى طلبه سنة تسع وثمانين فاستنجد القاضى باحياء التتر هؤلاء وجاؤا لانجاده ورجعت عساكر مصر عنهم كما تقدم ذلك كله فى أخبار الترك والحال على ذلك لهذا العهد والله مصير الامور بحكمته وهو على كل شئ قدير

ج ب ١٠

ابراهيم بن محمد بك بن ارتنا النوير عامل أبى سعيد على بلاد الروم

الخبر عن الدولة المستجدة للتركمان فى شمال بلاد الروم الى خليج القسطنطينية وماوراءه لبنى عثمان واخوته

قد تقدم لنا فى انساب العالم ذكر هؤلاء التركمان وانهم من ولد يافث بن نوح أى من توغرما بن كومر بن يافث كذا وقع فى التوراة وذكر الفيومى من علماء بنى اسرائيل ونسابتهم أن توغرما هم الخزر وان الخزر هم التركمان اخوة الترك ومواطنهم فيما وجدناه من بحر طبرستان ويسمى بحر الخزر الى جوف القسطنطينية وشرقها الى ديار بكر وبعد

البياض فى الموضعين بالاصل

انقراض العرب والارمن ملكوا نواحى الفرات من أوله الى مصبه فى دجلة وهم
شعوب متفرقون وأحياء مختلفون لا يحصرهم الضبط ولا يحويهم العد وكان منهم
ببلاد الروم جموع مستكثرة كان ملوكها يستكثرون بهم فى حروبهم مع أعدائهم وكان
كبيرهم فى العهد المائة الرابعة جق وكانت أحياؤهم متوافرة وأعدادهم متكاثرة ولما
ملك سليمان بن قطلمش قونية بعد أبيه وفتح انطاكية سنة سبع وسبعين من يد الروم طالبه
مسلم بن قريش بما كان له على الروم فيها من الجزية فأنف من ذلك وحدثت بينهما
الفتنة وجمع قريش العرب والتركمان مع أميرهم جق وسار الى حرب سليمان بانطاكية
فلما التقيا مال التركمان الى سليمان لعصبية الترك وانهزم مسلم بن قريش وقتل وأقام
أولئك التركمان ببلاد الروم أيام بنى قطلمش وطنين بالجبال والسواحل ولما ملك التتر
بلاد الروم وأبقوا على بنى قطلمش ملكهم وولوا ركن الدولة قليج ارسلان بعد ان غلب
أخاه عز الدين كيكاوس وهرب الى القسطنطينية وكان أمراء هؤلاء التركمان يومئذ
محمد بك وأخاه الياس بك وصهره على بك وقريبه سونج والظاهر أنهم من بنى جق
فانتقضوا على ركن الدولة وبعثوا الى هلاكو بطاعتهم وتقرير الاثر عليهم وأن يبعث
اليهم باللواء على العادة وأن يبعث شحنة من التتر تختص بهم فأسعفهم بذلك وقلدهم وهم
من يومئذ ملوك بها ثم أرسل هلاكو الى محمد بك الامير يستدعيه فامتنع من المسير اليه
واعتذر فأوعز هلاكو الى الشحنة الذى ببلاد الروم والى السلطان قليج ارسلان
بمحاربته فساروا اليه وحاربوه ونزع عنه صهره على بك ووفد على هلاكو فقدمه مكان
محمد صهره ولقى محمد العساكر فانهزم وأبعد فى المفر ثم جاء الى قليج ارسلان مستأمنا
فأمنه وسار معه الى قونية فقتله واستقر صهره على بك أميرا على التركمان وتقدمت عساكر
التتر نواحى [illegible] الى اسطنبول والظاهر أن بنى عثمان ملوكهم لهذا العهد من
أعقاب على بك أو أقاربه يشهد بذلك اتصال هذه الامارة فيهم مدة هذه المائة سنة
ولما اضمحل أمر التتر من بلاد الروم واستقر بنو ارتنا بسيواس وأعمالها غلب هؤلاء
التركمان على ما وراء الدروب الى خليج القسطنطينية ونزل ملكهم مدينة برصة من
تلك الناحية وكان يسمى أورخان بن عثمان جق فاتخذها دارا لملكهم ولم يفارق الخيام
الى القصور وانما ينزل بخيامه فى بسيطها وضواحيها وولى بعده ابنه مراد بك وتوغل
فى بلاد النصرانية وراء الخليج وافتتح بلادهم الى قريب من خليج البنادقة وجبال
جنوة وصار أكثرهم ذمة ورعايا وعاث فى بلاد الصقالبة بما لم يعهد قبله وأحاط
بالقسطنطينية من جميع نواحيها حتى اعتقل ملكها من أعقاب لشكرى وطلب منه
الذمة وأعطاه الجزية ولم يزل على جهاد أمم النصرانية وراءه الى أن قتله الصقالبة

في حروبه معهم سنة احدى وتسعين وسبعمائة وولى بعده ابنه أبو يزيد وهو ملكهم لهذا العهد وقد استفحل ملكهم واستعدت بالعز دولتهم وكان قد غلب على قطعة من بلاد الروم من بنى سيواس وبلادهم من انطاكية والعلايا بجبال البحر الى قونية بنو قرمان من أمراء التركمان وهم الذين كانوا في حدود ارمينية وجدهم هو الذى هزم أوشين ابن ليعون ملك سيس من الارمن سنة عشرين وسبعمائة ثم كان بين بنى عثمان حق وبين بنى قرمان اتصال ومصاهرة وكان ابن قرمان لهذا العهد صهر السلطان مراد بك على أخته فغلبه السلطان مراد بك على ما بيده ودخل ابن قرمون صاحب العلايا في طاعته بل والتركمان كلهم وفتح سائر البلاد ولم يبق له الا سيواس بلد بنى ارتنا في استبداد الثانى الذى عليها وما أدرى ما الله صانع بعد ظهور هذا الملك تمر المتغلب على ملك المغل من بنى جغطاى بن جنكزخان وملك ابن عثمان لهذا العهد مستفحل في الناحية الشمالية ومتسع في أقطارها ومرهوب عند أمم النصرانية هنالك ودولته مستجدة عزيزة على تلك الامم والاحياء والله غالب على أمره والى هذا انتهت أخبار الطبقة الثالثة من العرب ودولهم وهم الامم التابعة للعرب بما تضمنه من الدول الاسلامية شرقا وغربا لهم ولمن تبعهم من العجم فلنرجع الآن الى ذكر الطبقة الرابعة من العرب وهم المستعجمة أهل الجيل الناشئ بعد انقراض اللسان المضرى ودروسه ونذكر أخبارهم ثم نخرج الى الكتاب الثالث من الثالث في أخبار البربر ودولهم فنفرغ بفراغهما من الكتاب ان شاء الله تعالى والله ولى العون والتوفيق بمنه وكرمه